



العدد (١١)

السنة ٢٠١٥

الخصائص الموضوعية والفنية في شعر شمس الدين الكوفي الواعظ (ت ٦٧٥هـ)

أ.م.د. سوسن صائب المعاضيدي
كلية التربية/ ابن رشد للعلوم الإنسانية /جامعة بغداد

ملخص البحث

يتحدث هذا البحث عن الشاعر شمس الدين الكوفي الواعظ وشعره في مأساة بغداد التي ضربها أسوأ هجوم على يد هولاكو سنة ٦٥٦ وما حدث من تدمير وحرق ونهب على أيدي التتار، ويمكن ملاحظة الجناس في شعره ولا سيما الرثاء، وكذلك الغرض من الشعر غير الغزل والوصف والسخرية كما ثلاثة موشحات، ويمكن للقارئ ملاحظة الكوفي عمداً تضمن قصائد لآيات من القرآن فضلاً عن معارضته لبعض كبار الشعراء مثل أبي تمام وابن زيدون.

Abstract

**Objective characteristics and technical hair Shamsuddin Kufi
Preacher T. 675 AH**

A . M . D . Sawsan Saeb Almaadida

Education College of Human Sciences | Ibn Rushd

Speaking of this research for hair Shamsuddin Kufi preacher poet tragedy Baghdad hit by the worst attack on the hands of Hulagu year 656 AH has lamented poet Baghdad and more than Altfldja them and whatever happens from destruction and burning and looting at the hands of the Tartars , and can be observed propagation poet of amendments Alibdieih in his hair especially alliteration , and Kofi lament for people as well as the purpose of poetry other than yarn and description and satire also has three stanzas , and can Qari Note deliberately kufi included poems to verses from the Koran as well as his opposition to some of the great poets such as Abu Tammam and son Zeydoun

مُقَدِّمَةٌ

إن شعر شمس الدين الكوفي^(١) (ت ٦٧٥هـ) يدفع الباحث الى تتبعه ودراسته وبخاصة وهو يتوزع على أغراض عديدة منها المديح، والرثاء، والغزل، والوصف... الخ فضلاً عن الموشحات، والدارس المتتبع لأشعار الكوفي يستشعر رقة الألفاظ، وعذوبتها ورهافتها حيناً، وقوتها وجزالتها حيناً آخر، ولعل أكثر الاغراض الشعرية التي احتلت مكاناً واسعاً في ديوانه غرض الغزل الذي يأتي بالمرتبة الأولى، إذ تناولته الشاعر في ١٦ نصاً ما بين مقطوعة وقصيدة، وقد بدا غزله رقيقاً طبعاً، ليناً وتبدو من خلاله العاطفة واضحة جليلة منها هو ذا يقول:

الى كم بأرواح المحبين تعبتُ على الهجر كم تبقى النفوس وتمكثُ
تعطفُ على صبٍّ كئيبٍ متيمٍ ذليلٍ بأذبال الرجا يتشبثُ
يراك فبغضي خيفةً ومهابةً وحاجاته في صدره تتحدثُ^(٢)

ويشرح الشاعر حالة العاشق هذه إذ أنه ما كان يعلم ما يفعله الجفاء في أنفوس المحبين، إلا أن الوشاة وما عندهم من دسائس قد علمته هذه الأمور، ويطلب من محبه التصديق عليه بالزيارة للحديث والكلام ليس إلا- ولعمري هذا هو الغزل العفيف -وتلك قمة العفة- وأرى بتواضع أن قطعة شمس الدين الكوفي هذه تعدّ من الغزل العفيف إذ موته وحياته في صدور محبه ورضاه، فالصبّ مأسور مسحور بلحاظ حيث إذ يقول:

وماذا عليه لو تصدق زائراً وكنا خلونا ساعةً نتحدثُ
يميتُ ويحيى بالصدود وبالرضا ففي كل يومٍ مماتٍ ومبعثُ
فكيف خلاص الصبِّ من أسر لحظه وهاروته في عقدة السحر ينفثُ^(٣)

وهو لا يبالي بما يقول الواشون إذ هو عالمٌ بالهوى فريدٌ فيه فلا يمكن لأحد أن يكتّم أشجانه وحبّه فيقول:

وقد ظهر المكتوم وانكشف الغطا وماذا عسى الواشون أن يتحدثوا
وإني على علم الهوى منفردٌ عليّ دروسُ الحبِّ تملأ وتُبَحِّثُ

وتظهر أشجانُ المحبينَ شجوههم كذا رؤيتي والوجدُ للوجدِ يبعثُ^(٤)
وللكوفي سينيةٌ في الغزل جاء فيها بالفاظ طرية وصور محببة إذ يقول في
مطلعها:

ما للقلوب سوى الحبيبِ أنيسُ هو للفؤادِ منادمٌ وجليسُ^(٥)
ويصور جمال هذا المحبوب وجذبه لقلوب الناس (بالمغناطيس) ولا أظن - على
حسب ما قرأت - أن شاعراً التفت الى هذه المسألة وصاغها بهذه الطريقة، وإن كان
جذب المغناطيس للأشياء المعدنية معروفاً ولكنها تبدو عند الكوفي مخترعةً فيقول:
جذب القلوب الى هواه جماله فكأنه للخلق مغناطيس^(٦)
ويستعمل الكوفي في غزله مصطلحات فلسفية عندما يذكر جمال محبوبه فيقول:
لا يدرك المعقول لطفَ جمال من أهوى فكيف يناله المحسوس^(٧)
ويمضي في شرح حبه ووجده بأسلوب العاشق المتذلل الذي أضناه الهوى وأتعبه
العشق قائلاً:

كم قد كتبتُ إليه قصةً غصتي بمدادٍ دمعي والحدود طروسُ
لم يبق دمعي وجنتي إلا عسى يوماً لها قدمُ الحبيب تدوسُ
دمعي بذكرك مطلقٌ ومسلسلُ وصبابتي وقفٌ عليك حبيسُ
الناسُ عشاقٌ وأنت حبيبهم والكونُ ماشطةٌ وأنت عروسُ^(٨)
وحبيبه ممنعٌ لا يمكن الوصول اليه ويذكر الكوفي أن هناك من لأمه على أتلاف
حالة في هوى محبوبه متسائلاً: أيمن أن تكون للعاشقين نفوس ؟ فقد جردَ نفسه مبيناً
أنه لا يستقيم العقل والمال عنده ولقد أظهر عكس ما يعاني في هوى حبيبه شأنه في
ذلك شأن الخاتم المنقوش الذي ينقش بالعكس وعن رؤيته تُتظر حالته الصحيحة فيقول:
وحماك كم نحرت نحرورٌ دونه وتطايرت عند الدنور رؤوسُ
ايقالُ لي أتلُفت نفسك في الهوى عجبني وهل للعاشقين نفوس ؟
جردت نفسي إذ علمتُ بأنه لا يستقيم الكيسُ لي والكيسُ
وعكستُ حالي في العيون كأنه نقشُ الفصوصِ صوابه المعكوسُ

كم قال قومٌ والحديثُ تعلّةٌ وادي العروس وما هناك عروس^(٩)

ويبين الشاعر أنه قد غرّ هؤلاء القوم التسمية مثلما غرّت بلقيس بالصرح وينادي أحبته الذين يحنّ إليهم حتى إذا وصل إلى هؤلاء الأحبة زال عناءه وبؤسه إذ يقول:

قد غرّهم آل التوهم مثلما غرّت بصرح قبلهم بلقيسُ
يامن دعا أرواحنا فتأبدرت سباقاً وحسنّ إلى النفيس نفيسُ
سارت إليك بنا أيا نقفاً فلا الـ تقبيلُ يُعجبها ولا التعريسُ
ومتى وصلنْ إليك يا كلّ المنى ذهبَ العنا عناً وزالَ البوسُ
العيسُ تشناقُ العقيقَ لساكنٍ لولاه ما حنّت إليه العيسُ^(١٠)

غرض الرثاء

وقد أشار الأدباء إلى أنه تعداد خصال الميت وبكائه، وأشاروا كذلك إلى أنه من الموضوعات التي تشترك بها الشعوب كافة^(١١).

ويأتي الرثاء بالمرتبة الثانية إذ احتل (١١) نصاً، ولقد كان لرثاء بغداد دار السلام التي أحتلت وخربت واتلفت معالمها وقُتل أهلها الأثر الواضح والحزين في أشعار شمس الدين الكوفي إذ له قصيدة تفيض بالأسى والحزن يقول في مطلعها:

عندي لأجل فراقكم الأم فالأم أعدلُ فيكم وألام^(١٢)

ولقد أشار الدكتور ناظم رشيد إلى هذه القصيدة فقال: (رثى الشاعر الأهل وأبن الأصحاب في قصائد تفيض بالدمع والأسى، وما نظن شاعراً استطاع أن يصل إلى ما وصل إليه شمس الدين الكوفي في بكاء الدولة العباسية، فقد أقطع بكاءه عليهم من فؤاده)^(١٣).

وأوافق أستاذي الدكتور ناظم رشيد الرأي في أن من يقرأ هذه القصيدة، يحسّ ألم الفاجعة بل تتقد في قلبه جذوة الحزن والأسى على فراق الأحبة والصحب إذ يقول:

من كان مثلي للحبيب مفارقاً لا تعذّله فالكلام كلام
نعم المساعدُ دمعي الجاري على خدي إلا أنه نمام
ويذيبُ روعي نوحُ كل حمامة فكأنما نوحُ الحمام حمام

إن كنت مثلي للأحبة فاقداً
قف في ديار الظاعنين ونادها
أوفي فؤادك لوعةً وغراماً
يا دارُ ما صنعت بك الأيام^(١٤)

لقد جاء استعماله للجناس هنا موفّقاً إذ أضفى على البيت روعة الشجن ففي البيت الذي يقول فيه من كان مثلي للحبيب مفارقاً يدعو أحبته بعدم لومه إذ اللوم هنا جرح للمشاعر، وقد أحسن المجانسة بين كلام التي تعني اللوم والأخرى التي تعني وكذلك في قوله ويذيب روي نوح كل حمامة إذ يجد أنّ نوح الحمام حمام وقد جانس بين كلمتي الحمام التي تعني الطائر والحمام التي تعني الموت. ويستفهم الكوفي بنبرة حزينة طاغية اللوعة والشجن عن الديار وبهائها وضيائها وزمانها الذي كان ربيعاً دائماً فيقول:

يا دارُ أين الساكنون وأين ذبا
يا دارُ أين زمان ربّك مونقاً
يا دارُ قد أفلت نجومك عمّا
فلبعدم قُرب الردى ولفقدهم
فمتى قبلتُ من الأعادي ساكناً
ك البهَاء وذلك الأعظام
وشعارك الاجلال والاكرام^(١٥)
- والله - من بعد الضياء ظلام
فقد الهوى وتزلزل الإسلام
بعد الأحبة لا سقاك غمام^(١٦)

ثم هو يبكي الخلاقة العباسية بأدمع سجام، وقلب يكاد يتفطر حزناً، ذاكرةً أنّ فراقهم قد نغصّ عليه حياته، بل إنّ هذا الفراق أضرم النار بين ضلوعه إذ يقول:

يا سادتي أما الفؤاد فشقيق
والدارُ مذ عدمت جمال وجوهكم
لاحظ فيها للعيون وليس لالأ
وحياتكم إني على عهد الهوى
فدمي حلال إن أردتُ سواكم
يا غائبين وفي الفؤاد لبعدهم
فلق وأما أدمعي فسجام
لم يبق في ذاك المقام مقام
أقدام في عرصاتها أقدام
باق ولم يُغفر لديّ ذمام
والعيشُ بعدكم عليّ حرام
نارٌ لها بين الضلوع ضرام^(١٧)

ويسأل الكوفي عن اخبار أحبته الذين فرقته صروف الزمان أين هم ؟، وأين صاروا، وكيف صارت أحوالهم بعد تغير الحوادث والأيام ؟ فيقول:

تروى ولا تدنكم الأحلامُ
جدّ النوى لعبت بي الأسقامُ
ما لم تُخيله لي الأوهامُ
وبأي أرض خيموا وأقاموا^(١٧)
حيث رمته من الفراق سهامُ
حكمت عليّ بذلك الأيامُ^(١٨)

لا كتبكم تأتي ولا أخباركم
نغصتم الدنيا عليّ وكلمما
ولقيت من صرف الزمان وجوره
ياليّ شعري كيف حال أحبتي
ما لي أنيس غير بيت قاله
(والله ما أخترت الفراق وإنما

على أن قصيدته النونية والتي تقع في (٢٦) بيتاً تبقى صرخة تسلب القلب وتثير أشجانه وأحزانه، وأكد أجزم أنّ ما من قارئ لهذه القصيدة إلا ويستشعر هول الفاجعة، وشدة الصدمة، بل يكاد يرى الشاعر باكياً منتحباً على ما حلّ بهذه المدينة العريقة فما هو ذا يقول في مطلعها:

من بعد بعدكم فما أجفاني
ما نظر إلى إنسان
ولساعة التوديع لا أحياني
حالي وخلاتي بلا خلان
أهلي ولا جيرانها جيراني
غير البلى والهدم والنيران^(١٩)

إن لم تُقرح أدمعي أجفاني
إنسان عيني مذ تناءت داركم
يا ليتني قد مت قبل فراقكم
مالي وللأيام شئت صرّفها
ما للمنازل أصبحت لا أهلها
وحياتكم ما حلّها من بعدكم

ويقف الشاعر عند الدار حزناً حائراً متسائلاً عن تلك الديار وأهلها، أين سادتها وكبراؤها الذين كانوا قادة الأمم؟ أولئك الذين تبكي عليهم منابرهم وتبكي عليهم الخصال الحميدة، فيأتيه الجواب سريعاً، لقد تفرقوا وتشتتوا وكذا حال الذين سبقوهم إذ يقول:

ووقفت فيها وقفة الحيران
فتكلمت لكن بغير لسان
كانوا هم الأوطار في الأوطان

ولقد قصدت الدار بعد رحيلكم
وسألتها لكن بغير تكلم
ناديتها يا دار ما صنع الألى

ذلاً تخرُّ معاقداً التيجان
يبكي الهدى وشعائر الإيمان
وتبدلوا من عزهم بهوان
أبدأ ويخرج من أعز مكان
أفنت قديماً صاحب الأيوان
أضحت معطلة من السكان
لجمالهم مستهدم الأركان
وجدي ولا أشجانه أشجاني^(٢٠)

ثم يعود الشاعر ليستذكر تلك الأيام الخوالي في تلك الدار التي كانت تجمعهم
بأحبته إذ العيش الرغيد والحياة الهائلة، وإذ قطوف الأمان والدعة تجتنى فيقول:

كنا بكل مسرة وتهاني
بيد الأمان قطوف كل أماني
والوقت يُعدينا على العدوان
بيد الوصال ملابس الهجران^(٢١)

ويعود الشاعر ليقرر استبعاد عودة تلك الأيام الهائلة الرغيدة فقد عزّ اللقاء،
وسدّت طوارق الحدثان المزار، وليس هناك لا أحباب ولا خلآن، فيروح باكياً نادباً
أيامه نائحاً عليهم، متسائلاً في آخر القصيدة عنهم وعن وجهتهم وأين حلّوا إذ يقول في
ذلك:

طرق المزار طوارق الحدثان
أحباب بين جماعة الأخوان
واوحشتي وأحرّ قلبي العاني
زهر ولا ماست غصون البان
والنوح والحسرات والأحزان^(٢)
أم أين مواطنكم من البلدان^(٢٢)

أين الذين عهدتهم ولعزهم
كانوا نجوم من أقتدى فعلهم
قالت: غدوا لما تبدد شملهم
كدم الفصاد يراق أرذل موضع
أفنتهم غير الحوادث مثلما
لما رأيت الدار بعد فراقهم
مازلت أبكيهم وألثم وحشة
حتى رثي لي كل من لا وجده

أتري تعود الدار تجمعنا كما
إذ نحن نغتم الزمان ونجتني
والدهر تخدمنا جميع صروفه
والعيش غضّ والدنو ممزق

هيهات قد عزّ اللقاء وسدّت
مالي أردد ناظري ولا رأى الـ
والهفتي واوحدتني وا حيرتي
سرتم فلا سرت النسيم ولازها
مالي أنيس بعدكم غير البكا
ياليت شعري أين سارت عيسكم

وهكذا نجد أن الأحداث التي آلت بعاصمة العباسيين إلى السقوط وحولتها إلى خراب بياب قد أثرت في نفس هذا الشاعر المرهف وحركت أحاسيسه الشعرية ففاضت أشعاره دموماً باكية نائحة على ما حل بالمدينة وأهلها.

وللشاعر أيضاً رثاء للأشخاص الذين قضوا، إذ ذكر ابن الفوطي أنه لما توفي تاج الدين علي بن عبدوس وهو من كبار المتصوفة ببغداد رثاه شمس الدين الكوفي بقصيدة يقول في مطلعها:

أرى الدنيا تؤول الى نفاذ ونحن لها بأنفسنا نفاذي^(٢٣)

وبين الشاعر أن هذه الدنيا التي يتهالك الناس عليها ويجدون ويجتهدون في طلبها إنما هي مفنية مشبهها إياها بأمر قتل بنينا إذ يقول:

ونعلم أنه تفني وتفنى ونطلبها بجد واجتهاد
ونصلحها وتفسدنا وندي بأن صلاحها عين الفساد
هي الأم التي قتلت بنيتها فحاذرها محاذرة الأعداي^(٢٤)

والأبيات أعلاه تفصح عن حكمة واضحة جسدها هذا الشاعر في أن الدنيا غدارة خوّانة تقتل بنينا لذا عليهم الحذر منها، ثم يبين أن ما فعلته بالمرثي يكفي إذ سلبته أحسن ما يمكن أن يراه الإنسان، مبينا بعد ذلك أن المرثي أخوه وركنه وأن فقدته قد قطع شرايين قلبه.

من الحزن وأنه قد صبره بهذا الفقد وهو الجلد الصبور على الرزايا فيقول:

وما فعلت بتاج الدين يكفي إذا فكرت تفكير انتقاد
لقد سلبته أحسن ما رآه يسر بحسنه أهل البلاد
أتاج الدين كنت أخي وركني فبعدك بالإخاء لمن أنادي
أيا ابن أبني قطعت نياط قلبي بأحزان وأسيف حداد
أتاج الدين قد أفنيت صبري وكنت على الخطوب من الجداد
أتاج الدين قد أوحشت عيني وإن كنت انتقلت الى فؤاد^(٢٥)

ويذكر الشاعر شدة تعلقه بالمرثي إذ يوضح أنه لم يتسطيع فراقه شهراً فكيف إذا عدم التلاقي في الدنيا؟! مبيناً أنه أراد أن يسر به لكنه لم يبلغ ما يريد فهو حزين عليه

كل يوم بل إن حزنه يزيد، لذا يلتجئ الشاعر الى الرموز الدينية العظيمة موضحاً ان تاج الدين (المرثي) سيلتي أبا الحسين أمير المؤمنين علي ابن طالب (عليهم السلام) بينما سيبكيه عند الإمام موسى بن جعفر وابنه محمد الجواد (عليهم السلام) إذ يقول:

فلو كان التلاقي بعد شهر
لكنت أضجُّ من طول البعاد
فيكف وليس في الدنيا تلاق
وميعادُ التلاقي في المعاد
أردت أن أنال به سروري
فمات وما بلغت به مرادي

ويخاطب الكوفي مرثيه مبيناً له أن رحليه قد سلبه سرور نفسه وأبعد عن جفنيه الرقاد، أن حزنه في كل يوم بإزدياد إذ يقول:

رحلت وقد سلبت جميل صبري
وسرت فسار عن جفني رقادي
فحزنك كل يوم في أنتقاض
وحزني كل يوم في إزدياد
سرورك عند مولانا علي
وحزني قد يخفُّفه يقيني
بأنك قد قدمت على جواد

والحقيقة أن الشاعر إنما بدأ قصيدته بحكمة وختمها بحكمة أخرى، إ أن مما يخفف مصائب الفقد أن الراحل قادم الى رب كريم جواد عفو محسن لا يظلم عنده أحد.

ويقرن الشاعر في قصائد الرثاء عنده بين المصيبة وما نزل بالأمة الإسلامية من نكبات ومآسي في صور رائعة أحسن صياغتها بما عُرف عنه من روح شعرية واضحة وإحساس عالٍ.

وله قصيدة رائعة في وصف الربيع تقع في (٢١) بيتاً، وقد أشار لها أبو العباس المقرئ بالقول: (ما رأيت رائية تقربُ لابن مرج الكحل التي أولها:

عرج بمنعرج الكئيب الأعفر

والأدائية شمس الدين الكوفي الواعظ وهي قوله:

روحُ هذا الزمان هو الربيع فبكر
وأنهض الى اللذات غير منكر

ولكن قصيدة ابن مرج الكحل، أعذب مذاقاً، وكل منهما لم يقصّر، رحمهما الله تعالى، فلقد أجادا فيما قالاه الى الغاية، وليس الخبر كالعيان^(٢٦).

روحُ هذه الزمان هو الربيعُ فبكرِ
وانهض الى اللذات غيرَ منكرِ
هذا الربيعُ يبيعُ من لذاته
أصنافَ ما تهوى فأين المشتري؟
فافرِح به فلفرحةً بقدومه
رَقْل الشقائقُ في القباءِ الأحمر^(٢٧)

ويمضي الكوفي في وصف مباحج الربيع فيقول:

والكون مبهجٌ وخفّاق الصبا
يحیی القلوبَ بنشره المتعطرِ
والغيمُ يبكي والأقاحي باسمٍ
لبكائه كتبسم المستبشرِ
والسروُ إن عبثَ النسيمُ فهزَّ أعـ
طافَ الغصونَ يمينَ ميسَ موقرِ
وكأنما القداحُ فسقُ فضّةٍ
يُهدي إليك أريجَ مسكٍ أذفرِ
وكأنما المنثور في أثوابه
الوانُ ياقوتِ أنيق المنظر^(٢٨)

وقد أحسن الكوفي في تشبيهاته هذه وأضاف لقصيدته هذه رونقاً بهياً بهذه التشبيهات التي وصف الربيع بها، فلم يترك شيئاً تقع عليه عينه إلا وضمتها في قصيدته هذه إذ يقول:

وترى البهارَ كعاشق متخوفٍ
متشوقٍ بادٍ بوجهٍ أصفرِ
وكأنما النارجُ في أوراقه الـ
قنديلُ والأوراقُ شبه مسحرِ
وكأنما الخشخاشُ قومٌ جاءهم
خبرٌ يسرُّهم بطيب المخبِرِ
فتنوا ملابسهم لفرطِ سرورهم
كي يخلعوا فرحاً بقولِ المخبِرِ
فتعلقت أذيالهم بأكفهم
وتعلّقت أزيافُها بالمنحر^(٢٩)

وهكذا يستمر الكوفي بوصف الرياض والطلّ المنثور فوقه والربى، والنور، والنثر الطيب، حتى يصل الى وصف الورق وتقريدها فيقول:

والطلُّ من فوق الرياضِ كأنه
دُرٌّ نثرنَ على بساطٍ أخضرِ
وترى الربى بالنورِ بين مَبوَحٍ
ومُدملجٍ ومخلخلٍ مَسوَرِ
ورِياضها بالزهرِ بين مقرطقٍ
ومُطّوقٍ ومُنطّقٍ ومُزَنَرِ

ومكثف ومُطَفٍّ لم يُصهر
ومرضع ومُدرهم ومُدَّ نضر
ومعطر ومصدل ومغبر
ومفجع ومسّجع في منبر
ومبدد في الخدّ ماءً المحجر^(٣٠)

والوردُ بين مُضعفٍ ومشنفٍ
والزهرُ بين مفضضٍ ومذهبٍ
والنثر بين مُطيبٍ وممسكٍ
والورقُ بين مرجّجٍ وموجّجٍ
ومغردٍ ومردّدٍ ومعدّدٍ

الذم:

وقد ذمّ شاعرنا حمامَ المستنصرية في يشين واصفاً إياه بالبادر، راسماً له صورة هجائية جملةً مصوراً فيها أن أيوبَ النبي - عليه السلام - لو مسّه الأذى في ذلك الوقت لقصد حمامَ المستنصرية لما يجد فيه من شرابٍ ومغتسلٍ باردٍ إذ يقول:

قد مسّه بالأذى الباردُ
(شرابٌ ومغتسلٌ باردٌ)^(٣١)

ولو أن أيوبَ في عصرنا
لجاءَ إلينا فحمامنا

وله في الزهد قصيدة في (١٠) أبيات يدعو فيها الى اعتزال الناس، إذ أن هذا الاعتزال طريق للخلاص داعياً الى التفرد والخلوة، ففي هذا التفرد راحة من كل قريب وبعيد متذكراً أن هناك حشراً سوف يُحشر البشر فيه جميعهم وهناك سيكون المحاسب خائفاً من ذنوبه، فماذا سيقول لو شاهدها فعلاً سيئة؟ وعند ذاك لا مفرد إذ لات حين مناص فيقول في ذلك:

وطريق الفتى الى الإخلاص
في ازديادٍ وهمهم في أنتقاص
عنهم ولو بفعل المعاصي
مستريحاً من كل دانٍ وقاصي
في الحشر يا فلان المعاصي
قباحاً ولات حين مناص^(٣٢)

إعتزال الورى سبيلُ الخلاص
أنا ما لي همٌ فبالناس همي
صاح ما أطيبُ التفرد في الخلوة (م)
أنفقُ الوقتَ كلّهُ في فرادي
ليت شعري ماذا أقولُ إذا نودي (م)
وتأسفتُ حين شأهتُ أعمالي (م)

وهو ينادي العاصي الكثير الذنوب كي يرعوي عن أعماله الشائنة مذكراً إياه بأن عمره ذاهب وله أن يتعظ بمن ذهب متسائلاً عن شيد القصور وتركها فقد مات

ومات ذلك القنوع ناصحاً بالحرص على الصلاح والأبتعاد عن أولئك الذين يحرصون على حطام الدنيا داعياً الى التفكير بيوم القيامة ذلك اليوم الذي سندعى فيه جميعاً الى الحساب عن كل صغيرة وكبيرة أرتكبتها فيقول:

يا كثير العصيان قد ذهبَ العمر (م) إلى كم ترى ركوب المعاصي
أينَ من شيد القصور لقد ما تَ وماتَ القنوع بالأختصاص
كن حريصاً على الصلاح وفارق شأن قوم على الحطام حراس
وتفكر يوماً يحيقُ بك الذل ويُدَى فيه لأخذ القصاص (٣٣)

وقد أحسن شمس الدين الكوفي في استعمال المحسنات البديعية من جناس وطباق وظفها توظيفاً متجانساً في قصيدته هذه إذ جاء الجناس في كلمة الخلاص الواردة في البيت الأول متناسقاً مع طبيعة قصيدته في الزهد، وأجاد في المطابقة بين كلمتي (أزدياد) و(انتقاص) الواردين في البيت الثاني، وكذا بين كلمتي (دان) و(قاصي) اللتين وردتا في البيت الرابع.

وها هو ذا يعاتبُ في قصيدة تقعُ في (٢١) بيتاً سارَ في نظمها معارضاً قصيدة ابن زيدون الأندلسي في نونيته الشهيرة:

أضحى التناي بدلياً من تدانينا ونابَ عن طيب لقيانا تجافينا (٣٤)
فيقول شمس الدين الكوفي في مطلعها:

ملابسُ الصبر نبليها وتبلينا ومدةُ الهجر نفيها وتفنيها

والكوفي في قصيدته هذه يعاتبُ أحبته على الفراق وعلى إخلاف الوعد ذاكرةً أنهم كانوا سعداء بإجتماع شملهم، إلا أن عيون الحاسدين اليوم قد قرّت بتفريق شملهم فيقول:

شوقاً إلى أوجهٍ متنا بفرقتها حزناً وكانت تحيينا فتُحِينَا (٣٥)
أحزاننا بهم لا تنقضي ولنا شوقٌ إلى ساكني يبرين يبرينا
يا دهرُ قد مسّنا من بعدهم حُرْقٌ من الفراق إلى التكفين تكفينَا
وعدتنا بالتلاقي ثم تخلفنا فكم ترى منك تلوننا وتلوننا
متعاً فيها الى حين فوا أسفا إذ عشتُ حين رأيتُ الحين والحينَا

كنا جميعاً وكان الدهر يُسعدنا والكائنات بكأس الأمن تسقينا
فالآن قرت عيون الحاسدين بنا بما جرى وأشتفت منا أعادينا
ويعمد الشاعر الى تصوير حاله بعد فراق أحبته، مبيناً أن الذي كان ينصره
بالأمس أضحى يخذله اليوم ومن كان بالأمس عنده غالباً صار يرخص من شأنه،
وصار أطف الناس به من يسليه عن أحبته ويعزيه عن فراقهم فيقول:

فصار يرحمنا من كان يأملنا وعاد يُبعدنا من كان يُدنيا
وبات يخذلنا من كان ينصرنا وصار يرخصنا من كان يغلينا
واليوم أطف كل العالمين بنا من عن أحبتنا أضحى يعزينا
ويتمنى الكوفي أن لو رأى عاذوله من هم فيه يعذلون إذن لرحموه ولتركوه
وشأنه إذ يقول:

ليت العذول يرى من فيه يعذلنا لعله إذ يرى عينا يُراعينا
إلى متى نحملُ البلوى وعاذلنا بغير ما هو يعيننا يُعينا
ما ضرَّ عذالنا لو أنهم رفقوا فعذلهم ليس يُسلينا ويسلينا
وحقيقة الأمر أنه قد وفق في المجانسة بين (يعينا ويعينا) و(يسلينا ويسلينا) إذ
جاء الجنس مطابقاً لتبيان الحالة النفسية الحزينة للشاعر وشدة لوعته ومعاناته.

ويعمد الشاعر الى رمز الفراق عند المحبين على مرّ العصور وهو الحماسة التي
تتوَع على أفنان الأشجار فيجدُ في نواحيها محاكاةً واضحة بين روحه الحزينة وذاك
النوح، إذ يرى أنها تعبر عما في نفسه فشجوها لفقد أحبته وشجوه كذلك فيقول:

حائمُ الدوح في الأغصان نائحة كما ننوح فتحكيها وتحكيها
تشجو وتندبُ من شوق لمن فقدت ومن فقدنا فتشجوها وتشجنا
وينادي أحبابه مشتاقاً الى أخبارهم مبيناً جراحاته وحزنه وأن لقياهم هي خير
دواء له فيقول:

قد نسرت يا أحيانا جرائحنا وما لنا غيرُ لقيامك يداوينا^(٣٦)
أمرضنا من كلام الشامتين بنا فهل زمانٌ يُشنا ويشفينا؟

إنا عطاشٌ إلى أخباركم فمتى يأتي رسولُ يروينا ويروينا ؟
بنا إلى عزكم فقرٌ ومسكنةٌ فهل بشيرٌ يغينا فيغينا

الدراسة الفنية:

توظيف الفنون البلاغية في النصوص الشعرية:

لقد فصلت مدة زمنية بين عصر نضج المفاهيم البلاغية وعصر الشاعر، الذي سار الذوق الفني فيه ممثلاً في الغالب في الابداع مساراً بعيداً عن المفاهيم الابداعية التي أرساها هذا النضج.

وقد ظهرت فنون بلاغية عدة في شعر الشاعر، نالت فنون علم البديع النصيب الأوفر بينها، وأكثر هذه الفنون العصر الجناس (والجناس والتجنيس والمجانسة والتجانس كلها الفاظ مشتقة من الجنس/ فالجناس مصدر جانس والتجنيس تفعيل من الجنس والمجانسة مفاعلة منه)^(٣٧).

وقد شاع شيوعاً بيناً جعل استخدامه أقرب الى التكلف من وجهة نظر البلاغة الحديثة.

ومن الاستخدامات الرائعة لهذا الفن قوله:

تعطف على صبٍّ كئيبٍ متيمٍ ذليلٍ باذِئالٍ الرجا بتثبث^(٣٨)

ولا يخفى على القارئ التوظيف الناجح للفظتي (ذليل، وأذِئال) وتأثيرهما في موسيقى البيت، ولعل نجاح الشاعر يكمن في أنه أبعد السياق عن أية شبهة تكلف نُظن به لأن الجناس هنا جناس ناقص، إذ لم يتطابق اللفظان كلياً، على الرغم من أن الجناس الكامل له نصيبه من الجمال إن جاء سلساً لا يمجّه الذوق الحديث.

ويقرب من ذلك البيت في نجاح التوظيف للألفاظ المتجانسة في قول الشاعر:

وحِمَاك كم نُحِرَتْ نَحُورٌ دونه وتطَايرت عند الدنو رؤوس^(٣٩)

وللجناس التام حضوره في شعر الكوفي والجناس التام (ويسمى الكامل فهو ما تماثل ركناه لفظاً وخطاً واختلفا معنى من غير تفاوت في تركيبهما ولا اختلاف في حركاتهما/ سواء كانا من أسمين أو فعلين، أو من اسم وفعل، أو اسم وحرف فان كان

من نوع واحد سمي مماثلاً، أو من نوعين سمي مستوفي، وهذا الجناس من اكمل أصناف التجنيس، وأرفعها مرتبة، وأولها في الترتيب الأصلي وشاهده من القرآن الكريم^(٤٠). قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيُثْبِتُ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾.

ولقد حقق في واحد من جناساته التامة وظيفة من وظائف الجناس التي شدد عليها النقد الحديث وهي تكثيف الموسيقى الداخلية في النص إذ يقول:

جردتُ نفسي إذ علمتُ بأنه لا يستقيم الكيسُ لي والكيسُ^(٤١)

ولقد تحقق الجناس التام في قوله (الكيس والكيس)^(٤٢).

وحين نقرن بهما لفظة (يستقيم) يهيمن جرس حرف السين على الشطر الثاني، فضلاً عن جرسه في لفظة (نفس) في الشطر الأول كما يكفل للبيت موسيقى ناعمة تلائم فكرة البيت التي تتسم بالرصافة والهدوء.

ومما لا شك فيه أن مثل هذه الأفكار لم تخطر في بال الشاعر الذي كان يرى - امتثالاً لذوق عصره - أن الابداع لا يتجاوز المجانسة بين المفردات، دون أن يتوغل وراء البناء الموسيقي وجرس الالفاظ.

وأما الطباق فكان هو الآخر قد حظي باهتمام الكوفي فاستعمله والطباق: (الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة)^(٤٣).

وقد عرضه السكاكي بقوله: (وهي أن تجمع بين متضادين كقوله أما والذي ابكى وأضحك أمات وأحيا والذي أمره الأمر)^(٤٤).

وقد جاء الطباق عنده في المدح فقال:

حتى أتاه بعزم نافذ وندي غمرٌ فسَهِّلَ منه كل ما صعباً^(٤٥)

ولا شك أن شاعرنا أحسن في توظيف الطباق هنا إذ أبان للقارئ أن ممدوحه كان نافذ العزم قوي الشكيمة جواد اليد فاستطاع بذلك تسهيل كل صعوبة مرت أمامه. وقد طابق في غزلياته كذلك في قوله:

يميتُ ويحيي بالصدود وبالرضا ففي كلِّ يومٍ مماتٌ ومبعثٌ^(٤٦)

وقد تناصت أبياته في الغزل مع قول الفرزدق في مدح الامام زين العابدين بن علي (عليهما السلام):

يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَاسُمُ^(٤٧)
فقال شمس الدين الكوفي:

يَرَاكَ فَيُغْضِي خِيفَةً وَمَهَابَةً وَحَاجَاتِهِ فِي نَفْسِهِ تَتَحَدَّثُ^(٤٨)

وقد جاء طباقه هذا موقفاً ومتماشياً مع رقة الأبيات الغزلية التي أنشأها ولم تخلُ قصائد الرثاء والشكوى عنده من استعمال هذا اللون البديعي فقد ذكر خراب بغداد وقتل الخليفة المستعصم بالله في قصيدة تعدّ من عيون قصائد رثاء المدن يقول في مطلعها:

عِنْدِي لِأَجْلِ فِرَاقِكُمْ آلَامٌ فَلِإِلَامٍ أَعْدَلُ فَيَكُمُ وَالْأَمُ^(٤٩)
وفيها يقول:

فَلْيَبْعِدْهُمْ قَرُبَ الرَّدَى وَلَفَقْدِهِمْ فَقَدْ الْهَدَى وَتَزَلْزَلَ الْإِسْلَامُ^(٥٠)

ويمكن للقارئ معرفة تأثير الطباق بين لفظتي (فلبعدهم) و (لفقدهم) في توصيف حالة سقوط الدولة العباسية وما آلت اليه الأمور بعد ذلك من خراب عمّض البلاد وقتل العباد/ واستباح الحرمات.

التناص لغة من نصّ نصا الشيء رفعة وأظهره فلان نص استقصى مسألته عن الشيء حتى استخرج ما عنده هو النص مصدر أصله أقصى الشيء الدال على غايته أو الرفع والظهور^(٥١).

ولقد تناصت أبيات الكوفي مع القرآن الكريم إذ وظّف بعناية فائقة ألفاظه وأدخل فيها بعض الآيات القرآنية ليخرج بصورة شعرية مستحسنة ومثال ذلك قوله:

وَلَوْ أَنَّ أَيُّوبَ فِي عَصْرِنَا وَقَدْ مَسَّضَهُ بِالْأَذَى الْبَارِدُ^(٥٢)
لَجَاءَ الْيَنَابِاءُ فَحَمَامِنَا شَرَابٌ وَمَغْتَسِلٌ بَارِدٌ

واوضح التناص في الشطر الثاني من البيت الثاني مع قوله تعالى: ﴿أَرْكَضُ بِرَحْمَتِكَ هَذَا مَغْسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾^(٥٣).

وكذا تناصت أبياته التناص التاريخي في ذكره لحوادث تاريخية مثال ذلك قوله:

يا ماء ما انصفت آل محمدٍ وعلى كمال الدين كنت المجتري
في الطفّ لم تسعد أيّاه بقطرةٍ واليوم قد أغرقته في أبحر^(٥٤)
وقد ضمّن في القصيدة الرثائية هذه بيت أبي تمام في رثاء محمد بن حميد الطوسي إذ يقول:

تردّى ثياب الموت حُمرًا فما أتى لها الليل إلا وهي من سندسٍ خُضر^(٥٥)
فقال شمس الدين الكوفي:

والله ما نزعْتُ ملابسُ جسمه حتى تبخر في الحرير الأخضر
وأما الموشح وهو من الفنون الشعرية المستحدثة فقد أبدع فيه شمس الدين الكوفي والموشح لغة اسم مفعول من الفعل وشحّ والوشاح: أديم عريض يرصع بالجواهر تشدّه المرأة على عاتقها وكشميها، وقد عرفه ابن سناء الملك فقال: (كلام منظوم على وزن مخصوص يتألف في الأكثر من ستة أفعال، وخمسة أبيات وفي الأقل من خمسة أفعال)^(٥٦).

ولشمس الدين الكوفي ثلاث موشحات جرى فيها على نمط الوشاحين وفي غرض واحد هو الغزل مزج في بعضها الطبيعة بالغزل يقول في احداها:

ادهش لي	هذا الجوّذر	حاوي الملح
شرش قلبي	حالي غير	لما سخّ
نغشى ربي	ورداً أحمر	مثل الشيخ
من نمل	حير قلبي	في حدود ذا البدر
قم واستجل	ذا واستمل	من عذاره عُذري ^(٥٧)

الخاتمة والنتائج:

- وبعد هذه الرحلة مع شعر شمس الدين الكوفي (ت ٦٧٥هـ) وبعد العرض والتأمل في أشعار هذا الشاعر تم التوصل الى ما يأتي:
- ١- استعمل الشاعر المسحّنات البديعية بكثرة ولاسيما الجناس، فقد ورد هذا الفن البديعي كثيراً في مقطوعاته وقصائده ولعلّ مردّ ذلك يعود الى عصر الشاعر إذ أقبل الشعراء على الاكثار من المسحّنات البديعية وكان هذا الأمر مما يحسّن شعر الشاعر ويرفع من مكانته.
 - ٢- يعدّ الشاعر وبحق شاعر مأساة بغداد إذ صوّر سقوط الدولة العباسية، والمآسي التي حلّت بعاصمة الدولة العباسية وقبلة الحضارة والعلم في الشرق العربي.
 - ٣- استعمله التناص كان واضحاً في أشعاره، إذ تناصت مقطوعاته مع القرآن الكريم، وأشعار كبار الشعراء أمثال أبي تمام وابن زيدون.
 - ٤- استعمل مصطلحات فلسفية في بعض أشعاره مما يدلّ على ثقافة علمية رصينة ورقية فكري واضح.
 - ٥- برع شاعرنا كذلك في ولوج الفنون الشعرية بمستحدثه مثل الموشح/ والكان كان وكانت له مقطوعات جميلة تنال استحسان القارئ.



هوامش البحث:

(١) توفي شمس الدين محمد بن عبد الله الهاشمي الكوفي الواعظ، وكان أديباً فاضلاً عالماً، شاعراً، ولي التدريس في المدرسة التنشئية، وخطب في جامع السلطان ووعظ في باب بدر، وكان عمره نحو اثنتين وخمسين سنة، وكان له شعر حسن فمن كتبه على يد معشوقه الى أحد الأعيان:
 اني جعلتُ رسولي من كلفتُ به وقد كتبتُ بما القى أبناء من الوصب
 فدع كتابي وسل عني لوحظه (فالسيف أصدق أنباء من الكتب)

ص ٣٩٠، الحوادث الجامعة لابن الفوطي، مصطفى جواد، المكتبة العربية، بغداد، ١٣٥١هـ،
 ينظر فوات الوفيات ابن شاکر الکتبی تحقیق علي معوض وعادل أحمد ٤٨٥/٢، دار الكتب
 العلمية، بيروت، ٢٠٠٠.

(٢) الديوان: ٣٢.

(٣) م. ن. : ٣٢.

(٤) م. ن.

(٥) م. ن.

(٦) م. ن. : ٤١.

(٧) م. ن.

(٨) م. ن.

(٩) م. ن. : ٤٢.

(١٠) م. ن. : ٤٣.

(١١) ينظر الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الاسلام، د. بشرى محمد علي الخطيب، ص ٢٠،
 مطبعة جامعة بغداد، ١٩٧١.

(١٢) ديونه: ٦٤.

(١٣) في أدب العصور المتأخرة، د. ناظم رشيد، ص ٧٢.

(١٤) الديوان: ٦٥.

(١٥) م. ن.

(١٦) م. ن. : ٦٥.

(١٧) م. ن.

(١٨) م. ن. : ٦٦.

(١٩) م. ن.

- (٢٠) م.ن: ٧٤.
- (٢١) م.ن: ٧٤.
- (٢) م.ن.
- (٢٢) م.ن: ٧٤.
- (٢٣) م.ن: ٦، ص ٣٣.
- (٢٤) م.ن، ص ٣٣-٣٤.
- (٢٥) ديوانه: ق ٦، ص ٣٤.
- (٢٦) نفح الطيب لأبي العباس المقري (ت ١٠٤١هـ) تحقيق: احسان عباس ٧٥/٥، طبع دار صادر بيروت، ١٩٦٨.
- (٢٧) ديوانه: ٣٩.
- (٢٨) م.ن: ٤٠.
- (٢٩) م.ن.
- (٣٠) م.ن: ٤١.
- (٣١) م.ن: ٣٥.
- (٣٢) م.ن: ٤٧.
- (٣٣) م.ن.
- (٣٤) ديوان ابن زيدون ورسائله، شرح وتحقيق علي عبد العظيم، ص ٦٧، من منشورات مؤسسة البايطين للابداع الشعري، ط ٣، الكويت، ٢٠٠٤.
- (٣٥) ديوانه: ٧٠.
- (٣٦) الديوان: ٧١.
- (٣٧) انوار الربيع في انواع البديع، ابن معصوم المدني (١١٢٠هـ)، تحقيق: شاكر هادي شكر ٩٧/١، ينظر معجم المصطلحات البلاغية، ص ٤٥٠، م.د. أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ٢٠٠٧.
- (٣٨) ديوانه: ٣٢.
- (٣٩) م.ن: ٤٢.
- (٤٠) انوار الربيع: ١/١٤٨.
- (٤١) ديوانه: ٤٢.

- (٤٢) جاء في لسان العرب: (الكَيْسُ: العاقل، والكَيْسُ خلاف الحمق.....) والكيس من الاوعية وعاء معروف يكون للدراهم والدنانير والدر والياقوت)، لسان العرب مادة (كيس).
- (٤٣) الايضاح في علوم البلاغة: ص ٣٤٨.
- (٤٤) مفتاح العلوم: ص ٢٠٠.
- (٤٥) ديوانه: ق ١، ص ٢٨.
- (٤٦) م.ن. ق ٦، ص ٣٢.
- (٤٧) ديوان الفرزدق ١٧٩/٢، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠.
- (٤٨) ديوانه: ق ٦.
- (٤٩) م. ن. ق ٣٢، ص ٦٤.
- (٥٠) م. ن. ق ٣٢، ص ٦٥.
- (٥١) ينظر لسان العرب مادة (نص).
- (٥٢) ق ٨، ص ٣٥.
- (٥٣) سورة ص/ آية ٤٢.
- (٥٤) ديوانه .
- (٥٥) ديوان أبي تمام: ٤٠٣/٢، تقديم وشرح د. محي الدين صبحي، دار صادر، ١٩٩٧.
- (٥٦) دار الطراز، ص ٤٠، دار الفكر العربي، دمشق، ١٩٧٧.
- (٥٧) ديوانه: ٨٣.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

- ١- انوار الربيع في أنواع البديع، ابن معصوم المدني (ت ١١٢٠هـ)، تحقيق شاکر هادي شکر، مطبعة النعمان، النجف الاشرف، ١٩٦٨.
- ٢- الايضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥.
- ٣- الحوادث الجامعة، لابن القوطي، تحقيق مصطفى جواد، المكتبة العربية، بغداد، ١٣٥١هـ.
- ٤- دار الطراز ابن سناء الملك، دار الفكر العربي، دمشق، ١٩٧٧.
- ٥- ديوان ابن زيدون ورسائله، تحقيق علي عبد العظيم، منشورات مؤسسة الباطنيين، الكويت، ٢٠٠٤.
- ٦- ديوان أبي تمام، تقديم وشرح د. محيي الدين صبحي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧.

- ٧- ديوان شمس الدين الكوفي (ت ٦٧٥هـ)، تحقيق د. ناظم رشيد، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان - الاردن، ٢٠٠٦.
- ٨- د يوان الفرزدق، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠.
- ٩- الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الاسلام، د. بشرى الخطيب، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٧١.
- ١٠- فوات الوفيات لابن شاکر الکتبي، تحقيق علي معوض، وعادل أحمد، دار الکتب العلمیة، بیروت، ٢٠٠٠.
- ١١- في أدب العصور المتأخرة، د. ناظم رشيد، جامعة الموصل، د.ت.
- ١٢- لسان العرب، حققه عامر أحمد حيدر وراجعه عبد المنعم خليل ابراهيم، دار الکتب العلمیة، بیروت، ٢٠٠٢.
- ١٣- معجم المصطلحات البلاغية، د. أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ٢٠٠٧.
- ١٤- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب لأبي العباس المغري (ت ١٠١٤هـ)، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨.
- ١٥- مفتاح العلوم للسكاكي (ت ٦٢٦هـ)، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ١٣٥٦هـ.

أثر موسيقا الشعر في غزل ابن زيدون

م.د. زياد طارق لفته العبيدي

جامعة ديالى / كلية التربية الأساسية

ملخص البحث

لا شك أن الموسيقى تمثل روح الشعر وجوهره وهي إحدى المقومات الأساسية التي يعبر من خلالها الشعراء عن أفكارهم ومشاعرهم وخلجات نفوسهم . بل اننا لا نبالغ اذا قلنا إن الموسيقى في الشعر هي سبب من الأسباب الرئيسية في المحافظة عليه ووصوله إلينا، فكم من قصيدة خلدت وذاع صيتها، بسبب جمال موسيقاها وروعيتها، وكم من قصيدة ماتت وكتب لها الفناء بسبب ركاكة موسيقاها .

ومن هنا وجدت نفسي تميل ميلاً شديداً إلى الكتابة عن الموسيقى في غزل ابن زيدون، هذا الشاعر الكبير الذي عانى ما عانى بسبب حبه من جهة، وبسبب كثرة اعدائه من جهة أخرى . فهو لم ينظم في الغزل الا لأنه عاش تجربة صادقة التظى من خلالها بحب تلك الاميرة الحسنة التي فتحت مغاليق صدره، فأخذ يلهج بذكرها في مختلف اوقاته، بل حتى وهو سجين كسير .

ونظراً لأهمية هذا الموضوع فإنني بذلت عسارة جهدي في هذا البحث، محاولاً اظهار براعة ابن زيدون الشعرية وتجربته العميقة في هذا المجال .

وقد ركزت في بحثي هذا على غزل ابن زيدون الذاتي المحسوس، متجاوزاً غزله التقليدي الذي جاء في مقدمات بعض قصائده، والذي اراد فيه مجارة المشاركة ومن قبلهم . ولا ريب أن السبب في ذلك إنما يعود الى أن غزل الشاعر الذاتي كان أكثر صدقاً من غزله الاخر التقليدي، وصدق الفن أياً كان هو السبب الرئيس في ابداع الشاعر .

بعد هذه الوقفة الطويلة مع الموسيقى في غزل ابن زيدون ، نصل الى النتائج الآتية:

١- عاش ابن زيدون حياة متقلبة وغير مستقرة أسهمت بشكل كبير في ظهور ايقاعاته الموسيقية المعبرة التي أطلقها من خلال أشعاره التي وصلت إلينا بصورة عامة ، وغزله بصورة خاصة .

- ٢- برع ابن زيدون أيما براعة في تصوير حاله وهو عاشق محب يأبى بشدة نسيان ماضيه السعيد ، مع استحضار واقعة الاليم بأروع القصائد المشحونة بالموسيقا العذبة الشجية .
- ٣- استعمل الشاعر بحوراً عديدة في غزله كان على رأسها البحر البسيط ، الذي وظفه الشاعر أكثر من غيره للتعبير عن مشاعره وأحاسيسه، بسبب دقة إيقاعه وجزالة موسيقاه .
- ٤- ان الشاعر وفق توفيقاً كبيراً في استعماله للبحور العروضية تامة ومجزوءة وكان ذلك نابعا من حالته الشعورية التي استدعت النظم في تلك البحور .

Abstract

The Effect of music and rhythm on Ibn Zaidwon love poetry

By

Ph.D :Ziyad tariq lafta

University of Diala/ College of Basic Education

Abstract

By the name of Allah the most gracious and merciful .

The music in poetry represent important side of its formation and a strong pillar from its presents pillars.for this reason and because of importance so I prefeere to show the influence of music and rhythm through agreat poet ,who lives on Andlos and has influence on it. Te his poet is Ibn Zaidwon ,he is the lovely poet who has a true love experience that effected on his poem generally.

The reaserch is divided into introducation ,three topics and conclusion .

The introduction include a brief biography about the poet Ibn Zaidwon.

The three topics include:

First topic includes the effect of meters on Ibn Zaidwon love poetry.

Second topic includes the effect of rhymes on Ibn Zaidwon love poetry.

Third topic includes the effect of inner music on Ibn Zaidwon love poetry.

Conclusion.

The research shows the following:

- 1.1.Ibn Zaidwon lives unstable life which contribute greatly on the emergence of his beautiful musical rhythm.
2. 2.Ibn Zaidwon used many verses in his love poetry specially the simple verse , which he used it express his feelings and sense.
3. 3.The poet success in using the prosody :the compelet and divided which suitable with the feeling condition of the poet.
4. 4.The rhyme that the poet used is linked to his subject (love poetry).It was simple ,clear and without ambiguity.
5. 5.The poet success in connecting the inner rythm to surve the sense of love poetry and to ascend his poem into immortality.

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه الاطهار أجمعين .

لا شك أن الموسيقى تمثل روح الشعر وجوهره وهي احدى المقومات الأساسية التي يعبر من خلالها الشعراء عن افكارهم ومشاعرهم وخلجات نفوسهم . بل اننا لا نبالغ اذا قلنا إن الموسيقى في الشعر هي سبب من الأسباب الرئيسية في المحافظة عليه ووصوله إلينا، فكم من قصيدة خلدت وذاع صيتها، بسبب جمال موسيقاها وروعته، وكم من قصيدة ماتت وكتب لها الفناء بسبب ركافة موسيقاها .

ومن هنا وجدت نفسي تميل ميلاً شديداً إلى الكتابة عن الموسيقى في غزل ابن زيدون، هذا الشاعر الكبير الذي عانى ما عانى بسبب حبه من جهة، وبسبب كثرة اعدائه من جهة اخرى . فهو لم ينظم في الغزل الا لأنه عاش تجربة صادقة التظى من خلالها بحب تلك الاميرة الحسنة التي فتحت مغاليق صدره، فأخذ يلجج بذكرها في مختلف اوقاته، بل حتى وهو سجين كسير .

ونظراً لاهمية هذا الموضوع فإنني بذلت عسارة جهدي في هذا البحث، محاولاً اظهار براعة ابن زيدون الشعرية وتجربته العميقة في هذا المجال .

وقد ركزت في بحثي هذا على غزل ابن زيدون الذاتي المحسوس، متجاوزاً غزله التقليدي الذي جاء في مقدمات بعض قصائده، والذي اراد فيه مجارة المشاركة ومن قبلهم . ولا ريب أن السبب في ذلك إنما يعود الى أن غزل الشاعر الذاتي كان أكثر صدقاً من غزله الاخر التقليدي، وصدق الفن أياً كان هو السبب الرئيس في ابداع الشاعر .

وقد اعتمدت في بحثي على جملة من المصادر والمراجع، أهمها: الذخيرة لابن بسام (ت ٥٤٢هـ)، ونفح الطيب للمقري التلمساني (ت ١٠٤١هـ) . فضلاً عن انني اعتمدت على طبعتين لديوان ابن زيدون الأولى بتحقيق محمد سيد

كيلاني وجاءت في التمهيد بشكل رئيس، والثانية بتحقيق عبد الله سنده وجاءت في المباحث بصورة كبيرة .

ومن المراجع المهمة التي اعتمد عليها البحث هو كتاب (موسيقى الشعر) للدكتور إبراهيم أنيس الذي له أهمية كبيرة في مجال الإيقاع وموسيقى الشعر، فضلاً عن اعتماد البحث على المراجع العروضية الأخرى التي لها أهمية كبيرة وعظيمة في هذا الباب .

وجاء البحث مقسماً على تمهيد وثلاثة مباحث تنتهي بخاتمة . تناولت في التمهيد (نبذة عن حياة الشاعر ابن زيدون) ؛ لما في حياته من اثر في إيقاعاته الخارجية والداخلية .

أما المبحث الاول فتناول (اثر الأوزان في غزل ابن زيدون) . في حين تناول المبحث الثاني (اثر القوافي في غزل ابن زيدون). وكلاهما يمثلان الموسيقا الخارجية في شعره الغزلي . أما المبحث الثالث والأخير فتحدث عن (أثر الموسيقا الداخلية في غزله) . ثم انتهى البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي تم التوصل إليها فيه . وقد حصرت بحثي بتلك المباحث الثلاث ؛ لأنها تمثل الدعامة الرئيسة للموسيقا الشعرية والإيقاع الشعري هذا من جانب . ومن جانب آخر فإنني وجدت الدكتور ابراهيم انيس يركز عليها تركيزاً كبيراً في كتابه (موسيقى الشعر)، على الرغم من تعدد العناوين وتشعبها التي جاء بها هذا الكتاب المهم .

هذا فضلاً عن انني وضعت نصبَ عيني ما جاء به الدكتور ابراهيم انيس في كتابه المذكور ؛ لما لهذا الكتاب من اهمية كبيرة بالنسبة الى الدارسين والباحثين في مجال الدراسات الادبية ولاسيما الشعر .

وقد كتبت بحثي للقراء والدارسين وللعشاق الاعفاء على حد سواء؛ ليستلهموا منه الدروس والعبر، فهل من معتبر ؟

كما انني اتمنى ان يكون هذا البحث لبنة من لبنات الدراسات الموسيقية الإيقاعية التي تحف الشعر بعين الرعاية والاهتمام وإبراز كوامن الابداع فيه .

التمهيد

نبذة عن حياة الشاعر ابن زيدون

((هو احمد بن عبد الله بن احمد بن غالب بن زيدون المخزومي . وبنو مخزوم: بطن من بطون قریش))^(١). وقد ولد في الرصافة وهي من ضواحي قرطبة عام ٣٩٤هـ، وامتازت هذه المدينة ببساتينها الفيحاء، وحدائقها الغناء، وجداولها الصافية، وجمال مناظرها الطبيعية، وكثرة طيورها وفواكهها^(٢).

وتحدث ابن بسام نقلاً عن ابن حيان عن حياة ابن زيدون، فقال: ((وكان ابو الوليد من ابناء وجوه الفقهاء بقرطبة في ايام الجماعة والفتنة، وفرع أدبه، وجاد شعره، وعلا شأنه، وانطلق لسانه، فذهب به العجب كل مذهب، وهون عنده كل مطلب))^(٣). ويذكر ايضاً ان والده كان من الادباء المعروفين في قرطبة فهو غزير المعرفة، واسع الرواية، كريم الاخلاق^(٤). وقد تلقى ابن زيدون العلم عن الكثير من الاساتذة كان من ابرزهم ابو بكر مسلم بن احمد بن افلح النحوي الاديبي، وهو من اهل قرطبة^(٥). التي كانت موئل الاداب والعلوم في الاندلس، فساعدت الشاعر على الانكباب على العلم^(٦).

وبعد زوال حكم بني امية في قرطبة عام ٤٢٢هـ، قامت حكومة ابي الحزم ابن جهور أحد ملوك الطوائف فاتصل به الشاعر طامعاً في الحصول على الجاه والمنصب، لكن ذلك لم يتحقق، فأثر ابن زيدون الانضمام الى الجماعة التي تأمرت على ابي الحزم وحاولت اسقاطه من اجل ارجاع الحكم الاموي^(٧). وهذا الامر لا غرابة فيه ؛ اذ ما دام ان ابن زيدون كان يسعى الى الرياسة والمنصب، فمن الطبيعي ان يميل الى الامويين الذين عرف عنهم تعصبهم للعرب على بقية الاجناس الاخرى التي كانت موجودة في الاندلس من موالٍ وبربر وغيرهم، فكان الامويون يعدون العرب مادة الاسلام ؛ فمكنوهم من ارتقاء المناصب على حساب غيرهم من فئات المجتمع الاندلسي^(٨).

إلا ان حلم ابن زيدون في ارجاع الحكم الاموي لم يتحقق، اذ تمكن ابن جهور من اخماد تلك المؤامرة، وقام بزج ابن زيدون في السجن. ومن هنا بدأت معاناة

الشاعر التي ذكرها في قصائد عدة بث من خلالها همومه احزانه التي ارهقته في سجنه . وهذا ما سنراه فيما بعد .

وبعد فرار ابن زيدون من سجنه أخذ يطلب الشفاعة من ابن جهور دون جدوى الى ان تم له ذلك على يد ابي الوليد وهو ابن ابي الحزم . وقد كان صديقاً حميماً للشاعر والذي نال الشاعر في ظله فيما بعد منزلة سامية، اذ تخذ شاعراً للبلاد . ولم يكتف بذلك، بل عينه سفيراً له وكان هذا المنصب هو اعلى شأناً من عمل الوزير ؛ إذ لقب ابن زيدون بعده بـ ((ذي الوزارتين))^(٩).

وكان هذا المنصب قد وفر لابن زيدون فرصة الاتصال بالملوك والامراء الآخرين، فضلاً عن ذلك كان لهذا المنصب أثر كبير في حياة ابن زيدون الاجتماعية ؛ اذ وظفه الشاعر في الحصول على المتعة واللهو وإشباع رغبات نفسه التي مالت في وقت من الاوقات الى الملذات والشهوات^(١٠).

وعلى الرغم من سعة الجاه والمنصب التي نالها ابن زيدون في ظل ابي الوليد، انه لم يستطع المحافظة على هذه النعمة ؛ بسبب عدم اكترائه ومبالاته في اكثر الاحيان بعظم المسؤولية وشرف المنصب ويبدو ان ذلك كان سبباً رئيساً من الاسباب التي ادت فيما بعد الى عزل ابن زيدون من منصبه ورحيله الى ((اشبيلية)).

وفي بلاط المعتضد ملك اشبيلية وهو من ملوك الطوائف المعروفين عاش ابن زيدون عيشة رغيدة، واصبح وزيراً للمعتضد وكثرت مدائحه فيه وهذا ما اشار اليه ابن حيان بقوله: ((.. ولم يبعد في ذلك من التهافت في الترفي لبعد الهمة، فهو عما قليل إلى عبادٍ صاحب اشبيلية، اجتذبه الى ذلك فهاجر عن وطنه اليه، ونزل في كنفه، وصار من خواصه وصحابته، يجالسه في خلواته، ويسفر له في مهم رسائله على حال من التوسعة . وكان ذهابه الى عباد سنة احدى واربعين وأربعمائة ..))^(١١). وعلينا ان نذكر هنا ان حساد ابن زيدون وأعداءه الذين ذكرهم في بعض اشعاره ورسائله التي وصلت الينا، لم يتركوه حتى وهو بعيد عن قرطبة فسعوا الى الخلاص منه، لاسيما بعد وفاة المعتضد سنة ٤٦١هـ ومجيء ابنه المعتمد الى الحكم، اذ سعى هؤلاء الحاقدون الى الايقاع ما بين ابن زيدون وصديقه الحميم المعتمد بن عباد من خلال بثهم

زوراً وبهتاناً إشاعة مفادها أن الشاعر حرّض المعتضد قبل وفاته على قتل ابن المعتمد أو سجنه، إلا أن محاولتهم تلك باءت بالفشل الذريع ؛ وذلك أن المعتمد كشف كذبهم وخداعهم (١٢) .

ولا بد لي وأنا اتحدث عن حياة ابن زيدون من أن اشير الى حدث مهم وكبير في حياة الشاعر ألا وهو علاقته بولادة (١٣)، التي كانت باعثاً مهماً وسبباً رئيساً في شهرة ابن زيدون الى يومنا هذا .

وقد عرف ابن زيدون بحبه لهذه المرأة فالولاها جانباً كبيراً من شعره، وسنرى ذلك بشكل واضح في الصفحات القادمة من البحث، وذلك من خلال ايقاعاته المؤثرة .

وتذكر الروايات ان ولادة عرفت بجمالها وتحررها لا سيما بعد مقتل والدها ونكبتها، فمما نسب اليها انها كتبت على احد عاتقي ثوبها: [من الوافر]

أَنَا وَاللَّهِ أَصْلَحُ لِلْمَعَالِي وَأَمْشِي مِشْيَتِي وَأَتِيهِ تَيْهًا

وكتبت على الآخر :

وَأَمَكْنُ عَاشِقِي مِنْ صَحْنِ خَدِّي وَأَعْطِي قُبُلْتِي مَنْ يَشْتَهِيهَا (١٤)

وإذا صح ذلك فان ولادة هذه كانت على درجة كبيرة من اللامبالاة، على الرغم من عدم وجود دليل كافٍ على نسبة هذين البيتين اليها، لاسيما ان ابن بسام نفسه قد شكك في ذلك، فقال ((هكذا وجدت هذا الخبر، وأبرأ الى الله من عهدة ناقله، والى الادب من غلط النقل إن كان وقع فيه)) (١٥) .

وسواء قالت ولادة ذلك او لم نقله، فإن مما لاشك فيه ان شاعرنا ابن زيدون قد اعجب ايما اعجاب بهذه الاميرة الشاعرة والامر تجاوز ذلك الى ان وصل الى الحب والعشق الذي صوره الشاعر بصدق في قصائده التي قلما خلا منها ذكر ولادة .

وقد بدأت علاقة ابن زيدون بولادة بعد سنة ٤٢٢هـ، أي بعد زوال الدولة الاموية وكانت تبلغ من العمر حوالي الثامنة والثلاثين (١٦) . إلا ان هذه العلاقة لم يكتب لها البقاء، اذ سرعان ما تحولت الى جفاء وقطيعة ؛ بسبب تصرفات ابن زيدون العنيفة وعدم مبالاته بمشاعر حبيبته حينما مال قلبه في موقف من المواقف الى جاريتها عتبة، فضلاً عن ذلك ان ظهور الوزير ابن عبدوس ومنافسته لابن زيدون في حب ولادة، قد

أثار فجوة عميقة بين الحبيبين، وذلك حينما شهّر الشاعر بولادة في رسالته الهزلية التي كتبها الى غريمه ابن عبدوس على لسان ولادة . فكان من الطبيعي بعد هذا أن تتركه وتميل الى ابن عبدوس، الذي عرف بولائه لها حتى في اواخر حياتها^(١٧) .

ومن ابرز المؤلفات التي تركها ابن زيدون ووصلت الينا هو شعره الذي ضمه ديوان كبير، فضلاً عن مؤلفاته النثرية التي تمثلت برسائله التي كتبها ومن ابرزها: ((الرسالة الهزلية)) التي كتبها على لسان ولادة الى غريمه ابن عبدوس . وكذلك ((الرسالة الجدية)) التي كتبها وهو في السجن يستعطف بها ابا الحزم بن جهور . وكذلك رسالته الى ابي بكر مسلم التي شرح فيها ما لقيه من تضيق في السجن، وكذلك اجراءات محاكمته^(١٨) .

وذكر المقري مؤلفاً آخر لابن زيدون لم يذكره احد غيره هو كتاب ((التبيين في خلفاء بني امية بالاندلس)) وهو على غرار كتاب ((التعيين في خلفاء المشرق)) للمسعودي^(١٩) .

وأخيراً يتضح مما تقدم أن ابن زيدون كان ذا ثقافة عالية وسعة نظر مكنته من ارتقاء المناصب، كما يتضح ان الشاعر عاش حياة متقلبة وغير مستقرة ما بين العيش الرغيد في ظل الرياسة والقصور والملوك، وبين معاناة الهموم والاحزان وذلك بين جدران السجن من جهة وفقدانه لحبيبته ولادة من جهة اخرى التي احبها بصدق واستمر يذكرها في شعره معظم ايام حياته الى ان توفي سنة ٤٦٣هـ في اشبيلية .

وسنلاحظ في المباحث القادمة من البحث كيف اثرت هذه الحياة التي عاشها ابن زيدون في ايقاعات شعره الغزلي حتى اننا نكاد نلمسها بشكل واضح في اثناء الابيات.

المبحث الأول

أثر الأوزان في غزل ابن زيدون

لاشك أن الوزن يمثل مع القافية دعامة رئيسة، وركناً مهماً من اركان الفن الشعري . ومن خلالها تتجلى تلك الموسيقى العذبة التي تنبث في اثنائها الابيات، والتي اصطلح النقاد والدارسون على تسميتها بـ(الموسيقا الشعرية) أو (الايقاع الشعري) .

ويتضح أثر الموسيقى المهم في انها ((تزيد من انتباهنا وتضفي على الكلمات حياة فوق حياتها، وتجعلنا نحس بمعانيه كأنما تمثل امام اعيننا تمثيلاً عملياً واقعياً . هذا الى انها تهب الكلام مظهرًا من مظاهر العظمة والجلال، وتجعله مصقولاً مهذباً تصل معانيه الى القلب بمجرد سماعه . وكل هذا مما يثير منا الرغبة في قراءته وانشاده وترديد هذا الانشاد مراراً وتكراراً))^(٢٠).

ويمثل الوزن الموسيقا الخارجية في النصوص الشعرية، وعده النقاد القدماء ((اعظم اركان الشعر واولاها به خصوصية، وهو مشتمل على القافية وجالب لها ضرورة، إلا أن تختلف القوافي فيكون ذلك عيباً في التقفية لا في الوزن، وقد لا يكون عيباً نحو الخمسمات وما شاكلها))^(٢١) . وهذا يدل على ان الوزن يكسب الشعر قيمة فنية عالية، من خلال ارتباطه باللغة الشعرية ارتباطاً وثيقاً، اذ ((ان الوزن يعد من بين المداخل الاولية لمقاربة اللغة الشعرية، وذلك لكونه يضطلع بوظيفة التنظيم الجمالي داخل القصيدة))^(٢٢) .

ولو انعمنا النظر في شعر ابن زيدون الغزلي لوجدناه يستعمل بحوراً متعددة، الا ان الملاحظ ان الشاعر ابن زيدون قد مال الى استعمال البحر البسيط في اغلب اشعاره الغزلية، لاسيما مطولاته الغزلية التي ذاع صيته من خلالها وعرف بشاعر الغزل في الاندلس .

ولا شك ان اختيار الشاعر لهذا البحر هو اختيار فطري، نابع من صلاحية هذا البحر في استيفاء الايقاعات اللازمة لغزل ابن زيدون، فضلاً عن انه بحر يصلح للتعبير عن معاني الرقة^(٢٣)، التي يتطلبها غرض الغزل . وقد وضع الدكتور ابراهيم انيس هذا البحر في المرتبة الثانية من حيث نسبة الشيوخ ملازماً للبحر الكامل، للتدليل على ان الشعراء العرب اكثروا من النظم فيهما، فضلاً عن ان اذان الناس قد آلفتها^(٢٤) . هذا من جانب، ومن جانب اخر فان ابن زيدون قد بث في تغزله بولادة همومه واحزانه ومعاني التعبير عن الفراق واليأس من اللقاء . وهذا بلا شك يتطلب من الشاعر استعمال بحر يتسم بالمقاطع الطويلة النفس مثل البحر البسيط .

ومن أشهر قصائد ابن زيدون الغزلية هي نونيته المعروفة، التي نظمها على البحر البسيط والتي يقول فيها: [من البسيط]

أَضْحَى التَّنَائِي بَدِيلًا مِنْ تَدَانِينَا وَتَابَ عَنْ طَيْبِ لُقْيَانَا تَجَافِينَا
أَلَّا وَقَدْ حَانَ صُبْحُ الْبَيْنِ صَبَحَنَا حِينَ فَقَامَ بِنَا لِلْحَيْنِ نَاعِينَا
مَنْ مَبْلُغُ الْمُتَبَسِّينَا بَانْتِزَاحِهِمْ حُزْنًا مَعَ الدَّهْرِ لَا يَبْلَى وَيُبْلِينَا
أَنَّ الزَّمَانَ الَّذِي مَازَالَ يُضْحِكُنَا أَنْسَاءً بِقُرْبِهِمْ قَدْ عَادَ يُبْكِينَا^(٢٥)

فالشاعر العاشق هنا يبدو حزيناً متحسراً على أيامه الماضية التي قضاها مع ولادة، وانفاسه في هذه المقدمة تعبر عن صدق المشاعر ولوعة الفراق الممتزجة بالحنين .

ويجيد الشاعر في موضع آخر من القصيدة في توظيف إيقاعات البسيط لخدمة

عاطفته المشبوبة، فيقول: [من البسيط]

إِذْ جَانِبُ الْعَيْشِ طَلَّقَ مِنْ تَأْلُفِنَا وَمَرَبِعُ اللَّهِوِ صَافٍ مِنْ تَصَافِينَا
وَإِذْ هَصَرْنَا فَنُونَ الْوَصْلِ دَانِيَةً قَطَافُهَا فَجَنِينَا مِنْهُ مَا شَيْنَا
لَيْسَقَ عَهْدِكُمْ عَهْدَ السُّرُورِ فَمَا كُنْتُمْ لَأَرْوَاحِنَا إِلَّا رِيَّاحِينَا
لَا تَحْسَبُوا نَايَكُمْ عَنَّا يُغَيِّرُنَا أَنْ طَالَمَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَا
وَاللَّهِ مَا طَلَبْتُ أَهْوَاؤُنَا بَدَلًا مِنْكُمْ وَلَا انْصَرَفْتُ عَنْكُمْ أَمَاتِينَا^(٢٦)

وهنا نجد جمال الإيقاع الذي وفرته مقاطع البسيط الممزوجة بالطبيعة الاندلسية الخلابة، فضلاً عن طول النفس الذي تميز به الشاعر . وهذا الامر ليس غريباً علينا، إذ ((إن الشاعر في حالة اليأس والجزع يتخير وزناً طويلاً كثير المقاطع يصب فيه من اشجانه ما ينفس عنه حزنه وجزعه))^(٢٧). وابن زيدون في عموم قصيدته النونية يبيت في اثناء أبياته حزنه العميق وحنينه الى ماضيه التليد .

وفي مقطوعة غزلية اخرى لابن زيدون، نجده يستحضر البسيط من اجل

ايصال معانيه الى المتلقي، فيقول: [من البسيط]

يَا مُخْجَلِ الْغُصْنِ الْفَنَّانِ إِنَّ خَطَرَا وَفَاضِحِ الرَّشَاءِ الْوَسْنَانَ إِنَّ نَظَرَا

يَقْدِيكَ مِنِّي مُحِبُّ شَأْنُهُ عَجَبٌ
لَمْ يُنْجِنِي مِنْكَ مَا اسْتَشَعَرْتُ مِنْ حَذَرٍ
مَا كَانَ حُبُّكَ إِلَّا فِتْنَةً قُدِرْتُ
مَا جِئْتُ بِالذَّنْبِ إِلَّا جَاءَ مُعْتَذِرًا
هَيْهَاتَ كَيْدُ الْهَوَى يَسْتَهْلِكُ الْحَذَرَ
هَلْ يَسْتَطِيعُ الْفَتَى أَنْ يَدْفَعَ الْقَدْرَ؟ (٢٨)

إلا إن جمال النظم ودقة الالاقاع نراه واضحا جليا أيضا في قافية ابن زيدون المشهورة، التي نظمها أيضا على البحر البسيط، وفيها يقول:

[من البسيط]

إِنِّي ذَكَرْتُكَ بِالزَّهْرَاءِ مُشْتَاقًا
وَالنَّسِيمِ اعْتِلَالٌ فِي أَصَائِلِهِ
وَالرَّوْضِ عَنْ مَائِهِ الْفَضِيِّ مُبْتَسِمٌ
يَوْمَ كَأَيَّامٍ لَذَاتٍ لَنَا انْصَرَمَتْ
نَلْهُو بِمَا يَسْتَمِيلُ الْعَيْنَ مِنْ زَهْرٍ
وَالْأَفُقُ طَلَقَ وَمَرَأَى الْأَرْضَ قَدْ رَاقَا
كَأَنَّهُ رَقَّ لِي فَاعْتَلَّ إِشْفَاقَا
كَمَا شَقَقْتَ عَنِ اللَّبَّاتِ أَطْوَاقَا
بِتَنَا لَهَا حِينَ نَامَ الدَّهْرُ سُرَّاقَا
جَالَ النَّدَى فِيهِ حَتَّى مَالَ أَعْنَاقَا (٢٩)

يبدو الشاعر في مقدمة قصيدته هذه أكثر تفاؤلا بقاء محبوبته {ولادة} بعكس نونيته السابقة، فنراه يعكس ذلك في الفاظه المنصهرة مع الطبيعة، فكأن الطبيعة الاندلسية والمحبوبة صنوان لا يفترقان .

إلا إن هذا التفاؤل سرعان ما يذهب ويتلاشى عند الشاعر حين يدرك صعوبة

اللقاء، فنراه يقول: [من البسيط]

لَا سَكَنَ اللَّهُ قَلْبًا عَقَّ ذَكَرُكُمْ
لَوْ شَاءَ حَمْلِي نَسِيمُ الصُّبْحِ حِينَ سَرَى
لَوْ كَانَ وَفَى الْمُنَى فِي جَمْعِنَا بِكُمْ
فَلَمْ يَطِرْ بِجَنَاحِ الشَّوْقِ خَفَاقَا
وَأَفَاكُمُ بَفَتَى أَضْنَاهُ مَا لَأَقَى
لَكَانَ مِنْ أَكْرَمِ الْأَيَّامِ أَخْلَاقَا

.....
فَالآنَ أَحْمَدَ مَا كُنَّا لِعَهْدِكُمْ
سَلَوْتُمْ وَبَقِينَا نَحْنُ عُشَّاقَا (٣٠)

فأنت ترى كيف استعمل الشاعر (لو) الممتنعة ووظفها مع مقاطع البسيط لخدمة نصه، وللدلالة على يأس الشاعر من لقاء حبيبته، على الرغم من استمرار حبه لها .

وبعد هذا نحن نرى ان الشاعر قد وفق توفيقاً كبيراً في اختياره لبحر البسيط، من اجل تخليد مشاعره والتأثير في نفوس السامعين . فكان هذا البحر يستحق ان يكون في المرتبة الاولى من بين الأبحر التي استعملها ابن زيدون واجاد فيها في غرض الغزل .

ويأتي بعد البسيط من حيث المرتبة في غزل ابن زيدون البحر الوافر، الذي اتسعت ايقاعاته ايضاً لاحتواء عاطفة ابن زيدون الحزينة، فنراه يقول :

[من الوافر]

أُيُوحِشُنِي الزَّمَانُ وَأَنْتَ أَنْسِي	وَيُظْلِمُ لِي النَّهَارُ وَأَنْتَ شَمْسِي ؟
وَإِغْرَسُ فِي مَحَبَّتِكَ الْأُمَاتِي	فَأَجْنِي الْمَوْتَ مِنْ ثَمَرَاتِ غَرْسِي
لَقَدْ جَازَيْتَ غَدْرًا عَنْ وَقَائِي	وَبَعْتَ مَوَدَّتِي ظُلْمًا بِبَخْسِ
وَلَوْ أَنَّ الزَّمَانَ أَطَاعَ حُكْمِي	فَدَيْتُكَ مِنْ مَكَارِهِهِ بِنَفْسِي ^(٣١)

فنحن نجد صفاء الايقاع واضحاً في هذه الابيات، بسبب استعمال الشاعر لهذا البحر الذي يتميز بصفائه ووفرة اجزائه .

وفي مكان آخر يستعمل الشاعر العاشق هذا البحر من اجل تقوية معانيه،

فيقول: [من الوافر]

ثَقِي بِي يَا مُعَذِّبَتِي فَإِنِّي	سَأَحْفَظُ فِيكَ مَا ضَيَّعْتُ مِنِّْي
وَإِنْ أَصْبَحْتَ قَدْ أَرْضَيْتَ قَوْمًا	بِسُخْطِي لَمْ يَكُنْ ذَا فِيكَ ظَنِّي
وَهَلْ قَلْبٌ كَقَلْبِكَ فِي ضُلُوعِي	فَأَسْأَلُو عَنْكَ حِينَ سَلَوْتَ عَنِّي؟ ^(٣٢)

فعاطفة الشاعر هنا حزينة معذبة، وتبدو انفاسه بطيئة ؛ بسبب حالته النفسية التي دعتة الى الانفعال، فجاءت نغمة الانشاد هنا بطيئة حاسمة تبعاً لحزنه ويأسه . وهذا ما قرره الدكتور ابراهيم انيس واثبته حين ربط ما بين العاطفة والوزن^(٣٣) .

ويحتل المتقارب المرحلة الثالثة من غزله، والذي افاد منه الشاعر بشكل كبير

في تنمية ايقاعه الخارجي، فنراه يقول: [من المتقارب]

لَنْ كُنْتُ فِي السَّنِّ تَرْبَ الْهَلَالِ	لَقَدْ فُقْتُ فِي الْحُسْنِ بَدْرَ الْكَمَالِ
--	---

أَمَّا وَالَّذِي نَكَدَ الْحَظَّ فِيَّ دُنُوُ الْمَكَانِ بِبُعْدِ الْمَنَالِ
لَقَدْ بَلَّغْتَنِي دَوَاعِي هَوَاكَ إِلَى غَايَةِ مَا جَرَتْ لِي بِبَالِ
فَقُلْ لِلْهَوَى يَجْرُ مِلْءَ الْعِنَانِ فَمِيدَانُ قَلْبِي رَحِيبُ الْمَجَالِ^(٣٤)

فالشاعر المحب برع في توظيف هذا البحر من اجل اىصال معانيه بسلاسة وعذوبة، مستمداً ذلك من ثقافته العالية التي مكنته من انهاء وزنه بالتفعيلة الكاملة (فَعُولُنْ)، وجعلها مستحسنة تطرب لها الاذان، على الرغم من ان الشائع والمستحب عند الشعراء استعمال (فَعُوْ) عند انتهائهم من النظم على المتقارب^(٣٥) .

وياتي الكامل في المرتبة الرابعة في غزل ابن زيدون الذاتي، فبرى الشاعر يسخر كل الامكانيات التي يتسم بها هذا البحر من اجل التعبير عن مدى حبه لتلك المرأة، التي ادمت قلبه ووجدانه معاً، فنجدته يقول: [من الكامل]

أَهْدِي إِلَيَّ بَقِيَّةَ الْمِسْوَكَ لَا تُظْهِرِي بَخْلًا بِعُودِ أَرَاكِ
فَلَعَلَّ نَفْسِي أَنْ يُنْقَسَ سَاعَةً عَنْهَا بِتَقْبِيلِ الْمُقْبِلِ فَآكِ
يَا كَوَكَبًا بَارَى سَنَاهُ سَنَاءَهُ تُزْهِمِي الْقُصُورُ بِهِ عَلَى الْأَفْلاكِ
قَرَّتْ وَفَازَتْ بِالْخَطِيرِ مِنَ الْمُنَى عَيْنٌ تُقَلِّبُ لَحْظَهَا فَتَرَاكِ^(٣٦)

فهو يرسم صورة جميلة لمشاعره الصادقة من خلال (عود الاراك) هذا النبات المبارك الطيب الرائحة، فمع مقاطع الكامل الرصينة يتجلى هذا الحب السرمدي الدائم . ومع اسلوب الخطاب المباشر ينبثق ذلك النور المتوهج من قلب عاشق وله مثل ابن زيدون .

تمثل للابحر السابقة اهمية خاصة في غزل ابن زيدون ؛ لما تحمله من ايقاع مؤثر ومقاطع طويلة وتتنغم صوتي عذب . واستعمل الشاعر ابحراً اخرى لا تقل اهمية عنها، وهي مكملة لها مثل: (الطويل والمجثت والسريع والرمل والخفيف)^(٣٧) . هذا فضلاً عن استعماله للمجزوءات مثل: (مجزوء الرمل ومجزوء الكامل ومخلع البسيط ومجزوء الرجز ومجزوء الخفيف)^(٣٨) .

فنلاحظ ان البحر الطويل جاء في المرتبة الخامسة في غزل ابن زيدون، على الرغم من ان هذا البحر نظم عليه ((ما يقرب من ثلث الشعر العربي القديم))^(٣٩). وهو لايمثل سوى اربع قصائد من غزله الحسي، وهي نسبة ليست كبيرة اذا ما قورنت بغيره من الابحر ؛ وقد يكون السبب في ذلك ان حالته النفسية كانت تستدعي النظم في بحور اخرى اكثر ايقاعية، وبما يتلاءم مع غرض الغزل الذي اراد الشاعر من خلاله ليس التعبير عن حالته الشعورية فحسب، وانما اراد خلق صورة موسيقية معبرة، ترجمتها تلك الاوزان الطويلة النفس التي اجاد فيها وابدع .

ولا بد لنا هنا من ان ننبه على أن ابن زيدون نظم في نوع آخر من الغزل هو الغزل التقليدي الذي جاء في صدر قصائده المدحية، والذي آثرنا تجنب ذكره لبرودة عاطفته وابتعاده عن صدق المشاعر المتمثلة بالحب المتبادل ما بين الرجل والمرأة^(٤٠). وبعد هذا كله لا بد من أن نثبت في بحثنا هذا نسبة الابحر التي اعتمدها الشاعر في غزله ؛ لنعرف أي الابحر كانت هي الاقرب الى نفسه من غيرها . مع ايماننا العميق بأن تحويل النصوص الشعرية الى ما يشبه الجداول الرياضية هو أمر غير صحيح ؛ لاننا إذا فعلنا ذلك فإننا سنقتل الادب من حيث لا ندري، بل إننا سنقضي على الاديبي نفسه ؛ لأننا بذلك نكون قد قولناه ما لم يرد أن يقوله .

ومع هذا فإننا سنورد لاحقاً جدولاً توضيحياً للبحور المستعملة ونسبها المئوية، معتمدين في ذلك على ما جاء به ابراهيم انيس من تأصيل في هذا الباب.

ولكن يبقى السؤال باقياً بطرق الاسماع والاذهان معاً وهو: هل إن الشاعر كان قاصداً للإتيان بهذه البحور والاكثار منها أم لم يقصد ذلك؟

ونقول هنا إنه ما من شك في ان الشاعر المجيد هو الذي لا يقصد شعره بل يأتي به عفويّاً قوياً أي لا يحضر له، وهذا ما نجده لدى معظم الشعراء العرب قديماً وحديثاً .

واذا كان هذا الامر قائماً مسلماً به، فأننا نكون قد اصلنا لما قلناه سابقاً من ان افتراض إتيان الشاعر لبحر معين دون غيره او حتى حرف دون آخر هو امر بديهي

غير مقصود من دون تحضير سابق له، فجاء الدارسون والنقاد فيما بعد واكتشفوا مزية تلك الابحر التي استعملها الشاعر دون غيرها . وهنا يكمن الابداع الشعري .

اذن فان الإتيان بعدد البحور المستعملة على سبيل توضيح ميزة تلك البحور على غيرها، وارتباطها بالحالة النفسية للشاعر هو امر شائع في الدراسات القديمة والحديثة، فالدكتور عز الدين اسماعيل يرى أن الخليل مثلاً ربما ربط ما بين الاوزان والحالة النفسية فوجد ((ان الشعراء حين يعبرون عن حالات الحزن انما يعبرون عنها في الاوزان الطويلة وانهم حينما يعبرون عن حالات السرور والبهجة يختارون لذلك الاوزان القصيرة))^(٤١) .

في حين يرى الدكتور ابراهيم انيس ((ان النظم حين يتم في ساعة الانفعال النفساني يميل عادة الى تخير البحور القصيرة، والى التقليل من الابيات))^(٤٢) . إلا إن ذلك ليس أمراً مطرداً، فنحن وجدنا في دراستنا هذه عن الموسيقى في غزل ابن زيدون ان الشاعر استعمل الاوزان الطويلة على الرغم من انه كان في قمة الانفعال العاطفي، وكيف لا وهو يتحدث عن تجربته الصادقة والتطائنه بحرارة الغزل العنيف .

واليك اخي القارئ بعد هذا كله جدولاً احصائياً للبحور التي استعملها الشاعر في غزله مع نسبها المئوية مرتبة بحسب كثرتها وشيوعها :

ت	اسم البحر	عدد ابياته في الديوان	النسبة المئوية
١	البحر البسيط	١٦٦	٣٩,٨٠
٢	البحر الوافر	٤٦	١١,٠٣
٣	البحر المتقارب	٣٦	٨,٦٣
٤	البحر الكامل	٢٥	٥,٩٩
٥	البحر الطويل	٢٣	٥,٥١
٦	البحر المجتث	٢٠	٤,٧٩
٧	البحر السريع	١٦	٣,٨٣
٨	البحر الرمل	١٠	٢,٣٩
٩	البحر الخفيف	١٠	٢,٣٩

من خلال الجدول السابق يتضح لنا جلياً ان البحر البسيط قد تربع على قمة الابحر التي استعملها الشاعر في غزله ؛ ويبدو أن السبب في ذلك يعود الى ان الموقف الذي مر به الشاعر كان يتطلب مثل هذا البحر، الذي يتميز من غيره بجزالة موسيقاه ودقة ايقاعه، فضلاً عن صلاحيته في الموضوعات الجدية^(٤٣) .

ويؤيد ذلك ان بعض الدارسين القدماء من عدّه من اعلى البحور درجة^(٤٤) . فضلاً عن ان الدكتور عبد الله الطيب جعله من بحور الابهة والجلالة^(٤٥) .

اذن كل تلك الصفات التي اجتمعت فيه جعلت الشاعر بميله الفطري يستخدم مثل هذا البحر الرصين بشكل كبير في غزله .

اما استعمال الشاعر للمجزوءات من الابحر في غزله، فيوضحه الجدول الاتي بحسب كثرتها في شعره :

ت	اسم البحر	عدد ابياته في الديوان	النسبة المئوية
١	مجزوء الرمل	٣٢	٧,٦٧
٢	مجزوء الكامل	٢١	٥,٠٣
٣	مخلع البسيط	٤	٠,٩٥
٤	مجزوء الرجز	٤	٠,٩٥
٥	مجزوء الخفيف	٤	٠,٩٥

وقد آثرنا معالجة المجزوءات هنا بشكل منفصل عن البحور ؛ بقصد سهولة الايضاح وايصال الفكرة، وانسجماً مع نظرة ابراهيم انيس الذي يرى ضرورة معالجتها علاجاً مستقلاً على الرغم من ان اهل العروض تعودوا معالجتها مع بحورها^(٤٦) .

بعد هذه الوقفة الاحصائية للبحور نصل اخيراً الى نتيجة مهمة مفادها ان الشاعر وفق في اختيار بحوره والتنويع فيها سواء كانت تامة او مجزوءة انسجماً مع حالته الشعرية .

المبحث الثاني

اثر القوافي في غزل ابن زيدون

تمثل القافية ركناً أساسياً ثانياً في الشعر، فإذا كان الوزن يمثل البناء الرصين في البيت، فإن القافية تمثل قمة ذلك البناء واعلاه . ولطالما وجدنا شعراءنا يعنون عناية فائقة بقوافيهم فيميلون الى تحسينها وتتميقها كأنها عروس البيت وسيدته .

ولو نظرنا الى القافية في اللغة لوجدنا ان من ابرز معانيها هو (مؤخر العُنُق)^(٤٧)، اما القافية في الشعر فإنها سميت بهذا الاسم ؛ لأنها تقفوا إثر كل بيت، وقال قوم لأنها تقفوا اخواتها، وقد فضل ابن رشيق الرأي الاول^(٤٨) .

ولأهمية القافية فإنها تعد ((شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية))^(٤٩) .

واختلف في تعريف القافية فيرى الخليل - رحمه الله - انها ((من آخر حرف في البيت - ولا بد ان يكون ساكناً - الى اول ساكن يليه من قبله مع الحرف الذي قبل الساكن))^(٥٠)، في حين يرى الاخفش ((ان القافية اخر كلمة في البيت))^(٥١) .

اما الدكتور ابراهيم انيس فيقول: ((ليست القافية الا عدة اصوات تتكرر في اواخر الاشطر او الابيات من القصيدة، وتكررها هذا يكون جزءاً هاماً من الموسيقى الشعرية))^(٥٢) .

وارى ان افضل من حدد لنا القافية هو الخليل - رحمه الله - بحسه البارِع وذوقه الرفيع .

والقافية على نوعين اما مطلقة ذات روي متحرك وهي الاكثر شيوعاً في الشعر العربي، وقد افاد ابن زيدون منها في غزله، فجاءت غزيرة بشكل واضح في قصائده، فنراه يقول: [من البسيط]

أَذْكَرْتَنِي سَالَفَ الْعَيْشِ الَّذِي طَابَا يَا لَيْتَ غَائِبَ ذَاكَ الْعَهْدِ قَدْ آبَا

إِذْ نَحْنُ فِي رَوْضَةٍ لِلْوَصْلِ نَعْمَهَا مِنْ السُّرُورِ غَمَامٌ فَوْقَهَا صَابَا

.....

كَمْ نَظْرَةٌ لَكَ فِي عَيْنِي عَلِمْتَ بِهَا يَوْمَ الزِّيَارَةِ أَنَّ الْقَلْبَ قَدْ ذَابَا

قَلْبٌ يُطِيلُ مَقَامَاتِي لِطَاعَتِكُمْ فَإِنْ أَكَلَفَهُ عَنْكُمْ سَلْوَةً يَابِي
مَا تَوْبَتِي بِنَصُوحٍ مِنْ مَحَبَّتِكُمْ لَا عَذَّبَ اللَّهُ إِلَّا عَاشِقًا تَابًا^(٥٣)

فنلاحظ كيف استعمل الشاعر القافية ببراعة متمثلة في (آبا، صابا، ذابا، يابي، تابا) ؛ اذ جعلها تشعرنا بحرارة حبه وشوقه الكبير، موظفاً الف الإطلاق للتعبير عن ايقاعات مدوية واصوات اكثر وقعا في النفس .

واستعمل الشاعر هذه القافية ايضاً في قوله: [من الوافر]

أَتَهْجُرْنِي وَتَغْصِبُنِي كِتَابِي وَمَا فِي الْحَقِّ غَصْبِي وَاجْتِنَابِي
أَجْمَلُ أَنْ أُبَيِّحَكَ مَحْضَ وَدِّي وَأَنْتَ تَسُومُنِي سُوءَ الْعَذَابِ
فَدَيْتُكَ كَمْ تَغْضُ الطَّرْفَ دُونِي وَكَمْ أَدْعُوكَ مِنْ خَلْفِ الْحِجَابِ
وَكَمْ لِي مِنْ فُؤَادِكَ بَعْدَ قُرْبٍ مَكَانَ الشَّيْبِ فِي نَفْسِ الْكَعَابِ^(٥٤)

فانظر كيف عبر بقوافيه عن مرارة عيشه من دون حبيبته، وكيف جعل القافية انهاراً متدفقة من الايقاعات الشجية الممتزجة بنفس الحزن العميق .

وجاءت القافية المضمومة في قوله: [من البسيط]

يَا نَازِحاً وَضَمِيرُ الْقَلْبِ مَثْوَاهُ أَنْسَتَكَ دُنْيَاكَ عَبْدًا أَنْتَ مَوْلَاهُ
أَلْهَتَكَ عَنْهُ فُكَاهَاتٌ تَلْذُّ بِهَا فَلَيْسَ يَجْرِي بِبَالٍ مِنْكَ ذِكْرَاهُ
عَلَّ اللَّيَالِي تُبْقِيَنِي إِلَى أَمَلٍ الدَّهْرُ يَعْلَمُ وَالْأَيَّامُ مَعْنَاهُ^(٥٥)

فكان الشاعر يطلق الالهات والزفرات من خلال قافيته المشحونة بذكر حبه الصادق العميق .

واما ان تكون القافية مقيدة أي ساكنة الروي، وهي قليلة في الشعر العربي لا تكاد تتجاوز ١٠% فقط^(٥٦). وقد اكد احد الدارسين ايضاً قلتها مقارنة بالقافية المطلقة، معللاً لجوء الشعر اليها احياناً موصولة بالهاء الساكنة او يتخذ معها الردف او التأسيس من اجل جعلها اكثر وضوحاً في السمع^(٥٧) .

وجاءت القافية المقيدة في مواضع قليلة من غزل ابن زيدون، ومن ذلك قوله:

[من مجزوء الكامل]

كَيْفَ السُّلُوْ عَنْ الَّذِي مَثْوَاهُ مِنْ قَلْبِي السَّوَادُ ؟
مَالِكَ الْقُلُوبِ بِحُسْنِهِ فَلَهَا إِذَا أَمَرَ أَنْفِيَادُ
يَا هَاجِرِي كَمْ أَسْتَفِيْ دُ الصَّبْرِ عَنْكَ فَلَا أَفَادُ
أَلَا رَيْتَ لِمَنْ يَبِيْ تُ وَحْشُوْ مُقْلَتِهِ السُّهَادُ ؟ (٥٨)

فاستعمل الشاعر هنا للقافية المقيدة بالسكون منح شعره بعض الإيقاع المؤثر،
وان كان نفس الشاعر يبدو قليلاً، فضلاً عن ان الشاعر لو استخدم القافية المطلقة
لكانت أبياته اروع واجمل .

واستثمر الشاعر القافية المقيدة الساكنة في موضع اخر، فقال:

[من مجزوء الرمل]

أَيْهَا الْبَدْرُ الَّذِي يَمُ لِأَعْيُنِي مَنْ تَأَمَّلُ
حُمِّلَ الْقَلْبُ تَبَارِيْ حِ التَّجَنِّي فَتَحَمَّلُ
لَيْسَ لِي صَبْرٌ جَمِيْلُ غَيْرَ أَنِّي أَتَجَمَّلُ
ثُمَّ لَا يَأْسَ فَكَمْ قَدْ نِيْلَ أَمْرٌ لَمْ يُؤْمَلُ (٥٩)

فالشاعر كأنه تعمد الاتيان بمثل هذه القافية من اجل تقييد كلامه وقصره على
المحوبة، فكأنه يوجه كلامه للمحبيب دون غيره . وكذلك فان استخدام الشاعر للابيات
المدورة قد اضى جمالية إيقاعية منبثة في انشاء أبياته .

اذن نخلص الى ان الشاعر نجح ايضاً في استعمال القافية سواء كانت مطلقة
او مقيدة مع توخيہ الوضع والدقة في الاتيان بها بما يلئم غزله ؛ فهي سهلة بسيطة
خالية من الغموض والتعقيد .

ونظراً لاتصال القافية بحرف الروي فيجب علينا ان نوضح دور هذا الحرف
الذي له اهمية كبيرة في القصائد، التي غالباً ما تنسب اليه، وقد عده الاخفش ((الحرف
الذي تبني عليه القصيدة، ويلزم في كل بيت منها في موضع واحد)) (٦٠) .

وقد استعمل ابن زيدون في شعره الغزلي احرف الروي بشكل متنوع ومتعدد، متماشياً مع ما جاء به الشعراء السابقون له في هذا المجال، وبما يحقق لشعره تلك الوحدة الصوتية التي يشكلها حرف الروي في نهاية الابيات .

ومن ابرز حروف الروي التي استعملها الشاعر في غزله هو حرف النون، الذي نسبت اليه نونية ابن زيدون . ويتميز هذا الحرف بانه يعد من الاصوات المجهورة ؛ لذا افاد الشاعر منه في اظهار ايقاعات قوية تسمع في نهاية ابياته . ومن ذلك قوله: [من البسيط]

لَسْنَا نَسْمِيكَ أَجْلاً وَتَكْرِمَةً وَقَدْرُكَ الْمُعْتَلَى عَنْ ذَاكَ يُغْنِينَا
إِذَا انْفَرَدْتَ وَمَا شُورِكْتَ فِي صِفَةٍ فَحَسْبُنَا الْوَصْفُ إِضْحَاحاً وَتَبْيِينَا
يَا جَنَّةَ الْخُلْدِ أَبَدِلْنَا بِسِدْرَتِهَا وَالْكُوْثَرَ الْعَذْبَ زُقُوماً وَغَسَلِينَا
كَأَنَّا لَمْ نَبْتَ وَالْوَصْلُ ثَالِثُنَا وَالسَّعْدُ قَدْ غَضَّ مِنْ أَجْفَانِ وَأَشِينَا^(٦١)

فلو تأملنا الابيات جيداً لوجدنا ان حرف النون قد تكرر ليس في نهايتها فحسب، وانما تكرر بين ثنايا الابيات، وهذا شأن القصيدة بصورة عامة . ولعل الشاعر قد ادرك بذوقه الفطري القيمة الجمالية والايقاعية التي يحملها هذا الحرف فأكثر منه، وكأنه في شكواه من ألم الفراق جعل من ايقاعات النون سلماً لإبصال فكرته الى القارئ .

ومن حروف الروي التي شاعت في غزله هو حرف القاف، الذي جاء منسجماً مع غرض الغزل ؛ لأنه من الاصوات المهموسة، فضلاً عن كونه من حروف الاستعلاء التي تتميز بالصوت القوي . ومن ابرز قصائده التي ضمت هذا الحرف هي قافيته المشهورة، التي قال فيها: [من البسيط]

كَأَنَّ أَعْيُنَهُ إِذْ عَايَنْتُ أَرْقِي بَكَتْ لِمَا بِي فَجَالَ الدَّمْعُ رَقْرَاقَا
وَرَدُّ تَأَلَّقَ فِي ضَاخِي مَنَابِتِهِ فَازْدَادَ مِنْهُ الضُّحَى فِي الْعَيْنِ إِشْرَاقَا
سَرَى يُنَافِحُهُ نَيْلُوفَرٌ عَيْقُ وَسَنَانُ نَبَّهَ مِنْهُ الصُّبْحُ أَحْدَاقَا
كُلُّ يَهْيِجُ لَنَا ذِكْرَى تَشَوْقَنَا إِلَيْكَ لَمْ يَعْذُ عَنْهَا الصَّدْرُ أَنْ ضَاقَا^(٦٢)

ومن الحروف التي استعملها الشاعر رويًا هو حرف الحاء، الذي يتسم بالتأثير لاسيما حين يكون مكسوراً، وهذا ما نجده في قوله: [من الوافر]

إِلَيْكَ مِنَ الْأَنَامِ غَدًا ارْتِيَا حِي
وَأَنْتِ عَلَى الزَّمَانِ مَدَى اقْتِرَا حِي

.....
وَلِي أَمَلٌ لَوِ الْوَاثُونَ كَفُّوا
لَأُطْلَعَ غَرْسُهُ ثَمَرَ النَّجَاحِ
وَأَعْجَبُ كَيْفَ يَغْلِبُنِي عَدُوٌّ
رِضَاكَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْضَى سِلَاحِ
وَلَمَّا أَنْ جَلَّتْكَ لِي اخْتِلَاسًا
أَكْفُ الدَّهْرَ لِلْحَيْنِ الْمُتَّاحِ
رَأَيْتُ الشَّمْسَ تَطْلُعُ مِنْ نِقَابِ
وَعُصْنِ الْبَانِ يَرْفُلُ فِي وَشَاحِ (٦٣)

وخلاصة القول ان اختيار الشاعر لحروف بعينها لتكون رويًا لآبياته انما هو انتقاء فطري ينبع من احساسه العميق بالقيمة الاليقاعية التي تجسدها تلك الحروف، فضلاً عن ان تلك الاحرف جاءت متحدة مع القافية لتشكل لمن يقرأها وحدة موسيقية عذبة وإيقاعاً شجياً معبراً يتركز من بداية الابيات حتى نهايتها .

المبحث الثالث

اثر الموسيقى الداخلية في غزله

يعد الایقاع الداخلي الجزء المكمل للإيقاع الخارجي في الشعر، وهو ذو أهمية كبيرة في النص الشعري ؛ لذا اولاه الشعراء جل اهتمامهم ورعوه بعنايتهم لكي يعبروا من خلاله عن افكارهم ومشاعرهم، فضلاً عن تشكيلهم للصور الموسيقية المعبرة . ومثلما عني الشعراء بهذا الایقاع وجدنا النقاد والبلاغيين هم ايضاً يجعلونه نصب اعينهم وهم يكتبون، فهذا حازم القرطاجي يشير اليه بقوله: ((وبقوة التهدي الى العبارات الحسنة يجتمع في العبارات ان تكون مستعذبة جزلة ذات طلاوة . فالاستعذاب فيها بحسن المواد والصيغ والائتلاف والاستعمال المتوسط)) (٦٤).

وللموسيقا الداخلية او الایقاع الداخلي اشكال متعددة، اهمها:

التكرار والجناس والطباق والتصدير . وللتكرار أهمية كبيرة في الشعر فهو ((ضرب من ضروب النغم يترنم به الشاعر ليقوي به جرس الالفاظ واثرها)) (٦٥)، أي

انه الحاح على جهة معينة في النص الادبي يهتم به الشاعر ليسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة، تكون لها دلالات نفسية وفنية في القصيدة^(٦٦).

والتكرار على انواع فمنه تكرار حرف او تكرار كلمة او تكرار جملة . فأما تكرار الحرف فقد شاع كثيراً في غزل ابن زيدون، مثل قوله: [من البسيط]

فَهَلْ أَرَى الدَّهْرَ يَقْضِينَا مُسَاعَفَةً مِنْهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ غِبًّا تَقَاضِينَا
رَبِيبُ مُلْكٍ كَانَ اللهُ أَنْشَاءَهُ مِسْكَاً وَقَدَّرَ إِنْشَاءَ الْوَرَى طَيْباً
أَوْ صَاغَهُ وَرَقاً مَحْضاً وَتَوَجَّهَهُ مِنْ نَاصِعِ التَّبَرِّ إِبْدَاعاً وَتَحْسِيناً^(٦٧)

فالشاعر كرر حرف (النون) هنا ثلاث عشرة مرة، مما حقق للنص جرساً موسيقياً قوياً، هذا من جهة . ومن جهة أخرى فان الحالة النفسية للشاعر استندعت تكرار هذا الحرف، حيث كان حزيناً معذباً أثناء نظمهِ للقصيدة بصورة عامة، وهذا الحرف ينسجم تماماً مع نغمة الحزن الموجودة فيها .

وكرر الشاعر حرف (اللام)، مفيداً من إيقاعات هذا الحرف وذلك بقوله:

[من البسيط]

كَمَا تَشَاءُ فَقُلْ لِي لَسْتُ مُنْتَقِلاً لَا تَخْشَ مِنِّي نِسْيَاناً وَلَا بَدَلاً
وَكَيْفَ يَنْسَاكَ مَنْ لَمْ يَدْرِ بَعْدَكَ مَا طَعُمَ الْحَيَاةِ وَلَا بِالْبُعْدِ عَنْكَ سَلاً ؟
أَتَلَقَّيْتَنِي كَلَفًا أَبْلَيْتَنِي أَسَفًا قَطَّعْتَنِي شَغَفًا أَوْرَثْتَنِي عِلَالاً^(٦٨)

فهذا التكرار الواسع لحرف (اللام) داخل النص اضفى عليه لمسة إيقاعية متميزة جعلت القارئ او السامع له يشعر بها ويطرب اليها .

اما تكرار الكلمة فقد استعمله الشاعر ايضاً وان كان قليلاً داخل موسيقاه، ومنه

قوله: [من مجزوء الرمل]

يَا قَرِيباً حِينَ يَنَآى حَاضِراً حِينَ بَغِيبٍ^(٦٩)

اذ كرر كلمة (حين) الدالة على الظرفية، مستعيناً بها في التعبير عن حبه، فضلاً عن جعل بيته اكثر إيقاعية .

وكرر الشاعر ايضاً كلمة بعينها في قوله: [من المجتث]

يَا قَاطِعًا حَبْلَ وَدِّي وَوَاصِلًا حَبْلَ صَدِّي^(٧٠)

فنرى كيف كرر الشاعر كلمة (حَبْلَ) في هذا البيت، وهذا التكرار اعطى معنىً اضافياً للبيت وشحنة لا بأس بها من الايقاع .

اما تكرار الجملة فلم يستعمله ابن زيدون في غزله ؛ ولعله اكتفى بتكرار الحروف والكلمات فلم يكرر في الجمل، او لانه كان لا يميل الى هذا النوع من التكرار فلم يأت به .

ومن اشكال الموسيقى الداخلية المهمة هو الجناس، هذا اللون البلاغي الرفيع الذي اسهم بشكل كبير في احياء الايقاع الداخلي لغزل ابن زيدون، فهو يمتاز بنغمات ايقاعية متميزة جعلته وسيلة مهمة لا يستغني عنها الشاعر اياً كان داخل نصه الشعري .

والجناس اما يكون تاماً وهو قليل جداً في غزل الشاعر، او يكون غير تام وهو كثير في غزله . ومن امثلة الجناس التام قوله: [من البسيط]

وَاللّٰهُ مَا سَاءَنِيْ اُنِّيْ جُفَيْتُ ضَنْيَ بَلْ سَاءَنِيْ اَنْ سَرِّيْ بِالضَنْيِ عَلَنُ^(٧١)

فالشاعر جانس ما بين (ضنى وضنى) والاولى تعني البخل، والثانية تعني: المرض . ومجيء الجناس هنا ليس امراً اعتباطياً وان كان فطرياً، وانما اتى به الشاعر ومن اجل ابراز موسيقا داخلية عذبة تطرب لها الاذان وتستثير بها النفوس . اما الجناس غير التام فقد افاد منه الشاعر كثيراً في غزله، ومنه قوله: [من

البسيط]

تَكَادُ حِيْنَ تُنَاجِيْكُمْ ضَمَائِرُنَا يَقْضِيْ عَلَيْنَا الْاَسَى لَوْلَا تَأْسِيْنَا^(٧٢)

حيث جانس الشاعر ما بين (الاسى وتأسينا) مجانسة ليست تامة، والاولى تعني: الحزن . اما الثانية فتعني: التسليم . وانما عمل ذلك من اجل اثبات ملكته العالية وحسه الموسيقي الرفيع .

ونلمح الجناس غير التام في قوله: [من البسيط]

هَلْ رَاكِبٌ ذَاهِبٌ عَنْهُمْ يُحْيِيْنِيْ اِذْ لَا كِتَابَ يُوَفِّيْنِيْ فَيُحْيِيْنِيْ؟^(٧٣)

فالجناس ما بين (يُحْيِيْنِي و يَحْيِيْنِي) اكسب النص جرساً موسيقياً عذباً ومعنى مؤثراً، ربط الشاعر من خلاله ما بين التحية والاحياء على الرغم من اختلافهما في المعنى .

واجاد الشاعر في موضع اخر في توظيف الجناس غير التام لخدمة نصه، فقال: [من الطويل]

لَهُ خُلِقَ عَذْبٌ وَخُلِقَ مُحَسِّنٌ وَظَرَفٌ كَعَرَفِ الطَّيِّبِ أَوْ نَشْوَةِ الْخَمْرِ^(٧٤)

اذ جانس هنا ما بين (خُلِقَ وَخُلِقَ) مجانسة لفظية ارتقت بالنص الى الامام ومنحته إيقاعاً داخلياً مؤثراً يوحى بمدى اعجاب الشاعر بمحبوبته وحبه لها .

واستعمل الشاعر الجناس الناقص للتعبير عن انفعاله، فقال: [من الكامل]

يَا كَوْكَبًا بَارَى سَنَاهُ سَنَاءَهُ تُزْهِى الْقُصُورُ بِهِ عَلَى الْأَفْلَاكِ^(٧٥)

فالجناس ما بين (سناءه وسناءه) جعل من النص وحدة موسيقية متضمنة للصور الجميلة التي اراد الشاعر رسمها من خلال اتيانه بالجناس .

ومن صور الموسيقى الداخلية ايضاً هو الطباق ويسميه البعض بـ (التضاد) الذي استعمله الشاعر ايضاً في غزله محاولاً اكسابها الايقاع المؤثر . ومن امثله قوله: [من البسيط]

حَالَتْ لَفَقْدِكُمْ أَيَّامُنَا فَغَدَتْ سُوداً وَكَانَتْ بِكُمْ بَيْضاً لَيَالِينَا^(٧٦)

فالشاعر هنا جمع ما بين لفظتين متضادتين وهما (سوداً وبيضاً) اللتان تعبران عن اللون، مفيداً من ذلك في تجسيد نغمة داخلية لنصه الغزلي .

واجاد في الطباق في نص اخر، فقال: [من الخفيف]

أَنْتِ وَالشَّمْسُ صَرَّتَانِ وَلَكِنْ لَكَ عِنْدَ الْغُرُوبِ فَضْلُ الطُّلُوعِ^(٧٧)

حيث وفق الشاعر هنا من خلال طباق الايجاب (الغروب والطلوع) في توفير الايقاع الداخلي لنصه، الذي شحنه بالصور المعبرة الرائعة المنسجمة مع غرض الغزل.

واستعمل الشاعر اكثر من طباق في نص واحد، حين قال

متغزلاً: [من الكامل]

يَا مَنْ تَأَلَّفَ لَيْلُهُ وَنَهَارُهُ فَالْحُسْنُ بَيْنَهُمَا مُضِيٌّ مُظْلِمٌ^(٧٨)

حيث استعمل الشاعر أكثر من طباق في النص ، فطابق ما بين (ليله ونهاره) و (مضيء ومظلم) وكل ذلك من أجل خدمة موسيقاه والايحاء بمدى تأثيره وشوقه .

ومثلما طابق الشاعر ما بين الأسماء ، فإنه استعمل المطابقة ما بين الأفعال أيضاً وذلك في قوله : [من البسيط]

أَمَّا هَوَاكِ فَلَمْ نَعْدِلْ بِمَنْهَلِهِ شُرْباً وَإِنْ كَانَ يُرْوِينَا فَيُظْمِنَا^(٧٩)

حيث طابق ما بين (يُروينا ويُظمينا) وكلاهما من الأفعال المضارعة ، وانما نجح من خلال ذلك في التعبير عن خلجات نفسه ومعانيه الموسيقية الرائعة .

ومن الاشكال المهمة الاخرى للموسيقا الداخلية هو التصدير أو (ردُّ الأعجاز على الصدر) ، الذي يكسب النصوص الشعرية أيضاً تآزراً موسيقياً داخلياً من خلال مجيئه بشكل متكرر . وقد نظم فيه ابن زيدون بنسبة ضئيلة جداً ، ومنه قوله: [من المجتث]

لَوْ كَانَ عِنْدَكَ مَنِّي مِثْلُ الَّذِي مَنِكَ عِنْدِي

لَبَتَّ بَعْدِي مِثْلِي وَبَتَّ مِثْلُكَ بَعْدِي^(٨٠)

فانظر كيف رد كلمة (بعدي) في العجز الى كلمة (بعدي) التي في صدر البيت ، وانما خلق من خلال ذلك: ايقاعاً قوياً ومتآزراً .

واستعمل الشاعر التصدير في نص آخر ، فقال: [من البسيط]

إِنَّ الزَّمَانَ الَّذِي عَهْدِي بِهِ حَسَنٌ قَدْ حَالَ مَذْ غَابَ عَنِّي وَجْهُكَ الْحَسَنُ^(٨١)

فالشاعر استعمل هنا التصدير ما بين (الحسن وحسن) فأثرى نصه بالايقاع الداخلي المؤثر المرتبط بشكل رئيس بغرض الغزل .

ومن خلال نظرتنا الفاحصة الى (التصدير) فإننا سنكتشف تشابهاً كبيراً ما بينه وبين الجنس أو التجنيس الذي مر بنا سابقاً .

نستطيع أن نقول ان الشاعر في ايقاعاته الداخلية توخى العذوبة والدقة في الوقت نفسه ، فلم يكثر من تلك الايقاعات بشكل كبير ، لأنه يدرك تماماً أن ذلك سيهدم نصوصه الشعرية ويحيلها الى الفناء . فكان في موسيقاه الداخلية متوازناً بشكل كبير .

وأخيرا نستنتج مما سبق أن زيدون برع واجاد أيما اجادة في التعبير عن مشاعره سواء في موسيقاه الخارجية أو إيقاعاته الداخلية . وهو بذلك يكون قد أثبت قدرته العالية في النظم وتمكنه من اللغة على حد سواء .

النتائج

بعد هذه الوقفة الطويلة مع الموسيقى في غزل ابن زيدون ، نصل الى النتائج الآتية:

- ٥- عاش ابن زيدون حياة متقلبة وغير مستقرة أسهمت بشكل كبير في ظهور ايقاعاته الموسيقية المعبرة التي أطلقها من خلال أشعاره التي وصلت الينا بصورة عامة ، وغزله بصورة خاصة .
- ٦- برع ابن زيدون أيما براعة في تصوير حاله وهو عاشق محب يأبى بشدة نسيان ماضيه السعيد ، مع استحضار واقعة الاليم بأروع القصائد المشحونة بالموسيقا العذبة الشجية .
- ٧- استعمل الشاعر بحوراً عديدة في غزله كان على رأسها البحر البسيط ، الذي وظفه الشاعر أكثر من غيره للتعبير عن مشاعره وأحاسيسه، بسبب دقة ايقاعه وجزالة موسيقاه .
- ٨- ان الشاعر وفق توفيقاً كبيراً في استعماله للبحور العروضية تامة ومجزوءة وكان ذلك نابعا من حالته الشعورية التي استدعت النظم في تلك البحور .
- ٩- كانت قوافي الشاعر التي استعملها ذات علاقة وثيقة بموضوعه (الغزل) ، فجاءت سهلة واضحة وتنسم بالقوة في الوقت نفسه .
- ١٠- شكلت حروف الروي عنده وحدة موسيقية مع القافية ، أسهمت بشكل كبير في تنوع الايقاع وعذوبته .
- ١١- نجح الشاعر في توظيف الايقاعات الداخلية بما يخدم غزله الحسي ويرتقي بنصوصه الشعرية نحو الخلود ويبعدها في الوقت ذاته عن الفناء .
- ١٢- برع ابن زيدون من خلال غزله في رسم صور موسيقية رائعة جسدها في شعره ، وكأنه فنان أجاد في تشكيل لوحاته .

هذا والله اعلم ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



- (١) ديوان ابن زيدون، ت محمد سيد كيلاني، ص ٣ . وينظر وفيات الاعيان، ابن خلكان، ١٣٩/١ .
والاعلام للزركلي، ١٥١/١ .
- (٢) ينظر ديوان ابن زيدون ت. محمد سيد كيلاني، ص ٣ .
- (٣) الذخيرة، ق ١ / م ١ / ص ٣٣٧-٣٣٨ .
- (٤) ينظر: ديوان ابن زيدون ت. محمد سيد كيلاني، ص ٤
- (٥) ينظر: المصدر نفسه، ص ٤ .
- (٦) ينظر: في الادب الاندلسي، د. جودة الركابي، ص ١٦٤ .
- (٧) ينظر: ديوان ابن زيدون ت. محمد سيد كيلاني، ص ٥ . ويرى الدكتور جودة الركابي ان هذه القضية حاكها اعداء ابن زيدون وحساده من اجل ادخاله في السجن: ينظر في الادب الاندلسي، ص ١٧٦ .
- (٨) ينظر: تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس، الدكتور السيد عبد العزيز سالم، ص ١٧٣ .
- (٩) ينظر: ديوان ابن زيدون ت. محمد سيد كيلاني، ص ٩-١١ .
- (١٠) ينظر: المصدر نفسه، ص ١١ .
- (١١) الذخيرة، ق ١ / م ١ / ص ٣٣٩ .
- (١٢) ينظر: ديوان ابن زيدون ت. محمد سيد كيلاني، ٢١-٢٢ .
- (١٣) هي ولادة بنت المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن الناصري الاموي، شاعرة اندلسية، من بيت الخلافة . كانت واحدة اقربائها من حسن منظر، وحلاوة مورد ومصدر . وعرفت بمساجلاتها للشعراء ؛ إذ كانت صاحبة منتدى للشعر في قرطبة توفيت سنة ٤٨٤هـ تنظر ترجمتها في الذخيرة، ق ١ / م ١ / ص ٤٢٩ . وينظر: الاعلام ٩ / ١٣٥-١٣٦ .
- (١٤) الذخيرة، ق ١ / م ١ / ص ٤٢٩ - ٤٣٠ .
- (١٥) المصدر نفسه، ق ١ / م ١ / ص ٤٣٠ .
- (١٦) ينظر: ديوان ابن زيدون ت. محمد سيد كيلاني، ص ٢٥ .
- (١٧) ينظر: المصدر نفسه، ص ٢٦-٢٨ .
- (١٨) للمزيد من الاطلاع ينظر: ديوان ابن زيدون ت. محمد سيد كيلاني، ص ٣٧-٣٨
- (١٩) ينظر: نفح الطيب، ٣ / ١٨٢ .
- (٢٠) موسيقى الشعر، د. ابراهيم انيس، ص ١٦ .
- (٢١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، ١ / ١٣٤ .

- (٢٢) اللغة الشعرية - دراسة في شعر حميد سعيد، محمود كنوني، ص ٣٣ .
- (٢٣) ينظر: المرشد الى فهم اشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب، ١/ ٤٢٣ .
- (٢٤) موسيقى الشعر، ص ١٩١-١٩٢ .
- (٢٥) ديوان ابن زيدون، ت. عبد الله سنده، ص ١١. التناهي: البعد والهجران . البين: الفرقة والبعد والانقطاع . الحين: الهلاك . بانتزاحهم: من نزع الماء من البئر: استقى ماءها .
- (٢٦) ديوان ابن زيدون، ت. عبد الله سنده، ص ١٢-١٣ . هصرنا: جذبنا لنقطف . ماشينا: ماشئنا .
- (٢٧) موسيقى الشعر، ص ١٧٧ .
- (٢٨) ديوان ابن زيدون، ت. عبد الله سنده، ص ٢٧-٢٨ . الفينان: طويل الشعر . خطر: مر وظهر .
- الرشأ: الظبي . الوسنان: من اصيب بالنعاس .
- (٢٩) ديوان ابن زيدون، ت. عبد الله سنده، ص ٥١ . طلق: بهي . اعتلال: مَرَض . اللبات: جمع (لبة): موضع القلادة من الصدر . انصرمت: تولت وذهبت . سراقا: كأنا نسرق خلسة . جال الندى فيه: امتلأ منه، فمال عنقه .
- (٣٠) المصدر نفسه: ص ٥٢ . عق: لم يبر واستخف . سلوتم: بترك المودة وهجران الاحباب .
- (٣١) ديوان ابن زيدون، ت. عبد الله سنده، ص ٢٨ .
- (٣٢) المصدر نفسه: ص ٦٤ .
- (٣٣) ينظر: موسيقى الشعر، ص ١٧٥ .
- (٣٤) ديوان ابن زيدون، ت. عبد الله سنده، ص ٦٢ . ترب: متقارب العمر متساوياً . دواعي: اسباب .
- (٣٥) ينظر: موسيقى الشعر، ص ٨٦ .
- (٣٦) ديوان ابن زيدون، ت. عبد الله سنده، ص ٦٥-٦٦ .
- (٣٧) للاطلاع على القصائد في الديوان تنظر الصفحات: ص ٣٠-٣١، ص ٥٠، ص ٦٣، ص ٦٦-٦٧، ص ٧٨ (الطويل) . ص ١٩، ص ٥٤-٥٥، ص ٥٩-٦٠، ص ٧١ (المجتث) . ص ٢٦، ص ٥٧-٥٨، ص ٨٢ (السريع) . ص ٦١، ص ٧٧ (الرمل) . ص ٥٩، ص ٦٥، ص ٧٢ (الخفيف) .
- (٣٨) ينظر الديوان: ص ٢١-٢٢، ص ٦٢-٦٣، ص ٦٩-٧٠، ص ٧٩ (مجزوء الرمل) . ص ٥٥-٥٦، ص ٦١-٦٢، ص ٧٢-٧٣ (مجزوء الكامل) . ص ٥٨ (مخلع البسيط) . ص ٦٨ (مجزوء الرجز) . ص ٢٢ (مجزوء الخفيف) .
- (٣٩) موسيقى الشعر، ص ٥٩ .
- (٤٠) للمزيد من الاطلاع على غزله التقليدي ينظر الديوان: ص ١٠٣، ص ١٠٧، ص ١٢٠، ص ١٣٤، ص ١٣٧، ص ١٤٧، ص ١٥٤، ص ٢٠٤، ص ٢٢٤ .

- (٤١) التفسير النفسي للادب، ص ٨٠ .
- (٤٢) موسيقى الشعر، ص ١٧٩ .
- (٤٣) ينظر: المتقن في علم العروض والقافية، غريد الشيخ، ص ٨٨ .
- (٤٤) ينظر: منهاج البلغاء، حازم القرطاجي، ص ١٤ .
- (٤٥) ينظر: المرشد، ١ / ٣٨٤، ٣٨٩، ٣٩٢ .
- (٤٦) ينظر: موسيقى الشعر، ص ١٠٧ .
- (٤٧) ينظر: لسان العرب، مادة (قفا) .
- (٤٨) ينظر: العمدة، ١ / ١٥٤ .
- (٤٩) المصدر نفسه، ١ / ١٥١ .
- (٥٠) شرح تحفة الخليل في العروض والقوافي، عبد الحميد الراضي، ص ٣٤٢ .
- (٥١) كتاب القوافي، ت. د. عزة حسن، ص ١ .
- (٥٢) موسيقى الشعر، ص ٢٤٦ .
- (٥٣) ديوان ابن زيدون، ت. عبد الله سنده، ص ٨١ .
- (٥٤) المصدر نفسه، ص ٨٠-٨١ .
- (٥٥) المصدر نفسه، ص ٥٢-٥٣ .
- (٥٦) ينظر: موسيقى الشعر، ص ٢٦٠ .
- (٥٧) ينظر: الجملة في الشعر العربي، د. محمد حماسة عبد اللطيف، ص ١٠٩ .
- (٥٨) ديوان ابن زيدون، ت. عبد الله سنده، ص ٥٦ . السلو: النسيان . السواد: سويداء القلب .
- (٥٩) ديوان ابن زيدون، ت. عبد الله سنده، ص ٦٢-٦٣ .
- (٦٠) كتاب القوافي، ص ١٠ .
- (٦١) ديوان ابن زيدون، ت. عبد الله سنده، ص ١٤-١٥ .
- (٦٢) المصدر نفسه، ص ٥١-٥٢ . عَيْق: منتشر الرائحة .
- (٦٣) ديوان ابن زيدون، ت. عبد الله سنده، ص ٥٣ .
- (٦٤) منهاج البلغاء، ص ٢٢٥ .
- (٦٥) جرس الالفاظ، د. ماهر مهدي هلال، ص ٢٥٩ .
- (٦٦) ينظر: قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، ص ٢٣٢ .
- (٦٧) للمزيد من الاطلاع على القصيدة كاملة ينظر: الديوان، ص ١١-١٦ .
- (٦٨) ديوان ابن زيدون، ت. عبد الله سنده، ص ٣٠ . سلا: نسي . كلفاً: مشقة . شغفاً: حباً

- (٦٩) المصدر نفسه، ص ٦٩ .
 (٧٠) المصدر نفسه، ص ٧١ .
 (٧١) المصدر نفسه ، ص ٨٢ .
 (٧٢) المصدر نفسه، ص ١٢ .
 (٧٣) المصدر نفسه ، ص ٢٨ .
 (٧٤) المصدر نفسه، ص ٣١ . ظرف: كياسة وحكمة وذكاء قلب . عرف الطيب: ربح طيبة .
 (٧٥) المصدر نفسه، ص ٦٦ . سناه: ضوءه . سناءه: رفعتة .
 (٧٦) المصدر نفسه ، ص ١٢ .
 (٧٧) المصدر نفسه، ص ٦٥ .
 (٧٨) المصدر نفسه، ص ٦٧ .
 (٧٩) المصدر نفسه ، ص ١٥ .
 (٨٠) المصدر نفسه، ص ٧١ .
 (٨١) المصدر نفسه، ص ٨٢ .

المصادر والمراجع

- ١- الاعلام - قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، تأليف خير الدين الزركلي ، ط ٣ ، بيروت ، ١٩٦٩ م .
- ٢- تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس (من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة) ، تأليف الدكتور السيد عبد العزيز سالم ، ط ٢ ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٨٦ م .
- ٣- التفسير النفسي للادب ، الدكتور عز الدين اسماعيل ، دار العودة ودار الثقافة ، بيروت ، د.ت .
- ٤- جرس الالفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب ، الدكتور ماهر مهدي هلال ، دار الرشيد للنشر ، الجمهورية العراقية ، ١٩٨٠ م .
- ٥- الجملة في الشعر العربي ، الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف ، ط ١ ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ١٩٩٠ م .
- ٦- ديوان ابن زيدون ، تحقيق عبد الله سنده ، ط ٢ ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٨ م .
- ٧- ديوان ابن زيدون ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، القاهرة ، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م .
- ٨- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تأليف أبي الحسن علي بن بسم الشنتريني (ت ٥٤٢ هـ) ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا - تونس ، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

- ٩- شرح تحفة الخليل في العروض والقوافي ، عبد الحميد الراضي ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، بغداد ، ١٩٧٥ م .
- ١٠- العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده ، تأليف أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الازدي (ت٤٥٦ هـ) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٣ ، مطبعة السعادة بمصر ، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م .
- ١١- في الادب الاندلسي ، الدكتور جودة الركابي ، دار المعارف ، مصر ، د.ت.
- ١٢- قضايا الشعر المعاصر ، نازك الملائكة ، ط٣ ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٦٧ م .
- ١٣- كتاب القوافي ، أبو الحسن سعيد بن مسعدة الاخفش (ت٢١٥ هـ) ، تحقيق د.عزة حسن ، مطبوعات مديرية احياء التراث القديم ، دمشق ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .
- ١٤- لسان العرب ، للامام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري (ت٧١١ هـ) ، ط٤ ، دار صادر ، بيروت ، ٢٠٠٥ م.
- ١٥- اللغة الشعرية - دراسة في شعر حميد سعيد ، محمد كنوني ، ط١ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٧ م .
- ١٦- المنقن في علم العروض والقافية ، اعداد غريد الشيخ ، دار الراتب الجامعية ، بيروت ، لبنان ، د.ت .
- ١٧- المرشد الى فهم أشعار العرب وصناعتها ، عبد الله الطيب المجذوب ، ط٢ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٠ م.
- ١٨- منهاج البلغاء وسراج الادباء ، لأبي الحسن حازم القرطاجني (ت٦٨٤ هـ) ، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، ١٩٦٦ م .
- ١٩- موسيقى الشعر ، الدكتور ابراهيم أنيس ، ط٣ ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٥ م .
- ٢٠- نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تأليف الشيخ أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت١٠٤١ هـ) ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.
- ٢١- وفيات الاعيان ، ابن خلكان ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٢ م .

الشخصية المُستَلَبَة وأثرها في البناء السردى لرواية (وليمة لأعشاب البحر- نشيد الموت)

د . زينب عبد الأمير حسين القيسي
الجامعة العراقية/ كلية التربية للبنات

ملخص البحث

أنَّ الاستلاب صنيعة الخيبة والعجز، وهو رديف الإحساس بالضياح واللاجدوى الذي يحكم قبضته من نفس الإنسان، فيحيله إلى حال التسليم المرَّضي، والرضا بالعيش في هامش الحياة وبهذا يمكن القول بأنَّه حال نفسية تقضي بأنماطها المختلفة إلى تشكيل سلوكيات بشرية متنوعة؛ تبعاً للحال الفكرية والاجتماعية والدينية التي ينتمي إليها الفرد .

ولعل اختياري لدراسة الشخصية المُستَلَبَة في رواية (وليمة لأعشاب البحر) للروائي حيدر حيدر مسوغان: أحدهما خارجي يعود للحال النفسية التي رسمت ملامح شخصية الإنسان العراقي خاصة - بفعل واقع الحروب المتكررة التي فرضت عليه - وشخصية الإنسان العربي عامة - بفعل واقع الأنظمة السياسية التي تحكمه - لاسيما بعد التغيير الذي طرأ عليها مؤخراً.

والآخر داخلي متعلق بالرواية نفسها، إذ إنَّها تشكل ظاهرة الإحساس بالاستلاب عبر شخصياتها المختلفة، وبأنماط متنوعة ؛ منها ما هو ظاهري بادي الوضوح للقارئ العام، ومنها ما هو خفي يلمح في اثناء السطور، لا يستطيع تمييزه إلا القارئ الناقد.

وهكذا تضافر هذان المسوغان في نفسي مما دفعني إلى خوض مغامرة البحث عن أنماط الشخصية المُستَلَبَة، والغوص في مكنوناتها الأيديولوجية والنفسية، فضلاً عن رسم خريطة عامة لأثرها في البناء السردى، بوصفها ظاهرة فكرية جُسدت بأبعاد فنية مميزة .

Personal usurped and their impact on the construction of the narrative novel

(Banquet for Seaweed-commend death)

By

Dr . Zainab Abdul Amir Hussein al-Qaisi

Iraqi University / College of Education for Girls

Abstract

This research is about the hopeless personality in the novel of Haidar haidar to Mahdi Jawad. The novelist tried to address the idea raises problematic dialectic that loss suffered by the human personality of the defeated, and perpetual various attempts to get rid of this case. He expressed this problem by hugging two experiments within different environments, human experience in the Iraqi revolt against the tyrannical National Authority, and the human experience in the Algerian revolution against French colonialism strenuous. The characters in both trials failed a major failure in achieving the desired success. Which led them to lean on the self and the search for different ways to salvation .

We have divided the characters of the novel, according to the emergence of the idea of alienation, and the kind where, to the main two types: Type I: (personal perceived to Astelabha) and the second mode is perceived personal : (to Astelabha) .

And adopted a standard special in the classification of the characters usurped within these two types, which is the integration of the personal with the reality, or lack of integration with him and rejected him, we have found through induction Comprehensive figures that the pattern (personal perceived to Astelabha) his body, the main characters composites, actors in the construction of the event, and influential in the construction of the narrative. It should be noted that all of them represent a model (the rebel Revolutionary)

we called personalities perceived to Astelabha, because they are conscious and aware of the state of alienation, which led to him, occupied a large area of the narrative.

It was baptized novelist to describe precisely at the level of the figure, and at the level of thought and ideology, behavior and acts, as well as drawing dimensions psychological, and their internal cross artistic techniques through the use of modern technology and stream of consciousness writing diaries, dream, and introspection

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على من أشرقت السماوات والأرض بنور هدايته، ورحمته للناس أجمعين، النبي الخاتم محمد "صلى الله عليه وآله وسلم" كما صلى عليه ربُّ العزَّة، وملأته الطاهرون.

أما بعد :

فأنَّ الاستلاب صنيعة الخيبة والعجز، وهو رديف الإحساس بالضيق واللاجدوى الذي يحكم قبضته من نفس الإنسان، فيحيله إلى حال التسليم المرَّضي، والرضا بالعيش في هامش الحياة وبهذا يمكن القول بأنَّه حال نفسية تفضي بأنماطها المختلفة إلى تشكيل سلوكيات بشرية متنوعة؛ تبعا للحال الفكرية والاجتماعية والدينية التي ينتمي إليها الفرد .

ولعل اختياري لدراسة الشخصية المُستَلَبَة في رواية (وليمة لأعشاب البحر) للروائي حيدر حيدر مسوغان: أحدهما خارجي يعود للحال النفسية التي رسمت ملامح شخصية الإنسان العراقي خاصة - بفعل واقع الحروب المتكررة التي فرضت عليه - وشخصية الإنسان العربي عامة - بفعل واقع الأنظمة السياسية التي تحكمه - لاسيما بعد التغيير الذي طرأ عليها مؤخراً.

والآخر داخلي متعلق بالرواية نفسها، إذ إنَّها تشكل ظاهرة الإحساس بالاستلاب عبر شخصياتها المختلفة، وبأنماط متنوعة ؛ منها ما هو ظاهري بادي الوضوح للقارئ العام، ومنها ما هو خفي يلمح في اثناء السطور، لا يستطيع تمييزه إلا القارئ الناقد. وهكذا تضافر هذان المسوغان في نفسي مما دفعني إلى خوض مغامرة البحث عن أنماط الشخصية المُستَلَبَة، والغوص في مكنوناتها الأيديولوجية والنفسية، فضلا عن رسم خريطة عامة لأثرها في البناء السردى، بوصفها ظاهرة فكرية جسدت بأبعاد فنية مميزة .

ولابد من الإشارة إلى أنَّ المنهج الذي اتبعته في معالجة الموضوع هو المنهج التكاملي الذي يعتمد أساليب التحليل النفسي والفكري للشخصيات المستَلَبَة في الرواية،

فضلا عن المنهج الاجتماعى فى دراسة أنماط الشخصيات، والمنهج السردى فى بيان الأثر الفنى المناط لها .

ولا يفوتنى فى ضوء هذه المقدمة أن أعرف القارئ الكريم بالكاتب حيدر حيدر فهو أديب سوري ولد سنة ١٩٣٦ فى قرية حصين البحر بمحافظة طرطوس، وتخرج فى معهد المعلمين التربوي فى مدينة حلب فى عام ١٩٥٤، ويعد أحد مؤسسى اتحاد الكتاب العرب فى دمشق عام ١٩٦٨، وقد نشر مجموعة " الومض " فى عام ١٩٧٠، وفى العام نفسه أعير إلى الجزائر ليشارك فى ثورة التحرير، وليدرس فى مدينة عنابة.

ينصب البحث على دراسة الشخصيات المستتلة، وتحليلها، وإعادة بنائها، من خلال ما تتخذ من مواقف، وما تقيمه من علاقات مع الشخصيات الأخرى عبر الحوار النابع من حوافز فكرية ونفسية مختلفة .

يقوم البحث على فرضية مفادها أن شخصيات الرواية هى مجموعة من الرموز الشخصية التى تجسد أفكار الروائى عبر الثالوث الآتى (السلطة - الثورة - الاستلاب). وتتصارع هذه الشخصيات عبر حركة درامية تقضى إلى تشكيل عالم الروائى المتخيل، من خلال هدمه للواقع السلبى، وبناءه لواقع الحلم .

ولابد من القول إن تحليلنا للشخصيات كان نابعا من وجهة نظر الشخصية نفسها فى تشكيلها الروائى، ولرؤية الروائى الذى خلقها تنبض فى أثناء السطور، وليس لهذا البحث من أثر سوى كشف الشخصيات، وأبعادها الرمزية الخطرة، كما أن البحث لايشاطر الروائى ولا شخصياته الرؤى التى حملوها، بل على العكس تماما، لأن فى رؤاهم دعوات تغريبية سلبية تؤسس لتضييع الهوية العربية بقيمها الرائعة .

وتجدر الإشارة إلى أننى قسمت الدراسة على مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وملحق بأسماء المصادر والمراجع، وقد تناولت فى المبحث الأول أنماط الشخصية المستتلة، ورؤاها الفكرية. واهتم المبحث الثانى ببيان أثر الشخصية المستتلة فى البناء السردى .

ولا يسعني في ختام هذه المقدمة سوى أن أحمد الله سبحانه، فما كان من نجاح في
الرأي فبتوفيته، وما كان من زلل فمن نفسي المجبولة على الضعف، فله الثناء والحمد
من قبلُ ومن بعد .

المبحث الأول

أنماط الشخصية المستتلة، ورؤاها الفكرية

لقد أثارت الرواية إشكاليات صادمة للمجتمع العربى، مما جرّ عليها كثيرا من الآراء الخلافية لدى النقاد ، إذ إنّ موضوعها العام يناقش فكرة الاستلاب لدى الإنسان العربى الذى عبر عنه الروائى من خلال عدد من الرموز التى يعدها الكثير خارجة عن الأطر الدينية والاجتماعية التى يخضع المجتمع لها.

ويبدو لى أنّ الروائى حاول أن يعالج فكرة تثير إشكالية جدلية مفادها الضياع الذى تعانیه شخصية الإنسان المهزوم ، ومحاولاته الدائبة المختلفة فى التخلص من هذه الحال . ومن الجدير بالذكر أنّ الروائى عبر عن هذه الإشكالية من خلال تعانق تجربتين ضمن بيئتين مختلفتين تجربة الإنسان العراقى فى ثورته ضد السلطة الوطنية المستتبدة ، وتجربة الإنسان الجزائرى فى ثورته المضنية ضد الاستعمار الفرنسى . والشخصيات فى كلتا التجربتين فشلنا فشلا كبيرا فى تحقيق النجاح المرجو . مما أفضى بهم إلى الانكفاء على الذات والبحث عن سبل مختلفة للخلاص.

ولإيماننا بأنّ النص " متعدد المستويات، فمعرفة طريقة كتابته وتلقيه، تفيد فى فهم تداخل المستويات داخل النص، كما أنّ القارئ يتلقى نصا يحمل رسالة مشفرة خاصة، يشترك فى حملها المبدع والقارئ على السواء، وهنا تدخل عملية الإبداع والتلقى سياقات نفسية واجتماعية وتاريخية وجمالية متعددة، تتجاوز سياق النص إلى الثقافة، وذرورة المبدع / المتلقى معا، ويؤكد هذا على ضرورة فهم النص كبنية مفتوحة متعددة المستويات والدلالات والقراءات، ولا بد للباحث أن يؤمن بما وراء النص قراءة وكتابة"^(١).

وقد بدا لى من خلال القراءة الناقدة لشخصيات الرواية، فى محاولة للبحث عن الأفاق الماورائية للنص، أن أقسمها بحسب فكرة ظهور الاستلاب، ونوعه فيها على نمطين رئيسين :

١- الشخصية المدركة لاستلابها

٢- الشخصية غير المدركة لاستلابها

كما اعتمدنا معيارا خاصا في تصنيف الشخصيات المستلبة ضمن هذين النمطين، وهو اندماج الشخصية مع الواقع، أو عدم اندماجها معه ورفضها إياه، وقد توصلنا من خلال الاستقرار الشامل للشخصيات إلى أنَّ نمط (الشخصية المدركة لاستلابها) جسده الشخصيات الرئيسة المركبة، الفاعلة في بناء الحدث، والمؤثرة في بناء السرد . ولا بد من الإشارة إلى أنَّ جميعها تمثل أنموذج (الثوري المتمرد) .

بيد أنَّ نمط (الشخصية غير المدركة لاستلابها) جسده الشخصيات الثانوية التي وُظفت لتسد الفجوات داخل السرد، إذ تكمل الرؤية أو المنظور الذي يريد الروائي مناقشة أبعاده وعرضها . ووجدنا أنَّ الروائي رسمها بصورة مهمشة، وسلبية، وسطحية محاولا بذلك إعلاء شأن النموذج الثوري المتمرد، ولم يكن لها أثر فاعل في بناء الحدث، كما لم يكن لها أثر في بناء السرد .

ومما تجدر الإشارة إليه أنَّ الاستلاب في هذه الشخصيات برز من منظور الروائي والراوي بشكل إيجابي، فالشخصية الممثلة لهذا الأنموذج غير واعية ومدركة لحال الاستلاب الذي تؤصله، بل هي مقتنعة بصحة ما تعتقه من مفاهيم، وإيديولوجيات، وسلوكيات خاطئة، تقضي إلى تحطيم واقع المجتمع الإيجابي المتخيل، أو ما نسميه بالواقع الحلم والمثال. لذا نراها شخصيات بسيطة غير مركبة، يعطيها الراوي أوصافا منفرة في كثير من الأحيان، بقصد بيان رفضه لها واستهجانها لمواقفها .

وفيما يأتي شرح مفصل للنمطين المذكورين، وبيان أقسامهما :

أولا : الشخصية المدركة لاستلابها (غير المندمجة مع الواقع)

جسدت هذا النمط الشخصيات الرئيسة في الرواية، ومثلت جميعها أنموذج المثقف الثوري المتمرد، وقد أسميناهما بالشخصيات المدركة لاستلابها، لأنها واعية ومدركة لحال الاستلاب الذي أفضت إليه، احتلت مساحة واسعة من السرد، وقد عمد الروائي إلى وصفها وصفا دقيقا على مستوى الشكل، وعلى مستوى الفكر والأيدولوجية والسلوك والأفعال، فضلا عن رسم أبعادها النفسية، وعوالمها الداخلية عبر التقنيات الفنية الحديثة من خلال استخدام تقنية تيار الوعي وكتابة اليوميات، والحلم، والاستبطان الداخلي للنفس .

وقد عمدنا إلى تسمية شخصيات هذا النمط ب (الشخصيات غير المندمجة مع الواقع والتمردة عليه) . مثل هذا الأنموذج فى الرواية أربع شخصيات وهم : (مهدي جواد - مهيار الباهلى -آسيا الأخضر- فلة العنابية) ، وقد جمعتهم صفات التمرد على الواقع، والثورة عليه ورفضه، وفرقتهم رؤاهم الايديولوجية لتحقيق هذا التغيير، كما جمعهم أيضا فشلهم فى الوصول لأحلامهم، واستبطنهم أحاسيس العجز والضياع والاستلاب .

ولابد من القول إنَّ هذه الشخصيات الأربعة تعد شخصيات رئيسة ومركبة وان كانت شخصية مهدي جواد تمثل البطل المحورى الذى تدور حوله الأحداث والشخصيات . لقد وظف الروائى هذا النمط فى رسم أبعاد الشخصية الرئيسة فى روايته، وهى شخصية الشيوعى الثورى العراقى، الذى ناضل من أجل الدفاع عن القضية الوطنية ممثلة بحقوق الشعب وإرادته المسلوبة، وأفضى إلى الهزيمة والعجز فى نهاية المطاف، تجلده مشاعر الخيبة والضياع والفشل، ونجد هذا النمط واضحا فى شخصية مهدي جواد ،ومهيار الباهلى اللذين هربا من فشل تجربتهما الشيوعية إلى بونة، تلك المدينة الجزائرية الساحرة التى خاضت هى الأخرى تجربة تحررية ضد الاستعمار الفرنسى . وعلى الرغم من تحررها من طوق الاستعمار ،فإنَّها ظلت مقيدة كأى مدينة عربية بقيود قد تكون أبشع فى إحكام قبضتها من قيود الاستعمار الأجنبى "كانت مدينة جميلة، مطوقة بالحجر والغابات ... كانت موحشة، محكومة بالإرهاب والجوع والسمسرة والدين والحدق والجهل والقسوة والقتل، ورغم جوارها للبحر والغابات فهى تبدو حزينة، إنَّ الحب ينمو داخلها نمو النباتات بين شقوق الصخر مهددا بالموت متى حاول الوقوف تحت الشمس . تلك هى بونة المضيئة . مدينة الحزن والبحر والخوف والحب والذاكرة"^(٢).

١- شخصية مهدي جواد وآسيا الأخضر

مهدي جواد شخصية نجفية عاش طفولة قاسية فى ظل الفقر ،إنَّه ولد فى طبقة فقيرة ومات والده صغيرا ،فتزوجت أمه من عمه، وكان يعاملها بقسوة شديدة مما أفضى بها إلى الموت بمرض السل، وكان مهدي يحاول الفرار إلى البرارى هربا من

تلك القسوة العائلية^(٣). وقد تكون هذه الحال الاجتماعية سببا في تشكيل ملامح شخصيته الموسومة بالقوة والمجابهة والرفض .

ولابد من الإشارة إلى أنه يعاني غربة داخلية تحدث عن كنهها لصديقه مهيار وعبر عنها بقوله : " سأوضح لك يوما معنى الغربة الداخلية . شعور الندم بقدم الإنسان إلى العالم خطأ!"^(٤).

ويبدو أن هذه الغربة قد أحكمت قبضتها على نفسه إلى الحد الذي جعله يتحدث عن مفهوم الحرية والعبودية ضمن ما تثيره في نفسه المستلبة من مشاعر أليمة إذ يقول : " أن تكون حرا، ليس هذا كافيا للسير فوق خط مستقيم. إنَّ خطوط الآخرين تبدو منكسرة أو منحنية، والمنفى هو السير على خط آخر للحفاظ على التوازن . لماذا هذه الغربة اللعينة في خضاب الدم " ^(٥). وهذا يعني أنه اتخذ المنفى، والهرب، والرفض، ومجابهة الواقع وسيلة للحفاظ على توازنه النفسي . ولعل هذا ما جعله مندمجا مع الفكر الشيوعي ومنتميا له، غير أن انخراطه في صفوف ذلك الحزب لم يزد إلا غربة وفشلا وإحباطا على إثر فشل الثورة، لنتركه يتحدث عن إحساسه بفشل الحزب : " انقسم الناس داخل الحزب وخارجه، فاستشاط الثوريون، واتهموا القيادة بالتخاذل والتواطؤ، وعلا الحديث عن الانشقاق وراح الخط التاريخي للرهان على البرجوازية الديمقراطية يوصف بالتهم والخianات والإنخذالويوم كانوا ينشقون ويصرخون ويتهمون ويذهبون إلى الموت المحقق كان الجنرال الكلي القدرة يوطد سلطته من خلال حلفه التاريخي مع العسكر وأعوان رأس المال، ورجال الدين، والتقطير الشوفيني للسم القومي : هاي هتلر هاي كريم، هاي عارف وسائر الهيات التي ستأتي وتصرخ بصوت طاغ : الله - الأسرة - العشيرة - الطائفة - الملك . أنا الله على الأرض . أنا الشعب . ويومذاك ستصدر الأوامر في كل أرجاء البلاد: من دخل بيت الجنرال ، أب الشعب جميعه فهو آمن، ومن دخل بيته الخاص وانزوى فهو آمن ، أما من دخل بيت الحزب فالوطن في حل من دمه المهدور، من يومها ابتداء شهيقي وزفير الدم الذي سيستمر إلى يوم الدينونة"^(٦) .

ولم يجد بُداً بعد تلك الهزيمة سوى الهرب إلى بلد آخر، ها هو ذا الراوى يصف لحظات هربه من العراق " كان يفر الآن من أرض الجحيم، جواز سفره مزور ورأسه مليء بشظايا حلم تبدد، وبالأصوات : زمانك انتهى !! بين فراراتك واختباءاتك في أوكار بغداد والبصرة والعمارة والحلة والناصرية، وبين مقبرة الهور التي كفت أطفالها بطحالب الماء...ومن البصرة إلى بونة بدت الرحلة طيران حمامة بيضاء، داخل حلم غامض فوق خريطة بلون الدم والهزيمة . أخيراً هو ذا مهدي جواد ينجو بجلده من طقوس المذبحة " (٧) .

بيد أن هذا البلد الذي هرب نحوه لم يكن بلد حلم يحقق على نحو ما أحلامه الضائعة، وإنما بلد منفى جُل ما حققه له هو إنقاذه من موت محقق بعد هزيمة حزبه، وقد حذره كثيرون من واقع تلك المدينة وأهلها مما عمق لديه الشعور بالاستلاب والعجز على حد سواء : " كانوا في المدرسة والمدينة يحكون أمورا غريبة وفزعة وكثيية عن المدينة والبشر، أساتذة الشرق الذين سبقوه وعرفوا المدينة أكثر قالوا له: كن حذرا، المدينة شرسة وفظة . لا تتأخر ليلا، البونيون لا يحبون الغرباء ولأتفه سبب يسرقونك أو يذبحونك . أوهم الثورة انتهت ، وهؤلاء الأفارقة متوحشون . مغلقون كالحجارة . بلد زميت يحكمه الدين والشرطة، وعصابات آخر الليل التي تعتصب وتقتل من أجل دينار" (٨) .

وربما حاول مهدي جواد وهو في منفاه أن يعيد الحوار مع ذاته، ويرتب أوراق نفسه التائهة على غرار جديد، ويبدو أنه فكر في أن الخلاص الصحي يمكن أن يكون حبا عميقا يجتاح النفس ويواجه واقع تلك المدينة المحكومة بمواضعات الدين وعادات الناس المليئة بالتعصب والعنف ولاسيما أنه رأى في آسيا الأخضر التي أخذ يعطيها دروسا خاصة في تعلم اللغة العربية، مثالا للفتاة الحلم التي تحرك مشاعره المكبوتة . " المنفى اغتراب جديد يضعك وجها لوجه أمام نفسك . إنه يضعك أمام المرأة . وها أنت تراجع هيروغليفيا الزمن في استراحة الحرب . ثمة عطب داخل الإنسان، وداخل الكتلة، يرى الآن بوضوح اشد في هذا المنفى التجربة ... لكن الأشياء ما تزال هلامية سابحة كقناديل البحر . إنها لمسألة غير تافهة أن تسأل في عالم اللامنطق وانعدام

القانون، في العالم المحكوم بالطغيان وسطوة الآلهة، والقتل وميراث الأجداد المنقرضين . عالم النزوة والمزاج والفردية، كيف تفكر وتتحرك ؟ كيف تتقدم؟ بل كيف تتشكل !!؟ هل باستطاعة الحب أن يتجاوز الحالة ؟ وهل تأسيس حالة حب على نحو صحي ضد عالم النفي اللاعقلاني ينقذ العالم والنفس ؟!"^(٩) .

لقد بدأت علاقتهما بسيطة، أستاذ مشرقي غريب يلقي دروسا خاصة في اللغة العربية لفئة جزائرية تتكلم الفرنسية، تحاول أن تعيد جذورها العربية التي شوّهت بواقع الاستعمار الفرنسي الذي حاول طمس الهوية العربية لدى الجزائريين، ولاسيما إن والدها ثوري جزائري قاتل ضد المستعمر، ومات شهيدا دفاعا عن حرية بلده تقول آسيا عن الفرنسيين: " غرسوا في ذاكرتنا أن المسلمين والعرب كانوا غزاة وفاتحين، استعمروا اسبانيا وصقلية، وكانوا يؤكدون لنا أن القرآن مأخوذ من الإنجيل والتوراة، واللغة العربية لغة دين وشعر لا لغة علم، وهذا سبب تخلف العرب في العلوم والحضارة الحديثة، الاستعمار في النهاية ليس العنف فقط، إنما الاستلاب والتزوير والقطيعة مع الأنا الجماعي "^(١٠) .

وهكذا التقى فكر الأستاذ مع فكر تلميذته في الإحساس بواقع الاستلاب المفروض عليهما كما أن مشاعرهما قد التقت، بيد أن الخلاف الذي حال بينهما هو خلاف في نمط الشخصية فكلاهما يؤمنان بضرورة الرفض والتمرد على ذلك الواقع، غير أن آسيا الأخضر كانت سائرة في فلك الاندماج مع الواقع، لعدم قدرتها على مواجهة شراسته، مع إيمانها بضرورة تغييره . وترقبها له . وهذا ما كشفه مشهد العراك الذي جرى بينهما حول مسألة الوعي بالحرية، فحينما سألها عن مفهومها للحرية أوضحت بأنه الوعي والتحرر الاقتصادي، ثم شرحت التعارض بين الوعي الحقيقي والوعي الزائف، ثم سألها عن الفعل وكيف تتحرك هي داخل هذا التعارض وأجابت بأنها تعبره بوعي ولكن ليس الآن، وإنما حين تسنح فكرة التغيير، عندما يتقدم المجتمع أكثر، وفي أثناء ذلك لديها فكرة التعلم والتحرر اقتصاديا حتى تستقل وتخرج من أسر الجهل ومجتمع الذكورة، وميراث القتل والوآد .

لننظر ذلك المشهد :

مهدي: الآن ماذا تفعلين قبل هبوط ملائكة التقدم؟

آسيا: أتعلم لأتحرر اقتصاديا ثم أستقل.

مهدي: واللواتي لم يتح لهنّ ذلك - أسيرات الجهل والأسر الأبوية، ومجتمع الذكورة، والله وميراث القتل والوَأَد .

آسيا: لا أدري . ربما كنّ ضحايا .

مهدي : أنت أيضا ضحية، ترغبين في المسرح والسينما، والمقاهي، والسهر الليلي، تريدن أن نكون معا في تلك الأماكن، وفي الأوقات التي نشتهيها، ومع ذلك لا تفعلين شيئا ليتحقق ذلك

آسيا : أعتقد أنّ هذا هو مقياس التحرر الآن ؟

مهدي: ما هو المعيار إذن ! هل الحرية تتجزأ ؟ صدمة اختراق الجدار لماذا لا تكون الآن ؟

آسيا: تذكر ما فعلوا بنا في وضح النهار . منذ قدومك إلى هذه المدينة هل رأيت امرأة تسير وحيدة في الشارع بعد الساعة الثامنة ؟ من أي كوكب أنت ؟ تريدنا أن نخرج معا في الليل لتسمي هذا تحررا ! هذه فضيحة في بلادنا، إنك تعرف إنهم ما زالوا الأقوياء وباستطاعتهم إيدائنا بقسوة .

امتزج الغيظ بالغضب . لاحت على شاشة رأسه بلاد رازحة تحت عصور الظلمات والرجال والسلاسل ... كانت آسيا جالسة، وكان هو مستندا إلى الجدار يدخل بعصبية، لا تحزني إذا قلت لك أنك جبانة، وأنك ما زلت مسكونة بجراثيم الأجداد، وأنّ تحريرك الاقتصادي مغارة جوفاء، أنت حرة داخل أربعة جدران، وداخل قفصك الصدري، ظهورك معي تم تحت غطاء تلفيقي، لست قادرة ولن تقوي على كسر أغلالك الداخلية . الدم والحليب معتكران بعبودية لا فكاك منها . في دم جميعكنّ مازالت نطفة الحريم تنبض .

...آسيا: لكن ماذا تريد مني .

مهدي : أن تكوني قناعاتك . أن لا تنقسمي مثلهنَّ فيكون في داخلك امرأتان واحدة حرة والأخرى عبده . كيف ترتضين أن تكوني جريئة وخائفة، صادقة وكاذبة في آن ؟ إنَّ المفاجأة التي رآها مهدي جواد في حقيقة التردد الذي لمسها في شخصية آسيا الأخضر بعد حوارهما الحاد جعله يصاب بالاندهاش والحنق؛ لأنَّ المرأة الحلم التي وجدها لم تنضج بعد لتكون بمستوى طموحه الفكري، وهذا أفضى به إلى خيبة عاطفية شديدة، لاسيما أنَّ حالة الحب عنده كانت تمثل حال خلاص، وفقدان الأمل فيه يعني السقوط في بحر الخيبة والضياع، وفعلا سقط مهدي جواد في ذلك المستنقع من التناؤم؛ حتى أنه في لحظة ضعف مفزعة حاول الانتحار بفصده شرايين يده، وأحيل في حال مزرية إلى المستشفى حيث تم إنقاذه من موت محقق بعد أن كتب بدمه على الأرض " قطرات الدم تتساقط على السطح الزهري لغطاء الطاولة . الألم يمتزج باللذة . يرسم الخيط الرفيع القاني . آسيا الأخضر فتاة حمقاء . ثم يرسم . ومهيار الباهلي رجل مريض مسكون بأوهام النصر . بلذة كان يصاعد لعبة النار . لقد انفتح الجرح أكثر وتدفق الدم، بهدوء أشعل لفافة وراح يلهب الجرح بوهج السجارة . وامتزج الدم بالرماد فتخثر، وداخل الخثار الصيدي رأى حبيبات العار والقصور ... رأى العراق محمولا على محفة يغني ويكي ويترنح في قبضة ابن أبي ضبيعة" (١١) .

ومما يبدو لي أنَّ عدم النضج لم يكن في شخصية آسيا الأخضر وإنما تحقق في شخصية مهدي جواد، فالتغيير الإيجابي لابد أن يكون تدريجيا ولا يمكن أن يؤخذ عنوة، لذا نعد شخصية آسيا الأخضر رئيسة مركبة، تشكل أنموذجا للشخصية المتحولة عبر وعي ثقافي وفكري واضح وهي صاحبة انتماء أصيل مستمد من البيئة الجزائرية، فهي تؤمن بعروبيتها ودينها ووطنها وتذكر الآثار المدمرة التي تركها الاستعمار الفرنسي في الجزائر عبر تغريبه الشعب الجزائري وفصله عن انتمائه العربي، لذلك فملاحم التمرد تظهر عليها من خلال تمرداتها على واقع ضعف اللغة العربية، فتحاول تعلم اللغة لاستعادة هويتها العربية المضيفة والمستلبة، وهذا التمرد يفضي إلى تمردات أخرى تخص واقع المرأة في البلاد العربية المحكومة على حد قول الروائي بآليات

الاستبداد الفكرى والدينى والاجتماعى والسياسى، من خلال تهميش أثرها والنظر إليها على أنها جسد محض يطلب للمتعة والخدمة والنسل ليس إلا .

ويتضح النضج فى شخصية آسيا بكونها مؤمنة بدواعى التغيير المتدرج فى الإنسان العربى الواقع تحت سيطرة عبودية القيم والإرث التاريخى، لذا نراها سائرة ضمن حدوده لعدم تمكنها من مواجهة المجتمع بشراسته مؤمنة بالتغيير ومرتبقة له، وهذا ما استنتجناه من العراق الذى دار بينها وبين مهدي جواد فى المشهد السابق، فعندما سألها مهدي عن حقيقة وعيها بمفهوم الحرية أجابت بأنها تراه فى " الوعي والتحرر الاقتصادى " مدركة الحقيقة بين ما تسميه الوعي الحقيقى والوعي الزائف، وقد اتهمها مهدي جواد بالازدواجية فى الشخصية والتعارض فى طبيعة فعلها التمردى الثورى، بيد أنها أجابته بأن لا تعارض فى طبيعة فعلها فهي تتحرك داخل هذا التعارض بوعى، محاولة التغيير حينما تسنح الفرصة، عندما يتقدم المجتمع أكثر، وفى أثناء ذلك لديها فكرة التعلم والتحرر اقتصاديا .

فمن خلال هذا الحوار نكتشف مدى الخلاف الفكرى بين شخصيتى آسيا ومهدي وهو خلاف جوهري يكشف عن مدى النضج الذى تمتلكه آسيا، فعلى الرغم من أنهما يصدران عن وعى ثورى واحد، فإنهما مختلفان فى الرؤية وكيفية الوصول إلى تحقيق التغيير فى المجتمع، من خلال الإسهام فى تحرر المرأة، وتحرر النظرة إليها بوصفها جزءا مهما فى بناء المجتمع وتطوره، وآسيا ترى أن هذا التغيير لابد أن يتم تدريجيا بتحرير المرأة اقتصاديا حتى لا تبقى منقادا بمسوغات الحاجة والتبعية إلى الرجل، فى حين يرى مهدي أن التحرر لابد أن يتم بسرعة عبر الرفض لتقاليد المجتمع والتمرد عليها ومجابهتها علنا، حتى لو خلقت هذه المجابهة صدمة وشرخا فى المجتمع وهو ما أسماه ب (صدمة اختراق الجدار) .

وعلى الرغم من النضج الذى تميزت به شخصية آسيا فإنها كانت تعاني من الاستلاب، ويبدو لنا أن استلابها مرمرحتلتين، المرحلة الأولى تمت عبر اندماجها القسرى مع الواقع مع انتظار تحقيقها للتغيير، فها هي ذى تشكو لمهدي ذلك الضعف الذى تعاني منه بقولها : " كما ترى نحن نعيش تحت سطوة رجل ليس أبانا، الرجل

الذي استولى على الأسرة واستعمرها بقوته وماله، أنا أعرف ذلك ولا أستطيع البوح به لماما، لأنّ ذلك يجرحها . نحن نخدمه ونضحك له ونطيعه ونقبل يده لا لشيء، إلا لأننا يتامى . عندما يغيب الأب يتهدم هيكل البيت، أعمدته تتهاوى وتسقط، ويصبح الذل والمهانة والطاعة غطاء النفوس التي انكسرت وتهدم جدارها . ماما تحاول أن تعوض ما فات . تتحدث عن القلب الأبيض والبريء وهي تعرف قسوته وقلبه الأسود، ماما مغلوبة على أمرها، غير قادرة على مقاومة رجل مستبد صار شرعا زوجها ، عنفه وجنونه أصابها بمرض القلب، إنها مريضة وقريبا ستموت " (١٢) .

هذه السيطرة التي تعاني منها آسيا وأمها هي السلطة الذكورية (سلطة الأب وسلطة الزوج) علما أنّ السلطة الأبوية التي يمارسها يزيد ولد الحاج (زوج الأم) على شخصية آسيا هي سلطة تكشف عن الأنموذج السائد في المجتمعات العربية للزوج المتسلط، القوي، العنيف ووقوع آسيا تحت هذه السطوة سوغه موت والدها، ويتمها، واضطرار أمها إلى الزواج، فهم خانعون ومنقادون له ليس حبا ورغبة، بل لأنهم لا يملكون القدرة على التحرر منه لحاجتهم المادية له . وقد وصفه الراوي العليم وصفا دقيقا يمثل اتجاهه السلطوي بقوله: " يزيد ولد الحاج قناع الإله الممتعض . يأخذ جرعة من الكأس الثانية، ويلبس قناع الحبور، لابد للالا فضيلة أن تمنحه في آخر السهرة جسدها الغض الشهوي . يسترخي السيد قليلا، متكئا على الطنافس والحائط وملكه " (١٣) .

نلاحظ أنّ الروائي قرن السلطة الأبوية بالسلطة الدينية وذلك من خلال وصف يزيد ولد الحاج بقوله " الإله الممتعض"، وهذا هو رأيه الخاص حول سيطرة الرجل والدين في المجتمعات العربية، وهو أمر رافض له، لذا يحاول مساعدة شخصية آسيا وإقناعها بضرورة التغيير السريع والثورة على جميع القوانين الأسرية والدينية التي تحد من حرية المرأة عبر التأثير عليها بشخصية حبيبها مهدي جواد بمحاولاته المتكررة لتثويرها . لننظر إلى هذا الحوار بين مهدي وآسيا :

- اسمعي أنت معي أم معهم

- وفوجئت : من تعني بهم ؟

- جميع الآخرين . هذه المدينة اللعينة وبشرها، وأسرتك، والله، ويزيد ولد الحاج، والأوطان والسلالات، والأزمدة العفنة .

- لماذا هذا السؤال . هل تشك في حبي لك بعد كل ما حدث ؟^(١٤)

وواضح من الحوار أن مهدي يطلب منها الثورة على جميع السلطات الاجتماعية والدينية والأسرية والعرفية، ويعد موافقتها بالتمرد على هذه السلطات هو عنوان قبول حبه . وإقرارها به.

وتستمر محاولات إقناعه إياها بوسائل مختلفة، لاسيما من خلال إغرائها بالارتباط الدائم" هكذا على نحو أكثر انبتاتا وألما، كان تأصيل العلاقة مع آسيا يبدو كأنه يستدعي نوعا من القطع الرحمي مع حبل المشيمة النابض، ولعل تفكير مهدي، في حالة تأسيس حياة جذرية مع آسيا، كان يتجلى على النحو التالي : أن يرتضي كل منهما التضحية بميراثه الدموي القديم والدخول في الآخر بشكل متفرد ومفارق للماضي .

يوم اشتبكا معا حول ذلك، دهشت آسيا . لقد فهمت من عبارته : إذا كنا سنبنى على الصخر بيتا لايتزعزع فلا بد من أن نرمي الأهل في البحر كأنما العبارة موجهة ضد أسرتها .

وبذعر سالت هل كان يكره أسرتها ولالا فضيلة، فأوضح بأن لالا فضيلة هي أعظم أم شاهدها وسألته لماذا يريد هذا إن تكون ضد الأسرة إذن ؟ فقال: يبدو أنك لم تفهمي قصدي...وفي تلك الليلة تحدث عن تحطيم الأوثان التي أقامها الآباء والأجداد، وضرورة الانفصال عن الدين والله والأخلاق والتقاليد، والأزمدة الموحلة، والجنة والجحيم الخرافيين، وطاعة أولي الأمر والوالدين والزواج المبارك بالشرع، وسائر الأكاذيب والطقوس التي رسمتها دهور الكذب " ^(١٥).

وجلي للقارئ الكريم أن الدعوة للانفصال عن الإرث القيمي، والعرفي، والفكري، والديني والثقافي للمجتمع العربي هي دعوة مرفوضة مطلقا، وتفضي إلى تشويه الإنسان العربي واجتثاثه من جذوره وبيئته، فضلا عن تسليمه لحال الاستلاب والضياع

النفسي، لاسيما أن هذا الانفصال مقرون بدعوى التحرر الزائف، وتحويل المعنى السامي للحرية إلى معاني الإباحية المطلقة .

وفعلا نجح مهدي جواد بإحداث التغيير السريع في شخصية آسيا، وتحويلها من فعل الانتظار إلى فعل المجابهة، وقد اتخذ التحول في مسار الفعل الثوري بعدا تدريجيا، من خلال الهرب من الواقع الاجتماعي وأبعاده أول الأمر، ومن ثم المجابهة الفعلية، ونرى أنَّ الروائي عبر عن هذا التحول بشكل إيحائي من خلال الرمز، فمشهد هربهما من المدينة نحو البحر يعد رمزا لمحاولتهما الهرب من الواقع نفسه، لننظر لذلك المشهد :
 "هاربان كالمعتاد من المدينة، ومن شهر رمضان والصيام الإجمالي . من الحقيقة يخرج مهدي البيرة والساندويش والفواكه والراديو، وتفرش آسيا حصير النزهة والصحف القديمة . يفتح الراديو . ينضو ثيابه هي الأخرى تتعري .

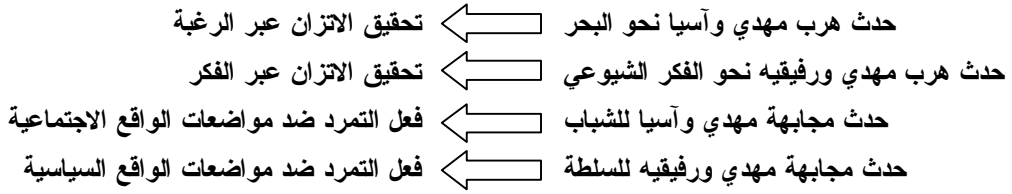
-هنا نحن بعيدان كالكوكب عن الأرض

-وهنا نرتوي كطيور الماء

مسرات صغيرة، ممنوعة . تبدأ من الفرح بخضرة البحر وشفافيته الطلقة، وتنتهي بالتماس الحريري للجسدين، ولكنهما هنا يلعبان لعبة الطفولة في غياب الأبوين . يخلعان القماط الأول للمهد ، إنهما يتطهران من دنس التربية المقدسة، والعائلة المقدسة في أملاح البحر"^(١٦).

ومما يؤكد لنا الاتجاه الرمزي لمجموعة المشاهد والأحداث السابقة، الطريقة الفنية التي اتبعها الروائي في بناء السرد، فالانتقال الفني المفاجئ في تسلسل الأحداث ما بين حدث انسحاب مهدي وآسيا من المدينة وهربهما نحو البحر، واندماجهما الجسدي، وتمتعهما بذلك الهروب وصفاء الطبيعة، ثم مباغتتهما من قبل مجموعة من الرجال الذين قطعوا عليهم استمتاعهم بالانفراد على البحر عبر نظراتهم وحركاتهم العدوانية، ثم قطع السرد فجأة، والبدء بحدث دهم وكر مهدي جواد ورفيقه في أعقاب فشل بؤرة الاهوار في العراق فيما مضى، وذكر المعركة التي حدثت وكان نتيجتها استشهاد رفيقه، وجرح كتف مهدي واعتقاله . ثم عودة السرد إلى الزمن الحاضر برواية أحداث المعركة بين مهدي وهؤلاء الرجال ومحاصرتهم إياه"^(١٧) .

فهذا التلاعب الفني بين تداخل الزمان والمكان والحدث في رسم المشهد يؤكد مقصدية الروائي في توجيه أيدلوجيته الخاصة نحو مفاهيم الثورة والتمرد والمجابهة، وهذا ما ندركه من خلال التأويل، فالهرب الذي تم بين مهدي وآسيا نحو البحر وترك مواجهة الواقع والتمرد عليه، هو وجه ثان لهرب مهدي مع رفيقيه نحو اعتناق الفكر الشيوعي، والاطمئنان الجسدي الذي وجده مهدي وآسيا في أتون عناق الجسد والرغبة وهما على البحر، هو وجه آخر للاطمئنان الفكري الذي وجده مهدي ورفيقاه في الفكر الشيوعي، والمجابهة التي حدثت بين مجموعة الشباب الذين قطعوا على مهدي وآسيا خلوتهم في البحر تعد وجهاً آخرًا للمجابهة التي حدثت بين مهدي ورفيقه والسلطة التي تطاردهم. ويمكن توضيح ذلك بالترسيمة الآتية :



ولا يفوتني أن أذكر للقارئ الكريم أنَّ الرغبة كانت إحدى محاولات مهدي جواد في التعويض عن الحب الضائع، وقد مارسه مع فلة بو عناب التي ترى أن ثمة تشابها يجمعها معه من حيث الوقوع تحت حومة الاستلاب تقول : " لاحظت من خلال مراقبتي لك، وحديث مهيار أننا من طبيعة متماثلة . كلانا شجرة عارية .شجرة مجتثة من جذورها . ومرمية على سطح الأرض . نحن مهزومان في موقع واحد جغرافيته متباعدة . إنني أعرف ما يدور في رأسك من جلبة وضوضاء ومرارات تجشأت ثم أشعلت سيجارة ، مثلي أنت تهرب وتراوح وتتقسم على نفسك. لأنَّ الهزيمة كانت مريرة . ولأنَّك وحيد لا تستطيع أن تفعل شيئا . لا تستطيع أن توقف الخراب والدمار . الخراب أقوى منا ولا أحد في الساحة. لقد انسحبوا إلى الملاجئ والأقبية والهدوء . بدهم يعيشوا ويأكلوا ويتزوجوا ويجمعوا شوية فلوس ^(١٨) . وهكذا استسلما للجنس بوصفه محاولة للهرب من حالة الضياع ^(١٩) .

وإذا كان الرغبة وسيلة من وسائل الهرب من الواقع فيما سبق، فإنَّه يعد وسيلة من وسائل المكافأة المعنوية لتحقيق فعل المجابهة من خلال الكفاح والتمرد ضد ضوابط

المجتمع، وهذا ما نكتشفه من خلال القوة التي أظهرتها آسيا في مواجهة زوج أمها (يزيد ولد الحاج) حين رآها تتجول في شوارع المدينة مع مهدي جواد، إذ تبدأ معركة عنيفة بين آسيا ويزيد، تنتهي بمحاولة ضرب آسيا ليزيد بسكين، وهرب الأخير من الدار، وفقدان آسيا لوعيها تحت تأثير الانفعال النفسي، وما إن تستيقظ حتى تذهب لمنزل مهدي راوية له ما حدث، وتمارس معه الرغبة في طقوس احتفالية بانتصارها على يزيد الذي يعد رمز السلطة المجتمعية (٢٠).

إنّ مشهد ضرب آسيا ليزيد بالسكين وهربه منها يمثل بعدا رمزيا تأويليا أيضا، فيزيد ممثل السلطة الذكورية المجتمعية، وآسيا رمز القوى الناهضة والمتمردة، وانتصار آسيا على يزيد يمثل الحلم الثوري للروائي بإسقاط كل مفاهيم السلطات سواء أكانت اجتماعية أم دينية أم سياسية أم ثقافية، وهذا الانتصار هو الذي جعل آسيا (المرأة الحلم) بالنسبة لشخصية مهدي جواد وهو ما دفعه في النهاية إلى طلب يدها للزواج، بعد أن كان موقفه من المرأة موقفا سلبيا للغاية فالمرأة من وجهة نظره رديف للموت وللعقاب الإلهي . يصف الروائي مهدي جواد وهو في حالة هذيان اقرب إلى الحلم أو تيار الوعي فيصف مجموعة من الرؤى والأحلام التي تتحدث عن مخاوف الرجل من المرأة، والعلاقة الحميمة معها، معتبرا أنها وسيلة لتعذيب الرجل " ينهض في أعماقه النائمة إحساس بان المرأة هي الموت، وهي البحار العميقة التي تجرفه بتياراتها المظلمة والسحيقة، ولأنه كان ملحدا ومجوبا كان يتصور أنّ الله يتقمص المرأة ويغويه، ليدخله في جسدها، ثم يختطف روحه ليعاقبه في عرش مملكته " (٢١).

إنّ انتصار آسيا على يزيد كما أوضحنا سابقا ذو طابع رمزي وهذا ما جعل مهدي جواد يغير نظراته السلبية عن المرأة، فبعدما كانت عنده رديفا للموت أو العقاب الإلهي، أصبح وجودها في حياته هو الحبل السري الذي يصله بالحياة في غياب هذه المرأة يكتشف مدى غربته وحياده عن تلك المدينة ... ماكان معنيا بشيء خارج الجسد والكرسي ووحدة الذنب التي اقتنصته في غفلة غياب آسيا . تلك المرأة بدت في هذه الوحشة اللئيمة حبله السري يصله بالأشياء والمدينة والعالم .

... أه أين الهواء ؟ من أين جاء هذا الاختناق ! كيف انقلبت مدينة الحب والبحر إلى جثة عالقة في سقف الحجرة ! وجاءته رغبة الجري ركضا ركضا، بعيدا عن هذه المدينة الملعونة، الخاوية إلا من روائح البواليع، وصديد القضبان، والفروج الملتهبة، وما كان يائسا في تلك اللحظة بقدر ما كان ممورا ، مرور لأنه عاجز عن توجيه الضربة العظمى التي تعيد التوازن لهذه الخليقة الضائعة بين الله والشهوة وبين الموت والسطوة" (٢٢) .

وقد يكون الحديث عن شخصية آسيا بوصفها رمزا للفعل الثورى شيئا غير منطقي حين نقرأ في الرواية مشهدا يصف حال مهدي جواد وهو يتحدث لمهيار الباهلي عن سر تركه للفعل الثورى والنضال والاستسلام للمرأة تعويضا عن خسارات المبادئ الثورية . " وهو يأتي بالشاي قال : شف سيد مهيار ، بالعربي المشرمح أنا إنسان تعبان ، يئس ! قل ذلك . ساقط على دروب النضال . قل أكثر غاوي زواج واستقرار وغربة . ممكن . أعوض بأسيا خسارات واندحارات . ليس الأمر بعيدا على الصواب . لكني لن ألدغ من تلك الجحور اللعينة مرة أخرى، السم دخل في الدم، ويكفي استشهادا وتضحية عن الآخرين. اسمع . هم يريدون أبدا ضحية ليناجروا بها . وأنت أعرف الناس بهم كيف يبحثون عن سيزيف أو برومئوس ليكون رمزا أو قميص عثمان يمسكون به، ويرفعونه كالراية أمام زحفهم الذي لايزحف أبدا اكتأب مهيار وهو يفكر بهذا السقوط العضوي واستعباد الجسد . بهذا الاستبدال الأخرق للمبادئ بعضو المرأة" (٢٣) .

لكن القارئ الناقد يجد أن استسلامه لهذه المرأة بالذات هو من باب الفعل الثورى وليس تعويضا عن خسارات المبادئ الثورية، لأنها تمثل رمزا ثوريا ، فبعد أن يصف الروائي مشهد سفرها إلى العاصمة، وتركها لمهدي يعاني وحشة المدينة والحياة من دونها، يعود بالسرد لمشهد اللقاء إذ تأتي لبيتها من المطار مباشرة من دون أن تمر بأهلها، وتقضي الليلة بكاملها معه وحينها يطلب يدها للزواج .

"عظيم أنت امرأة ذكية حقا وأنا أطلب يدك الليلة

-ما معنى ذلك

-هل تقبليني زوجا لك ؟

-يا للمصيبة ! واش ندير بيك . يزيني مصايب . خويا . يرحم والديك . قال مهدي بين الهزل والجد : إذا تزوجتيني صدقيني لن تندمي . من الشقاء والتشرّد وحبّي المجنون سابني لك أيكّة من التصوف والعبادة . قالت آسيا مغيظة : إنما أنت رجل هالك ودمك مباح . . . ستطويني كما يطوي الغجري الراحل خيمته، فلا يكون لي قرار ولا بيت هذا أنت ... لا أمان للغجر الرجل والرجال القساة . أنت رجل وعري عزيزي ومجروح^(٢٤) .

٢- شخصية مهيار الباهلي، وفلة العنابية

مهيار الباهلي شخصية بصرية، ثوري مناضل لا يعرف الهزيمة على الرغم من خسارته المتكررة، لندع مهدي جواد يصفه بقوله " كان بصراويا من سلالة الفرات الأوسط والباهلين القدامى، والحسين بن علي، السلالة التي حملت دمها على كفها وكفنها الابيض فوق جسدها وسارت إلى حتفها فلم ينتصر سوى موتها ؛ ويوم خاض مع خاله احمد زكي ومجموعة الاهوار حرب العصابات الخاسرة كان يتوهم أنه يواصل ميراث الخسارات الدامية، والامثولات التي تتراكم لتشكّل ذات صباح أو مساء الصرخة التي تخترنها القرون القديمة لتدوي في القرن العشرين أو الثلاثين أو الخمسين، هادمة جدران زمن الاستبداد والجوع والإبادة الجماعية لشعوب قهرت واستذلت، ثم مالبت أن دفنت تحت سطوة الوحشية للخلفاء، والأمراء الخلعاء والجنرالات الدمى، والأحزاب المستقلة الراكعة " ^(٢٥) .

ومن خلال التحليل الدقيق لشخصية مهيار الباهلي بالوصف الذي ذكره مهدي جواد نستطيع القول بأنه شخصية مركبة قوية، مثقف ثوري، رافض لمواضع الواقع السلبية ومتمرد عليها غير مكتفٍ بالتنظير للتغيير الاجتماعي الذي يطمح له، ومتجاوزاً له حد الانخراط ضمن الفعل الثوري المتمسم بمواجهة الاستعباد، بالانخراط ضمن صف الثورة المسلحة من أجل التغيير الايجابي الذي يحلم به . وظل محافظاً على المواجهة بقوة الكلمة وبقوة الفعل على الرغم من الخيبات المتكررة، وهذا ما جعل مهدي جواد يكبر فيه روح التحدي، بعد أن دافع عنه وضرب أحد المدرسين في المعهد الذي يعمل

فيه، إذاتهمم الأخير بانتمائهم الشيوعي وإثارتهم المشاكل "مهدي جواد وهو يحدق إلى جرح مهيار رأى الرجل يصعد من مرتقاه الأول في نفسه الرجل الذي يفكر ويقاقل في اللحظة الحاسمة ، كان مهيار الباهلي ألان يعلو في عيني مهدي، لا لأنه دافع عنه على نحو شخصي وجرح، بل لأنه اثبت انه يملك قوة الفعل مع قوة الكلمات، وما فعله قلب المعادلة الأحادية عنه في ألان ذاته بدأت أفكار مهدي الهروبية تترنح، كما بدا قراره في الجنوح نحو سفينة أو ملاذ أو امرأة بعيدا عن العواصف، هروبا اخرق لا ينجيه من الأعاصير" (٢٦).

وهو عبر ثوريته المبالغ بها يعبر أحيانا حدود الواقع نحو مصاف الحلم المتخيل، وهذا ما استنتجناه من خلال حديث مهدي جواد عنه في احد حواراته معه حين تحدث مهيار بحماس مبالغ به عن شخصية الثوري ابن بيلا التي ربما وجد نفسه فيها " وهو يتحدث يرفع عينيه نحو الأعلى مواكبا خيوله الجامحة بين دخان سجائره . مهدي جواد يقول في سره " كعادته ها هو ذا صاحبنا يخلق " (٢٧) .

وعلى الرغم من فشل حراكه الثوري المسلح وانتهائه بالهرب من العراق إلى الجزائر فإنه لم يفقد بريق ثوريته المتأجج، ولم يسقط في أتون اليأس كما حدث عند مهدي جواد، بل ضل مشتعلا بتلك الأفكار الثورية التي ما غادرت يوما إيقاع قلبه القوي، وهذا ما أدركناه من قوله لمهدي جواد " سنزور يوما أضرحة الثوار ومواقع المعارك، أقول لك جزائر الثورة منارة مشعة في ليل هذا الذل العربي أنا فرح كطفل افتقد أمه ثم لقيها بعد غياب، تصور إنني في قلب أصداء الثورة، أولا عينوني في معهد أبناء الشهداء، ثانيا وجدت بيتا لدى أرملة عاشت في الجبال مع الثوار " (٢٨) .

ولم يكن التناقض والأمل الثوري هو الخلاف الوحيد بين شخصية مهيار الباهلي وشخصية مهدي جواد، على الرغم من أن كليهما يقعان ضمن النوع الذي أسميناه (الشخصية غير المندمجة مع الواقع)، فمهدي جواد مر بحال من اليأس دفعه إلى اتخاذ الهرب وسيلة من وسائل البحث عن الخلاص، وكان هذا الهرب ممزوجا بالبحث عن الرغبة بوصفه وسيلة لمعالجة الضياع الروحي الذي تمكن منه، في حين رفض مهيار الباهلي الاستسلام لليأس والهرب من واقع طموحاته الثورية كما رفض فكرة الاستسلام

للجنس، وظل محافظاً على وفائه لزوجته في العراق، فضلاً عن محافظته لقيمه الأخلاقية والاجتماعية التي ينتمي لمجتمعها المحافظ، وليس أدل على ذلك من محاولات فلة العنابية المتكررة في إغوائه وإيقاعه في شرك شهواتها المتأججة ورفضه لذلك مراراً حتى عدته عاجزاً جنسياً، في حين أنّ الحقيقة على عكس ذلك فهو لم يكن عاجزاً بقدر سيطرته على غرائزه وتساميه اجتماعياً، ويصف الروائي ذلك عبر مشهد فاضح لامتناع مهيار الباهلي عن ممارسة الرغبة مع فلة العنابية على الرغم من طلبها منه وإغوائها له بطريقة مرضية مثيرة للاشمئزاز عبر ممارستها الاستمناء أمامه، إشارة منها في الوقت ذاته إلى إدانته بضغفه الجسدي^(٢٩).

ولم تكن فلة هي الوحيدة التي تراهن ضعيفاً جنسياً إنما صديقه مهدي جواد كان يراه كذلك زاعماً أنّ السياسة وتأثيرها في حياته هي ما أدت به نحو العجز .

وعلى الرغم من قوة الفعل الثوري المتجسد في شخصية مهيار الباهلي فإنّه تغير آخر الأمر تغيراً كبيراً ليعلن عن انطفاء جذوة الأمل، بالتغيير والاستسلام لمواضعات الواقع الرافض له عبر الهرب نحو الوحدة والانعزال، وإظهار العدائية نحو الآخر، والانغماس في برائث الشهوة وسيطرتها على الجسد بعد أن كان محافظاً لولائه العائلي ليسجل حالة التحول بفعل سلسلة الاحباطات التي مني بها . "عندما يهاجمه الحنين يربد وجهه كجدار محترق كانت تجربة الأهوار تدور في أعماقه كدوامات الأنهار لقد نسيها زمناً وأغلق عليها برتاج فولاذي ثم قذف بالأخطاء والمرارات إلى أعماق البركان المنطفي . لكن ذلك العالم المنسي كان ينقذف في أوقات الاضطراب كما تنقذف الجزر المغمورة فجأة من أعماق المحيط على نحو مباغت انفجر مهيار كبا بوجهه على جذع شجرة دردار واندفع شهيقه كان يضرب الجذع المخرش الصلب بقبضتيه وهو يهذي عن الدمار والغربة والتوحد والأطفال والثورات المغدورة . لأمل . لأمل . الوحل والموت . الحروب الأهلية . الحروب الأهلية . آه آه يألومي أين أنت أين النار في تلك الأيام التائهة والصيف هاجم كلفح الحريق، بدأت أطوار غريبة تظهر في مجرى حياة مهيار الباهلي من خلال سلوكه العدواني مع البشر . وفي الاماسي والنهارات كانت تذمراته تتراءى على شكل شكاوى واشمئزازات وسوداوية .

ففي أيام العطل كان يغلق غرفته أحيانا فلا يخرج حتى الصباح التالي منها فلة ألافتح لأحد يسأل عنه وعندما تحاول أن تسأله عن حالته كان يصرخ في وجهها مستخدما أحط النعوت من البلاهة إلى العهر إلى الممسوخية العقلية . كانت للمدينة بارتجاجاتها البدائية تبدو كأنما مسته بروح شيطانية لوثت عقله المتوازن . شجارات لأنفه الأسباب مع الآخرين . دوران ليلي وحيدا على شطان البحر ، أحاسيس مختلطة عن متآمرين يتربصون به لاغتياله في المنعطفات، وفي منتصف الليالي كانت فلة تقيق هلعة على أصواته وصرخاته المحمومة فتوقضه من كوابيسه ، تجلس قربة لتمسح عرقه^(٣٠).

ويبدو أن هذا التحول الكبير في شخصية مهيار الباهلي كان مرسوما بمقصدية واضحة من لدن الروائي حيدر حيدر، لأن مهيار الباهلي هو الشخصية الوحيدة في الرواية التي كانت تمتلك الأمل الثوري المحافظ على القيم والعادات العرفية والأخلاقية في المجتمع، وخضوعه لثيمة العجز والاستلاب الروحي أحالاه إلى النقيض من أفكاره وايدئولوجيته، فبعد أن كان يرى أن سيطرة الشهوة هي نوع من الاستعباد الجسدي الذي ينبغي التحرر منه، أصبح يرى فيه نجاة من الضياع الروحي الذي أدى به نحو الموت، وضرب بعرض الحائط وفاءه العائلي، ودفن روحه النائية في رحم فلة العناية، ليبدأ مرحلة جديدة من حياته، وهي مرحلة الهوس الجسدي بممارسة الرغبة، مؤكدا فلة ولمهدي عدم إصابته بعنة جسدية . لنرى ذلك المشهد الذي يصف هذا التحول: " قديما قبل صدمة فلة بوعناب بمهيار الباهلي، الصاعقة، كان مهيار يتحدث مع صديقه حول ضرورة التحرر من استعباد الجسد وفي المساءات التي مضت طفق يحلل بطريقة فظة ومثالية تلك العبودية الامتثالية للمرأة : عبودية الشهوة . الرجل المأخوذ باليوتيبيا الثورية والمتوهم انه منذور لأمر عظمى ستتقل قطب التاريخ من جنوبه إلى شماله، كان يرى في اعتناق المرأة هبوطا نحو صغائر الأمور وانحدارا نحو السفح . وليلة تحاورا حول الفشل واليأس، حول الدمار الراهن ونيران المستقبل، أفصح مهدي جواد عن صورة الخراب التي يراها الآن ... في تلك الجلسة تحدث مهيار عن الاستدارة نحو الرحم الشهوي كاستعاضة عن الفشل .

-لكن المرأة مسألة هامة في حياة الإنسان !

مسألة هامة ، لكنها ليست كل شيء . المرأة في هذه البلاد تنزع لان تكون مركز العالم بالنسبة للرجل .. المرأة والحب الجسدي تساوي الموت والفناء . وهي تعطيك رحمها الحار تأخذ دمك وبذرة روحك . هناك تستوطن . عليك أن تسكن في ذلك الجحيم لأنك تتأثرت هناك ذلك يشبه دخول الجذور في الأرض العميقة . أنت ما عدت قادرا على سحب الجذور من الأعماق الحميمة الاشتباك والصرخات البدائية والندى الدافئ وحريرية البشرة تنقصر أعضائك وتصدع إلى راسك لتستوطن الخلايا . تلك هي العبودية . عبودية الهلاك . السطوة التي تستولي عليك فلا تكون إلا صرخة ونداء الجسد . الوحش هو السيد، أما الإنسان فعبد . كم بدا في تلك الجلسة أخرق مكبوتا ومصابا بما يشبه العنة وسموم الأخلاق " (٣١).

ولعل هذا يعد مخالفا للحلم الذي طالما راود مهيار بتغيير جوهر الإنسان وتحرره من شتى ألوان العبودية اتجاه السلطة الدينية والسياسية والاقتصادية، وهو ما أسماه بحلم الإشراق الصوفي " حلم الإشراق في الفعل الصوفي المصاب بلوثة المستقبل الوضاء وهو يدخل تحت أمواج تحولاته، انهدام كلي للعالم القديم، وبناء ارضيا بدءا من بشر جوهرهم جوهر ملائكي، أما أجسادهم فمن لحم ودم، ليكونوا الحالة الجديدة الخارجة من الزمان القديم الصارخ لا اله إلا الله إلى الزمن الصارخ لا اله إلا الإنسان " ولا يخفى على القارئ الكريم أنّ هذا التصور الإلحادي المشوه بأفكار التمرد والثورة ما هو إلا فكر الروائي الحداثي " والحداثة منهج فكري وفلسفي وليست منهجا فنيا فحسب، وقد ارتبطت في نشأتها بتمرد الإنسان الأوربي على الدين أو ممثلي الدين . وإذا كانت اتخذت في أوروبا مسميات مختلفة مثل النهضة والتقدم والتتوير والعلمانية . فإنّها خطوات نحو الإلحادية الدينية كما هو الحال في المجتمعات الرأسمالية أو الإلحادية المادية كما هو الحال في أوروبا الشيوعية " (٣٢). وهذا التناقض الظاهر في فكر شخصية مهيار بين العبودية ونقيضها ليس إلا شكلا من أشكال الاستلاب الفكري. الغريب في الأمر أنّ هذا التحول الكبير والخطير في فكر مهيار الباهلي جاء نتيجة لهلوسات إصابته بفعل مرضه بحمى كادت تؤدي به نحو الموت، ولم يجد الروائي بدا من علاجه وإنقاذه بجسد امرأة ليوضح له في آخر الأمر بخطأ أفكاره القديمة : "سيقول

مهيار لمهدي فى اليوم الثانى بأنه نجا من الموت بأعجوبة، وإذ يفلسف الحالة شاطحا بها من مدارها الواقعى يؤكد بأنه نجا بجسد فلة : لقد افتدنتى كما افتدى الله إسماعيل بالكبش . باغتباط ذاهل يروى ما حدث فىضحك مهدي جواد : إنها المرأة وكفى . مليون مرة وصفناها لك كتميمة لكن لا حياة لمن تنادى يامسيو طهارة "(٣٣).

ولابد من القول أن هذا التغيير وإن كان مسوغا بتكرار احباطات الشخصية، فإنه يعد شكلا من أشكال استلابها، إذ إن التخلي عن الايجابية فى الفكر الثورى وفى الفعل الأخلاقى والانصهار فى بوتقة الضياع والعجز، والركض وراء اللذة تعويضاً عن الإحساس بالضياع شكلا رئيساً من أشكال الاستلاب .

ويبدو لنا أن الروائى قد وقع فى ازدواجية كبيرة حين جعلالرغبة موضوعاً يدل على الاستلاب حيناً، ويدل على المقدس حيناً آخر، إذ لاحظنا استخدام الرغبة بوصفه نوعاً من أنواع المكافأة المعنوية لحال الكفاح والتمرد ضد ضوابط المجتمع، وهذا التقديس لم يكن رمزياً بقدر ما كان محاولة لإعطاء المرأة حريتها بشكل غير مسوغ، وغير نابع من خصوصية المجتمعات العربية التى ينتمى الروائى لها ولتقاليدها العقائدية والأخلاقية والقيمية . فيجعل المرأة المستباحة جسدياً مساوية لروح الله عز وجل، ويضفى عليها الصفات التقديسية من مثل الروح القدس، وهو أمر فى غاية السوء وقلة الأدب مع الخالق العظيم، لاسيما وأنها فنيا لم تكن رمزا لشيء سوى قيمة الاستلاب الروحى والجسدى للشخصية، ننظر إلى مهيار وهو يتحدث عن فلة المقدسة وكيف أنجته من موته المحقق "ينفض مهيار من هذا الاستخفاف فيتحدث عن فلة التى أشعلت النيران فى العراءات تحت الزمهرير . فلة المساوية لروح الله الجامعة هبطت كالروح القدس فجمعت الجسد إلى النفس وأعادت تناسق التكوين الأول بعد اختلاله وفى تلك الأيام الأخيرة بدا مهيار الباهلى رغم يأسه العام ودمار أحلام ثوراته، كأنما اتقد جسده وتوهجت روحه الخاصة بنار اسمها فلة بو عناب . كانت ناراً شخصية تراءت له بغتة فى وقت الضيق كما تراءت العليقة الملتهبة لموسى فى الوادى المقدس طوى، خاطبته : أنت فى الوادى المقدس فاخلع ثيابك وتقدم، بغتة خلع أستاره كلها وتعرى ، اندفع فى اللهب فاكتشف الله فى جسد فلة بو عناب : العاهرة المقدسة

التي وطئها.... الثوريون والمنفيون والسفلة والخنازير ثم لفظوها لفظ النواة بعد امتصاص الثمرة ... لقد غمرته المرأة بالدفع والحنو واللذة . أعطته في لحظة الصقيع وتوقف جريان الدم نبضها وحرارة دمها . اندفعت داخله كحبل سري أمومي لتغذيه وتعيد له حرارة جسده الميت " (٣٤) .

ولا يكتفي الروائي بخلع الصفات التقديسية على المرأة المستباحة جسدياً بل يزيد على ذلك بوصف المشهد الرغبةي وربطه بمشهد إيماني عبر التناص الذي يستوحيه من القرآن الكريم لحدث تكليم الله سبحانه لموسى عليه السلام في الوادي المقدس، وهو أمر منكر لا محالة، إذ كيف يتصور لإنسان سوي التماهي بين الحدث المقدس بتكليم الله لنبيه وإعطائه التعاليم الربانية وأمره بخلع نعليه، بخلع العاهرة لثيابها فهذه جرأة من الكاتب، وتخطٍ لحدود اللياقة مع الخالق سبحانه .

أما شخصية فلة بوعناب فتتمثل أنموذج المرأة التي خاضت النضال السياسي وشاركت في حرب التحرير، لذا هي أنموذج ثوري يعبر عن المرأة الجزائرية التي وقفت ضد المستعمر الفرنسي، بيد أن هذا الوهج الثوري يبدأ بالسقوط في أتون الضياع بعد انتهاء الحرب. " امرأة غريبة . مزيج مستهترمة مع مناضلة خائبة . امرأة حرة، إنسانة مبهمة . عاشت حياة مثيرة وغنية خلال الحرب " (٣٥).

ويبدو أن فلة مرت بحياة قلقة جعلتها شخصية مستلبة تعاني من الضياع الذي أسلمها لحياة الرذيلة، ويبدو أن الروائي يصر على وصفها بالحررة مع أن حياتها أقرب للانحلال منه إلى الحرية " امرأة حرة، الفرنسيون قتلوا أسرتها فتربت في بيت عمته، تزوجت في العشرين وأنجبت ولداً، الزوج كان سكيراً فاسقاً ... فطلقتها ورحلت إلى العاصمة، وهناك عاشت حياة غير سوية، عملت ساقية في بار يرتاده الضباط الفرنسيون " (٣٦) .

وقد وصف الروائي طلاق فلة من زوجها بسبب انحلاله، في حين جعلها تذهب إلى المدينة لتعمل في بار، وهذا تناقض واضح في رسم أبعاد الشخصية الفكرية والسلوكية. وعلى الرغم من منحها البعد الثوري في أيديولوجيتها عبر مشاركتها في حرب التحرير مع المناضلين الجزائريين المقاومين للاحتلال الفرنسي، فإنها - من وجهة

نظري- لا تمثل النموذج المشرف للثورة، وذلك لأنها اتخذت طريق النضال ضد الفرنسيين بسبب خذلانها من حبيبها الضابط الفرنسي الذي كانت على علاقة معه حينما كانت تعمل في البار " بعد اندلاع الثورة وجدت نفسها في خلية سرية من خلايا جيش التحرير، كان الرأس يدوي بأصداء النار من أولئك الخنازير الذين ولغوا فيها عن طريق الضابط الذي أحبته ففذف بها إلى الوحل" (٣٧) . فلم يكن همها وطنيا بقدر كونه انتقاما شخصيا . ويؤكد ذلك الانحراف الذي آلت إليه شخصيتها بعد الثورة إذ أصبحت صاحبة بانسيون مشبوه، لا يهمها شيء سوى تحقيق رغباتها الشخصية، متمردة على الأعراف والتقاليد والأخلاق المتعارف عليها في المجتمع العربي .

ومما يؤكد ما ذهبنا إليه الندم الذي أحست به فلة لانصهارها في أتون الثورة، وهذا يعني أن أيمانها بالمبادئ الثورية لم يكن إيمانا حقيقيا، فهي كثيرة الشكوى من النتائج التي آل إليها البلد أعقاب الثورة تقول لمهدي جواد : " هذا ما ورثته من الثورة، حصيلة عمر ضاع في الريح يا خويا يا مهدي " (٣٨) .

وقد ذهب كثير من الباحثين إلى أن شخصية فلة بو عناب تعد رمزا للثورة الجزائرية المجهضة (٣٩)، وأنا أوافق الدكتورة أسماء محمد معيكل في رفضها هذا الرأي (٤٠)، لأن البناء الدرامي لشخصية فلة وسلوكياتها لا يؤكد ذلك، لاسيما أن انحرافها عن جادة الصواب لم يتأت بعد الثورة وإنما قبلها وضل مستمرا معها حتى نهاية الرواية . ولا تختلف شخصية فلة عن باقي الشخصيات في هذا النمط من حيث اتخاذها الرذيلة وسيلة من وسائل الخلاص من الضياع والتهميش والاستلاب الذي تعانیه، فتتغمس في ملذاتها الشخصية بحثا عن الاتزان النفسي الذي تفقده .

من خلال النص أعلاه يمكن أن نقسم حالات الاستلاب في شخصيات حيدر حيدر الروائية ضمن أنموذج الثوري المتمرد إلى ثلاثة أنواع وهي: الشخصية الباحثة عن ذاتها، والشخصية الهاربة من ذاتها، والشخصية المنكفئة على ذاتها. وهذه الأنواع الثلاثة نصت عليها شخصية فلة بو عناب في حديثها السابق بقولها (مثلي أنت تهرب وتراوح وتنقسم على نفسك) . فالمرآوة هي الانكفاء على الذات لأنها لا تقضي إلى

حلول، والانقسام على الذات هو حالة من حالات البحث عن الذات لخلق التوازن المطلوب.

ويبدو لنا من خلال القراءة الفاحصة للشخصيات أنَّ جميعها مرت بهذه الحالات ضمن تراتبية واحدة عبرتسلسل الأحداث وعلى النحو الآتي : تبدأ الشخصية بالبحث عن الذات بمخالفة الواقع السلبي، ومحاولة مجابهته للتأصيل لمفهوم التغيير الايجابي، بيد أنها تواجه قوى السلطة الثلاثة (الدين - السياسة - المجتمع) وتفشل في التغيير الذي تطمح له، فتتحول إلى المرحلة الثانية وهي مرحلة الانكفاء على الذات بالتأمل والشروء والإحساس بالعجز، لكنها لا تستسلم لهذا الضياع فتحاول الهرب منه والخلاص عبر أشياء كثيرة كالخمر والانحراف وغيرها بوصفها الإكسير السحري للنسيان .

وإن كانت هذه التراتبية تصاغ بمستوى تصاعدي منطقي من خلال بنية الأحداث، فإنها تفقد تلك المنطقية في الترتيب ضمن مستوى البناء الفني للسرد، ومن هنا أتى ذلك الغموض الفني الذي صُبغت به الرواية فجعلها تبدو أكثر تماسكا وتجويدا .

ومن خلال التحليل المفصل لأبعاد الشخصيات الأربعة للنموذج السابق، وجدنا أنَّه من الممكن أن نطبق عليها فرضية البروج الرمزية التي قدمها الدكتور هاني نصر الله، ويعني بها " أنَّ الرموز الشخصية أو الخاصة الأساسية التي تبدو متناثرة في نتاج الأديب لارابط بينها ظاهريا، إنما هي بروج من الرموز المترابطة في كيان كلي أشبه ببروج السماء، ذلك أنَّ هذه الرموز في جوهرها إنما هي تجسيد فني عفوي لرؤيا مركزية، ما فتئت تتردد في أشكال رموز باحثة عن الشكل الأسمى أو المكتمل حتى وجدته " (٤١).

فالسلطة التي هي معادل موضوعي للقمع تمثل البرج الرمزي الأول في منظومة الروائي حيدر حيدر الثقافية، والثورة التي هي معادل موضوعي للتمرد، تمثل برجا رمزيا ثانيا في المنظومة الفكرية للروائي، والاستلاب هو معادل موضوعي للهروب يشكل ثالث الهرم الرمزي وبهذا نجد أنَّ البرج الرمزي للروائي حيدر حيدر يتشكل من ثلاثة أركان رئيسة تحققت في رواياته جميعها وهي (السلطة - الثورة - الاستلاب).

ولابد من القول أن تحليلنا السابق للشخصيات من خلال اعتماد فرضية البروج الرمزية سوغه منهج التأويل الذي مثل لنا " خيارا منهجيا ملائما لقراءة موضوعية للرواية، في جوانبها التعقيدية، فلأن المسألة تقف عند حدود الحساسية الفنية المتمثلة في طبيعة الرواية، التي هي مزيج بين الواقعية والتراث والتأريخ معا، لذلك يجد التأويل مبرراته الموضوعية في العمل على الرواية، من منظور علاقة الحوار الخصب التي تتشأبين الباحث وموضوع بحثه، وهي علاقة التفاعل التي تصوغ مجموع الأسئلة المحفزة حول طبيعة الحوار القائم، بين النص والتراث والتأريخ، بغرض معرفة جوهر الأنظمة الدلالية المؤسسة لبنية النص" (٤٢).

ثانيا : الشخصية غير المدركة لاستلابها (الندمجة مع الواقع برضاها، أو من دون رضاها)

يجسد النوع الأول شخصية الحاج محمد الذي يمثل سيطرة السلطة الدينية والتزمت في تطبيقها، ويعمل الروائي مبضعه في تحليل أبعاد هذه الشخصية من خلال رفضها الاختلاط بين الرجل والمرأة من دون الثوابت الشرعية المعروفة ، إذ يرفض الحاج محمد اللقاء الذي جرى بين آسيا الأخضر ومهدي جواد في بيته الذي استأجره منه الأخير، ويقوم بطرده من البيت " على العتبة فوجئ بوجه الحاج محمد لحيته المزروعة بالبياض كانت ترتجف، ووجهه الأصفر ينضح حقدا... الحاج محمد زائر مهد رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ وعاشق كعبته بدا يائسا تحت ذلك الغروب الكابي، كان مرتبكا يتعثر باختلاطات عقله وأسئلة الجيران الذين خرجوا وبالدمدمات الأخلاقية التي يطلقها ذهنه الملتاث بالأموال والصلوات والكبت الرغبةي" (٤٣). ناهيك عن الإرشادات والتعاليم التي فرضها عليه وهو يؤجر له بيته " ممنوع السهر الطويل .. لاخمرة .. احذر إدخال النساء . نحن قوم شرفاء لا نؤجر إلا للشرفاء" (٤٤) .

ومن الجدير بالذكر أن الاستلاب في هذه الشخصية يمثل وجهة نظر الروائي، وليس وجهة نظر الشخصية، إذ إنه يعدها مستتلة بتماهيها مع الواقع، فالشخصية مقتنعة تماما بأيدولوجياتها الدينية والاجتماعية، لذا لم يعطها بعدا فكريا وفنيا في الرواية فجاءت

شخصية مسطحة، وصفها وصفا بشعا وساخرا يمثل رفضه الضمني لهذا النموذج البشري .

أما النوع الثاني فتمثله شخصية أم آسيا الخضر "لالا فضيلة"، إذ تتزوج بعد استشهاد زوجها سي العربي إرضاء لمواضعات المجتمع الذي يرى في المرأة الأرملة والمطلقة لقمة سائغة يطمع فيها الجميع، تقول: "بعد موت سي العربي رفضت الزواج، قلت أكرس حياتي لتربية أولادي، أخوتي قالوا إذا لم تتزوجي لن ترحمك حجارة الناس . الزوج غطاء وحماية . زوجوني من يزيد ولد الحاج مرغمة السعادة ليست مهمة . الشرف هو المهم"^(٤٥). إن الاستلاب جلي جدا في هذه الشخصية الخاضعة، ولم يكن لها أيضا اثر في السرد، مع تعاطفه معها فجاءت شخصية مسطحة ثانوية .

ولابد من الإشارة إلى وجود شخصية أخرى تدخل ضمن هذا النوع لكن الروائي لم يسلط الضوء عليها كثيرا، ولم تكن سوى شخصية ثانوية تكمل بعض الرؤى الايديولوجية التي يطرحها الكاتب، وهي شخصية منار أخت آسيا الأخضر . يظهر الاستلاب فيها بشكل ضمني من خلال تماهياها مع الرؤى التغريبية في المجتمع العربي، إذ إنها تنفر من كل المقومات الفكرية العربية وتتنظر إليها بتدن واحتقار، متخذة من الفكر الغربي أيقونة ومنهجاً تسير عليه، وتراه عنوان التطور والتحضر، لتنظر إليها وهي تتعجب من حب أختها لرجل عربي، تقول: "لكن آسيا العزيزة الجميلة، الذكية خلقت لتكون زوجة فتى فرنسي طويل، أشقر الشعر، أزرق العينين، شاب معاصر يعرف الحياة الحديثة، يحب الموسيقى والرقص والحفلات، والرياضة والسفر، والمغامرات . في أعماقها تشك أن يكون هذا العراقي هو البديل، ولعلها تتساءل : كيف يكون العربي إلا جزائرياً . يشتهي بلا حب، يتزوج ويغلق الدار على أنثاه خوف الخيانة . يرى في المرأة طاهية ومنجبة، ينتقل من أنثى إلى أخرى ومن حانة إلى حانة، وعندما يمل امرأته يطلقها حسب الشريعة الإسلامية ويتزوج أخرى، وإذا ما اشتبه بها يذبحها كالنعجة . كانت تسمى بلاد العرب : حظيرة الخنازير . أكثر من مرة اصطدمت مع أختها . كانت آسيا تقول لمنار : أنت لست عربية . في دمك يسيل الدم الأزرق . دم جدتك الفرنسية"^(٤٦).

ويمكن القول أنَّ الاستلاب في هذه الشخصية يتم عبر اجتثاثها من جذورها العربية، ونفيها عنها نفيًا قسريًا من خلال تبني مفاهيم حضارة مغايرة للحضارة العربية، والإرث القيمي العربي والإسلامي . ويبدو هذا جليًا في رفضها التام للغة العربية التي تعد رمزا وممثلا للانتماء العربي فهي تراها لغة وعرة تعبر عن البيئة العربية التي انبثقت منها، تقول: " أنا والعربية كيما النار والماء، لانلتقي أبدا، العربية وعرة " (٤٧) . يبدو لنا مما تقدم أنَّ الروائي وظف جميع التقنيات الفنية في رسم هذا النموذج بصورة سلبية منفرة من خلال ما بدا لنا من وصف الشخصيات بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر عن طريق تصوير أفعالها، أو التحدث عنها من وجهة نظر الشخصيات الأخرى المضادة لها، وعدم إعطائها الفرصة لتتحدث عن نفسها وتدافع عن وجهة نظرها " وهي بذلك تتصوي تحت نموذج الشخصية المنفرة، التي تأتي لتمثل نقيض الشخصية الجاذبة، إذ تمتلك سلطة مادية تعوق تحقيق أهداف الشخصية الجاذبة، أو تتصف بصفات أخلاقية سلبية " (٤٨) .

المبحث الثاني

أثر الشخصيات المستلبة في بناء السرد، والفضاء الروائي

لأننا نرى ضرورة تحقق الانسجام بين الشخصية والخطاب الروائي الذي تنادي به، وجدنا أنَّ الروائي أضعف البنية الفكرية في الرواية، من خلال جعله الشخصيات أشبه ببوق ينفخ فيه صوته الفكري ورؤاه، فهي لم تتخلق بحرية تفصلها عن وعي منشئها، وهذا ما ندركه من خلال تقسيمه للشخصيات ووظائفها داخل السرد، فالشخصيات الرئيسية التي أعطاها أثرا في بناء السرد بوصفها شخصيات فاعلة، وأسلمها عنان السرد في أجزاء كثيرة من الرواية كانت شخصيات تعبر عن فكر الروائي، وتنتمي لطبيعته السيكولوجية والنفسية، في حين رسم الشخصيات الراض لها بصورة سطحية، منفرة، ولم يعرها أي أهمية في بناء السرد، وقصر وظائفها الفنية في خدمة الشخصيات المندمجة مع فكره .

ولابد من الإشارة إلى أننا اعتمدنا توصيف سعيد يقطين في تمييزه بين " القصة بوصفها مادة حكاية، والخطاب بوصفه الطريقة في تقديم هذه المادة، لأنَّ الخطاب هو

الأساس، وأهميته تكمن في أنه شكل التعبير الذي يبرز من خلاله الاختلاف، فقد تكون المادة واحدة ومع ذلك نجد كل كاتب يقدمها في خطاب خاص^(٤٩).

أما البنية اللغوية في روايات حيدر حيدر فقد تميزت بالثراء اللغوي، ولا أجد أصوب من رأي عبد الله أبو هيف في توصيفه للغة الشعرية التي تميز بها حيدر حيدر في كتابة رواياته إذ يقول " إنَّ ثراء الاستخدام اللغوي أتاح له منظومة رمزية قوامها رصد الحركة الداخلية حيث الفكر والتأمل والتفكير، وقلة حركية الأفعال، وغلبة الحلم والتذكر، وكثرة الآراء والمناقشات المجردة التي يوردها السارد الكاتب تعبيراً عن مواقفه الخاصة، هادفاً إلى تشكيل ذهني يختلق روابطه المنطقية ضمن سياقه"^(٥٠).

ويبدو للباحثة أنَّ هذا التوصيف للغة حيدر حيدر ينطبق على رواياته جميعها، مما أكسبه أسلوباً يميزه في عالم الرواية، وهو متحقق حتماً في رواية (وليمة لأعشاب البحر) التي نحن بصدد البحث عن شخصياتها المستلبة وأثرها في بناء السرد . ويمكن تعريف السرد الروائي بأنه " عرض موجه لمجموعة من الحوادث والشخصيات المتخيلة أو غير المتخيلة عن طريق اللغة المكتوبة، فالعرض يعني تقديم الحوادث والشخصيات متتابعة على نحو معين، أما التوجيه فيعني إجادة تقديم الحوادث والشخصيات فتبدو مقنعة للمتلقي ويشير ظاهر الرواية إلى وجود نمطين من السرد هما: السرد والحوار وهو ظاهر خادع، لأنَّ الحوار جزء من السرد وليس شيئاً مغايراً له . فالرواية عملية سردية واحدة . بذلك يمكن تحليل العلاقات بين مكونات السرد سواء أكانت خاصة بالخطاب أو الحوار أو الوصف"^(٥١).

يتشارك مهدي جواد السرد مع الراوي الغائب، وتبدأ الرواية بحدث وصول مهدي إلى الجزائر، وقيامه بمهمة تدريس آسيا الأخضر للغة العربية، متخذاً الزمن الحاضر أطراً لرواية الأحداث، ثم ينتقل عبر أسلوب التذكروالمضي إلى عرض حدث التمرد الذي قام به مهدي ومجموعة من الشيوعيين على السلطة الحاكمة في العراق، وهنا يتحول الزمن إلى المضي فيتداخل الماضي بالحاضر . وتستمر هذه التداخلات الزمنية في عرض الأحداث ضمن فصول الرواية جميعها. " فقد لجأ الكاتب إلى طريقة السرد بضمير الغائب الذي تداخل وتقاطع بين الراوي وبين مهدي جواد فجرى التناوب

السردى بينهما متناسبا مع التناوب الزمنى، فكانت ذكريات مهدي جواد عن الماضى تتداخل بالماضى ذاته، ثم تنتقل من جديد إلى الحاضر، ناقلة للقارئ انعكاسات الأحداث والوقائع الماضىة المختزنة فى ذاكرته، وفعاليتها الآنية فى وعيه لينتقل السرد مرة أخرى إلى لسان الراوى بضمير الغائب^(٥٢) .

وقد وظف الروائى تقنيات فنية عدة لخلق التداخل ما بين الزمن الماضى والحاضر فى رسم الأحداث والشخصيات، نذكر على سبيل المثال المونتاج السينمائى فى ترتيب المشاهد والأحداث فضلا عن تقنية الفلاش باك عبر ذكريات الشخصية وغيرها .

كما أفاد الروائى من " تقانات الصورة السردية التى تعرض الأشياء متحركة، والصورة الوصفية التى تعرض الأشياء فى سكونها "^(٥٣) مما جعل البناء الفنى فى الرواية يتميز بالتماسك والإبداع .

وإذا نظرنا إلى طبيعة تشكل الحوار فى الرواية بوصفه أحد البنيات السردية نجد أن معظم الشخصيات التى أسهمت فى تكوينه هى الشخصيات الأربعة الرئيسة (مهدي جواد - مهيار الباهلى - آسيا الأخضر - فلة العنابية)، وهم على الرغم من اختلافهم فى الرؤى وطبيعة تحقيقها فهم مشتركون بثيمة رئيسة، وهى تعبيرهم عن الرؤية الأيديولوجية الفكرية التى يصدر عنها الروائى . وهذا ما أضعف من الوظيفة الفنية للحوار .

ويمكن أن نوجز السمات الرئيسة التى تميز بها الحوار عند حيدر حيدر، على النحو الآتى^(٥٤) :

- ١- غلبة الطابع الفكرى التجريدى .
- ٢- هيمنة المؤلف/ السارد على الحوار على الرغم من تعدد الأصوات .
- ٣- اقتراب لغة الحوار من الشعرية التى تخفف الطابع الفكرى للحوار .
- ٤- سيطرة الحوار الداخلى عندما يغيب الحوار بين طرفين . وهو حوار مكتوب بلغة الهاجس، ويعتمد على الغوص فى أعماق النفس الإنسانية لرصد ما يدور فى داخلها .
- ٥- تطعيم الحوار باللهجة العامية المحلية أو باللهجة قطر عربى آخر .

وإذا نظرنا إلى أثر الشخصية المستلبة في بناء الفضاء الروائي من حيث الزمان والمكان وجدنا أنَّ الروائي وفر التقنيات الفنية المعروفة جميعها في بناء الأحداث، ورسم الشخصيات بصورة فنية، مما أفضى إلى اختلاط الواقعي بالخيالي، الماضي بالحاضر، الزمن الطبيعي بالزمن النفسي، المكان الحقيقي بالمكان المتخيل . عبر الاستباق والاسترجاع، تيار الوعي كتابة الرسائل واليوميات، المونتاج السينمائي، التصوير الدقيق للمكان وانعكاسات نفسية الشخصية عليه وغيرها .

ولابد من الإشارة إلى أنَّ العناصر المكونة للفضاء الروائي تشمل " الأماكن المتفرقة المترددة خلال مسار الحكى، فالفضاء في الرواية هو مجموع الأمكنة التي تقوم عليها الحركة الروائية المتمثلة في سيرورة الحكى، سواء تلك التي تمَّ تصويرها بشكل مباشر أم تلك التي تدرك بالضرورة وبطريقة ضمنية مع كل حركة حكاية . ثم إنَّ الخط التطوري الزمني ضروري لأدراك فضائية الرواية "(٥٥).

وإذا نظرنا إلى طبيعة المكان في رواية الوليمة وجدناه في أغلب الأحيان مكانا معاديا من خلال التصوير الفني الذي يشكله الروائي، باختياره الزمن القاتم والأماكن الوعرة حيث تجري داخلها الأحداث، وتتحرك الشخصيات بما تلقى عليها من انعكاسات نفسياتها المستلبة الضائعة ونحن هنا لسنا بصدد دراسة الفضاء الروائي دراسة فنية مقصودة لذاتها، بقدر اهتمامنا بالأثر النفسي للشخصيات المستلبة التي تركت ظلالها على أبعاد الفضاء الروائي .

وهذا نجده جليا في مجموع الأحداث التي وقعت في أهوار العراق حيث وجد التمرد الشيوعي وقسوة السلطة في إبادته ومطاردته، وقتل وتشريد منظميته وأتباعه، وفي الجزائر يجري الحديث عن الحصاد الدموي الذي مارسه السلطة ردا على مؤيدي حكم ابن بيلالشيوعي، فيحدد المكان والزمان بصورة دقيقة اذ تجري في التاسع من شهر حزيران في شارع أول نوفمبر، وريزي عمر وساحة إفريقيا(٥٦) .

وهذا ما يجعلنا نؤمن بأنَّ المكان يشارك في توليد معنى النص الروائي فتنقل لغة المكان "من وصفه مجرد خلفية إلى مستوى فني تمنحه البعد الاجتماعي، والثقافي، منطلقة من رؤية ايديولوجية شاملة تحوي قضايا متعددة ومتباينة "(٥٧)

لقد عمد الروائي إلى رسم صورة الزمن والمكان السلبيين من أجل تعميق إحساس المتلقي باستلاب الشخصيات وضياعها بل وتضييعها، لاستنتاج التشابه بين الأزمنة والأمكنة، ودعوة الإنسان إلى رفضها والعودة إلى الطبيعة والحياة البدائية الأولى من أجل التطهر من وطأة الزمان وزيف المكان . فمهدي وآسيا يهربان من وطأة المدينة إلى البحر، ومهدي يتجه في نهاية الرواية إلى البحر " مهدي جواد مايزال يسير أو يعدو وتحت قدميه ترن الأرصفة وترن المدينة . على الشبكية تفر بونة بقاماتها الشاهقة والمنحنية والمكسورة هاوية على مهل نحو قاع الذاكرة. مدينة المنفى والحب والملاذ والطبيعة الوهاجة تنتثر الآن ذرات هلامية محوة المعالم كبقايا سفينة تغرق في أعماق المحيط . على سطح البحر المختلج تعوم منها ندبة .

آسيا

ها قد ظهرت الحقائق ومقابر الشهداء وأبواب البحر أخيرا . من سياج حديقة يقطف الرجل وردة حمراء ثم يلج المقبرة المتاخمة لفاصل البحر . نصب تذكاري يرتفع على بوابة المقبرة . رمح من الرخام علاه غبار . على قاعدة النصب ينحني الرجل ويضع الوردة الحمراء، ثم يخطو نحو البحر، على الرمل يتعري ثم يصعد صخرة . يتنفس بعمق، الهواء الرطب، وباندفاعه طائر يقذف جسده إلى البحر^(٥٨).

وأنا أوافق الباحثة عادة خليل التي ترى أنَّ الهرب إلى الطبيعة ما هو إلا فضاء حلمي ورمزي أكثر منه واقعيًا، فالإنسان يحلم بالتجاوز وتخطي التردى في حياته الشخصية ونفسيته ومحيطه فيهرب للطبيعة تاركا المدينة وراء ظهره^(٥٩).

بيد أنَّ الروائي بطرحه البديل الحلمى والرمزى - أي الهرب للطبيعة - لم يكن موفقا في تشكيل بديل واقعي لتجاوز حالة الاستلاب لدى شخصياته المتأزمة، بل إنه عمد إلى تشكيل حالة الاستلاب لدى المتلقي أيضا وتغريبه عن طريق مستويين، الأول : يجعل المتلقي يشعر بالسخط على الزمان والمكان لزيغهما من خلال الصورة المرسومة لهما، وبالتالي يرفضهما ويحس بالاستلاب عنهما . والثاني : أنَّها تطرح بديلا معقولا غير ممكن التحقق وهو ما يعمق حس الفرد بالاستلاب، لأنَّه لا يستطيع

أن يجد البديل الذي يستطيع أن يفعل فيه كل ما يريده محققا حريته التي يدعوه النص إليها، مما يجعله يبحث عن تحقيق هذه الحرية بوسائل غير مشروعة^(٦٠).
ومن هنا نجد أنّ الفضاء العام المهيمن على الرواية فضاء مقهور ومتوتر ينطوي على ضياع عميق " ويحظى التشكل الإيروسي فيه بحضور طاغ وجوهري ومقصود، وهو في مضمونه الدفين تشكل هارب يسعى إلى الانتصار على اللحظة السردية المشبعة بالقهر والتوتر وفقدان الأمل ... بحيث يتمظهر فيه الجسد بوصفه العلامة الأبرز والأخطر لهذه الفعالية البشرية المهددة دوماً بالقهر والإقصاء وتحديد قوة الفعل" ^(٦١).

خاتمة البحث

فى نهاية المطاف ، بعد تجوالنا فى العالم الروائى لرواية وليلة لأعشاب البحر، بحثا عن موضوعة الاستلاب التى جسدتها شخصيات الرواية بأبعادها الفكرية، والفنية السردية، لابد من ذكر النتائج التى توصلنا لها ، وهى على النحو الآتى :

١- حاول الروائى معالجة فكرة تثير إشكالية جدلية مفادها الضياع الذى تعانىة شخصية الإنسان المهزوم ، ومحاولاته الدائبة المختلفة فى التخلص من هذه الحال . وقد عبر عن هذه الإشكالية من خلال تعانق تجربتين ضمن بيئتين مختلفتين، تجربة الإنسان العراقى فى ثورته ضد السلطة الوطنية المستبدة ،وتجربة الإنسان الجزائرى فى ثورته المضنية ضد الاستعمار الفرنسى . والشخصيات فى كلتا التجربتين فشلتا فشلا كبيرا فى تحقيق النجاح المرجو . مما أفضى بهم إلى الانكفاء على الذات، والبحث عن سبل مختلفة للخلاص.

٢- لقد قسمت شخصيات الرواية بحسب فكرة ظهور الاستلاب، ونوعه فيها، إلى نمطين رئيسيين : النمط الأول: (الشخصية المدركة لاستلابها) و النمط الثانى : (الشخصية غير المدركة لاستلابها) .

٣- اعتمدنا معيارا خاصا فى تصنيف الشخصيات المستتلة ضمن هذين النمطين، وهو اندماج الشخصية مع الواقع، أو عدم اندماجها معه ورفضها إياه ، وقد توصل البحث من خلال الاستقراء الشامل للشخصيات إلى أن نمط (الشخصية المدركة لاستلابها) جسده الشخصيات الرئيسة المركبة، الفاعلة فى بناء الحدث، والمؤثرة فى بناء السرد . ولابد من الإشارة إلى أن جميعها تمثل أنموذج (الثورى المتمرد) . كما وصفناها بالشخصيات المدركة لاستلابها، لأنها واعية ومدركة لحال الاستلاب الذى أفضت إليه، احتلت مساحة واسعة من السرد، وقد عمد الروائى إلى وصفها وصفا دقيقا على مستوى الشكل، وعلى مستوى الفكر والأيدىولوجية والسلوك والأفعال، فضلا عن رسم أبعادها النفسية وعوالمها الداخلية عبر التقنيات الفنية الحديثة من خلال استخدام تقنية تيار الوعي وكتابة اليوميات والحلم، والاستبطان الداخلى للنفس . وقد عمدنا إلى تسمية شخصيات هذا النمط بـ

(الشخصيات غير المندمجة مع الواقع، والمتمردة عليه) . مثل هذا الأنموذج في الرواية أربع شخصيات وهم : (مهدي جواد - مهيار الباهلي - آسيا الأخضر - فلة العنابية) ، وقد جمعتهم صفات التمرد على الواقع والثورة عليه ورفضه، وفرقتهم رؤاهم الأيديولوجية لتحقيق هذا التغيير، كما جمعهم أيضا فشلهم في الوصول لأحلامهم واستبطانهم أحاسيس العجز والضياع والاستلاب.

٤- أما نمط (الشخصية غير المدركة لاستلابها) فقد جسده الشخصيات الثانوية التي وُظفت لتسد الفجوات داخل السرد، إذ تكمل الرؤية أو المنظور الذي يريد الروائي مناقشة أبعاده وعرضها . ووجدنا أن الروائي رسمها بصورة مهمشة، وسلبية، وسطحية محاولا بذلك إعلاء شأن النموذج الثوري المتمرد، ولم يكن لها أثر فاعل في بناء الحدث، كما لم يكن لها أثر في بناء السرد .

٥- برز الاستلاب في نمط (الشخصيات غير المدركة لاستلابها) من منظور الروائي والراوي بشكل إيحائي، فالشخصية الممثلة لهذا الأنموذج غير واعية ومدركة لحال الاستلاب الذي تؤصله، بل هي مقتنعة بصحة ما تعتقه من مفاهيم، وإيديولوجيات وسلوكيات خاطئة، تفضي إلى تحطيم واقع المجتمع الإيجابي المتخيل، أو ما نسميه بالواقع الحلم والمثال. لذا نراها شخصيات بسيطة غير مركبة، يعطيها الراوي أوصافا منفرة في كثير من الأحيان بقصد بيان رفضه لها واستهجانها لمواقفها . وقد وظف الروائي جميع التقنيات الفنية في رسم هذا النمط بصورة سلبية منفرة من خلال ما بدا لنا من وصف الشخصيات بشكل مباشر، أو بشكل غير مباشر عن طريق تصوير أفعالها، أو التحدث عنها من وجهة نظر الشخصيات الأخرى المضادة لها، وعدم إعطائها الفرصة لتتحدث عن نفسها وتدافع عن وجهة نظرها .

٦- ارتأينا أن نقسم حالات الاستلاب في شخصيات حيدر الروائية ضمن نمط (الشخصية المدركة لاستلابها) المتشكلة على وفق أنموذج الثوري المتمرد، إلى ثلاثة أنواع وهي : الشخصية الباحثة عن ذاتها، والشخصية الهاربة من ذاتها، والشخصية المنكفئة على ذاتها) . وبدا لنا من خلال القراءة الفاحصة للشخصيات

أنّ جميعها مرت بهذه الحالات ضمن تراتبية واحدة عبر تسلسل الأحداث وعلى النحو الآتي : تبدأ الشخصية بالبحث عن الذات بمخالفة الواقع السلبي، ومحاولة مجابهته للتأصيل لمفهوم التغيير الإيجابي، بيد أنها تواجه قوى السلطة الثلاثة (الدين - السياسة - المجتمع) وتفشل في التغيير الذي تطمح له، فتتحول إلى المرحلة الثانية وهي مرحلة الانكفاء على الذات بالتأمل والشروء والإحساس بالعجز، لكنها لا تستسلم لهذا الضياع فتحاول الهرب منه والخلاص عبر أشياء كثيرة كالخمر والانحراف وغيرها بوصفها الأكسير السحري للنسيان . وإن كانت هذه التراتبية تصاغ بمستوى تصاعدي منطقي من خلال بنية الأحداث، فإنّها تفقد تلك المنطقية في الترتيب ضمن مستوى البناء الفني للسرد، ومن هنا أتى ذلك الغموض الفني الذي صبغت به الرواية فجعلها تبدو أكثر تماسكا وتجويدا .

٧- تشكل البرج الرمزي للروائي حيدر حيدر من ثلاثة أركان رئيسة تحققت في رواياته جميعها وهي (السلطة - الثورة - الرغبة) . جسدت جميعها بوصفها معادلا موضوعيا للقمع والتمرد والهرب . وكان اعتمادنا فرضية البروج الرمزية مسوغا بمنهج التأويل الذي مثل لنا خيارا منهجيا ملائما لقراءة موضوعية للرواية. وقد عبر الروائي عن موضوعاته الرئيسية المتشكلة من هذا الثالوث بشكل رمزي، ويؤكد ذلك الطريقة الفنية التي اتبعها في بناء السرد، فالانتقال الفني المفاجئ في تسلسل الأحداث ما بين الماضي والحاضر . و التلاعب الفني بين تداخل الزمان والمكان والحدث في رسم المشهد يؤكد مقصدية في توجيهه أيديولوجيته الخاصة نحو مفاهيم الثورة والتمرد والمجابهة.

٨- على الرغم من أنّ مهدي جواد هو البطل المحوري في الرواية، فإنّ رؤيته الأيديولوجية لم تكن ناضجة كما كانت عند شخصية آسيا الأخضر .وهي مع نضجها كانت تعاني من الاستلاب .

٩- نلاحظ أنّ الروائي قرن السلطة الأبوية بالسلطة الدينية، وتعد رؤيته لسيطرة الدين والفكر الذكوري في المجتمع مؤسسة للانفصال عن الإرث القيمي، والعرفي، والفكري والديني والثقافي للمجتمع العربي هي دعوة مرفوضة مطلقا، وتقضي

إلى تشويه الإنسان العربي واجتثاثه من جذوره وبيئته، فضلا عن تسليمه لحال الاستلاب والضياع النفسي، لاسيما أن هذا الانفصال مقرون بدعوى التحرر الزائف، وتحويل المعنى السامي للحرية إلى معاني الإباحية المطلقة .

١٠- جعل الروائي الرغبة وسيلة من وسائل الهرب من الواقع، كما جعله وسيلة من وسائل المكافأة المعنوية لتحقيق فعل المجابهة من خلال الكفاح والتمرد ضد ضوابط المجتمع. ويبدو لنا أنه وقع في ازدواجية كبيرة حين جعل من الرغبة موضوعا يدل على الاستلاب حيناً، ويدل على المقدس حيناً آخر، إذ لاحظنا استخدام الرغبة بوصفه نوعاً من أنواع المكافأة المعنوية لحال الكفاح والتمرد ضد ضوابط المجتمع، وهذا التقديس لم يكن رمزياً بقدر ما كان محاولة لإعطاء المرأة حريتها بشكل غير مسوغ وغير نابع من خصوصية المجتمعات العربية التي ينتمي الروائي لها ولتقاليدها العقائدية والأخلاقية والقيمية. فيجعل من المرأة المستباحة جسدياً مساوية لروح الله عز وجل ويضفي عليها الصفات التقديسية من مثل الروح القدس، وهو أمر في غاية السوء وقلة الأدب مع الخالق العظيم، ولاسيما أنها فنياً لم تكن رمزا لشيء سوى ثيمة الاستلاب الروحي والجسدي للشخصية . ولا يخفى على القارئ الكريم أن هذا التصور الإلحادي المشوه بأفكار التمرد والثورة ما هو إلا فكر الروائي الحداثوي.

١١- لقد طرأ التغيير والتحول على الشخصيات الممثلة لنمط (الشخصية المدركة لاستلابها) وهم مهدي جواد - مهيار الباهلي - فلة العنابية - آسيا الأخضر، فمهدي جواد مر بحال من اليأس دفعه إلى اتخاذ الهرب وسيلة من وسائل البحث عن الخلاص، وكان هذا الهرب ممزوجاً بالبحث عن الرغبة بوصفها وسيلة لمعالجة الضياع الروحي الذي تمكن منه في حين رفض مهيار الباهلي الاستسلام لليأس والهرب من واقع طموحاته الثورية كما رفض فكرة الاستسلام للرغبة، وضل محافظاً على وفائه لزوجته في العراق، فضلاً عن محافظته لقيمه الأخلاقية والاجتماعية التي ينتمي لمجتمعها المحافظ. وعلى الرغم من قوة الفعل الثوري المتجسد في شخصية مهيار الباهلي فإنه تغير آخر الأمر تغيراً كبيراً ليعلن عن

انطفاء جذوة الأمل، بالتغيير والاستسلام لمواضعات الواقع الراض له عبر الهرب نحو الوحدة والانعزال، وإظهار العدائية نحو الآخر، والانغماس في برائن الشهوة وسيطرتها على الجسد .

١٢- لا تعد شخصية فلة بو عتاب رمزا للثورة الجزائرية المجهضة، لأنّ البناء الدرامى لها وسلوكياتها لا يؤكدان ذلك، لاسيما أنّ انحرافها عن جادة الصواب لم يتأت بعد الثورة وإنما قبلها وذل مستمرا معها حتى نهاية الرواية .

١٣- وجدنا أن الروائى أضعف البنية الفكرية فى الرواية، من خلال جعله الشخصيات أشبه ببوق ينفخ فيه صوته الفكرى ورؤاه، فهى لم تتخلق بحرية تفصلها عن وعى منشئها وهذا ما أدركناه من خلال تقسيمه للشخصيات ووظائفها داخل السرد، فالشخصيات الرئيسة التى أعطاهما أثرا فى بناء السرد بوصفها شخصيات فاعلة، وأسلمها عنان السرد فى أجزاء كثيرة من الرواية كانت شخصيات تعبر عن فكر الروائى، وتنتمى لطبيعته السيكولوجية والنفسية، فى حين رسم الشخصيات الراض لها بصورة سطحية، منفرة ولم يعرها أى أهمية فى بناء السرد، وقصر وظائفها الفنية فى خدمة الشخصيات المندمجة مع فكره .

١٤- تميزت البنية اللغوية فى الرواية بالثراء اللغوى، مما أتاح لها منظومة رمزية قوامها رصد الحركة الداخلية حيث الفكر والتأمل والتفكير، وقلة حركية الأفعال، وغلبة الحلم والتذكر، وكثرة الآراء والمناقشات المجردة التى يوردها السارد الكاتب تعبيرا عن مواقفه الخاصة، هادفا إلى تشكيل ذهنى يخلق روابطه المنطقية ضمن سياقه.

١٥- تشارك مهدي جواد السرد مع الراوى الغائب، واتخذ الزمن الحاضر أطارا لرواية الأحداث، ثم انتقل عبر أسلوب التذكر الومضى إلى عرض أحداث ماضية، وهنا يتحول الزمن إلى المضى فيتداخل الماضى بالحاضر . وتستمر هذه التداخلات الزمنية فى عرض الأحداث ضمن فصول الرواية جميعها. وقد وظف الروائى تقنيات فنية عديدة لخلق التداخل ما بين الزمن الماضى والحاضر فى رسم الأحداث والشخصيات، نذكر على سبيل المثال المونتاج السينمائى، تقنية الفلاش

باك، فضلا عن تقانات الصورة السردية والصورة الوصفية، مما جعل البناء الفني في الرواية يتميز بالتماسك والإبداع.

١٦- ضَعُفَت الوظيفة الفنية للحوار، وذلك لأنَّ معظم الشخصيات الرئيسة التي أسهمت في تشكيله لم تكن تعبر عن رؤاها الذاتية، بل تعبر عن الرؤية الأيديولوجية الفكرية التي يصدر عنها الروائي .

١٧- لقد عمد الروائي إلى رسم صورة الزمن والمكان السلبيين من أجل تعميق إحساس المتلقي باستلاب الشخصيات وضياعها بل وتضييعها، لاستنتاج التشابه بين الأزمنة والأمكنة جميعها، ودعوة الإنسان إلى رفضها والعودة إلى الطبيعة والحياة البدائية الأولى من أجل التطهر من وطأة الزمان وزيف المكان .

١٨- لم يكن الروائي موفقا بطرحه البديل الحلمي والرمزي - أي الهرب للطبيعة - لتشكيل بديل واقعي يتجاوز به حال الاستلاب لدى شخصياته المتأزمة، بل إنه عمد إلى تشكيل حالة الاستلاب لدى المتلقي أيضا وتغريبه عن طريق مستويين، الأول : يجعل المتلقي يشعر بالسخط على الزمان والمكان لزيّفهما من خلال الصورة المرسومة لهما، وبالتالي يرفضهما ويحس بالاستلاب عنهما . والثاني : أنّها تطرح بديلا معقولا غير ممكن التحقق وهو ما يعمق حس الفرد بالاستلاب، لأنّه لا يستطيع أن يجد البديل الذي يستطيع أن يفعل فيه كل ما يريده محققا حريته التي يدعوه النص إليها، مما يجعله يبحث عن تحقيق هذه الحرية بوسائل غير مشروعة . ومن هنا نجد أنّ الفضاء العام المهيمن على الرواية فضاء مقهور ومتوتر ينطوي على ضياع عميق .



- (١) الرواية والعنف دراسة سوسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة: د. الشريف حبيلة - عالم الكتاب الحديث الأردن - الطبعة الأولى - ٢٠١٠ : ص ٣
- (٢) وليمة لأعشاب البحر (نشيد الموت) : حيدر حيدر، ورد للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، الطبعة السادسة، ١٩٩٨ : ص ١١
- (٣) ينظر: م. ن : ص ٧٨
- (٤) م. ن : ص ٨٤
- (٥) م. ن : ص ٢٧
- (٦) م. ن : ص ٢٥
- (٧) م. ن : ص ١٦
- (٨) م. ن : ص ١٨
- (٩) م. ن : ص ٤٣
- (١٠) م. ن : ص ٣٧-٣٨
- (١١) م. ن : ص ١٢٢-١٢٣
- (١٢) م. ن : ص ١٤٩
- (١٣) م. ن : ص ٣٣٨
- (١٤) م. ن : ص ٣٣١
- (١٥) م. ن : ص ١٨٩-١٩٠
- (١٦) م. ن : ص ٣٤٤
- (١٧) ينظر : م. ن : ص ٣٤٧-٣٤٨
- (١٨) م. ن : ص ٩٩-١٠٠
- (١٩) هناك مشهاد كثيرة في الرواية تصف تلك الحال يمكن للقارئ الرجوع إليها في الرواية ضمن الصفحات الآتية وغيرها : ص ١١٢-١١٤
- (٢٠) ينظر : الوليمة : ص ٣٣٠-٣٣٢
- (٢١) م. ن : ص ٣٣٤
- (٢٢) م. ن : ص ٣٥٥-٣٥٦
- (٢٣) م. ن : ص ٣٩٩
- (٢٤) م. ن : ص ٣٦٨-٣٦٩

- (٢٥) م. ن : ص ٢١
- (٢٦) م. ن : ص ٣١٨
- (٢٧) م. ن : ص ٢٠
- (٢٨) م. ن : ص ١٩
- (٢٩) ينظر المشهد كاملا في الرواية، وقد أثرت عدم نقله لخدشه للحياء: ص ١١٢-١١٤
- (٣٠) ينظر الوليمة : ص ٣٠٣-٣٠٥
- (٣١) م. ن : ص ٣٢٥-٣٢٦
- (٣٢) الأدب والصراع الحضاري : عبود شلتاغ، ط١، دار المعرفة - دمشق : ص ١٥
- (٣٣) م. ن : ص ٣٢٣
- (٣٤) الوليمة : ص ٣٢٤
- (٣٥) م. ن : ص ٣١
- (٣٦) م. ن : ص ٥٤
- (٣٧) م. ن : ص ٥٤
- (٣٨) م، ن : ص ٣١
- (٣٩) ينظر : المنفى السياسي في الرواية العربية (حيدر حيدر، حنا مينا) : مراد كاسوحة - دار الحصاد - دمشق - الطبعة الأولى - ١٩٩٠ : ص ٥٢
- (٤٠) ينظر: الأصالة والتغريب في الرواية العربية، روايات حيدر حيدر نموذجا دراسة تطبيقية : د. أسماء أحمد معيكل عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١١: ص ٢٠٧
- (٤١) تجليات البروج الرمزية في الأعمال المسرحية والروائية والشعر الحديث : د. هاني نصر الله - عالم الكتب الحديث الأردن - الطبعة الأولى - ٢٠١١ : ص ١١
- (٤٢) شعرية القراءة والتأويل في الرواية الحديثة : د. فتحي بو خالفة - عالم الكتب الحديث - الأردن - الطبعة الأولى - ٢٠١٠ : ص ٣٣٩
- (٤٣) الوليمة : ص ٢٨-٣٠
- (٤٤) م. ن : ص ١٧
- (٤٥) م. ن : ص ٣٩
- (٤٦) م. ن : ص ٣٤٢
- (٤٧) م. ن : ص ٣٤٣

- (٤٨) بناء الرواية العربية السورية : سمر روجي الفيصل - اتحاد الكتاب العرب - دمشق - الطبعة الأولى : ص ١٣٧
- (٤٩) تحليل الخطاب الروائى : سعيد يقطين - المركز الثقافى العربى - الدار البيضاء - الطبعة الأولى : ص ٣٨٢
- (٥٠) أزمة الذات فى الرواية العربية : عبد الله أبو هيف - عالم الفكر - الكويت - العدد الرابع - ١٩٩٦ : ص ٢٤٥
- (٥١) بناء الرواية العربية السورية : ص ٢٩٨-٢٩٥
- (٥٢) المنفى السياسى فى الرواية العربية : ص ٢٤
- (٥٣) بناء الرواية : سيزا قاسم - دار التنوير - بيروت - الطبعة الأولى - ١٩٨٥ : ص ١١٣
- (٥٤) ينظر : الأصالة والتغريب فى الرواية العربية : ص ٣١٠ - ٣١٤
- (٥٥) بنية النص السردى : حميد الحمدانى - المركز الثقافى العربى - بيروت - الطبعة الثانية - ١٩٩٣ : ص ٦٤
- (٥٦) ينظر : الوليمة : ص ٣٧٦-٣٧٧
- (٥٧) المكان فى الرواية العربية الصورة والدلالة : عبد الصمد زايد - دار محمد على - تونس - الطبعة الأولى - ٢٠٠٣ : ص ٩
- (٥٨) الوليمة : ص ٣٧٦
- (٥٩) ينظر : الاغتراب فى أدب حيدر حيدر : غادة محمود خليل - رسالة ماجستير - كلية الدراسات العليا فى الجامعة الأردنية : ص ٥٠ . نقلا عن الأصالة والتغريب فى الرواية العربية ... : ص ٣٢٨
- (٦٠) ينظر : الأصالة والتغريب فى الرواية العربية ... : ص ٣٢٩
- (٦١) المغامرة الجمالية للنص الروائى : د. محمد صابر عبيد - عالم الكتب الحديث - الأردن - الطبعة الأولى : ص ١٩٤ .

المصادر والمراجع

(الكتب)

- ١- الأدب والصراع الحضاري : عبود شلتاغ - الطبعة الأولى - دار المعرفة - دمشق .
- ٢- أزمة الذات في الرواية العربية : عبد الله أبو هيف - عالم الفكر - الكويت - العدد الرابع ١٩٩٦ .
- ٣- الأصالة والتغريب في الرواية العربية، روايات حيدر حيدر نموذجاً دراسة تطبيقية : د. أسماء أحمد معيكل عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١١ .
- ٤- بناء الرواية : سيزا قاسم - دار التنوير - بيروت - الطبعة الأولى - ١٩٨٥ .
- ٥- بناء الرواية العربية السورية : سمر روجي الفيصل - اتحاد الكتاب العرب - دمشق الطبعة الأولى .
- ٦- بنية النص السردي : حميد الحمداني - المركز الثقافي العربي - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٩٣ .
- ٧- تجليات البروج الرمزية في الأعمال المسرحية والروائية والشعر الحديث : د. هاني نصر الله - عالم الكتب الحديث - الأردن - الطبعة الأولى - ٢٠١١ .
- ٨- تحليل الخطاب الروائي : سعيد يقطين - المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء - الطبعة الأولى .
- ٩- الرواية والعنف دراسة سوسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة: د. الشريف حبيلة عالم الكتاب الحديث الأردن- الطبعة الأولى - ٢٠١٠ .
- ١٠- شعرية القراءة والتأويل في الرواية الحديثة : د. فتحي بو خالفة - عالم الكتب الحديث الأردن - الطبعة الأولى - ٢٠١٠ .
- ١١- المغامرة الجمالية للنص الروائي : د. محمد صابر عبيد - عالم الكتب الحديث - الأردن الطبعة الأولى .
- ١٢- المكان في الرواية العربية الصورة والدلالة : عبد الصمد زايد - دار محمد علي - تونس الطبعة الأولى - ٢٠٠٣ .
- ١٣- المنفى السياسي في الرواية العربية (حيدر حيدر، حنا مينا) : مراد كاسوحة - دار الحصاد دمشق - الطبعة الأولى - ١٩٩٠ .
- ١٤- وليمة لأعشاب البحر (نشيد الموت) : حيدر حيدر، ورد للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا الطبعة السادسة، ١٩٩٨ .

(الرسائل الجامعية)

١- الاغتراب في أدب حيدر حيدر : عادة محمود خليل - رسالة ماجستير - كلية الدراسات العليا
في الجامعة الأردنية .

أثر القراءات القرآنية في تعدد الأوجه الإعرابية (المفاعيل إنموذجاً)

م.د. عباس حميد سلطان
الجامعة العراقية/ كلية الآداب

ملخص البحث

استأثرت القراءات باهتمام الدارسين القدامى والمحدثين، لما تمثله من الظواهر المتعددة، ولما تضعه بين أيدي دارسي النحو واللغة من وجوه الاستشهاد المختلفة، وهي فضلاً عن ذلك أعلى الشواهد رتبةً وأصحها سنداً، وأدقها ضبطاً، ثمَّ أنَّ كثرة وجوها وتباينها سبعيةً كانت، أو عشرية، أو ما زاد على ذلك أو شاذةً، يجعل منها الميدان الرحب والمعين الثر الذي يمد الدارسين بما يتطلبونه لإثراء دراساتهم وتوثيقها.

وانطلاقاً ممَّا تقدم ذكره، فقد أردنا في بحثنا هذا أن نقف عند أثر هذه القراءات القرآنية في تعدد الوجوه الإعرابية للألفاظ التي وقع الخلاف في قراءتها بين القراء، وكذلك للنظر في بيان الأسس التي تقوِّم عليها ظاهرة تعدد الأوجه الإعرابية للقراءات القرآنية، وقد قمنا بتطبيق ما نسعى للوصول إليه على المفاعيل الخمسة، ولأجل الوصول إلى هذا الهدف قسم البحث على تمهيد وخمسة مباحث ثم خاتمة.

وقد جاء التمهيد بعنوان: ((القراءات القرآنية والمفاعيل)) مفاهيم ودلالات، وقد تناولنا فيه بيان مفهوم القراءات من الناحية اللغوية والاصطلاحية، والفرق بين القرآن والقراءات، وأقسام القراءات، وموقف النحويين من الاحتجاج بالقراءات القرآنية، فضلاً عن ماهية المفاعيل وأقسامها. وأمَّا المبحث الأول فقد جاء بعنوان: ((المفعول المطلق))، وقد تناولنا في هذا المبحث بيان مفهوم المفعول المطلق، ثم تناولنا الآيات القرآنية التي وردت فيها ألفاظ تتحمل المفعولية المطلقة وغيرها من الوجوه الإعرابية بالدراسة والتحليل.

وأما المبحث الثاني فقد جاء بعنوان: ((المفعول به))، وقد تناولنا في هذا المبحث بيان مفهوم المفعول به، ثم تناولنا الآيات القرآنية التي وردت فيها ألفاظ تتحمل المفعول به وغيرها من الوجوه الإعرابية بالدراسة والتحليل.

وأما المبحث الثالث فقد جاء بعنوان: ((المفعول لأجله))، وقد تناولنا في هذا المبحث بيان مفهوم المفعول لأجله، ثم تناولنا الآيات القرآنية التي وردت فيها ألفاظ تتحمل هذا الوجه من الإعراب، وغيره من الوجوه الإعرابية بالدراسة والتحليل.

وأما المبحث الرابع فقد جاء بعنوان: ((المفعول معه))، وقد تناولنا في هذا المبحث بيان مفهوم المفعول معه، ثم تناولنا الآيات القرآنية التي وردت فيها كلمات تتحمل هذا الوجه من الإعراب، وغيره من الوجوه الإعرابية بالعرض والمناقشة.

وأما المبحث الخامس فقد جاء بعنوان: ((المفعول فيه))، وقد تناولنا في هذا المبحث بيان مفهوم المفعول فيه، ثم تناولنا الآيات القرآنية التي وردت فيها ألفاظ تتحمل هذا الوجه من الإعراب، وغيره من الوجوه الإعرابية بالدراسة والتحليل.

Abstract

Quran readings have attracted ancient and modern scholars' concern as those readings represent many conceptions for those studying grammar and language ; besides, these readings represent highly authentication and absolutely truthfulness , from which taken as accurate witnesses . The readings have been considered as rich- information field from which scholars and others enrich their study to be documented.

To what has been mentioned , we want to know effect of Quran readings on syntaxes amongst readers and to know bases which Quran readings ' syntaxes based on . Thus, we have applied on what is coming to be known as the fifth objects (Mafa'il) and in order to reach to this goal, the research has been divided into preface and five parts and then conclusion .

The preface comes with the title coming under the name of "Readings of Quran and Mafa'il " conceptions and indications . In this preface , I have dealt with showing the conception of readings in respect to linguistic viewpoint , difference between the reading and readings , parts of readings and position of grammarian in regard to Quran readings pretexts in addition to the significance of "Mafa'il" and its divisions.

The 1st part comes under the title known as (Absolute object) , in which I have tried to show the conception of unrestricted object and then I have dealt with Quran verses in which this word occurs and other syntaxes.

The 2nd part comes under name of " Object " which I show conception of object and then I have taken Quran verses as a witness for using this word.

3rd part comes under the title " Causative object" . In this part I have shown the conception of causative object" and then I have taken Quran verses as a witness for having use this kind of object.

4th part comes under the title of " Concomitant object" . in this part I have dealt with this as to show this kind of object and then I have taken from Quran verses as a witness for using this type of object.

5th part: deals with adverbial object in which I have shown the conception of this kind of object and then I have taken from Quran verses as a witness for using that type of object and other syntaxes.

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشرف الصلاة وأتم التسليم على سيد الأولين والآخرين، سيدنا ومولانا محمد المصطفى الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.
أما بعد:

فقد أنزل الله سبحانه وتعالى كتابه الكريم على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وأمره بتلاوته وترتيله، فقال تعالى: ﴿أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ (المزمل: ٤)، وقد تلقى الصحابة رضوان الله عليهم القرآن الكريم من في رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبدؤوا تلاوة آياته والعمل به، وكان أن اختلف الصحابة رضوان الله عليهم فيما بينهم في قراءة بعض آيات الكتاب العزيز، إلّا أن الرسول صلى الله عليه وسلم أقرّ هذا الاختلاف مادام لم يؤثر في تغيير دلالة الآية والمراد منها، ومن هنا نشأت البذور الأولى للقراءات القرآنية وظهرت، وبعد انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى، انتشر الصحابة في أرجاء الدولة الإسلامية يقرؤون القرآن ويعلمونه للناس، وكلُّ يُقرئ الناس بحسب القراءة التي كان قد أقرّها عليه الرسول صلى الله عليه وسلم، فظهرت عدة مدارس لإقراء القرآن الكريم، كل مدرسة لها صفاتها الخاصة ومميزاتها التي تتميز بها، واستقلّ بكل مدرسة مجموعة من القراء الذين كانوا يقرؤون القرآن بأوجه تخالف المدرسة الأخرى، فأرست القراءات القرآنية بعد هذه المرحلة علماً مستقلاً له أسسه وأصوله ومبادئه، إلى أن جاء عصر التدوين والتأليف في القراءات، فقام ابن مجاهد ت(٣٢٤هـ)، بمهمة بالغة الأهمية، هو جمع القراءات وتدوينها، فاختار ابن مجاهد سبع قراءات، فجمعها وذكرها في كتابه الذي وسمه بـ ((السبعة في القراءات)).

وقد استأثرت القراءات باهتمام الدارسين القدامى منهم والمحدثين، لما تمثله من الظواهر المتعددة، ولما تضعه بين أيدي دارسي النحو واللغة من وجوه الاستشهاد المختلفة، وهي فضلاً عن ذلك أعلى الشواهد رتبةً وأصحها سنداً، وأدقها ضبطاً، ثم أن كثرة وجوهها وتباينها سبعيةً كانت، أو عشرية، أو ما زاد على ذلك أو شاذة، يجعل

منها الميدان الرحب والمعين النثر الذي يمد الدارسين بما يتطلبونه لإثراء دراساتهم وتوثيقها.

وفضلاً عن ذلك فإنّها تضع بين أيدي النحويين أوجهاً إعرابية أخرى في مقابل ما ينظرون فيه من الوجوه الإعرابية التي تمثلها قراءة العامة، ممّا يمكنهم من الموازنة والترجيح، ويهيئ لهم المدد الذي ينشدونه لاستيفاء النظر فيما يتعرضون له في مصنفاتهم التي يفرّدونها لعرض النحو ومسائله، أو التي يتجهون بها إلى إعراب القرآن الكريم فضلاً عمّا يستدعيه كل وجه من وجوه القراءة من الشواهد والأدلة.

ويقوم الخلاف في القراءات في جانب كبير منه على ما يحتمله السياق من الوجوه الإعرابية، فلكل قراءة وجهها الدلالي، ووجهها الذي يحتمله قياس اللغة. والخلاف في الإعراب مظهر تتفق فيه القراءات الصحيحة السبعية، وغيرها من القراءات الشاذة، وهو مظهر لا تخرج به القراءة عن رسم المصحف خروجاً منكراً.

ومن المعلوم أنّ تعدد الأوجه في تحديد أحد العناصر التركيبية للقراءات القرآنية أمر شائع مألوف في درسنا النحوي، فمن يتأمل كتب النحو، أو كتب إعراب القرآن، أو مؤلفات التفسير ذات الطابع اللغوي يواجه عبارات، مثل: ويجوز فيه كذا وكذا، والأرجح ما ذهب إليه فلان، وهذا الوجه مرفوض، ويضعفه أنّه مخالف للمطرد، والأقوى كذا، والوجه الأول يفسد المعنى، وما قاله فلان هو الظاهر.... الخ من العبارات المذكورة، ومن ثمّ ألفنا أساليب الجواز عند النحويين، مثلما ألفنا الخلاف بينهم في أثناء التحليل والحكم على عنصر ما بأنّه كذا، فكثرت الترجيح والتضعيف والرفض في حوارهم.

فعندما يتعامل الدارس في تعدد الأوجه تسترعي انتباهه أمور كثيرة من أهمها: طبيعة هذا التعدد من حيث البساطة والتعقيد في تحليل عنصر ما، ومن حيث تأثره بأحكام القيمة التي يصدرها النحويون تجاهه فضلاً عن علاقته بمستويات الدرس اللغوي الأخرى، وبالصورة التركيبية للعبارة.

كما تستوقفه الأسباب التي كانت وراء هذه الظاهرة، وهنا يصعب الأمر أكثر، فتارة ينظر في قضايا القاعدة، وتارة أخرى يتأمل في معطيات المعنى، وربما أشكلت عليه بعض الظواهر، وذهب مذاهب جديدة، قد تجره إلى خلاف مع غيره في تحديد تلك الأسباب المعقدة.

ويزداد الأمر صعوبة حين يتأمل الدراس في الأسس التي تتشكل منها أوجه التعدد، فإذا قاد المعنى أو القاعدة مثلاً إلى التعدد في التحليل، فالأسس التي يركز عليها كل وجه تختلف عنها في الأخرى؛ لأن كل وجه يتطلب نمطاً ينفاس عليه، ومعطيات من السياق تجعله على ما هو عليه، وهي أمور خاصة به تختلف عما عليه الأوجه الأخرى في الظاهرة التي تعدد تحليلها.

وانطلاقاً مما تقدم ذكره، فقد أردنا في بحثنا هذا أن نقف عند أثر هذه القراءات القرآنية في تعدد الوجوه الإعرابية للألفاظ التي وقع الخلاف في قراءتها بين القراء أو أكثر، وكذلك للنظر في بيان الأسس التي تقوم عليها ظاهرة تعدد الأوجه الإعرابية للقراءات القرآنية، وقد قمنا بتطبيق ما نسعى للوصول إليه على المفاعيل الخمسة، والسبب الذي دفعنا إلى تخصيص هذا الجزء من الكلام العربي الفصيح ليكون ميداناً لهذه الدراسة هو أن العلامة الإعرابية التي اتخذتها المفاعيل الفتحة^(١)، وقد كانت الفتحة ممّا بسط القدماء الحديث عن أنماطها المنصوبة على أنها علم على المفعولية خاصة^(٢)، غير أننا وجدنا من خلال تتبعنا لها أن جوهرها لا يكون حاملاً معنى المفعولية، ولكن لما كانت تنتهي بالفتحة، وكان النحويون قد قرروا أنها علم المفعولية، فقد كانت القاعدة تدعو إلى إدراجها في باب المفعولية، ولما كانت الأنماط الثابتة في اللغة العربية في كثير منها تتخذ الفتحة حركة لآخرها، فقد احتشدت هذه العبارات في هذا الباب، مما شكل ظاهرة لافتة للانتباه^(٣).

ومن الممكن القول: إن النحو العربي بسعته التي نعرفها يحتوي على كثير من الأبواب النحوية، فإن محاولة دراستها في النحو كاملاً من الأمور الصعبة، لتشعب الموضوع وسعته، وكثرة جزئياته، ولذا فقد أرتأينا أن نقف عند المفاعيل فقط.

ولأجل الوصول إلى هذا الهدف قسمت البحث على تمهيد وخمسة مباحث ثم خاتمة.

وقد جاء التمهيد بعنوان: ((القراءات القرآنية والمفاعيل)) مفاهيم ودلالات، وقد تناولنا فيه بيان مفهوم القراءات من الناحية اللغوية والاصطلاحية، والفرق بين القرآن والقراءات، وأقسام القراءات، وموقف النحويين من الاحتجاج بالقراءات القرآنية، وفضلاً عن ماهية المفاعيل وأقسامها.

وأما المبحث الأول فقد جاء بعنوان: ((المفعول به))، وقد تناولنا في هذا المبحث بيان مفهوم المفعول به، ثم تناولنا الآيات القرآنية التي وردت فيها ألفاظ حقها أن تكون مفعولاً به، وجاءت على وجوه أخرى دراسة وتحليلاً.

وأما المبحث الثاني فقد جاء بعنوان: ((المفعول المطلق))، وقد تناولنا في هذا المبحث بيان مفهوم المفعول المطلق، ثم تناولنا الآيات القرآنية التي وردت فيها ألفاظ حقها أن تكون مفعولاً مطلقاً، وجاءت على وجوه أخرى دراسة وتحليلاً.

وأما المبحث الثالث فقد جاء بعنوان: ((المفعول لأجله))، وقد تناولنا في هذا المبحث بيان مفهوم المفعول لأجله، ثم تناولنا الآيات القرآنية التي وردت فيها ألفاظ حقها أن تكون مفعولاً لأجله، وجاءت على وجوه أخرى دراسة وتحليلاً.

وأما المبحث الرابع فقد جاء بعنوان: ((المفعول فيه))، وقد تناولنا في هذا المبحث بيان مفهوم المفعول فيه ثم تناولنا الآيات القرآنية التي وردت فيها ألفاظ حقها أن تكون مفعولاً فيه، وجاءت على وجوه أخرى دراسة وتحليلاً.

وأما المبحث الخامس فقد جاء بعنوان: ((المفعول معه))، وقد تناولنا في هذا المبحث بيان مفهوم المفعول معه، ثم تناولنا الآيات القرآنية التي وردت فيها ألفاظ حقها أن تكون مفعولاً معه، وجاءت على وجوه أخرى دراسة وتحليلاً.

وختاماً: نرجو أن تكون هذه الدراسة قد أعطت الموضوع حقه، وأن يفيد منه الباحثون، مثلما أفاد البحث من غيره.

التمهيد

القراءات القرآنية والمفاعيل

"مفاهيم ودلالات"

أولاً: القراءات القرآنية

أولاً: القراءات القرآنية لغةً واصطلاحاً:

القراءات لغةً: جمع قراءة وهي في اللغة: مصدر قرأ، يقال: قرأ فلان يقرأ قراءةً وقرآنًا، بمعنى: تلا، فهو قارئ^(٤).

وفي الاصطلاح عرّفها الزركشي بأنها: ((اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كفيّتها من تخفيف وتنقيح وغيرها))^(٥).

واستخلص الدكتور عبد الهادي الفضلي من تعريف الزركشي هذا ((أنّ القراءات تختص بالمختلف فيه من ألفاظ القرآن الكريم، على حين نجد أنّ علماء القراءات يوسعون دائرة شمول القراءات إلى المتفق عليه، وذلك في تعريفهم لعلم القراءات))^(٦). وكذلك عرّف ابن الجزري القراءات بأنها: ((علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً لناقله))^(٧)، وتابعه البنا بقوله: ((علم يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى، واختلافهم في الحذف والاثبات، والتحريك والتسكين، والفصل والوصل، وغير ذلك من هيئة النطق والابدال، وغيره من حيث السماع))^(٨).

فالبنا تابع ابن الجزري في شرطي القراءة: النقل والسماع على ما يرى الدكتور الفضلي الذي خلص من هذه التعريفات إلى أنّ القراءة: ((هي النطق بألفاظ القرآن كما نطقها النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو كما نُطِقَتْ أمامه "صلى الله عليه وآله وسلم" فأقرّها، سواء أكان النطق باللفظ المنقول عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعلاً أو تقريراً، واحداً أم متعدداً))^(٩).

وأما الدكتور أحمد مختار عمر فقد عرّفه قائلاً: ((هي الوجوه المحتملة التي سمح النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقراءة نص المصحف بها، قصداً للتيسير والتي جاءت موافقة لهجة من اللهجات العربية))^(١٠).

أمّا المقرئ فقد عرّفه القسطلاني، بقوله: ((والمقرئ هو العالم بالقراءات، رواها مشافهةً، فلو حفظ الشاطبية مثلاً، فليس له أن يقرأ بما فيها، إن لم يشافهه من شوفه به مسلسلاً؛ لأنّ في القراءات شيئاً لا يحكم إلّا بالسمع والمشافهة))^(١١).

وبهذا وجب على القارئ التحلي بالأمانة في النقل والسمع؛ لأنّ ((القراءة سنّة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها))^(١٢).

ثانياً: الفرق بين القرآن والقراءات :

من المسائل المهمة التي أثّرت في القراءات القرآنية بعامة مسألة الفرق بين القراءات والقرآن وللعلماء فيها أقوال:

الأول: أنّ القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان وقد ذهب إلى هذا الرأي العلماء المتقدمون منهم الإمام الزركشي، إذ قال: ((واعلم أنّ القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن: هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم للبيان والإعجاز، والقراءات: هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كيفيتها، من تخفيف وتثقل وغيرها))^(١٣)، وتبعه على هذا الرأي القسطلاني^(١٤)، وأخذ بمذهبهما البنا^(١٥)، كما ذهب إليه من المعاصرين الدكتور صبحي الصالح ناقلاً نصّ الزركشي نفسه^(١٦).

الثاني: التفرقة بين ما توافرت فيه شروط القراءات الصحيحة وهي: ((صحة السند، وموافقة العربية، ومطابقة الرسم))، فيعد هذا قرآناً، وأمّا ما تخلف فيه ولو شرط واحد منها، فيعد قراءة فقط، وهذا هو رأي جمهور العلماء والمقرئين^(١٧)، ((ويلاحظ عليه أنّ ما ثبت يقيناً أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرأ به أو أقرّ مَنْ قرأ به أمامه، ولم يكن متوفراً على الشرطين الآخرين، أعني: موافقة العربية ومطابقة الرسم لا نستطيع عدّه غير قرآن؛ لأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يقرأ بغير القرآن في موضع القرآن))^(١٨).

الثالث: أنّ كلّ قراءة تعد قرآناً حتى القراءات الشاذة "حقيقتان بمعنى واحد"، وهذا هو رأي ابن دقيق العيد الذي صرّح به قائلاً: ((الشواذ نقلت أحاداً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيعلم ضرورة أنّه صلى الله عليه وآله وسلم قرأ بشاذ منها وإن لم

يعين، قال فنتلك القراءة تواترت، وإن لم تتعين بالشخص، فكيف يُسمَّى شاذاً، والشاذ لا يكون متواتراً^(١٩).

وإليه ذهب بعض العلماء المعاصرين منهم الدكتور محمد سالم محيسن في كتابه "المغني في توجه القراءات العشر المتواترة"^(٢٠).

أمّا من قال باتحادهما فمردود لما يأتي:

أولاً: أن القراءات على اختلاف أقسامها لا تشمل كلمات القرآن الكريم كله، بل هي موجودة في بعض ألفاظه فقط، فكيف يقال بالاتحاد؟ .

ثانياً: تعريف القراءات يشمل القراءات الصحيحة التي يصح قراءة القرآن الكريم بها، كما يشمل القراءات الشاذة، التي أجمع العلماء على عدم صحة القراءة بها فلو كان القرآن والقراءات شيئاً واحداً لترتب على ذلك دخول القراءات الشاذة في القرآن الكريم وهو غير صحيح .

فالواقع أنّهما ليسا متغايرين تغايراً تاماً، وليسا متحدتين اتحاداً حقيقياً، بل بينهما ارتباط وثيق، ارتباط الجزء بالكل^(٢١).

ثالثاً: أقسام القراءات :

والقراءات المتواترة تقسم على قسمين:

الأول: المتواترة: وهي القراءة المقطوع باتصالها عن النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" سواء تواتر نقلها أم استفاض^(٢٢)، وقد عرّفها ابن الجزري بقوله: ((كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصحّ سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردّها ولا يحل انكارها))^(٢٣)، وتقسم القراءات المتواترة على أقسام: قسم اتفق على تواتره كقراءات القراء السبعة المشهورين، وقسم اختلف فيه كالقراء العشرة، وقسم اتفق على شذوذهم كالقراء الأربعة عشر^(٢٤).

الثاني: الصحيحة: وتقسم على قسمين:

القسم الأول: الأحادية: وهي القراءة الجامعة للأركان الثلاثة، ولم يبلغ نقلها مستوى تفيد معه القطع باتصالها عن النبي "صلى الله عليه وآله وسلم"^(٢٥)، وقد عرّفها ابن

الجزري بقوله: " ما صحَّ سنده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه، ووافق العربية ووافق الرسم" (٢٦) .

القسم الثاني: الشاذة: وهي المخالفة للرسم (٢٧)، وقد عرفها ابن الجزري بقوله: "ما وافق العربية، وصحَّ سنده، وخالف الرسم" (٢٨)، وللتفرقة بين القراءات المتواترة والشاذة ذهب علماء القراءة إلى حصر القراءات المقبولة بضابط كي تصحَّ روايتها، ويتلقاها الناس بالقبول، وهذا الضابط هو مقياس لقبول القراءات الصحيحة، وضعه العلماء لتمييز المتواتر من الشاذ على ثلاثة أركان، وهي:

١. صحة سندها.

٢. موافقة الرسم لأحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً.

٣. موافقة العربية ولو بوجه .

وبهذه الأركان الثلاثة تمتاز القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل يجب قبولها من الناس، وهي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، سواء أكانت عن القراء السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم، ومتى ما اختل واحد من هذه الأركان الثلاثة تعد القراءة ضعيفة ويطلق عليها شاذة (٢٩).

وقد أشار إلى هذه الأركان الثلاثة للقراءة من العلماء كل من مكي (ت ٤٣٧هـ)، والداني (ت ٤٤٤هـ)، وعلم الدين السخاوي (ت ٦٤٣هـ)، وأبو شامة (ت ٦٥٥هـ)، وموفق الدين الكواشي (ت ٦٨٠هـ)، والزركشي (ت ٧٩٤هـ)، وابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، الذي انتهى إليه علم القراءات (٣٠).

غير أن ابن الجزري قد أثر على تبديل ركن صحة الإسناد في هذا الضابط بتواتره، وأخذ بهذا الرأي الدكتور صبحي الصالح؛ لأنَّ القراءات لا تثبت إلّا بالإسناد وتواتره، في حين رأى الدكتور أحمد البيلي أن يكون المراد من ذلك أنه يلزم من تواتر السند صحته، فالقراءات الأربع الزائدة على العشر صحيحة الإسناد، ولكنها أحادية فإذن هي ليست متواترة وليست قرأناً يُتَعَبَّدُ به ويتلى في الصلاة، وإنَّما القراءات المتواترة هي القراءات العشر التي تلقنتها الأمة بالقبول وأخذها الخلف عن السلف الصالح حتى وصلت إلينا، ولا يوجد قراءة متواترة في يومنا هذا وراء هذه العشر (٣١).

ولابدّ من الإشارة هنا في هذا الموضوع إلى صلة القراءات العشر بالأحرف السبعة، وقد لخص الدكتور محمد سالم محيسن في كتابه (المغني) آراء العلماء في ذلك على قولين:

القول الأول: مؤداه أنّ القراءات تعد حرفاً واحداً من الأحرف السبعة التي نزلت على الرسول "صلى الله عليه وآله وسلم" ومال إلى هذا القول الطبري .

القول الثاني: مفاده أنّ القراءات العشر تعد بعض الأحرف السبعة التي نزلت على "النبي صلى الله عليه وآله وسلم"، وقد مال إلى هذا القول جمهور العلماء، منهم: مكي، والمهدوي، والأهوازي .

وقد سرد الدكتور محيسن أقوال هؤلاء العلماء ثم رجّح القول الثاني الذي نوافقه فيه، إذ تميل إليه النفس باطمئنان ويعد منسجماً مع الواقع ومدعوماً بالأدلة والبراهين^(٣٢).

رابعاً: موقف النحويين من الاحتجاج بالقراءات القرآنية:

هناك تباين في مواقف النحويين البصريين والكوفيين من الاحتجاج بالقراءات القرآنية، فالبصريون ذهبوا إلى جواز الاحتجاج بالقراءات والقياس عليها قياساً عاماً إذا وافقت أصلاً من أصولهم ولو بالتأويل، فإنّ خالفته حُفِظَ^(٣٣)، ((ولم يقس عليها قياساً عاماً، وإنّ صحّ الاجتهاد بها في مثل تركيبها))^(٣٤).

وأما الكوفيون فقد كانوا أكثر عناية بالقراءات، فهي مصدر مهم من مصادر نحوهم، فقد قبلوها واحتجوا بها، وعقدوا على ما جاء فيها كثيراً من أصولهم وأحكامهم^(٣٥).

وقد انحسم الأمر لصالح القراءات، فقال السيوطي: "أما القرآن فكل ما ورد أنّه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية، سواء كان متواتراً أم آحاداً، أم شاذاً"^(٣٦).

ثانياً: المفاعيل:

هي - جميعها - فضلات، وتعد هي المفاعيل الحقيقية، وما سواها من المنصوبات شبيه بها، وقد ميزت فيما بينها، فالمطلق غير مقيد، وغيره مقيد بالاقتضاء، أو المحل، أو العلة، أو الصُّحبة^(٣٧)، واختلف البصريون والكوفيون فيها على مذهبين هما:

الأول: البصريون يعدونها خمسة مفاعيل.

الثاني: الكوفيون يرون مفعول الفعل واحداً، وغيره مشبهاً به^(٣٨).
وقد يكون احتسابهم ذلك لأنَّ المفعول به أكثر دوراً في الكلام، غير أنَّ البصريين محقُّون^(٣٩).

المبحث الأول المفعول به

المفعول به ((هو الذي يقع عليه فعل الفاعل))^(٤٠)، وحدده ابن هشام بأنَّه ما يصاغ له اسم مفعول من لفظ عامله^(٤١)، وذهب بعضهم إلى أنَّه قد دخلته الباء في اسمه؛ لأنَّ ليس مفعولاً لك، بل للخالق، إلَّا أنَّك قد أحدثت فعلاً فأوقعته به فقيَّد بالباء^(٤٢)، وفيه تفريق بين الفعل الكلي والجزئي.

وقد وقع الخلاف بين النحاة في عامل النصب في المفعول به، فذهب البصريون إلى أنَّ العامل فيه الفعل أو ما جرى مجراه^(٤٣).

وقد اختلفت عبارات الكوفيين في عامل النصب في المفعول به، فذهب فريق منهم إلى القول: بأنَّ العامل في المفعول به، هو الفعل والفاعل معاً^(٤٤)، وذهب فريق آخر إلى القول: بأنَّ عامل النصب هو الفاعل^(٤٥)، ورأى فريق آخر بأنَّ المفعول به منصوب على المفعولية، كما أنَّ العامل في الفاعل هو الفاعلية^(٤٦).

والرأي الأولى بالاعتداد في ناصب المفعول به هو رأي البصريين إعمالاً للفعل وشبهه^(٤٧)، وتظل الوجوه الأخرى وجوهاً من وجوه الدرس الخلقي، ويُقدَّم المفعول في حالات منها كونه ضميراً متصلاً والفاعل اسماً ظاهراً، أو كونه اسماً ظاهراً اتصل بفاعله ضميره، أو محصوراً أو شرطاً أو استفهاماً أو غيرها^(٤٨).

ومن الآيات التي ورد فيها ألفاظ حملت على المفعول به وغيره من الوجوه، قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾^(٤٩) فيها يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ^(٥٠) أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ^(٥١) (الدخان: ٣-٥)، فقد قرئ "أمرًا" بالنصب في خط المصحف، ورفعها زيد بن علي^(٥٢)، وقد اختلف النحويون في تخريجها، وحدد الاتجاهات العامة للإعراب فيها السَّمين الحلبي بأربعة، هي: مفعول به، وله، ومطلق

،وحال، وذلك بسبب المَحَالِّ المحمول عليها^(٥٠)، وقد ذهب الفراء والزجاج إلى عده مفعولاً به لـ (منذرين) ،وهو أكثر الاحتمالات قبولاً، وذلك لأمرين هما:

الأول: نهايات الآيات عملت في صدور لواحقها غالباً.

الثاني: عدَّ الآية الرابعة اعتراضاً بين العامل والمعمول^(٥١).

وله قول آخر (أي: الفراء) هو حملة على معنى (يفرق فرقا) فهو مصدرٌ مؤكَّدٌ لما قبله، وجعله آخرون على معنى ينزل انزالاً، أو بسبب الانزال أمرنا أمراً^(٥٢) وفيه أمران: حمل على المعنى، واضمار على المماثلة.

وذهب الأخفش إلى احتسابه حالاً، صاحبه أحد الضميرين في (أنزلناهم) أو (كل أمر حكيم) ،وقد حدد الجرمي كونه من (أمر حكيم) ممكناً لا أمراً نكرة مخصصة بالوصف فحسن ذلك فيها، وذهب السمين إلى أنَّ صاحب الحال ضمير في (حكيم)^(٥٣)، غير أنه يحسن كونه حالاً من الفاعل في (أنزلناهم)؛ لأنَّ الأمر للفاعلين وهو واقع على المنزل بما فيه من أمر حكيم، مع استبعاد التذكير والتنقيب عن المضمرات.

وذهب المبرد بعد قوله بالمصدر- إلى نصب (أمراً) بفعل مضمر تقديره (أعني)، وجعله الزمخشري منصوباً على الاختصاص، وقوّاه السمين بقراءة الرفع^(٥٤)، وليس كذلك لأنَّ للاختصاص مواضع المعروفة، ولأنَّ أمراً في قراءة الرفع هو الخبر، وليس متوسطاً بين بدءٍ وخبر، فالأولى عدم حملة عليه.

وذهب فيه العكبري إلى مَحْمَلَيْنِ آخرين هما، جعله مفعولاً لأجله في قول وفي الآخر بدلاً من الهاء في (أنزلناهم)، وهما أمران ممكنان، فالنزول استجابة لأمره، والمُظْهَرُ يبدل من ضمير لغييبته مطلقاً^(٥٥)، لكنَّ الإبدال منه بمعارف.

ومن الألفاظ التي اختلف فيها لفظة ((حمالة)) في قوله تعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ (المسد: ٤)، فقد قرأ عاصم وحده ((حمالة الحطب)) نصباً، وقرأ الباقر ((حمالة الحطب)) رفعاً^(٥٦).

وأما قراءة النصب فقد ذهب جماعة من النحويين إلى نصبها مفعولاً به على الذم والشتم، والتقدير: أعني أو أذم أو أشتم حمالة الحطب، وقدره سيبويه على: أذكر حمالة

الخطب شتماً لها، وذهب الأخفش وجماعة من النحويين إلى عدّ ((حمالة)) نوي بها التنوين، فانتصب ((النار)) مفعولاً بها ذلك، ومثله بعضهم بقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهُ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾ (المائدة: ٩٥) (٥٧).

وفي قراءة الرفع يجوز أن تكون ((امراته)) معطوفة على الضمير ((يصلى)) من قوله تعالى: ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٢﴾﴾ (المسد: ٣)، و((في جيدها حبل))، من قوله تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَمٍ ﴿٥﴾﴾ (المسد: ٥)، ابتداء وخبر في موضع نصب على الحال من الضمير في ((حمالة))، أو أن تكون ((امراته)) مبتدأ، وجملة الابتداء والخبر ((في جيدها حبل))، في موضع رفع خبره، و((حمالة)) يحتمل فيها أربعة أوجه: الأول: أنها خبر ابتداء محذوف، والتقدير: هي حمالة الخطب.

الثاني: أنها نعت بـ ((امراته)).

الثالث: أنها بدل من ((امراته)).

الرابع: أنها عطف بيان من ((امراته)).

ويجوز أن تكون ((امراته)) مبتدأ، و((حمالة)) الخبر، وجملة ((في جيدها حبل)) حال من الضمير في ((حمالة)) أو خبر ثان، وجملة ((امراته حمالة)) فيها قولان: الأول: إنها في موضع حال من الضمير الهاء في قوله: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾﴾ (المسد: ٢).

الثاني: إنها خبر عن ((ما)) (٥٨).

وذهب الطبري إلى أن الصواب من القراءة الرفع؛ مبيناً ذلك بسببين، هما:

١. هو أفصح الكلامين.

٢. إجماع الحجة من القراءة عليه (٥٩).

غير أن بعضهم ذهب إلى استحباب النصب على الذم والشتم ومنهم مكي، والزمخشري، والنسفي، وآخرون غيهم، وعلة ذلك ما يأتي:

١. النصب فيها أبين من الرفع وأبلغ.

٢. النصب على الذم لتزميمها بين الناس.

٣. في مخالفة الإعراب ذم لا غيره^(٦٠).

المبحث الثاني

المفعول المطلق

وهو ((المصدر الفضلة المؤكد لعامله، أو المبين لنوعه، أو عدده))^(٦١). وسمي بالمفعول المطلق؛ لأنه مطلق عن القيود، أي: غير مقيد بخلاف المفعولات الأخرى فإنها مقيدة بحروف الجر ونحوها^(٦٢). يقول ابن عقيل: ((سمي مفعولاً مطلقاً لصدق (المفعول) عليه غير مقيد بحرف جر ونحوه، بخلاف غيره من المفعولات، فإنه لا يقع عليه اسم المفعول إلّا مقيداً، كالمفعول به، والمفعول فيه، والمفعول معه، والمفعول له))^(٦٣).

وينصبه أحد ثلاثة: إمّا فعله المشتق منه، أو مصدر مماثل له، مشتق من مشتقاته^(٦٤).

وينوب عن المصدر "كلٌ وبعضٌ وماهو بمعناه وأسماء الإشارة وضميره وعدده وآلته"، ويحذف عامله في حالات معينة كالنهي والأمر والدعاء والاستقهام التوبيخي، ومع الفعل المقصود به الخبر، كأفعل وكرامة، ومع التقضيل والمكرّر والمحصور والمؤكد لنفسه ولغيره وقد يحذف لقريظة^(٦٥).

وفيما يأتي من الآيات القرآنية التي وردت فيها ألفاظ تتحمل المفعولية المطلقة وغيرها من الوجوه الإعرابية التي تناولها النحويون بالدراسة والتحليل.

من المفاعيل المطلقة لفظة (صبغة) فيقوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ﴾ (البقرة: ١٣٨)، فقد قرأها الجمهور نصباً، وقرئت عند آخرين بالرفع^(٦٦)، وللنحويين في تخريجه مذاهب، ففي قراءة النصب ذهب سيبويه وجماعة من النحويين إلى عدّ (صبغة) مصدراً مفعولاً مطلقاً مؤكداً لفعله، وقد ماثلتها سيبويه بقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: ٦)، و ﴿وَرَبَّى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ لِذِي أَنْفَقَ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا

تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ (النمل: ٨٨)، و ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَذَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفَحِينَ ۚ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا تَرْضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٨٩﴾﴾ (النساء: ٢٤)، وقد وافقه الزمخشري قائلاً: ((والقول ما قالت حذام)) (٦٧)، وحدد أبو حيان العامل فيها بأحد ثلاثة: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ (البقرة: ١٣٦)، أو ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ (البقرة: ١٣٦)، أو ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٨﴾﴾ (البقرة: ١٣٧) وفضل ((آمنّا بالله)) (٦٨)، وذهب آخرون إلى القول بأنه بدل من ((وقالوا كوثوا هوداً أو نصكرى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴿١٣٩﴾﴾ (البقرة: ١٣٥)، ذهب إلى هذا الفرء والأخفش والزجاج والنحاس وآخرون غيرهم، وقد احتج الزجاج بأن صيغ اليهود والنصارى أبناءهم دليل على أنها بدل من (ملة)، وردّ هذا أبو حيان محتجاً بطول الفصل بين البديل والمبدل منه (٦٩)، وذهب قوم منهم الكسائي إلى القول بالإغراء على (اتبعوا أو الزموا)، وقد ذهب الزمخشري وأبو حيان إلى ردّ القول بالبديل والاعراء؛ لأنّ عطف ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ ونحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ ﴿١٤٠﴾﴾ (البقرة: ١٣٨) على مانع لذلك لما فيه من فكّ النظم، كما أنّ طول النظم لا يجيزه (٧٠)، وكلا الأمرين يُرَشَّحُ نصبه مصدراً مؤكداً، ونظائره كثيرة.

وفي قراءة الرفع ثلاثة آراء أولها: هي خبر لمضمر ((تلك صبغة الله)) عند سيبويه، وعند الفرء على (هي)، وذهب العكبري إلى عدها مبتدأ لمضمر على ((صبغة الله متبعة)) وجعلها السّمين بدلاً من (ملة) مرفوعة (٧١)، ويرد القول الأخير ما قاله أبو حيان في ردّ البديل نصباً.

ومن الألفاظ القرآنية التي قرأت بالنصب مصدراً (متاع) في قوله تعالى: ((وَلَمَّا أَجَسْتُمْ إِذَا هُمْ يَبْعَثُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِغَيْبِكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾)) (يونس: ٢٣). فقد قرئ بالوجه الثلاثة النصب مع الإضافة لعاصم، ونصبه منوناً مقطوعاً عن الإضافة ابن أبي إسحاق، ورفع الباقون، وقرئ مخفوضاً^(٧٢)، وفي الوجوه الثلاثة أوجه إعرابية مختلفة، ففي النصب منها مذاهب: ذهب الفراء والزجاج وآخرون إلى نصب (متاع) مصدراً مؤكداً لفعل محذوف هو مَتَّعُوا، أو لمضمون الجملة السابقة له^(٧٣)، وهو في الحالين مرشح لذلك؛ لأنَّ البغي في حياتهم هو متاعهم، ويظهرُ هذا جلياً قراءة الرفع في الحرف. وذهب الطبري وتبعه أبو حيان والألوسي إلى نصبه حالاً وَقُدِّرَتْ عَلَى (مُتَمَتِّعِينَ)، عاملها الاستقرار في الخبر^(٧٤)، وهو أمر قائم على التأويل عاملاً ومعمولاً، والأول حاضٍ بقبول أوفر؛ لأنَّ الدلالة تسانده. وللأنباري والعكبري توجيه آخر مفاده أنَّ (متاع)، مفعول به، وفي حال نصبه مفعولاً به لا بُدَّ من البحث عن خبر، لذلك قدر على: ((طلبكم متاع الحياة الدنيا ضلالاً))^(٧٥)، فمتاع هنا مفعول به لطلب، لأنَّ بغيهم هو طلبهم المتعة فيما هم فيه، والمصدر - هنا - في أقوى حالاته إعمالاً، فالمضاف أقوى من المنون والمنون أقوى من المحلى بإل^(٧٦)، وهنا يخلو المجرور من الاستقرار لتعلقه بالخبر، وقدره بعضهم على يبعثون متاع الحياة الدنيا^(٧٧)، وهو أوضح عملاً. وذهب أبو حيان إلى نصبه ظرفاً زمانياً مثله مثلُ مَقْدَمِ الْحَاجِّ، وقدره على زمن متاع الحياة الدنيا^(٧٨)، وعامله الاستقرار في الخبر (على أنفسكم)، ولآخرين قول بنصبه مفعولاً لأجله^(٧٩)، وقد قدر العامل فيه بأحد ثلاثة: الاستقرار المقدر في (عليكم) أو (بغيتكم) أو فعل مضمَر^(٨٠)، وهذا التخريج محقق لشروط المفعول لأجله؛ لأنَّ متاعهم مطلوب في حياتهم. وفي قراءة الرفع وجوه أربعة بعضها حكم بالتقدير، وآخر حكم بما في النص من أوامر لغوية تثبت أحكاماً ما، منها: رفع متاع خبراً عن مضمَر تقديره: هو، أو ذلك، أو رفع متاع خبراً عن بغيتكم و(على أنفسكم) متعلق به، أو رفع متاع خبراً عن بغيتكم بلا إشارة إلى الجار، أو رفع متاع خبراً ثانياً بعد الخبر والجار والمجرور خبراً أولاً^(٨١).

ولعلَّ أفضلها حكماً الثاني، وذلك لبعده عن التأويل أو الإهمال أو التعسف، فهو تخريج واضح بيّن.

أمّا مقروء الخفض ففيه قولان هما:

الأول: خفضه نعتاً لأنفسكم على، ذوات، أو متممات.

الثاني: خفضه بدلاً من الكاف والميم، وهو ضعيف لإمكانه صفة؛ ولأنَّ البذل من المضمّر المخاطب قليل ومتكاف^(٨٢).

المبحث الثالث

المفعول لأجله

المفعول لأجله : هو ((المصدر القلبي، الفضلة، المعلل لحدث شاركه، وقتاً وفاعلاً))^(٨٣).

وهو علة الإقدام على الفعل، المشارك لعامله في الوقت والفاعل، نحو : (جُدْ شكراً)، فشكراً : مصدر، وهو مفهوم للتعليل، لأن المعنى : جُدْ لأجل الشكر، ومشارك لعامله، وهو (جُدْ) في الوقت، لأن زمن الشكر هو زمن الجود، وفي الفاعل، لأن فاعل الجود هو المخاطب، وهو فاعل الشكر^(٨٤).

((والمراد بالمصدر القلبي : ما كان مصدراً لفعل من الأفعال التي منشؤها الحواس الباطنة : كالتعظيم، والإجلال، والتحقيق، والخشية، والخوف، والجرأة... ويقابل أفعال الجوارح، أي : الحواس الظاهرة وما يتصل بها، كالقراءة والكتابة، والقعود، والقيام، والوقوف...))^(٨٥).

وقد أشار سيبويه (ت ١٨٠ هـ) إلى المفعول لأجله بقوله: ((هذا باب ما ينتصب من المصادر، لأنه عذر لوقوع الأمر، فانتصب لأنه موقوف له، ولأنه تفسير لما قبله : لم كان؟))^(٨٦).

وقد أطلق النحاة تسميات أخرى على المفعول لأجله، وهي المفعول له، والمفعول من أجله، وهي تسميات مترادفة يراد بها المفعول لأجله^(٨٧).

وحكم المفعول لأجله هو النصب، كما أشار إلى ذلك سيبويه، إذ قال : ((فهذا كله ينتصب لأنه مفعول له))^(٨٨). وسماه الفراء ت (٢٠٧هـ)، (تفسيراً) في بعض مواطن من كتابه^(٨٩).

وهناك أحكام وشروط أخرى للمفعول لأجله، فصلتها كتب النحو^(٩٠)، فتراجع في مظانها.

ومن الألفاظ التي قرئت وأُعربت على وجوه منها مما ورد قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ غَيْرِ هُدًى وَرَحْمَةٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ٥٢) فلفظ ((هدى ورحمة))، قد قرئنا بالوجوه الثلاثة نصباً على رسم المصحف، وجراً ورفعاً^(٩١)، وقد اختلف فيهما النحويون على مذاهب، في النصب أعلاها ما هو محقق لشروط المفعول لأجله الخمسة، لذلك فهو مصدر مخالف لعامله وقابل التعليل باللام ومحقق للسلبية في الفعل ومشارك لعامله في الوقت والفاعل، ولذلك ذهب العكبري والسّمين إلى إعرابه كذلك، مقدرين إتياء على فَصَّلْنَاهُ لأجل الهداية و الرحمة، وهو متفق مع الأحكام السابقة كل الاتفاق، ولا تستطيع أن تستثني منه شرطاً واحداً من الشروط السابقة^(٩٢)، وهما في هذا مخالفان لسابقين لهما زمنا، وقَدَمَناهما لرجوح حكمهما، فقد خالفا في هذا الفراء والزجاج، فالفراء يجعله أولاً مفعولاً مطلقاً محمولاً على فعله^(٩٣)، وهو في هذا محتاج إلى تكلف عامل ناصب من جنس الفعل على نهدي هدياً ونرحم رحمة، وفي هذا التقدير خروج عمّا في التحرير، ولا يقر على هذا، وهو ما يوحى بعدم ركونه إلى هذا فيذهب مذهباً آخر، مفاده أنّ (هدى ورحمة) حالان - قطعان على اصطلاحه - من الهاء في(فصلناهما)، العائدة إلى الكتاب، ويتبعه الزجاج مقدراً الحال على: فصلناه هادياً وذا رحمة^(٩٤)، وهما - معاً - في هذا لاجئان إلى أخذ اللفظين تأويلاً من رحمة إلى ذي رحمة ومن هدى إلى قولهما "هادياً" وفي الأخذ بالقول الأول خلاص من هذا كله، وينظر السّمين في قولهما محدداً صاحب الحال بأحد أمرين هما:

الأول: الضمير المفعول في (فصلناه).

الثاني: (بكتاب) لتخصيصه بالوصف^(٩٥).

وقد أبعد في الثاني لأنه ذهب متخلياً عن أعراف المعارف مع اتصاله المباشر بـ (هدى ورحمة) قرباً وجوراً، إلى ما هو قريب من المعرفة بواسطة وليس بمعرفة أصلاً، ونرى اعتماد رأي الفراء في هذا.

أمّا في قراءة الخفض فهما نعتان لكتاب عند الكسائي والفراء، وينسب إليهما قول آخر مخالف لهذا القول، وهو أنهما يقولان بالبدل فيهما من (علم)^(٩٦)، وهذا القول هو القول الأرجح لأنهما مصدران، وعلم مصدر كذلك، وفي كل منهنّ معانٍ متقاربة فالبدل يصلح فيهما. غير أنّ هذا الحكم ليس في كتاب الفراء الذي نصّ على النعت قائلاً: ولو خفضته على الاتباع للكتاب كان صواباً، كما قال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ (الأنعام: ٩٢، ١٥٥)،^(٩٧) فجعله رفعاً باتباعه للكتاب^(٩٨)، ويقصد بالإتباع النعت^(٩٩)، ولم يرد عنده قول بالبدل^(١٠٠)، وليس في المرفوع خلاف^(١٠١).

ومن الألفاظ التي جاءت مفعولاً له ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُم ۚ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الأعراف: ١٦٤)، فقد جاءت لفظة (معذرة) منصوبة، قرأها زيد بن علي وعاصم وعيسى بن عمر وطلحة بن مُصَرِّف، وقرأها الباقر بالرفع^(١٠٢)، وفي كلا القراءتين وجوهاً إعرابية مختلفة ذكرها العلماء، ففي قراءة النصب ذهب سيبويه، والكسائي، والفراء، والزمخشري، والعكبري، إلى عدّ (معذرة) مفعولاً لأجله، ومعظم تقديراتهم يجمعها معنى: ((وعظناه لأجل المعذرة))^(١٠٣)، ومما يبين صحة انتصابها مفعولاً له ما في النص القراني، فالتساؤل بـ ((لم)) عن المُسَبِّب يهيئ الإجابة عنه لأجل بيان السبب في ذلك فجاء المفعول لأجله (معذرة)، وللکسائي قول آخر مع كلٍّ من الأخفش، والزجاج، ومكي، والزمخشري، مفاده أن (معذرة) منصوبة على المصدرية على تقدير ((نعتذر معذرة))، وهو ليس في قوة الأول وظهوره، فالنص لا يتطلبه وإن صرح به النحويون^(١٠٤)، وذهب السمين الحلبي إلى نصبها مقول قول؛ لأنّ المعذرة تتضمن كلاماً كقولك: قُلْتُ خطبة^(١٠٥)، وهو قول قائم على التأويل، وما قبله أولى منه حكماً وقرباً من الروابط النحوية، وعدم التأويل أولى من التأويل.

أما في قراءة الرفع فالنحويون متفقون على إضمار المبتدأ، وهم مختلفون في تقديراتهم له وللجملة من وجهين، هما:

الأول: المبتدأ على: موعظتنا أو هي، أو هذه، أو قولنا، وهي على التوالي لسيبويه، والفراء، وأبي عبيدة، والفخر الرازي، وتبعهم آخرون.

الثاني: سيطرة فكرة سبب الوعظ على تقدير الجملة عندهم، فذهب سيبويه إلى نفي اللوم اعتذاراً، فقد الأمر على: موعظتنا معذرة، استبعاداً لفكرة السبب مفعولاً لأجله، وتبعه آخرون، ونسب إلى سيبويه تقدير آخر محكوم بذلك، هو: موعظتنا إياهم معذرة، وتبعه الأخفش والزجاج، ولأبي حيان تقديران في هذا، الأول هو: موعظتنا إقامة عذراً إلى الله، والثاني بإضافة إقامة إلى عذر^(١٠٦)، فكأنما لمس تعليلاً في هذه التقديرات، وقد لمس التفريق بين الإخبار والتعليل عند سيبويه النحاس، فعدم التعليل إخباراً والتعليل نصب^(١٠٧)، وقال النحاس: ((وهذه من دقائق سيبويه — رحمه الله — ولطائفه التي لا يلحق فيها))^(١٠٨)، وهو أخذ بالمعنى بياناً للأساس الذي تبنى عليه الأحكام النحوية.

المبحث الرابع المفعول فيه

وهو المسمى (ظرفاً)، والظرف في اللغة هو (الوعاء)^(١٠٩).

واصطلاحاً هو: ((ما ضُمنَ - من اسم وقت أو مكان - معنى (في)، بإطراد واقع فيه مذكور، أو مقدر ناصب له-))^(١١٠)، ويكون مبهماً ومختصاً في القسمين، ويكون متصرفاً وغير متصرف، ويكون معرفه وكذلك نكرة، وممتنعاً من الصرف ومصروفاً^(١١١).

وحكم المفعول فيه هو النصب، والناصب له ما وقع فيه، وهو المصدر، نحو: ((عجبت من ضربك زيداً، يوم الجمعة، عند الأمير))، أو الفعل، نحو: ((ضربت زيداً، يوم الجمعة، أمام الأمير))، أو الوصف، نحو: ((أنا ضاربٌ زيداً، اليوم عندك))^(١١٢).

والظرف تسمية بصرية، ويقابله عند الكوفيين الصفة أو المحل^(١١٣).

ومن الظروف المختلف فيها لفظة ((أياماً)) التي وردت في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا كُنتُمْ تَنفُونَ﴾ (١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ (البقرة: ١٨٣، ١٨٤)، فقد قرئت (أيام) منصوبة برسم المصحف، وقرأها عبد الله بن مسعود مرفوعةً، ونسبها الأنباري إلى ابن خالويه خطأ^(١٨٤)، وللنحويين في قراءة النصب أقوال كثيرة، وأول الأقوال فيها قول الفرّاء، قال: ((نصبت على أن كل ما لم تسم فاعله إذا كان فيها اسمان أحدهما غير صاحبه رفعت واحداً ونصبت الآخر، كما تقول: اعطي عبد الله المال، ولا تبال أكان المنصوب معرفة أم نكرة، فإن كان الآخر نعتاً للأول وكانا ظاهرين رفعتهما جميعاً، فقلت: ضرب عبد الله الظريف، رفعت لأنه عبد الله، وإن كان نكرة نصبتها))^(١٨٥)، وقد تجنّى على الفرّاء كثيراً من النحويين لقوله هذا، قال الزجاج: لا يجوز رفع الأيام ولا المال، وكذلك لم يجز قوله أبو حيان والسّمين وغيرهم^(١٨٦)، وليس فيه ما يستوجب الاتساع والحمل على المفعول الثاني للأيام، فتقدير الفرّاء واضح جلي: ((كُتِبَ الصِّيَامُ أَيَّامًا)) لا لبس فيه ولا اضطراب إذا أحتسبنا أياماً مفعولاً لما لم يُسم فاعله على قول الكوفيين^(١٨٧)، ونرى أنه أولى الأقوال بالأخذ، وحققه الأخفش ممثلاً له بقوله: ((ثم قال "أياماً، أي: كُتِبَ الصِّيَامُ، أَيَّاماً لأنك شغلت الفعل بالصيام، حتى صار هو يقوم مقام الفاعل، وصارت الأيام كأنك قد ذكرت من فعل بها))^(١٨٨)، والغريب أن قول الأخفش أهمل على وضوحه، وذهب آخرون وتبعهم الزجاج والنحاس ومكي والزمخشري والأنباري إلى نصب الأيام بالصيام، محتسبين الأيام ظرفاً زمانياً، وخطأهم بعض النحويين، فتحلب يخطئ قائله في زمنه، وذلك للفصل بأجنبي بين العامل ومعموله، وإليه ذهب الفارسي والعكبري وأبو حيان والسّمين، غير أن الظروف - عند السابقين - تعمل فيها المعاني فلا ضير في النصب، وذهب الفارسي إلى نصبه اتساعاً مفعولاً به، وورد أن آخرين يقولون بنصبه على (صيام أياماً) لحكمه بعدم استقامته لشبهه بحذف بعض الاسم^(١٨٩)، وذهب مكي

وآخرون إلى جعل (كما كُتِبَ) نعتاً لمصدر محذوف تقديره (صوماً)، أو جعل نعتاً للصيام على (مُشتَبهاً) ليجيز نصب (أياماً) ظرفاً أو مفعولاً به سعة^(١٢٠)، وذلك لعدم وجود الفصل بأجنبي - هنا - كأن تكون الكاف وما في صلتها مفعولاً به للصيام، وذهب الزجاج إلى نصب أيّام بـ(كتب)، وردّهما أبو حيان؛ لأنّ الكتابة ليست واقعة في الأيام بل هي واقعة فيما يقع في الأيام، ومثله بقوله: ((سرني ولادتك يوم الجمعة))، فالسرور بالولادة لباليوم، وهذا ما دعا الزجاج إلى الانحراف بقول الفرّاء إلى جعل (أياماً)، مفعولاً ثانياً^(١٢١)، وليس كذلك، فحقيقة الزمن هي: ((كتب الصيام في أيّام معدودة))، وبهذا يكون قول الفرّاء مصيباً مُفترى عليه، ويذهب أبو حيان إلى الأخذ برأي الزجاج والأنباري والعكبري بالنصب على ((صوموا أيّاماً))^(١٢٢)، وهو أمر يغنيه التحرير في التعبير عن التقدير.

أمّا الرفع فمختلف على تقديرين عند أبي البقاء، فأيام خبر لمضمر محذوف تقديره (هي)، والآخر جعلها بدلاً من الصيام مرفوعاً على حذف مضاف قام المضاف إليه مقامه، أي: صَوْمُ أيّام^(١٢٣)، وهو مستجيد الأخير، وحذف المضاف كثير واسع في العربية^(١٢٤)، وهذا سائر في طريقه.

ومن الظروف التي اختلفت فيها قراءة ونحواً (يوم) في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ﴾ (غافر: ١٥، ١٦)، و ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ﴾^(١٢٥) يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُسْأَلُونَ^(١٢٦) ﴿الذاريات: ١٢، ١٣﴾ و ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾^(١٢٧) ﴿الانفطار: ١٩﴾، قرئ (يوم) الثاني في الآيات منصوباً ومرفوعاً، وانفراد المطففون بزيادة خفضه^(١٢٨)، وفي القراءات أوجه أعرابية مختلفة، ففي مقروء النصب ذهب سيبويه إلى حمل نظائر هذه على معنى (إذ) بناء، وتبعه البصريون في هذا وتبعه أعلام كبار من الكوفيين فهذا الكسائي لا يجيز النصب مطلقاً في نظائر هذه، فيرى أنّ ما في سورة الانفطار تذهب فيه العرب مذهباً ايثارياً فالرفع مع الإضافة إلى المضارع والفتح مع الماضي، وهو قول البصريين الذين يمنعون البناء في الظروف معه نصباً، ويرى العرب مؤثرة النصب مع الماضي وهو جواز بصري، ويخالفه الفرّاء في الذاريات مجيزاً النصب مع الإضافة إلى كل ماضٍ ومضارع، ويجعله نصباً مع

الإضافة إلى المضارع في المطففين، لأنه غير محض، ويسلك مسلك سيبويه في بناء الظرف مضافاً إلى جملة على الفتح بمعنى (إذ) ويحدده بالإضافة إلى شيئين اسم له فعل أو فعل يفعل وخطأه النحاس؛ لأنه يرفع مع المضارع، ومذهب الأخفش كذلك على مسلك سيبويه في الحمل على (إذ) ومسلك الفراء في الحمل على الإضافة إلى مُضي غير متمحض للإضافة، وتخريج القضية فيما بعد قضية خلافة، البصريون يجيزون البناء مع الإضافة إلى ماضٍ، والكوفيون أصحاب إطلاق عام، وقد جرى عند معظم النحاة البناء في الآيات الأربع، وذهب بعضهم كالعكبري وأبي حيان والسمين إلى إعرابها ظرفاً غير مبني وحركته حركة إعراب^(١٢٦)، وما دمنّا في معرض البناء فسنورد رأياً غريباً للعكبري هو قوله: ((يقرأ بضم الميم، يجوز أن يكون مبنياً على الضم لإضافته إلى الجملة، ويُشَبَّهُ بعوض وهو الدهر، ويجوز أن يكون معرباً))^(١٢٧)، وهذا غريب لأنه مناقض لنظائرها من الظروف كقبل وبعد مضافين معربين منكرين مبنيين ضمّاً، كما أن الإعراب أصل في الأسماء فرع في الأفعال لقبولها - في حالات البناء^(١٢٨). وحكمه بما لا يتفق مع هذا. وذهب الفراء وآخرون إلى حكم يوم فيهن عدا الانفطار، بدلاً ممّا قبله، مرفوعاً كان أو منصوباً؛ لأنه - كما يراه الفراء - مبني هنا، ورآه الفارسي في الانفطار مبنياً على أكثر أصوله^(١٢٩)، وهي ليست حجة عند أبي حيان^(١٣٠)، وذهب بعضهم إلى نصبها بمضمر مفسر منتزع من سياق النص، على اذكر، أو يجازون، أو يدانون، أو يبعثون^(١٣١)، وهي ممكنة غير أن مافي التحرير يغني عن التقدير.

ولأبي حيان تابعاً له السّمين قول يجعلان فيه النصب حكاية واستهواء في حرف الذاريات^(١٣٢)، والحكاية اطرادها بعد القول، وتكون مع الاستفهام بمن وأي^(١٣٣)، وليس هذا منها، أمّا الاستهواء فلم يعرف باباً نحوياً ولا مسلكاً لهجياً معيناً، وفي رفع حرف الانفطار حكم بالبدل من يوم الدين عند النحاس، وجعله الزمخشري خبراً لمضمر^(١٣٤)، والأول أولى وليس في خفض حرف المطففين شيء يذكر^(١٣٥).

المبحث الخامس المفعول معه

المفعول معه : هو ((الاسم الفضلة التالي واواً أُريد بها التتصيص على المعية، مسبوقة بفعل، أو ما فيه حروفه ومعناها))^(١٣٦)، وذهب أبو حيان إلى أن الجمهور قد حمّله على معنى العطف ومعنى المفعول به^(١٣٧)، وهما قياسيان.

وقد وقع الخلاف بين النحويين في العامل في المفعول معه فـ ((ذهب الكوفيون إلى أن المفعول معه منصوب على الخلاف، وذلك نحو قولهم : (استوى الماء والخشبة)، و(جاء البرد والطيالسة)، وذهب البصريون إلى أنه منصوب بالفعل الذي قبله بتوسط الواو. وذهب أبو إسحاق الزجاج من البصريين إلى أنه منصوب بتقدير عامل، والتقدير: ولايسَ الخشبة، وما أشبه ذلك؛ لأنّ الفعل لا يعمل في المفعول وبينهما الواو. وذهب أبو الحسن الأخفش، إلى أن ما بعد الواو ينتصب بانتصاب (مع) في نحو (جئت معه))^(١٣٨).

وقد حدد ذلك ابن بابشاذ بأنّ أصله "مع" حذفت وأقيم الواو مقامها، ونُقل إعراب الجر إلى النصب^(١٣٩)، وشرطه صحة شراكة الثاني مع الأول في الفعل؛ لأنّ الواو عاطفة^(١٤٠)، وقد رأى ابن عقيل أنّ انعكاس معاني الواو تحدده قوة الدلالة، فقوة التشريك عطف، وضعفه مصاحبة^(١٤١)، وقد أجاز الفارسي (هذا زيد وعمراً)، كما أجاز الصيّمري؛ كل رجل وضيعته، وهو ممتنع عند الجمهور^(١٤٢).

وقد فصلت كتب النحو^(١٤٣) قواعد وأحكام أخرى تتعلق بالمفعول معه، تراجع في مظانها.

ومِمَّا يُحْمَلُ على المفعول معه وعلى توجيهات أخرى لفظة (الطير) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجْعَلُ أَوِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَنَّا لَهُ الْخَبِيرُ ۝١٠﴾ (سبأ: ١٠)، فالنصب فيه منسوب إلى الجمهور، ورفع أبو عمرو ويعقوب وآخرون، وتروى عن عاصم^(١٤٤)، وفي قراءته خلاف؛ ففي نصبه أربعة وجوه نأخذها موضوعاً لا زمناً، فأعلاها تخريجاً ما ذهب إليه الزجاج في عده نصب (الطير) على المفعول معه، وله اتساع في هذا الباب يحكم فيه على ((قمت وزيداً)) بالمفعول معه نصباً، وهو ممكن في

عطفه رفعاً على القول الكوفي، وقد عرض أبو حيان أقوال الزجاج فردّها محتجاً بأمرين، هما:

الأول: الفعل لا يتطلب إلّا مفعولاً معه واحداً.

الثاني: اتصال الفعل بأكثر من مفعول محمله عطف أو بدل.

وقد ردّه السمين مبيناً أنّ خلافهم في اقتضاء حالين يستوجب مجيئه هنا مفعولاً معه^(١٤٥)، وليس هذا كافياً، بل إنّ تعدد المعمولات في العربية كثير، فالابتداء يتعدد والخبر يتعدد، والنعوت تتعدد.

وهناك من ينصبه على إضمار فعل تقديره: وسخرنا، وذلك ما رواه أبو عبيدة عن أبي عمرو، أخذاً للدلالة الفعلية من قوله تعالى: ﴿وَلَسَيَمَنَ الرِّيحُ﴾، (الأنبياء: ٨١، وسبأ: ١٢)، أي: وسخرنا له الريح^(١٤٦)، وهو أمر يوحى به النص في الآية، وهنالك محامل أخرى غيره أيسر من التأويل والإضمار.

وأما عيسى بن عمر فكان ((يقول: هو على النداء، كما تقول: يا زيد والحارث، لمّا لم يمكنه ويا الحارث))^(١٤٧)، وهو جارٍ في هذا مجرى البصريين الناصبين؛ لأنّ كلّ منادى عندهم في موضع نصب، ويقرن بعيسى في هذه ونظائرها أبو عمرو ويونس والجرمي، غير أنّ أبا عمرو -كما مرّ- يخالفه في الآية فيضمّر فعلاً ناصباً، قائلاً: ((لو كان على النداء لكان رفعاً))^(١٤٨)، وخالف الاثنين الخليل وسيبويه والمازني في اعتماد الرفع، ونظروا لها بقولهم: يا زيد والحارث، وحجة الفريقين في الأمر التعريف بآل، مع الاختلاف في التأويل، فعيسى بن عمر وتابعوه حاكمون بالرد إلى الأصل تعريفاً، والخليل وأصحابه على "يا حارث" لعدم اجتماع آل مع (ياء) النداء. ويراه بعضهم على المشيئة نصباً ورفعاً، كقول الشاعر:

ألا يا زيد والضحّاك سيرا فقد جاوزتما خمر الطريق

والواقع اللغوي لهذا عند العرب رفع في كثرته، وقَلَّ فيه النصب وإن كان عودةً إلى الأصل، وحكم الخليل في مثله الرفع؛ لأنّه محمول على تكرار العامل فكأنّه (يا حارث) بلا (ال) ويرى المبرد أنّ كلا منهما حسن، غير أنّه يختار النصب أخذاً بقراءة

الجمهور، وحكمه في البذل والنسق خيار بين الوجهين^(١٤٩) والقراءتان كلتاهما حجة في الوجهين، وفي واقع العربية ما ينصر كلاً من الفريقين.

أما القول الأخير فهو للكسائي ويُخرَجُ نصبها بالعطف على (فضلاً) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ (سبأ: ١٠)، ولأنَّه عطفه على معنى فلا بُدَّ له من المناسبة بين المعطوف والمعطوف عليه، فاجتبي معنى من مضمون الآية هو التسبيح، وجعله مضافاً محذوفاً قام مقامه المضاف إليه، وقد قدَّره على "وتسبيح الطير"، وقد أجاز الزمخشري^(١٥٠)، وفيه تكلف، وفي غيرهما غنى عنهما، هما:

الأول: تكلف الأخذ بالمعنى لعطف مصدر على مصدر.

الثاني: تكلف حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه.

هذا.. مع أنَّ هنالك فصلاً بجملتين بين طرفي العطف، وإجازة الزمخشري له لأنَّه مِمَّنْ يجيزون العطف بأكثر من جملة^(١٥١).

أما قراءة الرفع ففيها ثلاثة وجوه، وجهان قال بهما الفرّاء، وهما: عدُّه الطير معطوفة على لفظ الجبال، قال: ((وقد يجوز رفعه على أن يتبع ما قبله))^(١٥٢)، وهو في هذه الحالة معطوف عطف لفظ على الجبال، وقد تبعه الطبري، وأبو القاسم الزجاجي (ت ٣٣٧هـ)، والنحاس، وغيرهم^(١٥٣)، والحمل على اللفظ وجه من وجوه الإعراب^(١٥٤)، وهذا خلاف ما خرَّجه عيسى وآخرون بالنصب على الموقع، وعدّها الخليل وجهين، الرفع قياس والنصب رداً إلى الأصل، ولكن لغة الرفع أكثر^(١٥٥)، وهي متفقة مع تخريج الفرّاء.

وللفرّاء تخريج آخر مفاده أنه: ((لا يجوز رفعه على: أُوْبِّي أنتِ والطير))^(١٥٦)، والعطف على الضمير المرفوع جائز؛ لأنَّه قد حسنه الفصل بالظرف لذلك صار العطف سائغاً مقبولاً، والبصريون والكوفيون متفقون في أمثال هذا، مختلفون فيما لم يؤكد أو يفصل عن متبوعه، البصريون يمنعون والكوفيون يجيزون مطلقاً^(١٥٧)، وقد تبع الفرّاء في هذا الزجاج والنحاس ومكي وابن برّهان وآخرون^(١٥٨).

أما الزجاج فله تخريج يختلف فيه مع سابقه، قال: ويجوز أن يكون مرفوعاً على البذل، المعنى: يا جبال ويا أيها الطير أُوْبِّي معه^(١٥٩)، وهو قد تكلف أمرين هما:-

الأول: التقدير عنده تقديران أحدهما بمؤول.

الثاني: حكمه بالبدل وصوابه نعت لأي^(١٦٠).

وربما يكون ذهابه إلى البدل لما في اللفظين من الجمود، فالجوامد أكثر إبدالاً من المشتقات...

وذهب العكبري مذهباً آخر، فقد حمل رفع الطير على الابتداء وقدّر له خبراً على (كذلك) ووافقه أبو حيان والسمين مقدرين الخبر على (تؤوب)^(١٦١)، ويرده أمران هما:-

الأول: السياق سياق نداء والأسلوب إنشائي.

الثاني: عدم مراعاة التناسب بين المتعاطفين^(١٦٢).

ومن الألفاظ التي غلب على تخريجها النصب مفعولاً معه لفظة ((شركاؤكم)) في قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوَّمُ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِيرِي بِمَا يَنْتَبِهُ اللَّهُ فَعَلَّ اللَّهُ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾ (يونس: ٧١)، فقد قرأه عامة القراء بالنصب، وقرأه الحسن ويعقوب وآخرون بالرفع، وقرأه آخرون بالجر^(١٦٣)، وقد اختلف النحويون في تخريج القراءات الثلاث، ففي قراءة النصب تخريجات ثلاثة: الأولى: أن تحمل على المفعول معه، وقد حدده سيبويه بظهور الفعل وانتصاب الاسم بعد واو بمعنى ((مع)) مفعولاً معه^(١٦٤)، وحكمه جمهور النحويين بأمرين هما: عدم صحة العطف على ما قبله، وقبله جملة ذات فعل أو شبهه^(١٦٥).

وقد اختلف النحويون في وقوعه في القرآن الكريم، فأنكر بعضهم أقوال القائلين بوقوعه، وأثبته آخرون مستنديين إلى وروده في ما يأتي من الأمثلة:

١. قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ

شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ (التحریم: ٦).

٢. قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾﴾ (البينة: ١)^(١٦٦).

وفي قياسه خلاف، فقد ذهب الأخفش وأبو علي الفارسي إلى قياسه، وخالفهم آخرون إذ يرون أنه لا يتجاوز ما سُمِعَ منه ^(١٦٧)، والصحيح جواز القياس عليه لصحة وروده في القرآن الكريم وكلام العرب فلا حاجة إلى التعسف في التأويل، ومِمَّنْ ذهبوا إلى عدِّ ((شركاؤكم)) مفعولا معه المبرِّد، وتبعه الزجاج، والنحاس، وأبو علي الفارسي، وابن برهان العكبري، والزمخشري، وآخرون غيرهم، وماتلوه بالمنصوبين في المثالين المشهورين: ((استوى الماء والخشبة)) و((جاء البرد والطيالسة))، وذهب أبو حيان إلى تحديد كونه من الفاعل لا من المفعول به، وذلك على أشهر الاستعمالين لأنَّ لفظة ((أجمع)) تأتي للمعاني، ولفظة ((جمع)) تأتي للأعيان، غير أنَّ السمين الحلبي قد أجازَه بلا خلاف ^(١٦٨)، وأجاز المبرِّد أيضاً عطفه على سابقه محمولاً على لفظ مثل محذوفاً على ((وأمر شركائكم)) على مثل قوله تعالى: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾ ^(٨٢) (يوسف: ٨٢)، والمبرِّد هنا مراعى لأمر المعنى في استخدام أجمع للمعاني، وذهب آخرون إلى عدم الاعتداد بهذا فعطفوا بلا تقدير مضاف، وذلك على الأمر، لقولهم: أجمعت شركائي، وهو على قول أبي حيان غير مشهور، وحدده الزجاج بوصل الألف في ((أجمَعُوا)) ولذلك نصبه أيضاً على العطف في وجه وفي آخر على معنى ((مع)) في حرف الواو ^(١٦٩)، وهو لا يخرج في قوله عن أحكام السابقين أخذاً بما اشتهر في الفعل وغيره، وكلا الأمرين مؤكد لحقيقة النصب مفعولاً معه.

وللكسائي والفراء رأي آخر مفاده أنهما ينصبان الشركاء على أحد تقديرين، هما: ((وأجمَعُوا شركاءكم)) و((ادعُوا شركاءكم))، ويساند حكمهما هذا ما في مصحف أبي ((وادعُوا))، وقد قرأ به ابن مسعود ^(١٧٠)، وقد رد الزجاج هذا القول قائلاً: ((وزعم الفراء أنَّ معناه: فأجمَعُوا أمركم وادعوا شركاءكم، وهذا غلط لأنَّ الكلام لا فائدة فيه، لأنَّهم إن كانوا يدعون شركاءهم لأنَّ يجمعوا أمرهم، فالمعنى: فاجمَعُوا أمركم مع شركائكم)) ^(١٧١)، والزجاج مصيب بما ذكره من وجهين:

الأول: جمع الأمر مستدع للشركاء وغيرهم بلا تقدير.

الثاني: حمله على المفعول معه أولى دلالياً.

وأما السمين الحلبي فقد ذهب إلى أن تقدير الكسائي والفراء والقراءة المؤازرة تقدير مقبول ومناسب لما يطلبه الكلام^(١٧٢)، إلا أن ما ذكره السمين لا يتفق مع ما قرأ به جمهور القراء، ولا مع أن الإضمار خلاف الأصل فالأولى ما ذكره الزجاج^(١٧٣).

أما قراءة الرفع ففيها أمران، الأول: أن الشركاء مبتدأ، والخبر قدره المهدي على ((وشركاؤكم ليجمعوا أمرهم))، وقدره أبو حيان على ((وشركاؤكم فليجمعوا أمرهم))^(١٧٤)، الثاني: القول بالرفع عطفاً على الضمير المرفوع في ((اجمعوا))، وأول القائلين به الفراء، إذ قال: ((كأنه أراد: اجمعوا أمركم أنتم وشركاؤكم ولست اشتبهه لخلافه للكتاب؛ ولأن المعنى فيه ضعيف))^(١٧٥).

وفي قراءة الجر قولان، أحدهما أخذ بالحذف، والآخر أخذ بالعطف، فمن أخذ بالحذف قدر مضافاً وتقديره هو: فأجمعوا أمركم وأمر شركائكم، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، واحتجوا له بقول الشاعر:

أكل امرئ تحسبين امرأً وكلُّ نارٍ توقد بالليلِ ناراً^(١٧٦)

وهو جارٍ على ما ذكره سيبويه من أن العرب تعمل المضمرات عملها مظهرات، كقولهم: وبلدٍ، يريدون: ورُبَّ بلدٍ، وزيداً، يريدون: عليك زيداً، والهِلالُ، يريدون: هذا الهلالُ^(١٧٧).

وأما القول الآخر فمحمول على المذهب الكوفي، وهو القول بخفضه عطفاً على الضمير في ((أمركم)) من غير إعادة الجار، وقد احتج الكوفيون ومن سايرهم بالمسموع من كتاب الله في قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتِّفَاقًا رَّكَكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١)^(١٧٨)، وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفَرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٢١٧)، وقد اعترض عليهم البصريون بكون الحرف والاسم شيء واحد

فكأنَّكَ عطفت على الجار، وعكسوا الأمر لنفي حجة الكوفيين بقولهم في: مررت بك وزيد، على: مررت بزيد وك، وحملوا الآيتين على الجر قسماً في الأولى، وعطف المسجد على ((سبيل)) لا على ((به))^(١٧٩)، وهذه الأقوال كلها ترد قول الكوفيين لحمل ما في الآيات على تخريجات ممكنة بعيدة عن تخريجات الكوفيين ممَّا تتماشى مع الصناعة النحوية.

النتائج

وقد توصل البحث إلى نتائج يمكن أن نذكرها على النحو الآتي:-

١. إنَّ القراءات القرآنية قد حظيت باهتمام المسلمين منذ نهضتهم الأولى على عهد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضوان الله عليهم، فقد اهتم المسلمون بهذا العلم؛ لأنَّه يتصل اتصالاً وثيقاً بالقران الكريم؛ إذ عليه مداره واعتماده، فكان كل مسلم حريصاً على أن يقرأ القران الكريم على ما قرأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا أساس علم القراءات.
٢. إنَّ قراءة القران الكريم تحتل مكانة مهمة وموقِعاً متميزاً في الدعوة إلى الله، فإنَّ القران بما فيه من عظمة الإعجاز، وقوة الحجة، وما يتركه من أثر في نفوس سامعيه، فهو كتاب الله الذي أنزل لإنقاذ البشرية من الضياع، فكان من مقتضيات الدعوة لهذا الدين الجديد تلاوة القران على الناس حتى يتبينوا مبادئه وبذلك جاءت رخصة الأحرف السبعة لكي تستطيع كل قبيلة أن تقرأ القران بلهجتها.
٣. إنَّ كتابة القران الكريم مهمتها هي الحفاظ على القران الكريم من الضياع في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وصدرًا من خلافة عثمان رضي الله عنه، لكن بعد توحيد المصاحف في عهد عثمان رضي الله عنه أصبح كل ما خالف خطَّ المصحف يُعدُّ قراءةً شاذَّةً، فكتابة القران لم تكن سبباً يوماً في إيجاد قراءة جديدة.
٤. إنَّ تعدد الأوجه الإعرابية في أوجه القراءات أدَّى إلى اتساع المادة النحوية، فقد اشتملت القراءات في أوجهها الإعرابية على خلافات نحوية بين العلماء أفراداً أو مدارس نحوية، وعلى تناقض بعض الأحكام عند العَلَم الواحد أو عند المدرسة المعنية.
٥. تبين من خلال البحث أنَّ أسباب التعدد في الوجوه الإعرابية تعود إلى أربعة أمور، هي: الخروج عن القاعدة، وطبيعة اللغة، والمعنى، والاجتهاد.
٦. لقد وُجِّهت القراءات توجيهات كثيرة، فأزال العلماء الغموض عنها، ودفَعوا اللبس الواقع عليها، وبينوا أحسن وجوهها، وهذا الأمر لا يشكل نقصاً أو ضيراً في

القراءات، فلم ينظر العلماء الذين عملوا بالتوجيه إليها من هذا المنطلق بدافع تغيير الخطأ إلى الصواب، بل كان عملهم قائماً على أساس توضيح المعنى الذي أراده الله تبارك وتعالى، والذي في حقيقته لا خلاف فيه، إلّا أن إدراك العقول هو الذي يختلف، والأفهام غالباً ما تكون متفاوتة، ولهذا فتوجيه القراءات لا يغير خطأً إلى صواب، وإنما يجلي الغموض الذي اعترى الصواب .

٧. حين تناولنا آراء النحويين أضح أنها تسهم في الأخذ بالوجه أو الرد عليه، وقد تتمثل برأي الجمهور، أو برأي مذهب، أو برأي نحوي ما.

٨. يعد الإعراب من الوسائل المهمة التي يركن إليها العلماء في توجيه القراءات، وإن حركات الإعراب تدل على معانٍ في غيرها، تدخل الوضوح إلى النص بعد غموضه فتكسبه سلاسة وسهولة في النطق ، وسرعة في الإدراك والفهم، وكلا الأمرين قد تكلّم فيه، فالأول ينطبق على قول من قال أن الحركات يُتوصل بها إلى النطق بالكلمات، والثاني ينطبق على قول من قال إن الحركات الإعرابية دلائل على المعاني .



- (١) ينظر: نحو التيسير: ٨٤، ونحو المعاني: ٤٣.
- (٢) ينظر: النحو الجديد: ٦٤، ونحو التيسير: ٨٤.
- (٣) ينظر: التراكيب الثابتة في اللغة العربية الفصحى: ١٣٥.
- (٤) ينظر: لسان العرب ٣ / ٤٢، مادة (قرأ).
- (٥) البرهان في علوم القرآن ١ / ٣١٨.
- (٦) القراءات القرآنية / ٥٥.
- (٧) ينظر: منجد المقرئين / ٣.
- (٨) ينظر: اتحاف فضلاء البشر ١ / ٦٧.
- (٩) ينظر: القراءات القرآنية / ٥٦.
- (١٠) ينظر: البحث اللغوي عند العرب / ١٦.
- (١١) لطائف الإشارات ١ / ١٧١.
- (١٢) ينظر: النشر في القراءات العشر ١ / ١١.
- (١٣) البرهان في علوم القرآن ١ / ٣١٨.
- (١٤) ينظر: لطائف الإشارات ١ / ١٧١.
- (١٥) ينظر: اتحاف فضلاء البشر ١ / ٦٨ - ٦٩.
- (١٦) ينظر: مباحث في علوم القرآن ١٠٨.
- (١٧) ينظر: القراءات القرآنية / ٦١ - ٦٢.
- (١٨) ينظر: المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة ١ / ٤٧.
- (١٩) النشر في القراءات العشر ١ / ١٥.
- (٢٠) ينظر: المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة ١ / ٤٧٨.
- (٢١) ينظر: اتحاف فضلاء البشر (هامش رقم ٢) ١ / ٦٩.
- (٢٢) ينظر: القراءات القرآنية د. الفضلي / ٥٩.
- (٢٣) ينظر: النشر في القراءات العشر ١ / ٩.
- (٢٤) ينظر: لطائف الإشارات ١ / ١٧٠.
- (٢٥) القراءات القرآنية د. الفضلي / ٥٩.
- (٢٦) منجد المقرئين / ١٦.
- (٢٧) ينظر: القراءات القرآنية د. الفضلي / ٥٩.

- (٢٨) ينظر: منجد المقرئين / ١٦ .
- (٢٩) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٣٣١/١، والنشر في القراءات العشر ٩/١ .
- (٣٠) ينظر: الابانة عن معاني القراءات / ٣٩، وجمال القراء ٢٤١ / ١، والبرهان في علوم القرآن ٣٣١ / ١، والنشر في القراءات العشر ٩ / ١، والاتقان في علوم القرآن ٧٥ / ١ .
- (٣١) ينظر: مباحث في علوم القرآن / ٢٥٥ - ٢٥٦، والاختلاف بين القراءات / ٧٦ - ٧٧ .
- (٣٢) ينظر: المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة / ٨٦ - ٩٢ .
- (٣٣) ينظر: مدرسة الكوفة / ٣٧٧ .
- (٣٤) الأصول د. تمام حسان / ١٠٥ .
- (٣٥) ينظر: مدرسة الكوفة / ٣٣٧-٣٤١ .
- (٣٦) الاقتراح / ٩٦ .
- (٣٧) ينظر: شرح المقدمة المحسبة: ٣٠٠/٢، همع الهوامع ٩٤/٣، شرح الحدود النحوية: ١٠٥ - ١٠٨ .
- (٣٨) ينظر: شرح التصريح: ٣٢٣/١، همع الهوامع: ٨/٣، المشكاة: ٢١٩ .
- (٣٩) ينظر: المشكاة: ٢١٩ .
- (٤٠) المفصل في علم العربية ١٠٠/١، وينظر: شرح الحدود النحوية / ٩٧ .
- (٤١) ينظر: الجامع الصغير: ٨٨ .
- (٤٢) ينظر: شرح عيون الإعراب: ١٢٦ .
- (٤٣) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف م (١١) ٨٢/١، وأسرار العربية / ٨٥، والغرة المخفية في شرح الدرة الألفية ٣٥/١ .
- (٤٤) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف م (١١) ٨٢/١، وأسرار العربية / ٨٥، وشرح الرضي على الكافية ٣٣٥/١ .
- (٤٥) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف م (١١) ٨٢/١، وهمع الهوامع ٥/٢ .
- (٤٦) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف م (١١) ٨٢/١، وشرح الرضي على الكافية ٣٣٥/١، وهمع الهوامع ٦/٢ .
- (٤٧) ينظر: شرح عيون الأعراب: ١٢٧ .
- (٤٨) ينظر: المفصل: ٥١ / ١، والغرة المخفية في شرح الدرة الألفية: ٢٣٥/١، وهمع الهوامع: ٩/٣ .
- (٤٩) ينظر: الكشف: ٢٧١/٤، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٢٩/١٦، والدر المصون: ٦١٧/٩ .
- (٥٠) ينظر: الدر المصون: ٩/٦١٧ .

- (٥١) ينظر: التبيان للعكبري: ١١٤٤/٢، والتفسير الكبير للرازي: ٢٧/٢٤٠، والبحر المحيط: ٣٣/٨.
- (٥٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٣٩/٣، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣٢٣/٤.
- (٥٣) ينظر: معاني القرآن للأخفش: ٢/٤٧٥، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/٤٢٤، والكشاف: ٢٧١/٤، والدر المصون: ٦١٦/٩.
- (٥٤) ينظر: المقتضب: ٢١٦-٢٢١/٣، والبحر المحيط: ٣٣/٨، والدر المصون: ٦١٧/٩.
- (٥٥) ينظر: التبيان للعكبري: ١١٤٤/٢، والدر المصون: ٦١٦/٩.
- (٥٦) ينظر: السبعة: ٧٠٠، والعنوان: ٤١٤، والكافي: ٢٠٧.
- (٥٧) ينظر: الكتاب ٧٠/٢، ومعاني القرآن للفراء ٢٩٨/٣، ومعاني القرآن للأخفش ٧٤٥/٢، وإعراب ثلاثين سورة: ٢٢٥، والكشاف ٣٩٠/٢، والتبيان للعكبري ٢٩٦/٢.
- (٥٨) ينظر: معاني القرآن للفراء ٢٩٨/٣، ومعاني القرآن للأخفش ٧٤٥/٢، وجامع البيان للطبري ٤١٢/٣٠، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٨٩/٥.
- (٥٩) ينظر: جامع البيان للطبري ٤١٣/٣٠.
- (٦٠) ينظر: الكشاف ٣٩٠/٢، والكشاف ٢٩٧/٤، والتبيان للعكبري ٢٩٦/٢، وتفسير النسفي ٧٣٥/٣.
- (٦١) شرح الحدود النحوية ١٠٥.
- (٦٢) ينظر: شرح الرضي على الكافية ٢٩٤/١، وشرح الأشموني، ١٦٠/٢، وهمع الهوامع ٩٤/٢.
- (٦٣) شرح ابن عقيل ١٦٩/٢.
- (٦٤) ينظر: أوضح المسالك: ٢٠٨/٢، وشرح ابن عقيل: ١٦٩/٢.
- (٦٥) ينظر: شرح عيون الإعراب: ١٧٣، وأوضح المسالك: ٢١٣/٢.
- (٦٦) ينظر: إعراب القراءات الشواذ: ٢١١/١، والبحر المحيط: ٥٨٤/١.
- (٦٧) ينظر: الكشاف: ١٩٦/١.
- (٦٨) ينظر: الكتاب: ١٩١/١، والكشاف: ١٩٦/١، والبحر المحيط: ٥٨٤/١.
- (٦٩) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/٨٢، ومعاني القرآن للأخفش: ١/١٥٠، ومعاني القرآن إعرابه للزجاج: ٢١٥/١، وإعراب القرآن النحاس: ٢١٨/١، والبحر المحيط: ٩٧/٤.
- (٧٠) ينظر: الكتاب: ١٩١/١، ومشكل إعراب القرآن: ١/١١٢، والكشاف: ١/١٩٦، ١٢٦، والتبيان للعكبري: ١٢٢/١.
- (٧١) ينظر: الكتاب: ١٩١/١، ومعاني القرآن للفراء: ١/٨٣، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٢١٥/١، وإعراب القراءات الشواذ: ٢١١/١، والبحر المحيط: ٥٨٤/١.
- (٧٢) السبعة ٣٢٥، وينظر: التيسير: ١٢١، والاتحاف: ٢٤٨.

- (٧٣) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٤٦١/١، ومعاني القرآن وأعرابه للزجاج: ١٤/٣، وأعراب القرآن النحاس: ٥٦/٢، مشكل إعراب القرآن: ٣٤٢/١، والتبيان للعكبري: ٦٧٠/٢.
- (٧٤) ينظر: جامع البيان الطبري: ٤٥/١٥، والبحر المحيط: ١٤٣/٥، وروح المعاني: ٨٨/٩.
- (٧٥) ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن للأنباري: ٤٠٩/١، والتبيان للعكبري: ٦٧٠/٢.
- (٧٦) ينظر: شرح ابن عقيل: ٩٤/٢.
- (٧٧) ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن للأنباري: ٤٠٩/١، والدر المصون: ٦/١٧٤.
- (٧٨) ينظر: البحر المحيط: ١٤٣/٥.
- (٧٩) ينظر: الدر المصون ١٧٤/٦، الغيث: ٧٧، الاتحاف: ٢٤٨.
- (٨٠) ينظر: الدر المصون: ١٧٤/٦.
- (٨١) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٤٦١/١، ومعاني القرآن للأخفش: ٣٤٣/٢، ومعاني القرآن وأعرابه للزجاج: ١٤/٣، وأعراب القرآن للنحاس: ٥٥/٢، والكشاف: ٣٣٩/٢، والتبيان للعكبري: ٦٧٠/٢، والبحر المحيط: ١٤٣/٥.
- (٨٢) ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن للأنباري: ٤١٠/١، التبيان للعكبري: ٦٧٠/٢.
- (٨٣) شرح الحدود النحوية / ١٠٦، وينظر: شرح قطر الندى / ٢٤٦-٢٤٧.
- (٨٤) ينظر: الإيضاح في شرح المفصل ٣٩٥/١، وشرح ابن عقيل ١٨٦/٢.
- (٨٥) جامع الدروس العربية ٤٦١/٣-٤٦٢.
- (٨٦) الكتاب ٣٦٧/١-٣٧٢.
- (٨٧) ينظر: شرح اللمحة البدرية ٥٩/٢، وحاشية الخضري ١٩٤/١.
- (٨٨) الكتاب ٣٦٩/١.
- (٨٩) ينظر: معاني القرآن ١٧/١، ٧٣، ونحو القراء الكوفيين / ٣٤٣.
- (٩٠) ينظر: كشف المشكل في النحو ٤٤١/١، وشرح اللمحة البدرية ١٥٩/٢، وشرح الأشموني ١٧٩/٢، وهمع الهوامع ١٣٠/٢.
- (٩١) ينظر: إعراب القراءات الشواذ: ٥٤٤/١، التبيان للعكبري: ٥٧٣/١، والدر المصون: ٣٣٦-٣٣٧/٥.
- (٩٢) ينظر: إعراب القراءات الشواذ: ٥٤٤/١، والدر المصون: ٣٣٦/٥.
- (٩٣) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٣٨٠/١، إعراب القرآن للنحاس: ٦٥١/١.
- (٩٤) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٣٨٠/١، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣٤١/٢، وإعراب القرآن للنحاس: ٦١٥/١، ومشكل إعراب القرآن: ٢٩٣/١، والبيان في غريب إعراب القرآن للأنباري: ٣٦٤/١، والتبيان للعكبري: ٥٧٣/١، والدر المصون: ٣٣٦/٥.

- (٩٥) ينظر: الدر المصون : ٣٣٦/٥.
- (٩٦) ينظر: معاني القرآن للفرّاء: ٢٨٠/١، وإعراب القرآن للنحاس: ٦١٥/١، وإعراب القراءات الشواذ: ٥٤٤/١.
- (٩٧) معاني القرآن للفرّاء: ٣٨٠/١.
- (٩٨) ينظر: معاني القرآن للفرّاء: ٣٨٠/١، ٢٠٦/٢.
- (٩٩) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها.
- (١٠٠) ينظر: معاني القرآن للفرّاء: ٣٨٠/١.
- (١٠١) ينظر: الدر المصون: ٣٣٧/٥.
- (١٠٢) ينظر: السبعة: ٢٦٩، والتذكرة ٤٢٧/٢، والتيسير: ١١٤، والاتحاف: ٢٣٢.
- (١٠٣) ينظر: الكتاب ١٦١/١، ومعاني القرآن للفرّاء ٣٩٨/١، والكشاف ١٧١/٢، والتبيان للعكبري ٦٠٠/١.
- (١٠٤) ينظر: معاني القرآن للأخفش ٩٧/١، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٨٦/٢، ومشكل إعراب القرآن ٣٠٤/١، والكشاف ١٧١/٢.
- (١٠٥) ينظر: الدر المصون ٤٩٥/٥.
- (١٠٦) ينظر: الكتاب ١٦١/١، ومعاني القرآن للأخفش ٩٧/١، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٨٥/٢، والتفسير الكبير للرازي ٣٨/١٥، والبحر المحيط ٤٠٩/٤، والدر المصون ٤٩٥/٥.
- (١٠٧) ينظر: الكتاب ١٦١/١، وإعراب القرآن للنحاس ٦٤٦/١.
- (١٠٨) إعراب القرآن ٦٤٦/١.
- (١٠٩) ينظر : لسان العرب ١٣/٦، مادة(ظرف).
- (١١٠) تسهيل الفوائد ٩١/، وينظر : شرح ابن عقيل ١٩١/٢، وأوضح المسالك ١٩٤/٢، وشرح الأشموني ١٨٤/٢.
- (١١١) ينظر: للمع: ١١١، ١١٢، والمفصل: ١٥٧/١، وأوضح المسالك: ٢٣٧-٢٣٨.
- (١١٢) ينظر : شرح ابن عقيل ١٩٢/٢، وشرح الأشموني ١٨٧/٢.
- (١١٣) ينظر : نحو القراء الكوفيين /٣٤٧.
- (١١٤) ينظر: المختصر: ١٢، وإعراب القراءات الشواذ: ٢٣٠.
- (١١٥) معاني القرآن للفرّاء: ١١٢/١.
- (١١٦) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٢٥٢/١، والبحر المحيط: ٣٧-٣٨، والدر المصون: ٢٦٩/٢.
- (١١٧) ينظر: شرح القصائد السبع الطوال: ٣٥٢.

- (١١٨) معاني القرآن للأخفش: ١/٥٨، وينظر: أعراب القرآن للنحاس: ١/٢٣٥، وجعله ناصبا إيامه بالصيام، والنصب المثبت ينفي قوله.
- (١١٩) ينظر: حجة الفارسي: ١/٢٢.
- (١٢٠) ينظر: مشكل إعراب القرآن: ١/١٢٠-١٢١، والتبيان للعكبري: ١/١٤٩، والبيان في غريب إعراب القرآن للأنباري: ١/١٤٢، البحر المحيط: ٢/٣٧.
- (١٢١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١/٢٥٢، والتبيان للعكبري: ١/١٤٩، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٢/٢٧٦، والبحر المحيط: ٢/٣٧-٣٨، والدر المصون: ٢/٢٦٩.
- (١٢٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١/٢٥٢، والبيان في غريب إعراب القرآن للأنباري: ١/١٤٢، والتبيان للعكبري: ١/١٤٩.
- (١٢٣) ينظر: أعراب القراءات الشواذ: ١/٢٣٠.
- (١٢٤) ينظر: الخصائص: ٢/٣٦٢.
- (١٢٥) ينظر: السبعة: ٦٧٤، والمختصر: ١٣٣، ١٧٠، وحجة الفارسي: ٦/٣٦٣، وأعراب القراءات الشواذ: ٢/٥١٣، ٦٨٨، ٦٨٩-٦٩٠.
- (١٢٦) ينظر: الكتاب: ١/٤٦١، ٣٦٩، ومعاني القرآن للفرّاء: ٣/٨٣، ٢٤٦، ٢٤٥، ومعاني القرآن للأخفش: ٢/٤٦٠-٤٦١، ٥٣١، ٤٦١، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٥٢٠-٢٩٦، ٥٣، وأعراب القرآن للنحاس: ٣/٦، ٢٣١-٢٣٢، ٦٤٦-٦٥١، ٦٤٧، وحجة الفارسي: ٦/٣٨٣، والكشاف: ٤/٣٩٧، وإعراب القراءات الشواذ: ٢/٦٩٤، والبحر المحيط: ٨/١٣٤، ٤٢٩، والدر المصون: ٩/٤٦٤، ١٠/٤٤-٤٣.
- (١٢٧) إعراب القراءات الشواذ: ٢/٥١٣.
- (١٢٨) ينظر: المقتضب: ٤/٢٠٥، وأوضح المسالك: ١/٣٨، وشرح ابن عقيل: ١/٣٧.
- (١٢٩) ينظر: معاني القرآن للفرّاء: ٣/٢٤٦، والبحر المحيط: ٨/١٣٤، ٤٣٢، والدر المصون: ٩/٤٦٤، ١٠/٤٣.
- (١٣٠) ينظر: البحر المحيط: ٨/١٣٤، ٤٣٢.
- (١٣١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٩/٢٥٤، والبحر المحيط: ٨/٤٢٩، ٤٣٢، والدر المصون: ٩/٤٦٤.
- (١٣٢) ينظر: البحر المحيط: ٨/١٣٤، والدر المصون: ٤٣/١٠.
- (١٣٣) ينظر: أوضح المسالك: ٤/٢٨٠-٢٨٥.
- (١٣٤) ينظر: أعراب القرآن للنحاس: ٣/٣٤٦-٣٤٧، والكشاف: ٤/٧١٧، والبحر المحيط: ٨/٤٢٨.
- (١٣٥) ينظر: المختصر: ١٧٠، وإعراب القراءات الشواذ: ٢/٢٩٠، والبحر المحيط: ٨/٤٣٢.

- (١٣٦) شرح الحدود النحوية /١٠٨، وينظر : شرح شذور الذهب /٢٦٢.
- (١٣٧) ينظر: همع الهوامع: ٢٣٦/٣.
- (١٣٨) الإنصاف في مسائل الخلاف م(٣٠) ٢١٥/١، وينظر : أسرار العربية /١٨٢، وشرح اللمحة البدرية ١٥٧/٢-١٥٨.
- (١٣٩) ينظر: شرح المقدمة المحسبة: ٣٠٩/٢.
- (١٤٠) ينظر: الغرة المخفية في شرح الدرة الألفية: ٢٨٤/١.
- (١٤١) ينظر: أوضح المسالك: ٢٤٣-٢٤٥، شرح ابن عقيل: ٥٩٤-٥٩٥.
- (١٤٢) ينظر: أوضح المسالك: ٢٤٩/٢، والجامع الصغير : ١١٥.
- (١٤٣) ينظر : كشف المشكل في النحو ٤٤٧/١، وشرح المفصل -لابن يعيش ٣٥٦/٢، وشرح اللمحة البدرية ١٥٤/٢.
- (١٤٤) ينظر: الكتاب: ٣٠٥/١، الكشف: ٥٧١/٣، البحر المحيط: ٢٥٣/٧، النشر: ٣٤٩/٢.
- (١٤٥) ينظر: جامع البيان: ٦٦/٢٢، معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٢٤٣/٤، وإعراب القرآن النحاس: ٦٥٨/٢، ومشكل إعراب القرآن: ٢٥٣/٢، ٢٧٨، والتبيان للعكبري: ٩٢٣/٢، والبحر المحيط: ٢٥٣/٧، والدر المصون: ١٥٩/٩، قال الطبري: ((وفي نصب الطير... ما قاله ابن زيد من ان الطير نوديت كما نوديت الجبال، فتكون منصوبة من اجل انها معطوفة على مرفوع بما لا يحسن اعادة رافعة عليه، فيكون كالمصدر عن جهته))، جامع البيان: ٦٦/٢٢.
- (١٤٦) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٣٥٥/٢، والكشاف: ٥٧١/٣.
- (١٤٧) طبقات النحويين واللغويين الزبيدي: ٣٦.
- (١٤٨) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
- (١٤٩) ينظر: الكتاب: ٣٠٥/١، ومعاني القرآن للفراء: ٣٥٥/٢، والمقتضب: ٢١٢-٢١٣، وإعراب القرآن النحاس: ٦٥٨/٢، البيان في غريب إعراب القرآن للأنباري: ٢٧٥/٢، والدر المصون: ١٥٩/٩.
- (١٥٠) ينظر: إعراب القرآن النحاس: ٦٥٨/٢، ومشكل إعراب القرآن: ٥٨٣/٢، والكشاف: ٥٧١/٣، والبحر المحيط: ٢٥٣/٧.
- (١٥١) ينظر: مغني اللبيب: ٣٩٤/٢.
- (١٥٢) معاني القرآن للفراء: ٣٥٥/٢.
- (١٥٣) ينظر: جامع البيان: ٦٦/٢٢، والجمل في النحو للزجاجي: ١٥٢، البحر المحيط: ٢٥٣/٧، الدر المصون: ١٥٩/٩.

- (١٥٤) ينظر: الكتاب: ٣٠٤/١، ٣٠٥، والمقتضب: ١٢١/٤-١٢٣، ومعاني القرآن للفراء: ٣٥٥/٢، والانصاف: م(٢٣) ١٨٥/١.
- (١٥٥) ينظر: الكتاب: ٣٠٥/١.
- (١٥٦) معاني القرآن للفراء: ٣٥٥/٢.
- (١٥٧) ينظر: الانصاف: م(٦٦) ٤٧٤/٢.
- (١٥٨) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٢٤٣/٤، وإعراب القرآن النحاس: ٦٥٨/٢، ومشكل إعراب القرآن: ٥٨٣/٢، والتبيان للعكبري: ٩٢٣/٢، البحر المحيط: ٢٥٣/٧.
- (١٥٩) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٢٤٣/٤.
- (١٦٠) ينظر: الكتاب: ٣٠٦/١، وشرح ابن عقيل: ٢٦٨-٢٦٩.
- (١٦١) ينظر: التبيان للعكبري: ٩٢٣/٢، والبحر المحيط: ٢٥٣/٧، والدر المصون: ١٦٠/٩.
- (١٦٢) ينظر: مغني اللبيب: ٤١٦/٢، وإعراب الجمل: ٢٨١.
- (١٦٣) ينظر: المختصر: ٥٧، والمحتسب: ٤٣٤/١، والنشر: ٢٨٦/٢، والاتحاف: ٢٥٣.
- (١٦٤) ينظر: الكتاب: ١٥٠/١.
- (١٦٥) ينظر: الكتاب: ١٥٠/١، والبحر المحيط: ١٧٨/٥.
- (١٦٦) ينظر: المشكاة الفتحية: ٢٢٩-٢٣٠.
- (١٦٧) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ١٩٨/١.
- (١٦٨) ينظر: الكامل: ٣٣٤/١، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٢٨/٣، وإعراب القرآن للنحاس: ٦٨/٢، والتعليقة: ٢٤٢/٤، وشرح اللمع: ١٣١/١، والكشاف: ٣٥٩/٢، والتبيان للعكبري: ٦٨١/٢، والبحر المحيط: ١٧٨/٥، والدر المصون: ٢٤١/٦.
- (١٦٩) ينظر: الكامل: ٣٣٤/١، ومعاني القرآن للفراء: ٤٧٣/١، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٢٨/٣، وإعراب القرآن للنحاس: ٦٨/٢، والكشاف: ٣٥٩/٢، والتبيان للعكبري: ٦٨١/٢، والبحر المحيط: ١٧٨/٥، والدر المصون: ٢٤١/٦.
- (١٧٠) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٤٧٣/١، والمختصر: ٥٩، والمحتسب: ٤٣٤/١، والبحر المحيط: ١٧٧/٥.
- (١٧١) معاني القرآن وإعرابه: ٢٧/٣.
- (١٧٢) ينظر: الدر المصون: ٢٤١/٦.
- (١٧٣) ينظر: التفسير الكبير للرازي: ٢٧٣/٢٦-٢٣٨، والدر المصون: ٢٤٠/٦-٢٤١.
- (١٧٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٣٦٣/٨، والبحر المحيط: ١٧٨.
- (١٧٥) معاني القرآن: ٤٧٣/١.

- (١٧٦) ينظر: المقتضب ٥١/٢، والخصائص ٣٤١/٢، والبحر المحيط ١٧٨/٥، والدر المصون ٢٣٤/٦.
 (١٧٧) ينظر: الكتاب ٥٤/١.
 (١٧٨) قراءة الخفض في ((الأرحام)) لابن مسعود وآخرين، ينظر: السبعة: ٢٢٦، والنشر ٢٤٧/٢.
 (١٧٩) ينظر: الانصاف م (٦٥) ٤٦٣/٢ — ٤٧١، والبحر المحيط ١٧٨/٥، والدر المصون ٢٤٣/٦.

المصادر والمراجع

- ١- الإبانة عن معاني القراءات: لأبي بكر محمد بن أبي طالب القيسي ت (٤٣٧ هـ)، تحقيق: محيي الدين رمضان، ط ١، دار المأمون للتراث، دمشق - سوريا، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- ٢- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر المسمى "منتهى الأمانى والمسرات في علوم القراءات": للشيخ أحمد بن محمد البنا (ت ١١١٧ هـ)، تح: د. شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.
- ٣- الاتقان في علوم القرآن: لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت (٩١١ هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت - لبنان.
- ٤- الاختلاف بين القراءات: أحمد النبيلي، ط ١، دار الجيل، بيروت - لبنان، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- ٥- أسرار العربية: أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري (ت ٥٧٧ هـ)، تحقيق: محمد بهجة البيطار، مطبعة المجمع العلمي العربي، دمشق - سوريا، (د.ت).
- ٦- الأصول (دراسة ابيستمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي): د. تمام حسان، دار الثقافة، المغرب، ١٤١٤ هـ - ١٩٩١ م.
- ٧- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم: لأبي عبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه ت (٣٧٠ هـ)، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٦٠ هـ - ١٩٤١ م.
- ٨- إعراب القراءات الشواذ، لأبي البقاء العكبري (ت ٦١٦ هـ)، تح: محمد السيد أحمد عزوز، عالم الكتب، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م.
- ٩- إعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن اسماعيل النحاس (ت ٣٣٨ هـ)، تح: د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، ط ٢، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- ١٠- الاقتراح في علم أصول النحو: لجلال الدين السيوطي ت (٩١١ هـ) تحقيق وتعليق: أ. د حمدي عبد الفتاح مصطفى خليل، ط ٣، مكتبة الآداب، القاهرة - مصر، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
- ١١- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري النحوي (ت ٥٧٧ هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، مصر، ط ٤، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١ م.

- ١٢- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تح: عبد المتعال الصعيدي، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، مصر، ط ٣، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.
- ١٣- الإيضاح في شرح المفصل : لأبي عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب النحوي (ت ٦٤٦هـ)، تحقيق : د.موسى بناي العليلى، مطبعة العاني، بغداد -العراق، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ١٤- البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر: د. أحمد مختار عمر، ط ٢، عالم الكتب، القاهرة — مصر، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٩ م .
- ١٥- البحر المحيط: لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، داراحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط ٢، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.
- ١٦- البرهان في علوم القرآن: لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ت (٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط ٢، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ١٣٩١ هـ - ١٩٧٢ م .
- ١٧- البيان في غريب إعراب القرآن، لأبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ): تح: د. طه عبد الحميد طه، مراجعة: مصطفى السقا، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٣٨٩هـ - ١٣٩٠هـ / ١٩٦٩م - ١٩٧٠م.
- ١٨- التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ)، تح: الأستاذ إبراهيم عطوة عوض، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط ١، ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م.
- ١٩- التراكيب الثابتة في اللغة العربية الفصحى في باب المفاعيل بين النظام اللغوي والذاكرة اللغوية، د.أمنة صالح الزعبي، مجلة جامعة دمشق-المجلد ٢٨ - العدد الأول، ٢٠١٢م.
- ٢٠- التذكرة في القراءات الثمان: للشيخ أبي الحسن طاهر بن عبد المنعم بن غلبون ت (٣٩٩هـ)، تحقيق: أيمن رشدي سويد، نشر الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، ط ١، ١٩٩١م.
- ٢١- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد : أبو عبد الله جمال الدين محمد بن مالك الطائي الأندلسي (ت ٦٧٢هـ)، تحقيق : محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي، القاهرة -مصر، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
- ٢٢- التعليقة على كتاب سيبويه: لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ)، تحقيق: د. عوض بن حمد القوزي، ط ١، مطابع الحسني، الرياض- المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ.
- ٢٣- التفسير الكبير، للإمام الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ)، نشر مكتب الإعلام الإسلامي، ط ٣، ١٤١١هـ.
- ٢٤- تفسير النسفي المسمى ((مدارك التنزيل وحقائق التأويل)): للإمام أبي البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي ت (٧٠١هـ)، منشورات دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.

- ٢٥- تفسير النهر الماد من البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، مطبوع على هامش التفسير الكبير المسمى "البحر المحيط" لأبي حيان الأندلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.
- ٢٦- التفسير في القراءات السبع، للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ)، عني بتصحيحه: أوتوبرتزل، مطبعة الدولة، استانبول، ١٩٣٠م.
- ٢٧- جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف "تفسير الطبري": لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تح، محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.
- ٢٨- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ)، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ط٣، عن طبعة دار الكتب المصرية، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.
- ٢٩- جامع الدروس العربية : الشيخ مصطفى الغلاييني، دار الحديث، القاهرة - مصر، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ٣٠- الجامع الصغير في النحو : لأبي محمد جمال الدين بن عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري المصري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق : د. احمد محمد الهرميل، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ٣١- جمال القراء وكمال الاقراء: لعلم الدين سخاوي علي بن محمد ت (٦٤٣هـ)، تحقيق: د. علي حسين البواب، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، مكتبة التراث، مكة المكرمة ، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .
- ٣٢- الجمل في النحو، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاج (ت ٣٤٠هـ)، حققه وقدم له: د. علي توفيق الحمد، ط٤، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، دار الأمل، إربد- الأردن، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- ٣٣- حاشية الخصري على شرح ابن عقيل : للشيخ محمد الخصري (ت ١٢٨٧هـ)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة - مصر، (د.ت).
- ٣٤- الحجة في علل القراءات السبع، لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي (ت ٣٧٧هـ)، تح: علي الجندي، عبد الفتاح شلبي، ١٩٨٣، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ٣٥- الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه (ت ٣٧٠هـ)، تح: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، ط٣، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- ٣٦- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تح: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت- قائمة، لبنان، ط٢.

- ٣٧- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للإمام أحمد بن يوسف المعروف بالسَّمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ)، تح: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ود. جاد مخلوف جاد، ود. زكريا عبد المجيد النوتي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- ٣٨- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت ١٢٧٠م)، تحقيق : محمد حسين العرب، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ٣٩- السبعة في القراءات، لأبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد (ت ٣٢٤هـ)، تح: د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٨٨م.
- ٤٠- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك المسمى بـ (منهج السالك إلى ألفية ابن مالك): لنور الدين أبي علي بن محمد الشافعي الأشموني (ت ٩٢٦هـ)، مطبوع ضمن حاشية الصبان، ت حقق: محمود بن الجمل، ط١، مكتبة الصفا، القاهرة - مصر، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- ٤١- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بهاء الدين عبدالله بن عقيل (ت ٧٦٩هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، ط١٤، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.
- ٤٢- شرح الحدود النحوية، لعبد الله بن أحمد بن علي الفاكهي (ت ٩٧٢هـ)، تح: د. زكي فهمي الألوسي، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل- العراق، د.ت.
- ٤٣- شرح التصريح على التوضيح على ألفية ابن مالك، للشيخ خالد بن عبدالله الأزهرى (ت ٩٠٥هـ)، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، ط١، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م.
- ٤٤- شرح الرضي على كافية ابن الحاجب: للشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الإستراباذي النحوي (ت ٦٨٦هـ)، شرح وتحقيق: أ.د. عبد العال سالم مكرم، ط١، عالم الكتب، القاهرة- مصر، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- ٤٥- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان.
- ٤٦- شرح عيون الإعراب: لأبي الحسن علي بن فضال المجاشعي (ت ٤٧٩هـ)، تحق: د. عبد الفتاح سليم، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة- مصر، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- ٤٧- شرح القوائد السبع الطوال الجاهليات : لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة - مصر، ١٩٦٩م.

- ٤٨- شرح قطر الندى ووبل الصدى : لأبي محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، ومعه كتاب سبيل الهدى بتحقيق شرح قطر الندى : محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ٤٩- شرح للمحة البدرية في علم اللغة العربية : لابن هشام الأنصاري المصري (ت ٦٧هـ)، تحقيق د. هادي نهر، ساعدت الجامعة المستنصرية على نشره، بغداد - العراق، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
- ٥٠- شرح للمع، صنفه ابن برهان العكبري، الإمام أبو القاسم عبد الواحد بن علي الأسدي (ت ٥٤٦هـ)، تح: فائز فارس، مطابع الكويت تايمز التجارية، الكويت، ط ١، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- ٥١- شرح المفصل : لموفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق : احمد السيد سيد احمد، راجعه ووضع فهرسه : إسماعيل عبد الجواد عبد الغني، المكتبة التوفيقية، القاهرة - مصر، (د.ت.).
- ٥٢- شرح المقدمة المحسبة، لطاهر بن أحمد بن بابشاذ (ت ٤٦٩هـ)، تح: د. خالد عبدالكريم، المطبعة العصرية، الكويت، ط ١، ١٩٧٦م - ١٩٧٧م.
- ٥٣- طبقات النحويين واللغويين : لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي (ت ٣٧٩هـ)، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة - مصر، ١٩٧٣م.
- ٥٤- العنوان في القراءات السبع: لأبي طاهر إسماعيل بن خلف المقرئ الأنصاري الأندلسي (ت ٤٥٥هـ)، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، ود. خليل العطية، عالم الكتب، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
- ٥٥- الغرّة المخفية، شرح الدرّة الالفية لابن معطٍ: لأبي عبد الله شمس الدين ابن الخبّاز (ت ٦٣٩هـ)، تح: حامد محمد العبدلي، مطبعة العاني، بغداد، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- ٥٦- غيث النفع في القراءات السبع: لولي الله سيدي علي النوري الصفاقسي (ت ١١١٨هـ)، مطبوع على هامش سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي لابن القاصح، المكتبة الثقافية، لبنان.
- ٥٧- القراءات القرآنية تاريخ وتعريف: د. عبدالهادي الفضلي، ط ٣، دار القلم، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٥٨- الكافي في القراءات السبع: لأبي عبدالله محمد بن شريح الرعيني الأندلسي (ت ٤٧٦هـ)، مطبوع على هامش المكرر في ما تواتر من القراءات السبع وتحرر لعمر بن قاسم النشار، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط ٢، ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩.
- ٥٩- الكامل : أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة - مصر، (د.ت.).

- ٦٠- الكتاب، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المشهور بسيبويه (ت ١٨٠هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٨٥هـ - ١٣٨٨هـ / ١٩٦٦م - ١٩٦٨م.
- ٦١- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.
- ٦٢- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)، تح: محيي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.
- ٦٣- كشف المشكل في النحو: لعلي بن سليمان الحيدرة اليميني (ت ٥٩٩هـ)، تحقيق: د. هادي عطية مطر، مطبعة الإرشاد، بغداد - العراق، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ٦٤- لسان العرب: لابن منظور الإفريقي (ت ٧١١هـ)، تقديم الشيخ: عبد الله العاليلي، إعداد وتصنيف: يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت - لبنان.
- ٦٥- لطائف الإشارات لفنون القراءات: لشهاب الدين القسطلاني (ت ٩٢٣هـ)، تحقيق: الشيخ عامر سيد عثمان، ود. عبد الصبور شاهين، القاهرة - مصر، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
- ٦٦- اللع في العربية: أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: حامد المؤمن، ط ١، مطبعة العاني، بغداد - العراق، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ٦٧- مباحث في علوم القرآن: د. صبحي الصالح، ط ٨، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ١٩٧٤م.
- ٦٨- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: ج ١، علي النجدي ناصف - د. عبد الحليم النجار - د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ج ٢، علي النجدي ناصف، د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة - مصر، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
- ٦٩- مختصر في شواذ قراءات القرآن من كتاب البديع: الحسين بن خالد ابن خالويه (ت ٣٧٠هـ)، عني بنشره برجستراسر، دار الهجرة، مصر، ١٩٣٤م.
- ٧٠- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو: د. مهدي المخزومي، ط ٢، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، بمصر، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م.
- ٧١- المشكاة الفتحية على الشمعة المضية للسيوطي: محمد بن محمد بن أحمد أبي حامد البديري الدمياطي (ت ١١٤٠هـ)، تح: هشام سعيد محمود، مطبعة وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، العراق، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

- ٧٢- مشكل إعراب القرآن، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)، تح: حاتم صالح الضامن، منشورات وزارة الإعلام في الجمهورية العراقية، دار الحرية للطباعة، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
- ٧٣- المفصل في علم العربية، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، دار الجيل، بيروت- لبنان، ط٢.
- ٧٤- المقتضب: لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ)، تح: محمد عبدالخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت- لبنان.
- ٧٥- معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١١هـ)، تح: د. عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.
- ٧٦- معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- ٧٧- معاني القرآن، للأخفش سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي (ت ٢١٥هـ)، تح: د. عبد الأمير محمد أمين الورد، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- ٧٨- المغني في توجيه القراءات العشرة المتواترة: د. محمد سالم محيسن، ط ٢، دار الجيل، بيروت - لبنان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٧٩- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان.
- ٨٠- منجد المقرئين ومرشد الطالبين: لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري ت (٨٣٣ هـ)، مراجعة الشيخ محمد حبيب الشنقيطي، وأحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٨٠م
- ٨١- نحو التيسير، دراسة ونقد منهجي، أحمد عبد الستار الجواري، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٤م.
- ٨٢- النحو الجديد، عبد المتعال الصعيدي، دار الفكر العربي، بيروت، د.ت.
- ٨٣- نحو القراء الكوفيين: خديجة احمد مفتي، ط١، المكتبة الفيصلية - مكة المكرمة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.
- ٨٤- نحو المعاني، أحمد عبدالستار الجواري، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٧م.
- ٨٥- النشر في القراءات العشر: للحافظ أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري ت (٨٣٣ هـ)، مراجعة علي محمد الضباع، المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

٨٦- همع الهوامع في شرح الجوامع جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، ج/١، تح: عبد السلام محمد هارون، ود. عبد العال سالم مكرم، ج/٢-٧، تح: د. عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٧٥م - ١٩٨٠م.

أساليب الخبر وأغراضه في الحديث الشريف « صحيح البخاري » أنموذجاً

أ.م.د. عقيد خالد حمودي العزاوي
جامعة بغداد / كلية التربية / ابن رشد

ملخص البحث

الوقوف على كلام النبي محمد ﷺ واستخراج الأساليب البلاغية يُعدُّ من المقاصد الشريفة، ومن أفضل الأعمال بعد الوقوف على كتاب الله تعالى، لأنَّه الكنز العظيم الذي تؤخذ منه علوم العربية وبخاصة علم البلاغة. وقد تناولت في بحثي أساليب الخبر وأغراضه في الحديث الشريف الوارد في صحيح البخاري حيث قمت بتقسيم مادة البحث على ثلاثة فصول: تناولت في الفصل الأول جهود العلماء في الخبر وأغراضه واضربه وكان من مباحث عدة جاء الأول عن معنى الخبر في اللغة وفي اصطلاح أهل الحديث وعند أهل البلاغة. وفي المبحث الثاني أضرب الخبر والثالث في أغراضه والرابع جهود العلماء في تحديد أغراض الخبر المجازية. أما في الفصل الثاني فقد تناولت مؤكدات الخبر. وفي الفصل الأخير تناولت أغراض الخبر المجازية. حيث إنَّ هذا البحث دعوة لطلاب العلم للاعتناء بالحديث الشريف، واستخراج الأساليب البلاغية من كلام فصيح بليغ.

(methods and purposes of Article in the Hadith) Sahih Bukhari a model

Abstract

The research stand on the words of the Prophet (peace be upon him) and rhetorical extraction methods, which is one of the noble purposes, and the Better Behavior after the book of God. We have dealt news and methods his true Alboukharan purposes, and the efforts of scientists valuable meaning and purposes of news in the language and terminology when folks rhetoric, and divided into sections dealt with in Section I: language definitions and terminology, and the second came from the efforts of

scientists in the metaphorical purposes of the news, and also to confirm the Article and purposes .. It is a call for students to study science Hadith, and extract Arabic rhetoric of the most eloquent of the pronunciation of the Prophet Muhammad (peace be upon him). This is a summary search.

مُقَدِّمَةٌ

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد :

الوقوف على كلام النبي محمد ﷺ واستخراج الأساليب البلاغية يُعدُّ من المقاصد الشريفة، ومن أفضل الأعمال بعد الوقوف على كتاب الله تعالى، لأنَّه الكنز العظيم الذي تؤخذ منه علوم العربية وبخاصة علم البلاغة. وقد تناولت في بحثي أساليب الخبر وأغراضه في الحديث الشريف الوارد في صحيح البخاري حيث قمت بتقسيم مادة البحث على ثلاثة فصول:

تناولت في الفصل الأول جهود العلماء في الخبر وأغراضه واضربه وكان من مباحث عدة جاء الأول عن معنى الخبر في اللغة وفي اصطلاح أهل الحديث وعند أهل البلاغة .

وفي المبحث الثاني أضرب الخبر والثالث في أغراضه والرابع جهود العلماء في تحديد أغراض الخبر المجازية .

أما في الفصل الثاني فقد تناولت مؤكدات الخبر.

وفي الفصل الأخير تناولت أغراض الخبر المجازية.

حيث إنَّ هذا البحث دعوة لطلاب العلم للاعتناء بالحديث الشريف، واستخراج الأساليب البلاغية من كلام فصيح بليغ.

والحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الفصل الأول جهود العلماء في الخبر وأغراضه واضربه المبحث الأول معنى الخبر في اللغة

على قول أهل اللغة إنّ الخبر هو كل كلام تفيد به الآخرين علماً لم يكن عندهم به علم «فهو اسم لما ينقل ويتحدث به»^(١).

قال الخليل بن أحمد: «الخبر: النبأ، ويجمع على أخبار»^(٢)، وقال ابن عباس: «أما أهل اللغة فلا يقولون في الخبر أكثر من أنه إعلام، تقول: أخبرته، أخبره، والخبر هو العلم»^(٣)، ونقل ابن منظور عن ابن سيدة قوله «الخبر: ما أتاك من نبأ عمن تستخير»^(٤).

معنى الخبر في اصطلاح أهل الحديث :

إنّ معنى الخبر: كل ما أضيف إلى النبي محمد ﷺ من قول، أو فعل أو تقرير^(٥).

معنى الخبر في اصطلاح أهل البلاغة :

قال المبرد: «الخبر ما جاز على قائله التصديق أو التكذيب»^(٦)، إلى هذا المعنى ذهب ابن فارس أيضاً فقال: «أهل النظر يقولون: الخبر ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه، وهو إفادة المخاطب أمراً في ماض من زمان أو مستقبل أو دائم»^(٧).

فهذا المعنى موافق للمعنى اللغوي من جهة، ومنسجم مع المعنى الاصطلاحي للخبر، عند أهل البلاغة المتأخرين من جهة أخرى، وإن كان بعضهم قد عاد إلى منهج المتكلمين في إدخال المباحث الفلسفية والعقائدية فيه^(٨). لكن الخطيب القزويني عندما ذكر أقوال السابقين من المتكلمين كالنظام والجاحظ عوّّل على رأي الجمهور، وترك ما سواه، فقال «اختلف في انحصار الخبر في الصادق والكاذب، فذهب الجمهور إلى أنه منحصرٌ فيهما، ثم اختلفوا، فقال الأكثر منهم: هدفه مطابقة حكمه للواقع، وكذبه عدم مطابقة حكمه له، هذا هو المشهور وعليه التعويل»^(٩). وتابعه على هذا شراح التلخيص، إذ قالوا «الخبر: كل كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته»^(١٠)، وتابعهم على هذا معظم البلاغيين الذي جاءوا فيما بعد^(١١)، أما من المعاصرين قال أستاذنا الدكتور

أحمد مطلوب: «وصفوة القول إنَّ الخبر: كل كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته، وهذا التعريف بصدق كل كلام يؤخذ من غير النظر إلى قائله، والأخبار التي وردت في القرآن الكريم، وأحاديث النبي محمد ﷺ، والحقائق العلمية، والبديهيات التي لا يشكُّ فيها لا يمكن أن تحتمل الكذب، مع إنها إخبار عن شيء، ولذلك تخرج من هذا التعريف، أما غيرها من الأخبار فهي قابلة للتصديق والتكذيب من أي إنسان صدرت، لأنها ينظر إليه لا لذات القائلين»^(١٢).

المبحث الثاني

أضرب الخبر

الخبر على ثلاثة أضرب، قال القزويني: «فإذا كان المخاطب خالي الذهن من الحكم بأحد طرفي الخبر على الآخر، والمتردد فيه استغني عن مؤكدات الحكم، كقولك: جاء زيدٌ وعمرٌ ذاهب، فيتمكن الخبر في ذهنه لمصادفته إياه خالياً»^(١٣).

ثم قال: «وإن كان متصور الطرفين، متردداً في إسناد أحدهما إلى الآخر، طالباً له، حسن تقويته بمؤكد، كقولك: لزيد عارف، أو: إنَّ زيدا عارف»^(١٤)، ثم قال «وإن كان حاكماً بخلافه وجب توكيده بحسب الإنكار، فتقول وإنِّي صادق، لمن ينكر صدقك ولا يبالغ في إنكاره، وتقول: إنِّي لصادق، لمن يبالغ في إنكاره»^(١٥)، وعقب على ما تقدم بقوله: «ويسمى النوع الأول ابتدائياً، والثاني طلبياً، والثالث إنكارياً»^(١٦) وعلى سار شراح التلخيص والبلاغيون المتأخرون في تقسيمهم للخبر إلى هذه الأضرب الثلاثة^(١٧). حيث أنَّ الإمام عبد القاهر الجرجاني كان أول من أشار إلى تقسيم الخبر إلى هذه الأضرب الثلاثة، قال: «وأعلم إنَّ مما أغمض الطريق إلى معرفة ما نحن بصده أن ها هنا فروقاً خفية تجهلها العامة وكثير من الخاصة، ليس أنهم يجهلونها في موضع ويعرفونها في آخر، بل لا يدرونها أنها هي، ولا يعلمونها في جملة ولا تفصيل، روي عن ابن الأنباري أنه قال: ركب الكندي المتفلسف إلى أبي العباس وقال له: إني لأجد في كلام العرب حشواً، فقال له أبو العباس: في أي موضع وجدت ذلك؟ فقال: أجد العرب يقولون: عبد الله قائم، ثم يقولون: إنَّ عبد الله قائم، ثم يقولون: إنَّ عبد الله لقائم، فالألفاظ متكررة والمعنى واحداً، فقال أبو العباس: كل المعاني مختلفة

لاختلاف الألفاظ، فقولهم: عبد الله قائم، إخبار عن قيامه، وقولهم: إنَّ عبد الله قائم، جواب عن سؤال سائل، وقولهم: إنَّ عبد الله لقائم جواب عن إنكار منكر قيامه، فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني، قال ابن الأنباري: فما أحرار المتفلسف جواباً، وإذا كان الكندي يذهب هذا عليه حتى يركب ركوب مستفهم أو معترض! فما ظنك بالعامية ومن هو عداد العامة ممن لا يخطر شبه هذا بباله؟»^(١٨).

المبحث الثالث

أغراض الخبر

للخبر غرضان أصليان، هما: «فائدة الخبر، ولازم الخبر»^(١٩)، وهما الأصل في كل خبر، وللخبر أغراض مجازية أخرى تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال، قال القزويني: «من المعلوم لكل عاقل أن قصد المخبر بخبره إفادة المخاطب أما نفس الحكم، كقولك: (زيدٌ قائمٌ)، لمن لا يعلم إنه قائم، ويسمى هذا: (فائدة الخبر)، وإما كون المخبر عالماً بالحكم كقولك لمن زيد عنده ولا يعلم أنك تعلم ذلك - (زيدٌ عندك)، ويسمى هذا: لازم فائدة الخبر»^(٢٠).

وهذا المعنى هو الذي استقر عند شراح التلخيص^(٢١) وأهل البلاغة المتأخرين^(٢٢) لكن الخبر كثيراً ما يخرج مجازاً إلى أغراض تفهم من السياق وقرائن الأحوال، وهذه الأغراض هي التي استأثرت باهتمام العلماء.

المبحث الرابع

جهود العلماء في تحديد أغراض الخبر المجازية

عند الرجوع إلى مصنفات الأوائل نجد إشارات إلى أساليب الخبر، وخروجه إلى أغراض مجازية، ففي كتاب سيبويه نجده يذكر خروج الخبر إلى الدعاء^(٢٣)، ويتسع عند ابن قتيبة مثل ذلك، إذ عقد باباً في: (مخالفة الظاهر معناه)، ذكر فيه خروج الخبر إلى معان أخرى لا يطلب بها المعنى الحقيقي^(٢٤). حيث يعرض ابن فارس عدداً غير قليل من المعاني المجازية التي يحتملها الخبر، كالتعجب والتمني والإنكار والنفي والأمر والنهي والتعظيم والدعاء والوعد والوعيد والشرط والجزاء والطلب^(٢٥). ويأتي الزركشي والسيوطي فيتسع لديهما مبحث خروج أساليب الخبر عن معناه الأصلي إلى

معان مجازية مستفيدون من جهود السابقين بما قاما به من جهد في تفصيل أساليب الخبر والإنشاء، وبما عرضا من الأغراض المجازية التي تخرج إليها هذه الأساليب مع التمثيل لها بأمثلة من القرآن الكريم^(٢٦).

وكذلك أشار العصام إبراهيم بن محمد إلى أن «الخبر عندما يخرج من معناه يكون مجازاً لاستعماله في غير ما وضع له»^(٢٧)، وصرح ابن يعقوب المغربي بأن «أغراض أساليب الخبر مجاز، وأن له علاقة»^(٢٨).

والحاصل أن أساليب الخبر وأغراضه الحقيقة والمجازية أصبح لها بفضل الدراسات والجهود مكاناً مستقلاً في علم المعاني، ثم جاء عمل البلاغيين المعاصرين^(٢٩) ليذكروا لنا في مؤلفاتهم الأغراض مستقصاة من مصنفات البلاغيين المتقدمين.

الفصل الثاني

مؤكدات الخبر

للتوكيد في العربية أدوات وطرق تستعمل في الكلام، وهذه الأدوات هي:

١. إنَّ (المكسورة الهمزة المشددة النون) :

وهي حرف توكيد^(٣٠)، واستعمالها كثير في كلام العرب في كلام الله تعالى وفي كلام النبي محمد ﷺ. وكثيراً مما يذكر معها لام الابتداء والقسم^(٣١) كقوله تعالى ﴿إِنَّ الشَّرَّكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان/١٣). ومنه قوله ﷺ «إِنَّ قَدْرَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةٍ وَصَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الْأَبَارِيقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ»^(٣٢).

٢. أَنَّ (المفتوحة الهمزة المشددة النون) :

وهي حرف يفيد التوكيد^(٣٣) ؛ لأنَّ بعض العلماء^(٣٤) ألحقها بـ (إِنَّ) المكسورة الهمزة المشددة النون. منه قوله تعالى : ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة/٢٥٩).

ومنه قوله ﷺ «أَمَا لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ يَقُولُ حِينَ يَأْتِي أَهْلُهُ بِسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا ... الخ»^(٣٥).

٣. لكن (المشددة النون) :

وهي حرف يفيد التوكيد^(٣٦)، وألحقها بعض العلماء^(٣٧) بـ (إن) المكسورة الهمزة المشددة النون لإفادتها التوكيد. كقوله تعالى ﴿لَئِنْكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَئِنْ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (القصص/٥٦). ومنه عن عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله ترى الجهاد أفضل العمل أفلأ نجاهد قال «لا لكن أفضل الجهاد حجٌّ مبرور»^(٣٨).

٤. لام الابتداء :

وهي حرف يفيد تأكيد مضمون الجملة^(٣٩). كقوله تعالى : ﴿وَلَدَا زَاوَةَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّيْنِ يَنْقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام/٣٢). وكقوله ﷺ «إِذَا شَرِبَ الْكَلْبُ فِي إِنَاءٍ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْسِلْهُ سَبْعًا»^(٤٠).

٥. القسم :

يؤكد بها الخبر^(٤١)، وللقسم ثلاثة أحرف وهي (الباء والتاء والواو). كقوله تعالى : ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغَوِّيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الزمر/٨٢). وكقوله تعالى : ﴿تَاللَّهِ لَنُفْسِلَنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ (النحل/٥٦). وكقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نَظَرُونَ﴾ (آل عمران/١٤٣).

٦. ضمير الفصل :

وهو من مؤكدات الجملة، وقد سمي ضميراً تجوزاً؛ لأنه جاء على صورة الضمير، لأنَّ الضمائر أسماء، وهو من أنواع المعارف عند النحويين، لكن ضمير الفصل ليس اسماً، وإنما هو حرف على المشهور عندهم، وسمي ضمير الفصل؛ لأنه يفصل بين المبتدأ وخبره، ولهذا نقول في إعرابه: هو ضمير يفيد التوكيد^(٤٢). كقوله تعالى : ﴿وَقُلْنَا يَتَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (البقرة/٣٥). وكقوله ﷺ «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمْصٌ فِيهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدْيَ ... الخ»^(٤٣).

٧. أمّا الشرطية (المفتوحة الهمزة المشددة الميم) :

وهي حرف شرط وتفصيل وتوكيد^(٤٤). كقوله تعالى : ﴿ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا ثَكْرًا ﴾ (الكهف/٨٧). ومنه قوله ﷺ «أما أهل السعادة فيسرون لعمل أهل السعادة وأما أهل الشقاوة فيسرون لعمل أهل الشقاوة»^(٤٥).

٨. حرفا التنبيه (ألا ، أما) :

(ألا) المفتوح الهمزة المخفف اللام يفيد التوكيد قال المرادي «وعلاقتها صحة الكلام دونها، وقيل معناها: حقاً»^(٤٦)، وقال ابن هشام: «تدل على تحقق ما بعدها»^(٤٧). كما في قوله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادِ قَوْمِ هُودٍ ﴾ (هود/٦٠). وكقوله ﷺ «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً؟ قالوا بلى يا رسول الله ... الخ»^(٤٨) وكذلك الحرف (أما) المفتوح الهمزة المخفف الميم، يفيد التوكيد؛ لأنه يأتي بمعنى حقاً أو أحقاً^(٤٩). كقوله ﷺ «أما يخشى أحدكم أو لا يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار أو يجعل الله صورته صورة حمار»^(٥٠).

٩. الحروف التي سموها زوائد :

وهي كما يلي:

أ. (من) الاستغرافية، ذهب العلماء إلى أن من معانيها توكيد العموم كما نقول ما جاعني من أحد، فإن (أحد) صيغة عموم^(٥١) ومنه قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقٍ ﴾ (الحاقة/٨). ومنه قوله ﷺ «ما منكم من أحد ما من نفس منقوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار ... الخ»^(٥٢).

ب. إن (المكسورة الهمزة المخففة النون)، زعم بعض العلماء أنه بمعنى (قد) التي تفيد التحقيق، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ ﴾ (الأنعام/٤٠). وبمعنى (إذ) مما الفعل فيه محقق الوقوع^(٥٣). كقوله تعالى : ﴿ يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ (آل عمران/١٠٠)، ومنه قول ﷺ «لا يقولن أحدكم

اللهم اغفر لي إن شئت اللهم أرحمني إن شئت ليغزِمَ المسئلة فإنه لا مكره له»^(٥٤).

ج. أن (المفتوحة الهمزة المخففة النون)، وهي أيضاً موضوعة للتوكيد^(٥٥). كقوله تعالى : ﴿أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ﴾ (آل عمران/٦٤). ومنه قوله ﷺ «من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصيه»^(٥٦).

د. الباء المفردة. وتستعمل للتوكيد^(٥٧). كقوله تعالى : ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ (الزمر/٣٦). وكقوله ﷺ «ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»^(٥٨).

هـ. ما (الزائدة) وتأتي في الكلام لمجرد التوكيد وهي التي دخولها في الكلام كخروجها منه^(٥٩). كثيراً ما ترد ما بعد (إن) الشرطية و (إذا) في كلام الله تعالى كقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات/١٠) ومنه قوله ﷺ «إنما الناس كالإبل المائية لا تكاد تجد فيها راحلة»^(٦٠).

١٠. قد :

يؤتى بها لغرض التوكيد، كقوله تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (المؤمنون/١). قوله ﷺ «تسمو باسمي ولا تكنوا بكنيتي ومن رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي ومن كذب علي فليتبوأ مقعده من النار»^(٦١). ومنه قوله تعالى : ﴿لَمْ تُؤْذُونِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ (الصف/٥).

١١. السين وسوف :

وهما حرفان مختصان بالمضارع يدخلان عليه فيحولانه للاستقبال إلا أن (السين) كما يقول النحاة^(٦٢) تدل على الزمن القريب ويسمونه (التنفيس)، أما (سوف) فتدل على الزمن البعيد، ويسمونه (التسويق). وتكونان للتأكيد. كقوله تعالى : ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِطُ﴾ (المؤمنون/٨٧) وكقوله ﷺ «إنكم

سترونَ ربكم كما ترونَ هذا القمرَ لا تضامونَ في رؤيته ... الخ»^(٦٣) وكقوله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ الانشقاق/٨).

١٢. لَن :

قال ابن هشام (يؤتى بها لتأكيد النفي، وزعم الزمخشري إنها تفيد التأييد كذلك)^(٦٤) كقوله تعالى : ﴿ لَن يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَذًى ﴾ (آل عمران/١١١)، ومنه قوله ﷺ «لَن يَزَالَ الْمُؤْمَنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصَبْ دَمًا حَرَامًا»^(٦٥).

١٣. نونا التوكيد :

وهما نون التوكيد الثقيلة (المشددة المفتوحة)، ونون التوكيد الخفيفة (الساكنة)، ونقل العلماء عن الخليل بن أحمد الفراهيدي قوله (والتوكيد بالثقلية أبلغ)^(٦٦). كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾ (إبراهيم/٤٢) وكقوله ﷺ «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوةَ الْإِيمَانِ ... الخ»^(٦٧). ومنه قوله تعالى : ﴿ كَلَّا لَئِنْ لَزَبْتَنِي لَنَنْفَعَنَّ بِالنَّاصِيَةِ ﴾ (العلق/١٥).

الفصل الثالث

أغراض الخبر المجازية

الأصل في كل خبر تقديم المعرفة أو العلم إلى الآخرين، ولكنه كثيراً ما يخرج عن هذا المعنى (الغرض) مجازاً إلى معانٍ أخرى تفهم من سياق الكلام القرائن، فلا يراد بالخبر ظاهره، وهذا هو الجزء الذي حظي باهتمام أهل البلاغة قديماً، واهتمام المعاصرين أيضاً. ومن هذه الأغراض:

١. الترغيب :

ويكون غالباً في النوافل والأعمال الصالحة والحث عليها والإكثار منها، كقوله ﷺ «مَنْ يَقُمْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٦٨) فهنا ليس الغرض من هذا الخبر مجرد إخبار المخاطبين عن جزاء من يقوم ليلة القدر فحسب، وإنما الغرض الترغيب في قيام هذه الليلة المباركة لما فيه من جزاء مضاعف، وغفران ما تقدم من الذنوب. ومثله قوله ﷺ «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

فهنا ليس الغرض من هذا الخبر إفادة المخاطبين أو إعلام الآخرين بمضمون الخبر فحسب بل الغرض الترغيب في صيام رمضان لما فيه من الأجر الكبير والثواب الجزيل.

ومثله قوله ﷺ «من اتبع جنازة مسلم إيماناً واحتساباً، وكان معه حتى يُصلي عليها ويفرغ من دفنها يرجع من الأجر بقيراطين، كل قيراط مثل أحد، ومن صلى عليها ثم رجع قبل أن تدفن فإنه يرجع بقيراط»^(٦٩). فهنا الغرض من هذا الخبر ليس مجرد إعلام الآخرين بمضمونها فحسب، وإنما الغرض الترغيب في تشييع جنازة المسلم وإتباعها، والصلاة عليها، والمشاركة في دفنها لما في هذه الأعمال من الأجر الكبير والثواب.

٢. الترهيب :

ويقصد به الترهيب من القيام بأعمال تنافي الشرع، أو ترك أعمال يقتضيها الشرع ويريدھا منا. مثل قوله ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»^(٧٠) فهذا الخبر معناه تهديد وترهيب من سلوك هذا الطريق مع المسلم، وليس معناه إفادة المخاطبين علماً بمضمون الخبر فحسب، لأنَّ سباب المسلم يؤدي إلى هذين الوصفين اللذين جاء الإسلام ليخلص الناس منهما. ومثله ﷺ وقد سأله أعرابي: متى الساعة؟ فقال: «إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة»، فقال: كيف إضاعتها؟ قال: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»^(٧١). فالغرض من هذه الأخبار هنا ليس بيان الوقت الذي تقوم فيه الساعة أو بيان أوصافه فحسب، وإنما الغرض الترهيب من تضييع الأمانة والحفاظ عليها. ومثله قوله ﷺ: «الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله»^(٧٢) وفي رواية أخرى: «من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله»^(٧٣) فالغرض هنا الترهيب من تقويت صلاة العصر، وليس الغرض من هذا الخبر بيان عاقبة من ترك أو فاتته صلاة العصر.

٣. النهي :

وهو من الأغراض المجازية التي تخرج إليها الأخبار النبوية كثيراً، لأنَّ استعمال أسلوب الخبر لغرض النهي عن أمر ما يكون أبلغ في التوجيه والإرشاد

وتجنب ما لا يرضاه الشرع وأعمق أثراً في النفوس. مثل قوله ﷺ: «لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه من الإثم لكان أن يقف أربعين خيراً له من أن يمر بين يديه»^(٧٤). فهذا الخبر مجازي خرج إلى النهي عن المرور بين يدي المصلي، وليس الغرض إعلام المخاطبين بمضمونه، وهذا أبلغ من أن يلقي النهي إلى المخاطب بصورة صريحة لما في أسلوب الخبر من بلاغة في الإشارة إلى عظم ذنب المار بين يدي المصلي باستخدامه الأداة (لو) وهي حرف امتناع لامتناع. ومثله قوله ﷺ: «إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة: أنصت، والإمام يخطب فقد لغوت»^(٧٥). فالخبر هنا ليس الغرض منه إعلام المخاطبين بمضمونه فحسب وإنما الغرض منه النهي عن التكلم يوم الجمعة كون الإمام يخطب، لأنّ اللغو يبطل الجمعة. ومثل قوله النبي ﷺ: «ليس منا من لطم الخدود، وشقّ الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية»^(٧٦). فهذا الخبر مجازي الغرض منه النهي عن لطم الخدود وشقّ الجيوب، والرجوع إلى دعوى الجاهلية وليس الغرض منه إفادة المخاطبين العلم بمضمونه فحسب وهو كون من يفعل هذا الفعل ليس من المسلمين.

٤. الدعاء :

ومنه قول النبي ﷺ: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبوراً أنبيائهم مساجد»^(٧٧) «لعنة الله على اليهود والنصارى» خبر مجازي خرج إلى معنى الدعاء عليهم، وليس الغرض منه إعلام الناس بوقوع اللعنة على اليهود والنصارى. ومثله قوله ﷺ: «لعن الله السارق، يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده»^(٧٨). هنا ليس الغرض من الخبر إفادة الناس وإنما الغرض الدعاء على السارق، لأنّه يتسبب في قطع يده لأبسط الأمور. ومثله قوله ﷺ: «غفار غفر الله لها، وأسلم سألها الله»^(٧٩). فالجملتان كل منهما خبر، والغرض منه الدعاء، وليس إعلام الناس بفائدة الخبر فحسب.

٥. رفع القنوط واليأس، وبعث الأمل في النفوس :

ومنه قوله ﷺ: «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن بُرة من خير، ويخرج من

النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير»^(٨٠). فهذه الأخبار الثلاثة ليس الغرض منها إعلام المخاطبين بفائدة الخبر فحسب، وإنما الغرض منها رفع القنوط واليأس من النفوس، وبعث الأمل فيها، وإعلام الناس أن رحمة الله واسعة لمن تاب. ومثله قوله ﷺ: ما رواه ابن مسعود ﷺ: «أن رجلاً أصاب من امرأة قبلَةً فأَتَى النبي ﷺ فأخبره، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النُّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ أَلَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ (هود/١١٤)، فقال الرجل: يا رسول الله ألي هذا؟ قال: لجميع أمتي كلهم - وفي رواية أخرى - لمن عمل بها من أمتي»^(٨١). فقول النبي ﷺ: «لجميع أمتي كلهم أو لمن عمل بها من أمتي» خبر مجازي الغرض منه رفع القنوط واليأس من النفوس، وإشعار الناس بأن أبواب الرحمة واسعة وكثيرة لمن وقع في الإثم، وليس الغرض إفادة المخاطب العلم بظاهر معناه فحسب.

ومثله ما رواه أبو ذر الغفاري ﷺ: قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني آتٍ من ربي فأخبرني - أو قال بَشَّرَني - أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق»^(٨٢). فالخبر هنا مجازي الغرض منه رفع القنوط واليأس من النفوس لكي تتوب وترجع إلى الله تعالى وسلوك المنهج القويم ولا تَيَأس النفوس من الرحمة جراً وقوعها في الخطأ، وليس الغرض من هذا الخبر إفادة الناس العلم بظاهره.

٦. التحريم :

الحرام نقيض الحلال، وجمعه: حَرَم، وقد حَرَّمَ عليه الشيء حَرَمًا وحراماً، وحرَّمه الله عليه^(٨٣). فمن ذلك قول النبي ﷺ: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تحد على ميت فوق ثلاث، إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً»^(٨٤). فهذا الخبر مجازي الغرض منه تحريم الحداد فوق المدة المشروعة، وليس الغرض منه إفادة المخاطبين العلم بظاهره فحسب. ومثله قوله ﷺ: «لا يَحِلُّ لرجُلٍ أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ، يلتقيان فيعرض هذا، ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»^(٨٥). فالغرض من هذا الخبر هو التحريم، تحريم التهاجر والتقاطع؛ لأنَّ ذلك يحدث خلاً في المجتمع، وليس الغرض منه إعلام الآخرين بفائدة الخبر فحسب.

ومثله قوله ﷺ: «لا يحل دم إمريء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمفارق لدينه، التارك للجماعة»^(٨٦) فالخبر هنا مجازي خرج من معناه الأصلي إلى معنى التحريم، فليس الغرض منه إعلام المخاطبين بفائدة الخبر وحسب وإنما الغرض منه التحريم.

٧. الوجوب :

«وجب الشيء يجب وجوباً، أي: لزم. واستوجبه أي: استحقه»^(٨٧)، الواجب أقل رتبة من الغرض كما هو رأي الإمام أبي حنيفة رحمه الله. فمن ذلك قوله ﷺ: «الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم، وأن يستنّ، وأن يمسّ طيباً إن وجد»^(٨٨). فالأخبار الموجودة في الحديث الغرض منها الوجوب وليس الغرض أنه ﷺ أخبر بها فحسب. ومثله قوله ﷺ: «حقّ على كلّ مسلم أن يغتسل في كلّ سبعة أيام يوماً يغسل فيه رأسه وجسده»^(٨٩). فهذا الخبر ليس الغرض منه إعلام المخاطبين فحسب، وإنما الغرض منه الوجوب أي: وجوب الاغتسال يوم الجمعة. ومثله قوله ﷺ: «من لا يرحم لا يرحم»^(٩٠).

فالخبر هنا مجازي ليس الغرض منه إحاطة الآخرين العلم بظاهره فحسب، وإنما الغرض منه الوجوب، أي: وجوب التراحم والتواصل.

٨. التربية والتوجيه والإرشاد إلى فضائل الأعمال :

ومنه قول النبي ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»^(٩١). فالخبران الذي اشتمله الحديث ليس الغرض منهما فائدة الخبر، وإنما الغرض منهما التربية والتوجيه، وبيان أن المسلم الحقيقي من سلم المسلمون من إيذاء لسانه، ويسلموا من قوّته، والمهاجر من هجر المعاصي التي نهى الله عنها، وليس المسلم من أسلم بلسانه أو هاجر من مكان إلى مكان آخر. ومثله قوله ﷺ: «تري المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضواً تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»^(٩٢). فالغرض من الخبر هنا التربية والتوجيه والإرشاد إلى أن صفة المؤمنين الحقيقية أن يكونوا كالجسد الواحد إذا اشتكى عضو؛ فإن سائر الأعضاء تتأثر له، وتسهر معه، وتألم لألمه. ومثله قوله ﷺ: «يُسلم الصغير

على الكبير، والمار على القاعد، والقليل على الكثير»^(٩٣). وقوله في رواية أخرى: «يُسَلَّمُ الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير»^(٩٤) فالغرض من هذه الأخبار التربية والتوجيه ووضع القواعد والأصول التي يسير عليها المجتمع. وليس الغرض منه إفادة المخاطبين علماً بظاهر الأخبار.

٩. التعظيم :

ما ورد ضمن أحاديث النبي ﷺ من ألفاظ تفيد تنزيه الله تعالى وتعظيمه والثناء عليه مثل: (جل جلاله) و (عز وجل) و (تبارك وتعالى) و (جلَّت حكمته) و (تبارك اسمه) و (جلَّت قدرته) وما شابه ذلك مما يلي ذكر اسم الله تعالى فكل هذه الصيغ أخبار لا يقصد بها فائدة الخبر، وإنما يراد بها تنزيه الله تعالى وتعظيمه والثناء عليه. فمن ذلك قول النبي ﷺ: «سبحان الله إنَّ المؤمن لا يُنَجَّس»^(٩٥).

وقوله: «إنتدب الله ﷻ لمن خرج في سبيله ... الخ»^(٩٦).

وقوله: «إنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللهُ تعالى وَلَمْ تَحْرُمْهَا النَّاسُ ... الخ»^(٩٧).

١٠. التيسر والتخفيف :

يأتي هذا الغرض لأجل رفع الحرج عن الناس، والتيسر، والتسهيل، والتخفيف عليهم في العبادات، وعدم تكليفهم بما لا يطيقون، لأنَّ هذا الدين رحمة موسعة عليهم جاء لإصلاح أحوالهم، وتنقية قلوبهم من الشرك والضلال. فمن ذلك قول النبي ﷺ: «إنَّ الدين يُسر، ولن يُشادَّ الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»^(٩٨). فقول النبي ﷺ فيه خبران طلبيان الغرض منهما التيسير والتسهيل على الناس، وليس الغرض منه إفادة المخاطبين بالعلم الظاهر في معنى الخبر فحسب. ومثله ما روته عائشة رضي الله عنها أنَّ النبي ﷺ دخل عليها عندها امرأة، فقال: من هذه؟ قالت فلانة، تذكر من صلاتها، قال: «مه عليكم بما تطيقون، فو الله لا يمل الله حتى تملوا، وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه»^(٩٩). فالخبران في الحديث الغرض منهما طلب التسهيل والتخفيف والتيسير في الدين، وليس الغرض منه فائدة الخبر الذي هو إفادة المخاطبين علماً بظاهر معناه فحسب. ومثله قوله ﷺ: «إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها، فأسمع بكاء

الصبي، فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشقَّ على أمِّه»^(١٠٠). فالغرض من الخبر هنا ليس إفادة المخاطبين ظاهر معنى الخبر، وإنما الغرض منه طلب التيسير والتخفيف والتسهيل على الناس في العبادات.

١١. التحذير :

ومنه قوله ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أُنْتُمِن خان»^(١٠١). فالغرض من الأخبار في الحديث عن علامة المنافق، والدلالة عليها من قبل النبي ﷺ تحذير الناس من أن يقعوا فيها أو في واحدة منها، وليس الغرض إعلام المخاطبين بفائدة الخبر، وهو بيان علامة المنافق.

ومثله قوله ﷺ عند مروره بحائط من حيطان المدينة أو مكة فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما فقال: «يعذبان وما يعذبان في كبير، ثم قال: بلى كان أحدهما لا يَنْتَزه من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة»^(١٠٢). فأخباره ﷺ: أنهما يعذبان بعدم الاستتار من البول والمشي في النميمة معناه التحذير من هذين الفعلين لكي لا يقع فيه المخاطبون، وليس الغرض إفادة المخاطبين بالحكم الذي أفاده ظاهر الحديث، الغاية منه التحذير. ومثله قوله ﷺ: «يعقد الشيطان على قافية أحدكم إذا نام ثلاث عقد، يضرب كل عقدة: عليك ليل طويل فارقد، فإذا استيقظ وذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان»^(١٠٣). فهنا يحذر النبي ﷺ من عقد الشيطان والاستكانة إلى النوم وعدم القيام إلى الصلاة. فقد ذكر العقد تحذيراً من تقويت صلاة الليل وصلاة الصبح، وليس الغرض إفادة المخاطب بظاهر النص، ولهذا عندما أخبروه بأن فلاناً ما زال نائماً حتى أصبح ما قام إلى الصلاة فقال: «بال الشيطان في أذنه»^(١٠٤).

١٢. تحريك الهمة :

ومنه قوله ﷺ: «من صلى البردَيْن دخل الجنة»^(١٠٥). فالغرض من هذا الخبر هو تحريك الهمة بالمحافظة على صلاتي الصبح والعصر، وليس الغرض منه إفادة المخاطبين علماً بدخول الجنة لكل من حافظ على هاتين الصلاتين. ومثله قوله ﷺ: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة»^(١٠٦). فالغرض من هذا

الخبر تحريك الهمة نحو أداء الصلاة مع الجماعة والمحافظة عليها، وليس الغرض إعلام المخاطبين بفائدة الخبر.

ومثله قوله ﷺ: «تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر»^(١٠٧) فليس الغرض هنا إخبار المخاطبين وإعلامهم بوقت اجتماع ملائكة الليل وملائكة النهار، وإنما الغرض منه تحريك الهمة؛ لأجل المحافظة على صلاة الفجر في وقتها. لأنَّ في اجتماع ملائكة الليل والنهار إشارة إلى أهمية هذه الصلاة.

١٣. مراتب الأعمال :

ومنه قوله ﷺ: «مَنْ يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»^(١٠٨). فالغرض من الخبر في الحديث بيان مرتبة الفقه في الدين وفضلها، فإذا أراد الله بإنسان خيراً ففقهه في الدين، لأنَّ الفقه في الدين من أعلى المراتب، وليس الغرض من هذا الخبر إعلام المخاطبين بفائدته. ومثله قوله ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه الله على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها»^(١٠٩). فالغرض من الخبر بيان فضل ومرتبة هاتين الصفتين: وجود المال مع وجود حسن التصرف فيه بالحق، ووجود لحكمة مع وجود استعمالها في حل المشاكل بين الناس وتعليمهم إياها، وليس الغرض من هذا الخبر إعلام الناس بفائدته فحسب. ومثله قوله ﷺ: «وقد سأله ابن مسعود: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «الصلاة على وقتها، قال: ثم أي؟ قال برُّ الوالدين قال: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله»^(١١٠). فالغرض من هذه الأخبار الواردة في الحديث هو بيان مراتب الأعمال وفضلها، وليس الغرض إعلام المخاطبين بفائدتها فحسب أي: تقديم العلم إلى الآخرين، إنما المهم هو تنبيه المخاطبين لتطبيق ذلك في حياتهم اليومية.

١٤. التفرغ والتوبخ :

التفرغ: «هو التأنيب والتعنيف، وقيل هو الإيذاء باللوم، وقرعت الرجل إذا وبخته وعزلته»^(١١١). وأما التوبخ فهو: «التهديد والتأنيب واللوم، وقولهم وبَّخه: لامه وعزله»^(١١٢). فمنه ما رواه أبو ذر الغفاري رضي الله عنه قال: سابت رجلًا فغيرته بأمه فقال النبي ﷺ: «أغيرته بأمه؟ إنَّك امرؤ فيك جاهلية ... الخ»^(١١٣) فقله: «إنَّك امرؤ فيك

جاهلية» خبر طلبي خرج إلى معنى التقرير والتوبيخ وتأديباً لهذا الصحابي ليتخلص من آثار الجاهلية، وليس الغرض منه إفادة المخاطب معناه الحقيقي. ومنه قوله ﷺ: «لا يلدغ المؤمن من جحرٍ مرتين»^(١١٤) الغرض من الخبر هنا هو التقرير والتوبيخ، لأنَّ الإيمان هو الرشد والإنسان الرشيد لا يتكرر منه الخطأ فيأتيه الأذى من المكان نفسه مرتين، وليس الغرض منه إعلام المخاطبين بظاهر معناه.

١٥. الأمر :

ومنه قوله ﷺ: «لا يبقينَّ في المسجد باب إلا سدَّ، إلا باب أبي بكر»^(١١٥). فالغرض من الخبر الأمر بسد الأبواب التي تطل على المسجد إلا باب أبي بكر، وليس الغرض منه إعلام المخاطبين بفائدة الخبر بدليل قوله ﷺ بعد هذا الحديث: «سدوا عني كل خوخة في المسجد إلا خوخة أبي بكر»^(١١٦).

١٦. الحث على الجهاد والترغيب فيه :

ومنه قول النبي ﷺ: «أنتدب الله ﷻ لمن خرج في سبيله، لا يخرجه إلا أيماناً بي، وتصديق برسلي أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة، ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية، ولوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحياء، ثم أقتل، ثم أحياء، ثم أقتل»^(١١٧). فهذه الأخبار التي اشتمل عليها الحديث الشريف الغرض منها الحث على الجهاد والترغيب فيه، وليس الغرض منها إفادة المخاطبين العلم بظاهر المعنى. ومنه قوله ﷺ: «مَنْ أَغْبَرَتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»^(١١٨). فالغرض من هذا الخبر هو الحث على الجهاد والترغيب فيه، وليس الغرض منه إفادة الآخرين العلم بجزء من اغبرت قدماه في سبيل الله فحسب.

١٧. النذب :

معناه مأخوذ من قولهم: «نذب القدم إلى الأمر يندبهم ندباً: دعاهم وحثهم»^(١١٩). فمنه قوله ﷺ: «ما من مسلم غرس غرساً فأكل منه إنسان أو دابة إلا كان له صدقة»^(١٢٠). فالغرض في الحديث ليس إفادة المخاطبين بظاهر العلم فحسب، وإنما الغرض منه النذب إلى الزرع والغرس وإعلام المخاطبين بأهميته. ومثله قوله ﷺ: «الحياء لا يأتي إلا بخير»^(١٢١). فهذا الخبر الغرض منه النذب إلى الأخذ بالحياء

والتحلي به، وليس الغرض منه إفادة المخاطبين العلم بظاهره. ومنه قوله ﷺ: «بين كل أذنين صلاة، بين كل أذنين صلاة، ثم قال في الثالثة: لمن شاء»^(١٢٢). فهذا الخبر الغرض منه الندب إلى التطوع والتتفل بين الأذان والإقامة، وليس الغرض منه إعلام المخاطبين بفائدته فحسب.

١٨. البشارة :

ومنه ما رواه أنس رضي الله عنه قال: «كان معاذ رديف رسول الله ﷺ على الرحل فقال: يا معاذ، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: يا معاذ، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك - ثلاثاً - قال: ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار، قال: يا رسول الله: أفلا أخبر به الناس فيستبشرون؟ قال: إذن يتكلموا، وأخبر بها عند موته تأثماً»^(١٢٣). فليس الغرض من ذلك الخبر إعلام المخاطبين بفائدته فحسب، وإنما الغرض منه البشارة لمن شهد بكلمة التوحيد لرب العالمين، وأن محمداً عبده ورسوله. ومثله قوله ﷺ: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ... الخ»^(١٢٤) فهذا الخبر ليس الغرض منه إعلام الناس بفائدته فحسب، وإنما الغرض منه هو البشارة بأن هذه الأمة وإن كانت آخر الأمم في الدنيا فإنها السابقة يوم القيامة. ومثله قوله ﷺ ما رواه أنس «إذا كان يوم القيامة شفعت فقلت يا رب أدخل الجنة من كان في قلبه خردلة فيدخلون، ثم أقول أدخل الجنة من كان في قلبه أدنى شيء، فقال أنس: كأني أنظر إلى أصابع رسول الله ﷺ»^(١٢٥)، فالغرض من هذا الخبر هو البشارة، وليس الغرض منه إعلام المخاطبين بفائدته فحسب.

الخاتمة

وبعد هذه الدراسة ومع الوقوف على كلام الصادق المصدوق. بينتُ في بحثي الجانب المهم وهو الأغراض المجازية التي تخرج إليها الأخبار النبوية، وما تضمنه البحث دراسة لمعنى الخبر لغة واصطلاحاً مع تبيان جهود العلماء في تحديد أغراض الخبر. حيث أن بعض الأمثلة يمكن أن تتداخل معانيها مع أغراض مجازية أخرى، ولكن هنا على الباحث أن يوجهها التوجيه السليم الذي يلائم الغرض المعين، وإنَّ الحديث النبوي الشريف لما فيه من أغراض وأساليب بلاغية كثيرة ومنها أساليب الخبر والأغراض التي يحتويها، تكاد تكون شاملة مع جميع تقسيمات البلاغية واحتوائه على هذا الكم الكبير من الأغراض لهو دلالة صادقة على صدق قائله، وهو الرسول محمد ﷺ وإن كل ذلك هو خطوة في مسيرة الجهود العلمية التي تخدم الحديث الشريف وأدعو الباحثين لدراسة الأغراض البلاغية الأخرى في علم الحديث لما يحتويه من كنوز لمّا تكتشف بعد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



هوامش البحث:

- (١) المصباح المنير ، مادة (خبر) .
- (٢) العين، مادة (خبر) .
- (٣) الصاحبي : ص١٧٩ .
- (٤) لسان العرب: مادة (خبر) .
- (٥) تدريب الراوي: ٤٢/١ .
- (٦) المقتضب: ٨٩/٣ .
- (٧) الصاحبي: ص١٧٩ .
- (٨) نهاية الإيجاز : ص٣٧ .
- (٩) الإيضاح : ٨٦/١ .
- (١٠) شروح التلخيص : ١٧٣/١ .
- (١١) الطراز : ٦١/١ ، البرهان في علوم القرآن : ٣١٧/٢ .
- (١٢) البلاغة والتطبيق : ص١٠٦ .
- (١٣) الإيضاح : ٩٢/١ .
- (١٤) المصدر السابق : ٩٢/١ ، ٩٣ .
- (١٥) المصدر نفسه : ٩٢/١ ، ٩٣ .
- (١٦) المصدر نفسه : ٩٢/١ ، ٩٣ .
- (١٧) شروح التلخيص: ٢٠٨/١ .
- (١٨) دلائل الإعجاز : ٢٤٢-٢٤٣ .
- (١٩) مفتاح العلوم : ٧٩ .
- (٢٠) الإيضاح : ٩١/١ .
- (٢١) شروح التلخيص : ١٩٨/١ .
- (٢٢) الطراز : ٦١/١ .
- (٢٣) الكتاب : ١٨٥/١ .
- (٢٤) تأويل مشكل القرآن : ٢١٣ .
- (٢٥) الصاحبي : ١٧٩ ، ١٨٠ .
- (٢٦) البرهان في علوم القرآن : ٣١٧/٢ .
- (٢٧) الأطول : ٢٢٣/١ .
- (٢٨) مواهب الفتاح حتى شروح التلخيص : ٣٣٧/٢ ، ٣٠٩/٤ ، ٣٢٢ .

- (٢٩) جواهر البلاغة : ٥٣ ، البلاغة : ١٠٣ .
 (٣٠) مغني اللبيب : ٥٥/١ .
 (٣١) البلاغة فنونها وأفنانها : ١١٥ .
 (٣٢) التجريد الصريح : ١٤٧/٢ .
 (٣٣) مغني اللبيب : ٥٩/١ .
 (٣٤) المصدر السابق : ٥٩/١ .
 (٣٥) التجريد الصريح : ١٢١/٢ .
 (٣٦) مغني اللبيب : ٣٨٣/١ .
 (٣٧) المصدر السابق : ٣٨٣/١ .
 (٣٨) التجريد الصريح : ١٠٥/١ .
 (٣٩) مغني اللبيب : ٣٠١ ، ٣٠٠/١ .
 (٤٠) التجريد الصريح : ٢٥/١ .
 (٤١) البلاغة والتطبيق : ١١٢ .
 (٤٢) مغني اللبيب : ٤٦٣/١ .
 (٤٣) التجريد الصريح : ١٠/١ .
 (٤٤) الجني الداني : ٤٨٢ .
 (٤٥) التجريد الصريح : ٩٢/١ .
 (٤٦) الجني الداني : ٣٧٠ .
 (٤٧) المغني اللبيب : ٩٥/١ .
 (٤٨) التجريد الصريح : ٢/٢ .
 (٤٩) مغني اللبيب : ٧٨-٧٩/١ .
 (٥٠) التجريد الصريح : ٦٠/١ .
 (٥١) مغني اللبيب : ٤٢٥/١ .
 (٥٢) التجريد الصريح : ٩٢/١ .
 (٥٣) مغني اللبيب : ٣٩/١ .
 (٥٤) التجريد الصريح : ١٥٨/٢ .
 (٥٥) مغني اللبيب : ٥٢/١ .
 (٥٦) التجريد الصريح : ١٤٩/٢ .
 (٥٧) مغني اللبيب : ١٤٤/١ .

- (٥٨) التجريد الصريح : ١٤١/٢ .
- (٥٩) الجنى الداني: ٣٣٢ .
- (٦٠) التجريد الصريح : ١٤٥/١ .
- (٦١) المصدر السابق: ١٩/١ .
- (٦٢) مغني اللبيب: ١٨٤/١ ، ١٨٥ .
- (٦٣) التجريد الصريح: ٥١/١ .
- (٦٤) مغني اللبيب : ٣٧٤/١ .
- (٦٥) التجريد الصريح : ١٥١/٢ .
- (٦٦) المغني اللبيب : ٤٤٣/١ .
- (٦٧) التجريد الصريح : ٩/١ .
- (٦٨) المصدر السابق: ١١/١ .
- (٦٩) المصدر السابق : ١٢/١ ، ١٣ .
- (٧٠) المصدر السابق : ١٣/١ .
- (٧١) المصدر السابق : ١٤/١ .
- (٧٢) المصدر السابق : ٥١/١ .
- (٧٣) المصدر السابق : ٥١/١ .
- (٧٤) المصدر السابق : ٤٩/١ .
- (٧٥) المصدر السابق : ٧٢/١ .
- (٧٦) المصدر السابق: ٨٨/١ .
- (٧٧) المصدر السابق : ٤٣/١ .
- (٧٨) المصدر السابق : ١٥١/٢ .
- (٧٩) المصدر السابق : ٧٦/١ .
- (٨٠) المصدر السابق: ١٢/١ .
- (٨١) المصدر السابق: ٥٠/١ .
- (٨٢) المصدر السابق : ٨٥-٨٦ .
- (٨٣) لسان العرب، مادة (حرم) .
- (٨٤) التجريد الصريح : ٨٧/١ .
- (٨٥) المصدر السابق : ١٤١/٢ .
- (٨٦) المصدر السابق : ١٥٢/٢ .

- (٨٧) لسان العرب، مادة (و جب) .
 (٨٨) التجريد الصريح : ٦٩/١ .
 (٨٩) المصدر السابق : ٧٠/١ .
 (٩٠) المصدر السابق : ١٤٠/٢ .
 (٩١) المصدر السابق : ٩/١ .
 (٩٢) المصدر السابق : ١٣٩/٢ .
 (٩٣) المصدر السابق : ١٤٢/٢ .
 (٩٤) المصدر السابق : ١٤٢/٢ .
 (٩٥) المصدر السابق : ٣١/١ .
 (٩٦) المصدر السابق : ١١/١ .
 (٩٧) المصدر السابق : ١٩/١ .
 (٩٨) المصدر السابق : ١١/١ .
 (٩٩) المصدر السابق : ١٢/١ .
 (١٠٠) المصدر السابق : ٦١/٦٠/١ .
 (١٠١) المصدر السابق : ١١/١ .
 (١٠٢) المصدر السابق : ٢٨، ٢٧/١ .
 (١٠٣) المصدر السابق : ٨٢/١ .
 (١٠٤) المصدر السابق : ٨٢/١ .
 (١٠٥) المصدر السابق : ٥٣/١ .
 (١٠٦) المصدر السابق : ٥٧/١ .
 (١٠٧) المصدر السابق : ٥٧/١ .
 (١٠٨) المصدر السابق : ١٦/١ .
 (١٠٩) المصدر السابق : ١٦/١ .
 (١١٠) المصدر السابق : ٥٠/١ .
 (١١١) لسان العرب : مادة (ق ر ع) .
 (١١٢) التجريد الصريح : مادة (و ب خ) .
 (١١٣) المصدر السابق : ١١/١ .
 (١١٤) المصدر السابق : ١٤١/٢ .
 (١١٥) المصدر السابق : ٤٥/١ .

- (١١٦) المصدر السابق : ٤٥/١ .
 (١١٧) المصدر السابق : ١١/١ .
 (١١٨) المصدر السابق : ٧١/١ .
 (١١٩) لسان العرب، مادة (ندب) .
 (١٢٠) التجريد الصريح : ١٣٩/٢ .
 (١٢١) المصدر السابق : ١٤١/٢ .
 (١٢٢) المصدر السابق : ٥٦/١ .
 (١٢٣) المصدر السابق : ٢٢/١ .
 (١٢٤) المصدر السابق : ٦٩/١ .
 (١٢٥) المصدر السابق : ١٦٣/٢ .

المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم .

١. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الرافعي الفيومي، أبو العباس، أحمد بن حمد بن علي المقرئ ت(٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان.
٢. العين، أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد الفراهيدي ت(١٧٥هـ)، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، مطابع كويت نشر وزارة الثقافة والإعلام العراقية، دار الرشيد، ١٩٨٢م.
٣. صاحب في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، أبو الحسين، أحمد بن فارس، ت(٣٩٥هـ)، تحقيق: مصطفى الشويمي، ملتزم الطبع والنشر، مؤسسة بدران، بيروت ، لبنان ، ١٣٦٣هـ - ١٩٨٣م.
٤. لسان العرب أبو الفضل، جمال الدين، محمد بن منظور الأفرقي المصري ت(٧١١هـ)، مطبعة دار صادر، ودار بيروت، ١٩٥٥م.
٥. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت(٩١١هـ)، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٦. المقتضب، المبرد، أبو العباس، محمد بن يزيد ت(٢٨٦هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب - بيروت.

٧. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، الرازي، فخر الدين، محمد بن عمر ت (٦٠٦هـ)، تحقيق: الدكتور إبراهيم السامرائي، والدكتور محمد بركات حمدي أبو علي، دار الفكر للنشر، عمان، ١٩٨٥م.
٨. الإيضاح في علوم البلاغة، أبو عبد الله، جلال الدين، محمد بن سعد الدين، عبد الرحمن القزويني، ت (٧٣٩هـ)، شرح وتعليق وتنقيح الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الرابعة، بيروت - لبنان، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
٩. شروح التلخيص، القاهرة، ١٩٣٧م، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه بمصر.
١٠. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي اليمني، ت (٧٤٩هـ)، مطبعة المقتطف بمصر، ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م.
١١. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين، محمد بن عبد الله، الزركشي ت (٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة البابي الحلبي وشركاؤه، الطبعة الأولى، ١٩٥٧م، دار إحياء الكتب العربية.
١٢. البلاغة والتطبيق، تأليف الدكتور أحمد مطلوب، والدكتور كامل حسن البصير، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٣م.
١٣. دلائل الإعجاز في (علم المعاني)، عبد القاهر الجرجاني، تصحيح محمد رشيد رضا والشيخ محمد محمود التركي الشنقيطي، نشر دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
١٤. مفاتيح العلوم، السكاكي، أبو يعقوب، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي، ت (٦٢٦هـ)، تصحيح سعد علي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، ١٩٣٧م.
١٥. الكتاب - سيبويه، أبو بشر، عمرو بن عثمان، ت (١٨٠هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، مصر، الطبعة الأولى، ١٣١٦هـ.
١٦. تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري، ت (٢٧٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، نشر دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، ١٩٥٤م.
١٧. الأطول، عصام الدين إبراهيم بن محمد بن عرب شاه الأسفراييني، ت (٩٤٥هـ)، الطبعة السلطانية، تركيا، ١٢٨٤هـ.
١٨. مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، ابن يعقوب المغربي، مطبوع ضمن شروح التلخيص، القاهرة، ١٩٣٧م.

١٩. جواهر البلاغة في (المعاني والبيان والبديع)، تأليف السيد أحمد الهاشمي، الطبعة الثانية عشر، المكتبة التجارية بمصر، ١٣٧٠هـ - ١٩٦٠م.
٢٠. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، أبو محمد، جمال الدين، عبد الله بن يوسف الأنصاري، ت(٧٦١هـ)، تحقيق: الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، راجعه سعيد الأفغاني، مطبعة دار الفكر، الطبعة الخامسة، بيروت، ١٩٧٩م.
٢١. البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، تأليف الدكتور فضل حسن عباس، مطبعة دار الفرقان، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٢٢. التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح، أبو العباس، زين الدين، أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي الزبيدي الشهير بـ (الحسين بن مبارك)، نشر مطبعة البابي الحلبي وأولاده ، بمصر.
٢٣. الجني الداني في حروف المعاني، حسن بن قاسم المرادي، ت(٧٤٩هـ)، تحقيق: الدكتور طه محسن ، مطبوع بمطابع جامعة الموصل، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

مبتكرات القرآن في الألفاظ والتراكيب

د.د. دريد حسن أحمد

الجامعة العراقية / كلية الآداب

ملخص البحث

هذا بحث جمعت فيه الألفاظ والتراكيب المبتكرة التي أشار إليها المفسر الكبير ابن عاشور في موسوعته التفسيرية (التفسير والتنوير) والوقوف على الألفاظ أو التراكيب المبتكرة من أصعب الأمور لأنها تحتاج إلى اطلاع واسع جدا عن علوم الأولين و الآخرين وعلى كلام العرب شعرا ونثرا قبل الإسلام وبعده، وهذا ما لا يقوم به إلا العلماء الكبار ومنهم العلامة ابن عاشور، فقد تصدى لهذه المهمة وهو أهل لها فهو أديب ونحوي وبياني ومفكر إسلامي من طراز رفيع تشهد له مؤلفاته في شتى المجالات .

Innovations in the Koran words and compositions

By

Prof. Dr. Duraid Hassan Ahmed

Iraqi University / College of Arts

Abstract

This study Collects the created pronunciation and const ruction of words referred to by the great interpreter "Ibn Ashur "in his encyclopedia "Al_Tahreer we Al_tansweer".

Standing on the created pronunciation and construction of words is one of the most difficult matters since it needs a wide knowledge on the sciences of the early and late linguists and also on Arabic poetry and prose before and after the Islamic period . this cannot be accomplished except by great linguists and one of them is "Ibn Ashur "who afford to take this responsibility and he is highly qualified to do it because he is an artist, a linguist, an interpreter, and an Islamic thinker of highly rank as can be sought through his publishments on different domains.

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:
فهذا بحث عن مبتكرات القرآن الكريم في الألفاظ والتراكيب التي أشار إليها المفسر الكبير ابن عاشور رحمه الله تعالى في موسوعته التفسيرية (التحرير والتنوير) والوقوف على الألفاظ المبتكرة أو التراكيب المبتكرة من أصعب الأمور فإنها تحتاج إلى اطلاع واسع جدا على علوم الأولين والآخرين وعلى كلام العرب شعرا ونثرا قبل الإسلام وبعده، وهذا ما لا يقوم به إلا العلماء الأفاضل ومنهم العلامة ابن عاشور فقد تصدى لهذه المهمة وهو أهل لها، فهو أديب ونحوي وبياني ومفكر إسلامي من طراز رفيع تشهد له مؤلفاته القيمة في شتى المجالات . وخدمة لهذا الرجل الفاضل فإنني أنقدم بجمع ما تناثر من أقواله في مبتكرات القرآن ألفاظا وتراكيب وما يسر الله لي في ذلك. وأود الإشارة إلى أن مبتكرات القرآن ليست الأمور التي أذكرها فقط وإنما القرآن الكريم كله مبتكر وقد حاولت جمع بعض الأمثلة من هذه المبتكرات وتوثيقها وموازنتها مع المصادر الأخرى وبالله التوفيق .

مبتكرات الألفاظ

(صبغة الله)

من قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ (البقرة ١٣٨) يقول ابن عاشور: "والصبغة هنا اسم للماء الذي يغتسل به اليهود عنوانا على التوبة لمغفرة الذنوب، وكان يسمى (معموذيت) بالآرامية معناها الطهارة ثم عربت إلى (معمودية) بالبدال المهملة . وإطلاق اسم الصبغة على المعمودية يحتمل أن يكون من مبتكرات القرآن، ويحتمل أن يكون نصارى العرب سموا ذلك الغسل صبغة . ولم أقف على ما يثبت ذلك من كلامهم في الجاهلية"^(١).

فالصبغة في نظر ابن عاشور تحتمل احتمالين: الأول أن تكون من مبتكرات القرآن . والثاني أن النصارى أطلقوا هذا اللفظ. وشكك بالثاني بانه لم يجد ذلك في الجاهلية . والاحتمالان واردان، فقد يكون هذا اللفظ ابتكره القرآن، وقد يكون النصارى أطلقوا هذا اللفظ ولم يطلع ابن عاشور على قولهم هذا في حدود علمه واطلاعه . وهنا نلاحظ أن ابن عاشور لم يقطع بقوله وهذا يدل على دقته في إطلاق الأقوال والأحكام، فكان لا يقطع وإنما يرجح، ولذلك تجده يقول في مواضع من تفسيره بعد نهاية القول من مثل عبارة (فيما أحسب) أو (وأحسب أنه من مبتكرات القرآن) أو (والظاهر أن هذا التركيب من مبتكرات القرآن) أو (فعلها من مبتكرات القرآن) إلى غير ذلك . وذلك لأن القطع في هذه الأمور في غاية الصعوبة، لأنه لا يمكن لبشر أن يحيط بكل ما قالته العرب وإنما يمكن الحكم على الأغلب الأعم، علما بأن ابن عاشور كان واسع الإطلاع على لغة العرب شعرا ونثرا إلى عهده، ويدل على أهليته في الحكم على النصوص والتمييز في ما بينها .

وتوسع المفسرون واللغويون في بيان معاني لفظة ﴿صِبْغَةَ﴾ هنا والأقوال التي ذكروها لا تتناقض فيها وتؤدي إلى نتيجة واحدة . فبعضهم ذهب إلى أن الصبغة بمعنى الإسلام والى ذلك ذهب الإمام الطبري أي: قل لهم يا محمد أيها اليهود والنصارى بل اتبعوا ملة إبراهيم صبغة الله التي هي أحسن الصبغ فإنها الحنيفية المسلمة ودعوا الشرك بالله والضلال عن محجة هداة"^(٢) .

وبعضهم ذهب إلى أن معناها (الفطرة) التي فطر الله الناس عليها فإنها حلية الإنسان كما أن الصبغة حلية المصبوغ، وسماه صبغة لأنه ظهر أثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ^(٣).

ويقول القرطبي في معنى قريب: "قُسمي الدين صبغة استعارة ومجازاً من حيث تظهر أعماله وسمته على المتدين كما يظهر أثر الصبغ في الثوب"^(٤).

وذهب بعضهم إلى أنها بمعنى الفعل الذي تميز به الإنسان عن غيره من البهائم^(٥). وعمّ العلماء بعضهم معنى الصبغة بأنها ما تُقرب به إلى الله تعالى^(٦).

ولخص صاحب القاموس معاني الصبغة بألفاظ موجزة بأنها "الدين والملة، وصبغة الله فطرة الله أو التي أمر الله تعالى بها محمداً صلى الله عليه وسلم وهي الختانة"^(٧).

(واسع)

من قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران

٧٣) ذهب ابن عاشور إلى أن وصف الله تعالى بصفة واسع في العربية من مبتكرات القرآن، ويذهب إلى أن وصفه تعالى بهذه الصفة وصف مجازي من جهتين: الأولى استحالة المعنى الحقيقي في شأنه تعالى، ومعنى هذا الاسم تناهي التعلقات لصفاته ذات التعلق فهو واسع العلم، واسع الرحمة، واسع العطاء، فسعة صفاته تعالى لأحد لتعلقاتها. والجهة الثانية هو إسناد وصف (واسع) إليه تعالى مجازي لأن المقصود الواسع صفاته، والسياق هو الذي يحدد متعلقه، فهنا المقصود سعة الفضل لأنه وقع بعد قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (المائدة ٥٤)^(٨).

ويأتي حكم ابن عاشور على هذا اللفظ بالابتكار نتيجة اطلاعه الواسع على اللغة العربية قديماً وحديثاً، وهذا الحكم لا يجوز أن يطلقه إنسان إلا بعد الوثوق من الاطلاع والاستقراء في علوم الأولين والآخرين.

والواو والسين والعين كلمة تدل على خلاف الضيق والعسر، والوسع الغنى، والله الواسع أي الغني، والوسع الجدة والطاقة^(٩).

ومن خلال الاطلاع على المعجم اللغوي وكتب التفسير يتبين أن هذا اللفظ يتضمن معاني كثيرة ولكنه يتحدد معناه ضمن السياق الوارد فيه.

فذهب الطبري إلى أن الآية الكريمة تعني الله ذو سعة بفضله على من يشاء أن يتفضل عليه^(١٠).

وجاء في تهذيب اللغة: أن "الواسع من صفات الله تعالى الذي وسع رزقه جميع خلقه ووسعت رحمته كل شيء ... ورجل موسع وهو الملىء، والوسع الجدة وقدرة ذات اليد، وأوسع الرجل إذا كثر ماله".^(١١)

وجاء في القاموس المحيط: "الواسع ضد الضيق كالوسيع، وفي الأسماء الحسنى الكثير العطاء الذي يسع لما يُسأل أو المحيط بكل شيء أو الذي وسع رزقه جميع خلقه ورحمته كل شيء".^(١٢)

من خلال هذه النصوص يتبين أن لفظ (واسع) له مدلولات كثيرة كالسعة في الرزق والعطاء والعلم والرحمة وغير ذلك .
(الجاهلية)

يقول ابن عاشور: "والظاهر أنه نسبة إلى الجاهل أي إلى الذي لا يعلم الدين والتوحيد، فإن العرب أطلقت الجهل على ما قابل الحلم أو على عدم العلم . وأحسب أن لفظ الجاهلية من مبتكرات القرآن وصف به أهل الشرك تنفيرا من الجهل، وترغيبا في العلم، ولذلك يذكره القرآن في مقامات الذم نحو ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ (المائدة ٥٠) ﴿ وَلَا تَبْغِ تَرْجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ (الأحزاب ٣٣) ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ (الفتح ٢٦)^(١٣).

وقول ابن عاشور (يذكره القرآن في مقامات الذم) ليس على إطلاقه إنما هو الوجه الغالب بدليل قوله تعالى: ﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾ (البقرة ١٧٣) أي من لا يعرف حالهم . وقسم صاحب كتاب (معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن) الجهل إلى ثلاثة أنواع: الأول: خلو النفس من العلم هذا هو الأصل . الثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه . الثالث: فعل بخلاف ما حقه أن يفعل سواء اعتقد فيه اعتقادا صحيحا أو فاسدا لمن يترك الصلاة متعمدا^(١٤) .
(كذلك)

من قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ﴾ (الشورى ٣) يقول ابن عاشور: "وإذا لم يتقدم في الكلام ما يحتمل أن يكون مشاراً إليه بـ (كذلك) علم أن المشار إليه مقدر معلوم من الفعل الذي بعد اسم الإشارة وهو المصدر المأخوذ من الفعل أي كذلك الإيماء يوحى إليك الله، وهذا استعمال متبع في نظائر هذا التركيب كما تقدم في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ في سورة البقرة (١٤٣) وأحسب أنه من مبتكرات القرآن إذ لم أقف على مثله في كلام العرب قبل القرآن . وقد فاتني التنبيه على ذلك فيما تقدم من الآيات فعليك بضم ما هنا إلى ما هنالك" (١٥).

وهذا الاستعمال للفظ (كذلك) قد أغفل ذكره أكثر المفسرين ونبه عليه ابن عاشور ولم يقف عندها الطبري (١٦) ولا القرطبي (١٧) وقدّرهما الزمخشري أي مثل ذلك الوحي أو مثل ذلك الكتاب يوحى إليك وإلى الرسل، وأشار إلى لطيفة وهي أنه قال (يوحي) بالمضارع ولم يقل (أوحى) بالماضي ليدل على أن إحياء مثله عادته (١٨) .

(الأوزار)

من قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ الْمَرْءُ أَوْزَارَهَا﴾ (محمد ٤) قال ابن عاشور: "والأوزار الانتقال، ووضع الأوزار تمثيل لانتهاء العمل فشبهت حالة انتهاء القتال بحالة وضع الحمال أو المسافر أثقاله ، وهذا من مبتكرات القرآن، وأخذ منه عبد ربه السلمي أو سليم الحنفي قوله:

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قرّ عيننا بالإياب المسافر

فشبه حالة المنتهي من كلفة بحالة السائر يلقي عصاه التي استصحبها في سيره" (١٩) .

ويدور معنى (الوزر) حول القوة والمناعة والثقل، جاء في القاموس المحيط: "الوزر الجبل المنيع وكل معقل، والملجأ، والمعتصم، والوزر بالكسر الإثم والثقل، والكاراة الكبيرة، والسلاح، والحمل الثقيل جمعه أوزار" (٢٠) .

وجاء في معجم مقاييس اللغة: "الوزر حمل الرجل إذا بسط ثوبه فجعل فيه المتاع وحمله ولذلك سمي الذنب وزرا، وكذا الوزر السلاح والجمع أوزار، والوزير سمي به لأنه يحمل الثقل عن صاحبه" (٢١)

والمعنى الأصلي الذي يفهم من الآية هو الإشارة إلى انتهاء الحرب ولكن بعض المفسرين فهم شيئاً آخر منها وكما هو معلوم فإن القرآن حمال أوجه، فقليل معناه حتى يضع أهل الحرب شركهم ومعاصيهم^(٢٢).

وقيل: حتى تضع الحرب آثامها وأثقال أهلها^(٢٣) وقيل: حتى لا يبقى إلا مسلم أو مسالم^(٢٤).
(حسوماً)

من قوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ (الحاقة ٧) يقول ابن عاشور: "يجوز أن يكون جمع (حاسم) مثل قعود جمع قاعد، وشهود جمع شاهد، غلب فيه الأيام على الليالي لأنها أكثر عدداً إذ هي ثمانية أيام، وهذا له معان: أحدها أن يكون المعنى يتابع بعضها بعضاً، أي لا فصل بينهما كما يقال صيام شهرين متتابعين،

وقال عبد العزيز بن زرارة الكلابي:

ففرّق بين بينهم زمان تتابع فيه أعوام حُسوم^(٢٥)

قيل: والحسوم مشتق من حسم الداء بالمكواة إذ يكوى ويتابع الكي أياماً، فيكون إطلاقه استعارة ولعلها من مبتكرات القرآن، وبيت عبد العزيز الكلابي من الشعر الإسلامي فهو متابع للاستعمال القرآني.

والمعنى الثاني أن يكون من الحسم وهو القطع، أي حاسمة مستأصلة، ومنه سمي السيف حساماً لأنه يقطع، أي حسمتهم فلم تُبق منهم أصلاً.

والمعنى الثالث أن يكون (حسوم) مصدراً كالشكور والدخول فينتصب على المفعول لأجله وعامله (سخرها) أي سخرها عليهم لاستئصالهم وقطع دابرهم.

وكل هذه المعاني صالح لأن يذكر مع هذه الأيام، فايثار هذا اللفظ من تمام بلاغة القرآن وإعجازه^(٢٦).

وقول ابن عاشور: (وكل هذه المعاني صالح لأن يذكر مع هذه الأيام) جميل جداً وهو يشير إلى ما يسمى بالتوسع في المعنى، فهذه اللفظة فيها عدة معان في آن واحد،

فهي تحتمل جمع (حاسم) مثل قاعد وقعود، وتحتمل أن تكون مفعولا لأجله أي لأجل الحسم أي لأجل الاستئصال، أو تكون بمعنى القطع أو غير ذلك .
وابن عاشور قد استوفى أكثر معاني هذه اللفظة وعرض لأكثر أقوال المفسرين واللغويين فيها^(٢٧) .
(الوتين)

في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ (الحاقة ٤٦) يقول ابن عاشور: "ولم أقف على أن العرب كانوا يكونون عن الإهلاك بقطع الوتين، فهذا من مبتكرات القرآن"^(٢٨).
وتركيب لفظ الوتين يدل على القوة والملازمة والثبات، يقول ابن فارس: "الواو والتاء والنون كلمة تدل على ثبات وملازمة، واتن الأمر لازمه، وماء وتين دائم، ومنه الوتين عرق ملازم للقلب يسقيه"^(٢٩).
وقريب من هذا جاء في القاموس المحيط: "الواتن الشيء الثابت الدائم في مكانه، والماء المكين الدائم"^(٣٠).

وقال البيضاوي: "أي نياط قلبه بضرب عنقه، وهو تصوير لإهلاكه بأفطع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه، وهو أن يأخذ القتال بيمينه ويكفه بالسيف ويضرب به جيده"^(٣١).

وأجمع كل المفسرين واللغويين فيما اطلعت عليه من مصادر على أن (الوتين) هو نياط القلب، والذي لفت نظر ابن عاشور في هذه اللفظة أنه لم يجدها قد استعملت عند العرب هذا الاستعمال، ولذلك عدّها من المبتكرات .

(سلسبيلا)

من قوله تعالى: ﴿عَيْنَاهَا كُؤُوسٌ سَلْسَبِيلًا﴾ (الإنسان ١٨) نقل ابن عاشور عن ابن الأعرابي قوله: "لم أسمع هذه اللفظة إلا في القرآن فهو عنده من مبتكرات القرآن الجارية على أساليب كلام العرب وهنا نجد ابن عاشور أستأنس بقول ابن الأعرابي وهو عالم لغوي كبير في أنه لم يسمع هذه اللفظة في غير القرآن"^(٣٢) وعند ابن عاشور أن هذا اللفظ (سلسبيلا) وصف قيل مشتق من السلاسة وهي السهولة واللين،

فيقال: (ماء سلس) أي عذب بارد، وهو مركب من مادتين (السلاسة) و (السبالة)، يقال: سبلت السماء إذا أمطرت، وهذا من الاشتقاق الأكبر^(٣٣).

وما ذهب إليه ابن عاشور هو ما يسمى بالنحت في فقه اللغة وهو أن تعمد إلى كلمتين أو جملة فتتزع من مجموع حروف كلماتها كلمة فذة، تدل على ما كنت عليه الجملة نفسها^(٣٤) نحو الحوقلة والبسلة من الألفاظ المركبة^(٣٥) وقد تبني الطبري هذا القول بعد أن ذكر أقوالاً أخرى في معنى (سلسبيل) . ونسب هذا القول إلى بعض نحويي الكوفة .

وذهب الرازي إلى أن هذا القول هو قول الأكثرين، وقد زيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة سداسية ودلت على غاية السلاسة وعزز كلامه بما ذهب إليه الزجاج من أن السلسبيل صفة لما كان في غاية السلاسة، والفائدة في ذكر السلسبيل هو أن ذلك الشراب يكون في طعم الزنجبيل وليس فيه لذعة لأن نقيض اللذع هو السلاسة^(٣٦).

(الضافا)

من قوله تعالى: ﴿وَجَنَّتِ أَلْفَاةً﴾ (النبا ١٦) ذهب ابن عاشور إلى أن هذا اللفظ من مبتكرات القرآن فقال: "وألفاف اسم جمع لا واحد له من لفظه وهو مثل أوزاع وأخفاف أي كل جنة ملتفة، أي ملتفة الشجر بعضه ببعض، فوصف الجنات بـ (ألفاف) مبني على المجاز العقلي، لأن الالتفاف في شجرها ولكن لما كانت الأشجار لايلتف بعضها على بعض في الغالب إلا إذا جمعتها جنة أسند إلى جنات بطريق الوصف، ولعله من مبتكرات القرآن إذ لم أر شاهداً عليه من كلام العرب قبل القرآن"^(٣٧).

ورجح ابن عاشور أن (ألفافا) لاواحد له من لفظه وهذا رأي من رأيين، الثاني منهما أن له مفرداً من لفظه، ويظهر من تتبع كلام المفسرين أنهم لم يقطعوا في هذا الأمر، وإنما أقوالهم كانت على سبيل الظن وليس القطع، فذكر الزمخشري أنه لا واحد له من لفظه كالأوزاع والأخفاف، ثم أردف وقيل الواحد لف^(٣٨).

وذهب الرازي إلى أن كثيرا من اللغويين أثبتوا له واحدا ثم اختلفوا فيه، فقال بعضهم واحده لف بالكسر وقيل بالضم، وقال بعضهم واحده لفيف كشریف وأشراف^(٣٩).

أما معنى (ألفافا) فتكاد تتفق أقوال المفسرين على أن المقصود هو أنها ملتفة مجتمعة متقاربة، ألا تراهم يقولون امرأه لفاء إذا كانت غليظة الساق مجتمعة اللحم يبلغ من تقاربه أن يتلاصق^(٤٠).

(الثاقب)

من قوله تعالى: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ (الطارق ٣) ذهب ابن عاشور إلى أن الثاقب من قوله تعالى: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ لفظ مبتكر، فقال: "وأحسب أن استعارة الثقب لبروز شعاع النجم في ظلمة الليل من مبتكرات القرآن، ولم يرد في كلام العرب قبل القرآن"^(٤١). ويقول ابن فارس: "النجم الثاقب هو نجم ينفذ السموات كلها نوره، ويقال ثقت النار إذا ذكيتها لأن ضوءها ينفذ"^(٤٢).

وجاء في معجم تفسير مفردات القرآن: "الثاقب الذي يثقب بنوره وإصابته ما يقع عليه النجم الثاقب أي النير المتوقد"^(٤٣).

وجاء في (عمدة الحفاظ): "النجم الثاقب أي المضي ومثله ﴿شَهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ (الصفاء ١٠) كأنه يثقب بضوئه وإنارته ما يقع عليه"^(٤٤). ويلاحظ أن هذه المادة قليلة الوقوع حتى في القرآن حيث وقعت مرتين في سورة الطارق وسورة الصفاء.

ومعظم الأقوال وردت بهذا المعنى، فيقول الطبري: "الثاقب يعني يتوقد ضياؤه ويتوهج"^(٤٥).

ويقول القرطبي: "والعرب تقول: (أثقب نارك) أي أضئها"^(٤٦).

إلا أن الرازي ذكر أقوالا أربعة في معنى (الثاقب) وهي:

١- لأنه يثقب الظلام بضوئه

٢- أنه يطلع من المشرق نافذا في الهواء كالشيء الذي يثقب الشيء

٣- أنه الذي يرى به الشيطان فيثقبه أي ينفذ فيه ويحرقه

٤- هو النجم المرتفع على النجوم، والعرب تقول للطائر إذا لحق ببطن السماء ارتفاعاً قد تقب^(٤٧).

والذي يترجح عندي ما ذهب إليه معظم المفسرين أن لفظ الثاقب من الضوء وهو المعنى الذي أيدته معظم المعاجم اللغوية وكتب التفسير. والمعاني الأخرى التي ذكرها الرازي مرجوحة وإن كان الوجه الرابع أحسنها .
(التراث)

قال ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾ (الفجر ١٩): "والأكل مستعار للانتفاع بالشيء انتفاعاً لا يبقى منه شيئاً، وأحسب أن هذه الاستعارة من مبتكرات القرآن إذ لم أقف على قبلها في كلام العرب"^(٤٨).

وهذه اللفظة تذكرنا بما جاء في سورة يونس عليه السلام: ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ (يوسف ١٧) ولم يقل افترسه للدلالة على أن أكله جميعه لم يبق منه شيئاً، يقول الخطابي: "فإن الافتراس معناه في فعل السبع القتل فحسب، وأصل الفرس دق العنق، والقوم إنما ادعوا على الذئب أنه أكله أكلاً وأتى على جميع أجزائه وأعضائه، فلم يترك مفصلاً ولا عظماً"^(٤٩).

(فألهمها)

من قوله تعالى: ﴿فَأَلَمَّهَا جُؤَرَهَا وَتَقَوَّهَا﴾ (الشمس ٨) يقول ابن عاشور: "والإلهام مصدر ألهم، وهو فعل متعد بالهمزة ولكن المجرد منه ممت والإلهام اسم قليل الوجود في كلام العرب ولم يذكر أهل اللغة شاهداً له من كلام العرب. فهذا اللفظ إن لم يكن من مبتكرات القرآن يكن مما أحياه القرآن لأنه اسم دقيق الدلالة على المعاني النفسية وقليل رواج أمثال ذلك في اللغة قبل الإسلام لقلة خطور مثل تلك المعاني في مخاطبات عامة العرب، وهو مشتق من ألهم وهو البلع دفعة، يقال (لهم) كفرح، وأما إطلاق الإلهام على علم يحصل للنفس بدون مستند فهو إطلاق اصطلاحى للصوفية"^(٥٠).

وعلى ذلك فإن هذا اللفظ إن لم يكن من المبتكرات فهو مما أحياه القرآن كما يقول ابن عاشور، وأن هذا اللفظ قليل الورد عند العرب، وأصل الإلهام البلع ثم استعمل فيما يقذف الله تعالى في قلب العبد لأنه كالإبلاغ^(٥١).

ومعنى ﴿ فَأَلَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ أي عرفها للنفس طريق الفجور والتقوى، وزهداها في الفجور ورغبها في التقوى^(٥٢).

مبتكرات التراكيب

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ (ال عمران ١٢٨)

يقول ابن عاشور: "وهذه الجملة تجري مجرى المثل إذ ركبت تركيبا وجيزا محذوفا منه بعض الكلمات، ولم أظفر فيما حفظت من غير القرآن بأنها كانت مستعملة عند العرب، فلعلها من مبتكرات القرآن، وقريب منها: ﴿ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (الممتحنة ٤) وسيجيء قريب منها في قوله الآتي" ﴿ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (آل عمران ١٥٤)، ﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا ههنا ﴾ (آل عمران ١٥٤) فإن كانت حكاية قولهم بلفظه فقد دل على أن هذه الكلمة مستعملة عند العرب، وإن كان حكاية بالمعنى فلا"^(٥٣).

ونص القرآن معجز، ولذلك فإني أستبعد أن يكون العرب قد خطر ببالهم مثل هذا الأسلوب الموجز، وإنما القرآن الكريم صاغ معنى قولهم صياغة جديدة، ولذلك فإن الفضل والحسن هو لنظم القرآن وليس لقولهم أي العرب.

والهمزة والميم والراء أصول خمسة، الأمر من الأمور، والأمر ضد النهي، والأمر النماء والبركة، والمعلم، والعجب^(٥٤).

ومعنى الآية هنا ليس لك يا محمد من أمر خلقي إلا أن تنفذ أمري، وتنتهي فيهم إلى طاعتي، وإنما أمرهم إلي والقضاء فيهم بيدي دون غيري أقضي فيهم^(٥٥).

(يلهث)

من قوله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ ﴾ (الأعراف ١٧٦) قال ابن عاشور: "وهذا تمثيل من مبتكرات القرآن فإن اللهث حالة تؤذن بحرج الكلب من

جاء عسر تنفسه عن اضطراب باطنه وإلا لم يكن لاضطراب باطنه سبب آت من غيره، فمعنى (إن تحمل عليه) إن تطارده وتهاجمه^(٥٦).

وجاء في معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن: "لهث الكلب أخرج لسانه من التنفس الشديد عطشا أو إعياء"^(٥٧).

ونلاحظ هنا موازنة لطيفة اخترعها القرآن الكريم بين هذا الحيوان وبين التارك العمل بكتاب الله وآياته وإعراضه عن مواعظ الله^(٥٨).

فهو تمثيل جميل معناه إن وعظت الضال فهو ضال، وإن لم تعظه فهو ضال فالكلب إن طردته فسعى لهث وإن تركته على حاله لهث^(٥٩).

وأقام الرازي وجه الموازنة بين الكلب وهذا الضال من ناحية الحرص فقال: "إن الكلب اللاهث لا يزال لهثا البتة، فكذلك الإنسان الحريص لا يزال حرصه البتة"^(٦٠).

﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ (الأعراف ١٩٩)

يقول ابن عاشور: "والأخذ حقيقته تناول الشيء للانتفاع به واستعمل هنا مجازا فاستعير للتلبس بالوصف والفعل من بين أفعال لو شاء لتلبس بها، فمعنى ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ عامل به واجعله وصفا ولا تتلبس بضده، وأحسب أن استعارة الأخذ للعرف من مبتكرات القرآن، ولذلك أرجح أن البيت المشهور وهو:

خذي العفو مني تسدعي مودتي ولا تنطقي في سورتني حين أغضب
هو لأبي الأسود الدؤلي، وأنه اتبع استعمال القرآن، وأن نسبته إلى أسماء بن خارجة الفزاري أو إلى حاتم الطائي غير صحيحة^(٦١).

ومعاني العفو كلها معان جميلة سامية، فالعفو عفو الله تعالى عن خلقه، والصفح، وترك عقوبة المستحق، وأصل المال وأطيبه، وخيار الشيء وأجوده، والفضل، والمعروف^(٦٢).

وجاء في الكشف: "العفو ضد الجهد، أي خذ ما عفى لك من أفعال الناس وأخلاقهم وما أتى منهم وتسهل من غير كلفة ولا تداقهم، ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا"^(٦٣).

(ذات بينكم)

من قوله تعالى: ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ (الأنفال ١) يذهب ابن عاشور إلى أن هذا التركيب مبتكر من خلال الجمع بين (ذات) و(بينكم) وما عدا هذا فهو مستعمل عند العرب، فيقول: "و (ذات) يجوز أن تكون مؤنث (ذو) بمعنى صاحب ... ووقع في كلامهم مضاف إلى الجهات وإلى الأزمان، وإلى غيرهما، يجرونه مجرى الصفة لموصوف يدل عليه السياق كقوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُهمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ (الكهف ١٨) على تأويل جهة، ونقول: لقيته ذات ليلة ولقيته ذات صباح على تأويل مقدر ساعة أو وقت، وجرت مجرى المثل في ملازمتها هذا الاستعمال، ويجوز أن تكون (ذات) أصلية الألف كما يقال: أنا أعرف ذات فلان، فالمعنى حقيقة الشيء وماهيته . وتتصب (ذات) على الظرفية لإضافتها إلى ظرف المكان والتقدير: (وأوجدوا الصلاح بينكم) واعلم أنني لم أقف على استعمال (ذات بين) في كلام العرب فأحسب أنها من مبتكرات القرآن^(٦٤).

ويفهم من كلام ابن عاشور أن ابتكار هذا التركيب ليس على إطلاقه وإنما يكون من خلال الجمع بين (ذات) و (بين) أما ما عدا ذلك فاللفظ مستعمل عند العرب بإضافة (ذات) إلى الزمان أو المكان أو غير ذلك .

وفسر الزمخشري معنى (ذات بينكم) أي أحوال بينكم يعني ما بينكم من الأحوال حتى تكون أحوال ألفة واتفق كقوله: (بذات الصدور) (آل عمران ١٩٩) وهي مضمراتها^(٦٥) .

(راودته)

في قوله تعالى: ﴿وَرَاودَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْنِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ (يوسف ٢٣) يقول ابن عاشور: "المرادة المقتضية تكرير المحاولة بصيغة المفاعلة، والمفاعلة مستعملة في التكرير . والمرادة مشتقة من راد يرود إذا جاء وذهب شبه حال المحاول أحدا على فعل شيء مظهرا ذلك بحال من يذهب ويجئ بالمعاودة إلى الشيء المذهوب عنه، فأطلق راود بمعنى حاول . و(عن) للمجازة أي راودته مباحدة له عن نفسه، أي بأن

يجعل نفسه لها، والظاهر أن هذا التركيب من مبتكرات القرآن، فالنفس هنا كناية عن غرض الواقعة" (٦٦).

ويبدو أن هذا التركيب قد ابتكره القرآن، فلم يجد ابن عاشور بيتا من الشعر قبل نزول القرآن قد نطق بهذا التعبير . وأصل المراودة الإرادة والطلب برفق ولين، يقال في الرجل راودها عن نفسه، وفي المرأة راودته عن نفسه (٦٧) .

وقيل: المراودة أن تنازع غيرك في الإرادة فتريد غير ما يريد (٦٨).

وأوضح الزمخشري ذلك قائلا: "كأن المعنى خادعته عن نفسه، أي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد أن يخرج من يده، يحتال أن يغلبه عليه ويأخذه منه" (٦٩).

(فردوا أيديهم)

من قوله تعالى: ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ (إبراهيم ٩) قال ابن عاشور: "وهذا التركيب لا أعهد سبق مثله في كلام العرب فلعله من مبتكرات القرآن ومعنى (فردوا أيديهم) يحتمل عدة وجوه أنها في الكشف إلى سبعة وفي بعضها بعد، وأولها بالاستخلاص أن يكون المعنى أنهم وضعوا أيديهم على أفواههم إخفاء لشدة الضحك من كلام الرسل كراهية أن تظهر دواخل أفواههم، وذلك تمثيل لحالة الاستهزاء بالرسل والرد مستعمل في معنى تكرير جعل الأيدي في الأفواه كما أشار إليه الراغب، أي وضعوا أيديهم على الأفواه ثم أزالوها ثم أعادوا وضعها فتلك الإعادة رد . وحرف (في) للطرفية المجازية المراد بها التمكين فيه بمعنى (على) كقوله: ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الزمر ٢٢) فمعنى (ردوا أيديهم في أفواههم) جعلوا أيديهم على أفواههم" (٧٠).

وابن عاشور تبني معنى الاستهزاء بهذا التركيب، وهناك أقوال أخرى محتملة ذكرها المفسرون منها أنهم عضوا الأنامل غيظا، وقيل أشاروا إلى السكوت، وقيل ردوا أيديهم في أفواه الأنبياء فأسكتوهم . واستعمال الرد في ذلك تنبيه أنهم فعلوا ذلك مرة بعد مرة (٧١).

(كل في فلك)

من قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (الأنبياء ٣٣) توقف ابن عاشور عند هذه الآية في موضعين الأول (يسبحون) والثاني (كل في فلك)، يقول عن استعمال لفظ (السبح): "السبح مستعار للسير في متسع لا طرائق فيه متعاقبة كطرائق الأرض وهو تقريب لسير الكواكب في الفضاء العظيم والفلك فسرره أهل اللغة بأنه مدار النجوم، وكذلك فسرره المفسرون لهذه الآية ولم يذكروا أنه مستعمل في هذا المعنى في كلام العرب، ويغلب على ظني أنه من مصطلحات القرآن، ومنه أخذه علماء الإسلام وهو أحسن ما يعبر عنه عن الدوائر المفروضة التي يضبط بها سير كوكب من الكواكب وخاصة سير الشمس وسير القمر" (٧٢).

ثم يتحدث عن الإبداع في عبارة (كل في فلك): "ومن بدائع الإعجاز في هذه الآية أن قوله تعالى: (كل في فلك) فيه محسن بديعي فإن حروفه تقرأ من آخرها على الترتيب كما تقرأ من أولها مع خفة التركيب ووفرة الفائدة وجريانه مجرى المثل من غير تنافر ولا غرابة، ومثله قوله تعالى ﴿وَرَبِّكَ مَكِّيٌّ﴾ (المدثر ٣) بطرح واو العطف، وكلتا الآيتين بنى على سبعة أحرف، وهذا النوع سماه السكاكي المقلوب المستوي وجعله من أصناف نوع سماه القلب" (٧٣).

وشيء آخر يمكن أن نضيفه لجمال هذه الآية هو أنه لما أخبر عنهم بفعل من يعقل وجعلهم في الطاعة بمنزلة من يعقل أخبر عنهم بالواو والنون (٧٤). أو كما قال الزمخشري: "وإنما جعل الضمير واو العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة" (٧٥).

وكما قالت العرب في رواية جميع النحويين: (أكلوني البراغيث) لما وصفت بالأكل قيل: (أكلوني). (٧٦)

(هو قائلها)

من قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ أَعْمَلْ مَبْلَغًا فِيمَا تَزَكَّىٰ وَلَا أَلَّهَا كَلِمَةً هُوَ قَائِلُهَا﴾ (المؤمنون ١٠٠) يقول ابن عاشور: "إنها كلمة هو قائلها تركيب يجري مجرى المثل وهو من مبتكرات القرآن، وحاصل معناه أن قول المشرك: (رب ارجعون) لا يتجاوز أن يكون كلاما

كاملا صدر من لسانه لاجدوى له فيه أي لا يستجاب طلبه به . فجملته (هو قائلها) وصف ل (كلمة) أي كلمة هذا وصفها . والكلمة هنا مستعملة في الكلام كقول النبي ﷺ : (أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد الأكل شيء ما خلا الله باطل) وكما في قولهم: كلمة (الشهادة) وكلمة (الإسلام)" (٧٧)

والضمير في (قائلها) يعود إلى الكافر الذي قال: (رب ارجعون) وهو قائلها وحده لا يجاب إليها ولا تسمع منه (٧٨).

وهناك احتمالات أخرى في عود الضمير من (قائلها) ولكني أستبعدا والرأي الراجح هو ما ذكرناه لأنه هو الموافق للسياق . فقول الضمير يعود إلى الله تعالى أي لا خلف في خبره . وقيل قائلها عند الموت ولكن لا تنفع (٧٩) .

﴿فَسْتَلْ بِهِمْ خَبِيرًا﴾ (الفرقان ٥٩)

قال ابن عاشور: "وتتكير (خبيرا) للدلالة على العموم، فلا يظن خبيرا معينا لأن النكرة إذا تعلق بها فعل اقتضت عموما بدليل أي خبير سألته أعلمك . وهذا يجري مجرى المثل ولعله من مبتكرات القرآن نظير قول العرب: (على الخبير سقطت) يقولها العارف بالشيء إذا سأل عنه . والمثلان وإن تساويا في عدد الحروف المنطوق بها فالمثل القرآني أفصح لسلامته من ثقل تلاقي القاف والطاء والتاء في (سقطت) وهو أيضا أشرف لسلامته من معنى السقوط . وهو أبلغ معنى كما فيه من عموم كل خبير، بخلاف قولهم: (على الخبير سقطت) لأنها إنما يقولها الواحد المعين ... والباء في (به) بمعنى (عن) أي فاسأل عنه . وتقديم المجرور للرعي على الفاصلة وللاهتمام، فله سببان" (٨٠).

والجميل هنا الموازنة التي عقدها ابن عاشور بين نص الآية وقول العرب وهذا من أجمل مباحث النقد العربي التي يتبين من خلالها مزايا الآية القرآنية من الناحية الفنية، وهذا نظير الموازنات التي عقدها السيوطي بين قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ (البقرة ١٧٩) وقول العرب: (القتل أنفى للقتل) وقد فاقت الآية الكريمة عليها بعشرين وجها كما نص على ذلك الإمام السيوطي، وكذلك الموازنات التي أقامها الباقلائي بين بعض الآيات وشعر امرئ القيس والبحثري .

(كمثل العنكبوت)

من قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ (العنكبوت ٤١) يقول ابن عاشور: "هذه الهيئة المشبه بها مع الهيئة المشبهة قابلة لتفريق التشبيه على أجزائها، فالمشركون أشبهوا العنكبوت في الغرور بما أعدوه وأولياؤهم أشبهوا بيت العنكبوت في عدم الغناء عمن اتخذها وقت الحاجة إليها وتزول بأقل تحريك، وأقصى ما ينتفعون به منها نفع ضعيف وهو السكنى فيها وتوهم أن تدفع عنهم لما ينتفع المشركون بأوهامهم في أصنامهم . وهو تمثيل بديع من مبتكرات القرآن" (٨١)

والابتكار هنا يتمثل في التفاتة القرآن إلى هذه الموازنة الجميلة بين الكفار وبيت العنكبوت من حيث الوهن والضعف، فإن بيت العنكبوت إذا هبت ريح لا يرى منه عين ولا أثر بل يصير هباء منثورا، فكذلك أعمالهم للأوثان (٨٢).

يقول الزمخشري: "وكما أنه أوهن البيوت إذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت، كذلك أضعف الأديان إذا استقريتها دينا دينا الأوثان لو كانوا يعلمون" (٨٣).

(الولدان شيبا)

من قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ (المزمل ١٧) يقول ابن عاشور: "ووصف اليوم بأنه يجعل الولدان شيبا وصفا له باعتبار ما يقع فيه من الأحوال والأحزان، لأنه شاع أن الهم مما يسرع به الشيب، فلما أريد وصفهم هم ذلك اليوم بالشدة البالغة أقواها أسند اليه بشيب الولدان الذين شعرهم أول سواده، وهذا مبالغة عجيبة وهي من مبتكرات القرآن فيما أحسب، لأنني لم أر هذا المعنى في كلام العرب، وأما البيت الذي يذكر في شواهد النحو وهو:

إِذْ وَاللَّهِ نَرْمِيهِمْ بِحَرْبٍ تُشِيبُ الطِّفْلَ مِنْ قَبْلِ الْمَشِيبِ

فلا ثبوت لنسبته إلى من كانوا قبل نزول القرآن ولا يعرف قائله، ونسبه بعض المؤلفين إلى حسان بن ثابت، وقال العيني لم أجده في ديوانه (٨٤) وقد أخذ هذا المعنى الصمة بن عبد الله القشيري في قوله:

دعاني من نجد فإن سنيته لعين بنا شيبا وشيبتنا مُردا

وهو من شعراء الدولة الأموية (٨٥).

وهذه الحجة دائما يتمسك بها ابن عاشور في إثبات ابتكار القرآن لبعض الألفاظ أو التراكيب وهي لم ترد على السنة الجاهليين قبل نزول القرآن، أما ما ورد عن بعضهم من الشعراء فهؤلاء ممن عاشوا بعد مجيء الإسلام وهم الذين تأثروا بأسلوب القرآن وليس العكس .

﴿فَإِنَّ تَذَهُبُونَ﴾ (التكوير ٢٦)

قال ابن عاشور: "واعلم أن جملة (تذهبون) أرسلت مثلا، ولعله من مبتكرات القرآن، وكنت رأيت في كلام بعضهم: أين يذهب بك . لمن كان في خطأ وعماية (٨٦) ويفهم من كلام ابن عاشور أنه قد سمع تركيبا قريبا لما جاء به القرآن، وقد ورد عن الفراء أن العرب تقول: إلى أين تذهب؟ وأين تذهب؟ (٨٧)

وقد يريد ابن عاشور أن استعمال العرب لها قليل وإنما الفضل يعود في استعمال هذا التركيب للقرآن الكريم بهذا الأسلوب، فقله: ﴿فَإِنَّ تَذَهُبُونَ﴾ استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا أو ذهابا في بنيات الطريق: أين تذهب ؟ مثلت حالهم بحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل (٨٨).

الخاتمة

توصلت من خلال البحث إلى ما يأتي :

- ١- إن القرآن الكريم قد أبدع وابتكر أساليب وألفاظا ما كانت تخطر في بال أحد وهذا دليل إضافي يضاف إلى وجوه الإعجاز القرآني الأخرى التي ذكرها العلماء .
- ٢- إن قولنا بوجود ألفاظ مبتكرة في القرآن الكريم لا يعني أن القرآن قد جاء بأشياء خارجة عن لغة العرب بل إن القرآن أسلوبه عربي صرف وهو من صميم لغة العرب إلا أنه تفنن وبرع في اختيار الصورة، واللفظ المناسب، والتركيب الدقيق .
- ٣- لا يجوز لأي شخص أن يبت في قضية الألفاظ والتراكيب المبتكرة إلا من له أهلية تؤهله في الخوض في هذا المعترك الدقيق .
- ٤- وكان ابن عاشور لا يقطع بابتكار لفظ إلا بعد التأكد من عدم ورود هذا اللفظ أو التركيب في نثر العرب وشعرها، وهذا دليل على الخزين الثر الذي يمتلكه ويحفظه من تراث الأمة، وكان لابن عاشور من الذكاء والفطنة ما يجعله يتنبه إلى مبتكرات ألفاظ القرآن وتراكيبه مما أغفله أكثر المفسرين واللغويين .
- ٥- ويشير ابن عاشور إلى بعض الآيات الشعرية التي قد يتوهم البعض أن اللفظ المبتكر قد ورد فيها فينبه أن ذلك اللفظ قد ورد بعد الإسلام أو أن الشاعر هو الذي اقتفى أثر الإسلام في استعمال هذا اللفظ أو ذاك التركيب.
- ٦- لابن عاشور الفضل الكبير في اختراع هذا المصطلح الجميل (مبتكرات القرآن) وقد فتح الباب لمن يأتي بعده لمواصلة المسير في هذا المضمار، وإنني أدعو في هذه الخاتمة العلماء والباحثين إلى التفتيش عن ألفاظ وتراكيب أخرى غير التي ذكرها ابن عاشور لعلهم يتوصلون إلى شيء من مبتكرات القرآن الأصيلة .

هوامش البحث:

- (١) التحرير والتنوير: ١/ ٧٤٣
- (٢) جامع البيان للامام الطبري: ١/ ٧٩٢
- (٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي: ١/ ١٠٩
- (٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٢/ ٩٨
- (٥) معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم لسميح عاطف الزين: ٥٧٥
- (٦) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (صبغ): ٥٦١ - ٥٦٢
- (٧) القاموس المحيط للفيروز أبادي (صبغ): ٨٦١
- (٨) التحرير والتنوير: ٣/ ٢٨٤
- (٩) معجم مقاييس اللغة (وسع): ١٠٥٢
- (١٠) جامع البيان للطبري: ٣/ ٤٢٩
- (١١) تهذيب اللغة للأزهري: ٣/ ٩٥-٩٦
- (١٢) القاموس المحيط (وسع): ١٦٦٠
- (١٣) التحرير والتنوير: ٤/ ١٣٦
- (١٤) معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم لسميح عاطف الزين : ٢٣٠
- (١٥) التحرير والتنوير: ٢٥/ ٢٧
- (١٦) جامع البيان: ٢٥/ ١١ .
- (١٧) الجامع لأحكام القرآن: ٤/ ١٦.
- (١٨) الكشف: ٤/ ١٥٩.
- (١٩) التحرير والتنوير: ٢٦/ ٨٢ وورد الشاهد الشعري في لسان العرب (عصا): ١٧٩/ ١٠ وينظر شواهد اللغة العربية للدكتور إميل يعقوب: ٣/ ٢٧٩
- (٢٠) القاموس المحيط (وزر): ١٦٥٧
- (٢١) معجم المقاييس (وزر): ١٠٥٢
- (٢٢) أنوار التنزيل للبيضاوي: ٥/ ١٢٠
- (٢٣) جامع البيان: ٢٦/ ٥٦
- (٢٤) معجم تفسير مفردات القرآن ١١٠٢
- (٢٥) بيت الكلابي ذكره القرطبي: ١٨/ ١٦٩، والزمخشري في الكشف: ٤/ ٤٥٣ من دون نسبة . ولم أفق عليه في كتاب إميل يعقوب (المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية)

- (٢٦) التحرير والتنوير: ١١٧ / ٢٩
- (٢٧) ينظر تهذيب معاني القرآن واعرابه: ٢٠٧/٥، وتهذيب اللغة (حسم) ٣٤٤/٤.
- (٢٨) التحرير والتنوير ١٤٦/٢٩.
- (٢٩) معجم المقاييس: ١٠٤٣ .
- (٣٠) القاموس المحيط (وتن) ١٦٣٨ .
- (٣١) أنوار التنزيل للبيضاوي ٢٤٣/٥.
- (٣٢) التحرير والتنوير : ٣٩٦ / ٢٩ .
- (٣٣) المصدر نفسه .
- (٣٤) فصول في فقه اللغة : ٣٠١ .
- (٣٥) معجم تفسير مفردات القرآن : ٥٠٦ .
- (٣٦) مفاتيح الغيب : ٢٥٢-٢٥١ / ٣٠
- (٣٧) التحرير والتنوير: ٢٨-٢٧ / ٣٠
- (٣٨) الكشف: ٥١٧/٤
- (٣٩) مفاتيح الغيب : ١٠/٣١
- (٤٠) جامع البيان: ١٠/٣٠، ومفاتيح الغيب : ١٠/٣١
- (٤١) التحرير والتنوير: ٢٥٩/٣٠
- (٤٢) معجم مقاييس اللغة: (ثقب) ١٦٩
- (٤٣) معجم تفسير المفردات: ١٨٥
- (٤٤) عمدة الحفاظ : ٤٥١/١
- (٤٥) جامع البيان: ١٧٧ / ٣٠
- (٤٦) الجامع لأحكام القرآن: ٤/ ٢٠
- (٤٧) مفاتيح الغيب: ١٢٧/٣١
- (٤٨) التحرير والتنوير: ٣٣٤/ ٣٠
- (٤٩) بيان إعجاز القرآن ضمن كتاب ثلاث رسائل في أعجاز القرآن : ٤١
- (٥٠) التحرير والتنوير: ٣٧٠-٣٦٩/ ٣٠
- (٥١) مفاتيح الغيب: ١٩٣/٣١
- (٥٢) معجم تفسير مفردات القرآن ٩٤٢
- (٥٣) التحرير والتنوير: ٨٣/٤
- (٥٤) معجم مقاييس اللغة: ٧٣

- (٥٥) جامع البيان: ١١٤/٤
- (٥٦) التحرير والتنوير: ٩ / ١٧٧-١٧٨
- (٥٧) معجم مفردات القرآن: ٩٤٢
- (٥٨) جامع البيان: ١٧٢/٩
- (٥٩) الكشف: ١٣٣ / ٢
- (٦٠) مفاتيح الغيب: ٦١-٦٠/١٥
- (٦١) التحرير والتنوير: ٢٢٦/٩، والبيت في لسان العرب (عفى): ٢١٢/١٠ من دون نسبة للشاعر.
- (٦٢) القاموس المحيط (عفو): ١٠٥٦ .
- (٦٣) الكشف ١٤١/٢
- (٦٤) التحرير والتنوير: ٩ / ٢٥٣-٢٥٤
- (٦٥) الكشف ١٤٥/٢
- (٦٦) التحرير والتنوير: ١٢ / ٢٥٠
- (٦٧) ينظر الجامع لأحكام القرآن: ٩ / ١٠٧
- (٦٨) معجم تفسير مفردات القرآن: ٤٤٠ - ٤٤١
- (٦٩) الكشف: ٣٨٦ / ٢
- (٧٠) التحرير والتنوير: ١٣ / ١٩٦-١٩٧
- (٧١) معجم تفسير مفردات القرآن: ٤١٤
- (٧٢) التحرير والتنوير: ٦١/١٧
- (٧٣) المصدر نفسه
- (٧٤) الجامع لأحكام القرآن: ١١ / ١٨٩
- (٧٥) الكشف: ٨٦-٨٧ / ٣
- (٧٦) تهذيب معاني القرآن وإعرابه: ٣ / ٣٠٢
- (٧٧) التحرير والتنوير: ١٨ / ١٢٣-١٢٤
- (٧٨) الكشف: ١٥٥/٣
- (٧٩) الجامع لأحكام القرآن ١٠٠/١٢
- (٨٠) التحرير والتنوير ٦١/١٩
- (٨١) التحرير والتنوير ٢٥٢/٢٠
- (٨٢) مفاتيح الغيب ٦٩/٢٥
- (٨٣) الكشف ٣٤٣/٣

- (٨٤) البيت لحسان بن ثابت ينظر ديوانه ٣٠
 (٨٥) البيت في لسان العرب (نجد) ١٩٣/١٤ وينظر التحرير والتنوير ٢٧٥/٢٩
 (٨٦) التحرير والتنوير ١٦٥/٣٠
 (٨٧) مفاتيح الغيب ٧٥/٣١
 (٨٨) الكشف ٥٣٥/٤

المصادر والمراجع

• القرآن الكريم

- ١- أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) عبد الله بن عمر البيضاوي (٦٩١) إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي - دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٨.
- ٢- التحرير والتنوير - محمد الطاهر بن عاشور - الدار التونسية للنشر.
- ٣- تهذيب اللغة - محمد بن أحمد الأزهرى (٣٧٠) حققه وقدم له عبد السلام هارون .
- ٤- تهذيب معاني القرآن وإعرابه - أبو إسحاق إبراهيم السري المعروف بالزجاج (٣١١) هذبه وعلق عليه عرفان بن سليم الدمشقي - المكتبة العصرية الطبعة الأولى ٢٠٠٦.
- ٥- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للخطابي والرماني والجرجاني - تحقيق محمد خلف الله والدكتور محمد زغول سلام - الطبعة الثالثة دار المعارف في مصر .
- ٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن - ابن جرير الطبري (٣١٠) دار الفكر - قدم له الشيخ خليل الميس ١٩٩٩.
- ٧- الجامع لأحكام القرآن - محمد بن أحمد القرطبي (٦٧١) تحقيق سالم مصطفى الدوري - دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ٢٠٠٠.
- ٨- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري تحقيق عبد الله سنده - دار المعرفة الطبعة الأولى ٢٠٠٦.
- ٩- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ - أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (٧٥٦) تحقيق عبد السلام أحمد التونجي الطبعة الأولى ١٩٩٥ .
- ١٠- القاموس المحيط - محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (٨٣١) تحقيق محمود مسعود أحمد المكتبة العصرية - الطبعة الأولى ٢٠٠٩.
- ١١- الكشف - محمد بن عمر الزمخشري (٥٣٨) تصحيح محمد عبد السلام شاهين دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٩٩٥ .
- ١٢- لسان العرب - جمال الدين ابن منظور (٧١١) - دار صادر بيروت.

- ١٣- معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم - سميح عاطف الزين - الكتب المصرية ودار الكتب اللبنانية الطبعة الخامسة ٢٠٠٧.
- ١٤- المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية - إعداد الدكتور إميل بديع يعقوب - دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٩٩٦.
- ١٥- معجم مقاييس اللغة - أحمد بن فارس (٣٩٥) اعتنى به الدكتور محمد عوض مرعب - دار إحياء التراث ٢٠٠٨.
- ١٦- مفاتيح الغيب - فخر الدين الرازي (٦٠٤) قدم له الشيخ خليل الميس - دار الفكر ١٩٩٥

التشكيل الصوتي للقافية عند ابن جني (ت ٣٩٢هـ) في كتابه (التنبيه على شرح مشكل أبيات الحماسة)

د. محمد بشير حسن

جامعة ديالى / كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص

كانت دراسات علماء العربية القدماء تتسم بالنضج، وهي لا تقل أهمية عن دراسات المحدثين، ولعل من أبرز الأدلة على ذلك هو توظيف المستوى الصوتي في دراسة القافية في البيت الشعري، وكأن المتطلع في جهد ابن جني الصوتي في كتاب (التنبيه على شرح مشكل أبيات الحماسة) يجد نفسه أمام دراسة حديثة تمزج بين علمين منفصلين هما (علم الصوت وعلم العروض والقافية).

وقد كانت فكرتي مُستلَّهة من فكر ابن جني في هذا المضمار هو دراسة (التشكيل الصوتي للقافية عند ابن جني في كتابه التنبيه على شرح مشكل أبيات الحماسة).

وقد كانت منهجية البحث تتسم بالوصف والتحليل والاستعانة بدراسات المحدثين في الدراسة الصوتية، ولاسيما المواضيع العملية التجريبية.

Abstract

The ancient Arab scholars studies are mature, which is no less important for modern studies, and perhaps the most prominent evidence of this is the employment of the audio level in the study Rhyme at home poetic, as if aspiring in the effort son voice reap in the book (the alarm to explain the problem verses enthusiasm) he finds himself in front of a recent study that combines two separate teachers (sound science and note presentations and rhyme).

My idea inspired by the thought of Ibn reap in this regard is the study were (voice modulation to rhyme when I'm taking the book to explain the alarm problem verses enthusiasm).

Search has been characterized by systematic description and analysis and the use of modern studies in vocal study, especially positions experimental process.

مُقَدِّمَةٌ

الحمدُ لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعدُ: فقد شَرَّفَ الله العربية بالقرآن الكريم، وشرفها مرّةً أُخرى بأنْ سَخَّرَ لها علماء أجلاء وضعوا لها قواعدَها، وبحثوا في جزئياتها، وكان لهم الفضل على البشرية جمعاء بما تركوا من سفر خالد لم ينضب ولم تجف منابعه إلى يومنا هذا، ومازلنا نستلهم البحوث والأفكار في الدراسات اللغوية من جهدهم، ومازال الكثير ينتظرنا، إنها معجزة الله أودعها في هذه اللغة الشريفة التي نزل بها كلام الله (جلّ وعلا).

وقد كانت دراسات علماء العربية القدماء تتسم بالنضج، وهي لا تقل أهمية عن دراسات المحدثين، ولعل من أبرز الأدلة على ذلك هو توظيف المستوى الصوتي في دراسة القافية في البيت الشعري، وكأن المتطلع في جهد ابن جني الصوتي في كتاب (التنبيه على شرح مشكل أبيات الحماسة) يجد نفسه أمام دراسة حديثة تمزج بين علمين منفصلين هما (علم الصوت وعلم العروض والقافية).

وقد كانت فكرتي مُسْتَلْهِمةً من فكر ابن جني في هذا المضمَر هو دراسة (التشكيل الصوتي للقافية عند ابن جني في كتابه التنبيه على شرح مشكل أبيات الحماسة).

وقد كانت منهجية البحث تتسم بالوصف والتحليل والاستعانة بدراسات المحدثين في الدراسة الصوتية، ولاسيما المواضع العملية التجريبية.

وقد قسّمت بحثي على توطئة و مبحثين، كان المبحث الأول: (في مفهوم القافية)، أوضحت فيه أقسام القافية وأجزاءها التي تكوّنت منها على وفق الوصف الذي تابع فيه ابن جني الرؤية الخيلية.

أما المبحث الثاني فقد تناولت فيه موضوعات فرعية، وهي: إبدال الهمزة واوًا، بين إشماع الضم لكسرة العين وإخلاص الكسر فيها ، وإشباع الصائت القصير ضرورة للرّدْف، ومجيء الرّدْف نصف حركة (صوت لين)، وكان عنوانه (مظاهر التشكيل الصوتي للقافية).

ثم انتهى البحث إلى خاتمة أوجزت فيها أهم النتائج والملاحظ العلمية التي توصلت إليها.

وأخيرًا لا أدعي الكمال لبحثي هذا، إنّما هو محاولة أولى على خطى الباحثين ولعلها تكون صائبة مباركة وإن لم تكن كذلك فحسبي أني اجتهدت.

والله الموفق

توطئة

ابن جني عالم من علماء العربية وفذٌّ من أفذاذها، وقد قيل إنه : ((القطب في لسان العرب))^(١)، وقد نال هذا الفخرَ قديماً وحديثاً بما توصل إليه من كدِّ الفكر في المسائل اللغوية واستنباط الأحكام من جزئياتها.

وقد اعتنى ابن جني بأبيات الحماسة لأبي تمام (ت ٢٣١هـ)، فألف كتاباً سمّاه (المُبْهَج في تفسير أسماء شعراء الحماسة)، حققه حسن هنداي، وطبع في بيروت سنة ١٩٨٧، ووضع كتاباً آخر سمّاه (التنبيه على شرح مشكل أبيات الحماسة) حقّقته الدكتورة سيدة حامد عبد العال والدكتورة تغريد حسن أحمد في مصر سنة ٢٠١٠.

والمؤلف الأخير كتاب لغوي ضمّ بين دفتيه كثيراً من المسائل الصوتية والصرفيّة والنحويّة والمعجميّة، وهذا ما عهدناه في كتبه اللغوية الأخرى مثل الخصائص، وسرّ صناعة الإعراب، والتصريف الملوكي، وغيرها من المؤلفات التي كان لها صدّى كبيرٌ قديماً وحديثاً.

ومن اللافت في كتابه التنبيه المادة الصوتية التي وجدت في أثناء شروحه وتعليقاته اللغوية، إذ حاول أن يمزج ما بين علم الصوت وعلم القافية عن طريق توظيف المستوى الصوتي في شرحه للقوافي والعروض في الشعر، وهو ما لفت انتباهي، وحدا بي أن اكتب في دراسة الصوت والقافية مستهدياً بخطى ابن جني الذي كان له فضل السبق في هذا الميدان.

المبحث الأول

في مفهوم القافية

القافية في اللغة هي من قفو ((والقفو مصدر قولك: قفا يَقْفُو، وهو أن يتبع شيئاً، وقَفَوْتُهُ أَقْفُوهُ قَفْوَاً، وتَقَفَيْتُهُ، أي اتَّبَعْتُهُ))^(٢).

وأشار التنوخي إلى هذا المعنى اللغوي، إذ يرى أنَّ قفوته معناه اتَّبعُهُ، ومنه قافية الرأس يعني مؤخرة رأسه، وأنَّ القافية حدث فيها انتقال من الدلالة العامة إلى الدلالة الخاصة، فقد خُصت بالشعر أو الكلام الموزون^(٣)، ومنه (قوافي) الشعر؛ لأنَّ بعضها يتبع إثرَ بعض^(٤).

أما اصطلاحاً فعرفها الدكتور صفاء خلوصي: بأنها ((مجموعة أصوات في آخر الشطر أو البيت وهي كالفاصلة الموسيقية يتوقع السامع تكرارها في فترات منتظمة))^(٥).

وقد اختلف علماء العربية في وضع حدود للقافية على مذاهب شتى، فالخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ) — رحمه الله — يذهب إلى ((أنها الساكنان الآخران من البيت وما بينهما مع حركة ما قبل الساكن الأول منهما))^(٦)، وقد استحسن تحديد الخليل للقافية القدماء والمعاصرون^(٧).

ويبدو أنَّ الخليل قد اعتمد على مفهوم التناسب الإيقاعي في القافية، وهذا المفهوم مبنيٌّ على الحركة والسكون اللذين اعتمد عليهما في نظامه العروضي وبناء كيانه الإيقاعي الذي حدد من خلال القافية.

وذهب الأخفش سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥هـ) إلى أنَّ ((القافية الكلمة الأخيرة واحتج بأنَّ قائلاً لو قال لك: اجمع لي قوافي تصلح (كتاب) لا تيت له (بشباب) و (باب)))^(٨)، ومنهم من يرى أنَّ القافية هي ((الكلمة الأخيرة وشيء قبلها))^(٩).

أما الأخفش فيبدو أنه اعتمد على أساس معجمي ولا ينطلق من مفهوم إيقاعي في التعامل مع القافية، وهو أقرب إلى التحديد التعليمي منه إلى المفهوم الإيقاعي.

ويرى أبو موسى الحامض (ت ٣٠٥هـ) أنَّ القافية ((ما يلزم الشاعر تكريره في كل بيت من الحروف والحركات))^(١٠)، ويبدو أنه ينطلق في تعريفه من تصور إيقاع القافية، وهو بذلك يجعل للقوافي مفهومًا كميًا كيفيًا في آنٍ واحد.

وبعضهم يذهب إلى أبعد من ذلك؛ إذ يرى أنَّ القافية هي البيت الشعري كله، وبعضهم الآخر أنَّ القافية هي القصيدة كلها^(١١)، وهذا كلام مبالغ فيه؛ لأن تحديد الخليل للقافية هو الأدق والأقرب إلى الصواب.

أجزاء القافية

تتكون القافية من حروف وحركات، ويمكن إجمالها على نحوٍ مما يأتي:

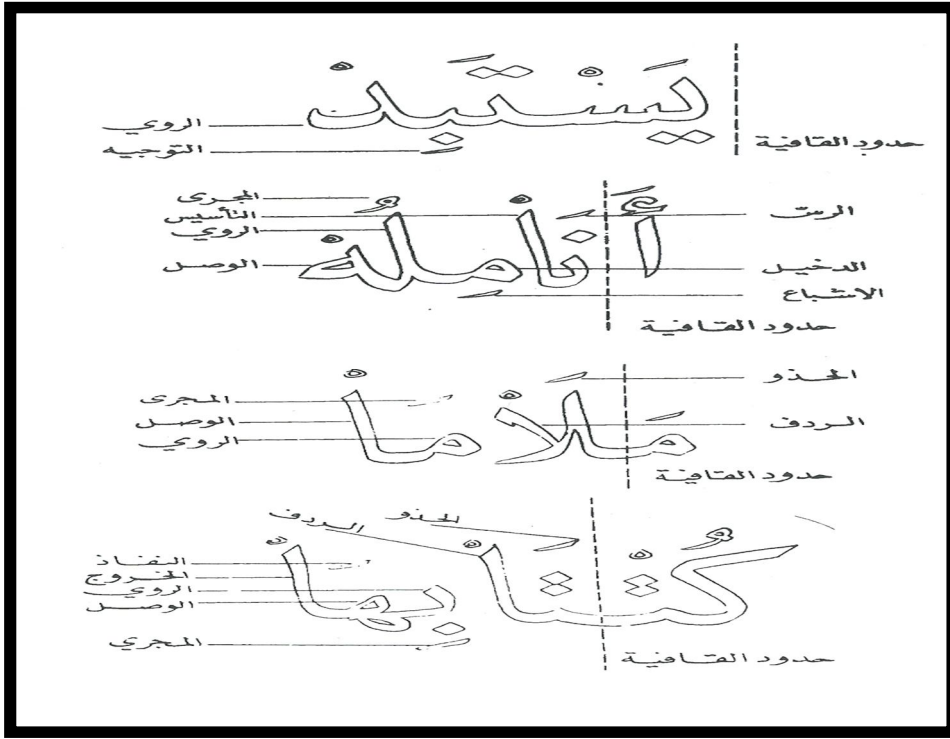
أ. حروف القافية^(١٢)

١. الروي: حرف تبنى عليه القصيدة وتنسب إليه، ويتكرر في كل بيت من أبياتها.
٢. الوصل: ((هو حرف مدّ (الألف أو الواو أو الياء) ناشئ عن إشباع حركة الروي في القوافي المطلقة، أو هاء تلي الروي المطلق))^(١٣).
٣. الخروج: ((حرف مد ناتج عن إشباع حركة هاء الوصل))^(١٤).
٤. الرّدْف: حرف مدّ أو لين يسبق الروي.
٥. التأسيس: هو ألف يفصل بينها وبين حرف الروي حرفٌ، حرف صحيح.
٦. الدخيل: حرف يجوز تحريكه بالحركات الثلاثة يقع بين ألف التأسيس والروي.

ب. حركات القافية^(١٥)

١. المجرى: حركة الروي.
٢. التوجيه: حركة الحرف الذي قبل الروي المُقيد بالسكون.
٣. النفاذ: حركة الوصل.
٤. الإشباع: حركة الدخيل.
٥. الحذو: حركة الحرف الذي يسبق الرّدْف.
٦. الرّسّ: حركة الحرف الذي يسبق ألف التأسيس.

ويمكن توضيح أجزاء القافية بالمخطط التوضيحي الآتي^(١٦):



يُلاحظ أنَّ أجزاء القافية تتكون من الصوائت القصيرة والطويلة على الأغلب؛ لأنَّ هذه الأصوات لها القدرة على أداء التنغيم، وهي أصوات تتميز عن غيرها بقوة إسماعها ووضوحها السمعي؛ لأنَّها أصوات تخرج حرّة طليقة مع النفس من غير أن يعترضها عارض في مجرى الهواء في الحلق والفم.

وقد لاحظ المعاصرون من علماء اللغة من خلال ما توصّلوا إليه بالتجربة العملية الصوتية أنَّ هذه الأصوات تُسمع من مسافة بعيدة فهي تختلف عن غيرها من الصوائت التي يكون إسماعها أقلَّ^(١٧)، ((فالفتحة مثلاً وهي صوت لين قصير تُسمع من مسافة أبعد كثيراً مما تسمع عندها الفاء))^(١٨).

وقد توصل العلم الحديث إلى ترتيب الأصوات بحسب وضوحها السمعي على أساس التجربة العملية، وعلى النحو الآتي ابتداءً من الأقل وضوحاً في السمع إلى الأكثر^(١٩):

١. الأصوات المهموسة الانفجارية (ت ك)
٢. الأصوات المهموسة الاحتكاكية (ش س ث ف)
٣. الأصوات المجهورة الانفجارية (ب د گ الجيم القاهرية)
٤. الأصوات الاحتكاكية (ف ذ ز الجيم الشامية)
٥. الصوت المزدوج (ج)
٦. الأصوات الأنفية (م ن)
٧. الأصوات التكرارية والجانبية (ر ل)
٨. الحركات الضيقة (الضمة والكسرة)
٩. الحركات المتسعة (الفتحة المفخمة)

نلاحظ أنّ قمة الوضوح السمعي تكمن في الفتحة الطويلة ثم تليها أصوات المد الضيقة الواو والياء،^(٢٠) وبما أنّ أغلب أجزاء القافية تتكون من الصوائت الطويلة والقصيرة ومن الصوامت الأخرى فقد لزم تكرارها في كل بيت من أبيات القصيدة كي يضاف الوضوح السمعي على القصيدة ككل، فضلاً عن النغمة الموسيقية التي يوجد لها هذا الوضوح، ولا غرابة في ذلك إذا ما أقرّ الدكتور صفاء خلوصي أنّ أغلب الحروف التي تأتي رويّاً في القصائد هي (الباء والذال واللام والميم والنون)، وأنّ الرّدْف لا يكون إلا أحد الصوائت الطويلة (الألف والواو والياء) أو أحد صوتي اللين (الواو والياء)، والتأسيس لا يكون إلا ألفاً مدية، فضلاً عن الصوائت القصيرة التي تتكون منها القافية،^(٢١) والسر في ذلك هو وضوحها السمعي.

المبحث الثاني

مظاهر التشكيل الصوتي في القافية

لقد تناول ابن جني موضوعات صوتية عند حديثه عن القافية وأجزائها في كتابه التنبيه، وقد حاول أن يُعالج موضوعات في القافية صوتياً، لعل من أبرزها (الهمز، والإمالة، والمماثلة) فضلاً عن بعض المواضع الصوتية الدلالية؛ لذا فإنني سأنتظر لبعض هذه المواضع التي توضح جهد ابن جني الصوتي في دراسة القافية.

١. إبدال الهمزة واوًا

قال حاتم الطائي (٢٢):

أَعَاذِلَ إِنَّ الْجُودَ لَيْسَ بِمُهْلِكِي وَلَا يُخْلِدُ النَّفْسَ الشَّحِيحَةَ لَوْمُهَا

(الطويل)

ذهب ابن جني إلى أن قافية البيت (لَوْمُهَا) هي بدل من (لَوْمُهَا)، أي بإبدال الهمزة واوًا مدية (٢٣).

الهمز ظاهرة لهجية تعود لبعض القبائل العربية مثل تميم وأسد وعُقيل وقيس وغيرها من القبائل، وتخفيفه أو (إداله) هو لبعض القبائل الحضرية مثل هُذيل وأهل مكة والمدينة ولاسيما قریش (٢٤)، قال أبو زيد: ((وأهل الحُجاز إذا اضطروا نبروا)) (٢٥)، وقد انعكس هذا على القراء إذ نجد بعضهم يحقق الهمز، وبعضهم الآخر يخففه (٢٦).

وصوت الهمزة فيه مشكلة شكاً منه علماء العربية القدماء ومن صعوبة التعامل، فقد ذكر سيبويه (ت ١٨٠هـ) بأنها نبرة في الصدر تخرجُ باجتهاد (٢٧)، وقد وصفها المبرد (ت ٢٨٥هـ) بتقيلة المخرج (٢٨)، وربما استنقلوها لبعدها مخرجها، قال ابن جني: ((إنما لم تجتمع الفاء والعين ولا العين واللام هزتين لثقل الهمزة الواحدة، لأنها حرفٌ سفلٌ في الحلق وبعُدٌ عن الحروف وحصل طرفاً، فكان النطق بها تكلفاً)) (٢٩).

وقد وصف ابن يعيش الهمزة بالتهوع، إذ قال: ((اعلم أنَّ الهمزة حرف شديد مستنقل يخرج من أقصى الحلق، إذ كان أدخل الحروف في الحلق، فاستنقل النطق به، إذ كان إخراجها كالتهوع، فلذلك من الاستنقال ساغ فيها التخفيف))^(٣٠).

وقد أثبت العلم الحديث أنَّ نطق الهمزة هو من أصعب العمليات النطقية وأشقَّها، وما ذلك إلا لصعوبتها وتعدد صورها والتواء مسالكها؛ ولأنَّ مخرجها من فتحة المزمارة التي تنطبق عند نطقها ثم تتفتح بشكل مفاجئ فيحدث انفجارٌ بسبب ضغط الهواء المنحبس خلف نقطة الاعتراض^(٣١)، قال الدكتور أحمد مختار عمر: ((وإذا كانت التسجيلات الطيفية الحديثة للهمزة قد أظهرتها بصورة متنوعة وصوتاً غير مستقر لا يأخذ شكلاً معيناً محدداً وصوتاً شبيهاً بالعلّة في بعض السياقات فكيف ننتظر من القدماء بوسائل ملاحظتهم البسيطة أن يصلوا إلى أوجه الصواب))^(٣٢)، وقال الدكتور عبد الصبور شاهين عن صعوبتها في المجال الصوتي إنَّها ((عَلَمٌ على مشكلة من أعقد مشكلات الأصوات العربية ويرجع ذلك إلى الاختلاف في ماهيته وفي علاقاته))^(٣٣).

ومن المشكلات الأخرى في الهمزة اختلاف المعاصرين في صفتها بسبب وضع الوترين الصوتيين عند النطق بها، إذ لا يشبهان وضعهما في حالتي الجهر والهمس، مما كان مدعاة للخلاف فيما بينهم في صفتها، فمنهم من قال إنَّها لا مجهورة ولا مهموسة، وهو رأي المدرسة الانكليزية المتمثلة بدانيال جونز وابركرومي وتبعهم الدكتور إبراهيم أنيس^(٣٤)، ومنهم من قال إنَّها مهموسة وهو رأي المدرسة الأمريكية المتمثلة بهفنز وتبعه في ذلك الدكتور عبد الرحمن أيوب^(٣٥).

نستنتج مما مرَّ أنَّ الهمزة فيها مشكلة قديمة وحديثة، لذا فإنَّها ستكون عرضة للتخفيف: بإبدالها أو حذفها أو تسهيلها بصيغة (يُنْ بَيْنَ).

وقد شعر ابن جني بما شعر به غيره ما لهذا الصوت من مشكلة، وحاول أن يخرج بنتيجة تخدم القافية وانسجامها الصوتي مع القصيدة، لذا فإنَّه حاول أن يوجِّه إبدال الهمزة واوا في القافية توجيهاً سليماً.

وقد ذكر ابن جني مذهبين في همزة (لُومُها):

١. المذهب الأول: الإبدال، وقد نسبته إلى الأخفش، فقد قال ابن جني: ((وقياس قول أبي الحسن في نحو هذا أن تكون الواو في (لُومُها) بدلا من همزة لُومُها بدلا محضاً على حد قولك: قرئت وتوضيت، لا على حد التخفيف في نحو قرأت وهدات))^(٣٦).

ومما يؤخذ على ابن جني ههنا أن تخفيف الهمزة الساكنة يكون بإبدالها (قلبها) إبدالاً محضاً بحرف حركة ما قبلها هو مذهب جمهور علماء العربية، قال المبرد (ت٢٨٥هـ): ((واعلم أن الهمزة إذا كانت ساكنة فإنها تقلب — إذا أردت تخفيفها — على مقدار حركة ما قبلها، وذلك قولك في رأس وجُونة وذئب إذا أردت التخفيف: رأس وجونة وذيب، لأنه لا يُمكنك أن تتحو بها نحو حروف اللين وأنت تُخرجها من مخرج الهمزة إلا بحركة منها، فإذا كانت ساكنة فإنما تقلبها على ما قبلها فتخلصها ياءً أو واوًا أو ألفاً))^(٣٧)، وتجدر الإشارة إلى أن المعاصرين من الأصواتيين خلصوا إلى النتيجة نفسها، فقالوا إن الهمزة سقطت وعادت بصورة أخرى حتمتها طبيعة الحركة التي قبلها^(٣٨)، كما في: رأس ← / ر — ع س / = / ر — س /

وقد اضطرب القدماء في نقلهم عن مذهب الأخفش، فقد ذكروا له رأيين في الهمزة المتحركة، وهما:

الأول: إبداله الهمزة المتحركة بالضمة والمكسور ما قبلها ياء محضة، كما في (يستهزؤن ← يستهزيون)، والهمزة المكسورة والمضموم ما قبلها واوًا محضة، كما في (سئل ← سؤل)، وهذا مخالف لجمهور النحويين^(٣٩)؛ لأن ((الجماعة راعوا حركة الهمزة نفسها، فأبدلوا الهمزة من جنس حركتها، والأخفش راعى حركة ما قبل الهمزة المخففة))^(٤٠)

وقد ردَّ المبرد^(٤١) ما ذهب إليه الأخفش، ثمة قال الرضي الاسترابادي (ت٦٨٦هـ) تعقيباً على ما مرَّ: ((وذلك مرفوض في كلامهم، وليس بشيء))^(٤٢).

الثاني: أنَّ الأَخْفَشَ يجعل الهمزة في (سُئِلَ و مُسْتَهْزِئُونَ) بَيْنَ بَيْنَ البعيد، أي بين صوت الهمزة وحرف حركة ما قبلها، في حين أنَّ الجمهور يجعلونها بَيْنَ بَيْنَ القريب أي بين صوت الهمزة وحرف حركتها^(٤٣)، وهذا يختلف عن الإبدال المحض، إلا أنَّ ابن الباذش (ت ٥٤٠هـ) قد ردَّ على الذين عزوا هذا القول للأَخْفَشَ بقوله: ((وقد جرى على أبي محمد مكي وهم في القول المعزَّوُّ إلى الأَخْفَشَ، فحكى عنه أنَّه يُخَفِّفُ بين الهمزة والواو، وإنما هو الإبدال واوًا محضة، هكذا الحكاية عنه))^(٤٤).

وكلا الرأيين المنقولين عن الأَخْفَشَ لا محل لهما من الاستشهاد في الموضع الذي ذكره ابن جني؛ لأنَّ الحديث هو عن الهمزة الساكنة، وليس عن الهمزة المتحركة التي يرى فيها الأَخْفَشَ ما يرى، لذا فإنَّ ابن جني قد وَهَمَ في ذكره مذهب الأَخْفَشَ، فلو عزا الإبدال لجمهور النحويين لاستقام كلامه.

٢. المذهب الثاني: مذهب أبي عمر، فقد ذكره ابن جني بقوله: ((وقياس قول أبي عمر أن تكون هذه الواو في لُومِها^(٤٥) مخففة وذلك لأنَّه عامل اللفظ . وقياسُ قوله هذا أن تكون على قول من قال: رِيًّا وريّة...ويقوي قول أبي عمر شيئاً أنَّه إذا أبدل فقد تجشم مكروهاً، وإذا خَفَّفَ فكأنَّ لم يُحدثْ أمراً، ولم يتكلفْ شاقاً ومعه أيضاً اللفظ الذي يدور عليه مدار أكثر أحكام الشعر))^(٤٦).

ونصُّ ابن جني فيه مسألتان:

الأولى: نسبته التخفيف إلى أبي عُمرٍ أمرٌ مُشْكَلٌ، فهل يريد به أبا عَمَرُ بن العلاء (ت ١٥٤هـ) القارئ المشهور، أم يريد به أبا عُمر الجرمي (ت ٢٢٥هـ).

وقد رجعت إلى كتب النحو واللغة والقراءات فلم أجد رأياً في الهمز لأبي عُمر الجرمي، وأرجح أن المُحَقِّقَيْنِ قد وقعنا في وهم؛ إذ المقصود هو أبو عَمَرُ بن العلاء، فقد وجدتُ له رأياً في كتب القراءات أنَّه كان لا يهمز كل همزة ساكنة في الصلاة أو في درج القراءة بل كان يبدلها بحركة حرف ما قبلها^(٤٧)، ومنهم مَنْ ذكر أنَّه كان الهمز تخفيفاً^(٤٨)، والتخفيف يحتمل ثلاثة أشياء^(٤٩): (الإبدال المحض، وهمزة بَيْنَ بَيْنَ، والحذف)، كما نُقِلَ عنه أنَّه كان يهمز في الأسماء مثل (الكأس) و(البأس)، ولا

يُهمز في الأفعال مثل (يومنون) و(يوتون)، أي تخفيفها بإبدالها بحركة حرف ما قبلها^(٥٠).

ويبدو من كلام ابن جني أن أبا عمرو يجعلها بينَ بينَ وهي أقرب إلى التحقيق منها إلى الإبدال، فقد قال ابن جني: ((لأنها مخففة على حكمها مُحَقَّقة))^(٥١)، وقال أيضاً عن مذهب أبي عمرو: ((إذا أبدل فقد تجشم مكروهاً، وإذا خفف فكأن لم يحدثُ أمراً))^(٥٢).

ويبدو أن ابن جني قد وقع في وهم مرةً أخرى؛ لأنه لم يُسمَعْ تخفيف الهمزة الساكنة بصيغة بينَ بينَ، وإنما إبدالها بحركة حرف ما قبلها، على مذهب جمهور النحويين بما فيهم أبو عمرو بن العلاء في واحد مما نُقل عنه^(٥٣)، لذا فإن ابن جني لم يكن موفقاً في استشهاده بأبي عمرو بن العلاء.

يتضح من ذلك أن أبا عمرو والأخفش كليهما كانا يبدلان الهمزة الساكنة إبدالاً محضاً، وهذا ما رجَّحه ابن جني الذي فضل الإبدال على غيره في (لومها)، فقد قال: ((فكذلك واو لومها في بيت حاتم هذا ينبغي أن تكون بدلا من همزة لومها لا مخففة عنها))^(٥٤).

ويبدو أن مفهوم التخفيف يختلف عن مفهوم الإبدال في (لومها) عند ابن جني، ولربما أراد بالتخفيف (همزة بينَ بينَ) التي تتمثل في ((تليين صوته وتقريبه من حرف اللين الذي منه حركته))^(٥٥)، فإن أثر الهمزة مازال باقياً، فهي صوت بين مخرج الهمزة وصوت المد، وهذا الصوت لا يتمكن تمكّن صوت المدّ في أداء الوضوح السمعي المتوخى من مجيئه في القافية؛ لذا رجَّح ابن جني الإبدال في (لومها)؛ لأنه أراد أن تسير القافية في هذا البيت مثل سابقتها، قال في ذلك: ((ألا ترى أن باقي القصيدة مردفٌ نحو: خيمها وأضيّمها وديمها وغير ذلك))^(٥٦)، وعملية الإبدال في (لومها) هي موافقة لحرف الرّدف (الياء)، فالواو المبدلة من الهمزة يستطيع أن يجعلها الشاعر رِدفاً؛ لأن الياء والواو يتناوبان في رِدف القصيدة

الواحدة، في حين لا يُمكن ذلك عند بقاء الهمزة؛ لأنَّ الرَّدْف مُلْزَمٌ للشاعر وعدم الالتزام به يُعدُّ عيباً من عيوب القافية يُسمى^(٥٧) بـ(سناد الرَّدْف).

وإذا ما أبدلت الهمزة بالواو المديّة (لُومُها ← لُومُها)، فإنَّها ستتحول من صوت صامت شديد إلى صوت صائت طويل يُمدُّ النَّفس معه، وبذا سيكون اختلاف في النظام المقطعي على النحو الآتي:

لُومُها / ل — ء / م — / هـ — /

لُومُها / ل — / م — / هـ — /

فعند الإبدال سيتحد الصائت الطويل مع حركة اللام، وبذا فإنَّهما سيُكوِّنانِ مقطعاً طويلاً وستتضمن القافية مقطعين طويلين يتوسطهما مقطع قصير مفتوح.

وقمّا المقطعين / ل — / م — / متشابهتان وهما الصائت الطويل (الواو المديّة) والصائت القصير (الضمة)، فلا فرق بينهما إلا في الطول، إلا أنَّ قمة إسماعهما تكون أقل من قمة إسماع الفتحة، لذا فإنَّه سينتقل من هذين المقطعين إلى المقطع الأخير / هـ — / الذي ينتهي بألف المد الطويلة، وهي أعلى وأكثر إسماعاً من كل الأصوات بما فيها المقطعين السابقين^(٥٨)، فقد وافق ابن جني الشاعر فيما ذهب إليه من الإبدال؛ لأنَّه أراد له أن يتدرج في قافية هذا البيت فبدأ بأصوات اللين الضيقة وانتهى بصوت لين أوسع من سابقه.

٢. بين إشمام الضم لكسرة العين وإخلاص الكسر فيها

قال الشاعر^(٥٩):

وإن دَعَوْتَ إلى جُلَى ومَكْرُمَةٍ يَوْمَا سَرَاةٍ كِرَامِ النَّاسِ فَادْعِينَا

(البسيط)

ذكر ابن جني روايتين لقافية البيت (فادْعِينَا).

الأولى: إشمام الضم لكسرة العين، والثانية: إخلاص الكسر فيها^(٦٠).

والإشمام هو نوع من أنواع الإمالة، وهو ظاهرة لهجية تعود لقيس وعُقيل وبني أسد، أما إخلاص الكسر فيعود إلى قریش وبني كنانة^(٦١).

وقد انعكست هذه الظاهرة اللهجية على القراء فقد اشتهر بها الكسائي وهشام من بين القراء، وهي كثيرة ما تكون في صيغ المبني للمجهول مثل^(٦٢): (قِيلَ، بُيِعَ، حِيلَ، سُيِقَ).

وذكر ابن جني أنَّ النحويين لم يوضّحوا حال الكسرة المشوبة بالضم في القافية، وأنَّ مذهبَ سيبويه في ذلك إشمام فاء الكلمة حتى لو كانت ردفا في القافية^(٦٣)، إلا أنَّ الباحث لم يجد ما يشير إلى هذا الإلزام الذي اعتمده سيبويه للإشمام في القافية^(٦٤).

وقد انتقد ابن جني النحويين لأنهم لم يعتنوا بهذه الظاهرة اللهجية، إذ قال: ((وما علمت أنَّ أحدًا من أصحابنا خاض في هذا الفن هذا الخوض ولا أشبعه هذا الإشباع))^(٦٥)، إلا أنَّ القراء عُنوا بها كثيرا ويبدو أنَّهم أكثر دقة من النحويين لأنهم يعتمدون المشافهة في الأداء؛ لذا فإنهم وصفوا الإشمام بأنَّه ((أتيانك بضم شفّتيك لا غير من غير صوت، ولا يفهمه الأعمى بحسّه لأنّه لرأي العين))^(٦٦)، فهم يركزون على الأداء والمشافهة في قراءة الإشمام، ويبدو أنَّهم أعطوا فكرة أنَّ صفة الصوت المُشَم لا تتغير، ولا يفتنى أحد الصوتين في الآخر، في حين أنَّ النحويين قصرُوا الإشمام على أنَّه كسرة مشوبة بالضم أو ضمة مشوبة بالكسر من غير توضيح آلية نطق الإشمام^(٦٧).

وقد فسّر العلم الحديث هذه الظاهرة وأشار إلى وجود تقارب بين الضمة والكسرة وهما من أصوات اللين الضيقة، ((ولهذا التقسيم أهميته فيما يُعرض لهذه الأصوات من الظواهر اللغوية، إذ نلاحظ في معظم الأحيان أنَّ ما يجري على الضمة يجري على الكسرة لأنَّ كلا منهما صوت لين ضيق بخلاف الفتحة فهي قسم مستقل له ظواهره الخاصة))^(٦٨).

وقد أدرك ابن جني هذا التقارب وأجاب عما تساءل عنه المعاصرون، إذ عزا تقارب الضمة والكسرة إلى قربهما في المخرج، وهذه حقيقة اكتشفها قبل المعاصرين بمئات السنين، إذ قال معللاً إشمام الكسر للضم، وإشمام الضم للكسر، بقوله: ((إنَّ الفتحة أوَّل الحركات وأدخلها في الحلق، والكسرة بعدها والضمة بعد الكسرة، فإذا بدأتْ بالفتحة وتَصَعَّدَتْ تَطَلَّبُ صدرَ الفم والشفَتين أحتازتْ في مرورها بمخرج الياء والواو فجاز أن تشمها شيئاً من الكسرة أو الضمة لتطرقها إياهما، ولو تكلفت أن تُشِمَّ الكسرة أو الضمة رائحة من الفتحة لاحتجت إلى الرجوع إلى أوَّل الحلق فكان ذلك انتقاض عادة الصوت بتراجعه إلى ورائه...))^(٦٩)، وقال أيضاً: ((إنَّ بين الضمة والكسرة من القرب والتناسب ما ليس بينهما وبين الفتحة))^(٧٠).

وعلى الرغم من توجيه ابن جني للإشمام والملاءمة الحاصلة في اللفظ فإنَّه أنكر الإشمام في حذو أبقافية (فادُعينا) محتكما في ذلك لذائقة الموسيقية التي يتذوق بها الشعر، إذ قال: ((إنَّ الحركة قبل الرِّدْف هي التي يُقال لها الحذو^(٧١)، ولم تأتِ عنهم مشمَّة ولا مشوبة، وإنما هي إحدى الحركات مُخلَّصة البتة، ولم يذكر الخليل ولا أبو الحسن ولا أبو عمرو ولا واحد من أصحابنا حال هذه الحركة المشوبة كيف اجتماعها مع غيرها، فلذلك على أنَّ الحركة في نحو هذا ينبغي أن تكون مُخلَّصة))^(٧٢).

ويبدو أنَّ ابن جني نظر إلى هذا الموضع نظرة شمولية، أي إنَّه نظر إلى (فادعينا) بنظرة القصيدة كلها وما تحمله القوافي المتكررة في كل بيت شعري، إذ أراد ابن جني إخلاص الكسر كي تكون هناك مناسبة في النظام المقطعي للقافية نفسها، وهي جزء من قوافي تنتهي إلى قصيدة واحدة، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال معرفة مقاطع القافية.

فادعينا

/ ف - د /	/ ع - /	/ ن - /
مقطع طويل	مقطع طويل	مقطع طويل
مغلق	مفتوح	مفتوح

نلاحظ أنَّ القافية سُبِقَتْ بمقطع طويل مغلق ينتهي بصامت وهو صوت الدال، وهو من الأصوات الشديدة الانفجارية التي هي أقلُّ وضوحاً في السمع من الصوائت القصيرة والطويلة^(٧٣)، فأراد ابن جني أن يأتي بمقطعين أشدَّ وضوحاً في السمع فأخلص الكسر، وبذا حصل على مقطعين مفتوحين / ع - / / ن - / بدلاً من مقطع واحد.

وقد قال ابن جني عن إخلاص الكسر: ((وَجاز ذلك فيها من حيث كانت الطاقة حاملة والقدرة ناهضة بالنطق بالياء الساكنة بعد الضمة الناصعة، فكيف بها بعد الكسرة))^(٧٤).

٣. إشباع الصائت القصير ضرورة للرّدْف

قال أوس بن حجر^(٧٥):

وَلَنِعْمَ مَأْوَى الْمُسْتَضِيفِ إِذَا دَعَا
وَالْخَيْلُ خَارِجَةٌ مِنَ الْقَسْطَالِ

(الكامل)

قال ابن جني: ((فَإِنَّهُ أَرَادَ الْقَسْطَلِ فَأَتْبَعَ فَتَحَةَ الطَّاءِ ضَرُورَةً لِلرَّدْفِ فَأَنْشَأَ عَنْهَا أَلْفَا))^(٧٦).

الإشباع ظاهرة لغوية أدركها علماء العربية قديماً وحديثاً وله معانٍ، ففي علم العروض هو حركة الحرف الذي بين التأسيس والروي، قال الأخفش: ((الإشباع وهو حركة الحرف الذي بين التأسيس والروي المطلق))^(٧٧)، أو هو ((حركة الدخيل أية حركة كانت))^(٧٨).

وقد عرف علماء العربية القدماء الإشباع ومنهم سيبويه الذي عقد له باباً باسم ((هذا باب الإشباع في الجر والرفع وغير الإشباع والحركة كما هي))^(٧٩)، وفهمه على أنه مَطُّ الحرف، إذ قال: ((فأما الذين يُشْبِعُونَ فيمططون وعلامتها واو وياء))^(٨٠).

وأشار ابن جني إلى هذا عندما عقد باباً له بعنوان ((باب في مطل الحركات))^(٨١)، وفهمه على أنه إشباع ومطل للحركة كي تكون حرفاً، فقد قال: ((إنَّ الحركة حرف صغير ألا ترى أنَّ من متقدمي القوم مَنْ كان يُسمي الضمة الواو الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والفتحة الألف الصغيرة ويؤكد ذلك عندك أنك متى أشبعت ومطلت الحركة أنشأت بعدها حرفاً من جنسها))^(٨٢).

أما القُراء فقد كانوا أكثر دقة من غيرهم في فهمهم للإشباع، فقد قال ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) عنه بأنه ((عبارة عن إتمام الحكم المطلوب من تضعيف الصيغة لمن له ذلك ويستعمل أيضاً ويُراد به الحركات كوامل غير منقوصات ولا مختلسات))^(٨٣)، وقد حددوا المقدار الذي يُشْبِع ويضعف فيه صوت المدّ أو اللين، وهم لا يميلون إلى الزيادة في تمطيط الصوت، بل يكون ((بمقدار ألفين زيادة على المقدار الطبيعي بحيث يكون مقدار الحرف ست حركات، أي بأن تُمدَّ صوتك بمقدار ثلاثة ألفات، ولا يضبط إلا بالمشافهة والأخذ من أفواه المشايخ العارفين ثم الإدمان عليه))^(٨٤)، وهم بذلك يريدون إعطاء كل حرف حَقَّه ومُسْتَحَقَّه في النطق من غير مبالغة ولا زيادة ولا تكلف في الأداء، فالتمطيط قد يؤدي إلى الأداء المناسب في إخراج الصوت وقد لا يكون كذلك^(٨٥).

والإشباع ظاهرة لهجية تعود إلى الربَّاب^(٨٦) وبعض قبائل ربيعة الذين كانوا يقولون في (رأيتك ← رأيتكا) والمؤنث^(٨٧) (رأيتكي).

وقد انعكست هذه الظاهرة اللهجية على القراءات القرآنية والحديث الشريف وكلام العرب، والشواهد أكثر من أن تُحصى^(٨٨).

وقد وجدت هذه الظاهرة في الشعر العربي بكثرة فقد يحتاجها الشاعر لإقامة الوزن، ويرى ابن سيده (ت ٤٥٨هـ) أنَّ الإشباع مقتصر على الشعر^(٨٩)، وقد وصفها

الأعلم الشنتمري (ت ٤٧٦ هـ) بأنها ((لغة ضعيفة فاستعملها عند الضرورة))^(٩٠)، إلا أنها ليست كذلك إذ لا يمكننا أن نقصرها على الشعر، فقد وردت في النثر بجميع أنواعه ولا سبيل هنا لاستعراض الأمثلة^(٩١)

والبيت الشعري الذي ساقه ابن جني لجأ فيه الشاعر إلى هذه الظاهرة لإقامة الوزن والقافية؛ لأنَّ القافية مسبوقه بقوافٍ أخر^(٩٢) من مثل (برحال، بسمال، هطال، السربال).

فحرف الرّدْف في القوافي هي الألف المدية الطويلة، وهذا النوع من القافية فيه قمة إسماع عالية لأنها تنتهي بمقطعين طويلين

قسطل / ق - س / ط - / ل - /

مقطع طويل مغلق مقطع قصير مقطع قصير

قسطل / ق - س / ط - / ل - / ← ل - / عند الإشباع ومطل الحركة

مقطع طويل مغلق مقطع طويل مقطع قصير مقطع طويل

مفتوح مفتوح

وإذا ما نظرنا إلى البيت الشعري نظرة عروضية صوتية، فإننا سنجد

وَلْنَعْمَ مَأْوَى الْمُسْتَضِيفِ إِذَا دَعَا وَالْخَيْلَ خَارِجَةً مِنَ الْقَسْطَالِ

مُتَقَاعِلْنَ مُتَقَاعِلْنَ مُتَقَاعِلْنَ مُتَقَاعِلْنَ مُتَقَاعِلْنَ مُتَقَاعِلْنَ

إضمار إضمار إضمار إضمار إضمار إضمار

ففي حالة إشباع الفتحة من (قسطل) فإنَّ قافية البيت الشعري ستكون على زنة (مُتَقَاعِلْ) وهي تفعيلة مضمرة مقطوعة، والقطع عند العروضيين: هو إسقاط ساكن الوند المجموع من التفعيلة وتسكين ما قبله^(٩٣)، وعند حذف المقطع الطويل من (قسطل) فإنَّ الوزن سيختل ويتحول من (مُتَقَاعِلْ) إلى (مُتَقَعِلْ) ولا يوجد لدينا في العروض الخليلي ضربٌ على هذه الشاكلة، لذلك أشبعوا الفتحة فأصبحت ألفا (قسطل) ← (قسطل) فأصبحت ثلاثة أسباب خفيفة (مُتَقَاعِلْ)، وهي ثلاثة مقاطع صوتية، لذا فإنَّ ابن جني نظر إلى قافية هذا البيت بنظرة الشاعر وليس بنظرة النحوي، فرجَّح الإشباع فيه كي يتم الوزن ولا يحدث خلا في القافية.

٤. مجيء الرّدْف نصف حركة^(٩٤) (صوت لين)

قال الشاعر^(٩٥):

إِنْ تُذْنِبُوا ثُمَّ تَأْتِينِي بِقَيْتِكُمْ فَمَا عَلَيَّ بِذَنْبٍ عِنْدَكُمْ فَوْتُ

(البسيط)

جاء الرّدْف في (فَوْتُ) أحد أصوات اللين وهو الواو، ويرى ابن جني أنَّ الأصل في الرّدْف أن يكون ألفاً لما فيها من إمكانية المدّ، وإذا كان الواو والياء في الرّدْف عوضاً عن الألف فينبغي أن تكونا مديّتين، أي أن تكون حركة ما قبلهما من جنسهما^(٩٦).

والرّدْف في القافية عند العروضيين هو الحرف الذي قبل الروي، ويكون أحد أحرف المد (الألف المديّة والواو المديّة، والياء المديّة)^(٩٧)، والأصل في الرّدْف أن يكون ألفاً لما فيها من المدّ، إذ تكون أكثر وضوحاً في السمع^(٩٨).

وأجاز العروضيون أن تكون الواو والياء المديّتين رِدفاً لما فيهما من المدّ، على الرغم من اختلافهما مع الألف، فالواو والياء هي أصوات مدّ ضيقة، وتكون أقلّ وضوحاً في السمع من الألف^(٩٩).

وقد أجاز بعض العروضيين أن يتعاقب الواو والياء المديّتان إذا كانتا رِدفين في القصيدة الواحدة، لما بينهما من القرب والتناسب ما ليس بينهما وبين الفتحة^(١٠٠)، إلاَّ أنَّه ((يؤثر سلباً على موسيقى القافية فتشعر بنشاز^(١٠١) أو خلل ما في إنسجام موسيقى القافية واتساقها بسبب هذا التبادل))^(١٠٢).

ويرى الدكتور حازم كمال الدين أنَّ الأفضل ((أن يكون الرّدْف مقتصرًا على حركة واحدة من الحركات الطوال الثلاث من أول القصيدة إلى آخرها؛ وذلك لأنَّ هناك اختلافاً بين حركتي الضمة الطويلة والكسرة الطويلة، وهذا الاختلاف هو أنَّ الكسرة حركة أمامية والضمة حركة خلفية))^(١٠٣).

وكلامه فيه نظر؛ لأنَّ الفائدة المتوخاة من تعاقب الواو والياء هو المدّ، وتشترك معهما الألف المدية في ذلك، بيد أنَّهما يفترقان في أنَّ الألف هي أكثر وضوحاً في السمع منهما لما فيها من طول المدّ الذي لا ينتهي إلا بانتهاء النفس، والأمر الآخر أنَّ الواو والياء بينهما تناسب وتقارب في المخرج^(١٠٤)، فكلاهما ((صوت لين ضيق بخلاف الفتحة فهي قسم مستقل له ظواهره الخاصة))^(١٠٥).

أما صوت اللين فأكثر العروضيين يرون أنه يجوز أن يكون ردفاً، إذ أجازوا أن تكون ((الواو والياء)) اللينتين المفتوح ما قبلهما ردفين، لشبههما بأصوات المدّ^(١٠٦).

وقد سمّى العروضيون الواو والياء اللينتين بـ ((الجزم المنبسط))، والواو والياء المديتين^(١٠٧) بـ ((الجزم المرسل)).

ونُقِلَ عن سيبويه أن الواو والياء اللينتين لا تكونان عَوْضاً عن الألف في الرِّدْف وأنَّ الشعراء استعملوا هذا^(١٠٨)، وقد أشار ابن جني إلى ذلك عند حديثه عن القافية في ((فوت)) بقوله: ((فأما أن تجيئاً تابعتين لحركتين ليستا من جنسهما، فذلك يبعدهما عن شبه الألف فيضعفان فيه عن قيامهما مقامهما))^(١٠٩).

وقد أثبت العلم الحديث أنَّ الواو والفتحة التي تسبقها والياء والفتحة التي تسبقها تُكوِّنان حركتين مزدوجتين ((وهذا الازدواج يجعل هذين الصوتين ضعيفي الاستقرار كثيري الحذف، سهلي الإدغام))^(١١٠).

وقد أدرك علماء العربية قديماً ومعاصرين أن هناك فرقاً بين ((الواو والياء)) المديتين، و((الواو والياء)) اللينتين، فالمديتان يكون اللسان معهما بعيداً عن الحنك الأعلى فيسمح بمرور الهواء حرّاً طليقاً من غير أن يعترضه عارض، والنفسُ يمدُّ معهما ولا ينتهي الهواء إلا بانتهاء نطق الصوت نفسه، لذلك فإنَّ المحدثين سموهما^(١١١) بـ ((الحركتين الطويلتين)).

أما الواو والياء اللينتان فيكون اللسان معهما قريباً من الحنك الأعلى وهذا الاقتراب يحدث حفيفاً أو احتكاكاً أشبه ما يكون بحفيف أو احتكاك الأصوات الصامتة، وهذا يقربهما من الأصوات الصامتة^(١١٢)، وقد أدرك ابن جني هذه الحقيقة إذ

قال: ((إِنَّ الْبَاءَ وَالْوَاوَ لَمَّا تَحَرَّكْتَ قَوِيَّتَا بِالْحَرَكَةِ فَلَحَقْتَا بِالْحُرُوفِ الصَّاحِ))^(١١٣)، لذلك فَإِنَّ الْمُحَدَّثِينَ اخْتَلَفُوا فِي تَسْمِيَّتِهَا فَبَعْضُهُمْ أَسَمَاهَا^(١١٤) بـ (أَشْبَاهُ الصَّوَامِتِ)، وَبَعْضُهُم الْآخَرُ أَسَمَاهَا^(١١٥) بـ (أَشْبَاهُ أَصْوَاتِ اللَّيْنِ).

ويبدو أَنَّ ابن جني نظر إلى الرَّدْفِ فِي (فَوَتْ) هَذِهِ النِّظَرَةُ الصَّوْتِيَّةُ، وَفَضَلَ أَصْوَاتَ الْمَدِّ فِي الرَّدْفِ عَلَى أَصْوَاتِ اللَّيْنِ لِمَا لِلصَّوْتِ الطَّوِيلِ مِنْ إِمْكَانِيَّةِ الْمَدِّ؛ وَقَدْ إِنَّمَازَتْ بِقُوَّةٍ وَضَوْحٍ السَّمْعِي فِيهِ قَادِرَةٌ عَلَى أَنْ ((تَحْمِلَ الْآثَارَ الْمَوْسِيقِيَّةَ لِلنَّبْرِ stress ودرجة الصوت، وَهِيَ أَكْثَرُ الْأَصْوَاتِ مَوْسِيقِيَّةٌ أَوْ قَبُولًا لِلْغَنَاءِ لِإِمْكَانِيَّةِ تَطْوِيلِهَا عَلَى وَجْهِ يُطْرَبُ السَّمْعِ))^(١١٦).

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّ ابْنَ جَنِي رَاعَى الضَّرُورَةَ الَّتِي يَضْطَرُّهَا الشَّاعِرُ، إِذْ قَالَ عَنْ مَجِيءِ الرَّدْفِ صَوْتِ لَيْنٍ : ((وَلَكِنْ إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْ ذَلِكَ بَدْءٌ وَاعْتَرَمَ الْبَتَّةَ جَازَ لَمَّا فِي الْوَاوِ الْمَفْتُوحِ مَا قَبْلَهَا وَالْيَاءِ الَّتِي هِيَ كَذَلِكَ مِنْ بَقِيَّةِ الْمَدِّ وَاللَّيْنِ))^(١١٧)، فَكَلَامُ ابْنِ جَنِي دَقِيقٌ؛ إِذْ وَصَفَ هَذَا الصَّوْتُ بِقَوْلِهِ: ((مِنْ بَقِيَّةِ الْمَدِّ وَاللَّيْنِ)) عَلَى أَنَّ هَذَا الصَّوْتُ قَدْ ذَهَبَ مَدُّهُ وَلَيْنُهُ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلٌ، وَهُوَ أَشْبَهُ مَا يَكُونُ بِالصَّامِتِ .

الخاتمة

- هناك علاقة مطردة بين النظام المقطعي والقافية في البيت الشعري، وأكثر ما تتألف القافية من مجموعة من المقاطع القصيرة والطويلة .
- إنّ أغلب مكونات القافية وأجزائها من الصوائت، ولمّا كان القصد من القافية هو الإسماع والإنشاد والتأثير في السامع فإنّ الصوائت هي خير مَنْ يقوم بهذه الوظيفة لما تملكه من إمكانية المدّ.
- حاول ابن جني الإفادة من المنجز الصوتي في توجيهه للقافية وتوظيفه، لإيمانه بأهمية هذا المستوى في خدمة القافية.
- يميل ابن جني إلى توظيف أصوات المدّ واللّين في مكونات القافية وأجزائها، لمّا لهذه الأصوات من فائدة متوخاة في الإنشاد الشعري.
- تعامل ابن جني مع القافية بذائقة ترتبط بالأداء والتأثير؛ إذ نجده يوجّه المسائل الصوتية في القافية بحسّ فني بعيد عن النحر.
- إنّ ما أظهره البحث يؤكد أنّ ابن جني قد اطلع على آراء سابقيه ولاسيما الخليل ابن أحمد الفراهيدي، وسيبويه في مسألة تحقيق الهمزة وتسهيلها.
- كشف البحث أنّ ابن جني قصر تخفيف الهمزة الساكنة، في مثل همزة (لُؤْم) على الأخفش، إنّما هو رأي جمهور العلماء بما فيهم الأخفش مُنْعَقِدٌ على تخفيفها بإبدالها بحرف حركة ما قبلها؛ إذ لم يُسمع في الهمزة الساكنة حذفٌ ولا بَيِّنٌ بَيِّنٌ.
- يرى البحث أنّ ما عَزِي لأبي عَمَر في تخفيف الهمز إنّما هو تحريف في النّص، والمقصود هو أبو عمرو بن العلاء؛ لأنّه هو المعنّي بالهمز وتخفيفه عند قراءة القرآن، وهذا الرأي مبني على وجه الاعتقاد حتى يرد علينا نصّ يخالف اعتقادنا هذا والله اعلم.
- وجد البحث أنّ ابن جني وعي الكثير من المشكلات الصوتية المتعلقة بالهمز والمغايرة في الإرداف بين الصوائت الطويلة، وعلاقة الصوت بخصائصه الفيزيائية بطبيعة الظاهرة اللفظية.
- بدا ابن جني ذواقاً في التعامل مع التشكيلات الصوتية انسجماً مع الشكل الموسيقي للشعر العربي ويظهر ذلك بوضوح عند التعامل مع الضرائر الشعرية.

- (١) ينيمة الدهر: ١/١٣٧.
- (٢) العين: مادة (قفو): ١/٤١٢.
- (٣) يُنْظَرُ: القوافي: ٢٩.
- (٤) يُنْظَرُ: مختار الصحاح مادة (قفا): ٤٨١.
- (٥) فن التقطيع الشعري والقافية: ٢١٥.
- (٦) القوافي للتوخي: ٣٧.
- (٧) يُنْظَرُ: مفتاح العلوم: ٨٦٧، وفن التقطيع الشعري والقافية: ٢١٣.
- (٨) القوافي للتوخي: ٣٥.
- (٩) المصدر نفسه: ٣٥.
- (١٠) المصدر نفسه: ٣٦، ويُنْظَرُ: الصوت القديم الجديد: ١٢٦.
- (١١) يُنْظَرُ: القوافي للتوخي: ٣٣، وفن التقطيع الشعري والقافية: ٢١٣.
- (١٢) يُنْظَرُ: فن التقطيع الشعري والقافية: ٢٤٩—٢٥٠، والعروض والقافية دراسة وتطبيق: ١٥٧—١٦٢.
- (١٣) العروض والقافية دراسة وتطبيق: ١٥٧.
- (١٤) فن التقطيع الشعري والقافية: ٢٥٠.
- (١٥) يُنْظَرُ: الأدب الرفيع: ٩٦، وفن التقطيع الشعري والقافية: ٢٥٠.
- (١٦) فن التقطيع الشعري والقافية: ٢٥١.
- (١٧) يُنْظَرُ: الأصوات اللغوية: ٢٩، وأصوات اللغة: ٢٣٦.
- (١٨) الأصوات اللغوية: ٢٩.
- (١٩) يُنْظَرُ: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ١٠٠، وعلم الأصوات د. كمال بشر: ٢١٨.
- (٢٠) يُنْظَرُ: أصوات اللغة: ٢٣٦.
- (٢١) يُنْظَرُ: فن التقطيع الشعري والقافية: ٢٤٩—٢٥٠، والمخطط التوضيحي المذكور آنفا: ٨.
- (٢٢) أَلْهَ بِهِ دِيوَانُهُ فلم أجده، يُنْظَرُ: شرح ديوان الحماسة المرزوقي: ١٧١١.
- (٢٣) يُنْظَرُ: التنبية على شرح مشكل أبيات الحماسة: ٤٠٥—٤٠٦.
- (٢٤) يُنْظَرُ: في اللهجات العربية: ٧٥، واللهجات العربية في التراث: ١/٣٣٦.
- (٢٥) لسان العرب: ١/٢٢.

- (٢٦) يُنْظَرُ: في اللهجات العربية: ٧٦، واللهجات العربية في القراءات القرآنية: ١٠٦-١١٢.
- (٢٧) يُنْظَرُ: كتاب سيوييه: ٥٤٨/٣.
- (٢٨) يُنْظَرُ: المقتضب: ١٥٥/١.
- (٢٩) سرُّ صناعة الإعراب: ٧١/١.
- (٣٠) شرح المفصل: ٥٦٥/٥.
- (٣١) يُنْظَرُ: في اللهجات العربية: ٧٧.
- (٣٢) دراسة الصوت اللغوي: ٣٤٦.
- (٣٣) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: ١٧.
- (٣٤) يُنْظَرُ: مبادئ علم الأصوات: ٨٣، والأصوات اللغوية: ٨٧.
- (٣٥) يُنْظَرُ: أصوات اللغة: ١٨٣، و General phonetics: 125
- (٣٦) التنبيه على شرح مشكل أبيات الحماسة: ٤٠٦.
- (٣٧) المقتضب: ١٥٧/١.
- (٣٨) يُنْظَرُ: أثر القوانين الصوتية: ٤٥٦.
- (٣٩) يُنْظَرُ: المقتضب: ١٥٧/١، وشرح شافية ابن الحاجب: ٤٦/٣.
- (٤٠) شرح التسهيل ابن ناظر الجيش: ٥٠٤٠/١٠.
- (٤١) يُنْظَرُ: المقتضب: ١٥٧/١.
- (٤٢) شرح شافية ابن الحاجب: ٤٦/٣-٤٧.
- (٤٣) يُنْظَرُ: المصدر نفسه: ٤٦/٣.
- (٤٤) الإقناع: ٣٨٥/١.
- (٤٥) الهمزة مخففة وليست الواو؛ لأن الواو لا تُخفف.
- (٤٦) التنبيه على شرح مشكل أبيات الحماسة: ٤٠٦.
- (٤٧) يُنْظَرُ: الإقناع: ٤٠٨/١، والنشر في القراءات العشر: ٣٩١-٣٩٢.
- (٤٨) يُنْظَرُ: إعراب القراءات السبع وعللها (ابن خالويه): ٥٦/١.
- (٤٩) يُنْظَرُ: الكشف عن وجوه القراءات: ١٠٢/١، ١١٥، وشرح شافية ابن الحاجب: ٣٠/٣.
- (٥٠) يُنْظَرُ: إعراب القراءات السبع وعللها (ابن خالويه): ٥٦/١-٥٨، والمستتير في القراءات العشر: ٢٠٦.
- (٥١) التنبيه على شرح مشكل أبيات الحماسة: ٤٠٦.
- (٥٢) المصدر نفسه: ٤٠٦.
- (٥٣) يُنْظَرُ: الكشف عن وجوه القراءات: ٨٥/١، وشرح شافية ابن الحاجب: ٣٢/٣.

- (٥٤) التنبيه على شرح مشكل أبيات الحماسة: ٤٠٦.
- (٥٥) الإضاءة في بيان أصول القراءة: ٢٩.
- (٥٦) التنبيه على شرح مشكل أبيات الحماسة: ٤٠٦.
- (٥٧) يُنْظَرُ: القوافي (التتوخي): ١٥٥، والأدب الرفيع: ١٠٣.
- (٥٨) الأصوات اللغوية: ٢٩.
- (٥٩) يُنْظَرُ: شرح ديوان الحماسة المرزوقي: ١٠١.
- (٦٠) يُنْظَرُ: التنبيه على شرح مشكل أبيات الحماسة: ٥١.
- (٦١) يُنْظَرُ: في اللهجات العربية: ٦٦، واللهجات العربية في القراءات القرآنية: ١٤٥.
- (٦٢) يُنْظَرُ: الكشف عن وجوه القراءات: ١/١٢٢، و٢/٣٧٩، وفي اللهجات العربية: ٦٦.
- (٦٣) يُنْظَرُ: التنبيه على شرح مشكل أبيات الحماسة: ٥٢.
- (٦٤) يُنْظَرُ: كتاب سيبويه: ٤/٣٤٣.
- (٦٥) سرُّ صناعة الإعراب: ١/٥٦.
- (٦٦) الكشف عن وجوه القراءات: ١/١٢٢.
- (٦٧) يُنْظَرُ: كتاب سيبويه: ٤/١٦٨-١٦٩، وسرُّ صناعة الإعراب: ١/٥٢-٥٣.
- (٦٨) الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس: ٤٣.
- (٦٩) سرُّ صناعة الإعراب: ١/٥٤.
- (٧٠) المصدر نفسه: ١/٥٤.
- (٧١) في الأصل (الحذف) والصواب ما أثبتته من حيث إنَّ (الحذو) من أجزاء القافية ولا معنى للفظه الحذف وهنا.
- (٧٢) يُنْظَرُ: التنبيه على شرح مشكل أبيات الحماسة: ٥١.
- (٧٣) يُنْظَرُ: علم الأصوات د. كمال بشر: ٢١٨.
- (٧٤) التنبيه على شرح مشكل أبيات سيبويه: ٥٢.
- (٧٥) يُنْظَرُ: ديوانه: ١٠٨.
- (٧٦) التنبيه على شرح مشكل أبيات الحماسة: ١٤٨.
- (٧٧) القوافي: ٣٧.
- (٧٨) القوافي التتوخي: ١٠١.
- (٧٩) كتاب سيبويه: ٤/٢٠٢.
- (٨٠) المصدر نفسه: ٤/٢٠٢.
- (٨١) الخصائص: ٢/١٢١.

- (٨٢) المصدر نفسه: ٣/٣١٥.
- (٨٣) التمهيد في علم التجويد: ٥٥.
- (٨٤) الإضاءة في بيان أصول القراءة: ٢٢.
- (٨٥) يُنْظَرُ: النشر في القراءات العشر: ٢/٢٩٩.
- (٨٦) وهو حلف يضم قبائل (عدي وتيم وعوف وشور وأشيب)، يُنْظَرُ: اللهجات العربية في التراث: ٢/٧٠٧.
- (٨٧) يُنْظَرُ: المصدر نفسه: ٢/٧٠٨.
- (٨٨) يُنْظَرُ: المصدر نفسه: ٢/٧٠٦-٧٠٨.
- (٨٩) يُنْظَرُ: المُخصَّص: ١/١٠٩.
- (٩٠) خزانة الأدب: ٨/٣٦١.
- (٩١) يُنْظَرُ: اللهجات العربية في التراث: ٢/٧٠٦-٧٠٩.
- (٩٢) يُنْظَرُ: ديوان أوس بن حجر: ١٠٧-١٠٨.
- (٩٣) يُنْظَرُ: فن النقطيع الشعري والقافية: ٧١.
- (٩٤) اختلف القدماء والمعاصرون في دلالة المصطلح الذي يطلق على الواو والياء الساكنتين والمفتوح ما قبلهما، أغلب النحويين والقراء يسمونهما بصوتي اللين، أما المعاصرون فهناك اختلاف فيما بينهم في المصطلح فقد تعددت المصطلحات عندهم على النحو الآتي: (أشباه أصوات اللين، أنصاف الحركات، نصف حركة، نصف العلة، شبه حركة، شبه صامت)، وقد اخترت مصطلح اللين للدلالة على هذين الصوتين لاستخدامه عند القدماء والمعاصرين يُنْظَرُ: المصطلح الصوتي، للصيغ: ١٦٤، والأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس: ٤٣، وعلم الأصوات مالمرج: ٨١.
- (٩٥) يُنْظَرُ: شرح ديوان الحماسة المرزوقي: ١٦٨.
- (٩٦) يُنْظَرُ: التنبيه على شرح مشكل أبيات الحماسة: ٧١.
- (٩٧) يُنْظَرُ: القوافي للأخفش: ١٤-١٥.
- (٩٨) يُنْظَرُ: المدخل إلى علم اللغة: ١٠٠.
- (٩٩) يُنْظَرُ: القوافي التنوخي: ١٥٥، وعلم الأصوات د. كمال بشر: ١٦٥.
- (١٠٠) يُنْظَرُ: سرُّ صناعة الإعراب: ١/٥٤.
- (١٠١) الأصح أن تكون (بجفاء)؛ لأنَّ النَّشْرَ في اللغة هو ما ارتفع عن الأرض، ومنه النَّشَاز ما أشرف على نشز من الأرض، وهو ما ارتفع وظهر، يُنْظَرُ: لسان العرب (نشز): ١٥/٤١٧.
- (١٠٢) العروض والقافية بين التراث والتجديد: ٢٩٤.

- (١٠٣) القافية دراسة صوتية جديدة: ٩٦ — ٩٧.
- (١٠٤) يُنْظَرُ: سرُّ صناعة الإعراب: ٥٤/١.
- (١٠٥) الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس: ٤٣.
- (١٠٦) يُنْظَرُ: القوافي الأخفش: ١٤ — ١٥، ومختصر القوافي ابن جني: ٢٤ — ٢٥.
- (١٠٧) يُنْظَرُ: القوافي التنوخي: ٨٤.
- (١٠٨) يُنْظَرُ: كتاب سيبويه: ٤/٤٤٠ — ٤٤١، والقوافي التنوخي: ٨٨.
- (١٠٩) التنبيه على شرح مشكل أبيات الحماسة: ٧٢.
- (١١٠) التصريف العربي البكوش: ٥٤، والدراسات الصوتية عند علماء العربية الأصيبعي: ١٦٢.
- (١١١) يُنْظَرُ: علم الأصوات د. كمال بشر: ١٦٠.
- (١١٢) يُنْظَرُ: المصدر نفسه: ١٦٥.
- (١١٣) سرُّ صناعة الإعراب: ١/٢٠.
- (١١٤) يُنْظَرُ: علم الأصوات مالمبرج: ٨١.
- (١١٥) يُنْظَرُ: الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس: ٤٣.
- (١١٦) علم الأصوات د. كمال بشر: ١٥٠.
- (١١٧) التنبيه على شرح مشكل أبيات الحماسة: ٧٢.

المصادر والمراجع

١. أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، د. فوزي الشايب، ط١، عالم الكتب الحديث، عمان — الأردن، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.
٢. الأدب الرفيع في ميزان الشعر وقوافيه، معروف الرصافي، ط٢، مطبعة المعارف، بغداد — العراق ١٩٦٩.
٣. أصوات اللغة، د. عبد الرحمن أيوب، ط١، مطبعة دار التأليف، القاهرة، مصر، ١٩٦٣م.
٤. الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ط٤، مكتبة الأنجلو المصري، القاهرة، مصر.
٥. الإضاءة في بيان أصول القراءة، علي محمد الضباع، ط١، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة — مصر ١٤٢٠هـ — ١٩٩٩م.
٦. إعراب القراء آت السبع وعللها، ابن خالويه (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن العثيمين، ط١، مطبعة المدني، القاهرة — مصر ١٤١٣هـ — ١٩٩٢م.
٧. الإقناع في القراءات السبع، أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الانصاري (ابن الباذش) (ت ٥٤٠هـ)، تحقيق: د. عبد المجيد قطامش، ط١، دار الفكر، دمشق — سوريا ١٤٠٣هـ.

٨. التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، د. الطيب البكوش، ط٢، الطبعة العربية، تونس ١٩٨٧م.
٩. التمهيد في علم التجويد، محمد بن محمد بن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، تحقيق: د. علي حسين البواب، ط١، مطبعة المعارف، الرياض - السعودية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
١٠. التنبيه على شرح مشكل أبيات الحماسة، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: د. سيدة حامد عبدالعال، ود. تغريد حسن أحمد، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة - مصر ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
١١. خزانة الأدب ولُب لباب لسان العرب، عبدالقادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
١٢. الخصائص، ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.
١٣. الدراسات الصوتية عند علماء العربية، د. عبد الحميد إبراهيم الأصيلي، ط١، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ١٤٠١هـ - ١٩٩٢م.
١٤. دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، ط٤، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
١٥. ديوان أوس بن حجر، تحقيق: د. محمد يوسف نجم، ط٣، دار صادر، بيروت - لبنان، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
١٦. ديوان حاتم الطائي، شرحه وقدم له: أحمد رشاد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
١٧. سرُّ صناعة الإعراب، ابن جني، دراسة وتحقيق: د. حسن هندراوي، ط٢، دار القلم، دمشق، سوريا، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
١٨. الصوت القديم الجديد - دراسات في الجذور العربية لموسيقى الشعر الحديث، د. عبد الله محمد الغدامي (سلسلة كتاب الرياض: ٦٦)، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
١٩. شرح التسهيل المسمى (تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)، محمد بن يوسف بن أحمد المعروف بناظر الجيش (ت ٧٧٨هـ)، تحقيق مجموعة من الأساتذة، ط١، دار السلام، القاهرة - مصر ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٢٠. شرح ديوان الحماسة، أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (ت ٤٢١هـ)، نشر: أحمد أمين وعبد السلام هارون، ط١، دار الجيل، بيروت - لبنان ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٢١. شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢هـ)، كتب حواشيه: غريد الشيخ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.
٢٢. شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين الاسترأبادي (ت ٦٨٦هـ)، تحقيق: محمد نور الحسن ومحمد الزفراف، ومحمد محيي الدين عبدالحميد، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان ١٤٠٢هـ — ١٩٨٢م.
٢٣. شرح المفصل للزمخشري، ابن يعيش (٦٤٣هـ)، تحقيق: د. أميل بديع يعقوب، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ — ٢٠٠١م.
٢٤. العروض والقافية بين التراث والتجديد، د. مأمون عبد الحليم رجييه، ط١، مؤسسة المختار، القاهرة — مصر ١٤٢٨هـ — ٢٠٠٧م.
٢٥. العروض والقافية دراسة وتطبيق في شعر الشطرين والشعر الحر، د. عبد الرضا علي، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل — العراق ١٩٨٩.
٢٦. علم الأصوات، برتيل مالمبرج، تعريب ودراسة: د. عبدالصبور شاهين، مطبعة التقدم، القاهرة، مصر، ١٩٨٥م.
٢٧. علم الأصوات، د. كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة — مصر ٢٠٠٠م.
٢٨. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، درا الرشيد، بغداد ١٤٠٠هـ — ١٩٨٠م.
٢٩. فن التقطيع الشعري والقافية، د. صفاء خلوصي، ط٣، مؤسسة المطبوعات العربية، بيروت — لبنان ١٩٩٦.
٣٠. في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس، ط٨، مكتبة الأنجلو، القاهرة صر ١٩٩٢م.
٣١. القافية دراسة صوتية جديدة، د. حازم علي كمال الدين، مكتبة الآداب، القاهرة — مصر ١٤١٨هـ — ١٩٩٨م.
٣٢. القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة — مصر.
٣٣. القوافي، أبو يعلى عبد الباقي ابن المحسن التتوخي (ت في القرن الخامس الهجري)، تحقيق: د. عوني عبد الرؤوف، مكتبة الخانجي، القاهرة — مصر ١٩٧٥م.
٣٤. كتاب سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، تحقيق: د. عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ١٤٠٨هـ — ١٩٨٢م.
٣٥. الكشف عن وجوه القراءات، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ — ١٩٨٤م.

٣٦. كتاب القوافي، أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش (ت٢١٥هـ)، تحقيق: د. عزة حسن، وزارة الثقافة في سوريا ١٩٣٠.
٣٧. لسان العرب، ابن منظور (٧١١هـ)، ط١، دار صادر، بيروت، لبنان.
٣٨. اللهجات العربية في التراث، د. أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب، القاهرة — مصر ١٩٨٣م.
٣٩. اللهجات العربية في القراءات القرآنية، د. عبده الراجحي، ط٢، دار المسيرة، عمان — الأردن ١٤٣٠هـ — ٢٠٠٩م.
٤٠. مبادئ علم الأصوات العام، ديفيد ابركرومي، ترجمة وتعليق: د. محمد فتحي، ط١، مطبعة المدينة، القاهرة، مصر، ١٤٠٩هـ — ١٩٨٨م.
٤١. مختار الصحاح، أبو بكر عبد القادر الرازي (ت٦٦٦هـ)، مكتبة لبنان، بيروت — لبنان ١٩٨٩م.
٤٢. مختصر القوافي، ابن جني، تحقيق: د. حسن شاذلي فرهود، ط١، دار التراث، القاهرة — مصر ١٣٩٥هـ — ١٩٧٥م.
٤٣. المُخصّص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت — لبنان ١٤١٧هـ — ١٩٩٦م.
٤٤. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د. رمضان عبدالنواب، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ١٤١٧هـ — ١٩٩٧م.
٤٥. مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي (ت٦٢٦هـ)، تحقيق: أكرم عثمان يوسف، دار الرسالة، بغداد ١٩٨١م.
٤٦. المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥هـ)، تحقيق: د. محمد عبدالخالق عضيمة، عالم الكتب، القاهرة، مصر. (د.ت.).
٤٧. النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد ابن الجزري (ت٨٣٣هـ)، إشراف وتصحيح: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت.).
٤٨. بتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، تحقيق: د. مفيد محمد قميحة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان ١٤٠٣هـ — ١٩٨٣م.

المراجع الأجنبية

- Heffner, R.M.S. General Phonetics, Wisconsin, Madison, 1949.

المخطوطات

- المُستَثير في القراءات العشر، ابن سوار البغدادي (ت ٤٩٦هـ)، (أطروحة دكتوراه)، دراسة وتحقيق: عمار أحمد الددو، كلية الآداب جامعة بغداد، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٦م.

القلب ودلالته عند الصوفية

أ.د. ايمان كمال مصطفى المهداوي

الجامعة العراقية / كلية الآداب

الملخص

ان بحثي هذا يتحدث عن القلب ودلالته عند الصوفية الحقّة الذين ساروا على خطا الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام.

فتبين من خلال البحث والنقصي في كتب التصوف والصوفية ان للقلب نوعين المادي الظاهر والمعنوي الباطن وان هناك فرقا بينهما وكذلك بينا ان القلب والفؤاد لفظان يختلفان في دلالة بعضهما عن بعض

وفضلاً عن هذا فأن القرآن الكريم قد اعطى للقلب مكانة كبيرة اذ انه يعد صمام الامان للمؤمنين فقد تحدى الشيطان في ان يدخل الى قلوب المؤمنين وسماهم المخلصين بقوله تعالى في اية التحدي ((لاغوينهم الا عبادك منهم المخلصين)) وقد ذكر لفظ القلب في القرآن الكريم بأوجه عديدة في معاني القلب ((١٢٢)) مرة .

ولما للقلب اهمية كبيرة في الحياة فقد جعل النبي الكريم عليه الصلاة والسلام صلاح الجسد وفساده مرهونا به بقوله {ان في الجسد لمضغة لو صلحت لصلح الجسد كله ولو فسدت فسد الجسد كله، الا وهي القلب} رواه مسلم ١٥٩٩ .

ولما كان القلب يوصف بالحياة وضدها انقسم على ثلاثة اقسام وهي : {الصحيح، والسليم، والميت}، وجاءت هذه التقسيمات بحسب الاحوال ومن خلالها تبينت دلالة القلب عند ثلة من المجتمع عرفوا بالتقوى والصلاح الا وهم الصوفية الذين سلكوا طريق الحق وانمازوا برفعة الاخلاق مع تمسكهم بطاعة الله ورسوله واخذوا يهذبون انفسهم ويظهرون قلوبهم من برائن الدنيا وما فيها من مغريات.

Abstract

The research that talks about the heart and its significance when the true Sufi who walked on a line beloved Prophet peace be upon him.

So it is clear through research and investigation in the books of Sufi mysticism and the heart of the two apparent physical and moral subcontractors and that there is a difference between them and Kdlk showed that the heart and the heart of Fezan differ in each indication for some

Apart from this, the Holy Quran has given the heart of a great position as it is a safety valve for the believers have Satan challenged to enter the hearts of the faithful and what he called the faithful, saying the Almighty in any challenge ((will surely not slaves of them loyal)) The word heart mentioned in the Koran objects of in many meanings of the heart ((122)) time.

As for the heart of great importance in life has made the Holy Prophet, peace be upon him, Salah body and subject to corruption by saying that {in the flesh to chew pray for peace if the whole body, even corrupt the whole body, namely the heart} Narrated by Muslim, 1599.

Because the heart is described life and against split into three categories, namely: {correct, proper, and the dead}, came these divisions as the case through which proved significant heart when a group of community knew piety and righteousness, but they are Sufis who have gone in the way of truth and Anmazhua eminence of morality with their adherence to obey Allah and His Messenger, and took the Style Will themselves and purify their hearts from the clutches of the minimum and where temptations.

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب الارباب مالك القلوب والالباب واصلي واسلم على من بذكره يسر القلب والفؤاد سيد الرسل والانبياء محمد بن عبد الله وترضى اللهم عن آله وصحبه وامهات المؤمنين الطاهرات وعلى من تبعه من الاولياء والصالحين ذوي القلوب السليمة الخالية من الانجاس

اما بعد :

القلب هو مدار الايمان والشرك وقد جاء ذكره في القرآن الكريم بأوجه عديدة في (١٢٢) آية واعطى الله تعالى للقلب مكانة كبيرة اذ هو موطن الايمان واليقين وقد عول الرسول الكريم ﷺ عليه اذ جعل صلاح الجسد بصلاحه وفساده بفساده، وكثرت اراء واقوال الصالحين والاولياء واقوالهم في القلب وما يعنيه وكيفية السعي لصلاحه. بحثي هذا يتحدث عن القلب ودلالته عند ثلثة من المؤمنين الاولياء الصالحين وهم (الصوفية الحقّة) الذين ساروا على خطا الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام واقتداء بقوله {ان في الجسد لمضغة لو صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله}، ومدار حديث اهل التصوف على معاني القلب ما روي عن رسول الله ﷺ من احاديث موضحة لطبيعة القلب.

وبناء على ذلك وددنا ان يكون البحث في معنى القلب في اللغة والاصطلاح والفرق بينه وبين الفؤاد ومن ثم الحديث عن اقسامه وانواعه وما يصيبه من امراض وسرد اقوال الصوفية فيه وبيان دلالتها، وختمت البحث بذكر اهم ما استخلصته من اراء الصوفية في القلب ومعانيه .

اولا: القلب في اللغة والاصطلاح :

في اللغة :

جاء في لسان العرب هو تحويل الشيء عن وجهه، قلبه يقلبه قلباً، وقلبه حوله ظهرا لبطن، وقلب الامور اي بحثها، والجمع اقلب وقلوب.

وقال الفراء القلب معناه العقل استنادا لما جاء في قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ ق/٣٧ وقال هذا جائز في العربية، ان تقول مالك قلب وما قلبك معك، اي ما عقلك معك وتقول اين ذهب قلبك اي اين ذهب عقلك ؟ وتطلق العرب على جوف الشيء قلبه ويطلقون على العقل ما يفهمون به ويعقلون في كثير من اقوالهم قبل الاسلام لفظ القلب، ولم يخرج القرآن عما تفهمه العرب، كما يطلقون عليه وعلى العقل لفظ اللب ومنه اللبيب اي الفهيم .

في الاصطلاح :

نأخذ معنى القلب من اتجاهين الاول في المعنى العلمي ((هو المضخة التي تضخ الدم وهو في داخل الصدر)) ، والاخر في المعنى القرآني له عدة اوجه وهي كالآتي:

- ❖ القلب بمعنى العقل في قوله تعالى ﴿وُطِّحَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ .
- ❖ القلب بمعنى الروح كما في قوله تعالى ﴿وَلَبَّغْتَ الْقُلُوبَ الْحَاجِرَ﴾ .
- ❖ القلب بمعنى الرأي كما جاء في قوله تعالى ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ .
- ❖ القلب بمعنى المضخة التي ذكرناها في المعنى العلمي كما في قوله تعالى ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ .

ثانيا : الفرق بين القلب والفؤاد

السؤال: هل القلب يختلف عن الفؤاد ام هما مصطلحان مترادفان ؟
الجواب: جاء في الاثر عن النبي الكريم ﷺ {اتاكم اهل اليمن، هم ارق قلوباً، والين افئدة}.

فوصف القلوب بالركة والافئدة باللين، وكأن القلب اخص من الفؤاد.
وقيل القلوب والافئدة قريبان من السواء وكرر ذكرهما لاختلاف اللفظين تأكيداً
وجاء في لسان العرب ان الفؤاد غشاء القلب، والقلب حبته وسويداؤه.
وفرق العلماء بين القلب والفؤاد فقالوا: الفؤاد مقدم القلب وما استترق منه، والقلب اصله وما اتسع منه وقال احد العلماء ((في القلب تجويفان: فالتجويف الظاهر هو

الفؤاد وهو مكان العقل، والباطن وهو القلب في السمع والبصر ومنه يكون الفهم والمشاهدة وهو محل الايمان وقد قال تعالى ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ المجادلة/٢٢، وقوله ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْفَىٰ السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ ق/٣٧))

وقال بعضهم سمي القلب لتقلبه وسمي الفؤاد فؤاداً لتحرقه على من يشفق عليه، وما يؤكد ذلك قوله تعالى ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْعَادَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ﴾ الانعام ١١٠، وقول النبي الكريم ﷺ {سبحان مقلب القلوب والابصار}.

ومن خلال ذلك يتبين لنا ان القلب غير الفؤاد وان لكل منهما معنى خاصا ولكن احدهما مرتبط بالآخر لا يمكن انتزاع القلب من الفؤاد او ابتعاد الفؤاد عن القلب، بمعنى اخر لا يمكن فصلهما عن بعض .

ثالثاً: اقسام القلب وانواعه :

ان الله تعالى خلق الاعضاء في الجسد وجعل الملك عليها القلب واعطاه حق التصرف فيها، فان استقام وصلح استقامت وصلحت واذا ازاغ ازاغت هي كذلك، فكان لا بد من الاهتمام به وتصحيحه وهو ما يعتمد عليه السالكون طريق الحق، والحفاظ عليه من عدو الله وعدوه (ابليس)، فكل وسایل الشيطان متجهة نحو القلب لأنه كما وصفناه هو مدار الايمان والشرك بإشارة النبي الكريم سيدنا محمد ﷺ الى صدره الشريف قائلاً ((الايمان هاهنا)) ، اي في القلب .

لذلك يتعرض القلب الى امراض ليست امراضاً مادية وانما معنوية، ويمكن دواؤها من خلال ما يكتسب القلب من مقامات واحوال والابتعاد عن وساوس الشيطان واغوائه والجهاد في ذلك .

ويمكن ان نقسم القلوب على ما يأتي :

❖ القلب الصحيح : هو القلب السليم قال تعالى ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَىٰ

اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ الشعراء ٨٨-٨٩، اي سلم من كل شهوة تخالف امر الله ونهيه

❖ القلب السقيم: وهو المريض قال تعالى ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾

البقرة/ ١٠ وهو قلب له حياة وبه علة وهذه العلة تؤدي بصاحبها الى الهلاك .

❖ القلب الميت: وهو لا حياة فيه لا يعرف ربه ولا يعبدّه وهو عنوان الغفلة والهوى والشهوة ولا يستجيب لداعي الخير والصلاح ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ المطففين / ١٤.

ولكل من هذه الاقسام عوارض ووقاء، وكما ان الابدان تظهر من الانجاس فكذلك القلوب تظهر من مكائد الشيطان فقد جاء في قوله تعالى {يا ايها الناس قد جاءنكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين} يونس ٥٧، اذاً طهارة القلب وشفاءه هو القران الكريم فهو شفاء ووقاية لما في الصدور اي (القلوب) من جميع الامراض المعنوية التي سنشير اليها لاحقاً، ووقاية القلوب تحتاج الى قوة وهذه القوة بها حاجه الى حفظ كذلك ومدار هذا الحفظ هو الايمان واوراد الطاعات واجتناب الآثام والمعاصي، فاذا عرف المرض والداء يجب البحث عن الدواء والوقاية من هذه الامراض وهي كما ذكرها ابن قيم الجوزية:

النوع الاول: لا يتألم به صاحبه في الحال كمرض الجهل ومرض الشبهات والشكوك ومرض الشهوات، واطباء هذه الامراض الرسل واتباعهم .
النوع الثاني: مرض مؤلم له في الحال كالهم والغم والحزن والغيط، وشفاء هذه الامراض الادوية الايمانية النبوية فهي التي توجب الشفاء .

وفي ذلك ينطبق قول الله عز وجل ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾ الانعام/ ١٢٥

رابعاً: اقسام القلب ومعانيه عند الصوفية

لأهل التصوف في القلب معان: فهو اسم جامع لكل مقامات الباطن لأنه مركز الايمان وهو محل الادراك والاحساس ومدار حديث الصوفية على معاني القلب هو ما روي عن رسول الله ﷺ من احاديث توضح اهمية القلب في صلاح الجسد او فسادة وبناءً على ذلك جاء تقسيمهم للقلب على معنيين :

الاول: هو الشكل الغضروفي الموجود في الجانب الايسر من صدر الانسان وهو ما يسمى بالمضغة ينبض بالدم في حالة الحياة ويتوقف عند الموت .

والآخر: وهو المقصود الذي يعكس حقيقة الانسان المخاطبة المكلفة بمعرفة الله تعالى المأمورة والمنهية بالأعمال وهي لطيفة ربانية ونفس روحانية .

والقلب بهذا المعنى هو تلك اللطيفة المدركة من الانسان شأنه شأن النفس بل (القلب هو النفس) ولا فرق بينهما الا في بعض الحالات وهو محل الايمان والمعارف، فالقلب عند الصوفي هو البحر العذب والنفس هي البحر المالح بقول احدهم: ((فكل جوهر ثمين هو من البحر العذب - وهذا يعني القلب - وكل شيء ذميم من البحر المالح - وهذا يعني النفس)).

وقال اخر: ((ان ظاهر القلب محل الاسلام وباطنه الايمان)).

والقلب عن اهل اتصوف هو محل الحب لذات الله وبما ان المحبة هي من مقامات اليقين والمحبة لا تكون الا في القلب فيكون بذلك القلب مقاما للمحبين . وتتفاوت المحبة بين المحبين لفضل الايمان على الاسلام وفضل الباطن على الظاهر . ومن معاني القلب عند الصوفية ان تجتمع في ثلاثة امور (الايمان والعلم والعقل)، فكلما اتسع القلب بالعلم بالله تعالى وزهد في الدني ازداد ايماناً وعلاً، ثم يشهد كل امر به من الجوارح فيكون بذلك يقينه وسعة مشاهدته، وكلما قصر علم القلب بالله تعالى وبمعاني صفاته واحكام ملكوته قل ايمانه، وكل قلب اجتمع فيه ثلاثة لم تقارقه خواطر الهوى وهي :

❖ الجهل

❖ الطمع

❖ حب الدنيا

قال بعض العارفين: ((لي قلب اذا عصيته عصيت الله))، ومعنى هذا الكلام ان القلب اساس الايمان وكما ورد في الحديث ان الايمان ما وقر في القلب وصدقه العمل.

وقال بعضهم ((منذ عشرين سنة ماسكن قلبي الى نفسي وما ساكنته طرفة عين)) اي عدم الاهتمام بما تريده النفس ولا يفسح المجال لها لتقرض سيطرتها لان القلب عامر بمحبة الذات الالهية .

خامساً: اقوال الصوفية في انواع القلوب :

قسمت القلوب على اقسام وانواع منها القلب السليم وقالوا فيه شيوخ التصوف ما يأتي :-

قال الشيخ ابو عثمان الحيري في منازل القلب السليم: وهو على اربعة منازل:

اولها: سلامة القلب من الشرك

الثاني: سلامة القلب من الالهواء المضلة

الثالث: سلامة القلب من الرياء والعجب

الرابع: سلامة القلب من ذكر كل شيء سوى الله

وفي علامات القلب السليم يقول الشيخ ابو القاسم الحكيم: للقلب السليم علامات ثلاثة :

اولها: ان لا يؤذي احدا

الثانية: ان لا يتأذى من احد

الثالثة: اذا صنع مع احد معروفاً لم يتوقع منه المكافأة

وقال الشيخ ابو سليمان الداراني: القلب السليم هو القلب الذي ليس فيه غير الله

وقال ابو بكر الوراق الترمذي: القلب السليم هو الراضي بمجاري المقدور عليه

في المحبوب والمكروه

وقال ذو النون المصري: القلب السليم هو الذي لا يكون فيه الا الخير

وقال التستري: القلب السليم هو الذي سلم من البدع

وقال الجنيد البغدادي: القلب السليم هو الذي لا يكون فيه الاحب الله

وقال الشيخ ابو بكر الواسطي: القلب السليم هو من سلم من البدع

ويقول ابو بكر الشبلي: القلب السليم سليماً من جميع ما في الكون

ويقول السراج الطوسي: القلب السليم هو الذي ليس فيه غير الله

وابو عبد الرحمن السلمي يقول: القلب السليم الذي لا يتبع الهوى والشهوات

ويكون بريئاً من حب الدنيا، وصافياً من المنى _ ويقول ايضاً القلب السليم الذي ليس

فيه على مسلم غل او حقد او حسد.

اما الامام عبد الكريم القشيري يقول: القلب السليم هو كالاتي:
خالص من الغل والحقد والحسد والغش - وهو الذي لا أفة فيه - سليم من محبة
الاغيار لديغ من محبة الله - سليم من حظوظ نفسه وارادته مستسلم لله في قضائه
واختياره

وقال السيد احمد الرفاعي شيخ الطريقة الرفاعية: القلب جوهره مظلمة مغمورة
بتراب الغفلة، ونورها الذكر، وصندوقها الصبر، والذكر حفظ القلب من الوسواس
وترك الميل الى الميل الى الناس والتخلي عن كل قياس .

وقال احمد بن عجيبة القلب السليم هو الذي لا تعلق له بشيء دون الله
ويقول اسماعيل بن حقي البروسوي: القلب السليم قد سلم من انحراف المزاج
الاصلي الذي هو فطرة الله التي فطر الناس عليها، فإنه خلق مرأة قابلة لتجلي صفات
جمال الله وجلاله، كما كان لآدم ﷺ لأول فطرته .

هذه اقوال جمعناها من خلال استقراء بعض كتب التصوف في القلب السليم
فوجدنا ان القلب له دلالات كثيرة عند هؤلاء الاولياء ولكن مدارها هو تخلية القلب من
الشرك والاهواء والابتعاد عن كل ما يكدر بحر المحبة لله تعالى لان القلب هو سكن
المحبة وكما ذكرنا سابقاً انه مقام للمحبين والمعول عليه في الايمان والتصديق، كما انه
يكشف حقيقة الانسان المحب من غيره من خلال التعامل مع الاخرين لأن من يحب الله
ويطيعه يتصف بالمرونة والشفافية المطلقة مع الله تعالى وعباده الصالحين وغيرهم .
فدلالة القلب السليم تتضح بمحبة الله تعالى، والامام القشيري من الذين جعلوا للقلب
مكانة في اجتياز المحبة الالهية فيقول :

القلب نحوك نازع والدهر فيك منازع

جرت القضية بالنوى ما للقضية وازع

وكأنه يتحدى ما في قلبه الزمان والمكان وان القرار الذي اتخذه القلب قرار
حازم لا رجوع فيه ولا منازعة، وهكذا كان الصوفية يتحدثون عن القلب ومكانته .
اما النوع الثاني من القلوب التي تحدث عنها شيوخ التصوف فهي القلوب
المريضة والقلوب القاسية وهي كالاتي :

من الامراض التي تصيب القلب (الصدأ) وتعني الطبقة التي تكسو الحديد عند تعرضه للرطوبة، ولكن ما لرباط بين القلب والحديد ؟ سنجيب عن هذا السؤال بعد سرد اقوال الصوفية في هذا:

يقول الشيخ ابو سليمان الداراني: لكل شيء صدأ، وصدأ نور القلب شبع البطن ويقول الشيخ كمال الدين القاشاني: الصدأ هو حجاب رقيق يتجلى بالتصفية ويزول بنور التجلي لبقاء الايمان معه .

ويقول الصدأ هو ما ارتكب على وجه الارض من ظلمة هيآت النفس وصور الاكوان، فيحول بينه وبين تجلي الحقائق فيه وبين شهوده الحق جل جلاله لكن من غي ان يكون ذلك الحصول على وجه الاستيعاب لجميع وجه القلب .

الصدأ لفظ اشار اليه سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام بقوله {ان القلوب تصدأ وجلأؤها لاله الا الله} هذا يعني ان القلب معرض للأهواء والاغواء اللذين يسببان الامراض القلبية المعنوية وهذه الاهواء والاغواء بمثابة الرطوبة العالية التي تصيب الحديد فيصدأ وهذا هو الجواب للسؤال الذي طرح في بداية الحديث .

وجلاء القلوب من الصدأ كما ذكر اهل التصوف ثلاثة: ذكر الله، والاستغفار، الحزن

وقال ابو عبيدة: الحزن جلاء القلوب به لبستم مواضع الفكر، ثم بكى اما القلوب القاسية فهي اشد من المريضة وذلك ان القلب المريض يمكن شفاؤه لكن القلب القاسي كيف يلين اذا كان صاحبه مصراً على ارتكاب المعاصي والآثام ولا يبالي بالنصح والارشاد وهذا خلق الكافرين والمنافقين بقوله تعالى ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً﴾ البقرة/ ٧٤ وقوله تعالى ﴿فِيمَا نَقُصُّهُمْ مَيْثَقَهُمْ لَعَنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ المائدة/ ١٣ .

فالقساوة اشد من الصدأ الذي يصيب الحديد لأنها لا تخشع ولا تتجلى لقول النبي الكريم عليه الصلاة والسلام {لا تكثرُوا الكلام بغير ذكر الله، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب وان ابعد الناس من الله القلب القاسي} سنن الترمذي /رقم الحديث ٢٤١١.

ولا يمكن لذوي القلوب القاسية ان ينال من خيري الدنيا والاخرة لانه ابتعد عن ذكر الله حتى وان كان مسلماً فهناك من المسلمين من قلوبهم قاسية اشد من الحجارة فقد جاء رجل الى رسول الله يشكو قسوة القلب فقال له النبي الكريم ﷺ {اطلع في القبور واعتبر بيوم النشور} المجروحين ٢/٣٣٣.

وقال السيد احمد الرفاعي شيخ الطريقة الرفاعية ناصحاً: اياك والتقرب الى اهل الدنيا فأنت التقرب منهم يقسي القلب.

وهذا يدل دلالة واضحة على ان قسوة القلب هي ليست فطرية وانما تكتسب ويمكن التوبة منها من خلال الاتعاظ والنصح والاعتبار بما جرى لمن كان قلبه قاسياً ومات على ذلك، لذلك كان لأهل التصوف ذوي القلوب الرقيقة المتعلقة بحب الله تعالى المتمسكين بالطاعات فيقول ابو عبد الرحمن السلمي: القلب القاسي هو الذي تزجره عن المخالفات مشاهدة مراقبة الحق عليه وقال ايضا موضحاً علامة القلب القاسي: ان لا ينال صاحبه ما ارتكب من المعاصي، وكل قلب اذا قسى لا يبالي اذا عصى .

ويقول نجم الدين الكبري: مراتب القلوب القاسية متفاوتة، فبعضها بمرتبة الحجارة التي يتفجر منها الانهار وهو قلب يظهر عليه ما يخرق العادة كما يكون لبعض الكهنة والرهبان .

وبعضها بمرتبة ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقَىٰ فَيَخْرُجُ مِنْهُ أَلْمَاءٌ﴾ البقرة/٧٤ وهذا قلب الفلاسفة والمناطق

والبعض الاخير بمرتبة ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ البقرة/٧٤ وهو قلب في بعض الصفاء فيكون بقدر صفائه خوف وخشية مما يفعلون وهذا عن اهل الملل والاديان .

فهذا الكلام يدل دلالة واضحة على ان المراتب مشتركة بين قلوب المسلمين وغيرهم والفرق بينهم ان احوال هذه المراتب للمسلمين مؤيدة بنور الايمان .

ومن خلال ذلك تبين ان لنا القلوب القاسية هي اكثر شراً من القلوب المريضة (السقيمة) التي يمكن شفاؤها، لذا حري بنا ان نتبع كلام الله تعالى وما جاء به النبي الكريم ﷺ للنجاة من هذا القلب وتذكيراً بقوله تعالى ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ

الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرَتْ
رَبِّكَ فِي الْمُرْءَانِ وَحَدَّهُ وَلَوْ عَلَى أَدْبَرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ الاسراء ٤٥-٤٦

سادساً: تحليل القلب ودلالته عند الصوفية

لقد حلل الصوفية جهاز القلب الى مقامات اربعة متصاعدة هي مقام الصدر ومقام القلب ومقام الفؤاد ومقام اللب وربطوا كل مقام بحالة من حالات النفس الاربعة المذكورة في القران الكريم وهي النفس الامارة والنفس اللوامة والنفس الملهمة والنفس المطمئنة، وربطوا كل واحد من هذه المقامات بأحد انوار الله، فالصدر مرتبط بنور الاسلام والقلب مرتبط بنور الايمان والفؤاد مرتبط بنور المعرفة واللب مرتبط بنور التوحيد، هذا الارتباط الروحي يدل دلالة واضحة ان كل جزء في القلب هو مرتبط ببعضه ببعض ولا يخرج عن اطار ما جاء به النبي الكريم عليه الصلاة والسلام - واكدته في اكثر من قول وفعل في ان على المؤمن اذا اراد ان يبلغ درجة الموحدين ان يجتاز هذه المقامات حتى يكون صافياً كالماء العذب او اشد من ذلك .

للقلب عند الصوفي قفل ومفتاح، عندما سئل التستري عن قفل القلب ومفتاحه قال: المعرفة القديمة قفل القلب وهي مثبتة، ومفتاحه الاقرار بالربوبية

وله قناع او حجاب يسعى المؤمن لكشفه بالمجاهدة والتقوى، وبهذا نستطيع القول ان الصوفية جعلوا للقلب عدة نطاقات او خصائص من خلال الاقوال التي سردناه مسبقاً ومن هذه الخصائص او النطاقات منها ما يعبر عن العاطفة او الوجدان فالقلب حينئذ معدن التقوى والسكينة والوجل والاخبات واللين والطمأنينة وحب الايمان وزينته، ومنها ما يعبر عن النطاق الاخلاقي كالخشوع والطهارة وهذا يشير الى الوصول المعرفي اي الامتحان للقلب، وهناك الكثير من آيات الذكر الحكيم تؤكد هذه الآراء منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ وقوله تعالى ﴿ثُمَّ تَلِيَنَّ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ وقوله تعالى ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ وقوله تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنَ اللَّهُ قُلُوبُهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ وقد انتبه الصوفية فرأوا ان في ابن آدم جسداً وروحاً او ظاهراً وباطناً او

شهوداً وغيباً وعرفوا ان اهم ثمرة لباطن الانسان هي الادراك او العلم والمعرفة فأولوه جل اهتمامهم وعنايتهم كما ان القرآن اكد على ذلك، ومحل الادراك والمعرفة كما بينا من خلال ما تقدم هو القلب الذي يمتلك كل الطاقات الجسدية والروحية فانه كما يراه ابو طالب المكي ((ان للقلب سمعاً وبصراً ولساناً وشمّاً، وان من الخواطر ما يقع في سمع القلب فيكون فهماً، منها ما يقع في لسان القلب فيكون كلاماً وهو الذوق، ومنها ما يقع في شم القلب فيكون علماً وهو العقل المكتسب بتلقيح العقل الغريزي)).

وختاماً نصل الى حقيقة ان القلب قلب وهو موضع وقوف العبد بين يدي مولاه فلا يتحير في شيء انما هو ساكن الى الله وهذا يمثل المستوى العالي من مستوياته في كل ما ذكرناه من اقوال الصوفية وتحليلاتهم .

الخاتمة

هذه فقرات اخترناها بتوفيق من الله تعالى لنبين بعض اقوال السالكين لطريق الحق في محل الادراك المعرفي الا وهو القلب ومعانيه واقسامه، فكان الحديث عن معنى القلب في اللغة والاصطلاح والفرق بينه وبين الفؤاد تبين ما يأتي :

ان استعمال الصوفية للقلب اسم جامع لكل مقامات الباطن لأنه مركز الايمان والتوحيد وان القلب عند الصوفية تنقسم على تقسيمات ونطاقات مرتبطة بعضها مع بعض واستندوا بذلك على القرآن الكريم ، وبينوا ان امراض القلوب كثيرة والقلوب القاسية كثيرة ولكن جلاء القلوب التي اصابها الصداً بأنواعه هو الايمان والذكر والخضوع والذل لله تعالى وكثرة الطاعات والابتعاد عن الشبهات والاعراض عن اهل الدنيا والملذات.

وفي نهاية البحث تبين ان للقلب منزلة عظيمة اذ هو محل الادراك وانعكاس المعارف وهو يمثل الربط بين العالم الغيبي ومختلف انماط السلوك الحياتي.

وختاماً أسأل الله تعالى مالك القلوب والالباب ان يثبت قلوبنا على الايمان ويزيدنا تقوى حتى نصل الى ما وصل اليه اصحاب هذا الطريق وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه من الاولياء والصالحين الى يوم الدين .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- اغاثة اللفهان من مصائد الشيطان: ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) دار ابن حزم - بيروت، ط ١، ٢٠٠٤.
- تهذيب اللغة: ابو منصور الازهري (ت ٣٧٠ هـ) تح: عبد السلام هارون - الدار المصرية للكتب.
- سنن الترمذي: ابو عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٩٧ هـ) تح احمد محمد شاكر
- قوت القلوب في معاملة المحبوب: ابو طالب المكي (ت ٣٨٦ هـ) تح: محمود ابراهيم الرضواني ، دار التراث - القاهرة ط ٢، ٢٠١٠
- عبد الكريم القشيري اديباً: أ.د. ايمان كمال مصطفى - مركز البحوث والدراسات/بغداد ط ١ ، ٢٠٠٩.
- لسان العرب: ابو الفضل بن منظور (ت ٦٣٠ هـ) دار صادر بيروت ط ٣، ٢٠٠٤
- المجروحين: ابن حبان السجستاني (ت ٣٥٤ هـ) تح محمود ابراهيم زايد
- مكاشفة القلوب : ابو حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) تح :بهيج غزاوي / دار احياء العلوم بيروت، ط ٢، ١٩٨٥
- نحو القلوب: الامام عبد الكريم القشيري (ت ٤٦٥ هـ) تح د.احمد علم الدين الجندي

المهارات اللغوية ودورها في التواصل اللغوي

م. رافد صباح التميميم
كلية الإدارة والاقتصاد/جامعة بغداد
بلال إبراهيم يعقوب
كلية الآداب/الجامعة العراقية

ملخص البحث

يرمي هذا البحث معرفة أهمية المهارات اللغوية في التواصل اللغوي .
وتضمن البحث مشكلة البحث المتضمنة أهمية اللغة والوظائف التي تؤديها
من وجهة نظر فلسفية واجتماعية والتي تنعكس على ضعف الاداء اللغوي الذي يقدمه
المتعلمون ، و اشار البحث إلى مفهوم التواصل اللغوي المبني على اساس اللغة أحد أهم
المفاهيم المرتبطة بالانسان وعدّ التواصل هو الحياة التي لا يمكن الاستمرار بها دون
تواصل والتي تهدف الى والاقتراب من خلال عناصر التواصل المتمثلة بالمرسل
والرسالة والمستقبل وبيئة الاتصال وعناصره وقنواته وصياغته الممكن اجرائها من
خلال الاتصال الذاتي والاتصال الشخصي والاتصال العام الجماهيري والثقافي
ومهاراتها الاربعة (الاستماع والحديث والقراءة والكتابة) ودور كل مهارة في عملية
الاتصال اللغوي وأهميتها ، والعلاقة فيما بينها وكيفية امكان المعلم فيها بخطوات
وطرائق تدريسية حديثة لتمكين المتعلمين من السيطرة على تلك المهارات واستعمالها
في عملية التواصل.

Abstract

This study aims to know the importance of the linguistic skills in the linguistic of communication.

The research is including of the problem it that included the importance of language and the functions performed by the philosophical and social point of view, and that will reflect on the status of linguistic performance provided by the learners.

Which He pointed out the concept of linguistic communication is based on the basis of language as one of main concepts arte connect importance of concepts are connected with of human which considered the communication is the life that cannot continues without communication that aims to exploring and closing by the communication elements are represented by the Sent, Message, Future, Communication Environment ,Elements of Channels ,and formation it . that can made it by the self- personal and general communication ,the popular and cultural by its four skills (Listening –speaking-Reading-Writing) and role each skill in the linguistic communication and its importance and the relation between it and how can the teacher inside it by steps and modern teaching methods for enable of the learners from control on these skills and use it's in the communication process.

مُقَدِّمَةٌ

مشكلة البحث:

تتجلى أهمية اللغة في الوظائف التي تؤديها، وقد حظي هذا الجانب باهتمام العلماء فمنهم من نظر إليها من زاوية فلسفية، ومنهم من نظر إليها من زاوية اجتماعية، ومنهم من جمع بين الجانبين، والأصل في اللغة أن تكون مسموعة، لكن عندما عرفت الكتابة بالرسم أو بالحرف منقوشة على الحجر ومكتوبة على الورق، أصبحت هناك لغة مقروءة وبذلك أصبحت هناك لغتان إحداهما سمعية والأخرى بصرية، وقد جمع ابن جني في تعريفه للغة بين وظائفها بقوله "ان اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"، (ابن جني، ١٩١٣، ص ٧٣) وهو في تعريفه هذا يشير إلى أن الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل، ويعد هذا التعريف جامعاً مانعاً.

ومن يتابع مستوى المتعلمين يرى أن المشكلة الأساسية في عملية التواصل اللغوي فيما بينهم، أو في ما بينهم وبين المجتمع تكمن في الحواجز النفسية والاجتماعية، مما يحول بينهم وبين اللغة التي يتعلمونها، وهذا الجانب يعود للمتعليم نفسه أحياناً وإلى الخلفية اللغوية والثقافية والاجتماعية، غير أنهذه المشكلة قد تختلف من متعلم إلى آخر وذلك تبعاً لاختلاف شخصياتهم واختلاف بيئاتهم، وأحياناً تحدث مشكلات في أثناء نقل المعلومات من المعلم إلى المتعلمين فلا تصل المعلومات بالشكل المطلوب على الرغم من الشرح الوافي للمعلم، فيفاجأ بعد اختبار متعلميه أن لا أحد يتمكن من الإجابة الصحيحة إلا ما ندر.

ويرى الباحثان أن سبب ذلك يعود إلى عدم معرفة المتعلمين بدور اللغة متمثلة بمهاراتها (استماع، ومحادثة، وقراءة، وكتابة) في التمكن بشكليه الشفوي والكتابي، عليه سيحاول الباحثان في بحثهما الوقوف على دور المهارات اللغوية في عملية التواصل اللغوي من خلال الإجابة عن السؤال الآتي: (كيف نصل إلى المستوى المطلوب من استعمال المهارات اللغوية في التواصل اللغوي؟).

أهمية البحث :

اهتم علماء الاجتماع والاقتصاد والفلسفة باللغة ، فلم يعد هناك شك في أن اللغة تصوغ عقول الأمة ، وتوجه تفكيرها وتبنيها ، وتهيئ لها من النشاط اللغوي ما يدفعها وما يخفف عنها عبء الحياة وأثقالها ، وعلى الرغم من أن هناك وسائل أخرى عبر اللغة يمكن أن تتقل الأفكار والمشاعر كالصور والرسوم ، والجدول والخرائط ، والإيجازات والاستشارات وتعبير الوجه ، وما يطلق عليه التواصل غير اللغوي ، فإن اللغة ستبقى أدق أداة للتعبير عن الفكر والمشاعر والواقع ، وستبقى زيادة على ذلك أسرع أداة يمكن أن يستعملها الإنسان ، وستبقى الأداة التي يملكها كل فرد للتعبير عن فكره ومشاعره ، ولا يمكن لإنسان ما أن يتصور وجود مجتمع يعيش من دون لغة تيسر أموره وتسجل وثائقه ، وتعطي أفرادَه فرصة لقضاء وقت فراغهم متمتعين بشكل ما من أشكال النشاط اللغوي ، وفي المواقف اللغوية يتواصل الفرد من حوله مستعملاً فناً من مهارات اللغة الأربعة وهي الاستماع والحديث والقراءة والكتابة ، أي أن الشخص الذي يتواصل مع من حوله يكون إما مرسلًا فيتكلم أو يكتب ، وإما مستقبلًا فيستمع أو يقرأ ، لذا فالنشاط اللغوي ليس نشاطاً خارجياً فقط إنما هو قبل ذلك وبعد ذلك نشاط فكري، (الهاشمي وفائزة ، ٢٠١٠، ص ٢٧).

هدف البحث : التعرف على دور المهارات اللغوية في التواصل اللغوي.

حدود البحث : المهارات اللغوية الأربع (الاستماع، المحادثة، القراءة، الكتابة)

تحديد المصطلحات :

أولاً : المشكلة :

عرفها كل من :

- ١- ملحم، ٢٠٠٠م: بأنها " صعوبة وموقف غامض وحاجة لم تشبع يواجهها الباحث في بحثه " (ملحم ، ٢٠٠٠، ص ٢٤)
- ٢- عامر، ٢٠٠٩م : بأنها " كل موقف غير معهود لا تكفي لحلها الخبرات السابقة أو السلوك المألوف، وهي عائق في سبيل هدف مرغوب يشعر الفرد إزاءها بالحيرة

والتردد والضيق مما يدفعه للبحث عن حل للتخلص من هذا الضيق وبلوغ الهدف ، وتبقى المشكلة شيئاً نسبياً" ، (عامر، ٢٠٠٩، ص ٤٠).

ثانياً : التواصل اللغوي :

لغة: أصل التواصل من (وصل) وهو بخلاف الهجران والتصارم، يقول ابن منظور " وصلت الشيء وصلا وصلته، والوصل ضد الهجران". (ابن منظور، ٢٠٠٣، ص ٩٦٣ ، باب وصل)

اصطلاحاً: عرفها منتدى العلم والتعليم ، ٢٠١١م : "هي العملية أو الطريقة التي يتصل بها الفكر والمعلومات وغيرها ، بين من يقوم بإصدارها والتعبير عنها وبين من يتلقاها، وما ينتج عن ذلك من تفاعل وتواصل وتغيرات تختلف باختلاف النسق الذي تتم فيه العملية " (منتدى العلم والتعليم ، ٢٠١١، ص ٢٢).

ثالثاً : المهارة :

عرفها كل من :

١- البشري، ٢٠٠٧م: بأنها "نقل المعاني بين المرسل والمستقبل باستعمال اللغة، فعندما يتصل الانسان بغيره اتصالاً لغوياً بغية التعبير عن الذات ونقل المشاعر والأحاسيس فهو إما أن يكون متحدثاً، أو مستمعاً، أو كاتباً، أو قارئاً، وفي كل الحالات يمر الإنسان بعمليات عقلية مضمونها ومادتها اللغة ، وعملية التواصل اللغوي تتم غالباً عن طريق التفاعل المتبادل بين طرفين: (مرسل) و (مستقبل) وبينهما رسالة لغوية (مكتوبة) أو (مقروءة) تسير في قناة تواصل، لتؤدي إلى إشباع حاجات التواصل اللغوي كالتعبير، أو الإفهام، أو الاقتناع، أو التأثير باستعمال قدر من الكفاية اللغوية لدى كل من المتحدث، أو المستمع، أو الكاتب، أو القارئ عن طريق استعمال مهارة لغوية أو أكثر، وفي مجال من مجالات التواصل اللغوي (المكتوب) أو (المنطوق)، (البشري، ٢٠٠٧، ص ٣٦).

٢- الأسطل، ٢٠١٠م: بأنها "ما يصدر عن المتعلم من سلوك النص أو عمل يظهر فيه القدرة على آراء عمل معين بفهم وسرعة ودقة وجودة وكفاءة"، (الأسطل، ٢٠١٠، ص ١٠)

الدراسات السابقة :

١- دراسة السفيناني، ٢٠٠٤م:

أجريت هذه الدراسة في المملكة المغربية ، الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين، وهدفت إلى التعرف على التواصل التربوي واللغوي في العملية التعليمية من خلال استنتاج النصوص القرائية في السلك الأول من التعليم الابتدائي لمعرفة درجة حصول التواصل اللغوي والتربوي ضمن هذه النصوص المقررة وطبيعة الخطاب الذي يحاول الكتاب المدرسي تمريره للمتعلم، وقد انطلقت الدراسة في عرض الإشكال المركزي الاتي: هل للتواصل التربوي الناجح علاقة بتفاعل المعلمين مع النصوص القرائية؟ وتفرعت هذه الإشكالية إلى عدة أسئلة محورية ثم انطلقت هذه الدراسة من طبيعة الإشكالية، المزاوجة بين متقاربين في البحث (مقاربة كمية ومقاربة كمية). واتبع الباحث في المقاربة الكيفية : المنهج ، الوصف، التحليل، إذ عمل على الإجابة عن الأسئلة الفرعية من هذه الاشكالية بالاعتماد على مقرر مادة القراءة للسنتين الأولى والثانية من مرحلة التعليم الابتدائي، اما المقاربة الكمية فتناولت الجانب الإحصائي من الدراسة الذي ارتبط بتحليل البيانات وتحويلها إلى مفهوم كمّي دال على طبيعة الموضوع المستهدف واختيرت الاستبانة أداة للبحث ووظفت من معرفة مشكلة التواصل اللغوي، والتفاعل مع نصوص القراءة المقررة ،وفي ضوء ما سبق تم إظهار النتائج الآتية من الدراسة وتمثلت في أن هناك تأثيراً مباشراً لاختيار معايير تنظيم المحتوى في التواصل اللغوي والتربوي والنصوص القرائية التي لا تمت بصلة إلى البيئة المحيطة بالمتعلمين التي قد تعطل التواصل اللغوي والتربوي في الدرس وحسن توجيه معرفة المتعلمين بالنصوص القرائية وتأطيرها وظيفياً في سياق خطوات وتقنيات مناسبة، من شأنه توفير الظروف الملائمة لتحقيق فعل تعلم القراءة وان عدم تنويع أشكال العمل الديالكتي لا يساهم في تحقيق التواصل اللغوي والتربوي مع النصوص القرائية، وإن وسائل التقويم الناجعة تؤثر بشكل إيجابي في عملية الاتصال اللغوي والتربوي، وانعدام الأخذ بمبدأ التدرج في تمرير أنشطة التقويم، الذي قد ينعكس سلباً على التواصل اللغوي والتربوي مع المتعلمين، وإن إجراءات التقويم

التكويني قد تسمح للمتعلّم بإحكام ضبط إيقاعات التتبع البيراغوجي في حقل القراءة ويقوي من تحقيق التواصل اللغوي والتربوي مع النصوص، (السفياني، ٢٠٠٤، ص د، هـ).

٢- دراسة أبو القمبز، ٢٠٠٩م:

هدفت الدراسة إلى التعرف على (فن التواصل اللغوي) وأكدت أهمية الاتصال مع الآخرين، إذ يتوقف عليها جزء كبير من فاعلية البشر وتأثيرهم، ونجاحهم في الحياة، وقد استعمل الباحث لهذا الغرض تجربة توضيحية عن دائرة الاتصال، رسم فيها وسيلة إيضاح وكان الهدف من المساعدة على تمثيل مسارات المعلومات في أثناء التواصل مع الآخرين، ثم عرض فيها اختبارات توضيحية لكشف أنواع الشخصيات (حسية- سمعية- لمسية) وخلص في دراسته إلى النتائج الآتية: للوصول إلى التواصل الفعال مع الآخرين لابد من أن نكون في حالة حياد معهم، وأن نجتهد في تفسير ما يرد إلينا من رسائل على الوجه الصحيح، ثم نرسل رد الفعل تبعاً لذلك والشكل المثالي لدائرة الاتصال هما المرسل والمستقبل في الوقت نفسه، والشكل المتبع في نظم التدريس عندما نقلّي الجزء الخاص برد الفعل، ويصبح نوعاً قاصراً على التواصل غير الفعال، ولكي يكون الاتصال ناجحاً لابد من توافر ركنين أساسيين هما: إقامة علاقات قوية مع الآخرين، والتوافق معهم ونقل المعلومات والفكر إليهم والتأثير فيهم. (أبو القمبز، ٢٠٠٨، ص هـ).

مفهوم التواصل اللغوي:

أدرك البشر أهمية التواصل منذ فجر التاريخ، ومع تتابع العصور زاد الإحساس بدوره البارز في استمرار حياتهم، وتحقيق مصالحهم المختلفة وتوحيد جهودهم وترابط مجموعاتهم وتنظيم أنشطتهم وتطور أنماط حياتهم، فالاتصال بين أفراد المجتمع والمجموعات الاجتماعية المختلفة ضروري لتحقيق متطلبات الاجتماع الإنساني وهو شرط من شروط بقاء الكائن البشري (منتدى العلم والتعليم، ٢٠١١، ص ٢٦)، لذا عد التواصل المبني أساساً على اللغة أحد أهم المفاهيم المرتبطة بالإنسان دون غيره من الكائنات لدرجة يمكن معها القول، إن التواصل هو الحياة، ولا يمكن

أن يوجد من دون تواصل، فالإنسان يتواصل منذ أن كان جنينا في بطن أمه مع الأصوات التي يسمعها من الخارج، وهو في الأصل ثمرة لتواصل والديه (جسدياً وعاطفياً ولغوياً) ، (الناجي، ٢٠٠٨، ص ١٠) ، وهو عملية مهمة وضرورية لكل عمليات التوافق والفهم التي يتوجب على العاملين في المجال التربوي القيام بها، بهدف الوصول إلى الأهداف المنشودة للمؤسسة التربوية. (أبو ملوح، ٢٠٠٩، ص ٥١) ،وان الاهتمام بظاهرة التواصل لم يكن عبثاً لا ترجى نتائجه، بل فرضته حتمية التفاعل المعرفي مع الآخر، في عالم تقاربت فيه أطرافه المترامية، ومن ثم علينا نحن المعلمين طرق أبوابه، بوصفه أساساً من أسس اللغة التي هي جل اهتمامنا ننفذ بها الى دروب الثقافات الأخرى في ظل التقدم الذي اضحى سمة بارزة من سمات العصر الذي ننشأ فيه ونتعايش مع مجتمعاته، (حسن، ٢٠١١، ص ٣٢) ،التواصل مصطلح يكتنفه بعض الغموض بسبب غناء المعجم نظراً لدخوله في علاقات ترادف واشتراك مع مجموعة من المصطلحات التي تشاركه في الدلالة سواء من حيث الجذر او من حيث الحقل الدلالي، وذلك من مثل: التواصل، الإيصال، الوصل، الإبلاغ، الإخبار، التخاطب، التحاور.

أهداف التواصل اللغوي :

إن الناس في محادثاتهم وتواصلهم اليومي يرومون من وراء ذلك تحقيق أغراض وقضاء حاجات تتنوع تبعاً لهدف التواصل والأطراف المتواصلة ، واللغة هي التي تحقق غايات التواصل وأهدافه، ومن بين تلك الأهداف الآتي :

- ١- **الاكتشاف:** إذ يكتشف الإنسان ذاته والعالم المحيط به، ولقد لخص العلم هذا المفهوم وأهميته بقوله: (إن الوعي بالذات هو قلب كل تواصل).
- ٢- **الاقترب والتقارب:** ويتحقق من خلال ربط علاقات صميمة مع الآخرين وصيانة هذه العلاقات وتقويتها.

- ٣- **الإقناع والإقناع:** قد يتوهم الواهم أن الهدف يتحقق خصوصاً في المجال التجاري أو الحقوقي، إلا أنه مصاحب للسلوك الإنساني في كل تفاصيل حياته، القائمة على

تبادل المصالح عبر قناة التفاوض، وتمارس عمليات الإقناع مجالات الأفكار والمعتقدات والسلوك. (القلعي، ٢٠١٢، ص، ١٨)

عناصر التواصل اللغوي ومكوناته:

من الأساسيات المهمة لفهم الاتصال معرفة أنه عملية مستمرة فالناس لا يفكرون فيما كانوا يتصلون بشأنه بعد انتهائه فحسب، بل انهم يفكرون فيه في أثناء التواصل وقبل التواصل، وهو يتأثر بعوامل متعددة منها، الكلمات والملابس والبيئة (المكان والجو النفسي) الذي يتم فيه، وهذه العوامل بالنسبة للمرسل والمستقبل معاً، كما ان عملية الاتصال تتطور وتتغير بشكل لا يمكن التنبؤ معه بما سيحدث في الخطوة التالية، فالاتصال عملية ديناميكية نشطة ومتحركة، حتى وان كانت مجرد قراءة في صحيفة أو استماع للمذيع أو مشاهدة بالتلفاز، (تركستاني، ٢٠٠٧، ص ٤٠) وتتألف عملية التواصل من مكونات نذكر منها:

- ١- **المرسل:** هو الفرد الذي يؤثر في الآخرين بشكل معين، وهذا التأثير ينصب على معلومات أو اتجاهات أو سلوك الآخرين.
- ٢- **الرسالة:** هي المعلومات أو الافكار أو الاتجاهات التي يهدف المرسل الى نقلها إلى المستقبل والتأثير فيه.
- ٣- **المستقبل:** يمثل الجهة أو الشخص الذي يقع عليه فعل الارسال، وفي اغلب الحالات يكون الشخص مستقبلاً ومرسلاً في الوقت نفسه.
- ٤- **بيئة الاتصال والسياق الذي يتم فيه:** تشمل كل الظروف المحيطة بعملية التواصل، ظروف الزمان والمكان، والعوامل الثقافية والاجتماعية والنفسية، فالتواصل بين المتعلم والمعلم داخل الصف ليس هو نفسه خارجه، وهذه العلاقات تختلف من مستوى دراسي إلى آخر، ومن مجتمع لآخر.
- ٥- **عناصر التشويش:** يدخل في هذا الإطار كل ما يعيق عملية التواصل وكل ما يحول دون أن تتم هذه العملية في أحسن الظروف كالضجيج أو الارتباك لمعاني الإشارات الواردة في الرسالة. (أبو الملوح، ٢٠٠٩، ص ٣٨).

٦- قناة الاتصال الحاملة للرسالة: هي الوسيلة المعتمدة لنقل الرسالة وقد تكون بواسطة التلفاز او المذياع او الهاتف او الشخص.

٧- التغذية الراجعة: يقصد بها رد الفعل الذي يقوم به المستقبل، ففي الحالة التي لايسجل فيها اي رد فعل تحدث من عملية إعلام فقط وليس عن عملية تواصل.

٨- الصياغة: تتمثل في الكلمات المستعملة في الرسالة، أي: (نوعية الأسلوب، شكل الرسالة). وتتميز عملية التواصل بكونها ذات طابع أخلاقي وأن العقل التواصللي لا يمكن التراجع عنه غير أنه يمكن التحقق من آثار ذلك كالاعتذار عن إصدار كلمة جارحة في حق الآخر، (أوكان، ١٩٩١، ص٤٢).

أنواع الاتصال اللغوي :

يتحدد نوع الاتصال بناء على عدد الأشخاص الذين يشتركون فيه ، والعلاقة ما بين هؤلاء الأشخاص، والوسيلة المستعملة وسرعة التجاوب ، وتبعاً لذلك هناك خمسة انواع من الاتصال هي: (الاتصال الذاتي، الاتصال الشخصي، الاتصال العام، الاتصال الجماهيري ، الاتصال الثقافي)

١- الاتصال الذاتي : يرحح بعض العلماء عدّ هذا النوع من الاتصال تفكيراً ذاتياً يسبق الاتصال فكلّنا حينما نتحدث مع انفسنا أو نخزن معلومات جديدة أو نحل مشكلة، أو نقيم حالة معينة فإن الاتصال يتركز داخل الانسان وحده، لذا يُعدّ هو المرسل والمستقبل في الوقت نفسه والرسالة هنا تتمثل في الفكر والمشاعر والأحاسيس و يكون الجهاز العصبي هو وسيلة الاتصال.

٢- الاتصال الشخصي: يحصل الاتصال الشخصي عندما يتصل اثنان أحدهم بالآخر او أكثر من اثنين مع بعضهم بعضاً وغالباً ما يكون هذا النوع من الاتصال في جو غير رسمي لتبادل المعلومات وحل المشكلات، ويشمل نوعين من الاتصال هما: الاتصال الثنائي والاتصال في مجموعات صغيرة ، والاتصال الثاني يشمل غالباً المحادثة بين شخصين وقد تكون غير رسمية كما هو الحال بين الأصدقاء أو الزوجين، وقد تكون محادثة رسمية كما هو الحال بين الرئيس والمرؤوس أو في المقابلات الشخصية.

٣- **الاتصال العام:** في الاتصال الجمعي تنتقل الرسالة من شخص واحد (متحدث) إلى عدد من الأفراد أو المستمعين، وهو ما نسميه بالمحاضرة أو الحديث العام أو الخطبة، ويحدث هذا غالباً من خلال المحاضرات أو التجمعات الجماهيرية، ويتميز الاتصال الجمعي بالصيغة الرسمية والالتزام بقواعد اللغة ووضوح الصوت.

٤- **الاتصال الجماهيري:** يحدث هذا النوع من الاتصال من خلال الوسائل الالكترونية مثل المذياع والتلفاز والأفلام والأشرطة المسموعة والصحف والمجلات ويكون هذا النوع من الاتصال بين الناس واسعاً ومنشراً متجاوزاً الحدود الجغرافية والسياسية.

٥- **الاتصال الثقافي:** الثقافة هي مجموعة من القيم والعادات والرموز الكلامية وغير الكلامية التي يشترك فيها جمع من الناس، وتتفاوت الثقافات فيما بينها باختلاف تاريخ الشعوب وأوضاعها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وقد يكون داخل الثقافة الواحدة ثقافات مختلفة فالبلاد العربية تحمل ثقافة واحدة لكنها تختلف في داخلها من بلد إلى آخر، ويحدث الاتصال الثقافي حينما يتصل شخص أو أكثر من ثقافة معينة بشخص أو أكثر من ثقافة أخرى، وحينئذ لابد أن يعي المتصل اختلاف العادات والقيم والأعراف وطرائق التصرف المناسب، وإذا غاب هذا الوعي فقد يؤدي إلى نتائج سلبية. (تركستاني، ٢٠٠٧، ص ٣٥)

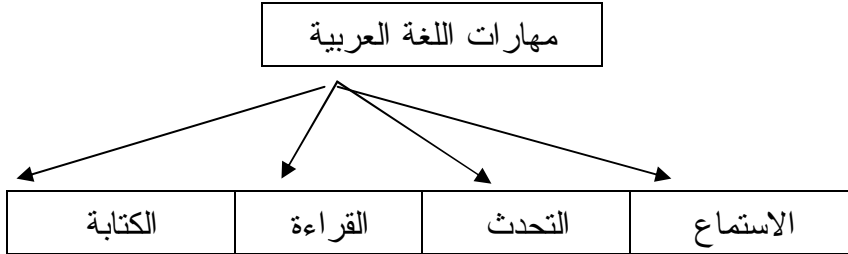
المهارات اللغوية والتواصل اللغوي:

تقوم العملية التعليمية برمتها على أساس التواصل الإنساني، وفي جوهر هذا التواصل نجد اللغة حاملة وناقلة للمعرفة، وهذا ما يجعل تعلم اللغات قضية محورية في منظومة التربية والتعليم تستحق كل العناية والاهتمام، وتعد اللغة العربية من أغنى اللغات بمفرداتها وتراكيبها فهي لغة التعبير والتواصل مع الآخرين، لذا أصبح واجب كل معلم أن يحبب المتعلمين بهذه اللغة وذلك بتوظيفها تربوياً ولغوياً في مجالات الحياة كافة، وقد عرفت الممارسات اللغوية في مجتمعاتنا العربية ضعفاً في العملية التواصلية، ويعود ذلك إلى العديد من العوامل التي شكلت عائقاً أمام استعمالات هذه اللغة بوصفها وسيطاً بين عنصري العملية التواصلية، ومحاصيل اللغة الدارجة (العامية) هي السمة الغالبة على العملية التواصلية، لذلك برز دور الممارسات اللغوية الفعال في العملية

التعليمية، من خلال تأثيرها في المتعلم الذي يستجيب بصورة لا إرادية إلى ما اكتسبه من أسرته ومجتمعه، وظهر تأثير ذلك في خطابه التواصلية، مما يعيق تواصله اللغوي السليم، عليه فقد بات من الضروري تفعيل بدائل نوعية للحد من هذه الممارسات اللغوية، وذلك بايجاد نوع من التفاعل بين المعلم والمتعلم والمادة الدراسية، التي ينبغي لها أن تكون متناسبة مع مستوى المتعلمين العقلي والعمرى والتي تعمل على تنمية مهارات المتعلمين المعرفية من جهة، وتفعيلها مع واقعهم من جهة أخرى، لأن حيوية اللغة لا تظهر إلا باستعمالها وتوظيفها في كل مجالات الحياة اليومية للمعلمين بصفة عامة، وفي حياة المتعلمين بصورة خاصة، وذلك للوصول الى ممارسات لغوية مثلى، ترقى بلغة التواصل في المجتمعات العربية (أبو شنب، ٢٠١١،

ص ١٢٢)

مهارات اللغة العربية ودورها في التواصل اللغوي



يتم التواصل اللغوي في اية لغة من خلال أربع مهارات أساسية هي: (الاستماع والحديث والقراءة والكتابة) وتمثل هذه المهارات أشكال الاستعمال، كما تمثل كل مهارة منها أهمية في ذاتها وأهمية بالنسبة للمهارات الأخرى، والمهارات التي تحدث من خلال عملية الاتصال اللغوي والكتابي تتكامل فيما بينها بعلاقات، وتعد هذه العمليات العقلية المتضمنة في هذه المهارات قاسما مشتركا فيما بينها، فضلاً على ان اللغة هي ميدان ممارستها، لذا يجب النظر إلى تعليمها بصورة تكاملية ترابطية.

(قورة، ٢٠١١، ص ٣٢)

أولاً : مهارة الاستماع:

يقول الله عز وجل ((وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون)) "الأعراف ٢٠٤"، وقال تعالى ((قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة

قليلاً ما تشكرون)) "الملك ٧٣"، فالخالق عز وجل في هاتين الآيتين الكريمتين يخاطب بني البشر، ويوجههم لأهمية الاستماع ودوره في التفاعل والتواصل في الحياة، كما يشير إلى أنه أول حاسة يستعملها الإنسان، وهو من أهم وسائل الفهم والتفكير.

١- أهمية مهارة الاستماع: "الاستماع أسبق وسائل الاتصال اللغوي، فالإنسان يبدأ مراحل تطوره اللغوي مستمعاً، ثم متحدثاً، وقد أدرك العرب أهمية دوره في اكتساب اللغة، لذا كانوا يرسلون أبناءهم إلى البادية لسماع اللغة من معينها، وقد اكتسب الرسول (ص) فصيح اللغة عند قبيلة بني سعد في مضارب البدو، لذلك يعد الاستماع وسيلة رئيسة للمتعلم، ويمارس في أغلب جوانبه التعليمية في الصف، والإذاعة المدرسية، والتفاعلات الاجتماعية" (الحوسنية، ٢٠١٣، ص ١٨) وللإستماع أهمية كبرى في كونه فن ترتكز عليه كل مهارات اللغة من تحدث وقراءة وكتابة، لذا كان من الضروري العناية والاهتمام بالمهارات والخبرات التي تؤدي إلى تحسين القدرة على الاستماع، من خلال الاختبارات التحصيلية، ومنح درجات مناسبة لهذه المهارة أسوة بالمهارات اللغوية الأخرى، ويتوافر كل ما يساعد من وسائل وأجهزة تسجيل و.. الخ، وتنفيذها في الميدان التربوي، كما يحتاج المتعلم إلى نصوص متنوعة ومستمدة من مواقف الاستماع ومواده، ووظائفه في المدرسة والحياة العملية وحاجاته وبخاصة في مرحلة التعليم الأساسي، فالاستماع يمثل جانباً كبيراً من التعلم ويعد الوسيلة الأساسية في التفاعل مع الآخرين، حيث يقضي المتعلمون ما بين (٥٠%) إلى (٧٠%) من أوقاتهم داخل الصف في الاستماع إلى معلمهم وإلى زملائهم وإلى الوسائل التعليمية، لذلك من الضروري تدريبهم على هذه المهارة حتى يستطيعون فهم كل من حولهم (قورة، ٢٠١١، ص ٢٤)، والاستماع يتيح الفرصة للمتعلمين للتخيل والتفكير بصورة حرة من دون التقيد بالرسوم أو الصور وصياغة الفكر من خلال الأصوات ثم يرسمون الصور بعقلهم اعتماداً على ما سمعوه.

٢- دور مهارة الاستماع: أكدت الدراسات التربوية دور الاستماع الكبير في بناء العلاقات الاجتماعية، إذ أثبتت أن (٤٥%) من ساعات الناس اليومية يقضونها

بالاستماع، ويزيد المتعلمون على الكبار بنسبة (٥%) من وقتهم المدرسي يقضونه في الاستماع الى غيرهم بينما (٣٠%) من تلك الساعات يقضيها الناس متحدثين والبقية (٢٥%) موزعة بين القراءة والكتابة (الخميس، ٢٠١٠، ص٥٦)، وللإستماع دور في تنمية الملكة اللسانية واللغوية لدى المتعلمين لذا قال العالم التربوي ابن خلدون في هذا المجال، ان السمع أبو الملكات، و ينمي لدى المستمع الاحساس اللغوي الذي يجعله يشعر بالنغم الموسيقي للغة، والجرس الایقاعي لها، كما انه يعين المستمع على تذوق جماليات اللغة والدقة والسلامة في ادائها(عبد الباري ٢٠١١، ص ١١٠)، كما يعد الاتصال البوابة الكبرى لعملية الاستماع، فلا استماع من دون اتصال لغوي ولا اتصال لغوي من دون استماع.

٣- دور المعلم في تدريس الاستماع: إذا عرف المعلم أن الغرض الأساسي من الاستماع وتدريسه هو استيعاب المستمع لما يقال معرفياً أو وجدانياً أو سلوكياً، ادرك ان عليه دوراً كبيراً في انجاح دروسه وتنمية هذه المهارة عند متعلميه (طعيمة، ٢٠٠١، ص ٩١) أما تنمية هذه المهارة عند المتعلمين فلا يتم إلا إذا خصص معلم اللغة العربية حصة دراسية، درب المتعلمين من خلالها على مهارات الاستماع المبنية على دقة الفهم والتذكر والاستيعاب والتفاعل وطبق عليهم مبادئ حسن الاستماع والانصات للموضوع المطروح، وبات من اهم مهامه التركيز على بناء هذه المهارة في مراحل التعليم الأساسي لدورها الكبير في بناء شخصية المتعلم.

٤- كيفية تنمية مهارة الاستماع: من مسؤولية المعلم التعرف الى كيفية تنمية هذه المهارة لدى المتعلمين وذلك من خلال :

أ- تنمية القدرة على التذكر: إذ يختزن المتعلم في الذاكرة قدراً من المعلومات، وتتطلب عملية الاستماع أن ينظم ما يقوله المتحدث بطريقة تمكنه من ربط هذه المعلومات المخزونة في الذاكرة لتقييمها وبناء استجابة محددة لها، الاستفادة من طبيعة البناء المعروض على المتعلمين، ويمكن من خلالها التعرف الى الفروق

الفردية بينهم وذلك بوصفه مدخلا لفهم الآخرين، وتحديد طريقة التعامل معهم، ذلك لأن فهم الآخرين هو الطريق المناسب لبناء علاقات إيجابية فعالة.

ب- الالتزام بالقواعد المرشدة للاستماع الجيد: يعدّ الاستماع نصف عملية الاتصال، وهي مهارة يمكن تنميتها من خلال تكوين عادات اتصالية جيدة من مثل: الانتباه للمتحدث، وتلافي تأثير العوامل الطبيعية والنفسية والفسولوجية والبيئية التي تؤثر في الانتباه ومتابعة التعبيرات اللفظية وغير اللفظية، ومتابعة المتحدث والتجاوب معه، وتجنب السرعة في الاستنتاج أو التقويم أو إطلاق الأحكام القطعية عليه، أو محاولة إيجاد أخطاء في طريقة إلقاء المتحدث أو في مظهره (عبد العزيز، ٢٠١١، ص ٧٤)

٥- وسائل التدريب على مهارة الاستماع لمعلم اللغة العربية: لكي يدرب معلم اللغة العربية متعلميه على مهارة الاستماع، وينمي مهاراته فيهم، هناك وسائل وأساليب تختلف باختلاف عمر المتعلمين المستمعين ومستواهم منها: (الاستفادة من بعض موضوعات القراءة، أو الأخبار اليومية في الصحف والمجلات وقراءتها وأخبار المتعلمين بها، ثم مناقشتهم حولها بهدف تنمية مهارة الاستماع وكشف مدى استيعابهم لما استمعوا إليه- الاستفادة من النص الإملائي في حصة الإملاء، وذلك بقراءته على المتعلمين، ثم مناقشتهم فيما تضمنه من فكر، وذلك قبل أن يملأ عليهم- استثمار حصص التعبير بما يفيد مهارة الاستماع، وذلك بربطها بمهارات التعبير الأخرى- استثمار حصص مادة القواعد، والنصوص وما فيها من استنتاج واستنباط القاعدة ولل فكر الأساسية والصور الجمالية- استثمار الاذاعة الصباحية في خدمة مهارة الاستماع عن طريق تكليف مجموعة من المتعلمين كتابة تقرير حول ما سمعوه وابداء رأيهم فيه- ويمكن ان يطلب المعلم من المتعلمين الانتباه في اثناء قراءة زميل لهم في اي موضوع، والاشارة الى ما قد يقع فيه من اخطاء بطريقة منظمة- وقد يقوم برواية قصة موظفا النبرات الصوتية المعبرة، ثم يطلب الى متعلميه بعد الانتهاء من الرواية اعادة اداء بعض احداث القصة بنبرة صوتية مناسبة للاحداث (والي، ١٩٩٨، ص ١٥٠-١٥٢)، وبإمكان المعلم أن يحقق

أهداف الاستماع بكيفية أحسن، خاصة ان لاحظ الحاجة إلى حسن الاستماع وأثره في التواصل والتفاهم مع الآخرين، وفي تعلم اللغة ونطقها العفوي والطبيعي، بخاصة ان استعان المعلم والمتعلم بالأجهزة السمعية والبصرية وغيرها من الوسائل المعينة على امتلاك هذه المهارة (السليطي، ٢٠٠٦، ص ١)، ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن الاستماع الجيد أساس التعلم الجيد، ويمكن ان يتم في الصفوف الاولى من مرحلة التعليم الأساسي من خلال عدد من الأنشطة الموجهة: (كالقصص، والأنشيد، والألعاب اللغوية، والأنشطة السمعية واللغوية الملائمة لنموهم العقلي والمعرفي التي تكشف عن قدراتهم واتجاهاتهم وميولهم)، كما تبين لنا مدى أهمية هذه المهارة ودورها الكبير في رفع مستوى التحصيل الدراسي لدى المتعلمين وفي حسن تواصلهم مع معلمهم وأقرانهم والآخرين، نأمل من زملائنا المعلمين وبخاصة معلمي اللغة العربية- أن يستثمروا هذه المهارة، ويوظفوها في بناء علاقات إيجابية جيدة لأبنائنا المتعلمين، تعود بالنفع والفائدة على مجتمعهم الذي يعيشون فيه.

ثانياً : مهارة التحدث ودورها في التواصل اللغوي:

خلق الله تعالى الإنسان تواقاً للتعامل مع من حوله، والتفاعل مع بني جنسه، وعلمه الأسماء كلها حيث قال عز من قائل: ((علم آدم الأسماء كلها))، "البقرة، ٣١"، فإذاً هو يعتمد اللغة ليتواصل مع الآخرين، بحيث يكون الحديث لغة الحوار والتفاهم والمحادثة والتفاعل مع الآخرين، لأن الحياة من دون التفاعل تبعث على الملل والضجر، وصدق ابن الرومي، إذ أنشد في مرضه الذي قضى فيه:

"ولقد سئمتُ مآربي فكانَ أطيبها خبيثُ"

إلا الحديث فإنه مثلُ اسمه أبداً حديثاً" (ابن الرومي، ٢٠٠٣، ص ٣٩٧ باب الثاء)

١- أهمية مهارة التحدث: تتجلى أهمية مهارة التحدث (الحوار) في أنها تحدد مدى قدرة الفرد على اكتساب المواقف الإيجابية عند اتصاله بالآخرين، حيث يتكون موقف الحديث من المتحدث الذي يحاول نقل فكرة معينة، أو طرح رأي محدد، أو موضوع بعينه، ويعد هو الطرف المعني بالحديث والمستمع له، والظروف

المحيطة بموقف الحديث سواء أكانت هذه الظروف مادية ام معنوية (حجاب، ٢٠٠٠، ص ١٦)، كما يعد التحدث من أهم الوان النشاط اللغوي، واكثرها استعمالاً في الحياة اليومية، فهو وسيط التواصل اللغوي بين البشر قبل القراءة والكتابة، ويمثل الجانب الإيجابي من التواصل اللغوي.

ولا تقتصر براعة الحديث على أسلوب الكلام وجودة محتواه بل إن حسن الاصغاء ايضاً يعد فناً من فنون الحوار، وكم تحدث أناس وهم لا يريدون من يحاورهم، بل يريدون من يصغي اليهم كي يبوحوا بما في صدورهم، ونقل ابن عبد ربه في العقد الفريد عن بعض الحكماء قوله لابنه: يا بني تعلم حسن الاستماع، كما تتعلم حسن الحديث وليعلم الناس أنك أحرص على ان نسمع منك على أن نقول (الحبيب ٢٠١٠، ص ٢٦-٢٧)، كما تعد هذه المهارة من المهارات الأساسية اللازمة في القرن الحادي والعشرين، فهي ترتبط ارتباطاً دقيقاً بكيفية التعامل مع الفرد أو الجماعة، حيث يكتسب المتعلمون من خلالها آداب المخاطبة ولياقة التصرف واحترام الآخرين، والتعاون معهم للانتقال من المدرسة الى دنيا العمل، حيث سيجد نفسه في حالة حوار دائم مع الآخرين بدءاً من الاسرة التي يعيش فيها وانتهاءً بالعالم الذي اضحى قرية كونية صغيرة (بشارة، ٢٠٠٩، ص ٢٨).

فمهارة التحدث تعطي الفرصة الملائمة للمتعلم ليبين قدراته، ويعبر عما يريد، وعما يختلج في نفسه من مشاعر واحاسيس، ونظراً لأهميتها من الناحية النفسية واللغوية، فهي تجعل المتعلم يكتسب منها قوة وحيوية فيناقش، ويحاور، ويشارك ويبرز بروزاً كبيراً في التحدث مع ذويه ومعلميه وزملائه في الصف، وقد اصبح من الضروري ان يتاح لكل متعلم حرية الحديث، من خلال السؤال والجواب، والمناقشة والمحادثة، وجميع الأنشطة اللغوية الأخرى يكون الكلام محوراً، وأساس العمل بها هو التحدث، فالتحدث هو من أهم الأسس في العملية التعليمية كلها (الكندري، ١٩٩٣، ص ١٣٠).

٢- دور مهارة التحدث: "يظهر دور التحدث في أنه يحقق ميزات متعددة للقائمين على العملية التعليمية- التعلمية، وبخاصة المعلم والمتعلم: فهو: وسيلة يحقق فيها المتعلم ذاته من خلال تفاعله مع الآخرين- أداة من أدوات الاتصال اللغوي- فرصة لإبراز مهارات المتعلم، وتوضيح فكره، واكتساب الثقة والاطمئنان- نشاط فكري اجتماعي يستعمل للتأثير في المستمعين بتقبلهم للمتحدث وما ينقله من فكر وآراء- ضرورة ملحة للمتعلمين في المراحل الدراسية كافة" (عبد العزيز، ٢٠١١، ص ٢٤) ، ويبقى الدور الأكبر للتحدث في المدرسة، حيث يتم تدريب المتعلمين على القاء الكلمات من دون خجل أو خوف وبلغة فصيحة سليمة خالية من الأخطاء اللغوية والنحوية، كما يتم تدريبهم على المواجهة والجرأة في الأداء والتعبير، وعلى استعمال اللغة العربية السليمة في مواقف الحياة كافة.

٣- دور المعلم في تدريس التحدث: يتجلى الدور الجديد للمعلم في السعي الحثيث عن الوسائل التي يستطيع بواسطتها أن يفيد المتعلمين في تحقيق نموهم وتحصيلهم الدراسي. ويأتي حوارهم معهم في مقدمة هذه الوسائل، حيث يساهم هذا الحوار في تجسيد مبدأ الديمقراطية فيما بينهم، ومن خلال حرصه على علاقته الودية معهم، هذه العلاقة التي تقوم على التفاعل والحوار وتبادل الخبرات العلمية بين المعلم ومتعلمين.

٤- كيفية تنمية مهارة التحدث: ان ما يحققه الحوار لدى المتعلمين الثقة بالنفس، إذ يمارسون مع زملائهم الكلام ببسر وسهولة باستعمال لغة فصيحة سليمة، ويشعرون في أثناء حوارهم ومناقشاتهم باستقلال شخصيتهم، وقدرتهم على إثبات ذاتهم، وعدم الاعتماد على غيرهم، وهذا- لاشك- سيساعدهم على بناء شخصياتهم لذلك ينبغي على المعلم أن يحسن اختيار الموضوعات التي تقدم للمتعلمين بحيث تكون ذات معنى، وذات قيمة في حياتهم، وتكون من بيئتهم التي يعيشون فيها، ويفضل أن تعطى الفرصة لهم في اختيار الموضوع ليتكلموا عنه، ويعبروا بطريقتهم وتحت إشراف معلمهم عن محتوى هذا الموضوع مطبقين مبادئ حسن التحدث والحوار، وبات من المفيد أن يبدأ المعلم بتنمية قدرة

المتعلمين على ترتيب فكرهم، وصياغتهم بلغة مناسبة قبل البدء بتعليمهم ، وبخاصة في مرحلة التعليم الأساسي وبتوجيه أسئلة ذكية ولطيفة تشجعهم على إطالة الحوار، كي تنمو لديهم الطلاقة التبادلية الإيجابية بين اللغة والفكر (الكندري، ١٩٩٣، ص ١٣٤) ومن الأهمية أن يركز المعلم على طرائق التعلم الفعالة في تدريسه على أسلوب التعلم التعاوني (الجمعي)، الذي يجعل من المتعلم طرفاً فاعلاً في العملية التعليمية، يشارك ويحاور زملاءه من دون كلفة أو تقييد تحت إشراف معلمه، ويجب على المعلم أن يدرك أن استعماله هذا الأسلوب يساعده على بناء شخصية لغوية قادرة على التواصل مع الآخرين بامتياز.

٥- وسائل التدريب على مهارة التحدث لمعلم اللغة العربية: زميلنا المعلم في دروس اللغة العربية عليك أن تستعين بوسائل التدريب على مهارات التحدث (الحوار) على وفق الآتي:

أ- ابدأ معتمداً على الخطة الأولية للحديث- استعمال مسجل للصوت- استمع إلى إلقاءك بصورة ناقدة- اطلب إلى أحد زملائك ان يستمع اليك لتعرف كيف كانت وقفتك، لأن هذا سيؤثر في مدى نجاح اللقاء لديك، ولاشك بان حركاتك تساعد على التأثير في المتعلمين- وهناك عوامل كثيرة يجب أن تلتفت إليها عند التدريب من أهمها: جهازة الصوت، وسرعة الأداء ونغمة الصوت، ووضوح النطق، ومخارج الحروف لديك (إسماعيل، ٢٠١٢، ص ١٢) ، وإن اتبعت دورة في البرمجة اللغوية العصبية، ستساهم هذه الدورة في كشف كل ما تحتاج إليه لإنجاح العملية التربوية على اختلاف أنماط المتعلمين وأعمارهم وأنت تعلم تمام المعرفة ، بأن أساليبنا التي تمارسها تعلم أكثر مما تربي، وتركز على المعلومة أكثر من المهارة، وهذا الخلل تتجاوزه البرمجة اللغوية العصبية، وبإتقانك مهارات البرمجة العصبية تكون أكثر فاعلية وقدرة على اختيار الأسلوب لكل حالة، نظراً لإدراكك التقلبات والأحوال النفسية المختلفة للمتعلمين، ولا تقانك مهارات وستراتيجمات التعامل مع جميع الحالات، (عبد العزيز، ٢٠١١، ص ٢٤).

ثالثاً : مهارة القراءة ودورها في التواصل اللغوي:

تمثل مهارة القراءة إحدى نوافذ المعرفة، وأداة من أهم أدوات التنقيف لدى الإنسان، فهي من أهم المهارات اللغوية، ولا عجب - أن يكون الأمر الأول من الله عز وجل لرسوله الأمين، وأمته من بعده موجهاً نحو القراءة في قوله عز وجل: ((اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم)) "العلق ١-٥"، فالقراءة من أهم مجالات النشاط اللغوي التي يمارسها المتعلمون في المدرسة، ومن أهم أدوات الاتصال بنتائج العقل البشري، والقدرة عليها هو جانب مهم من جوانب نجاح المتعلم، فهو الذي لا يمكن أن يؤدي ما مطلوب منه تحقيقه بصورة جيدة إلا إذا أتقن هذه المهارة.

١- أهمية مهارة القراءة: "لاتزال القراءة أهم الوسائل التي تنتقل إلينا ثمرات العقل البشري وأنقى المشاعر الإنسانية التي عرفها عالم الصفحة المطلوبة، وهي غاية في التعقيد، تقوم على أساس تفسير الرموز الكتابية، أي الربط بين اللغة والحقائق، فالقارئ يتأمل الرموز ويربطها بالمعاني، ثم يفسر تلك المعاني على وفق خبراته، وهي عملية بين فيها القارئ الحقائق التي تكمن وراء هذه الرموز، ولا بد لهذا البناء من أن يتصل بالخبرات لتفسير تلك الرموز، ومن الخطأ أن نعد تميز الحروف ومجرد النطق بالكلمات قراءة، فتلك عملية آلية لا تتضمن صفاتها التي تتطوي على كثير من العمليات العقلية كالربط والادراك والموازنة، والفهم، والاختيار، والتقويم، والتذكر، والتنظيم، والاستنباط، والابتكار، ومهارات القراءة الرئيسية كثيرة منها: تعرف الكلمة، والفهم والنطق، والسرعة، وتتفرع عن هذه المهارات مجموعة من المهارات اللغوية المتضمنة التي تساعد على عملية التواصل اللغوي" (مشدود، ٢٠٠٨، ص ٥٤)، فالقراءة تساعد المتعلم على اكتساب ثروة لغوية معرفية، وهي وسيلته وأداته في الدرس والتعلم الذاتي، ويمكن القول: بأنه لا مكان في هذا العالم لمن لا يتمكن من مهارات الاتصال الأساسية وفي مقدمتها القراءة فهي نافذة الاطلاع على كل جديد، ووسيلة إتقان النطق، والكشف عن أغلاط المتعلمين، وبث روح التنافس فيما بينهم، والتفاعل مع إنتاج عقول

الآخرين، لذلك نرى أن الصيحة الكبرى التي يجب أن تدوي في مدارسنا، هي تلك الصيحة التي تنادي بتوجيه القسط الأكبر من عنايتنا إلى تعليم القراءة في مراحل التعليم كافة من خلال حصص مخصصة للمطالعة، وإجراء برامج إثرائية داعمة لهذه المهارة.

٢- دور مهارة القراءة: القراءة لها دور كبير في حياة المتعلمين، فهي توسع خبراتهم، وتفتح أمامهم أبواب الثقافة وتساعدهم على حل مشكلاتهم، كما تساهم في إعدادهم العلمي، وتساعدهم على التوافق الشخصي والاجتماعي، بل هي أساس كل عملية تعليمية، ومفتاح لجميع المواد الدراسية، وربما كان الضعف الدراسي في القراءة أساس إخفاق المتعلمين في المواد الدراسية الأخرى وفي الحياة، فالمدرسة توسع بالقراءة دائرة خبرة المتعلم وتنميته، وتنشط قواهم الفكرية، وتشجع لديهم حب الاستطلاع النافع لمعرفة أنفسهم ومعرفة الآخرين، وهي ترغب في معرفة ما يتصل بالأشياء، والحوادث المألوفة لديهم، وكلما اتبعت رغبتهم في الاطلاع ازدادت خبرتهم وصفت اذهانهم، واكتسبوا سعة لمعرفة العالم الذي يعيشون فيه، وانبعثت في أنفسهم ميول جديدة. لذلك لها مكانة متفردة بين باقي المهارات اللغوية، وخاصة في مرحلة التأسيس، فمن طريقها تتم عملية المذاكرة والتحصيل الدراسي (خاطر، ١٩٨١، ص ١٦٧)، والدور الأكبر الذي تؤديه القراءة في حياة المتعلمين هي أنها تحببهم بلغتهم الأم، فمن طريقها يطلعون على تراثهم وثقافتهم، والثقافات الأخرى ويغنون معارفهم، ويمتلكون ثروة لغوية كبيرة تزيد المخزون اللغوي لديهم، وتساعدهم على تمتين مبادئ الحوار مع الآخرين بثقة ودراية وجرأة.

٣- دور معلم اللغة العربية في تدريس القراءة: المدرسة لها دور أساسي في تنمية مهارات القراءة لدى المتعلمين، و" أثبتت البحوث العلمية أن هناك ترابطاً كبيراً بين القدرة على القراءة والتقدم الدراسي لدى المتعلمين، لذلك أصبح من أهم واجبات معلم اللغة العربية تنمية عادة القراءة في نفوس المتعلمين، والإقبال عليها برغبة وشغف، وهذا الواجب يتطلب أن يكون هناك معلمون يحبون القراءة،

ويمارسونها ليكونوا قدوة للمتعلمين" (النصار، ٢٠٠٣، ص ٢٨) ، كما ان تنمية هذه المهارة أصبح مطلباً تعليمياً ينبغي مراعاته، ووضعها في الحسبان عند بناء أو تطبيق أي برنامج تعليمي، فالتعلم الصحيح والنشط، يقتضي أن يبقى المتعلم يقظاً وإيجابياً، فاعلاً وليس منفِعلاً، نشيطاً يعمل ويفكر داخل الحجرة الصفية وخارجها، ومن أجل تمكينه من مهارة القراءة فهو يحتاج إلى حفز قدراته وصولاً للاستثمار الأمثل، وذلك من خلال مراعاة عوامل الدافعية والميل لديه نحو القراءة، ويتحقق هذا على نحو أكثر فاعلية عندما ينوع المعلم في أساليب عرضه، ويستعمل طرائق التدريس الحديثة والفعالة، فمخاطبة قدرات المتعلم ومراعاة مستواه، وإثارته جوانب مختلفة. من شأنه أن يستحوذ على اهتمامه ويبقيه في حالة من الارتباط النفسي بمحتوى التعلم، فالدوافع والميول والاتجاهات النفسية لها أثر كبير في عملية تعلم المتعلمين (البصيص، ٢٠٠٧، ص ٦٢) .

٤- كيفية تنمية مهارة القراءة لدى معلم اللغة العربية: زميلنا معلم اللغة العربية إذا

أردت تحسين مهارة القراءة لديك فإن هذه العمليات ستساعدك على ذلك:

أ- **تقويم طريقة القراءة** : يجب أن تتعرف طريقة عادة القراءة لديك، وإلى أين تتجه في تحسين هذه القراءة وهل تقوم باستعمال شفتيك أو حلقك في أثناء عملية القراءة؟ وهل توقف الكلمات الجديدة تقدمك في القراءة باستمرار؟ في هذه الحالة عليك تنمية مهارتك اللغوية بكثرة قراءة المجالات التربوية والكتب المفيدة- هل تقوم بقراءة كل مفردة؟ في هذه الحالة عليك تدريب عينيك على تخطي المسافات من الجمل، ويجب أن تدرك بان القراءة الناجحة فن، وهي بحاجة إلى الممارسة الدائمة، واكتساب الخبرات. لذلك كلما قرأت أكثر ازدادت خبرتك. ونضجت لديك هذه المهارة، وازداد استمتاعك بما تقرأ.

ب- **توفير المناخ المناسب**: وللمضي قدما في تحسين هذه المهارة وتنميتها، عليك ان تختار المكان المناسب للقراءة بصورة مريحة، على أن تتوفر فيه الإضاءة المناسبة للعين، والجلسة الصحية للقراءة، لأنها ستجعلك أكثر انتباهاً وتيقظاً،

وابتعد عن أصوات الاذاعة والتلفاز، لأنها تشتت الذهن وتقلل من التركيز في القراءة.

ت- استعمال العينين بفعالية: عليك ان تتعلم تحريك عينيك باستمرار إلى الأمام عندما تقرأ بمسافة تسمح لعقلك فهم واستيعاب معنى الموضوع الذي تقرأه، و عليك في فراغك التفكير فيما تراه.

ث- الاستمرار في تنمية الثروة اللغوية: تعد المفردات اللغوية أساس الاتصال اللغوي الانساني، وتتيح للناس التعبير عن فكرهم وعواطفهم، ومن الضروري أن تعمل على زيادة عدد المفردات اللغوية وإجادة فهم الكلمات وأصلها وتركيب الجمل واشتقاقها، لتتمكن من مهارات القراءة أكثر.

ج- تكييف سرعتك في القراءة لفهم المادة: عليك أن تدرك بان سرعتك في القراءة يجب أن تتوافق مع نوعية المادة التي تريد تدريسها، وأن تتعود رؤية العناوين الرئيسية، ومقدمات الفصول والعناوين الفرعية، والنظر إلى الفكر الرئيسية الواردة، ثم تنتقل الى معرفة أهم التفاصيل التي تعزز هذه الفكر.

ح- ممارسة القراءة بانتظام: تحتاج القراءة الى الممارسة وذلك من أجل تحقيق المهارة فيها، لذلك يجب أن تقوم بتدريب عينيك وعقلك على العمل سوياً بهدف الارتقاء بعادات القراءة الجيدة كما ينبغي الجلوس يومياً من (١٥-٣٠د) لممارسة القراءة والمهم أن تعرف تمام المعرفة بأن عملية القراءة بانتظام تساعدك على زيادة الثروة اللغوية، وزيادة خبرتك، مما ينعكس على متعلميك في إتقان هذه اللغة والتحدث بها بشكل صحيح، والتواصل مع الآخرين بشكل جيد (منتديات الجفر، ٢٠٠٧، ص ٤-٦)، ولا تنس أنك القدوة التي يقتدى بها المتعلمون فلا تهمل التلوين الصوتي في أثناء قراءتك والتنويع في نبرة صوتك بحسب الموقف والاهتمام بمخارج الحروف لديك، لأن المتعلم يقلدك حتى في طريقة قراءتك وأداءك.

٥- وسائل التدريب على مهارة القراءة لمعلم اللغة العربية: هناك ستراتيغيات مختلفة يمكن ان يستعملها المعلم في تنمية مهارات القراءة لديه منها:

أ- **النمذجة:** أي أن يكون المعلم الأنموذج أو القدوة أمام المتعلمين ويتلخص دوره في إبراز مهارات التفكير عن طريق إيضاح سلوكياته في أثناء قيامه بحل المشكلة، وكيفية تنفيذها.

ب- **التعليم المباشر:** أي أن يعلم المعلم بشكل مباشر، حيث يعرض خطته مبتدئاً بالأهداف، ثم إجراءات التنفيذ.

ج- **المشاركة الثنائية:** بأن يقوم المعلم بتقسيم المتعلمين إلى مجموعات ويوزع الأدوار بينهم، ثم يمر بينهم للتأكد من أن كل واحد منهم قائم بدوره (الأحمدي، ٢٠١٢، ص ١٦)، هذا يؤكد ضرورة استعمال الاستراتيجيات الحديثة في تنمية مهارات القراءة بمستوياتها المختلفة، وضرورة توعية المعلمين بأهمية هذه الاستراتيجيات وعقد دورات تدريبية يتم التأكيد فيها على أهمية تعليم مهارات القراءة وبخاصة القراءة الإبداعية، لما لها من تأثير ملموس في عمليات التفكير العليا.

رابعاً : مهارة الكتابة ودورها في التواصل اللغوي:

الكتابة مهارة متعلمة يمكن أن يتقنها المتعلم بوصفها نشاطاً ذهنياً يقوم على التفكير، وهي كأي عملية معرفية تتطلب إعمال التفكير، وتحتاج إلى جهد كبير، وتتميز هذه اللغة المكتوبة في أنها صيغت على درجة عالية من التعقيد، ذلك لأنها تتضمن التعبير الكتابي والتهجئة والكتابة اليدوية وهذه المحاور تتكامل مع بعضها بعضاً لتشكيل المهارة الكلية للكتابة (رشيد، ٢٠١٣، ص ٢٤) ولكل مهارة لغوية مكانتها الخاصة من الأهمية والاهتمام، إلا أن مهارة الكتابة تعد الغاية النهائية من تعليم اللغة، فاللغة يتعلمها المتعلم استماعاً وتحدثاً وقراءة، وحين يتعلم التهجي والخط، إنما يقصد من وراء ذلك كله جعله قادراً على التعبير عما يعرف، وعما يجول في خاطره وعما يعتل في نفسه من أحاسيس ومشاعر، هذا فيما يتعلق بالبعد اللغوي، أما في البعد المعرفي فيكسب المتعلم عند الكتابة الطلاقة اللغوية، والقدرة على بناء الفقرات وترتيبها وعمقها واطرقتها (العبيدي، ٢٠٠٩، ص ٤٢).

١- أهمية مهارة الكتابة: تبرز أهمية الكتابة لدى المتعلمين في حجرة الدراسة، ذلك لأن المتعلم يحتاج إليها في توظيف كل معارفه ومهاراته التي اكتسبها فيها يسجل معلوماته، وعما يجول في خاطره ويعبر عما في نفسه من مشاعر واحاسيس، فهي وسيلة من وسائل دراسة اللغة وترقية المهارات اللغوية الاخرى فهي تعتمد عليها وتستفيد منها، وعن طريق الاستماع والتحدث والقراءة يكتسب الدارس قدرة على الاستعمال المناسب للغة وتركيبها، لذلك نستطيع القول بأن ممارسة الكتابة بشكل فعال، والاستفادة منها كمهارة لغوية أمر مرهون بممارسة المهارات الأخرى، فهي وسيلة من وسائل التعلم، وأداة من أدوات الإنسان في الاتصال مع الآخرين والتعبير عن النفس.

٢- دور مهارة الكتابة: يتطلع كل متعلم لأن يكتب، كما يتحدث ويقرأ بلغة عربية فصيحة سليمة، والكتابة تساعده على استعمال المفردات والتراكيب في التعبير عما يريد، كما انها تساهم في تعميق مهارات اللغة الأربع وتجويدها، وقد ذكر كثير من علماء تدريس اللغات أن المتعلمين الذين يقضون وقتاً كافياً في تعلم الكتابة، تكون لديهم معلومات وافية عن هذه اللغة، ويتمكنون من توظيف المعلومات بها، مما يسهل عليهم استعمالها استعمالاً صحيحاً، كما ان خبراء القراءة ينظرون إلى الكتابة كنشاط مرغوب فيه من وجهة نظرهم، فعندما يركز المتعلم على شكل الكلمات والعبارات تساعده الكتابة على التمييز وبناء القدرة على تذكر الأشكال الكتابية وعلاقاتها، مما يسهل عملية القدرة على الأداء والتواصل مع الآخرين بفعالية (زكريا، ١٩٩٩، ص ١٨).

٣- دور المعلم في تدريس الكتابة: المعلم شريك المتعلم في عملية الكتابة، فهو يساعد على ترتيب افكرهم، واختيار مفرداتهم وترتيب جملهم، كما يشجعهم على الاستفسار في كل مرحلة من مراحل الكتابة، ليصار الى كتابة الموضوع المطلوب كتابته بلغة صحيحة سليمة خالية من الأخطاء اللغوية. وبإمكان معلم اللغة العربية ان يؤدي دوراً كبيراً في تنمية مهارات الكتابة لدى متعلميه من خلال:

أ- تنمية مهارات الربط بين الكلمات التي سبق أن درسوها والكلمات الجديدة مما يعمق بنى المتعلمين المعرفية،

ب- تنمية مهاراتهم في التحليل والتركيب وصولاً للإبداع وبهذا تحدث جودة تعليم وتعلم مهارات الكتابة،

ت- توافر البيئة الصالحة للتعليم والتعلم داخل الحجرة الصفية، مما يؤدي الى زيادة الدافعية والاستمتاع بتعلم الكتابة .

ث- زيادة تفاعل المتعلمين معه وتوافر تعلم نشط لهم مما يزيد من كتابتهم في تعلمهم الكتابة -تنمية مهارات التعبير الكتابي من خلال استعمال الصور والتعبير عنها بجمل مناسبة .

ج- زيادة فرص التفاعل بينه وبين المتعلمين أنفسهم في أثناء تنفيذ التدريبات الكتابية داخل الحجرة الصفية (السيد محمد، ٢٠٠٥، ص ١٦)

٤- **كيفية تنمية مهارة الكتابة:** ليرتقي معلم اللغة العربية بلغة متعلميه عليه أن: ينمي لديهم مهارات الكتابة، وذلك من خلال استعمال أساليب التدريب المباشرة عن طريق الاستماع والرؤية البصرية والكتابة. ومراعاة التنوع في هذه الأساليب والعمل على استخدام مفردات من بيئة المتعلمين وتوظيفها، بالإضافة إلى ممارسة التدريب بشكل دائم ومستمر، وبخاصة في الصفوف الأولى من مرحلة التعليم الأساسي، والتركيز على النطق الصحيح لمخارج الحروف، وربط الإملاء مع باقي فروع اللغة والعلوم، وتفعيل مشروع فكرة الإملاء اليومي في علاج الضعف الإملائي، والاهتمام بالتعبير الكتابي، فضلاً عن التعاون المثمر بين المعلم وأولياء الأمر للعمل على تنمية هذه المهارة ودعمها بالتدريبات الكتابية التي تغنيها، وتساعد على اتقانها، وتؤسس للغة عربية سليمة فصيحة (النعيمي ٢٠١٣، ص ١٠).

٥- **وسائل التدريب على مهارة الكتابة لمعلم اللغة العربية:** تعد الأنشطة الصفية واللاصفية امتداداً للمقررات الدراسية، وميداناً عملياً لما يقدم للمتعلمين داخل الحجرة الصفية، ومصدراً غنياً للدافعية في التعلم من خلال إثارة مواقف تكون مصدراً للتعلم، وتظهر آثار هذه الأنشطة على المتعلمين، و يتمكنون بممارستها من

الانتفاع باللغة العربية عملياً، وبخاصة في مجالات التعبير الكتابي الوظيفي، كما يتمكنون من تنمية مهاراتهم الكتابية وتطويرها، وهي تعد خبرات مرافقة ومتممة ومكملة للخبرات اللغوية في مهارة الكتابة التي تقدم إليهم داخل الحجرة الصفية، وذلك من خلال ممارسة الأنشطة الكتابية، التي على درجة من الأهمية، و تساهم مساهمة فعالة في تنمية مهارة الكتابة وتطويرها لدى المتعلمين، كما انها تحقق اهداف المقررات الكتابية الدراسية، وتتيح لهم فرصة التدريب على توظيف ما اكتسبوه من مهارات كتابية توظيفاً صحيحاً ناجحاً في مواقف طبيعية وعملية (القبيشي، ٢٠٠٣، ص ١٤)، أما مدخل عمليات الكتابة فهو من المداخل الحديثة والمميزة التي أثبتت نجاحها في تحسين مهارات التعبير الكتابي لدى المتعلمين، و يهدف الى تنمية وعيهم بكيفية استنتاج الفكر، ومراجعة بنيتها المعرفية ومعلوماته وفكره، وترجمتها إلى كلام داخلي، ثم إلى كلام مكتوب ، (العبيدي، ٢٠٠٩، ص ٢٦).

العلاقة بين مهارات اللغة العربية ودورها في التواصل اللغوي

ان العلاقة بين مهارات اللغة العربية تكاد تكون علاقة تفاعلية وتتربط هذه العلاقة لتنشئ تواصلاً فعالاً ونشطاً بين المعلم وبين المتعلمين أنفسهم، و تتمثل العلاقة بين الاستماع والقراءة في ان كليهما يشمل استقبلاً للفكر من الآخرين، ولكي يكون المتعلم قادراً على إدراك الكلمات والجمل والعبارات المطبوعة، فإنه لابد أن يكون قد استمع إليها منطوقة بطريقة صحيحة، فالفهم في القراءة يعتمد على فهم القارئ لغة الكلام ، وان المهارات المكتسبة في الاستماع هي أيضاً أساساً للنجاح في تعلم القراءة لذا يعد إهمال الاستماع سبباً من أسباب ضعف المتعلمين في القراءة وتعد الكلمات الأكثر سهولة في القراءة هي الكلمات التي سمعها المتعلم وتكلم بها من قبل (مدكور، ٢٠٠٣، ص ١٢٥)، وتتضح العلاقة بين الاستماع والتحدث في أنهما ينموان ويعملان معاً بالتبادل ويكمل أحدهما الآخر، و ان النمو في أحدهما يعني النمو في الآخر، وبالتدريب يحصل المتعلم على كفاية فيهما، كما أن فرص تعلم الاستماع، توجد في كل مواقف الحديث، فهناك علاقة بينهما يمكن تصورها على أنها علاقة تفاعلية

(يوسف، ٢٠١٠، ص ٢١٧) "والاستماع الجيد عامل أساسي في القدرة على الكلام، بحيث لا يستطيع المتعلم أن ينطق الكلمات نطقاً سليماً إلا إذا استمع إليها جيداً، وتوجد علاقة بين مهارات الاستماع ومهارات الكتابة، لأن إتقان الكتابة يعتمد أساساً على الاستماع الجيد، الذي يمكن المتعلم من التمييز بين الحروف والاصوات ولاشك بأن المستمع الجيد يستطيع ان يزيد من ثروته اللغوية والفكرية والثقافية، فيزداد تعبيره غنى وثروة، وعلى الرغم من أن التحدّث فن تعبيرى والقراءة فن استقبالي إلا أن هناك علاقة كبيرة بين التحدّث والقراءة، فكل منهما يؤثر في الآخر ويتأثر به، و يؤدي الضعف في التحدّث الى ضعف في القدرة على القراءة ومن ثم على الكتابة" (مذكور، ٢٠٠٣، ص ١٢٦) ، "اما العلاقة بين القراءة والكتابة فعلاقة وثيقة، لأن الكتابة تعزز التعرف إلى الكلمة والإحساس بالجملة، وتزيد من ألفة المتعلمين بالكلمات، وكثير من الخبرات في القراءة تتطلب مهارات كتابية ومعرفتها بواسطة القارئ تزيد من فاعلية قراءته، ومن جانب آخر فإن المتعلمين غالباً لا يكتبون كلمات وجمالاً لم يتعرفوا إليها من خلال القراءة فمن خلال الكتابة قد يتعرف المتعلم إلى الهدف أو الفكرة التي يريد التوصل بها إلى القراءة، فالكتابة تشجع المتعلمين على الفهم والتحليل والنقد لما يقرؤون ، وبالنهاية لا يعدو أن يكون الاتصال اللغوي بين متكلم ومستمع، أو بين كاتب وقارئ، ويبقى للغة مهارات أربع هي: الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة" (ابو لبن، ٢٠١١، ص ٢٤).



المصادر

أولاً: المصادر العربية :

القرآن الكريم :مصحف المدينة المنورة، وزارة الحج والأوقاف، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية،(١٩٩٣م- ١٤١٣هـ).

١- ابن الرومي، ابي الحسن علي بن عباس بن جريح :ديوان ابن الرومي.تحقيق د.حسين نصار ،ط٣، ج ١ ،باب الثاء،دار الكتب والوثائق القومية ،القاهرة ٢٠٠٣م.

٢- ابن جني ،أبو الفتح عثمان :الخصائص، ج ١، مطبعة الهلال، القاهرة، مصر، ١٩١٣م.

٣- ابن منظور، ابو الفضل محمد بن مكرم توفي(٥٧١١هـ): لسان العرب. ط١، ج٤، باب وصل ،دار صادر ، بيروت ، ٢٠٠٣م.

٤- ابو القمبز، محمد هشام: فن التواصل مع الاخرين، الجامعة الاسلامية، غزة، فلسطين، ٢٠٠٩م.

٥- ابو شنب ،ميساء احمد :مشكلات التواصل اللغوي التي تواجه معلمي اللغة العربية في مرحلة التعلم الاساسي في الجمهورية العربية السورية .(اطروحة دكتوراه غير منشورة)

سوريا ، دمشق ، ٢٠١١م.

٦- ابو لبن، وجيه المرسي: مهارات الاستماع اللازمة- مفهومها، اهميتها، اهداف تدريسها، اساليب تنميتها، جامعة الازهر، القاهرة، مصر، ٢٠١١م.

٧- أبو ملوح، محمد يوسف : الاتصال التربوي، مركز القطان، غزة، فلسطين، ٢٠٠٩م.

٨- الأحمدى، مريم محمد عايد: "فاعلية استعمال استراتيجيات ما وراء المعرفة في تنمية مهارات القراءة الابداعية"، المجلة الدولية للابحاث التربوية، ٢٠١٢م.

- ٩- الأسطل ،أحمد رشاد مصطفى :مستوى المهارات القرائية والكتابية لدى طلبة الصف السادس ، (رسالة ماجستير غير منشورة)، الجامعة الاسلامية غزة، ٢٠١٠م.
- ١٠- إسماعيل، محمود عطية: نظريات فسّرت اكتساب اللغة، جامعة المنوفية، المنوفية، مصر، ٢٠١٢م.
- ١١- أوكان، عمر: مدخل لدراسة النص بالسلطة، البيضاء، ليبيا، (افريقيا الشرق)، ١٩٩١م.
- ١٢- بشارة، جبرائيل: "ادماج بعض المهارات الحياتية المعاصرة في مناهج التعليم." مؤتمر نحو استثمار أفضل للعلوم التربوية والنفسية في ضوء تحديات العصر من ٢٥-٢٧ تشرين الاول، ٢٠٠٩م.
- ١٣- البشري، إسماعيل: مدخل التواصل اللغوي، معهد جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، الرياض، السعودية، ٢٠٠٧م.
- ١٤- البصيص، حاتم حسين: تنمية مهارات القراءة والكتابة، جامعة حمص، سورية ، ٢٠٠٧م.
- ١٥- تركستاني، أحمد بن سيف الدين :مدخل الى الاتصال الانساني، جامعة الملك عبد العزيز، الرياض، السعودية، ٢٠٠٧م.
- ١٦- الحبيب، طارق بن علي: كيف تحاور (دليل عملي للحوار)، مؤسسة حورس الدولية، الاسكندرية، مصر، ٢٠١٠م.
- ١٧- حجاب، محمد منير: مهارات الاتصال للاعلاميين التربويين والدعاة، جامعة جنوب الوادي، سوهاج، مصر، ٢٠٠٠م.
- ١٨- حسن، حمدي ابراهيم: رؤية حول مفهوم التواصل اللغوي، جامعة الازهر، القاهرة، مصر، ٢٠١١م.
- ١٩- الحوسنية، عفراء علي: الاستماع والتحدث - الواقع والمشكلات، جامعة السلطان قابوس، عُمان، سلطنة عُمان، ٢٠١٣م.

- ٢٠- خاطر، محمد رشدي وآخرون: طرق تدريس اللغة العربية، التربية، الدينية في ضوء الاتجاهات الحديثة، ط١، دار المعرفة، القاهرة، مصر، ١٩٨١م.
- ٢١- رشيد، إبراهيم: صعوبات تعلّم الكتابة، وزارة التربية والتعليم، عمّان، الأردن، ٢٠١٣م.
- ٢٢- زكريا، إبراهيم: طرق تدريس اللغة العربية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، ١٩٩٩م.
- ٢٣- السفيناني، احمد فريقي بن عبد الرحمن: "التواصل التربوي واللغوي في العملية التعليمية"، (رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب، ٢٠٠٤م.
- ٢٤- السليطي، حمدة: "خطة مقترحة لتنمية مهارة الاستماع في اللغة العربية لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية بدولة قطر" (رسالة ماجستير غير منشورة)، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الدوحة، قطر، ٢٠٠٦م.
- ٢٥- السيد محمد، فايزة، وآخرون: "فعالية التدريس المنظومي في تنمية مهارات القراءة والكتابة لدى تلاميذ الصف الاول الابتدائي"، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر، ٢٠٠٥م.
- ٢٦- طعيمة، رشدي احمد، مناع، محمد السيد: تدريس العربية في التعليم العام (نظريات وتجارب)، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ٢٠٠١م.
- ٢٧- عامر، عادل: مفهوم مشكلة البحث العلمي، الجمعية الدولية للمترجمين واللغويين العرب، واتا/انديانا، الولايات المتحدة الاميركية، ٢٠٠٩م.
- ٢٨- عبد الباري، ماهر شعبان: مهارات الاستماع النشط، ط١، دار المسيرة، عمّان، الأردن، ٢٠١١م.
- ٢٩- عبد العزيز، سامي: مهارات الاتصال، جامعة القاهرة - كلية الاعلام، القاهرة، مصر، ٢٠١١م.
- ٣٠- العبيدي، خالد خاطر سعيد: "فاعلية نشاطات قائمة على عمليات الكتابة في تنمية مهارات كتابة القصة لدى تلاميذ الصف الاول المتوسط"، (رسالة

دكتوراه غير منشورة)، كلية التربية، جامعة ام القرى، مكة المكرمة، السعودية، ٢٠٠٩م.

٣١- القبيشي، محمد عبد الرحمن: "الانشطة الكتابية غير الصفية وعلاقتها بتنمية مهارة الكتابة لدى متعلمي اللغة العربية من غير الناطقين بها"، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، الرياض، السعودية، ٢٠٠٣م.

٣٢- قورة، علي، المرسي، وجيه، سنجي، سيد: "مهارات الاستماع اللازمة مفهوما، اهميتها، اهداف تدريسها، اساليب تنميتها"، جامعة الازهر، القاهرة، مصر، ٢٠١١م.

٣٣- الكندري، عبد الله عبد الرحمن، عطار، ابراهيم محمد: "تعليم اللغة العربية في المرحلة الابتدائية"، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٩٩٣م.

٣٤- مذكور، علي احمد: "التربية وثقافة التكنولوجيا" ط (٣)، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ٢٠٠٣م.

٣٥- مشدود، علي عبد الله علي: "العلاقة بين اتقان تلاوة القرآن ومستوى اول مهارات القراءة الجهرية"، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة صنعاء، صنعاء، ٢٠٠٨م.

٣٦- ملحم، سامي محمد: "مناهج البحث في التربية وعلم النفس"، دار المسير للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ٢٠٠٠م.

٣٧- منتدى العلم والتعليم: "مفهوم الاتصال، عناصره، اهدافه، انواعه"، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، الجزائر، ٢٠١١م.

٣٨- النصّار، صالح عبد العزيز: "تعليم الاطفال القراءة: دور الاسرة والمدرسة"، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية، ٢٠٠٣م.

٣٩- النعيمي، مريم حمد: "مشروع تربوي للارتقاء بمستوى التحصيل في مهارة الكتابة (اساس تعلم اللغة العربية)"، وزارة التربية والتعليم، المنامة، البحرين، ٢٠١٣م.

- ٤٠ - الهاشمي، عبد الرحمن وفائزة محمد فخري: "فن الكتابة". دار
الاعصار، عمان، ٢٠١٠م.
- ٤١ - والي، فاضل فتحي محمد: "تدريس اللغة العربية الابتدائية، طرقه، اساليبه،
قضاياها"، ط١، دار الأندلس، جدة، السعودية، ١٩٩٨م.
- ثانياً : مصادر الانترنت :**
- ٤٢ - الخميس، عبد الرحمن بن صالح: "فن الاستماع وطرق تدريسه"، ٢٠١٠م.
Feb5//http. Wwwfaculty.mu.edu.sa.com-
- ٤٣ - لقلعي، عبد النور: "البعد التواصلی للغة"، ٢٠١٢م
Wwwvoiceo. Farabic.net.feb4//http.
- ٤٤ - منتديات الجفر الثقافية: "كيف تحسن من طرق القراءة"، ٢٠٠٧م.
Wwwalseraj.net//http.
- ٤٥ - الناجي، محمد: "التواصل اللغوي والمجتمع"، ٢٠٠٨م
www.droob.com//http.
- ٤٦ - يوسف، محمد، اولحوس، الحسن: "التواصل داخل الفصل الدراسي"، ٢٠١٠م.
.com//http. www.docs.google

المسائل الفقهية لعقوبة الجلد تعزيرا

أ.م.د. جاسم مبارك مشوح

الجامعة العراقية / كلية الآداب

الملخص

إن الشريعة الإسلامية شريعة مطهرة كاملة ضمنت مصالح البشرية في دنياها وأخرائها. وهي الصراط المستقيم الذي من سار عليه نجا ومن حاد عنه وسار في طريق آخر سواه هلك وخسر، بعيدة عن الجور والظلم. كفيلة بعلاج مشاكل المجتمع والأخذ بيدها إلى ما فيه سعادتها وفلاحها. وقد وفق الله ممن اختارهم من الفقهاء المخلصين صفوة بذلوا جهودهم. وسخروا أقلامهم لخدمتها وإبراز محاسنها وشرح أحكامها. وبيان معانيها وإحاطتها بجميع شؤون الناس في العقائد والعبادات والمعاملات والسياسة والحكم وغير ذلك. وإنها هي المنظمة لصلة الأفراد في داخل الأمة. وصلة الأمة بغيرها في حالة السلم والحرب .

لقد رأيت من خلال المطالعة في كتب الفقه أن عقوبة التعزير جلدا من الأمور المهمة التي ينبغي أن تدرس بشكل مفصل، وتعرض بأسلوب سهل وبلغه العصر حتى لا ندع مجالا لأعداء الإسلام للطعن بشريعة الإسلامية. وهم يصفون عقوبة التعزير بالجلد بالعمل الوحشي والقاسي والإرهابي وأنه لا يليق بحقوق الإنسان .لأنهم لم يعرفوا المسائل الفقهية التي تتعلق بهذه العقوبة التعزيرية، التي سوف أوضحها في ثنايا هذا البحث لأبين أن النظم التي سنها الإسلام لا تزال برونقها وصفائها أعدل من كل ما توصل إليه العقل البشري من نظم .

Abstract

The Islamic Sharia law disinfectant ensured full human interests in the worldly and the latest being. A straight path from which he escaped and walked him sharp and walked in the way last else perished and lost, far from oppression and injustice. Capable of treating the problems of society and taking her by the hand to the happiness and Flahaa. May God who has been hand-picked from scholars loyal elite have made their efforts. And they mocked their pens to serve and to highlight its beauty and explain its provisions. And the meanings and enclosed all the people in the affairs of beliefs and worship and transactions, politics, governance and so on. And it is the organization to link individuals within the nation. Link to other nation in the event of war and peace.

I have seen through reading the books of fiqh that the death discretionary skin of the important things that should be examined in detail, and offers easy manner and the language of the times so as not to let the room for the enemies of Islam to challenge the Islamic law of. They describe the death discretionary skin and brutal and cruel terrorist act and that he is not worthy of human rights. lonhm did not know doctrinal matters relating to the death penalty punitive, that will be clarified in the course of this research to show that the regulations enacted by Islam still Brongaha and serenity fairest of all the findings of the mind of human systems.

مُقَدِّمَةٌ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ^(١) .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي سَاءَ لَوْ نَبَهُءُ وَالْأَرْحَامُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ ^(٢) .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ ^(٣) .

إن الشريعة الإسلامية شريعة مطهرة كاملة ضمنت مصالح البشرية في دنياها وأخراها. وهي الصراط المستقيم الذي من سار عليه نجا ومن حاد عنه وسار في طريق آخر سواه هلك وخسر، بعيدة عن الجور والظلم. كفيلة بعلاج مشاكل المجتمع والأخذ بيدها إلى ما فيه سعادتها وفلاحها. وقد وفق الله ممن اختارهم من الفقهاء المخلصين صفوة بذلوا جهودهم. وسخروا أقلامهم لخدمتها وإبراز محاسنها وشرح أحكامها. وبيان معانيها وإحاطتها بجميع شؤون الناس في العقائد والعبادات والمعاملات والسياسة والحكم وغير ذلك. وإنها هي المنظمة لصلة الأفراد في داخل الأمة. وصلة الأمة بغيرها في حالة السلم والحرب .

لقد رأيت من خلال المطالعة في كتب الفقه أن عقوبة التعزير جلدا من الأمور المهمة التي ينبغي أن تدرس بشكل مفصل، وتعرض بأسلوب سهل وبلغة العصر حتى لا ندع مجالا لأعداء الإسلام للطعن بشريعة الإسلامية. وهم يصفون عقوبة التعزير بالجلد بالعمل الوحشي والقاسي والإرهابي وأنه لا يليق بحقوق الإنسان .لأنهم لم يعرفوا المسائل الفقهية التي تتعلق بهذه العقوبة التعزيرية، التي سوف أوضحها في ثنايا

هذا البحث لأبين أن النظم التي سنّها الإسلام لا تزال برونقها وصفائها أعدل من كل ما توصل إليه العقل البشري من نظم .

لهذا رأيت — وبالله أستعين — أن يختص هذا البحث في بيان وجمع المسائل الفقهية الأساسية لعقوبة الجلد تعزيراً في الفقه الإسلامي، والذي أتمناه أن يحصل قارؤه على فائدة كبيرة تسهل عليه معرفة أحكام التعزير بالجلد والإطلاع عليها بسهولة ويسر .

لقد اقتضت متطلبات البحث تقسيمه على هذه المقدمة وتمهيد وثلاثة مطالب وخاتمة :
تمهيد:

المطلب الأول: تعريف التعزير والجلد لغة واصطلاحاً . المطلب الثاني: مشروعية الجلد في التعزير. المطلب الثالث: المسائل الفقهية المتعلقة بعقوبة الجلد تعزيراً . المسألة الأولى: مقدار الجلد في عقوبة التعزير . المسألة الثانية: آلة الجلد في التعزير . المسألة الثالثة: صفة الجلد ومكان الجلد من الجسم . المسألة الرابعة: كيفية جلد الرجل والمرأة . المسألة الخامسة: كيفية مسك السوط . المسألة السادسة: تأخير الجلد لعذر . المسألة السابعة: مكان التعزير جلداً. المسألة الثامنة: الإسراف في التعزير . المسألة التاسعة: ولاية التأديب .

ولعلي أكون بهذه البحث قد حققت ما قصدت إليه، وأمطت اللثام عن المسائل المتعلقة بعقوبة الجلد تعزيراً في الفقه الإسلامي، وأسأل الله أن ينفعني به وقارؤه وناشره، وأن يغفر لي ما عسى أن يكون به من زلات الفكر والقلم، وأن يجعلنا من أهل الإخلاص في متابعة شريعته المترقين في مدارج السالكين، ومنازل السائرين من أهل سنته، انه سميع مجيب .

تمهيد

عقوبة الجلد تعزيراً

جرائم التعزير كثيرة لا تعد، تتجدد بمر الأيام، واختلاف السنين، وإحداث الناس، يجمعها ضابط التعزير عند الفقهاء، يقول ابن تيمية: " وأما المعاصي التي ليس فيها حد مقدر ولا كفارة، كالذي يقبل الصبي والمرأة الأجنبية، أو يباشر بلا جماع، أو يأكل ما لا يحل، كالدم والميتة، أو يقذف الناس بغير الزنى، أو يسرق من غير حرز ولو شيئاً يسيراً، أو يخون أمانته، كولاية أموال بيت المال، أو الوقوف، ومال اليتيم، ونحو ذلك إذا خانوا فيها، وكالوكلاء والشركاء إذا خانوا، أو يغش في معاملته، كالذي يغش في الأطعمة والثياب ونحو ذلك، أو يطفف المكيال والميزان، أو يشهد بالزور، أو يلغن شهادة الزور أو يرتشي في حكمه، أو يحكم بغير ما أنزل الله، أو يتعزى بعزاء الجاهلية، أو يلبي داعي الجاهلية، إلى غير ذلك من أنواع المحرمات. فهؤلاء يعاقبون تعزيراً وتكديلاً وتأديباً، بقدر ما يراه الوالي، على حسب كثرة ذلك الذنب في الناس وقتله، فإذا كان كثيراً زاد في العقوبة، بخلاف ما إذا كان قليلاً، على حسب حال المذنب، فإذا كان من المدمنين على الفجور زيد في عقوبته، بخلاف المقل من ذلك. وعلى حسب كبر الذنب وصغره، فيعاقب من يتعرض لنساء الناس وأولادهم، أكثر مما يعاقبه من لم يتعرض إلا لمرأة واحدة، أو صبي واحد " (٤) .

إلا أن الفقهاء رحمهم الله لم يفصلوا في ذكر العقوبات التعزيرية لأن بعضها واضحة لا تحتاج إلى تفصيل؛ مثل: نزع العمامة، والإقامة من المجلس، والزجر، والصفع.... بينما فصلوا في العقوبات التي تحتاج إلى تفصيل مثل: الجلد، القتل، النفي، الصلب، السجن، وسوف يتضمن هذا البحث المسائل الفقهية التي لها علاقة بعقوبة الجلد فقط .

الطلب الأول

تعريف التعزير والجلد لغة واصطلاحاً

التعزير لغة: مصدر عزز بتشديد الزاي وهو من أسماء الأضداد حيث يطلق على اللوم والتأديب والمنع. ومنه قول الشاعر:

وليس بتعزير الأمير خزايةً عليّ إذا ما كنتُ غيرَ مُريبٍ^(٥)

ويطلق على التوقيف على باب الدين قال الأزهري: وحديث سعد يدل على أن التعزير هو التوقيف على الدين لأنه قال لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لنا طعاماً إلا الحَبْلَةُ وورق السمُر ثم أصبحت بنو سعد تُعزِّرني على الإسلام لقد ضللت إذا وخاب عملي تُعزِّرني على الإسلام أي توقفتني عليه وقيل توبخني على التقصير فيه والتعزيرُ التوقيفُ على الفرائض والأحكام .

كما يطلق على النصره والتعظيم ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُقَقِّرُوهُ﴾^(٦) .

أي لتُصَرِّوه بالسيف واللسان ومن نصر النبي صلى الله عليه وسلم فقد نصرَ الله عزَّ وجل وعزَّرْتُمُوهم عَظَّمْتُمُوهم وقيل نصرْتُمُوهم قال إبراهيم بن السري وهذا هو الحق والله تعالى أعلم وذلك أن العزَّزَ في اللغة الرَّدُّ والمنع . والنُصرة إذا وجبت فالتعظيم داخلٌ فيها لأن نصرة الأنبياء هي المدافعة عنهم والذب عن دينهم وتعظيمهم وتوقيرهم^(٧) .

وفي الاصطلاح: العقوبة المشروعة على جناية لا حد فيها ولا كفارة وقد شرعت حقاً الله تعالى أو للأفراد والغرض من مشروعيتها ردع الجاني وزجره وإصلاحه وتأديبه كما صرح به الفقهاء^(٨) .

الجلد لغة: ظاهر البشرة، قال الأزهري: الجلد غشاء جسد الحيوان، والجمع جلود، قال الله تعالى: ﴿كَمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلَتْهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾^(٩) . وقد يجمع على أجلاذ. وسمي الجلد جلداً لأنه أصلب من اللحم، من الجلد وهو صلابة البدن^(١٠) . وهو في الاصطلاح: لا يخرج عن المعنى اللغوي فهو ضرب الجلد بما يؤلم .

المطلب الثاني مشروعية الجلد في التعزير

ليس أصل العقاب غاية مقصودة لذاتها في مفهوم الإسلام، وليس هو أولى وسائل الإصلاح والتهذيب الفردي والجماعي، وإحداث التغيير الجذري في حياة الناس والمجتمع، وإنما هو آخر الوسائل إذا استعصت الحلول، كما أن آخر الدواء الكي في عرف العرب في الماضي. لذا جاءت النصوص لتشريع الجلد تعزيراً، لحكمة هي زجر الناس وردعهم عن اقتراف الجرائم الموجبة لها، وصيانة المجتمع عن الفساد، وتخليص الإنسان من آثار الخطيئة، وإصلاح الجاني. ولقد أثبت التاريخ أن المجتمع الإسلامي عندما طبق الشريعة، عاش آمناً مطمئناً على أمواله وأعراضه ونظامه، حتى إن المجرم نفسه كان يسعى لإقامة الحد عليه، رغبة في تطهير نفسه، والتكفير عن ذنبه^(١١).

الأدلة على مشروعية الجلد في التعزير :

أولاً: قول الرسول صلى الله عليه وسلم: لَا يُجْلَدُ أَحَدٌ فَوْقَ عَشْرَةِ أَسْوَاطٍ، إِلَّا فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى^(١٢).

ثانياً: لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن التمر المعلق^(١٣)، فقال: مَنْ أَصَابَ مِنْهُ بِفِيهِ^(١٤) مِنْ ذِي حَاجَةٍ غَيْرَ مُتَّخِذٍ خُبْنَةً^(١٥) فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ، وَمَنْ خَرَجَ بِشَيْءٍ مِنْهُ فَعَلَيْهِ غَرَامَةٌ مِثْلِيهِ وَالْعُقُوبَةُ، وَمَنْ سَرَقَ مِنْهُ شَيْئاً بَعْدَ أَنْ يُؤْوِيَهُ الْجَرِينُ^(١٦) فَبَلَغَ ثَمَنَ الْمَجْنِ^(١٧) فَعَلَيْهِ الْقَطْعُ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ^(١٨).

ثالثاً: وقد طبق عقوبة التعزير الخلفاء الراشدون ومن بعدهم من الحكام، ولم ينكر عليهم أحد^(١٩).

رابعاً: أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه: (أَنَّ امْرَأَةً تَزَوَّجَتْ فِي عَدَّتِهَا فَضَرَبَهَا عَمْرُ تَعْزِيرًا دُونَ الْحَدِّ)^(٢٠).

المطلب الثالث

المسائل الفقهية المتعلقة بعقوبة الجلد تعزيراً

المسألة الأولى: مقدار الجلد في التعزير

لا خلاف بين جمهور الفقهاء في أن التعزير بالجلد ليس له حد أدنى^(٢١)، وقال الحنفية أقل التعزير بالجلد: ثلاث جلدات. نقل ذلك صاحب رد المحتار عن القدوري، وضعفه ابن عابدين: واختار أنه غير مقدر بعدد^(٢٢) وهو الرأي الراجح فيما يبدو لي لأن الأمر يرجع إلى الإمام فيقدر بقدر ما يراه مناسباً لأنه يختلف باختلاف الناس ولم يثبت عن النبي ﷺ أنه قدره. واختلفوا في مقدار الحد الأعلى للجلد تعزيراً على أربعة أقوال:

القول الأول: إن التعزير لا يزيد على عشر جلدات، وهذا هو الراجح من مذهب الحنابلة^(٢٣)، وبه قال بعض الشافعية^(٢٤) وإليه ذهب الظاهرية^(٢٥)، وبه قال إسحاق^(٢٦) والليث بن سعد^(٢٧) واختاره الشوكاني^(٢٨) والصنعاني^(٢٩) وابن دقيق العيد^(٣٠).

استدل أصحاب هذا القول بما يأتي :

أولاً: عن أبي بردة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يجلد فوق عشر جلدات إلا في حد من حدود الله»^(٣١). متفق عليه .
وجه الدلالة :

المراد بالحدود في الحديث الحدود التي قدرت شرعاً، كحد الزنا والقذف والسرقة، فعلى هذا يكون ما عداها من المعاصي هو الذي عقوبته مرتكبة التعزير، وهو من عشرة أسواط فأدنى^(٣٢).

وأجيب على الحديث بما يأتي :

(١) ذهب بعض العلماء إلى أن الحديث منسوخ، ودليل النسخ عندهم هو إجماع الصحابة على العمل على خلافه من غير نكير. قال الحافظ: "نعم لو ثبت الإجماع لدل على أن هناك ناسخاً"^(٣٣).

(٢) المراد بالحديث في قوله: (إلا حد من حدود الله) ليس المراد الحدود المقدرة شرعاً كالزنا والقذف، وإنما المراد بالحد الحكمية التي إما ترك واجب أو فعل محرم، وقد سمى الله أحكامه حدوداً، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَكْفُرُوا بِالْأَحْكَامِ الَّتِي هِيَ أَحْكَامُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ (٣٤) وقال تعالى في ختام آيات المواريث: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٣٥). وعلى هذا يكون المراد بالحد بالحديث الحكم، إن كان واجباً فيجلد حتى يقوم بالواجب، وإن كان محرماً فيجلد حتى يكف عن المحرم. وعلى هذا يكون دلالة الحديث: (لا يجلد أحد فوق عشرة أسواط إلا في حد ...) المراد بذلك تأديب الصغير، والزوجة، والخادم، ونحوهم في غير معصية (٣٦).

(٣) تسمية العقوبات المقدرة حدوداً فهي اصطلاح حادث، وحديث أبي بردة المذكور في تأديب الرجل امرأته وولده وعبدته فإنه لا يزيد في ذلك على عشرة أسواط، وهذا رأي شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم (٣٧).

القول الثاني: إن التعزير بالجلد ليس له حد معين، بل هو موكول إلى الإمام مع مراعاة المصلحة التي لا يشوبها الهوى، وهو مذهب المالكية (٣٨)، وقول لأبي يوسف اختاره الطحاوي (٣٩).

استدل أصحاب هذا القول بما يأتي :

أولاً: فعل عمر رضي الله عنه في معن بن زياد لما زور كتاباً على عمر وأخذ به من صاحب بيت المال مالا، إذ جلده مائة، ثم مائة أخرى، ثم ثالثة، ولم يخالفه أحد من الصحابة رضي الله عنهم فكان إجماعاً، كما أنه ضرب صبيغ بن عسل أكثر من الحد (٤٠).

ثانياً: وروى أحمد بإسناده أن علياً رضي الله عنه أتى بالنجاشي قد شرب خمراً في رمضان فجلده ثمانين (الحد) وعشرين سوطاً، لفطره في رمضان (٤١).

ثالثاً: كما روي: أن أبا الأسود استخلفه ابن عباس رضي الله عنهما على قضاء البصرة فأتي بسارق قد جمع المتاع في البيت ولم يخرججه، فضربه خمسة وعشرين سوطاً وخلق سبيله (٤٢).

رابعا: وقالوا في حديث أبي بردة رضي الله عنه: لا يجلد أحد فوق عشرة أسواط إلا في حد من حدود الله ^(٤٣) إنه مقصور على زمن الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأنه كان يكفي الجاني منهم هذا القدر، وتأولوه على أن المراد بقوله: في حد، أي في حق من حقوق الله تعالى، وإن لم يكن من المعاصي المقدر حدودها لأن المعاصي كلها من حدود الله تعالى ^(٤٤).

خامسا: أن الجلد بالعشرة فما دون محمول على التأديب الصادر من غير الولاية ^(٤٥).

سادسا: جلد أبو بكر وعمر رجلا وجد مع امرأة في فراش مائة ^(٤٦).

القول الثالث: أن لا يبلغ بالتعزير أدنى الحدود، وهو مذهب الحنفية ^(٤٧) والشافعية ^(٤٨)، ورواية عند الحنابلة ^(٤٩).

استدل أصحاب هذا القول بما يأتي :

أولا: عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من بلغ حدا في غير حد فهو من المعتدين » رواه البيهقي ^(٥٠).

واجيب :

بأن البيهقي قال عنه المحفوظ مرسل، وكذلك رواه محمد بن الحسن في كتاب الآثار عن الضحاك بن مزاحم ^(٥١).

ثانيا: أن العقوبة على قدر المعصية، والمعاصي المنصوص على حد عقوبتها أعظم من غيرها، فلا يجوز أن يبلغ في أهون الأمرين عقوبة أعظمها ^(٥٢).

واجيب :

بأن خطورة المعصية وضررها على المجتمع يختلف باختلاف الأحوال والأزمنة، فتترك تقدير عقوبتها للقاضي، وقد يكون ضرر معصية أصغر من معصية الحد كبيرا في زمن أو حال، بحيث يكون أشد من ضرر معصية الحد.

القول الرابع: أن لا يبلغ في التعزير على معصية حدا مشروعا في جنسها، ويجوز أن يزيد على حد غير جنسها، وهذا قول للشافعية ^(٥٣) ورواية للحنابلة ^(٥٤)، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية ^(٥٥).

استدل أصحاب هذا القول بما يأتي :

أولاً: حديث النعمان بن بشير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من بلغ حداً في غير حد فهو من المعتدين » (٥٦) .

ثانياً: آثار وردت عن الصحابة منها:

أ- عبد الرزاق عن بن جريج قال رفع إلى عمر بن الخطاب أن رجلاً وقع على جارية له فيها شرك فأصابها فجلده عمر مئة سوط إلا سوطاً (٥٧) .

ب- حدثنا أبو بكر قال حدثنا حفص عن داود عن سعيد بن المسيب في جارية كانت بين رجلين فوق عليها أحدهما قال يضرب تسعة وتسعين سوطاً (٥٨) .

ت- أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما جلدا رجلاً وجد مع امرأة في فراش مائة جلدة (٥٩) .

ث- أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ضرب رجلاً دون المائة وجد مع امرأة في العتمة (٦٠) .

ج- أن ابن مسعود رضي الله عنه أتى برجل وجد مع امرأة في لحاف، فضربهما لكل واحد منهما أربعين سوطاً، فذهب أهل المرأة وأهل الرجل فشكوا ذلك إلى عمر بن الخطاب، فقال عمر لابن مسعود: ما يقول هؤلاء؟ قال: قد فعلت ذلك (٦١) .

الرأي الرابع :

الذي يبدو لي أن منشأ الخلاف بين الفقهاء اختلافهم في دلالة ما رواه البخاري ومسلم من طريق أبي بردة الأنصاري رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: « لا يجلد فوق عشر جلدات إلا في حد من حدود الله » (٦٢) . فذهب بعض الفقهاء إلى العمل بظاهر الحديث الصحيح، فلا تجوز حكم الزيادة في التعزير على عشر جلدات . وذهب الآخرون إلى تأويله، فقالوا بالجواز - وهو الرابع حيث حُمل الحديث على ضرب الرجل امرأته وعبد وولده وأجير، للتأديب ونحوه، فإنه لا يجوز أن يزيد على عشرة أسواط وقال العلامة ابن القيم فهذا أحسن ما خرج عليه الحديث (٦٣) والرأي الذي أميل له من دراسة هذه المسألة القول الثاني الذي يرى إن التعزير بالجلد

ليس له حد معين، بل هو موكول إلى الإمام مع مراعاة المصلحة التي لا يشوبها الهوى، لاختلافه باختلاف المعاصي وأحوال الناس ومراتبهم .

المسألة الثانية: آلة الجلد في التعزير

جاء في كتاب لسان العرب بعض معاني الآلة أنها ما اعتملت به من الأداة، يكون واحدا وجمعاً، ويفسرون الأداة بالآلة، ويقول ابن منظور^(٦٤) (إن أداة الحرب سلاحها..)

والآلة لا تخرج في اصطلاح الفقهاء وتعبيراتهم عن هذا المعنى اللغوي، وإنما يذكرونها في أبواب من الفقه لمناسبات يتعلق بالآلة فيها حكم شرعي، والذي يعيننا بيانه مما ورد مبعثراً في كتب الفقه في استعمال الفقهاء لكلمة آلة في التعزير .
لا خلاف بين الفقهاء على أن التعزير يكون بالسوط وغيره مما يراه ولي الأمر أو من يقوم مقامه كالضرب بالدرة والصفع بالكف مبسوطاً أو بجمع الكف أو بالحبس وبغير ذلك^(٦٥).

نص الأحناف والشافعية على أن سوط الحدود والتعازير يكون بين قضيب (أى غصن رقيق) وعصا غير معتدلة، وبين رطب ويابس، ليحصل به الزجر مع أمن الهلاك، ويمتنع بخلاف ذلك لما يخشى من شدة ضرره أو عدم إيلائه^(٦٦) .
وينص الحنابلة على أن آلة الجلد السوط الوسط الذى ليس بخلق ولا جديد وإن خيف من الوسط لم يتعين فيقام بطرف ثوب وعثول نخل^(٦٧) .
وجاء في الحاوي: فأما السوط في ضرب التعزير فإن لم يكن دون سوط الحد لم يكن فوقه " ^(٦٨) .

الذي يبدو لي من خلال دراسة اقوال الفقهاء ان آلة الجلد ينبغي ان تكون معتدلة بحيث لا تسبب ضرراً لان الضرب ليس غاية في ذاتية نما هو وسيلة الغاية منه تنبيه على الاخطاء لغرض الاصلاح .

المسألة الثالثة: صفة الجلد ومكان الجلد من الجسم

لا خلاف بين الفقهاء على أن الجلد تعزيراً يكون وسطاً؛ لا شديداً فيقتل، ولا ضعيفاً لا يردع^(٦٩)

اتفق الفقهاء على أنه لا يضرب على الوجه والمذاكير والمقاتل، لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه^(٧٠). وعن علي رضي الله عنه أنه قال للجلاد: "أعط كل عضو حقه واتفق الوجه والمذاكير .

ثم إن الوجه أشرف أعضاء الإنسان ومعدن جماله فلا بد من تجنبه خوفا من تجريحه وتقبيحه .

وأما عدم ضرب المقاتل فلأن في ضربها خطرا؛ ولأنها مواضع يسرع القتل إلى صاحبها بالضرب عليها، والقصد من الحد الردع والزجر لا القتل^(٧١) .

وقد ألقى جمهور الفقهاء الرأس بالوجه بالمعنى، واعتبروه من المستثنيات في الضرب، لأنه مجمع الحواس الباطنة، وبعدم ضربه جزم بعض الشافعية .

وقد ذهب جمهور الشافعية وأبو يوسف إلى أن الرأس لا يستثنى من الضرب؛ لأنه معظم (أي يحوى بالعظم) ومستور بالشعر فلا يخاف تشويهه، بخلاف الوجه، لما رواه ابن أبي شيبة أن أبا بكر أتى برجل انتفى من أبيه فقال للجلاد: " اضرب الرأس فإن فيه شيطانا^(٧٢) . ولا شك أن هذا (أي منع ضرب الوجه) ليس مرادا على الإطلاق لأننا نقطع أنه في حال قيام الحرب مع الكفار لو توجه لأحد ضرب وجهه من يبارزه وهو في مقابلته حال الحملة لا يكف عنه، إذ قد يمتنع عليه بعد ذلك ويقتله، فليس المراد إلا من يضرب ضربا في حد^(٧٣) .

وقال بعض الحنابلة وفي رواية عن أبي يوسف باتقاء البطن والصدر أيضا^(٧٤) .

واختلفوا في مكان موضع الضرب من الجسم على قولين :

القول الأول: أن الضرب يكون على الظهر والكتفين فقط في الحدود، وهذا قول جمهور المالكية^(٧٥) . وذكر الدسوقي قولاً آخر عند المالكية، وهو: أن محل الضرب في التعزير موكول إلى الإمام .

جاء في حاشيته: " قوله: بظهر؛ وكتفيه، أي: بخلاف التعزير، فينبغي أن يوكل محله للإمام "^(٧٦) .

ودليلهم:

قالوا: إنه ليس الغرض إتلاف الأعضاء، ومنها ما يخاف إفساده بالضرب فيه، والظهر أصل لذلك فكان محلا له (٧٧).

القول الثاني: أن الضرب يفرق على أعضاء الجسم، ويتقى المقاتل من الجسد، كالرأس، والوجه، والفرج، وغيرها، من الرجل والمرأة جميعا، وإلى هذا ذهب الحنفية^(٧٨) والشافعية^(٧٩) والحنابلة^(٨٠) والظاهرية^(٨١).

واستدلوا بما يلي :

أولا: حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه »^(٨٢).

ثانيا: قول علي رضي الله عنه للجلاد: اضرب، وأعط كل عضو حقه، واجتنب وجهه ومذاكيره^(٨٣).

قال النووي: قال العلماء: هذا تصريح بالنهاي عن ضرب الوجه، لأنه لطيف يجمع المحاسن، وأعضاؤه نفيسة لطيفة، أو أكثر الإدراك بها، فقد يبطلها ضرب الوجه وقد ينقصها، وقد يشوه الوجه؛ والشين فيه فاحش؛ لأنه بارز ظاهر لا يمكن ستره، ومتى ضربه لا يسلم من شين غالبا. ويدخل في النهي إذا ضرب زوجته، أو ولده، أو عبده، ضرب تأديب، فليجتنب الوجه^(٨٤).

ثالثا: وقول الرسول صلى الله عليه وسلم للصحابه في شأن الغامدية: « ارموا واتقوا الوجه »^(٨٥).

وإذا كان هذا في حق من تعين إهلاكه فمن دونه أولى^(٨٦).

القول الراجح:

والرأي الراجح فيما يبدو لي هو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء وهو أن يفرق الضرب على أعضاء الجسم، ويتقى المقاتل من الجسد، كالرأس، والوجه، والفرج، وغيرها، من الرجل والمرأة جميعا. لأن تفريق الضرب على البدن فيه زيادة زجر وتأديب، فيتألم كل عضو من أعضائه، والضرب على عضو واحد قد يعرضه للضرر أو التلف، وليس هذا القصد من التعزير.

المسألة الرابعة : كيفية جلد الرجل والمرأة

اختلف الفقهاء في كيفية جلد الرجل والمرأة على ثلاثة أقوال وهي:
القول الأول: أن الرجل يجلد قائماً والمرأة قاعدة، وهذا ما ذهب جمهور الفقهاء
من الحنفية^(٨٧)، والشافعية^(٨٨)، والحنابلة^(٨٩).
الأدلة :

استدل الجمهور بما يلي :

أولاً: فعل علي رضي الله عنه فقد كان يضرب الرجل قائماً والمرأة قاعدة^(٩٠).
ثانياً: وقيام الرجل حين الجلد وسيلة إلى إعطاء كل عضو حظه من
الضرب^(٩١).

ثالثاً: فأما المرأة فتضرب جالسة؛ لأنها عورة^(٩٢).
القول الثاني: أن رجل يجلد قاعداً، وإلى هذا ذهب المالكية^(٩٣).

دليلهم :

قالوا: يجلد الرجل قاعداً لأن الله تعالى لم يأمر بقيامه عند جلده في الحدود
وقياس على ذلك في التعزير^(٩٤).
واجيب :

ولم يأمر بالجلوس للرجل، ولم يذكر الكيفية، فعلمناها من فعل علي رضي الله
عنه. وفرق بين الرجل والمرأة؛ لأن مبنى حال الرجل على الانكشاف والظهور،
ومبنى حالها على الستر^(٩٥).

القول الثالث: كيفما تيسر يقام الجلد عليها الجلد قائمان أو قاعدان وهذا ما
ذهب إليه الظاهرية^(٩٦).

دليلهم:

قالوا: نه لا نص في هذه المسألة ولا إجماع، ولو أراد الله تعالى إقامة الحد
على حال لا تتعدى من قيام أو قعود لبينه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم^(٩٧).

الرأي الراجح :

والذي يبدو لي أن الرأي الراجح ما ذهب إليه جمهور الفقهاء لصحة الأثر المروي عن علي رضي الله عنه ولم ينكر احد من الصحابة رضي الله عنهم فعله فيتعين العمل به لأنه حينئذ يدخل في دائرة الإجماع السكوتي .

المسألة الخامسة: كيفية مسك السوط

تتناول فقهاء المالكية لكيفية مسك السوط عند الجلد، وذلك من أوضح الأدلة على دقة الأحكام الفقهية وحرص العلماء على سير عقوبة التعزير جلدا وفق أسس منضبطة. والغاية من تناول الفقهاء هذه المسألة حتى لا يكون الضرب مبرحا بحيث يؤدي إلى تلف عضو من الأعضاء كما يفعل الحكام الظلمة بالشعوب الإسلامية.

قال الجزولي: وصفة السوط أن يكون من جلد واحد ولا يكون له رأسان وأن يكون رأسه لينا، ويقبض عليه بالخنصر والبنصر والوسطى ولا يقبض عليه بالسبابة والإبهام، ويعقد عليه عقد التسعين، ويقدم رجله اليمنى ويؤخر اليسرى، وصفة عقد التسعين أن يعطف السبابة حتى تلقى الكف ويضم الإبهام إليها ^(٩٨) .

وجاء في كتاب حاشية الدسوقي على الشرح الكبير: قال: ويقبض الضارب به عليه بالخنصر والبنصر والوسطى دون السبابة والإبهام بل يقبضهما فوق السوط فارغين ويخرج السوط من بين السبابة والوسطى. ودرة عمر رضي الله تعالى عنه كانت للتأديب ^(٩٩) .

المسألة السادسة: تأخير الجلد لعذر

اتفق الفقهاء على أنه يؤخر الجلد، للبرد والحر الشديدين وللحمل، والمرض الذي يرجى برؤه، حتى يعتدل الجو، ويبرأ المريض، وتضع الحامل وينقطع نفاسها. أما إذا كان المرض مما لا يرجى برؤه أو كان المجلود ضعيفا بالخلفة لا يحتمل السياط فإنه يضرب بعثكال ^(١٠٠) .

المسألة السابعة: مكان التعزير جلدا

تعرض الفقهاء إلى بيان المكان الذي تقام فيه عقوبة التعزير نظرا في حال المجلود: فإن كان متهافتا في ارتكاب المعاصي، أظهر تعزيره في مجامع الناس

ومحافلهم؛ ليزداد به نكالا وارتداعا، وإن كان من ذوي الهيئات، عزز في الخلوات؛ حفظا لصيانتته^(١٠١).

- ولا خلاف بين الفقهاء أن التعزير لا يقام في المساجد واستدلوا بما يلي:
١. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا تقام الحدود في المساجد »^(١٠٢).
٢. وقد « نشد رجل في المسجد فقال: من دعا إلى الجمل الأحمر فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا وجدت، إنما بنيت المساجد لما بنيت له »^(١٠٣).
- وقال النووي: "وقوله صلى الله عليه وسلم: « إنما بنيت المساجد لما بنيت له » معناه لذكر الله تعالى، والصلاة، والعلم، والمذاكرة في الخير، ونحوها"^(١٠٤).
٣. وقول عمر رضي الله عنه لما أتى برجل في شيء قال: أخرجاه من المسجد واضرباه^(١٠٥).
٤. ولأنه لا يؤمن في التعزير أن يشق الجلد بالضرب، فيسيل منه الدم، أو يحدث من شدة الضرب فينجس المسجد^(١٠٦).

وقد أمر الله تعالى بتطهيره فقال عز وجل: ﴿ أَنْ طَهَّرَا بَيْتَ لِلطَّائِفِينَ وَالْمُكَافِينَ وَأَلْزَمَهُ الْكُفُورِ ﴾^(١٠٧).

المسألة الثامنة: الإسراف في التعزير

اختلف الفقهاء في حكم الإسراف في التعزير الذي يؤدي للهلاك من التأديب المعتاد :

فاتفق الأئمة الثلاثة: أبو حنيفة، ومالك، وأحمد على أن الإمام لا يضمن الهلاك من التأديب المعتاد؛ لأن الإمام مأمور بالحد والتعزير،^(١٠٨) واختلفوا في تضمين الزوج والولي، إذا حصل التلف من تأديبهما ولم يتجاوزا القدر المشروع . فذهب مالك وأحمد إلى أنه لا ضمان على الزوج والولي من التلف الذي ينشأ من التأديب المعتاد^(١٠٩).

وعند الحنفية يضمن الزوج إذا أفضى تأديبه المعتاد إلى الموت؛ لأن تأديب الزوجة إذا تعين سبيلا لمنع نشوزها مشروط بأن يكون غير مبرح، فإذا ترتب عليه

الموت تبين أنه قد جاوز الفعل المأذون فيه، فيجب عليه الضمان، ولأنه غير واجب، فشرط فيه سلامة العاقبة. (١١٠).

واختلف أبو حنيفة وصاحبا في تضمين الأب والجد والوصي ونحوهم: فذهب أبو حنيفة إلى أنه يضمن الجميع إذا ترتب على تأديبهم التلف؛ لأن الولي مأذون له بالتأديب لا بالإتلاف، فإذا أدى إلى التلف تبين أنه جاوز الحد، ولأن التأديب قد يحصل بغير الضرب كالزجر وفرك الأذن، وخلاصة رأي أبي حنيفة :

أن الواجب لا يتقيد بسلامة العاقبة، والمباح يتقيد بها، ومن المباح ضرب الأب أو الأم ولدهما تأديبا، ومثلهما الوصي، فإذا أفضى إلى الموت وجب الضمان، وإن كان الضرب للتعليم فلا ضمان؛ لأنه واجب، والواجب لا يتقيد بسلامة العاقبة (١١١) .

وذهب الصحابان إلى أنه لا ضمان عليهم؛ لأن التأديب منهم فعل مأذون فيه لإصلاح الصغير، كضرب المعلم، بل أولى منه؛ لأن المعلم يستمد ولاية التأديب من الولي، والموت نتج من فعل مأذون فيه، والمتولد من فعل مأذون لا يعد اعتداء، فلا ضمان عليهم .

ونقل عن بعض الحنفية أن الإمام رجع إلى قول الصحابين (١١٢) .

وذهب الشافعية إلى وجوب الضمان في التأديب وإن لم يتجاوز القدر المعتاد في مثله، فإن كان مما يقتل غالبا ففيه القصاص على غير الأصل (الأب والجد) وإلا ففيه شبه العمد على العاقلة؛ لأنه فعل مشروط بسلامة العاقبة، إذ المقصود التأديب لا الهلاك، فإذا حصل به هلاك تبين أنه جاوز القدر المشروع فيه، ولا فرق عندهم بين الإمام وغيره ممن أوتوا سلطة التأديب، كالزوج والولي (١١٣) .

المسألة التاسعة: ولاية التأديب

تثبت ولاية التأديب لما يلي:

أولا: للإمام ونوابه كالقاضي بالولاية العامة، فلم يتركب في تأديب من ارتكب محظورا ليس فيه حد (١١٤)، مع الاختلاف بين الفقهاء في الوجوب عليهم وعدمه.

ثانيا: للولي بالولاية الخاصة، أبا كان أو جدا أو وصيا، أو قيما من قبل القاضي (١١٥).

ثالثاً: للمعلم على التلميذ بإذن الولي (١١٦) .

رابعاً: للزوج على زوجته فيما يتصل بالحقوق الزوجية، لقوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالصَّالِحَاتُ قَنَاطَتْ حِظُّنَهُنَّ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۚ وَاللَّي تَخَافُونَ ذُشُورَهُنَّ فَعَظُمُوهُنَّ ۚ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَصْرِيوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ۝﴾ (١١٧)، وهذا متفق عليه بين الفقهاء (١١٨).

ولكنهم اختلفوا في جواز تأديب الزوج لزوجته في حق الله تعالى، كترك الصلاة ونحوها من الفرائض. فذهب الحنابلة والمالكية إلى أنه يجوز تأديبها على ذلك (١١٩). وقيده المالكية بما قبل الرفع للإمام، وعند الشافعية والحنفية ليس له التأديب لحق الله؛ لأنه لا يتعلق به ولا ترجع المنفعة إليه. (١٢٠) لم يصرح الفقهاء بوجوب التأديب على الزوج، بل يفهم من عباراتهم أن الترك أولى .

جاء في الأم للإمام الشافعي: في نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ضرب النساء، ثم إنّه في ضربهن، وقوله: لن يضرب خياركم (١٢١) يشبه أن يكون عليه الصلاة والسلام نهى عنه على اختيار النهي، وأذن فيه بأن أباح لهم الضرب في الحق، واختار لهم ألا يضربوا؛ لقوله: لن يضرب خياركم (١٢٢)، وليس لغير هؤلاء ولاية التأديب عند جمهور الفقهاء. (١٢٣)

غير أن الحنفية قالوا: يقيم التأديب - إذا كان حقاً لله - كل مسلم في حال مباشرة المعصية؛ لأنه من باب إزالة المنكر، والشارع ولى كل مسلم ذلك؛ لقوله صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكراً فليغيره بيده. .. (١٢٤).

أما بعد الفراغ من المعصية فليس بنهي؛ لأن النهي عما مضى لا يتصور، فيتمحض تعزيراً، وذلك إلى الإمام (١٢٥) .

كما اتفقوا على أنه يجب على الولي تأديب الصبي لترك الصلاة والطهارة، ولتعليم الفرائض ونحو ذلك، وذلك بالقول إذا بلغ سبع سنين، وبالضرب إن لزم

لإصلاحه إذا بلغ عشرين؛ لحديث: علموا الصبي الصلاة لسبع سنين، واضربوه عليها ابن عشر سنين (١٢٦) .

واختلفوا في حكم تأديب الإمام ونوابه لمن رفع إليهم :

فذهب الأئمة: أبو حنيفة ومالك وأحمد، إلى وجوب إقامة التأديب عليهم فيما شرع التأديب فيه، إلا إذا رأى الإمام أن ترك التأديب مصلحة، وقالوا: إنه إن كان التأديب منصوفا عليه، كوطء جارية امرأته وجارية مشتركة، يجب امتثال الأمر فيه، وإن لم يكن منصوفا عليه ورأى الإمام مصلحة في إقامة التأديب، أو علم أن المذنب لا ينزجر إلا بالضرب وجب؛ لأنه زاجر مشروع لوجه الله فوجب كالحديث (١٢٧) .

ويرى الشافعية أنه لا يجب على الإمام إقامة التأديب، وله تركه .

وحجتهم: أن النبي صلى الله عليه وسلم أعرض عن جماعة استحقوه، ولم يقم عليهم التأديب (١٢٨) كالغال في الغنيمة، فلو كان واجبا لما أعرض عنهم، ولأقامه عليهم. (١٢٩) .

هذا إذا كان التأديب حقا لله، أما إذا كان حقا لأدمي، وطالب به مستحقه، وجب على الإمام إقامته باتفاق الفقهاء، ولكن إذا عفا عنه صاحب الحق فهل للإمام إقامة التأديب ؟

ذهب الشافعية - في الأصح من قولين عندهم - إلى: أنه يجوز للإمام ذلك، وإن لم يكن له قبل المطالبة إقامة التأديب؛ لأنه لا يخلو عن حق الله، ولأنه يتعلق بنظر الإمام فلم يؤثر فيه إسقاط غيره (١٣٠) .

الخاتمة

الحمد لله على تسهيله، وتيسيره، وتوفيقه على الانتهاء من إتمام هذا البحث،
والصلاة والسلام على رسوله المصطفى محمد ﷺ.

أما بعد :

فهذا ما يسره الله لي من جمع وترتيب وتحليل تضمنتها مطالب هذا البحث،
فيما يتعلق (بالمسائل الفقهية العقوبة الجلد تعزيراً) فما كان فيها من صواب فهو محض
فضل الله عليّ، فله الحمد والمنة، وما كان فيها من خطأ فاستغفر الله تعالى وأتوب
إليه، والله ورسوله بريء منه، وحسبي أني كنت حريصاً أن لا أقع في الخطأ وعسى
أن لا أحرم من الأجر .

وأدعو الله تعالى أن ينفع بهذا البحث إخواني طلبة العلم، وأرجو أن أكون قد
قدمت لهم ما يهمهم من مسائل، وكل ما أتمناه أن يحصل قارئ البحث على فائدة كبيرة
تسهل عليه معرفة هذه الأحكام والاطلاع عليها بسهولة ويسر .

وفي ختام هذا الموضوع يمكن تلخيص البحث بالنقاط التالية:

١. ليس أصل العقاب غاية مقصودة لذاتها في مفهوم الإسلام، وليس هو أولى وسائل
الإصلاح والتهديب الفردي والجماعي .

٢. الذي يبدو لي أن منشأ الخلاف بين الفقهاء اختلافهم في دلالة ما رواه البخاري
ومسلم من طريق أبي بردة الأنصاري رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله
عليه وسلم يقول: « لا يجلد فوق عشر جلادات إلا في حد من حدود الله » (١٣١).
فذهب بعض الفقهاء إلى العمل بظاهر الحديث الصحيح، فلا تجوز حكم الزيادة في
التعزير على عشر جلادات . وذهب الآخرون إلى تأويله، فقالوا بالجواز - وهو
الراجح .

٣. لا خلاف بين الفقهاء على أن التعزير يكون بالسوط وغيره مما يراه ولي الأمر أو
من يقوم مقامه كالضرب بالدرة والصفع بالكف مبسوطاً أو بجمع الكف أو بالحبس
وبغير ذلك .

٤. ان يفرق الضرب على أعضاء الجسم، ويتقى المقاتل من الجسد، كالرأس، والوجه، والفرج، وغيرها، من الرجل والمرأة جميعاً. لأن تفريق الضرب على البدن فيه زيادة زجر وتأديب، فيتألم كل عضو من أعضائه، والضرب على عضو واحد قد يعرضه للضرر أو التلف، وليس هذا القصد من التعزير.
٥. اتفق الفقهاء على أنه يؤخر الجلد، للبرد والحر الشديدين وللحمل، والمرض الذي يرجى برؤه، حتى يعتدل الجو، ويبرأ المريض، وتضع الحامل وينقطع نفاسها. أما إذا كان المرض مما لا يرجى برؤه أو كان المجلود ضعيفاً بالخلقة لا يحتمل السياط فإنه يضرب بعثكال .
٦. تعرض الفقهاء إلى بيان المكان الذي تقام فيه عقوبة التعزير نظراً في حال المجلود: فإن كان متهاطلاً في ارتكاب المعاصي، أظهر تعزيره في مجامع الناس ومحافلهم؛ ليزداد به نكالا وارتداعا، وإن كان من ذوي الهيئات، عزز في الخلوات؛ حفظاً لصيانه.
٧. لا خلاف بين الفقهاء أن التعزير لا يقام في المساجد.
٨. فاتفق الأئمة الثلاثة: أبو حنيفة، ومالك، وأحمد على أن الإمام لا يضمن الهلاك من التأديب المعتاد؛ لأن الإمام مأمور بالحد والتعزير، واختلفوا في تضمين الزوج والولي .
٩. ثبوت ولاية التأديب للإمام ونوابه والولي والمعلم والزوج. وبعد، هذه حصيلة جهدي، وما استطعت القيام به من عمل، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، فإن أصبت فبفضل الله ومنته، وإن أخطأت فأسأله تعالى أن يلهمني رشدي ويقيني شر نفسي، وأن يدفع عني البلاء والفتن، وأن يوفق أساتذتي جميعاً وكل من أعانني، وأن يجازي من قبل ومن بعد حبيبنا مُحَمَّد ﷺ خير ما جازى نبياً عن أمته، وأن يوردنا حوضه، وصلى الله على نبينا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين .
- وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

- (١) سورة آل عمران الآية ١٠٢ .
- (٢) سورة النساء الآية ١ .
- (٣) سورة الأحزاب الآية ٧٠ - ٧١ .
- (٤) السياسة الشرعية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ص ١٢١) .
- (٥) معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، الطبعة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م (٤ / ٣١١).
- (٦) سورة الفتح الآية ٩ .
- (٧) ينظر: لسان العرب مادة ((عزر))، المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة الأولى (٥٦١١٤) .
- (٨) ينظر: أنوار البروق في أنواع الفروق، المؤلف: أحمد بن إدريس (القرافي) الناشر: عالم الكتب (١٨٢/٤)، ، ودرر الحكام شرح غرر الأحكام، المؤلف: محمد بن فرموزا (منلا خسرو) الناشر: دار إحياء التراث العربي (٧٥/٢). نهاية المحتاج الى شرح المنهاج، المؤلف: محمد بن شهاب الدين الرملي ، الناشر: دار الفكر (١٩/٨) . كشف القناع عن متن الإقناع، المؤلف: منصور بن يونس البهوتي ، الناشر: دار الكتب العلمية (١٢٢/٦).
- (٩) سورة النساء/ ٥٦ .
- (١٠) مفردات ألفاظ القرآن - نسخة محققة ، المؤلف/الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم، دار النشر/دار القلم - دمشق (١٨٧/١).
- (١١) ينظر: الفقه الإسلامي وأدلته ، المؤلف: أ.د. وهبة الزحيلي، الناشر: دار الفكر - سورية - دمشق (٢٤٤/٧).
- (١٢) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ - ١٩٨٧، رقم الحديث (٦٤٥٦) (٢٥١٢/٦)، وصحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، رقم الحديث (١٧٠٨) (١٣٣٣/٣). من حديث أبي بردة الأنصاري رضي الله عنه.
- (١٣) يعني: الثمر الذي في رءوس النخل .
- (١٤) يعني: من أكل لسد حاجته وجوعه (فلا شيء عليه) .

(١٥) أي: قطع منه شيئاً وأخذه في ثوبه، أو أخذه في وعاء من أوعيته فإن عليه غرامة مثليه والعقوبة والتعزير على تصرفه لأنه أخذ الشيء من غير حرز، وأما إذا كان أخذه من حرز فإن فيه القطع إذا بلغ ثمن المجن .

(١٦) أي: أنه قطع وجذّ وجعل في الجرين، وهو المكان الذي يجفف فيه الثمر، وهو حرز .

(١٧) فمن أخذ منه شيئاً تبلغ قيمته ثمن المجن الذي وهو ربع دينار فعليه القطع .

(١٨) حديث عبد الله بن عمرو: " من أصاب بفيه. .. " أخرجه أبو داود، تحقيق عزت عبيد دعاس

(٣٣٥/٢ - ٣٣٦). والنسائي (٨٥/٨) ط المكتبة التجارية (٨٥/٨) واللفظ لأبي داود، ونيل

الأوطار ط دار الجيل (٣٠٠/٧ - ٣٠١).

(١٩) ينظر: المغني، موفق الدين عبد الله بن أحمد (ابن قدامة)، الناشر دار إحياء التراث العربي

(١٤١/٩).

(٢٠) المصنف، عبد الله بن أبي شيبه الناشر دار الفكر (٥٢٠/٦).

(٢١) ينظر: كشف القناع عن متن الإقناع، تأليف منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، دار الفكر

— بيروت ١٤٠٢هـ (١٢٣/٦)، والهداية شرح بداية المبتدي، أبي الحسن علي بن أبي بكر

بن عبد الجليل الرشداني المرغياني الناشر: المكتبة الإسلامية (١٧٧/٢)، والمغني، ، موفق

الدين عبد الله بن أحمد (ابن قدامة) دار إحياء التراث العربي. (٣٢٤/١٠)، والسياسة الشرعية

(١٥١). اسنى المطالب في شرح روض الطالب، شيخ الإسلام/زكريا الأنصاري، تحقيق: د.

محمد محمد تامر، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٠ م الطبعة:

الأولى (١٦٣/٤)؛ منح الجليل شرح مختصر الخليل، محمد بن أحمد بن محمد، الناشر دار

الفكر (٥٥٤/٤) .

(٢٢) ينظر رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر (ابن عابدين)، الناشر: دار الكتب

العلمية (٦٠/٤) .

(٢٣) ينظر: المغني (١٤٩/٩)، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام المجلّ

أحمد بن حنبل، علاء الدين علي بن سليمان المرداوي أبو الحسن (٨١٧ - ٨٨٥) وشرح

كتاب (المقنع). للإمام موفق الدين أبي محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة

المقدسي. ت ٦٢٠ هـ. تحقيق: محمد حامد الفقي. دار إحياء التراث العربي. بيروت

(٢٤٤/١٠)، ومطالب أولى النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى بن سعد بن عبدة

الرحيبي الناشر: المكتب الإسلامي. (٢٢٢/٦).

(تنبيه) إلا أن الحنابلة قالوا بالزيادة في مواضع لثبوت النص، وما عداها يبقى على العموم. كما في وطء الجارية المشتركة وجارية زوجته إذا أطلتها له فقد زاد على العشر على العشر جلدات. ينظر: الإنصاف (٢٤٤/١٠).

(٢٤) ينظر: الحاوي الكبير المؤلف/العلامة أبو الحسن الماوردي، دار النشر/دار الفكر - بيروت، الناشر: دار الفكر (٤٣٩/١٣)، روضة الطالبين وعمدة المفتين المؤلف: محي الدين النووي (ت ٦٧٦هـ) المحقق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة (٣٨٢/٧).

(٢٥) ينظر: المحلى بالآثار، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، دار الفكر (٤٠٤/١١).

(٢٦) ينظر: المغني (١٤٩/٩)، الإنصاف (٢٤٤/١٠).

(٢٧) ينظر: المغني (١٤٩/٩)، المحلى (٤٠٤/١١).

(٢٨) ينظر نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، المؤلف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني الناشر: إدارة الطباعة المنيرية (١٨٠/٧).

(٢٩) ينظر: سبل السلام، محمد بن إسماعيل الكحلاني الصنعاني (٤٥٥/٢).

(٣٠) ينظر: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، محمد بن علي تقي الدين (ابن دقيق العيد) (٢٥٠/١).

(٣١) البخاري في كتاب الحدود باب كم التعزير والأدب برقم (٦٤٥٦)، ومسلم في كتاب الحدود باب قدر أسواط التعزير برقم (١٧٠٨).

(٣٢) المغني (١٤٩/٩).

(٣٣) ينظر التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٨٩م (٢١٧/٤)؛ شرح النووي على صحيح مسلم المؤلف: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت (٢٢٢/١١)؛ نيل الأوطار، (٣٣٠/٧).

(٣٤) سورة الطلاق الآية ١.

(٣٥) سورة النساء الآية ١٣.

(٣٦) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الناشر: مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - بيروت - الكويت، الطبعة الرابعة عشرة: ١٤٠٧ - ١٩٨٦، (٤٣/٥).

- (٣٧) السياسة الشرعية (ص ١٢٥)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تأليف: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ٧٥١هـ دراسة وتحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م (٢/ ٢٩).
- (٣٨) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (٣٥٥٤)، السياسة الشرعية (ص ٩٣).
- (٣٩) الشرح الصغير (٢٣٦١٦) .
- (٤٠) قال الحافظ ابن حجر في تخرجه لهذا الأثر: لم أجده، انظر تلخيص الحبير (٨١١٤).
- (٤١) أخرجه عبد الرزاق (١٧ ٣٨٢)، سنن البيهقي الكبرى، أبو بكر البيهقي، مكة المكرمة، ط ١٩٩٤. (١٨ ٣٢١)، وقال الألباني: إسناده حسن، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية - ١٤٠٥ - ١٩٨٥ (٥٧١٨) .
- (٤٢) تبصرة الحكام (٢/ ٢٠٤)، والمغني (١٠/ ٣٤٨)، وفتح القدير، كمال الدين محمد ابن عبد الواحد السيواسي (١١٥/٥).
- (٤٣) الحديث سبق تخرجه .
- (٤٤) تبصرة الحكام (٢/ ٢٠٥).
- (٤٥) تلخيص الحبير (٤/ ٧٩) .
- (٤٦) مصنف عبد الرزاق (٤٠١١٧) .
- (٤٧) حاشية ابن عابدين، محمد امين دار الفكر - بيروت الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ. (٦٥١٤) .
- (٤٨) منهاج الطالبين، يحيى بن شرف النووي أبو زكريا، الناشر دار المعرفة (ص ١٢٣).
- (٤٩) المغني (٥٢٤١٢) .
- (٥٠) سنن البيهقي ٣٢٧١٨ كتاب الأشربة والحد فيها، باب ما جاء في التعزير وأنه لا يبلغ به أربعين.
- (٥١) نصب الراية، المؤلف: عبد الله بن يوسف أبو محمد الحنفي الزيلعي ، الناشر: دار الحديث - مصر، ١٣٥٧ (٣٥٤١٣) .
- (٥٢) المغني (٥٢٦١١٢) .
- (٥٣) روضة الطالبين (١٠ ١٧٤١) .
- (٥٤) الإنصاف (١٠ ٢٤٧١) .
- (٥٥) الفتاوى (٤٠٤/٣٥) .

(٥٦) حديث: " من بلغ حدا في غير حد. .. " أخرجه البيهقي في السنن (٣٢٧/٨) - ط دائرة المعارف العثمانية) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما، وقال: المحفوظ: هذا الحديث مرسل .

(٥٧) مصنف عبد الرزاق رقم (١٣٤٦٦) (٣٥٨/٧). الأثر بهذا السند ضعيف؛ لأن فيه انقطاعا بين ابن جريج وعمر رضي الله عنه، فعبد الملك بن جريج ذكر ابن المديني أنه لم يلق أحدا من الصحابة، وقال العلائي: وهو مدلس، جامع التحصيل في أحكام المراسيل، ص ٢٢٩، ٣٣٠، وقال الدارقطني: شر التدليس تدليس ابن جريج، فإنه قبيح، لا يدلّس إلا فيما سمعه من مجروح، انظر: طبقات المدلسين، ص ٤١. وعده ابن حجر من الطبقة الثالثة من طبقات المدلسين، وهم من أكثر من التدليس فلم يحتج الأئمة من أحاديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع، ومنهم من رد حديثهم مطلقا، ومنهم من قبله. طبقات المدلسين، ص ١٣، ١٤ .

(٥٨) مصنف بن أبي شيبة رقم (٢٨٥٢١)(٥١٤/٥)، وإسناده صحيح، ينظر: إرواء الغليل، (٨/٥٦).

(٥٩) مصنف عبد الرزاق (٤٠١١٧) .

(٦٠) المحلي (٤٨٣١٣) .

(٦١) المصدر نفسه .

(٦٢) سبق تخريجه .

(٦٣) إعلام الموقعين، (٣٠/٢) .

(٦٤) ينظر: لسان العرب لمحمد بن منظور (٢٤/١٤) .

(٦٥) نهاية المحتاج (٧/٤٤٤) .

(٦٦) الحاوي (٤٣٥/١٣)، الهداية شرح بداية المبتدي، مطبوع مع فتح القدير (٢٣٠/٥) .

(٦٧) المنهاج وحواشيه (٧/٤١٤) .

(٦٨) الحاوي (٤٣٥/١٣) .

(٦٩) البحر الرائق (١٠/٥)، والشرح الكبير بهامش حاشية الدسوقي (٣٥٤/٤)، والحاوي ٤٣٥/١٣،

وكشاف القناع ٨١/٦

(٧٠) حديث: " إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه " . أخرجه أحمد (٢٤٤/٢) - ط اليمينية) من حديث

أبي هريرة. وهو في البخاري (الفتح ١٨٢/٥ - ط السلفية) بلفظ: " إذا قاتل " .

(٧١) فتح القدير (١٢٦/٤ - ١٢٧)، وتبيين الحقائق (١٩٨/٣)، والدسوقي (٣٥٤/٤)، ومغني المحتاج

(١٩٠/٤)، والمغني (٣١٧/٨)، وعون المعبود (٢٠٠/١٢) .

- (٧٢) فتح القدير (١٢٧/٤)، والدسوقي (٣٥٤/٤)، ومغني المحتاج (١٩٠/٤)، ونهاية المحتاج (١٥/٨)، وروضة الطالبين (١٧٢/١٠)، والمغني (٣١٧/٨).
- (٧٣) فتح القدير (١٢٧/٤).
- (٧٤) فتح القدير (١٢٧/٤)، والإقناع (٢٤٦/٤).
- (٧٥) الشرح الكبير بهامش حاشية الدسوقي (٣٥٤/٤)، والخرشي على خليل (١٠٩/٨)، ومواهب الجليل (٣١٨/٦)، ومنح الجليل (٣٥٥/٩)، وجواهر الإكليل (٢٩٦/٢).
- (٧٦) حاشية الدسوقي (٣٥٤/٤).
- (٧٧) المنتقى شرح الموطأ (١٤٢/٧).
- (٧٨) الهداية شرح بداية المبتدي، مطبوع مع فتح القدير (٢٣١/٥)، وفتح القدير (٢٣١/٥)، والبحر الرائق (١٠/٥)، وفتاوى قاضي خان (٤٨٠/٣).
- (٧٩) الحاوي (٤٣٧/١٣)، وروضة الطالبين (١٧٢/١٠)، وأسنى المطالب (١٦٠/٣).
- (٨٠) الأحكام السلطانية لأبي يعلى (ص ٢٨٣)، والمغني مع الشرح الكبير (٣٣٧/١٠)، والمحزر (١٦٤/٢)، ومغني ذوي الأفهام (ص ٤٥٠).
- (٨١) المحلي (١٦٨/١١).
- (٨٢) صحيح البخاري العتق (٢٤٢١)، صحيح مسلم البر والصلة والآداب (٢٦١٢)، مسند أحمد بن حنبل (٤٦٣/٢).
- (٨٣) أخرجه عبد الرزاق (٣٧٠/٧)، واللفظ له، وابن أبي شيبة (٤٨/١٠)، والبيهقي (٣٢٧/٨) ونصب الراية (٢٤/٣).
- (٨٤) شرح النووي على مسلم (١٦٥/١٦).
- (٨٥) سنن أبو داود الحدود (٤٤٤٣).
- (٨٦) فتح الباري (١٨٣/٥).
- (٨٧) المبسوط (٧٢/٩).
- (٨٨) الحاوي (٤٣٦/١٣).
- (٨٩) المغني مع الشرح الكبير (٣٣٦/١٠).
- (٩٠) رواه البيهقي (٣٢٧/٨).
- (٩١) المغني مع الشرح الكبير (٣٣٦/١٠).
- (٩٢) الحاوي (٤٣٦/١٣).
- (٩٣) المنتقى في شرح الموطأ (١٤٢/٧).
- (٩٤) المغني مع الشرح الكبير (٣٣٦/١٠).

- (٩٥) المبسوط (٧٣/٩) .
- (٩٦) المحلي (١٦٩/١١) .
- (٩٧) المصدر نفسه.
- (٩٨) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (٢١٥/٧) .
- (٩٩) المصدر نفسه .
- (١٠٠) أسنى المطالب (١٣٣/٤ - ١٣٤)، والمغني (١٧٢/٨ - ١٧٣)، ابن عابدين (١٤٨/٣)،
والزرقاني (٨٤/٨) .
- (١٠١) الحاوي (٤٤١/١٣) .
- (١٠٢) سنن الترمذي الديات (١٤٠١) ، سنن ابن ماجه الحدود (٢٥٩٩)، سنن الدارمي الديات
(٢٣٥٧) .
- (١٠٣) صحيح مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٦٩)، سنن ابن ماجه المساجد والجماعات
(٧٦٥)، مسند أحمد بن حنبل (٣٦٠/٥) .
- (١٠٤) شرح النووي على مسلم (٥٥/٥) .
- (١٠٥) أخرجه عبد الرزاق (٢٣/١٠) .
- (١٠٦) الحاوي (٤٤١/١٣)، والمهذب (٣٦٨/٢)، ومغني المحتاج (١٩١/٤)، والكافي (٢٣٧/٤) .
- (١٠٧) سورة البقرة الآية ١٢٥ .
- (١٠٨) ابن عابدين (١٨٩/٣)، مواهب الجليل (٣١٩/٦)، والمغني لابن قدامة (٣٢٦/٨) .
- (١٠٩) مواهب الجليل (٣١٩/٦)، والمغني لابن قدامة (٣٢٧/٨) .
- (١١٠) حاشية ابن عابدين (١٩٠/٣) .
- (١١١) حاشية ابن عابدين (٢٤/٥، ٣٦٣) .
- (١١٢) حاشية ابن عابدين (٢٤/٥، ٣٦٣) .
- (١١٣) مغني المحتاج (١٩٩/٤) .
- (١١٤) حاشية ابن عابدين (١٨٩/٣)، وحاشية الدسوقي (٣١٩/٦). ومغني المحتاج (١٩٤/٤)
- (١١٥) المغني لابن قدامة (٦١٥/١)، ومغني المحتاج (١٣١/١)، وابن عابدين (٢٣٥/١)
- (١١٦) المغني لابن قدامة (٦١٥/١)، ومغني المحتاج (١٣١/١)، وابن عابدين (٢٣٥/١) .
- (١١٧) سورة النساء/٣٤ .
- (١١٨) حاشية ابن عابدين (١٨٨/٣)، والمغني ٤٦/٧، مواهب الجليل (١٥/٤ - ١٦) .
- (١١٩) المغني لابن قدامة (٤٧/٧)، وحاشية الدسوقي (١٥٤/٤) .
- (١٢٠) مغني المحتاج (١٩٣/٤)، وحاشية ابن عابدين (١٨٩/٣) .

- (١٢١) حديث: " نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ضرب النساء.. .. " أخرجه أبو داود (٦٠٨/٢) ط عزت عبيد الدعاس. وابن ماجه (٦٣٨/١) ط عيسى البابي الحلبي. والحاكم (١٨٨/٢) ط دار الكتاب العربي. وقال: حديث صحيح الإسناد.
- (١٢٢) الأم للشافعي (١٩٤/٥).
- (١٢٣) مغني المحتاج (١٩٩/٤)، وحاشية الدسوقي (٣٥٤/٤)
- (١٢٤) حديث: " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده.. .. " أخرجه مسلم في صحيحه (٦٩/١) ط عيسى البابي الحلبي.
- (١٢٥) حاشية ابن عابدين (١٨١/٣).
- (١٢٦) حديث: " علموا الصبي الصلاة.. .. " أخرجه أبو داود (٣٣٢/١) - ط عزت عبيد دعاس) والترمذي (٢٥٩/٢ - ط الحلبي) وحسنه، واللفظ للترمذي.
- (١٢٧) مواهب الجليل (٣٢٠/٦)، والمغني لابن قدامة (٣٢٦/٨)، وابن عابدين (١٨٧/٣).
- (١٢٨) حديث: " إعرض النبي صلى الله عليه وسلم عن جماعة... .. " أخرجه البخاري (الفتح ٥٩٢/١١ - ط السلفية). ومسلم (١٠٨/١) ط عيسى البابي الحلبي).
- (١٢٩) الأم للإمام الشافعي ١٧٦/٦، ومغني المحتاج ١٩٣/٤.
- (١٣٠) الأم للإمام الشافعي (١٧٦/٦)، ومغني المحتاج (١٩٣/٤)، والموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت (٢١/١٠) .
- (١٣١) سبق تخريجه .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، محمد بن علي تقي الدين (ابن دقيق العيد) .
٢. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية - ١٤٠٥ - ١٩٨٥م.
٣. اسنى المطالب في شرح روض الطالب، شيخ الإسلام / زكريا الأنصاري، تحقيق: د. محمد محمد تامر، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٠ م الطبعة: الأولى .
٤. إعلام الموقعين عن رب العالمين، تأليف: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ٧٥١هـ دراسة وتحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م
٥. الأم، تأليف الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، نشر دار المعرفة.
٦. الإقناع للشربيني، محمد الشربيني الخطيب دار الفكر - بيروت ١٤١٥هـ
٧. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام المجلل أحمد بن حنبل، علاء الدين علي بن سليمان المرذوقي أبو الحسن .
٨. أنوار البروق في أنواع الفروق، المؤلف: أحمد بن إدريس (القرافي)، الناشر: عالم الكتب .
٩. البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين بن إبراهيم بن محمد بن محمد ابن بكر الشهير بابن نجيم.
- ٩٢٦ - ٩٧٠ هـ). دار الكتاب الإسلامي. (د. ت) .
١٠. تبين الحقائق شرح كنز الدقائق، عثمان بن علي الزيلعي، دار الكتاب الإسلامي .

١١. التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٨٩م
١٢. حاشية الد سوقي على الشرح الكبير، مُحَمَّد بن أَحْمَد بن عَرَفَة الدَّسُوقِي المالكي. (ت ١٢٣٠ هـ). تحقيق: مُحَمَّد عليش. دار الفكر بيروت. (د. ت) .
١٣. حاشية ابن عابدين، محمد امين دار الفكر - بيروت الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ
١٤. الحاوي الكبير المؤلف / العلامة أبو الحسن الماوردي، دار النشر / دار الفكر - بيروت، الناشر: دار الفكر .
١٥. درر الحكام شرح غرر الأحكام، المؤلف: محمد بن فرموزا (منلا خسرو) الناشر: دار إحياء التراث العربي .
١٦. روضة الطالبين وعمدة المفتين المؤلف: محي الدين النووي (ت ٦٧٦هـ) المحقق: عادل أحمد عبد الموجود - على محمد معوض الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة .
١٧. رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر (ابن عابدين)، الناشر: دار الكتب العلمية .
١٨. زاد المعاد في هدي خير العباد، المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الناشر: مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - بيروت - الكويت، الطبعة الرابعة عشرة: ١٤٠٧ - ١٩٨٦ .
١٩. سبل السلام، محمد بن إسماعيل الكحلاني الصنعاني .
٢٠. سنن البيهقي الكبرى، أبو بكر البيهقي، مكة المكرمة، ط ١٩٩٤ .
٢١. سنن ابن ماجه، أبو عبد الله مُحَمَّد بن يَزِيد القَزْوِينِي. (٢٠٧ - ٢٧٥ هـ). تحقيق: مُحَمَّد فُؤَاد عَبْد الْبَاقِي. دار الفكر للطباعة والنشر بيروت. (د. ت)
٢٢. سنن الترمذي، أبو عيسى الترمذي، دار أحياء التراث العربي - بيروت
٢٣. سنن الدارمي، المؤلف: عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٧.
٢٤. سنن أبي داود . تحقيق عزت عبيد دعاس.
٢٥. السياسة الشرعية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، الناشر: دار المعرفة.
٢٦. شرح النووي على صحيح مسلم المؤلف: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت
٢٧. شرح الزرقاني، تأليف مُحَمَّد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت ١٤١١هـ.

٢٨. شرح سنن ابن ماجه، السيوطي ،، قديمي كتب خاثة - كراتشي .
٢٩. شرح كتاب (المُتَنِّع). للإمام مَوْقَّق الدِّين أَبِي مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ قُدَّامَةَ المقدَّسي. ت ٦٢٠ هـ. تحقيق: مُحَمَّدَ حامد الفقي. دار إحياء التراث العربي. بيروت .
٣٠. الشرح الكبير، سيدي أحمد الدردير أبو البركات، دار الفكر- بيروت
٣١. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، رقم الحديث (دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ - ١٩٨٧،
٣٢. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، رقم الحديث (دار إحياء التراث العربي - بيروت. من حديث أبي بردة الأنصاري رضي الله عنه
٣٣. عون المعبود، محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الثانية ١٤١٥ هـ .
٣٤. فتح الباري شرح صحيح البخاري ،المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ،الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩
٣٥. فتح القدير، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي .
٣٦. الفقه الإسلامي وأدلته ، المؤلف: أ.د. وَهْبَةُ الزُّحَيْلِيّ، الناشر: دار الفكر - سورِيَّة - دمشق .
٣٧. الفواكه الدواني، أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي المالكي، دار الفكر - بيروت ١٤١٥ هـ .
٣٨. كتب ورسائل وفتاوي ابن تيمية الحراني أبو العباس مكتبة ابن تيمية .
٣٩. كشف القناع عن متن الإقناع، المؤلف: منصور بن يونس البهوتي، الناشر: دار الكتب العلمية .
٤٠. الكافي في فقه ابن حنبل عبد الله بن قدامة المقدسي أبو محمد المكتب الاسلامي - بيروت، الطبعة الخامسة ١٩٨٨.
٤١. لسان العرب مادة ((عزر))، المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة الأولى .
٤٢. مطالب أولى النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى بن سعد بن عبدة الرحيباني الناشر: المكتب الإسلامي .
٤٣. منهاج الطالبين، يحيى بن شرف النووي أبو زكريا، الناشر دار المعرفة
٤٤. مواهب الجليل، تأليف محمد بن عبد الرحمن المغربي أبو عبد الله، الطبعة الثانية، دار الفكر - بيروت - ١٣٩٨ هـ .
٤٥. منح الجليل شرح مختصر خليل، محمد بن أحمد (عليش) دار الفكر .
٤٦. مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني ط اليمينية .
٤٧. مغني المحتاج، للإمام محمد الخطيب الشربيني، دار الفكر - بيروت.

٤٨. معجم مقاييس اللغة، المؤلف : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر ، الطبعة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
٤٩. مفردات ألفاظ القرآن - نسخة محققة ، المؤلف / الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم، دار النشر / دار القلم - دمشق .
٥٠. منح الجليل شرح مختصر الخليل، محمد بن أحمد بن محمد، الناشر دار الفكر (٤ / ٥٥٤) .
٥١. المحلى بالآثار، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، دار الفكر .
٥٢. المنقى شرح الموطأ للإمام دار الهجرة مالك بن أنس، أبو الوليد سليمان ابن خلف بن سعد بن أيوب بن وارش الباجي الأندلسي. ت ٤٧٤ هـ. دار الكتاب الإسلامي .
٥٣. المبسوط، محمد بن احمد بن أبي سهل السرخسي، دار المعرفة .
٥٤. المذهب، إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي أبو إسحاق دار الفكر بيروت .
٥٥. المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن تيمية الحراني، الناشر مكتبة المعارف، سنة النشر ١٤٠٤هـ.
٥٦. المغني، موفق الدين عبد الله بن أحمد (ابن قدامة)، الناشر دار إحياء التراث العربي.
٥٧. المصنف، عبد الله بن أبي شيبة ، الناشر دار الفكر .
٥٨. الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت .
٥٩. نهاية المحتاج الى شرح المنهاج، المؤلف: محمد بن شهاب الدين الرملي ، الناشر: دار الفكر .
٦٠. نصب الراية، المؤلف: عبد الله بن يوسف أبو محمد الحنفي الزيلعي .
٦١. نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار ، المؤلف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني .
٦٢. الهداية شرح بداية المبتدي. أبو الحسين برهان الدين علي بن أبي بكر ابن عبد الجليل المرعشي النجاشي الفرغاني. (٥١١ - ٥٩٣ هـ). المكتبة الإسلامية. بيروت (د.ت).

موجات الهجرة اليهودية إلى فلسطين

حتى عام ١٩٤٨

أ.م.د. وليد عبود محمد

عبر وفيق شفيق

جامعة بغداد / كلية التربية - ابن رشد

ملخص البحث

يُحاول هذا البحث برؤية مُعاصرة إستندت على المادة (الوثائقية، الدراسات الأكاديمية، المصادر المتنوعة) العربية منها والأجنبية على حدٍ سواء وذات الصلة الوثيقة بالموضوع، إستجلاء حقيقة الأساليب التي إعتمدتها الحركة الصهيونية في تحقيق أهدافها، لاسيما من خلال الهجرة إلى فلسطين حتى عام ١٩٤٨، مُتتبعاً بداياتها التي إنطلقت أو لموجاتها من روسيا وإستمرت حتى عام ١٩٠٣، وماهي التطورات المهمة التي واكبت الموجة الثانية منها للأعوام (١٩٠٤-١٩١٨) والنتائج التي تمخضت عنها؟ وماهو نمط المهاجرين الذين شملتهم الموجة الثالثة للأعوام (١٩١٩-١٩٢٣) والزيادات التي طرأت على أعدادهم في ظل إجراءات الترخيص بذلك؟ وإلى أي مدى نجحت الحركة الصهيونية في ضمان إستمرار تدفق الهجرة أبان الموجة الرابعة منها للأعوام (١٩٢٤-١٩٣١) وطبيعة الصعوبات التي واجهتها؟ وأهتم البحث بأبعاد صعود النازية والفاشية في ثلاثينيات القرن العشرين التي جاءت بالمُحصلة النهائية لصالح الحركة الصهيونية من خلال إستمرار تصاعد وتيرة الهجرة الخامسة على نحو كبير للأعوام (١٩٣٣-١٩٣٩)؟ وماهي حقيقة الأسلوب الجديد الذي واكب موجة الهجرة السادسة والأخيرة للأعوام (١٩٣٩-١٩٤٨)، التي عُرفت بغير المُرخصة أو السرية ليأتي استكمالاً لما حققتهُ الموجات السابقة؟

Waves of Jewish immigration to Palestine until 1948

Abstract

The research tries through the vision of Contemporary elucidation fact methods adopted by the Zionist movement supported by Western countries, especially Britain and the United States to achieve its objectives, particularly through the waves of immigration to Palestine until 1948, following the beginnings which started first from Russia and continued until 1903, and what are the important developments that accompanied the second wave of the years (1904 - 1918) and the results of?

The discussion dealt with the nature of the pattern of immigrants who were on the third wave of the years (1919 - 1923) and increases in the numbers under the licensing procedures so? And the extent to which the Zionist movement succeeded in ensuring the continued flow of immigration during the fourth wave of the years (1924 - 1931) and the nature of the difficulties encountered?

Search and care dimensions of the rise of Nazism and fascism in the thirties of the twentieth century, which came the final outcome in favor of the Zionist movement through the continuation of the escalating migration fifth significantly for the years (1933 - 1939)? And reveal the nature of the new method which was applied in the wave of immigration sixth and last for the years (1939 - 1948), who knew clandestine migration completes for its previous waves aimed at establishment of a Jewish entity at the expense of Palestinian history and land and people?

مُتَكَلِّمًا

تُعدُّ الهُجرة اليهودية من المُرتكزات المُهمّة التي استندت إليها الحركة الصهيونية لتحقيق أهدافها في فلسطين، إذ هيأت في ذلك كُل الظروف والمُستلزمات اللازمة لإنجاحها وتطويرها وتوسيع مدياتها حتى عام ١٩٤٨. وفي هذا الصدد أسهمت عدد من الدول الغربية الإستعمارية خدمة لمصالحها في المنطقة، لاسيما بريطانيا بكونها السُلطة المُتدبّة على فلسطين في الدعم المُباشر لمشاريع وأهداف وأدوات الحركة الصهيونية من أجهزة ومُنظمات ومُؤسسات مُختلفة وعلى كافة الأصعدة، ثُمَّ أعقبتها الولايات المُتحدة الأميركية في ذلك. وبرغم كُل الجهود التي بذلتها المُقاومة الفلسطينية بمُختلف الطُرق والأساليب المشروعة، إلا أنها لم تُفلح في كبح جماح الهُجرة اليهودية ووقف أنشطتها الإستيطانية الهادفة إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين. يُحاول هذا البحث برؤية مُعاصرة إستندت على المادة (الوثائقية، الدراسات الأكاديمية، المصادر المُتنوعة) العربية منها والأجنبية على حدٍ سواء وذات الصلة الوثيقة بالموضوع، إستجلاء حقيقة الأساليب التي إعتمدتها الحركة الصهيونية في تحقيق أهدافها، لاسيما من خلال الهُجرة إلى فلسطين حتى عام ١٩٤٨، مُتتبعاً بداياتها التي إنطلقت أو لموجاتها من روسيا وإستمرت حتى عام ١٩٠٣، وماهي التطورات المُهمّة التي واكبت الموجة الثانية منها للأعوام (١٩٠٤-١٩١٨) والنتائج التي تمخضت عنها؟ وماهو نمط المُهاجرين الذين شملتهم الموجة الثالثة للأعوام (١٩١٩-١٩٢٣) والزيادات التي طرأت على أعدادهم في ظل إجراءات الترخيص بذلك؟ وإلى أي مدى نجحت الحركة الصهيونية في ضمان إستمرار تدفق الهُجرة آبان الموجة الرابعة منها للأعوام (١٩٢٤-١٩٣١) وطبيعة الصعوبات التي واجهتها؟ وأهتم البحث بأبعاد صعود النازية والفاشية في ثلاثينيات القرن العشرين التي جاءت بالمُحصلة النهائية لصالح الحركة الصهيونية من خلال إستمرار تصاعد وتيرة الهُجرة الخامسة على نحو كبير للأعوام (١٩٣٣-١٩٣٩)؟ وماهي حقيقة الأسلوب الجديد الذي واكب موجة

الهجرة السادسة والأخيرة للأعوام (١٩٣٩ - ١٩٤٨)، التي عُرفت بغير المرخصة أو السرية ليأتي استكمالاً لما حقته الموجات السابقة؟

رافقت خطوات الإستحواذ على الأراضي الفلسطينية عملية تغيير ديمغرافي^(١) لفلسطين، إتمدت على إستيطان اليهود القادمين من دول العالم المختلفة. وفي هذا السياق تصاعد الإستحواذ على الأراضي مع عملية توطين اليهود محل السكان الأصليين الذين اضطروا النزوح لأماكن أخرى^(٢)، إذ تعرضت الأراضي الفلسطينية لموجات متعاقبة من الهجرة اليهودية، إستهلّت بدايتها بذرائع أعقبت عدداً من الأحداث التي سوّغت عملية إبعاد الفلسطينيين^(٣)، ومالبثت لاحقاً أن أخذت طابعاً منتظماً ومُرخصاً على وفق خطة أُعدت بدقة ودعم من حكومة الإنتداب البريطاني^(٤).

مثلت هجرات اليهود الأولى اللبنة الأساسية لبناء الوطن القومي اليهودي^(٥)، ووفق الإحصاءات التي إهتمت بالموضوع، لم يكن في فلسطين قبل عام ١٨٨٢ أكثر من خمسة آلاف يهودي وفدوا إليها لإعتبارات دينية محضة^(٦)، وإضطروا لاحقاً إلى مغادرتها بسبب إضطهادهم من قبل الإمبراطورية الرومانية. وتاريخياً لم يكن في فلسطين عند فتح المسلمين لبيت المقدس عام (٦٣٧ م) سوى أقلية يهودية لم تتعدى الأربعة بالمائة من مجموع السكان، وقد عاشت في كنف الدولة العربية الإسلامية وتمتعت بكامل حقوقها وحرياتهما، في حين تعرضت إلى الطرد من إنكلترا عام ١٢٩٠ ومن فرنسا عام ١٣٩١ ومن النمسا عام ١٤٢١ ومن إسبانيا عام ١٤٩٢ ومن البرتغال عام ١٤٩٨، مما إضطّر عدد منها الهجرة إلى بيت المقدس^(٧).

وفي أثر إنتشار مشروع الحركة الصهيونية بين الأوساط الغربية، أخذت الهجرة طابعاً سياسياً ومنتظماً^(٨)، إذ شهدت فلسطين للأعوام (١٨٨٢ - ١٩٤٨)

موجات عدة من المهاجرين الذين مثلوا قاعدة بشرية لقيام الوطن القومي اليهودي بمساعدة الدول الإستعمارية الغربية، لاسيما بريطانيا ثم الولايات المتحدة الأميركية^(٩).

البدايات الأولى للهجرة اليهودية إلى فلسطين

بدأت الموجة الأولى من الهجرة اليهودية إلى فلسطين على نحو دُفعتين، ابتدأت الأولى منها بين عامي (١٨٨٢ - ١٨٨٤)، في أعقاب التطورات التي شهدتها روسيا القيصرية وعمليات إضطهادهم، وكان أعضاء هذه الدفعة من جماعة منظمة الـ(بيلو Billu) الطلابية اليهودية الإستيطانية التي تأسست عام ١٨٨٢ في روسيا وأدت دوراً كبيراً في عمليات الإستيطان الصهيوني الأولى^(١٠)، وحث اليهود على العودة إلى فلسطين بكونها وفقاً لمزاعمهم وطنهم المقدس^(١١). في حين بدأت الدفعة الثانية عام ١٨٩١ واستمرت على نحو متقطع حتى عام ١٩٠٣^(١٢)، وبلغ مجموع المهاجرين فيها نحو ألفين وخمسمائة يهودي^(١٣) جُلهم من روسيا وبولندا^(١٤)، وقد أنشأ آنذاك نحو عشر مستوطنات جديدة لإيواء القادمين^(١٥).

وفي بادئ الأمر مولت الموجه من قبل جمعيات (أحباء أو هواة صهيون Hibbat Zion) التي نشأت في روسيا عام ١٨٨١ وانتشرت في عدد من دول أوروبا، فضلاً عن الولايات المتحدة الأميركية بهدف منع اندماج اليهود في المجتمعات التي يعيشون بينها كخطوة على طريق جمعهم في فلسطين. ومن جهته تولى الثري اليهودي اللورد (روتشيلد Rothschild ١٨٦٨ - ١٩٣٧)^(١٦) الإشراف على المهاجرين وبناء المستوطنات^(١٧)، إلى جانب إدارة (صندوق إستكشاف فلسطين Palestine Exploration Fund) البريطاني، المعروف إختصاراً بـ(PEF) الذي أسس عام ١٨٦٥ برعاية الملكة (فكتوريا Victoria ١٨٣٧ - ١٩٠١) بدعوى الإهتمام بالآثار والتأريخ والجغرافية الطبيعية لفلسطين، إلا أن هدفه الحقيقي هو جمع المعلومات الإستخبارية العسكرية^(١٨).

جرت الموجة الثانية للأعوام (١٩٠٤ - ١٩١٨) وشهدت أحداثاً مهمة، إذ تسلمت الحركة الصهيونية أعمال الإشراف على الهجرة والإستيطان اليهودي في فلسطين^(١٩)، بعد صدور تصريح أو وعد بلفور نسبةً إلى وزير الخارجية البريطانية (آرثر جيمس Arthur James Balfour ١٩١٦ - ١٩١٩) في الثاني تشرين الثاني ١٩١٧، الذي أعلن عن دعم بريطانيا لإنشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين، فضلاً

عن إنهيار الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى^(٢٠). وقد شهدت هذه الموجة قدوم أربعين ألف يهودي إستحوذوا على أربعمئة وثمانية عشر دونماً من الأراضي الفلسطينية، وبنوا أربعة وأربعين مُستوطنة^(٢١). وفي عام ١٩١٤ قُدرت نتائج أول تعداد سكاني لفلسطين بنحو ستمئة وتسعة وثمانين ألف ومائتين وخمس وسبعون نسمة، موزعين بواقع ٥٢١ ألف مُسلم ٧٨ ألف مسيحي و ٦٠ ألف يهودي وسبعة آلاف نسمة من المذاهب الأخرى^(٢٢).

ونظراً لظروف الحرب العالمية الأولى توقفت الهجرة ثم إستؤنف نشاطها عام ١٩١٨، في أثر دخول القوات البريطانية الأراضي الفلسطينية وإخضاعها للحكم العسكري البريطاني^(٢٣)، وأعلان الإنتداب البريطاني في فلسطين الذي فتح آفاقاً جديدة أمام الهجرة اليهودية^(٢٤)، إذ نص صك الإنتداب في مادته السادسة " إن الإدارة البريطانية سوف تلتزم بتسهيل الهجرة اليهودية بشروط مناسبة، وسوف تُشجع - بالتعاون مع الوكالة اليهودية-^(٢٥) إستيطان اليهود في الأراضي بما في ذلك الأراضي الحكومية والخالية وغير اللازمه للإستخدام العام"^(٢٦)، كما نصت المادة السابعة منه على ضرورة تسهيل منح المهاجرين اليهود الجنسية الفلسطينية، وبذلك أخذت الهجرة طابعاً شبه رسمياً أو مُرخصاً^(٢٧).

فضلاً عن ذلك نُفذت توصيات اللجنة الأميركية التي وصلت إلى فلسطين في العاشر من حزيران عام ١٩١٩ بعد أن قدمت تقريرها في الثامن والعشرين من حزيران من العام نفسه^(٢٨)، داعيةً اليهود إلى العودة والإستيطان في فلسطين^(٢٩). ومن جهتها أصدرت الإدارة المدنية البريطانية في فلسطين التي شكّل غالبية أعضائها من اليهود^(٣٠)، قانون الهجرة في السادس والعشرين من آب ١٩٢٠^(٣١)، الذي منح حق الهجرة إلى فلسطين لكل من: (اليهودي الذي يُمارس حرفة أو مهنة ويمتلك مبلغاً لا يقل عن خمسمئة جُنيه ؛ اليهودي الذي يمتلك ألف جُنيه ؛ اليهودي الذي يدرجه (الهستدروت Histadrut)^(٣٢) تحت وصف العامل الماهر، على أن يمتلك مبلغاً لا يقل عن مئتين وخمسين جُنيه ؛ اليهودي الذي له إيراد ثابت لا يقل عن أربعة جُنيهات شهرياً

؛ اليهودي اليتيم القادم إلى أحد ملاجئ اليهود في فلسطين ؛ الرجال والنساء اليهود الذين يُمارسون نشاطاً دينياً شرط كفالة إعالتهم من إحدى العائلات اليهودية في فلسطين ؛ الطلبة اليهود الحاصلين على ضمان الإعالة ؛ عائلات العمال من الرجال والنساء اليهود في فلسطين؛ كبار السن المكفولين بالإعالة من قبل أقاربهم في فلسطين^(٣٣).

مثل هذا القانون إسهاماً من الإدارة البريطانية لإنجاح المشروع الصهيوني الذي سهل للمنظمات اليهودية إدخال ستة عشر ألف وخمسمائة يهودي سنوياً إلى فلسطين^(٣٤) في الوقت الذي فرضت فيه الولايات المتحدة الأميركية وعددٌ من الدول الأوروبية الأخرى قيوداً على هجرة اليهود إليها بهدف دفعهم للهجرة إلى فلسطين^(٣٥). وعلى الغرار نفسه أصدرت بريطانيا قانوناً مُشابهاً عُرف بـ(قانون الغرباء Strangers Law)، الذي وضع نصه من قبل وزير خارجيتها بلفور^(٣٦).

موجات الهجرات المرخصة

بناءً على تلك الخطوات والإجراءات التي سوّغت الترخيص، بدأت فعلياً الموجة الثالثة من الهجرة للأعوام (١٩١٩ - ١٩٢٣)، وقد بلغ عدد اليهود الوافدين إلى فلسطين نحو خمسة وثلاثين ألف شخص، أي ما يُعادل ثمانية آلاف مهاجر سنوياً^(٣٧)، وكان معظمهم من روسيا ورومانيا وبولونيا وأعداد قليلة من لتوانيا وألمانيا والولايات المتحدة الأميركية^(٣٨). على أن الهجرة الثالثة جاءت مُشابهةً للثانية^(٣٩)، من حيث تركيبة أفرادها بكون غالبيتهم من الشباب العاطلين عن العمل والمُفلسين الذين إنتشرت بينهم حالات الإنتحار والمُشبعين بروح الكره والعدوانية^(٤٠).

رافقت الهجرة تطورات عدة، إذ أجرت حكومة الإنتداب تعداداً سكانيّاً لفلسطين عام ١٩٢٢^(٤١)، أظهرت نتائجها أن عدد اليهود في فلسطين آنذاك بلغ نحو ثلاثة وثمانين ألف وسبعمئة وتسعون نسمة أي ما يُعادل أحد عشر بالمائة من مجموع السُكان في فلسطين^(٤٢). وسعت حكومة الإنتداب البريطاني عام ١٩٢٣ إلى تهويد فلسطين بمنح

(الوكالة اليهودية)، تذاكر سفر للمُهاجرين اليهود لتوزعها من خلال مكاتبها في الدول الأوروبية على اليهود الذين إختارهم للهجرة إلى فلسطين^(٤٣).

أما موجة الهجرة الرابعة فقد جرت للأعوام (١٩٢٤-١٩٣١) وضمت نحو ثمانية وسبعين ألف وثمانمائة وثمانية وتسعين مُهاجراً^(٤٤). وبرغم إدعاءات حكومة الإنتداب بمُراقبتها الهجرة اليهودية للبلاد فيأثر الإحتجاجات الفلسطينية^(٤٥)، إلا أن الوكالة اليهودية لم توقف الهجرة، إذ تمكنت من إدخال اليهود بطرق مُختلفة^(٤٦)، وجندت لهذا الغرض كل مؤسساتها لضمان إدخال أكبر عدد مُمكن من اليهود للأراضي الفلسطينية. وفي هذا السياق دعت المؤسسات النسوية الصهيونية إلى منح النساء اليهوديات تذاكر السفر وعدم شمولهم بالمنع^(٤٧)، كما أقامت الوكالة معارض عدة للبضائع اليهودية في فلسطين لإدخال أكبر عدد من اليهود على هيئة مُشتركين ومُنظمين أو عارضين أو متسوقين منها^(٤٨). وإستمرت تلك المعارض مدة عامين^(٤٩)، حتى بلغ عدد اليهود في فلسطين عام ١٩٢٢ نحو ثلاثة وثمانين ألف يهودي، ووصل عددهم عام ١٩٢٤ إلى أربع وتسعين ألف وتسعمائة وخمسة وأربعين نسمة^(٥٠).

واجهت الموجة بعض المُعوقات عام ١٩٢٧ بسبب تدهور الوضع الإقتصادي لليهود في فلسطين^(٥١)، مما دفع حكومة الإنتداب البريطانية إلى مُساعدة الوكالة اليهودية بتقديم القروض المالية لدفعها كتعويضات لليهود العاطلين في فلسطين^(٥٢)، وفتحت إعتماًداً على أموال المُتبرعين من أثرياء اليهود، عدداً من المشاريع لتوفير فرص العمل^(٥٣). وسعيًا لإدخال المزيد من المُهاجرين اليهود، نظمت الوكالة اليهودية دورة الألعاب الأولمبية للفرق اليهودية التي عرفت بـ(المكابية Maccabia) وبدعوى المُشاركة فيها أدخلت أعداداً كبيرة من اليهود^(٥٤). وعلى هذا النحو أدخلت الوكالة أعداداً كبيرة من المُهاجرين للأعوام (١٩٢٧-١٩٣٠)، ويوضح الجدول أدناه أعداد الذين إستقروا منهم في فلسطين^(٥٥). على أن أغلب المُهاجرين قدموا من أقطار أوروبا الوسطى، لاسيما ألمانيا التيوفد منها نحو خمسة وأربعين ألف يهودي^(٥٦).

المدة من - إلى	عدد المهاجرين الذين إستقروا في فلسطين/ ألف نسمة
٣٠ حزيران ١٩٢٧ - ٣٠ حزيران ١٩٢٨	٢٤٠٠
٣٠ حزيران ١٩٢٨ - ٣٠ حزيران ١٩٢٩	٢٤٦٠
٣٠ حزيران ١٩٢٩ - ٣٠ حزيران ١٩٣٠	٢٠٠٠

وفي ثلاثينات القرن العشرين بدأ تحولٌ كبير في الهجرة اليهودية، إذ أدى تصاعد دور النازية والفاشية وسيطرتهما على وسط أوروبا وإتفاقيتهما على ضرورة إبعاد اليهود منها، دوراً كبيراً في زيادة معدلات الهجرة^(٥٧). ووفقاً لإحصائيات حكومة الإنتداب شهدت الهجرة إرتفاعاً غير مسبوق، إذ دخل إلى فلسطين نحو مائة وأربعة وسبعين ألفاً وستمائة وعشرة يهودي، وبلغ عددُ تذاكر السفر التي منحتها حكومة الإنتداب إلى الوكالة اليهودية آنذاك نحو ألف وسبعمائة وستة وستين^(٥٨).

ووفقاً لما تقدم مثلت الأعوام (١٩٣٣ - ١٩٣٩) ذروة الهجرة والإستيطان اليهودي في موجتها الخامسة، إذ شهدت تصاعداً كبيراً بعد أن وصل إلى فلسطين مليون وواحد وثلاثين ألف وتسعمائة وسبعة وسبعين يهودياً^(٥٩)، وبلغ عددُ التذاكر الممنوحة من قبل حكومة الإنتداب إلى الوكالة اليهودية نحو ألف وستمائة تذكرة^(٦٠)، وأدخل ماتبقى من اليهود إلى فلسطين بهيئة سياح^(٦١).

وفي هذا الصدد عقدت الوكالة اليهودية في السابع عشر من آب ١٩٣٣ إتفاقية (التحويل هعفارا Haavara Transfer) مع ألمانيا، فأنشأت بموجبها شركة مالية خاصة تتولى إدارة وتطوير النشاطات التجارية والمالية وتنظيم هجرة اليهود الألمان إلى فلسطين^(٦٢)، وضمت الأطراف الموقعة عليها كل من وزير الإقتصاد الألماني، وبن غوريون و(مابوفيتز غولداماير Mapovitz Goldamaer ١٨٩٨-١٩٧٨)^(٦٣)، إلى جانب (موشي شاريت Moshi Sharite ١٨٩٤-١٩٦٥)^(٦٤) ومُمثل الوكالة اليهودية في ألمانيا (ليفي أشكول Levi Ashcoul ١٨٩٥-١٩٦٩)^(٦٥)، بكونهما مُمثلين

عن الجانب اليهودي والحركة الصهيونية. ونصت الاتفاقية التي كَانَمُدها خمسة أعوام على تسهيل الحكومة النازية عملية هُجرة اليهود الألمان وأموالهم إلى فلسطين^(٦٦).

وإستناداً للاتفاقية دفعت ألمانيا بإتجاه تهجير اليهود إلى فلسطين^(٦٧)، ومن خلالها تمكنت الوكالة من إخراج نحو إثنين وثلاثين مليون جُنيه من أموال اليهود في ألمانيا^(٦٨). ومن جهتها أبدت روسيا تخوفها من التبعات السلبية لهُجرة رؤوس الأموال اليهودية على إقتصادها، وعلية سعت وبشتى الطرق إلى منع هُجرة اليهود إلى فلسطين، دون جدوى^(٦٩)، لاسيما بعد أن منحت حكومة الإنتداب إمتياز تجفيف بُحيرة الحولة غرب الجولان لشركة يهودية تابعة للوكالة، مما أدى إلى هُجرة العديد من أصحاب رؤوس الأموال اليهودية من روسيا إلى فلسطين^(٧٠).

بلغت الهجرة وانتقال رؤوس الأموال ذروتها عام ١٩٣٥، إذ أرتفع عددُ اليهود الوافدين إلى فلسطين نحو ثلاثمائةٍ وعشرين ألف وثلاثمائةٍ وثمانيةً وخمسين يهودي^(٧١)، وبلغ عددُ التذاكر المقطوعة من قِبل حكومة الإنتداب للوكالة اليهودية نحو خمسة آلاف وتسعمئةٍ وأربعةٍ وتسعين تذكرة^(٧٢). وتميزت هذه الدفعةُ من الهجرة بأن غالبية أعضائها من الكوادر العلمية، وعرفت أيضاً بهُجرة الشببية، إذ أنشأت الوكالة اليهودية دائرةً خاصة لهذه النمط من المهاجرين وسعت مكاتبها إلى جمع اليهود الأطفال حتى سن السادسة عشرة من الملاجئ والمعابد في الدول الأوربية ونقلهم إلى فلسطين^(٧٣).

وفي أثرٍ تصاعدُ معدلات الهجرة والإستحواذ على الأراضي والأعمال العدائية التي قام بها اليهود ضد العرب وإخفاق حكومة الإنتداب في إدارتها للبلاد وتواطؤها مع اليهود، إندلعت الثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦^(٧٤). على أن إعلان حكومة الإنتداب قانون الطوارئ في البلاد لم يمنع إتساع الثورة وإنخراط مُختلف فئات الشعب فيها^(٧٥)، مما دفع حكومة الإنتداب إلى سحب جُزءٍ من القوات البريطانية المتواجدة في مصر، وعقد إتفاقاً مع الوكالة اليهودية لمُساعدتها في القضاء على الثورة من خلال إعادة تنظيم أفراد الفيلق اليهودي للمشاركة مع القوات البريطانية في حفظ الأمن^(٧٦).

وفي خضم تلك التطورات إستطاع (جابوتنسكي Jabotinsky ١٨٨٠-١٩٤٠)^(٧٧) عام ١٩٣٧ من عقد إتفاقاتٍ مُشابهةٍ لإتفاقية هعفاراً مع بولونيا لتنظيم عملية نقل رؤوس الأموال اليهودية إلى فلسطين^(٧٨)، وعقد مثلها عام ١٩٣٨ مع جيكلوفاكيا و إيرلندا لتسهيل عمليات نقل المهاجرين وأموالهم إلى فلسطين^(٧٩). وكان لتلك الأموال أثرها في حركتي الإستيطان والهجرة آنذاك، إذ إستطاع الهستدروت منحاً لوكالة اليهودية قروصاً ماليةً لدفعها لليهود الوافدين بما يُسهل عليهم الإستيطان والبدء بأعمالٍ حرفية لاسيما الزراعة^(٨٠).

لم توهن تلك التطورات من إصرار الثورة الفلسطينية وإستمرارها، فأضطرت حكومة الإنتداب الرضوخ أمامها^(٨١)، بإعلان الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ الذي حاولت من خلاله تنظيم العلاقة بين العرب واليهود في فلسطين، إذ شمل أهم بنودة الحدّ من الهجرة اليهودية إلى فلسطين^(٨٢). على أن ذلك لم يحد من نشاط الوكالة اليهودية، فقد حاولت بشتى الطرق ضمان إستمرار تدفق المهاجرين، فابتدعت ما عُرِف بجمع الشمل الذي أتاح لكل مُستوطن يهودي في فلسطين دعوة زوجته وعائلته لمنهم الجنسية الفلسطينية في ضوء جنسيته، مما أدى إلى إنتشار الزيجات اليهودية السورية، إذ ما أن تحصل كل زوجة منهم على الجنسية يتم تقريتها لاحقاً ليتسنى لها الزواج من يهودي آخر خارج فلسطين ودعوته إليها، وهذا ما فسر إرتفاع حالات الطلاق التي سُجلت آنذاك^(٨٣).

وفي السياق نفسه إنطلقت عام ١٩٣٩ موجة الهجرة السادسة والأخيرة حتى إعلان قيام الوطن القومي في الرابع عشر من أيار ١٩٤٨^(٨٤)، ومثلت إستمراراً لأشكال الهجرة المباشرة عن طريق البحر إلى فلسطين أو من خلال إحدى البلدان المُحايدة، لاسيما تركيا ومنطقة البلقان وقبرص ومن ثم الحصول على جوازات الدخول^(٨٥) والانتقال إلى فلسطين براً أو بحراً، فضلاً عن ما وصل إلى شواطئ فلسطين من مراكب الهجرة التي سُميت آنذاك بغير المرخصة أو السرية، البالغ عددها نحو واحدٍ وعشرين مركباً نقلت نحو خمسة عشر ألف مهاجراً يهودياً^(٨٦). وكشفت الوثائق البريطانية السرية التي أُميط عنها اللثام، إن الأسطول البريطاني المُكلف

بمراقبة الشواطئ الفلسطينية ومنع الهجرة غير المرخصة أو السرية التي أدت إلى هياج شعبي في الأوساط العربية في فلسطين^(٨٧)، أجرى عملية صورية بينت إلتزامه إعلامياً ورسمياً في القبض على مراكب المهاجرين ومصادرتها، إلا أنه ما يلبث أن يرشدها إلى الشواطئ الآمنة ويمدّها بالمؤن والماء والوقود، ويطلق سراح المهاجرين ويهرب المراكب عبر البحر إلى خارج فلسطين لتعود ككرة أخرى مُحملة بالمزيد من المهاجرين وبالطريقة نفسها^(٨٨).

أصدرت الحكومة البريطانية عام ١٩٤٣ تعليمات إلى سفارتها في تركيا بمنح اليهود النازحين من مناطق السيطرة النازية تصاريح دخولاً إلى فلسطين^(٨٩)، ثم أجلت الولايات المتحدة الأميركية عام ١٩٤٤ اليهود من المناطق القريبة من التوسع النازي، وطالب الرئيس (هاري أس ترومان Harry S. Truman ١٩٤٥-١٩٥٣)^(٩٠) عام ١٩٤٥ بتنفيذ مقررات المؤتمر الصهيوني (بولتيمور Baltimore) الذي عُقد في مدينة نيويورك للمدة من (٩-١١ آيار ١٩٤٢)^(٩١)، وأهم ماجاء فيه: (الإعتراف بحق الشعب اليهودي في فلسطين ووضع تصريح بلفور ومانص عليه صك الإنتداب موضع التنفيذ الحقيقي وعدم عرقلة عجلة إنشاء الوطن اليهودي)^(٩٢)؛ منح اليهود حق تشكيل قوة عسكرية في فلسطين بشكل رسمي لحفظ الأمن اليهودي ومُساعدة الحلفاء^(٩٣) كما فعلت في الحرب العالمية الأولى عندما شكلت الفيلق اليهودي^(٩٤)؛ رفض الكتاب الأبيض الذي أصدرته حكومة الإنتداب عام ١٩٣٩^(٩٥)؛ تحويل الوكالة اليهودية كافة الصلاحيات الخاصة بإدخال اليهود المهاجرين إلى فلسطين وإختيار أماكن إستيطانهم^(٩٦)؛ فتح أبواب فلسطين أمام الهجرة اليهودية دون قيد أو شرط^(٩٧).

ويمكن القول أن هذا المؤتمر يُعد الأخطر بعد وعد بالفور، إذ تقرر فيه تنفيذ ماجاء في الوعد، ليشكل بذلك نقطة تحول كبيرة في علاقات الحركة الصهيونية الدولية، إذ تحوّل مركزها من بريطانيا إلى الولايات المتحدة الأميركية بكونها الراعية الإستعمارية الجديدة للمشروع الصهيوني التوسعي، وهذا ما انعكس سلباً على قضية الشعب الفلسطيني، وإيجاباً على الحركة الصهيونية.

وفي ضوء ذلك شكّلت لجنة (إنكلو - أميركية) لبحث قدرة فلسطين على إستيعاب اليهود المنتشرين في أوروبا^(٩٨). وفي عام ١٩٤٦ نشرت اللجنة في ضوء التحقيق توصياتها التي جاءت مـؤيدةً لرأي الرئيس ترومان^(٩٩)، وفي هذا السياق وصلت حصيلة الموجة السادسة للهجرة نحو مئة وثمانية عشر ألف وثلاثمئة يهودي دخل فلسطين^(١٠٠).

موجة الهجرة غير المرخصة أو السرية

واكبت الهجرة الأخيرة موجة مُماثلة عرفت وفقاً لما ذهبت إليه مصادر عدة بـ(الهجرة غير المرخصة أو السرية)^(١٠١)، التي تولى شؤونها على نحو واضح جهاززي الهاغاناه و(موساد لي عليا بيت) الإستخباري المعروف إختصاراً بـ(الموساد Mossad) الذي اضطلع بمهمة إخراج يهود أوروبا وتهجيرهم إلى فلسطين^(١٠٢)، وله فروع ومكاتب ووكلاء في أغلب دول العالم^(١٠٣)، وفق مخطط مُحكم وضعتُه الوكالة اليهودية ونفذته مؤسساتها وتنظيماتها^(١٠٤)، لإنشاء وتأمين محطات ترحيل يهودية دولية^(١٠٥). ووفقاً لذلك أُنْعِمَ عُملاء الموساد بإيصال السفن والمراكب المُحملة بالمُهاجرين إلى الشواطئ الفلسطينية وتسليمها إلى قوات الهاغاناه التي قامت بدورها بإيصالهم إلى المُستوطنات لتُسَلِّمهم إلى دوائر الوكالة الصحية والتدريبية والتتقيفية^(١٠٦). وفي الوقت نفسه حاولت الوكالة اليهودية الحصول على أكبر قدر مُمكن من تصاريح الدخول وشهادات التجنيس^(١٠٧)، وقد إستمرت وتيرة الهجرة حتى عام ١٩٤٨، ولعل ما ميّز مراحلها الأخيرة أن أغلب اليهود الذين أُدخلوا وفق تلك الطريقة هم من يهود الأقطار العربية الذين مُنعوا من الهجرة منها إلى فلسطين^(١٠٨)، وكانت إيران من أبرز محطات الترحيل، فضلاً عن الأردن وقبرص واليونان^(١٠٩).

وعلى نحوٍ عام يظهر أن الحركة الصهيونية ومنذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر وحتى عام ١٩٤٨، إستطاعت النجاح على وفق برنامج واسع ومُحكم الشروع بتنفيذ هجرة مُنظمة وبخطى حثيثة إلى فلسطين كمرحلة أولى على طريق الإستيطان فيها، مُستغلة في ذلك الظروف الدولية التي جاءت بصالحها إلى جانب ضُعف الدولة العثمانية من جهة، ومُستعينة بعدد من القوى الإستعمارية، لاسيما بريطانيا الدولة

المنتدبة على فلسطين ومن ثم الولايات المتحدة الأميركية التي ظهرت قوة مؤثرة وفاعلة في إثر تبذل موازيين القوى، من جهة أخرى. وبرغم كل الجهود التي بذلتها المقاومة الفلسطينية ضد الهجرة اليهودية، إلا أنها لم تحد من استمرارها ووقف أنشطتها الهادفة إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين.



- (١) مُصطلح أغريقي إستخدم لأول مرة عام ١٨٥٥ لوصف السكان، ثم أصبح علماً لدراسة حجمه وتوزيعه وتركيبه، وإعتمد في التعبير عن الإبادة الجماعية أو النزوح التام للسكان الأصليين وإسكان أناس آخرين محلهم. بيير فرومون، السكان والإقتصاد " دراسة التأثير المتبادل بين العوامل الإقتصادية والسكانية في العالم"، ترجمة منصور الزيدي وعبد الجليل ظاهر، (بغداد، ١٩٦٨)، ص ١٠؛ يونس حمادي علي، مبادئ علم الديمغرافية " دراسة السكان"، (بغداد، د. ت)، ص أ.
- (٢) حسين عبد القادر صالح، الأوضاع الديمغرافية في فلسطين ١٨٩٧-١٩٤٨، (بيروت، ١٩٩٥)، ص ١١.
- (٣) بسام محمد العبادي، الهجرة اليهودية إلى فلسطين جذورها دوافعها مراحلها إنعكاساتها ١٨٨٠-١٩٩٠، (عمان، ١٩٩٢)، ص ٤.
- (٤) أرنولد توينبي، فلسطين الجريمة والدفاع، ترجمة عمر الديراوي، (بيروت، ١٩٦١)، ص ٦.
- (٥) سليمان رشيد، الكيان الصهيوني والهجرة، آفاق عربية، العدد ٥، كانون الثاني ١٩٨١، ص ٥٥.
- (6) Normal Bentwich , Palestine Modern World Series , (London , 1996) , p.42 .
- (٧) صموئيل أنتجر، اليهود في البلدان الإسلامية، ترجمة جمال أحمد الرفاعي، (الكويت، ١٩٩٥) ، ص ١٥٢.
- (٨) إيركسين تشاليدرز، تأريخ الحركة الصهيونية، ترجمة بسام أبو غزالة، (بيروت، ١٩٦٦)، ص ٣٧.
- (٩) قحطان الطويل، الإستعمار الإستيطاني الصهيوني في فلسطين، (بغداد، ١٩٧٥)، ص ٢٣؛ هادي طعيمة، العنصرية الصهيونية الأيديولوجية والتكوين الإستيطاني، آفاق عربية، العدد ٦، شباط ١٩٧٨، ص ٧٢.
- (10) R.Garaudy , The Case of Israel a study of Political Zionism , (London , 1983), p.8;
- عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، مج ١، (بيروت، ١٩٧٩)، ص ٦٥٧.
- (١١) عبد الحميد العلوجي، المد الصهيوني بين الهجرة والهجرة المضادة، (بغداد، ١٩٧٠)، ص ٨٢.
- (١٢) سلافة حجاوي، اليهود السوفيت دراسة في الواقع الإجتماعي، (بغداد، ١٩٨٠)، ص ٣٨.
- (٢) حسين عبد القادر صالح، سكان فلسطين ديمغرافياً وجغرافياً، (عمان، ١٩٨٥)، ص ١٤٣.

(١٤) حجاوي، المصدر السابق، ص ٣٧؛ فلسطين الثورة، بيروت، لعدد ٦٠٥، ١٠ آيار ١٩٨٦، ص ٣.

(١٥) فواز حمدان الشرقاوي، السكان اليهود في فلسطين دراسة في الصراع السكاني خلال القرن العشرين، الجامعة الإسلامية، الرياض، ١٩٩٦، ص ٢٥.

(١٦) هو (ليونيل وولتر دي روتشيلد Lionel Walter de Rothschild) سليل عائلة روتشيلد اليهودية الثرية، ومؤسس فرعها البريطاني، عمل في السياسة فضلاً عن كونه عالم حيوان، تبنى الفكر الليبرالي التحرري، وأصبح من الداعمين للحركة الصهيونية والمؤيدين للإستيطان في فلسطين.

Leonard Stein, The Balfour Declaration, (New york, 1961), P. 341; The New Encyclopaedia Britannica, vol.10, 15th.ed, (Chicago, 1988), pp.201-202.
(17) Fannie Fern Andrews, The Holy Land under Mandate, vol. III, (New York, 1931), p. 309;

رياض البارودي، اليهودية العالمية، (بيروت، د.ت)، ص ٥٤؛ المستقبل العربي، بيروت، العدد ١٨٠، شباط ١٩٩٢، ص ٢٠.

(18) A. L. Tibawi, British Interests in Palestine 1800-1901, (London, 1961), p.143.

(١٩) الشرقاوي، المصدر السابق، ص ٢٦.

(20) John Marlow, Rebellion Palestine, (London, 1946), p. 38;

عزيز جاسم الحجية، وعد بلفور، (بغداد، ١٩٦٧)، ص ٢١-٢٣.

(٢١) الإستعمار الإستيطني والصهيوني في فلسطين، جامعة الدول العربية، (القاهرة، ١٩٧٥)، ص ٩.

(٢٢) نبيل السهلي، التحولات الديمغرافية للشعب الفلسطيني، (عمان، ٢٠٠٣)، ص ١٠٣.

(٢٣) نزار أمين حمد الزبيدي، صحيفة فلسطين وموقفها من السياسة البريطانية في فلسطين ١٩٢١-١٩٤٧

رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية،

بغداد، ١٩٨٨، ص ٥٩.

(٢٤) الإستعمار الإستيطني والصهيوني، ص ٩.

(٢٥) ظهرت في أعقاب الحرب العالمية الأولى، بكونها أحد الهيئات الإستشارية لحكومة الإنتداب

البريطاني والنواة الأولى التي أسست موطئ قدم لليهود في فلسطين والناطقة بإسمهم في العالم،

وأسهمت لاحقاً بعد تطور أدواتها (التنظيمية، الإدارية، السياسية، الإقتصادية، المالية، العسكرية،

الإعلامية) كأداة تنفيذية للحركة الصهيونية وإتساع أهدافها في رسم وتوجيه السياسة البريطانية في

فلسطين، وبما يحقق أهداف الحركة الصهيونية.

عبير وفيق شفيق، الوكالة اليهودية ونشاطها في فلسطين (١٩٢٢-١٩٤٨)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية - ابن رشد، ٢٠١٢.

(26) An Introduction to the Jewish Agency for Israel, The Jewish Agency for Israel, (Jerusalem, 1986), p. 13.

(٥) شفيق الرشيدات، فلسطين تاريخاً وعبّر ومصير، (بيروت، ١٩٩١)، ص ١١٠؛ محمد متولي، سياسة الإستعمار الصهيونية تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين، ج ١، (القاهرة، ١٩٧٠)، ص ٤٨٩.

(١) أحمد حجاج، سكان إسرائيل تحليلات وتنبؤات، (بيروت، ١٩٨٦)، ص ٤٣.

(٢) Harry N. Howard, the King - Crane Commission Khaytes, (Beirut, 1903), p.349.

(٣) إعتد المندوب السامي البريطاني اليهودي في فلسطين (هربرت صموئيل Herbert Samuel ١٩٢٠-١٩٢٥) بشكل كامل على اليهود في إدارة الشؤون المدنية، فضلاً عن عدد من الموظفين الموالين للصهيونية.

يوسف محمود يوسف، إسرائيل البداية والنهاية، (القاهرة، ١٩٩٤)، ص ١٩٨.

(٤) محمد السيد سعيد وآخرون، إستيعاب المهاجرين في إسرائيل، (القاهرة، ١٩٧٨)، ص ٤٨.

(٥) هو مختصر (الإتحاد العام للعمال العبريين The General Union for Hebrews Labour) الذي تأسس عام ١٩٢٠ في حيفا بهدف تأمين الشروط الضرورية لتنظيم شؤون العمال الصهاينة في أرض إسرائيل.

لورانس ماير، إسرائيل الآن صورة بلد مضطرب، ترجمة مصطفى الرز، (القاهرة، ١٩٩٧)، ص ١٢٣؛ عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مج ٧، (بيروت، ٢٠٠٥)، ص ٢٧٢؛

p.947. The New Encyclopaedia Britannica, vol.5,

(١) إسرائيل كوهين، هذه هي الصهيونية، (القاهرة، ١٩٥٤)، ص ١٠٠-١٠٢.

(٢) عبد القادر خريسات وزهير غنایم عبد اللطيف، تقارير بريطانية عن فلسطين وشرقي الأردن ١٩٢٠-١٩٤٠، (عمان، ٢٠٠٢)، تقرير المندوب السامي هربرت صموئيل عن إدارة فلسطين من سنة ١٩٢٠ إلى سنة ١٩٢٥ المقدم إلى وزارة المستعمرات البريطانية عن السنوات الخمس التي تولى فيها الإدارة في فلسطين، ص ١٤-٢٢.

(٣) Jack Wertheimer, Charles Lineman and Steven M. Cohen, How to Save American Jews, (Michigan, 1997), p. 99.

(٤) م. موسيك، سياسة الهجرة في فلسطين في عهد هربرت صموئيل، ترجمة مكي حبيب المؤمن، دراسات فلسطينية، بيروت، العدد ٢٣، حزيران ١٩٧٩، ص ١١٢.

- (١) العلوجي، المصدر السابق، ص ١٢٥.
- (٢) British Government , The Political History of Palestine Under the British Administration, Palestine Royal Commission , Report 5479, (London , 1937), p. 249.
- (٣) السهلي، المصدر السابق، ص ١٠٣.
- (٤) المكتب الإسرائيلي المركزي للإحصاء، التعداد السكاني الذي أجرته حكومة الإنتداب البريطاني عام ١٩٢٢، (القدس، ١٩٨٨).
- (٥) محمد حافظ يعقوب، نظرة جديدة إلى تأريخ القضية الفلسطينية ١٩١٨-١٩٤٨، (بيروت، ١٩٧٣)، ص ٢٨-٩٠.
- (٦) محمد تيسير عبد الحافظ، الأوضاع الديمغرافية للشعب الفلسطيني خلال القرن العشرين، (القاهرة، ١٩٨٦)، ص ٢٢.
- (٧) السهلي، المصدر السابق، ص ١٠٤.
- (١) العلوجي، المصدر السابق، ص ١٣٧ ؛ نظام محمود بركات، الإستيطان الصهيوني في فلسطين بين النظرية والتطبيق، (بيروت، ١٩٨٨)، ص ٤٦.
- (٢) p.62. Walter Laqueur , A History of Zionism , (London , 1972).
- (٣) العلوجي، المصدر السابق، ص ١٣٧ ؛ بركات، المصدر السابق، ص ٤٧.
- (٤) السهلي، المصدر السابق، ص ١٠٤ - ١٠٥.
- (٥) إميل الغوري، المعذبون في أرض العرب " كيف نسترجع الوطن السليب " (بيروت، ١٩٦١)، ص ٥٩.
- (٦) كامل محمود خله، فلسطين والإنتداب البريطاني ١٩٢٢-١٩٣٩، ط ١، (بيروت، ١٩٧٤)، ص ٥١١ ؛ المنصوري، المصدر السابق، ص ٥٠.
- (١) الوثيقة رقم (١٣٥) رد اللجنة التنفيذية العربية على ملاحظات المندوب السامي حول مذكرة اللجنة المرفوعة إلى لجنة الإنتدابات التابعة لعصبة الأمم في جنيف ٢٨/١٠/١٩٢٤؛ علي محمد علي، ملف وثائق وأوراق القضية الفلسطينية، (بيروت، ١٩٦٨)، ص ٢٩-٣١؛ موسى سميحة، التغيرات الديمغرافية في فلسطين دراسة في النمو السكاني والصراع الديمغرافي، (تونس، ١٩٨٤)، ص ٣٩٢.
- (٢) العلوجي، المصدر السابق، ص ١٤٢.
- (٣) British Government., p. 282.
- (٤) Howard Peak Structural, Change and Economic Policy in Israel , (New Haven , 1971), p.20.

(٥) حاييم كوفمان، الثقافة الرياضية البدنية في إسرائيل في القرن العشرين، ترجمة شريف تشاجلي، (القدس، ٢٠٠٢)، ص ١.

(١) عبد الوهاب الكيالي، وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الإحتلال البريطاني والصهيوني ١٩١٨-١٩٣٩، (بيروت، ١٩٨٨)، الوثيقة رقم (١٤٢) مذكرة اللجنة التنفيذية العربية للمندوب السامي بشأن قضية الراضي والهجرة اليهودية ١٩٣٤/١٢/١، ص ٣٥٨.

(٢) رشاد الشامي، المشروع الصهيوني في قرن: الإنجازات والإخفاقات والإتجاهات الجديدة، مؤتمر مُستقبل السيناريوهات الإسرائيلية للصراع العربي الإسرائيلي " العرب وإسرائيل في القرنين العشرين والواحد وعشرين"، عمان، ٩٢-٧٢ تشرين الثاني ٢٠٠٣، ص ١٨.

(٣) سليمان رشيد، ألمانيا النازية والقضية الفلسطينية، شؤون فلسطينية، بيروت، العدد ١٩٧٤، ص ٣١، ص ٩٦. (١) موسى سميحة، التغيرات في فلسطين " دراسة في النمو السكاني والصراع الديمغرافي"، (تونس، ١٩٨٤)، ص ٤١٠.

(٢) وليم فهمي، الهجرة اليهودية إلى فلسطين، (القاهرة، ١٩٧٤)، ص ٨٣.

(٣) فريال السيد، الهجرة اليهودية إلى فلسطين ومراحل تنفيذها. مؤتمر لإتحاد العام للحقوقيين الفلسطينيين، عمان، ٢٧/٣/٢٠٠٩، ص ١٣.

(٤) فهمي، المصدر السابق، ص ٨٥.

(٥) وليد عبود محمد شبيب الدليمي، السياسة الألمانية تجاه المشرق العربي ١٩٣٣-١٩٤٥، إطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية - ابن رشد، جامعة بغداد، ١٩٩٩، ص ٢٠٤؛ دوغلاس فيث، ولاية إسرائيل لمن، ترجمة مركز الدراسات الفلسطينية، (بيروت، ١٩٩٩)، ص ٢٢. للتفاصيل عن تلك الإتفاقية. يُنظر:

علي محافظة، العلاقات الألمانية- الفلسطينية ١٨٤١-١٩٤٥، ط ١، (بيروت، ١٩٨١) ص ٢٠٠؛

Documents on German Foreign Policy (1918-1945), Ser. C., vol. 1,
The Minister of Economic to the Foreign Ministry, Berlin, 10 August
1933, No. 399, PP. 732-733.

سُيُرمز لها في الهوامش اللاحقة: D.G.F.P

(١) ولدت في أوكرانيا ثم هاجرت مع عائلتها الى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٠٦، وانضمت هناك إلى فروع أعباء صهيون عام ١٩١٥، وانتقلت للإستيطان في فلسطين عام ١٩٢١ ونشطت في الهستدروت حتى إنتخبت عام ١٩٢٨ سكرتيرة لإدارة مجلس العاملات، وبعد إعتقال زميلها في النشاط الصهيوني موشي شريتوك عام ١٩٤٦ الذي كان آنذاك رئيساً للمكتب السياسي في الوكالة اليهودية، تسلمت منصبه وأدت دوراً كبيراً عام ١٩٤٨ عندما قابلت الملك (عبد الله الأول

١٩٤٦-١٩٥١) في الأردن لحته على إقناع العرب بوقف الحرب والوصول إلى حلول سلمية للمشكلة.

Lisa A. Goodman , Listening to Battered Woman in Israel, Washington , 2002), pp.22-25 ;)

فرسان السيد، زعامات وقيادات إسرائيلية، (القدس، ١٩٩٦)، ص٢٨؛ أنيس صايغ، رجال السياسة الإسرائيلون، (بيروت، ١٩٧٠)، ص٣٨-٣٩.

(٢) ولد في مدينة خيرسون في أوكرانيا، قدم مع عائلته إلى فلسطين آبان إدارة الدولة العثمانية لفلسطين. تُعد أسرته من العوائل المؤسسة لمدينة تل أبيب ، وبعد حصوله على الجنسية العثمانية خدم في الجيش العثماني مُترجماً للغة الإنكليزية، ثم درس الحقوق في إسطنبول، ومع نشوب الحرب العالمية الأولى إنتقل إلى لندن وإنظم عام ١٩٣١ إلى المكتب السياسي للوكالة اليهودية، وتسلم رئاسته عام ١٩٣٣.

صايغ، المصدر السابق، ص٣٨-٣٩.

(٣) ولد في أوكرانيا وهاجر إلى فلسطين عام ١٩١٤، إنضم إلى الفيلق اليهودي في الحرب العالمية الثانية وأصبح من القيادات البارزة للهاغانا. المصدر نفسه، ص٣٨-٣٩.

(٤) D.G.F.P. , Sr. D., Circular of the Foreign Ministry, Vol. V., No.664, p. 931.

(١) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، (بيروت، ٢٠٠٥)، ص٨٩؛ محمد محمود ربيع وإسماعيل صبري مقلد، موسوعة العلوم السياسية، (الكويت، ١٩٦٥)، ص٨٢.

(٢) فيث، المصدر السابق، ص٣٢.

(٣) أمين عبد الله محمود، الإتحاد السوفيتي وتأسيس إسرائيل، (الكويت، ١٩٩٩)، ص ٩٢.

(٤) F.O. , 371/ E 640 , dead sea Salt Commission , 23 Dec 1931 , pp. 117-118.

(٥) محمد علوش، صراع الجنرالات في إسرائيل، (بيروت، ١٩٧٤)، ص٣٦.

(٦) فيث، المصدر السابق، ص٣٤.

(١) ممدوح الروسان، فلسطين والصهيونية ١٨٨٢-١٩٤٨، (عمان، ١٩٨٣)، ص١٥٤.

(٢) محمد رفعت، قضية الفلسطينيين، (القاهرة، ١٩٧٤)، ص٨١.

(٣) Great Britain , Colonial Office Palestine Royale Commission , Presented by Secretary of State for Colonies to parliament , July 1937, Cmd 547, pp.95-96.

(٤) دار الكتب والوثائق، ملفات البلاط الملكي، ملف ٣١١/٧٦٨ ، تقرير القنصلية العراقية في القدس لشهر آذار ١٩٣٦، و ٣٦، ص١٤٦؛ ملف ٣١١/٧٦٩، تقرير القنصلية العراقية في حيفا المرقم

١٤/٥٦٧ في ٢٣ تموز ١٩٣٦، و٢٧، ص١٠٧؛ ملف ٣١١/٩٩٩، تقرير القنصلية العراقية في القدس لشهر كانون الثاني ١٩٣٧، و ٢٧، ص٥٦؛ رقم الملف ٣١١/٧٧٠، تقرير القنصلية العراقية في لندن لشهر كانون الثاني ١٩٣٨، و ٤٥، ص١٣٤. سُرّمز لها في الهوامش اللاحقة: د. ك. و.

(١) هو فلاديمير زئيف جابوتنسكي، لقب بإبن الصهيونية المُرعِب، ولد في روسيا وتلقّى ثقافةٍ ليبرالية على وفق المذهب التحرري، وعند بلوغه سن السابعة عشر عمل صحفياً في سويسرا و روما، ثم أكمل دراسته في أوديسا- أوكرانيا، ثم عمل مبعوثاً للصهيونية في تركيا لمُدّة عامين. أنشأ عام ١٩٢٠ مُنظمة (الهاغانا Haganah) الصهيونية العسكرية الإستيطانية، وعُرف بتنزّمته الشديد للحركة الصهيونية وإنتهاجه أساليب قمعية في بناء الدولة.

I.M.F.A., Vladimir Zeev Jabotinsky, Tal Aviv, 23 Dec 2000; The New Encyclopaedia Britannica, vol. 6, p. 452.

(٢) David Ben-Gurion , Israel: A personal History , (New york , 1971), pp.38-39.

(٣) العلوجي، المصدر السابق، ص٢٠١-٢٠٢.

(٤) الغوري، المصدر السابق، ص٦٢.

(٥) محمد علي طاهر، أوراق مجموعة من كتاب أحمر عن الفضائع الإنكليزية في فلسطين وغدر اليهود وصبر العرب، (القاهرة، ١٩٤٨)، ص٨٩.

إرتكبت التنظيمات الصهيونية التابعة للوكالة أعمال عدائية عدة ضد العرب الفلسطينيين، لاسيما المُنظمة العسكرية السرية (الآرغون Irgun) ومُنظمة مُحاربون من أجل حُرّية إسرائيل(شتيرن Stern) سيعاً منها لإيقاف الثورة والقضاء على قياديينها.

Foreign Relations of the United State Diplomatic papers ,vol. IV, from the Consul General at Jerusalem (Wads worth) to Secretary of State, Jerusalem, 28 June 1939, p.780.

سُرّمز لها في الهوامش اللاحقة: F.R.U.S.D.P.

(١) روزماي صايغ، الفلاحون الفلسطينيون من الإقتلاع إلى الثورة، ترجمة خالد عايد، (بيروت، ١٩٨٠)، ص٨٩.

(٢) الغوري، المصدر السابق، ص٦٢.

(٣) موفق النقيب، مناهج الإرهاب الصهيونية في إسرائيل، (دمشق، ٢٠٠٥)، ص٥٢.

(٤) عبد القادر ياسين، الهُجرة اليهودية، آفاق عربية، بغداد، العدد ٦، شباط ١٩٧٨، ص٢١.

(٥) F.R.U.S.D.P., vol. III, form the British Embassy to the Department of State, Washington, 22 Nov 1940, p. 850.

- (١) F.R.U.S.D.P., vol. III, from General Consul at Jerusalem (Wads worth) to the Secretary of the State, 20 Jun 1940, p. 839.
- (٢) Great Albert Hyamson , Palestine under Mandate 1920-1948 (Michigan , 1950) , pp. 17-18.
- (٣) جمعة خليفة كنج، الإدارة الأميركية والقضية الفلسطينية ١٩٤١-١٩٤٧، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٩، ص ٥٥.
- (٤) الرئيس الثالث والثلاثون للولايات المتحدة الأميركية. ولد بمدينة لامار في ميسوري عام ١٨٨٤، أصبح نائباً في مجلس الشيوخ عام ١٩٣٤، إختارهُ الرئيس (فرانكلين روزفلت Franklin Roosevelt ١٩٣٣ - ١٩٤٥) نائباً لَهُ عام ١٩٤٤ وخلفه عند وفاته. كان لَهُ دور كبير في صدور قرار تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧.
- New Age Encyclopedic, vol.18, 18th ed., (Lexington, 1980), pp.244-246.
- (١) محمد شديد، الولايات المتحدة والفلسطينيون بين الإستيعاب والتصفية، (بيروت، ١٩٨١)، ص ٦٢-٦٣.
- (٢) توفيق أبو بكر، الولايات المتحدة الأميركية والمشرق العربي الإسرائيلي، (الكويت، ١٩٨٦)، ص ٣٠.
- (٣) كنج، المصدر السابق، ص ٥٥.
- (٤) F.O. , 371/E391/304 , from the Secretary of State Foreign Affairs for the Director of the Mandates Section. 27 Oct 1931, pp.36-39.
- (٥) عبد الرحمن أحمد حسن، النشاط الصهيوني خلال الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٤، (بيروت، ١٩٨٤)، ص ٢٤.
- (٦) رينشارد ستيفس، الصهيونية الأميركية وسياسة أميركا الخارجية ١٩٤٢-١٩٤٧، ترجمة نجيب واكيم، (بيروت، ١٩٦٧)، ص ٢٦.
- (٧) حسن، المصدر السابق، ص ٢٤-٢٥.
- (١) مهدي عبد الهادي، المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السياسية ١٩٣٤-١٩٧٤، (بيروت، ١٩٩٨)، ص ٥٤.
- (٢) Frank Edward Manuel , The Realities of American Palestine Relations , (Washington , 1999) , p. 312.
- (٣) (New York, Meivin Woisky , We are One " American Jewry and Israel ", 1978) p. 117.

(٤) فتحي فوزي، المزامع الصهيونية في فلسطين، (القاهرة، ١٩٩٠)، ص ٣٢؛ مصطفى عبد العزيز، إسرائيل ويهود العالم، (بيروت، ١٩٦٩)، ص ١٠١؛ فرانتز شايدل، إسرائيل أمةٌ مُفتعلة، ترجمة يعقوب الياب، (دمشق، ١٩٦٩)، ص ١٣٠.

(١) تصفية المواطن الفلسطيني من فلسطين " أجهزة القمع الإسرائيلية "، مؤسسة شهيد الحق، (رام الله، ٢٠٠١)، ص ١١.

(٢) F.R.U.S.D.P., vol. III, form Consul General at Jerusalem (Morris) to Secretary of the State, 25 April 1936, p. 39.

(٣) الروسان، المصدر السابق، ص ١٤٤.

(٤) تصفية المواطن الفلسطيني، المصدر السابق، ص ١٥.

(٥) د. ك. و.، ملفات البلاط الملكي، ملف ٣١١/٧٦٧، تقرير القنصلية العراقية في حيفا الى وزارة الخارجية العراقية المرقم ٢٤/١٧٠ في ١٣ شباط ١٩٣٦، و ١٩، ص ٧٧-٧٨.

(٦) خله، المصدر السابق، ص ٥١٣؛ الغوري، المصدر السابق، ص ٦٢.

(٧) خلدون ناجي معروف، اليهود والصهيونية في فترة الإحتلال البريطاني للعراق، آفاق عربية، بغداد، العدد ١١، تموز ١٩٧٦، ص ٧٢-٨٠.

(٨) سليم طه التكريتي، التحالف الفارسي اليهودي ضد العروبة والإسلام منذُ العصور السابقة للتأريخ الميلادي حتى اليوم، آفاق عربية، العدد ١٠، حزيران ١٩٨٢، ص ٣٥-٣٦؛ صباح محمود أحمد، النشاط الصهيوني في إيران، آفاق عربية، العدد ٦، حزيران ١٩٨٦، ص ١٦-١٩.

أصول الرواية عند الصحابي الجليل رافع بن

خديج رضي الله عنه دراسة تحليلية لمنهجه

أ.د. فاطمة زبارع نيزان

مركز إحياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد

ملخص البحث

ان لرافع بن خديج "رضي الله عنه" مكانه كبيرة في الإسلام من ولادته في بداية البعثة النبوية ، وكانت له مشاركة فعالة في اغلب الغزوات التي حضرها مع الرسول " صلى الله عليه وسلم" ، ولرفقته للرسول ﷺ الأثر الأكبر في نبوغه وتشرفه بصحبة الرسول ﷺ وحفظ السنة النبوية المشرفة ، وبرز في ذلك على قدر من البلاغة في تأديتها فقد روى العديد من المرويات التي كان لها قيمة كبير واثر بالغ من خلال تحليل وتفسير الأحداث من خلال رؤى عاصرها، وكان له الفضل إيضاحها بأسلوب منهجي قائم على أساس التحليل لتلك الأحاديث التي نقلها عن الرسول ﷺ .

Abstract

Takes this kind of study is important in the field of historical studies which are based on the idea of a methodology by which the analysis of texts contained in these novels and conversations Mstenbtin of them foundations methodology upon which the grounds that Almrutat and conversations that appear to the researcher or the reader it in the form of one or a single approach Alaanha otherwise find variety in formulas in terms of systematic analysis has, since emerging in each one direction, which has him and take a systematic approach is different from the other or complement it sometimes, and here lies the importance of this subject, which is based on research in ((assets novel when Sahaabi Rafi Ben premature " may Allah be pleased with him" / analytical study)) which they can offer part fraction of those trends methodology which we found in the Narratives and talk this Sahaabi conveyed by the Prophet " peace be upon him" whether direct or indirect or listening or news and others.

مُقَدِّمَةٌ

يأخذ هذا النوع من الدراسات أهميته في مجال الدراسات التاريخية التي تقوم على أساس فكرة منهجية يمكن من خلالها تحليل النصوص الواردة في تلك الروايات والأحاديث مستتبطين من منها الأسس المنهجية التي قامت عليها أسانيد تلك المرويات والأحاديث التي تظهر للباحث أو القارئ أنها على شكل واحد أو منهج واحد إلا أنها عكس ذلك نجدها متنوعة في الصيغ من ناحية التحليل المنهجي لها، إذ تبرز في كل واحد منها اتجاهه الذي قام عليه ويتخذ أسلوباً منهجياً مختلفاً عن الآخر أو مكماً له في بعض الأحيان، وهنا تكمن أهمية هذا الموضوع الذي يقوم على أساس البحث في ((أصول الرواية عند الصحابي الجليل رافع بن خديج" رضي الله عنه" /دراسة تحليلية)) يمكن من خلالها أن نقدم جزءاً يسيراً من تلك الاتجاهات المنهجية التي وجدناها في مرويات وأحاديث هذا الصحابي الجليل التي نقلها عن الرسول " صلى الله عليه وسلم" سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة أو بالسماع أو الإخبار وغيرها.

اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مبحثين هما:

- ١- المبحث الأول: رافع بن خديج" رضي الله عنه" السيرة والمكانة العلمية.
- ٢- المبحث الثاني: أصول الرواية عند الصحابي رافع بن خديج " رضي الله عنه"

المبحث الأول

رافع بن خديج رضي الله عنه "السيرة والمكانة"

١ - اسمه

رافع بن خديج بن رافع بن عدي^(١)، بن تزيد^(٢)، ابن عمرو بن زيد بن جشم^(٣)، حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن أوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة ابن امرؤ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الازد من القحطانية^(٤)، ألحارثي^(٥)، الأوسي^(٦)، الأنصاري^(٧)، المدني^(٨)، الخزرجي^(٩)، أبو عبد الله^(١٠)، وهناك كنيّتان له وردتا في أغلب كتب التراجم إلا أنه لم يعتمد عليهما عند إيراد ترجمته وهما: أبو خديج^(١١)، وأبو رافع^(١٢).

٢ - ولادته

لم تحدد المصادر التاريخية سنة ولادة الصحابي الجليل رافع بن خديج رضي الله عنه" ، إلا إن هناك إشارات تدل على معرفة سنة ولادته منها مشاركته في غزوة احد عندما كان عمره خمسة عشر عاماً^(١٣) ، وبما إن هذه الغزوة مؤرخة في السنة الثالثة للهجرة النبوية الشريفة^(١٤) ، لذا تكون سنة ولادته اثنتي عشرة قبل الهجرة.

٣ - مكانته في عهد الرسول " صلى الله عليه وسلم " والخلفاء الراشدين " رضي الله عنهم "

برزت مكانة هذا الصحابي الجليل في عهد الرسول " صلى الله عليه وسلم " من خلال بعض الأعمال التي كانت توكل إليه وفي ذلك قيمة كبيرة لقربه من الرسول " صلى الله عليه وسلم " ، كانت أولى المهمات التي أوكلت إليه من قبل الرسول " صلى الله عليه وسلم " بعثة في اثني عشر رجلاً من المهاجرين إلى بطن نخلة وقتلوا ابن الحضرمي^(١٥) ، واسروا رجلين منهم^(١٦) ، وقد سميت هذه بصرية عبد الله بن جشم^(١٧) ، وكذلك برز نشاط هذا الصحابي الجليل في خدمة الدين الإسلامي عندما عرض نفسه للنبي " صلى الله عليه وسلم " لهذا العمل لكن الرسول " صلى الله عليه وسلم " رده لصغر سنه^(١٨) ، ونقل الطبراني قول رافع بن خديج (رضي الله عنه) بهذا الخصوص قائلاً ((...جئت أنا وعمي غالى النبي " صلى الله عليه وسلم " وهو يريد بدلاً فقلت: يارسول

الله إني أريد أن أخرج معك فجعل يقبض يده ويقول : إني استصغرك ولا ادري ماتصنع إذا لقيت القوم؟ فقلت: أتعلم إني ارمي من رمي؟ فردني فلم اشهد بدرًا^(١٩)، ولم توقفه عدم مشاركته في غزوة بدر عن حماسته التي كان لها ما يوقدها ماسمعه من رسول الله " صلى الله عليه وسلم " ، كما نقل ابن ماجه حديثه عن رافع بن خديج " رضي الله عنه " قال ((أنتي النبي" صلى الله عليه وسلم" جبريل" عليه السلام" ، فقال: كيف أهل بدر فيكم؟ فقال النبي" صلى الله عليه وسلم" : هم عندنا أفاضل الناس. قال: وكذلك من شهد عندنا من الملائكة))^(٢٠)، وأشار رافع بن خديج " رضي الله عنه " عن الرسول " صلى الله عليه وسلم " بخصوص غنائم بدر كما نقل الواقدي ذلك قائلا ((أن النبي" صلى الله عليه وسلم " وفق غنائم أهل نخله، ومضى إلى بدر حتى رجع من بدر فقسمها مع غنائم أهل بدر وأعطى كل قوم حقهم))^(٢١) .

وكان رد الرسول " صلى الله عليه وسلم " لرافع بن خديج " رضي الله عنه " وجماعته لصغر سنهم في عدم مشاركتهم في غزوة أحد الا انه أوكل إليهم مهمة حماية المدينة المنورة ثم أجازهم يوم الخندق^(٢٢)، إلا إن رافع " رضي الله عنه " كان مصرا على الاشتراك في هذه الغزوة فيشير بعض المؤرخين انه قام على خف له فيه رقاع وتطاول على أطراف أصابعه ليبدو طويلا فلما رآه الرسول " صلى الله عليه وسلم " طويلا أجازة^(٢٣)، وهذا أمر لا يعقل لان الرسول " صلى الله عليه وسلم " أجاز رافع " رضي الله عنه " لامتيار عسكري امتاز به على أقرانه في صفوف المسلمين^(٢٤).

ومن رواياته عن تلك الغزوة وتحركات المسلمين كما يقول رافع " رضي الله عنه " وأورده الواقدي قائلا ((فلما انصرف الرماة وبقي من بقي نظر خالد بن الوليد إلى خلاء الجبل وقلة أهله فكر بالخييل تتبعه عكرمة بن أبي جهل في الخيل فانطلقا غالى بعض الرماة فحملوا عليهم فرموا القوم حتى أصيبوا...))^(٢٥).

وبعلل رافع بن خديج " رضي الله عنه " سبب خسارة المسلمين في احد قائلا كما نقل الواقدي ((فكما أتينا من قبل أنفسنا ومعصية نبينا، واختلط المسلمون وصاروا يقتلون ويضرب بعضهم بعضا، مايشعرون به من العجلة والدهش...))^(٢٦). مشيرا إلى من قتل بالخطأ من المسلمين كما نقل الواقدي ذلك عنه ((إن حسيل بن جابر التقت

عليه سيوف المسلمين وهم لا يعرفونه حين اختلطوا، وحذيفة ينادي: أبي أبي حتى قتل...))^(٢٧)، وقد أصيب رافع بن خديج "رضي الله عنه" بسهم، وفي ذلك قالت أم عبد الحميد امرأة رافع بن خديج "رضي الله عنه" كم نقل حديثه احمد بن حنبل قائلًا ((أصيب رافع بن خديج "رضي الله عنه" يوم احد بسهم في ثدوته فأتى النبي "صلى الله عليه وسلم" فقال: يا رسول الله انزع السهم، قال "صلى الله عليه وسلم": يا رافع إن شئت نزع السهم والقطبه جميعا، وإن شئت نزع السهم وتركت ألقطبه وشهدت لك يوم القيامة أنك شهيد، قال رافع "رضي الله عنه" يا رسول الله بل انزع السهم، واترك ألقطبه واشهد لي يوم ألقيامه إني شهيد، فنزع رسول الله "صلى الله عليه وسلم" السهم وترك ألقطبه))^(٢٨). أما في غزوة بني المصطلق (٥هـ) فيقول رافع بن خديج (رضي الله عنه)، كما نقل الواقدي قائلًا ((سمعت عباده بن الصامت يقول يومئذ لابن أبي قبل أن ينزل فيه القرآن: أيت رسول الله "صلى الله عليه وسلم" يستغفر لك، قال: فرايته يلوي رأسه معرضا، يقول عباده "رضي الله عنه": أما والله لينزلن في لي راسك قران يصلي به فنزلت سورة المنافقين...))^(٢٩)، وبعد ذلك هبت ريح شديدة كما يقول رافع بن خديج "رضي الله عنه" ونقله الواقدي ((لما رجعنا من المريسع قبل الزوال كان الجهد بنا يومنا وليلتنا، ماناخ منا رجل إلا لحاجته أو لصلاة يصليها، وإن رسول الله "صلى الله عليه وسلم"، يستحث راحلته ويخلف بالسوط في مراحها حتى أصبحا... فقال رسول الله "صلى الله عليه وسلم": ليس عليكم بأس منها، بالمدينة من نقب إلا عليه ملك يحرسه وما كان ليدخلها عدو حتى تأتوها ولكنه مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينة، فلذلك عصفت الريح))^(٣٠).

أما غزوة الأحزاب (الخنق) في شوال (٥هـ)، التي يصف فيها رافع بن خديج "رضي الله عنه" قوة التحصينات التي كان أشدها حفر الخندق الذي تم في ستة أيام كما يقول رافع بن خديج "رضي الله عنه" ونقله الهيثمي قائلًا ((لما كان يوم الخندق، لم يكن أحصن من حصن بني حارثه، فجعل النبي "صلى الله عليه وسلم" النساء والصبيان والذراري فيه، فقال "إن لم يكن احد فالمعن بالسيف" ...))^(٣١). أما غزوه حنين في شوال سنة (٨هـ) بعد الفتح، فقد أشار في رواياته إلى غنائم هذه

الغزوة ومنها الإنعام التي كانت غنيمة وزعت على المقاتلين بدأ بالمؤلفة قلوبهم، كما يقول رافع بن خديج " رضي الله عنه" ونقله مسلم ((أعطى رسول الله " صلى الله عليه وسلم" أبا سفيان بن حرب، وصقر بن أمية، وعيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس، كل إنسان منهم مائة من الإبل، وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك...))^(٣٢). أما غزوة تبوك في شهر رجب سنة (٩هـ) وفيها حدد رافع بن خديج " رضي الله عنه" رواياته في الموقف من أطعام الجيش الذي نفذت مؤنته، وليس له عده الاشباه ومهارته في الرماية، كما نقل الواقدي ذلك عن الصحابي الجليل رافع بن خديج " رضي الله عنه" قائلا ((أقمنا بتبوك المقام فأرملنا من الزاد، وقرمنا إلى اللحم، ونحن لانجده، فجئنا رسول الله " صلى الله عليه وسلم" فقلت: يارسول الله إن اللحم ها هنا، وقد سألت أهل البلد من الصيد فذكروا لي صيدا قريبا، فاذهب فأصيد في نفر من أصحابي؟ فقال " صلى الله عليه وسلم" : إن ذهب فاذهب في عده من أصحابك...))^(٣٣). أما مشاركته في الغزوات الأخرى لاسيما انه شهد احد وما بعدها مع الرسول " صلى الله عليه وسلم" ^(٣٤)، وانه من أصحاب الشجرة وبيعة الرضوان^(٣٥).

وفي عهد الخليفة أبو بكر الصديق " رضي الله عنه" ، فقد أورد مرويته التي نقل فيها كتاب الرسول " صلى الله عليه وسلم" إلى مسيلمة الكذاب التي أوردتها المقدسي قائلا ((... بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى مسيلمة الكذاب، أما بعد فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين، فلما ورد عليه الجواب افتعل كتابا يزعم انه جواب كتابه إلى محمد" صلى الله عليه وسلم" انه جعل له الأمر من بعده))^(٣٦)، وبقي مسيلمة على ضلالتة حتى بعد وفاة الرسول " صلى الله عليه وسلم" ، إلا انه بعد عقد البيعة لابي بكر الصديق " رضي الله عنه" عوم على قتال المرتدين، ويصف رافع بن خديج " رضي الله عنه" الجيش الذي خرج لقتالهم كما نقل الكلاعي عن رافع ذلك قائلا ((خرجنا من المدينة ونحن أربعة آلاف وأصحابنا من الأنصار مابين خمسمائة إلى أربعمائة وعلى الأنصار ثابت بن قيس ويحمل رايتنا أبو لبابه فانتهينا إلى اليمامة))^(٣٧) وله في ذلك روايات أخرى نقلها الكلاعي عنه^(٣٨).

أما في عهد الخليفة عمر بن الخطاب "رضي الله عنه" ، فقد شارك في الفتوحات الإسلامية وقد جعله الخليفة عمر "رضي الله عنه" أحد أمراء الجيش في تلك الفتوحات وورد اسمه ضمن القادة الذين فتحوا مدينة بهنسا في صعيد مصر^(٣٩)، وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان "رضي الله عنه" ولي رافع بن خديج "رضي الله عنه" اليمامة^(٤٠). وبعد ذلك اعتزل رافع بن خديج "رضي الله عنه" وخرج من المدينة ثم عاد مرة أخرى واستوطنها^(٤١). أما في عهد الخليفة علي بن أبي طالب "رضي الله عنه" فقد كان حاضرا في صفين إلى جنب الخليفة علي بن أبي طالب "رضي الله عنه"^(٤٢).

٤ - وفاته

لقد اختلفت الروايات في سنة وفاة الصحابي الجليل رافع بن خديج "رضي الله عنه" منها انه توفي في خلافة عثمان بن عفان "رضي الله عنه"^(٤٣)، والأخرى تقول انه توفي في خلافة معاوية بن أبي سفيان^(٤٤).

المبحث الثاني

أصول الرواية عند الصحابي الجليل رافع بن خديج "رضي الله عنه" دراسة تحليلية منهجية

تكمن أهمية هذا الموضوع في دراسة الأسس المنهجية التي سلكها هذا الصحابي في إيراد رواياته من الأحاديث التي نقلها عن الرسول "صلى الله عليه وسلم" لما لها من أهمية تتجلى في الأساس من ملازمته للرسول "صلى الله عليه وسلم" ومشاركته منذ نعومة إظفاره فتعلم منه الشيء الكثير وآخرها انه كان يفتي بعد الرسول "صلى الله عليه وسلم" كما يقول ابن حزم^(٤٥)، ونقل ما سمعه من الرسول "صلى الله عليه وسلم" إلى من بعده وهذا ما أورده ابن حنبل عن رافع بن خديج "رضي الله عنه" عن الرسول "صلى الله عليه وسلم" إذ قال ((عن عاصم بن عمر عن رافع بن خديج قال سمعت رسول الله "صلى الله عليه وسلم" يقول العامل في الصدقة بالحق لوجه الله "عز وجل" كالغازي في سبيل الله "عز وجل" حتى يرجع إلى أهله))^(٤٦)، ومما يزيد من أهميته المروية عند الصحابي الجليل رافع بن خديج "رضي الله عنه" انه له

أحاديث سمعها من الرسول " صلى الله عليه وسلم " مباشرة، منها قوله كما نقل البخاري هذا الحديث ((عن عباية بن رفاع عن أبيه عن جده رافع بن خديج قال قلت للنبي " صلى الله عليه وسلم " : إننا نلقي العدو غدا وليس معنا مدى، فقال: ما انهر الدم، وذكر اسم الله فكلوه، ما لم يكن سن ، ولا ظفر))^(٤٧)، أو منها ماسمعه من أصحابه عنه ، كما نقل الترمذي ((عن السائب بن يزيد عن رافع بن خديج " رضي الله عنه " قال: قال رسول الله " صلى الله عليه وسلم " افطر الحاجم والمحجوم))^(٤٨)، وكانت الرواية عند رافع بن خديج " رضي الله عنه " التي أخذها من شيوخه أيضا منها قوله روى عنه رافع بن خديج " رضي الله عنه " كما نقل البخاري ((عن أبي النجاشي مولى رافع بن خديج سمعت رافع بن خديج عن عمه ظهير بن رافع قال ظهير: لقد نهانا رسول الله " صلى الله عليه وسلم " عن أمر كان بنا رافقا))^(٤٩).

وكانت أيضا رواية الصحابي رافع بن خديج " رضي الله عنه " تتقل منه عن طريق تلاميذه الذين كان لهم دور بارز في نقلها كل حسب اتجاهه المعرفي منها مستعملا لفظ ((حدثني رافع بن خديج)) ، كما نقل أبو داود حديثا له في كتاب البيوع قائلا ((عن أبي نعيم حدثني رافع بن خديج " رضي الله عنه " انه زرع أرضا فمر به النبي " صلى الله عليه وسلم " وهو يسقيها فسأله: لمن الزرع ولمن ؟ الأرض))^(٥٠).

أو ينقل حديثا من غير أن يستعمل إيه صيغه لذلك منها ما اخرج النسائي حديثا في ذلك قائلا ((عن أبي ميمون عن رافع بن خديج " رضي الله عنه " إن رسول الله " صلى الله عليه وسلم " قال: لا قطع في ثمر ولأكثر))^(٥١).

أو يستعمل لفظ ((قال)) كم نقل عنه ابن حنبل قال: ((عن أسيد بن ظهير قال أتى علينا رافع بن خديج فقال: إن رسول الله " صلى الله عليه وسلم " نهاكم عن أمر كان ينفعكم))^(٥٢)، وينقل حديثا سمعه من الرسول " صلى الله عليه وسلم " كما أورد أحمد بن حنبل ((عن عاصم بن عمر بن رافع بن خديج قال سمعت رسول الله " صلى الله عليه وسلم " يقول: ...))^(٥٣).

ونراه في بعض الأحيان تصله الرواية من شخص لأخر (سلسلة الإسناد) والسؤال في مسألة ما، كما أورد ذلك النسائي حديثا عنه قال ((عن إياس بن خليفة

عن رافع بن خديج إن عليا: أمر عمارا أن يسأل رسول الله " صلى الله عليه وسلم" ((^{٥٤})). أو يستعمل لفظ ((حدثاه)) وأخبرني كما نقل البخاري هذا الحديث قائلا ((أخبرني بشر بن يسار مولى بني حارثة أن رافع بن خديج وسهل بن أبي خيثمة حدثاه إن رسول الله " صلى الله عليه وسلم" نهى عن المزائبة)) (^{٥٥}).

وأشار أيضا إلى اختلاف اللفظ الناقلين للخبر كما خرج في ذلك البخاري حديثا عنه قال ((عن بشر بن يسار عن سهل بن أبي خيثمة ورافع بن خديج)) (^{٥٦})، ونقل الرواية كان أيضا من سماع رواية رافع بن خديج كما أخرجه البخاري قائلا ((عن حنظله الزرقى انه سمع رافع بن خديج " رضي الله عنه" يقول: كنا أكثر الأنصار فعلا)) (^{٥٧}). ويشير إلى من يحدث عن رافع بن خديج " رضي الله عنه" وأخرجه مسلم قال ((عن محمد بن يوسف قال سمعت السائب بن يزيد يحدث عن رافع بن خديج " رضي الله عنه" قال: سمعت النبي " صلى الله عليه وسلم" يقول: شر الكسب مهر البغي، وثمن الكلب، وكسب الحجام)) (^{٥٨}).

أو لا يستعمل أي لفظ عند نقل المروية عن رافع بن خديج " رضي الله عنه" من غير أن يعلل سبب ذلك كما خرج ذلك الترمذي حديثا قائلا ((عن السائب بن يزيد عن رافع بن خديج قال: قال رسول الله " صلى الله عليه وسلم" افطر الحاجم والمحجوم)) (^{٥٩}).

أو يستعمل لفظ (أخبر) أي صيغة الإخبار في نقل الحديث التي استعملها رافع بن خديج كما أخرجه البخاري قائلا ((عن الزهري إن سالم بن عبد الله أخبره قال: أخبر رافع بن خديج عبد الله بن عمر - وكان شهد بدرا - أخبراه إن رسول الله " صلى الله عليه وسلم" نهى عن كراء المزارع)) (^{٦٠})، وأخرج أبو داود حديثا في ذلك ((عن سعيد بن المسيب عن رافع بن خديج قال: نهى رسول الله " صلى الله عليه وسلم" عن المحاقلة والمزائبة)) (^{٦١})، وأخرج أيضا البخاري حديثا عن عباية بن رفاع ابن رافع بن خديج عن جده قال: كنا مع النبي " صلى الله عليه وسلم" ((^{٦٢}))، وكذلك نقل عنه حديثا قال ((حدثنا هشام عن محمد ونافع أخبراه عن رافع بن خديج إن رسول الله " صلى الله عليه وسلم" نهى عن كراء الأرض)) (^{٦٣})، ويستعمل لفظ حدثنا كما أخرج

أبو داود حديثاً قال ((حدثنا عبايه ابن رفاعه عن رافع بن خديج قال: (...))^(٦٤)، وفي نفس هذا الاتجاه نراه يستعمل أكثر من مرة لفظ (حدثنا) وفقاً للحديث الذي أخرجه الإمام أحمد بن حنبل قال ((حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم قال حدثنا عبد الله بن جعفر قال حدثنا عثمان بن محمد عن رافع بن خديج: إن رسول الله " صلى الله عليه وسلم " رأى الحمرة قد ظهرت فكرهها. فلما مات رافع بن خديج جعلوا على سريره قطيفة حمراء، فعجب الناس من ذلك))^(٦٥)، أو عكس ذلك لا يستعمل أي لفظ وذلك ما أخرجه ابن ماجه عن رافع بن خديج قائلاً ((عن عبايه بن رفاعه عن جده رافع بن خديج قال: (...))^(٦٦)، أو نراه يذكر معلومات مفصلة في سلسلة الإسناد للحديث كما أخرجه الإمام أحمد بن حنبل كما يقول في حديث الشاميين، حديث رافع بن خديج ((عن عبايه بن رفاعه بن رافع بن خديج عن جده رافع بن خديج قال: قيل يا رسول الله: أي الكسب أطيب؟، قال: عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور))^(٦٧).

وانه كان أيضاً مباشرة عن النبي " صلى الله عليه وسلم " بالنهي كما أخرج هذا الحديث عنه الإمام مسلم قال ((إن رافع بن خديج " رضي الله عنه " كان يحدث فيها بنهي النبي " صلى الله عليه وسلم "))^(٦٨)، أو أنه ينقل حديث رسول الله " صلى الله عليه وسلم " مباشرة مستعملاً لفظ ((قال رسول الله " صلى الله عليه وسلم ")) كما أخرجه الإمام مسلم ((عن عبد الله ابن عمرو بن عثمان عن رافع بن خديج قال: قال رسول الله " صلى الله عليه وسلم ": ((إن إبراهيم حرم مكة وإننا أحرمة ما بين لابتيها يريد المدينة))^(٦٩)، وكذلك أخرج أبو داود حديثاً في ذلك قال ((عن عطاء عن رافع بن خديج قال: قال رسول الله " صلى الله عليه وسلم ": (...))^(٧٠).

وكان يشير إلى مجموعه من المسندين عن رافع بن خديج في إيراد الحديث كما أخرجه النسائي قال ((عن عطاء وطاوس ومجاهد عن رافع بن خديج قال خرج إلينا رسول الله " صلى الله عليه وسلم " فنهانا من أمر كان نافعا لنا وأمر رسول الله " صلى الله عليه وسلم " خير لنا))^(٧١)، وفي أغلب الأحيان كان الحديث ينقل سماعاً عن رافع بن خديج مستعملاً لفظ ((سمعت)) كما أخرجه البخاري ((حدثنا أبو النجاشي صهيب مولى رافع بن خديج قال: سمعت رافع بن خديج يقول))^(٧٢)، أو يستعمل لفظ آخر

للدلالة على إن رافع بن خديج قد حدثه كما أخرجه النسائي قائلا ((حدثني أبو النجاشي قال حدثني رافع بن خديج إن رسول الله " صلى الله عليه وسلم " قال لرافع: أتؤاجرون محافلكم، قلت : نعم يا رسول الله)) (٧٣) .



- (١) ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع البصري (ت ٢٣٠هـ) ، الطبقات الكبرى، تحقيق على محمد عمر، ط١ (القاهرة، الخانجي، ٢٠٠١م) ، ٤/٢٧٢؛ ابن حبان البستي: محمد بن أحمد بن أبي حاتم (ت ٣٥٤هـ) ، الثقة، (حيدر آباد الدكن، دائرة المعارف العثمانية، ١٩٧٣م) ، ٣/١٢١؛ ابن عبد البر القرطبي: يوسف بن عبد الله بن محمد (٤٦٣هـ) ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، صححه وخرج أحاديثه عادل مرشد، ط١ (عمان ، دار الإعلام، ٢٠٠٢م) ص ٢٢٧؛ ابن الأثير، عز الدين على بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ) ، أسد لغابة في معرفة الصحابة، تحقيق على محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٤ م) ، ٢/٢٣٢؛ ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ) ، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق على محمد البجاوي، ط١ (بيروت، دار الجيل، ١٤١٢هـ) ، ٢/٣٤٦.
- (٢) المزي: أبو الحجاج جمال الدين يوسف (ت ٧٤٢هـ) ، الكمال في أسماء الرجال، تحقيق بشار عواد معروف، ط١ (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م) ، ٨/١٨١؛ أصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ) ، الوافي بالوفيات، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٠م) ، ١٤/٤٦، ابن حجر: تهذيب التهذيب، ط٢ (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٥م) ، ١/٥٨٥؛ والإصابة، ١/٤٩٥.
- (٣) الباجي: أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد (ت ٤٧٤هـ) ، التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، تحقيق أبو لبابه حسين، ط١ (الرياض، دار اللواء، ١٩٨٦م) ، ٢/٥٧٥.
- (٤) الفلقشندی: أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الله، نهاية الإرب في قبائل العرب ، تحقيق على ألخاقاني، ط١ (بغداد، النجاش، ١٩٥٨م) .
- (٥) البخاري: أبو عبد الله إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦هـ) ، التاريخ الكبير، تحقيق هاشم الندوي، ط١ (بيروت ، دار الفكر) ، ٣/٢٩٩؛ السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ) ، إسعاف المبطأ برجال الموطأ، ط١ (القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٦٩م) ، ص ٩.
- (٦) ابن الأثير: أسد الغابة، ٢/٢٣٢؛ ابن حجر: الإصابة، ١/٤٩٥.
- (٧) ابن حبان: الثقة، ٣/١٢١؛ أصفدي: الوافي بالوفيات، ١٤/٤٦؛ ابن حجر: الإصابة، ١/٤٩٥؛ وتهذيب التهذيب، ١/٥٨٥.

- (٨) البخاري: التاريخ الكبير، ٢٩٩/٣؛ السمعاني: أبو سعيد عبد الكريم بن محمد (ت ٥٦٢هـ)، الأنساب، تعليق عبد الله بن عمر البارودي، ط ١ (بيروت، دار الجنان، ١٩٩٨م)، ١٥١/٢.
- (٩) الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، ط ٩ (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م)، ١٨١/٣.
- (١٠) السمعاني: الأنساب، ١٥١/٢؛ ابن العديم: كمال الدين عمر بن أحمد (ت ٦٦٠هـ)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق د. سهيل زكار، ط ١ (بيروت، دار الفكر، ١٩٨٨م)، ٤٥٨/٣؛ السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ)، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، عني بطبعه ونشره أسعد درا بزوني الحسيني، ط ١ (القاهرة، السنة المحمدية، ١٩٥٧م)، ٢٢٧/١.
- (١١) ابن عبد البر: الاستيعاب، ص ٢٢٧؛ السمعاني: الأنساب، ١٥١/٢.
- (١٢) ابن حجر: التهذيب، ١/٥٨٥.
- (١٣) ابن كثير: أبو الفدا إسماعيل بن عمر القرشي (٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن، ط ١ (القاهرة، ١٩٩٧م)، ١١٢/٣؛ ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر، تحقيق خليل شحاتة، ط ١ (بيروت، دار الفكر، ٢٠٠٠م)، ٤٣٤/٢.
- (١٤) ابن سعد: الطبقات، ٢/٣٦.
- (١٥) البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ)، انساب الأشراف، تحقيق محمد حميد الله، ط ١ (القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٩م)، ١/١.
- (١٦) ابن هشام: عبد الله بن عبد الملك بن أيوب الحميري (ت ٢١٨هـ)، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا، وآخرون، ط ١ (بيروت، دار الفكر)، ١٨٠/٢.
- (١٧) الصحابي الجليل أبو محمد عبد الله بن جحش بن رباب الاسدي، أمه آمنة بنت عبد المطلب عمه النبي "صلى الله عليه وسلم" اسلم قبل دخول رسول الله "صلى الله عليه وسلم" دار الأرقم، وهاجر الهجرتين، وهو أول أمير أمره الرسول "صلى الله عليه وسلم"، استشهد يوم أحد وكان عمره نيفاً وأربعين سنة، دفن هو وخاله الحمزة بن عبد المطلب "رضي الله عنه" في قبر واحد، ابن حجر: الإصابة، ٤/٣٥-٣٦.
- (١٨) الذهبي: تاريخ الإسلام، تحقيق عبد السلام تدمري، ط ٢ (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٩٠م)، ١٥/٢.
- (١٩) الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (ت ٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، تحقيق عبد المجيد حمدي، حديث رقم ٤٢٤٤، وص ٢٧٨ حديث رقم ٤٤١٧.

- (٢٠) ابن ماجة: محمد بن يزيد بن أبو عبد الله القزويني (ت٢٧٥هـ) ، سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط١ (بيروت، دار الفكر) ن٥٧/١ حديث رقم ١١٦٠.
- (٢١) الواقدي: محمد بن عمر بن واقد (٢٠٧هـ) ، المغازي، تحقيق مارسدن جونسون، ط٣ (بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٤م) .
- (٢٢) البخاري: التاريخ الصغير، تحقيق محمد إبراهيم زايد، ط١ (حلب، دار الوعي، ١٩٧٧م) ، ١٢٠/١.
- (٢٣) الواقدي: المغازي، ٢١٦/١.
- (٢٤) الصلابي: على محمد، السيرة النبوية وقائع وتحليل أحداث، ط١ (القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية) ، ١٣٩/٢.
- (٢٥) الواقدي: المغازي، ٢٣٢/١.
- (٢٦) م.ن، ٢٣٣/١؛ ابن هشام: السيرة، ٤٤/٣-٤٥.
- (٢٧) م.ن.
- (٢٨) ابن حنبل: الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (ت٢١٤هـ) ، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الارناؤوط وآخرين، ط٢ (بيروت، مؤسسة الر سالة، ١٩٩٩م) ، ٩٧/٤٥ حديث رقم ٢٧١٢٨.
- (٢٩) الواقدي: المغازي، ٤٢٠/٢.
- (٣٠) م.ن، ٤٢٢/٢.
- (٣١) الهيثمي: على بن أبي بكر بن سليمان (ت٨٠٧هـ) ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ط١ (بيروت، دار الفكر، ١٤١٢هـ) ، ١٩٣/٦ حديث رقم ١٠١٤٤.
- (٣٢) مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ) ، الجامع الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، حديث رقم ٢٤٩٠.
- (٣٣) الواقدي: المغازي، ١٣٥/٣.
- (٣٤) ابن سعد: الطبقات، ٢٧٢/٤.
- (٣٥) ابن الأثير: أسد الغابة، ٣٦٦/١؛ اليافعي: أبو محمد عبد الله بن سعد اليافعي (٧٦٨هـ) ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في مايعتبر من حوادث الأزمان، ط٢ (القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ١٣١٢هـ) ، ٨١/١.
- (٣٦) المقدسي: أبو أحمد بن سهل البلخي المنسوب المطهر بن طاهر (ت٣٥٥هـ) ، البدء والتاريخ، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م) ، ١٩٦/٢.

- (٣٧) الكلاعي: أبو الربيع سليمان بن موسى الأندلسي (ت٦٣٤هـ) ، الاكتفاء في مغازي رسول الله " صلى الله عليه وسلم " والثلاثة الخلفاء " رضي الله عنهم " ، تحقيق مصطفى عبد الواحد، ط١ (القاهرة ، الخانجي، ١٩٧٠م) ، ٥٣/٣.
- (٣٨) م.ن، ٥١/٣، ٥٣-٥٤.
- (٣٩) الواقدي: فتوح الشام، مراجعة وتقديم طه عبد الروؤف سعد، ط١ (الاسكندرية، دار ابن خلدون) ، ٣٤٨/٢.
- (٤٠) ابن شبه النميري: أبو زيد عمر (ت٢٦٢هـ) ، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق فهد محمد شلتوت، ط١ (١٤١٠هـ) ، ٩٧٠/٣.
- (٤١) ابن حجر: الإصابة، ٤٣٦/٢.
- (٤٢) ابن العربي: أبو بكر المالكي (ت٥٤٣هـ) ، العواصم من القواصم، تحقيق وتعليق محب الدين الخطيب، ط٦ (القاهرة ، مكتبة السنة المحمدية، ١٤١٢هـ) ، ص١٧٧.
- (٤٣) ابن حجر: الإصابة، ٤٣٦/٢.
- (٤٤) ابن سعد: الطبقات، ٢٧٣/٤.
- (٤٥) ابن حزم: أبو محمد علي بن احمد (ت٤٥٦هـ) ، جوامع السير وخمس رسائل أخرى، تحقيق د.إحسان عباس، ط١ (القاهرة، ١٩٠٠م) ، ص٣٢١.
- (٤٦) ابن حنبل : المسند، ١٤٧/٢٥ حديث رقم ١٥٨٢٦.
- (٤٧) الجامع الصحيح، ٢١٠٦/٥ حديث رقم ٥٢٢٣.
- (٤٨) السنن، ١٤٤/٣، حديث رقم ٧٧٤.
- (٤٩) البخاري: الجامع الصحيح، ٨٢٨/٢، حديث رقم ٢٢١٤.
- (٥٠) السنن: ٢٧١/٣، حديث رقم ٣٤٠٤.
- (٥١) م.ن، ٨٨/٨، حديث رقم ٤٩٦٨.
- (٥٢) م.ن، ٢٧٠/٣٥، حديث رقم ٣٤٠٠.
- (٥٣) المسند، ١٤٧/٢٥ حديث رقم ١٥٨٢٦.
- (٥٤) السنن، ٩٧/١، حديث رقم ١٥٥.
- (٥٥) الجامع الصحيح، ٨٣٩/٢، حديث رقم ٢٢٥٤.
- (٥٦) م.ن، ٢٧٥/٥، حديث رقم ٥٧٩١.
- (٥٧) م.ن، ٨١٩/٢، حديث رقم ٢٢٠٢.
- (٥٨) الصحيح، ٣٥/٥، حديث رقم ٤٠٩٤ و ٤٠٩٥.
- (٥٩) السنن، ١٤٤/٣، حديث رقم ٧٧٤.

- (٦٠) الجامع الصحيح، ٤/ ١٤٧٣، حديث رقم ٣٧٨٩.
- (٦١) السنن، ٣/ ٢٧٠، حديث رقم ٣٤٠٢.
- (٦٢) الجامع الصحيح، ٢/ ٨٨١، حديث رقم ٢٣٥٦.
- (٦٣) السنن، ٧/ ٤٧، حديث رقم ٣٩١٦.
- (٦٤) السنن، ٤/ ٣٠١، حديث رقم ٤٥٢٦.
- (٦٥) المسند، ٢٨/ ٥١٠، حديث رقم ١٧٢٧٤.
- (٦٦) السنن، ١/ ٥٦.
- (٦٧) المسند، ٢٨/ ٥٠٢، حديث رقم ١٧٢٦٥.
- (٦٨) الصحيح، ٥/ ٢١-٢٢، حديث رقم ٤٠١٧، ٤٠٢٠، ٤٠٢٢، ٤٠٢٦.
- (٦٩) الصحيح، ٤/ ١١٢، حديث رقم ٣٣٨١.
- (٧٠) السنن، ٣/ ٢٧١، حديث رقم ٣٤٠٥.
- (٧١) السنن، ٧/ ٣٦، حديث رقم ٣٨٧٢.
- (٧٢) الجامع الصحيح، ١/ ٢٠٥، حديث رقم ٥٣٤.
- (٧٣) السنن، ٧/ ٤٩، حديث رقم ٣٩٢٢.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن الأثير: أبو الحسن على بن أبي الكرم الشيباني (ت ٦٣٠هـ) .
- ١- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق على محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م) .
- ٢- الكامل في التاريخ، ط١ (بيروت، دار الفكر، ١٩٧٥م) .
- الباجي: أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد (٤٧٤هـ) .
- ٣- التخریج لمن خرج له البخاري في الجامع من الصحيح، تحقيق أبو لبابه حسين، ط١ (الرياض، دار اللواء، ١٩٨٦م) .
- البخاري: أبو عبد الله إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦هـ) .
- ٤- التاريخ الصغير، تحقيق محمد إبراهيم زايد، ط١ (حلب، دار الوعي، ١٩٧٧م)
- ٥- التاريخ الكبير، تحقيق السيد هاشم الندوي، ط١ (بيروت، دار الفكر) .
- ٦- صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب، ط٣ (بيروت، دار ابن كثير، ١٩٨٧م) .
- البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ) .
- ٧- انساب الإشراف، تحقيق محمد حميد الله، ط١ (القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٩م) .

- ٨- فتوح البلدان، نشره صلاح الدين المنجد، ط١ (القاهرة، لجنة البيان، ١٩٧٥م)
- ابن حبان: محمد بن أبي حاتم ألبستي (ت٣٥٤هـ) .
- ٩- الثقة، ط١ (حيدر أباد الدكن، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٧٣م) .
- ابن حجر: احمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ) .
- ١٠- الإصابة في تميز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوي، ط١ (بيروت ، دار الجيل، ١٤١٢هـ) .
- ١١- تهذيب التهذيب، ط٢ (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٥م) .
- ١٢- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، ط١ (بيروت، النهضة، ١٣٧٩هـ) ،
- ابن حزم: أبو محمد علي بن احمد الأندلسي (ت٤٥٦هـ) .
- ١٣- جوامع السير وخمس رسائل أخرى، تحقيق د.إحسان عباس، ط١ (القاهرة، دار المعارف، ١٩٠٠م) .
- ابن حنبل: الإمام احمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ) .
- ١٤- مسند الإمام احمد بن حنبل، تحقيق شعيب الارناؤوط وآخرون، ط٢ (بيروت/مؤسسة الرسالة، ١٩٩٩م) .
- ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ) .
- ١٥- تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر، تحقيق د.سهيل زكار، ط١ (بيروت، دار الفكر، ٢٠٠٠م) .
- الذهبي: شمس الدين محمد بن احمد عثمان بن قايمار (ت٧٤٨هـ).
- ١٦- سير أعلام النبلاء، ط٩ (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م) .
- ١٧- تاريخ الإسلام، تحقيق عبد السلام تدمري، ط٢ (بيروت، دار الكتب العربي، ١٩٩٠م) .
- السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ)
- ١٨- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، عني بطبعه ونشره اسعد درا بزوني الحسيني، ط١ (القاهرة، أسنه المحمدية، ١٩٥٧م) .
- ابن سعد: محمد بن منيع البصري (ت٢٣٠هـ)
- ١٩- الطبقات الكبرى، تحقيق علي محمد عمر، ط١ (القاهرة، الخانجي، ٢٠٠١م)
- السمعاني: أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت٥٦٢هـ) .
- ٢٠- انساب العرب، تعليق عبد الله بن عمر البارودي، ط١ (بيروت، دار الجنان، ١٩٩٨م) .

- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ) .
- ٢١- إسعاف المبطأ برجال الموطأ، ط ١ (القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٦٩م) .
- ابن شبه: أبو زيد عمر النميري البصري (ت ٢٦٢هـ) .
- ٢٢- تاريخ المدينة المنورة، تحقيق فهد محمد شلتوت، ط ١ (١٤١٠هـ) .
- ألصفي: صلاح الدين خليل بن أبيك (ت ٧٦٤هـ) .
- ٢٣- الوافي بالوفيات، تحقيق احمد الارناؤوط وتركي مصطفى، ط ١ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٠م) .
- ابن عبد البر: يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي (ت ٤٦٣هـ) .
- ٢٤- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، صححه وخرج أحاديثه عادل مرشد، ط ١ (عمان، دار الإعلام، ٢٠٠٢م) .
- ابن العديم: كمال الدين عمر بن احمد (ت ٨٨٧هـ) .
- ٢٥- بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق د.سهيل زكار، ط ١ (بيروت، دار الفكر، ١٩٨٨م) .
- ابن العربي: أبو بكر المالكي (ت ٥٤٣هـ) .
- ٢٦- العواصم من القواصم، تعليق وتحقيق محب الدين الخطيب، ط ٦ (القاهرة، السنة المحمدية، ١٤١٢هـ) .
- القلقشندي: أبو العباس احمد بن علي بن عبد الله (ت ٨٢١هـ) .
- ٢٧- نهاية الإرب في معرفة قبائل العرب، تحقيق علي الخاقاني، ط ١ (بغداد، النجاح، ١٩٥٨م)
- ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت ٧٧٤هـ) .
- ٢٨- البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط ١ (القاهرة، دار هجر، ١٩٩٧م) .
- الكلاعي: أبو الربيع سليمان بن موسى الأندلسي (ت ٦٣٤هـ) .
- ٢٩- الاكتفاء في مغازي رسول الله " صلى الله عليه وسلم " والثلاثة الخلفاء " رضي الله عنهم " ، تحقيق مصطفى عبد الواحد، ط ١ (القاهرة ، الخانجي ، ١٩٧٠م) .
- ابن ماجه: محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني (ت ٢٧٥هـ) .
- ٣٠- سنن ابن ماجه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط ١ (بيروت، دار الفكر) .
- المزي: أبو الحجاج جمال الدين يوسف (ت ٧٤٢هـ)
- ٣١- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق بشار عواد معروف، ط ١ (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٠م) .

- مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ) .
- ٣٢- الجامع الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط ١ (بيروت، دار إحياء التراث العربي) .
- المقدسي: أبو احمد بن سهل البلخي المنسوب المطهر بن طاهر (ت ٣٥٥هـ) .
- ٣٣- البدء والتاريخ، ط ١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م) .
- ابن هشام: عبد الله بن عبد الملك بن أيوب الحميري (٢١٨هـ) .
- ٣٤- السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، ط ١ (بيروت، دار الفكر) .
- الهيثمي: علي بن بكر الهيثمي أبو الحسن (ت ٨٠٧هـ) .
- ٣٥- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ط ١ (بيروت، دار الفكر، ١٤١٢هـ) .
- الواقدي: محمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧هـ) .
- ٣٦- فتوح الشام، مراجعه وتقديم طه عبد الرؤوف سعد، ط ١ (الإسكندرية، دار ابن خلدون) .
- ٣٧- المغازي، تحقيق مارسدن جونسن، ط ٣ (بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٤م) .
- اليافعي: أبو محمد عبد الله بن سعد اليافعي (ت ٧٦٨هـ) .
- ٣٨- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في ما يعتبر من حوادث الأزمان، ط ٢ (القاهرة، دار الكتاب، ١٣١٢هـ) .
- الصلابي: علي محمد
- ٣٩- السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، ط ١ (القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية)

القاضي شريك بن عبدالله الكوفي المتوفي ١٧٧هـ وجهوده في تاريخ القضاء الاسلامي

د . خليل ابراهيم علي الزكروط
معهد اعداد المعلمين في الفلوجة

ملخص البحث

لما كان علم القضاء من اجل العلوم قدرا واعزها مكانا واشرفها ذكرا، لأنه مقام عليّ ومنصب نبوي، والنبي صلى الله عليه وسلم تولى القضاء بنفسه ووليّ غيره ومن ثم تولاه الخلفاء من بعده وولوا غيرهم، وسار على نهجه التابعين وخلفاء المسلمين . فمن اجل ذلك وجدت من المفيد الكتابة عن علم من اعلام الامة الاسلامية في القضاء وهو القاضي شريك بن عبدالله الكوفي النخعي والعصر الذي عاش و نشأ فيه وما رافقه ذلك من حدوث فتن واضطرابات وصراعات قبلية وسياسية ومذهبية شملت ارجاء كثيرة من البلدان ومنها العراق، فضلا عن تعلمه ومنزلته العلمية ومكانته الاجتماعية، محاولا استخلاص الصفات التي اهلته لمنصب القضاء.

تم تقسيم البحث الى مبحثين، ففي المبحث الاول : يتعلق بترجمة القاضي شريك؛ اما المبحث الثاني فيتعلق بالأحكام القضائية .

والخاتمة تلخص النتائج.

The Judge Shureik bin Abdullah El-Kuffi Who Died at (717) H, and His Efforts in the History of Islamic Judgment

by

Khaleel Ibrahim Ali AL- Zagroot, Ph.D.

Lecturer At the Institute of Teachers preparation In Fallujah .

Abstract

Judgment is a holy matter among all nations according to their progress or primitivism and attains a supreme status in the society.

Therefore, the researcher decided to write about a well-known Islamic symbol in judgment that is the judge Shureik bin Abdullah el-Kuffi el-Nakh'i. His childhood and youth was accompanied by mutinies, and disturbances. Moreover, political, sectarian and tribal struggles covered many countries including Iraq. In addition to his knowledge and prestige and his social remarkable position the writer tries to focus on the characteristics that qualify him as a judge.

The paper is divided into two parts and a conclusion. The first part deals with the biography of judge Shureik; the second part deals with the judicial rulings; the conclusion sums up the findings.

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله حمدا كثيرا كما امر وهو الكفيل بالزيادة لمن شكر واصلي واسلم على سيد الخلائق والبشر سيدنا محمد بن عبدالله وعلى اله واصحابه وسلم .
اما بعد :

لما كان علم القضاء من اجل العلوم قدرا واعزها مكانا واشرفها ذكرا، لأنه مقام عليّ ومنصب نبوي، والنبي صلى الله عليه وسلم تولى القضاء بنفسه ووليّ غيره ومن ثم تولاه الخلفاء من بعده وولوا غيرهم، وسار على نهجه التابعين وخلفاء المسلمين .

قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ ^(١) وقال (صلى الله عليه وسلم) : (ان المقسطين في الدنيا على منابر من لؤلؤ يوم القيامة بين يدي الرحمن عز وجل بما اقسطوا في الدنيا) ^(٢)

فالقضاء به الدماء تعصم وتسفح، والابضاع ترم وتتكح والاموال تثبت ملكها ويسلب، والمعاملات يعلم ما يجوز منها ويحرم ويندب، وهو من الامور المقدسة عند كل الامم مهما بلغت درجتها في الحضارة رقيا او انحطاطا ، وما رأينا وما سمعنا عن امة تركت امورها فوضى، فلا غرابة اذا كان القضاء من العلوم التي اهتمت بها الشريعة الاسلامية من أول نشأتها الى يومنا هذا .

فمن اجل ذلك وجدت من المفيد الكتابة عن علم من اعلام الامة الاسلامية في القضاء وهو القاضي شريك بن عبدالله الكوفي النخعي والعصر الذي عاش و نشأ فيه وما رافقه ذلك من حدوث فتن واضطرابات وصراعات قبلية وسياسية ومذهبية شملت ارجاء كثيرة من البلدان ومنها العراق، فضلا عن تعلمه ومنزلته العلمية ومكانته الاجتماعية، محاولا استخلاص الصفات التي اهلته لمنصب القضاء، ليكون قدوة لكل قاضٍ يخاف الله تعالى و يخشى يوم الحساب .

وان المنهج الذي نهجته ولضرورات البحث تم تقسيم البحث الى مبحثين، ففي المبحث الاول : يتعلق بترجمة القاضي شريك، ثم تقسيمه الى ثلاثة مطالب، ففي المطلب الاول : تناولت التعرف على اسمه ونسبه وقبيلته وكنيته ولقبه ومولده ووفاته . ويشتمل المطلب الثاني : العصر الذي نشأ فيه القاضي شريك .

والمطلب الثالث : يتعلق بتعلمه ومنزلته العلمية ومكانته الاجتماعية . اما المبحث الثاني : ويتعلق بالأحكام القضائية والذي يشتمل على ثلاثة مطالب : المطلب الاول : احكام القاضي شريك في الزواج والطلاق والخلع والفرائض والمواريث .

والمطلب الثاني : احكام القاضي شريك في البيوع بصورة عامة والبيع بالعيوب وحكم ضمان الشيء اذا تلف او غصب والوديعة والهدية واحكام اللقطة والضالة والرهن والاجارة .

والمطلب الثالث : تناولت فيه احكام القاضي شريك في الحدود والقصاص والتعزير . وانني حاولت في هذا العمل اظهار الحقيقة فيما يخص القاضي شريك في تاريخ القضاء الاسلامي الذي هو اجلّ واسمى من التشريعات والوضعية، وذلك بما اتسم به من بناء احكامه على ادلة ثابتة مقنعة ربانية المصدر للحفاظ على الضرورات في حيات البشر وهي : الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال .

منهج البحث

لقد سلكت في بحث الموضوع طريقة موضوعية اعتمدت فيها العرض والاستدلال على نصوص القران الكريم والسنة النبوية الواردة في كتب الحديث والفقه المعتمدة وكتب التاريخ الاسلامي، والتي هي الغذاء الوفير في كتابة البحوث، لما تحمله من معلومات قيمة عن تاريخ الامم وخصوصا تاريخنا المجيد، واهم المصادر التي اعتمدت عليها مجموعة متنوعة من هذه الكتب وكما يأتي :

- اولاً - كتب الانساب والتراجم والسير والتاريخ : ومن ابرزها كتاب نسب معد واليمن الكبير لابن الكلبي (ت ٢٠٤هـ)، وجمهرة انساب العرب لابن حزم الظاهري (ت ٤٥٦هـ)، وكتاب اللباب لتهذيب الانساب لابن الاثير (ت ٦٣٠هـ)، ومعجم

البلدان للحموي (ت ٦٢٦هـ)، واخبار القضاة لوكيع (ت ٣٠٦هـ)، وكتاب مشاهير علماء الامصار لابن حبان (ت ٣٥٤هـ)، وطبقات الفقهاء للشيرازي (ت ٤٧٦هـ)، اما كتب التاريخ التي اغنت البحث بمعلومات مفيدة عن الحالة السياسية والخلافات والاحداث وتاريخها، منها كتاب تاريخ الرسل والملوك للطبري (ت ٣١٥هـ)، وهناك عدد من المصادر لا تقل اهمية عن المصادر التي ذكرناها .

- **ثانيا - كتب الفقه :** تمت الاستفادة من كتب الفقه المعتمدة والتي غطت البحث بمعلومات مهمة وقيمة عن المسائل الفقهية، منها كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد للقرطبي (ت ٦٧١هـ)، وكتاب المغني لابن قدامة (ت ٦٢٠هـ)، ومغني المحتاج للشربيني (ت ٩٧٧هـ)، فضلا عن عدد من المصادر التي لا تقل اهمية عن المصادر الاساسية.

- **ثالثا - كتب فقه الحديث :** منها : سنن الدارمي (ت ٢٥٥هـ)، وسنن ابن ماجه (ت ٢٧٣هـ) ، وسنن صحيح مسلم (ت ٣٦١هـ)، حيث غطت البحث بمواضيع مهمة تمت الاستفادة منها والتي بينها بالتفصيل في قائمة المصادر والمراجع .

وان المصادر التي ذكرناها تعد مصادر اساسية للبحث اعتمدت عليها في جميع المعلومات، واخيراً ولكوني حاصل على شهادة القانون فضلا عن التاريخ وممارسة مهنة المحاماة لفترة وجيزة من الزمن، ارى ان هذا البحث جدير باهتمام الباحثين بما فيهم القضاة بما يجدوا فيه ما يفيدهم في حياتهم العلمية والعملية .

وفي الختام : كل ما ارجوه من الله العون والتوفيق خدمة للحق والعدل والفضيلة، وما التوفيق الا من عند الله تعالى .

الباحث

المبحث الاول ترجمة القاضي شريك

المطلب الاول :

اولا - اسمه ونسبه وقبيلته :

لم تختلف اكثر المصادر في اسمه وهو (شريك)^(٣) ولا في نسبه انه من قبيلة النخع اليمانية القحطانية والنسبة اليها (النخعي)^(٤) إلا ان هذه المصادر اختلفت نسبيا في سلسلة الاسماء التي يرتبط فيها شريك في الجد الاعلى لقبيلة النخع ومنها رواية ابن الكلبي^(٥) ورواية ابن خياط^(٦) ورواية ابن حزم^(٧) وابن خلكان^(٨) وقبيلة النخع من القبائل اليمانية المشهورة، منها رجال مذكورين وصحابه بارزين، فمن الصحابة على سبيل المثال لا الحصر ابو زرارة بن قيس النخعي الوافد على رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٩) وكذلك إرطأة بن شرحبيل وهو الآخر وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فعقد له لواءً على النخع شهد به القادسية فقتل واخذه اخوه دريد ابن كعب فقتل ايضا^(١٠) وكذلك الارقم وهو جهبش بن يزيد بن مالك النخعي الوافد على رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١١) اما الرجال المشهورين من النخع فمن بينهم الولاة والقادة ومنهم القضاة والفقهاء والمحدثين^(١٢)

ثانيا - كنيته ولقبه :

اجمعت معظم المصادر التي ترجمت للقاضي شريك على ان كنيته هي (ابو عبدالله)^(١٣)، اما لقبه فكان ينسب بالكوفي نسبة الى مدينة الكوفة حيث استقر بها وكانت وفاته بها ايضا فضلا عن كونه تولى القضاء فيها^(١٤)، كما لقب بالنخعي نسبة الى قبيلة النخع^(١٥)

ثالثا - مولده ووفاته :

أ- مولده: اختلفت المصادر التاريخية نسبيا في سنة ولادة القاضي شريك فقليل ولد في بخارى سنة ست وتسعين للهجرة في ارض خراسان وكان جده قد شهد القادسية^(١٦)، ويقال ولد سنة خمس وتسعين للهجرة^(١٧)، ويقال ولد سنة تسعين للهجرة وهذا احتمال ضعيف لانه لو كانت ولادته سنة تسعين لكان عمره سبع وثمانون سنة او

ثمان ثمانون سنة، بينما ورد في المصادر بان عمره كان نيف وثمانون والنيف دون الخمسة.

ب- **وفاته** : توفي القاضي شريك بن عبدالله سنة سبع وسبعين ومائة للهجرة في الكوفة^(١٨) وقيل سنة ثمان وسبعون ومائة للهجرة وكان عمره عند وفاته نيف وثمانون سنة^(١٩)

المطلب الثاني : العصر الذي نشأ فيه القاضي شريك

لقد ذكرنا ان شريك ولد عام ٩٥ او ٩٦ هجرية وان وفاته كانت سنة ١٧٧هـ وهو بذلك قد عاش المدة الاخيرة من العصر الاموي (٩٦-١٣٢هـ) واكثر حياته في العصر العباسي الاول (١٣٢-١٧٧هـ) وبناء على ذلك فان الحديث عن عصر القاضي شريك يكون هو الحديث عن اواخر الخلفاء الامويين ونهاية حكمهم وبداية حكم الخلفاء العباسيين وما رافق ذلك من حدوث فتن واضطرابات وصراعات قبلية وسياسية ومذهبية شملت ارجاء كثيرة من البلدان ومنها العراق . وقد كان للكوفة موطن القاضي شريك نصيب كبير في هذه الاحداث والاضطرابات، فقد كانت من اهم مراكز الدعوة العباسية اذ ان بداية الخلافة العباسية كان ظهورها في الكوفة حيث بويع عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس وكنيته ابو العباس السفاح وامه ربيعة بنت عبيد الله بن عبدالله بن عبد المدان بن الديان الحارثي اول الخلفاء فيها^(٢٠) ان القاضي شريك ولد في الكوفة في نهاية خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان (٨٦-٩٦هـ / ٧٠٥-٧١٥م)^(٢١)

وقد كان عهد الوليد من ازهى عصور بني امية اذ انه تولى الخلافة بعد ابيه الذي تمكن من ارساء الاسس المتينة والقوية، للدولة بعد قضائه على الاضطرابات التي ظهرت في عهده مثل حركة الخوارج، التي تمكن الحجاج بن يوسف الثقفي والي الكوفة من اخماد حركة الخوارج وكسر شوكتهم مما دفعهم الى الركون والى الهدوء ولم يرفعوا رؤوسهم لسنوات طويلة، وبذلك مهد للخليفة الوليد بن عبدالملك مجال الاستقرار واتاح له الجو الملائم لاستئناف حركة الفتوحات العربية الاسلامية حتى

بلغت رقعة الدولة العربية الاسلامية في عهده اطراف أوربا بعد فتح الاندلس واطراف الهند بعد فتح السند وحدود الصين بعد العبور لبلاد ما وراء النهر،^(٢٢)

لقد شهد عام ٩٦هـ / ٧١٤م في آخر سنة من خلافة الوليد بن عبد الملك فتنة عظيمة في خراسان اذ اجتمعت كلمة القبائل العربية القاطنة هناك على الوقوف ضد القائد قتيبة بن مسلم الباهلي وضد عشيرته قليلة العدد عندما أيد الخليفة الوليد التي اراد بها أن ينتزع ولاية العهد من اخية سليمان بن عبد الملك ليجعلها لابنه، وان قتيبة بن مسلم كان يأمل من القبائل العربية في خراسان ان تؤيده في موقفه هذا الا انها خذلت بل وقفت ضده علانية ومما زاد الامر صعوبة ان قتيبة خطب خطبة عنيفة مليئة بالشتائم والاهانات الى هذه القبائل وخاصة قبائل الأزد و ربيعة ومضر والموالي الذين حضروا هذه الخطبة وكانت النتيجة ان القبائل تمكنت من القائد قتيبة وقتلته^(٢٣)

اما في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ / ٧١٤-٧١٧م) فانه كان عهدا يميل الى السكون والهدوء تجاه الخوارج ولم يتشدد معهم ويكتفي بحبسهم كي لا يعودوا الى الخروج والتمرد عليه، ولكن من كان منهم لا يرعوي فان ضرب عنقه هو العقاب^(٢٤)

ثم يأتي عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز (٩٩-١٠١هـ / ٧١٧-٧١٩م) فانه استعمل سياسة اللين والحوار مع الخوارج اذ انه كان يرى فيهم ناسا ضلّلوا فأضلّوا وانهم كانوا يبيغون الحق فأخطأوا سبيله وعليه لابد من اقامة الحجة عليهم وانارة عقولهم واستمالة قلوبهم الا ان ظنه بهم قد خاب فقد خرجوا عليه في العراق مما اضطره اخيرا الى مقاتلتهم^(٢٥)

وقد لاحظ (فان فلوتن Van vloten) بان الخوارج منذ عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز وجدوا متنفسا لاستعادة نشاطهم الفكري وبسط آرائهم فجعلوا من انفسهم حماة للضعفاء والمضطهدين وحربا على ذوي السلطان المستبدين^(٢٦) ولعلمهم ارادوا بذلك ان يقودوا حركة المعارضة حينذاك بهدف تكتيل الناس حولهم استعدادا لجولات قادمة مع الامويين^(٢٧)

وجاء عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥ هـ / ٧١٩-٧٢٣م) وكان واليه على الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن الذي اراد ان ينال الحظوة لدى الخليفة الجديد فارسل جيشا لمقاتلة الخوارج الا ان الخوارج تمكنوا من الحاق الهزيمة بهذا الجيش وطاردوا المقاتلين حتى ادخلوهم الكوفة ثم عاود والي الكوفة مقاتلة الخوارج الا انه كان يُمنى بالهزائم الى ان جاء مسلمة بن عبد الملك واليا على العراق من قبل الخليفة يزيد فدخل الكوفة فاتاه الناس وشكوا اليه خوفهم من الخوارج فجهز جيشا كبيرا لهم وقد تمكن من الحاق الهزيمة بالخوارج بعد ان قتلهم مقتلة كبيرة^(٢٨)

وفي عهد الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٣-٧٤٢م) فان الخوارج سكنوا وهدأوا ثانية مدة طويلة، وذلك لا يعني انهم تخلوا عن اهدافهم في الوصول الى الحكم ففي سنة (١١٩ هـ / ٧٣٧م) خرج في الموصل بهلول بن بشر الشيباني فارسل الية الوالي خالد بن عبد الله القسري جيشا وفيه رجال من اهل الكوفة الا انهم انهزموا امام الخوارج الذين طاردوهم الى الكوفة^(٢٩)، ولكن الخليفة هشام و واليه على العراق خالد القسري اعدا جيشا كبيرا لملاقاة الخوارج اذ التقى الطرفان بالكُحَيْل قرب الموصل ما بين الجزيرة الفراتية والموصل انتصر فيه جيش الخلافة على الخوارج وقتل قائدهم^(٣٠)

ولما آلت الخلافة الى يزيد بن الوليد بن عبد الملك (١٢٥-١٢٦هـ / ٧٤٢-٧٤٤م) بعد قتله الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك الذي سمي (الناقص) ظهرت الفتن القبلية وخاصة في بلاد الشام وفيها مقر الخلافة واحتدام الصراع داخل البيت الاموي على الخلافة، ثم ان هذه الفتنة امتدت بنيرانها الى بلاد خراسان وقبلها الى العراق^(٣١) ومما زاد الامر تعقيدا واضطرابا هو موت الخليفة الجديد وهو ابراهيم بن يزيد (١٢٦هـ / ٧٤٤م)^(٣٢) فأصبحت الدولة على وشك التداعي من داخلها، ولم يستطع الخليفة الجديد وهو ابراهيم بن يزيد بن عبد الملك الذي تولى الخلافة بعد وفاة اخيه (١٢٦هـ / ٧٤٤م) ان يوقف هذه الفتنة ولا هذا التداعي في مؤسسات الدولة وخاصة منصب الخلافة فنازعه على الخلافة احد الامراء وقادة بني امية وهو مروان بن محمد الذي انتزع الخلافة بعد خلعه للخليفة ابراهيم بن يزيد بن عبد الملك^(٣٣) لقد

أقحمت مدينة الكوفة التي فيها القاضي شريك نفسها في اعمال العصبية القبلية التي كانت بمنأى عنها حقبة طويلة ^(٣٤) وخلال مدة الصراع على منصب الخلافة بين الخليفة ابراهيم بن الوليد والقائد مروان بن محمد وذلك سنة (١٢٧هـ / ٧٤٥م) قدم مدينة الكوفة اسماعيل بن عبدالله القسري اخو خالد بن عبدالله القسري الذي افتعل كتابا على لسان الخليفة ابراهيم بن الوليد بولايته على الكوفة وانه دعا اليمانية على نصرته فأجابوه وكان الوالي على الكوفة آنذاك عبدالله بن عمر بن عبد العزيز الذي تمكن من اخماد حركة اسماعيل القسري الا انه لم يتمكن من اخماد نار الفتنة بسبب تحيزه في العطاء الا ان عاصم بن عبدالله بن يزيد الهلالي الذي أستخلفه الخليفة ابراهيم على ارمينية تمكن من تهدة الموقف وقتل فيها سنة ١٢٧هـ ^(٣٥)، ولما تولى الخلافة مروان بن محمد (١٢٧-١٣٢هـ / ٧٤٥-٧٤٩م) ازدادت الاضطرابات والفتن والصراعات وخاصة حركات الخوارج وكانت الكوفة هدفا مهما لحركات الخوارج فقد خرج احد الخوارج وهو سعيد بن بهلول الشيباني في ارض (كفر توتا) ^(٣٦) وكانت وجهته الكوفة، كما كانت الكوفة محط انظار الخارجي بسطام البيهسي الذي مات في طريقه اليها فأستخلف مكانه الضحاك بن قيس الشيباني الذي جمع حوله حوالي اربعة آلاف رجل سائرين نحو الكوفة، وقد تمكن من الحاق الهزيمة بجيش الكوفة الذي يقوده النضر بن سعيد الحرشي ومعه الوالي المعزول عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز الذي عزله الخليفة مروان بن محمد الا انه امتنع عن العزل وتمسك بالولاية واتخذ من الحيرة مقرا له ومع ذلك فقد اتفق مع الوالي الجديد مع الخوارج لحماية الكوفة والدولة الا انهما انهزما امام قوة الخوارج وذلك في رجب سنة (١٢٧هـ / ٧٤٥م) وسيطر الخوارج على الكوفة وقاموا بجباية الخراج ثم انطلق الضحاك الى مدينة واسط وسيطر عليها بعد ان بايعه عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز ^(٣٧) وممن بايع الضحاك الشيباني سليمان بن هشام بن عبد الملك الذي هرب من الخليفة مروان بن محمد والتحق بالعراق مع عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز

وهكذا غلبت الخوارج على العراق بقيادة الضحاك الشيباني اذ لم يتمكن احد من الخوارج على ذلك لا قبله ولا بعده ^(٣٨) ان هذه الاوضاع والاضطرابات قد احاطت

بالخليفة مروان بن محمد ومما زاد اضطراباً، ان اهل مصر كانوا قد خلعوه فاضطر لإخضاعهم، اما في العراق فقد انقسم عماله بين مؤيد له ومعارض فحارب بعضهم بعضاً ثم خالفه اهل حمص وخرجوا عن طاعته^(٣٩) واخيراً لم يجد الخليفة بُداً من التوجه بنفسه لملاقاة الضحاك الخارجي الشيباني فقاتله في معركة شديدة وذلك في سنة (١٢٨هـ / ٧٤٥م) فانتهصر عليه وقتله^(٤٠) وبعد مقتل الضحاك بايعت الخوارج التحبيري أبا الذلفاء الشيباني وقد قتله جند الشام ايضاً فتولى امر الخوارج بعده شيبان الحروري وانحاز اليه مزيدياً من الخوارج^(٤١)، امر الخليفة مروان بن محمد قائده يزيد بن عمر بن هبيرة بالمسير الى العراق لمحاربة من به من الخوارج بجند كثيف من اهل الشام واهل الجزيرة فتوجه الى العراق فالتقى بالخوارج بعين التمر وعليهم يومئذ المثنى بن عمران القرشي فهزمهم وتوجه الى الكوفة فوصلها في رمضان سنة (١٢٩هـ / ٧٤٧م) وهزم الخوارج ودخل الكوفة ثم قام بمطاردة الخوارج وظفر بهم في وقعات عدة^(٤٢)، واخيراً لم يتمكن الخليفة مروان بن محمد من مواجهة كل التحديات التي ظهرت ضده خاصة بعد نجاح دعاة بني العباس من التحرك ضد الخلافة الاموية في اقليم خراسان والسيطرة عليه ثم زحفوا غرباً باتجاه العراق وكانت الكوفة قد اقحمت نفسها في غمار العصبية التي ظلت بمنأى عنها حقبة طويلة، فقد ساندت اليمانية من اهل البصرة والكوفة الدولة العباسية نكايه بالخليفة مروان بن محمد المتعصب للمضرية ودار قتال عنيف في البصرة بين اليمانية والمضرية، ودار قتال مماثل في الكوفة وزادت نيران العصبية القبلية ولم تنطفئ هذه النيران الا بتغلب بني العباس على الخليفة مروان وبني أمية وتوليهم مقاليد الامور في العراق^(٤٣).

هذا هو عصر القاضي شريك الذي عاشه في ظل خلافة الامويين حيث كانت الكوفة عرضة للانقسامات والصراعات القبلية وظهور الثقافات السياسية المتناحرة بين العلويين والامويين، فضلاً عن ظهور مذاهب وعقائد وفرق متعددة كان للقاضي شريك النصيب الواضح في هذه الامور، اما مع هذا الطرف او ضده مع طرف آخر اذ انه اتهم في التشيع ولكن لم يظهر لذلك أثر في مواقفه او نشاطه.

ولما آلت الخلافة الى بني العباس فان القاضي شريك عاش في ظل هذه الخلافة ردحا من الزمن (١٣٢-١٧٧هـ / ٧٤٩-٧٩٧م) اذا ما علمنا ان دعوة بني العباس كانت متفشية في الكوفة وان اول خليفة عباسي بوبع بالكوفة سنة (١٣٢هـ / ٧٤٩م) هو ابو العباس السفاح وكانت بداية هذا العصر ان خرج عن الطاعة خلق كثير من الناس فيما تفرقت جماعات اخرى^(٤٤) ، وفي سنة ١٣٤هـ / ٧٥١م تحول الخليفة العباسي من الحيرة الى الانبار التي صارت مقرا للخلافة^(٤٥) وفي سنة (١٣٦هـ / ٧٥٣م) مات السفاح بعد ان امر الناس بالبيعة لآخية عبدالله بن محمد (ابو جعفر المنصور) وقد قام بامر الناس الخليفة عيسى بن موسى الذي اخذ البيعة للخليفة الجديد والذي كان يتولى امر الحج بالناس في مكة المكرمة وكان قبل وفاة السفاح قد اوصى اليه كما وصلت اليه انباء مبايعته^(٤٦) قدم ابو جعفر المنصور من مكة ونزل بالحيرة (١٣٧هـ / ٧٥٤م) فوجد عيسى بن موسى قد سار الى الانبار واستخلف على الكوفة طلحة بن اسحاق بن محمد بن الاشعث فدخل ابو جعفر الكوفة فصلى باهلها واعلمهم بانه راحل عنهم ووافاه ابو مسلم الخراساني بالحيرة ثم سار ابو جعفر الى الانبار واقام فيها^(٤٧)، ودعا عبدالله بن علي عم السفاح لمبايعته وزعم بان السفاح جعله ولي عهده من بعده فجهاز له المنصور ابا مسلم الخراساني وانهزم عبدالله بن علي الى البصرة، وبعد ذلك نشب خلاف بين المنصور وأبي مسلم الى ان قتله^(٤٨)، وفي سنة (١٤١هـ / ٧٥٨م) كان خروج الراوندية على رأي ابا مسلم الخراساني^(٤٩)، وفي سنة (١٤٣هـ / ٧٦٠م) ثارت الديلم فقتلوا خلائق كثيرة من المسلمين فانتدب الخليفة الناس لغزوهم^(٥٠) وسار جيش العراق والجزيرة سنة (١٤٤هـ / ٧٦١م) لغزو الديلم وعلى الناس محمد بن السفاح^(٥١) وقد أمر الخليفة المنصور بتأسيس مدينة بغداد والبدء بانشائها ورسم هيئتها وذلك سنة (١٤٥هـ / ٧٦٢م) وفيها خرج محمد بن عبدالله العلوي بالمدينة المنورة وقتل^(٥٢)، وخرج اخوه ابراهيم بن عبدالله العلوي بعده بالبصرة وقتل ايضا^(٥٣)، وبعد ان استتم ابو جعفر المنصور بناء مدينة بغداد تحول من مدينة ابن هبيرة^(٥٤) الى بغداد^(٥٥) وفي سنة (١٤٨هـ / ٧٦٥م) وجه المنصور حميد بن قحطبه الى ارمينية لحرب الكرك الذين قتلوا حرب بن عبدالله فسار اليهم لكنهم ارتحلوا قبل وصوله ولم

يلق منهم احداً^(٥٦) ، وفي سنة (١٤٩هـ / ٧٦٦م) غزا العباس بن محمد الصائفة ارض الروم ومعه الحسن بن قحطبه ومحمد بن الاشعث فهلك محمد بن الاشعث في الطريق وفي العام نفسه تم بناء اسوار بغداد^(٥٧) وفي سنة (١٥٠هـ / ٧٦٧م) كان خروج استاذسييس في اهل فرات باذغيس وسجستان وغيرها من عامة خراسان وساروا حتى التقوا هم واهل مرو الروذ فخرج اليهم الاجم المررورذي في اهل مرو الروذ قاتلوه قتالا شديدا حتى قتل الاجم وكثر القتل في اهل مرو الروذ وهزم عدة من جمعه من القواد، فوجه الخليفة المنصور وهو بالبردان^(٥٨) القائد خازم بن خزيمة الى ابنه المهدي وولي عهده فوجه لمحاربة استاذسييس وضم اليه القواد وقد تمكنوا من الانتصار على استاذسييس^(٥٩)، وفي سنة (١٥١هـ / ٧٦٨م) اغار الكرك في البحر على جُدّه وفيها ولي عمر بن حفص بن عثمان بن ابي صفره افريقية، وعزل عن السند وولي موضعه هشام بن عمرو التغلبي^(٦٠) وفيها قدم المهدي من الري الى بغداد ليراها فامر ابوه ببناء الرصافة له^(٦١) وفي سنة (١٥٢هـ / ٧٦٩م) قتل الخوارج معن ابن زائدة الشيباني بسجستان وغيرها . وقد ولي المنصور حميد بن قحطبه على خراسان وغزا كابل^(٦٢) وقد جهز المنصور جيشا في البحر لحرب الكرك وذلك بعد مقدّمه من البصرة منصرفا من مكة اليها، وفي سنة (١٥٣هـ / ٧٧٠م) توفي عبيد الله بن ابي ليلى قاضي الكوفة فاستقضى المنصور مكانه على الكوفة شريك النخعي^(٦٣) وفي سنة (١٥٧هـ / ٧٧٤م) بنى المنصور قصره باب الذهب وقصر الخلد على شاطئ دجلة^(٦٤) وفي سنة (١٥٨هـ / ٧٧٥م) صادر المنصور خالد بن برمك^(٦٥)، وفيها توفي المنصور واخذت البيعة للمهدي وفي سنة (١٥٩هـ / ٧٧٦م) كانت غزوة العباس بن محمد الصائفة حتى بلغ انقرة وكان على مقدمة جيش العباس الحسن الوصيف من الموالي، وكذلك وجه الخليفة المهدي، عبد الملك بن شهاب المسمعي في البحر الى بلاد الهند، وفيها بنى الخليفة المهدي مسجد الرصافة وحائطها وحفر خندقها وفيها خلع الخليفة المهدي عيسى بن موسى من ولاية العهد واشترى ذلك بعشرة الاف درهم وباع لابنه موسى لولاية العهد من بعده ثم بايع لابنه هارون بعد موسى^(٦٦) وفي سنة (١٦٠هـ / ٧٧٧م) كان خروج يوسف بن ابراهيم على الخليفة المهدي

بخراسان متتكررا وقد تبعه ممن كان على رأيه ضد الخليفة المهدي ^(٦٧) وفي سنة (١٦١هـ / ٧٧٨م) وجه الخليفة المهدي معاذ ابن مسلمك الى ما وراء النهر لمقاتلة حكيم بن المقفع بخراسان، وقد ارم الخليفة المهدي ببناء القصور على طريق مكة وبناء المصانع في كل منهل ^(٦٨) ووضع الخليفة المهدي دوايين الازمة وذلك سنة (١٦٢هـ / ٧٧٩م) ^(٦٩) وفي سنة (١٦٧هـ / ٧٨٤م) وجه الخليفة المهدي ابنه هارون مع موسى الهادي الى جرجان (لحرب وندا هرمز وشروين) صاحبي طبرستان، وولي الكوفة روح بن حاتم وفي هذه السنة جد المهدي في طلب الزنادقة وشهدت بغداد والبصرة الوباء والسعال الشديدين وفشا الموت وفيها توفي عيسى بن موسى بالكوفة وأشهد والي الكوفة على وفاته القاضي شريك وجماعة من الوجوه ^(٧٠) وفي سنة (١٦٨هـ / ٧٨٥م) رد المهدي ديوانه واهل بيته الى المدينة ونقله من دمشق اليها وضبط الدوايين ^(٧١) وفي سنة (١٦٩هـ / ٧٨٦م) عزم الخليفة المهدي ان يقدم هارون في العهد ويؤخر موسى الهادي فطلبه وهو بجرجان ففهمها ولم يقدم، فهم اليه المهدي المسير الى جرجان وفي وقتها مات مسموما ^(٧٢)، وذكر ان الخليفة هارون الرشيد ارسل الخاتم والقضيب الى الهادي، وفيها خرج الحسين بن علي بن حسن بن علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) بالمدينة المنورة وبايعه عدد كبير فاقتل الى العراق وقتل المهدي في ماسبذان ^(٧٣) وبويع الهادي ^(٧٤) وفي سنة (١٧٠هـ / ٧٨٧م) توفي موسى الهادي وبويع بالخلافة للرشيد هارون بن محمد بن عبد الله بن العباس وامه الخيزران ليلة الجمعة التي توفي فيها اخوه وكذلك وفاة يزيد بن حاتم بأفريقية وهو واليها ^(٧٥) وقدم ابو العباس الفضل بن سليمان الطوسي مدينة السلام منصرفا عن خراسان وذلك في سنة (١٧١هـ) اما في سنة (١٧٥هـ) وبعد ان عقد الخليفة الرشيد العهد للأمين هاجت العصبية بين القيسية واليمانية بالشام واشتد البلاء بينهما ^(٧٦).

ومما تقدم ذكره من احداث عصر القاضي شريك بن عبد الله يتضح لنا ارتباك الحالة السياسية، فهو عصر مليء بالفتن وانقسام المسلمين و تقائلهم على السلطة لقد ادخل الامويون فكرة الوراثة في الحكم ايام السفينيين وقد تمكن المروانيون اشاعة

الاستقرار وإعادة تنظيم الدولة أيام عبد الملك كما دفعوا بالموجة الثانية للفتوحات أيام الوليد وسليمان فبلغت حدود أراضي الخلافة إلى أواسط آسيا شرقاً والاندلس غرباً .

لكن مشكلة الخلافة على العرش بقيت قائمة، تمثلت بالصراع بين فكرة الوراثة والمفاهيم الإسلامية التي ترى أن السلطة لله سبحانه وتعالى وتتحدى بالشورى كما تبين من مجيء الخليفة عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) ومحاولته الإصلاحية وثورة يزيد بن الوليد بن عبد الملك باسم الشورى ووصوله إلى الخلافة وهي حركة بداية النهاية للأمويين وشهدت فترة الخلافة الأموية ظهور قوة المفاهيم القبلية والعصبية وبعد انتقال السلطة إلى الأسرة العباسية أثر دعوة قامت باسم المبادئ الإسلامية وشعار اندحار العصبية القبلية والحرص على المبادئ الإسلامية في الحياة العامة والمساواة ورفض التمييز، وأكدوا مبدأ الوراثة والعودة إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم اتباعهما في الحكم وأحدثوا مجلساً للنظر في المظالم ولذلك حاولوا أن يوجدوا مؤسسة إسلامية بأحداث منصب قاضي القضاة ^(٧٧) كل هذه الأحداث والفتن التي عاصرها القاضي شريك بن عبد الله الكوفي لم تثمر من عزيمته في طلب العلم والمعرفة والعدالة والاستقرار وصرامته في الحكم، ذكر الذهبي الطبقة التي عاش فيها القاضي شريك هي الطبقة الرابعة وكان الإسلام وأهله في عز تام وعلم غزير وأعلام الجهاد منشورة والسنن مشهودة والبدع مكبوتة والقوالون بالحق كثير والعباد متوافرون والناس في هنيئة من العيش بالأمن وكثرة الجيوش المحمدية من أقصى المغرب وجزيرة الأندلس وإلى غرب مملكة الخطأ وبعض الهند وإلى الحبشة هكذا الحياة في زمن الخلافة العباسية ^(٧٨)

المطلب الثالث: تعلمه ومنزلته العلمية ومكانته الاجتماعية

أولاً - تعلمه : إن العصر الذي نشأ فيه القاضي شريك هو عصر العلم والمعرفة والفتوحات الإسلامية وبناء العمران والمدن، لقد اهتم المسلمون أولاً بالسيرة النبوية وتفسير القصص القرآنية وإشاراته حيث كتبت السيرة منذ النصف الثاني من القرن الثاني من الهجرة وكذلك تدوين العلوم . ومن خلال الرجوع إلى المصادر التاريخية، نجد أن القاضي شريك كانت بداية علومه هي تعلم القرآن الكريم والحديث والفقه على

يد نخبه من الشيوخ البارزين مثل الحسن بن موسى الأشيب^(٧٩) و جامع بن ابي راشد اخو الربيع بن ابي راشد المتوفى سنة ١١٨هـ^(٨٠) و سماك بن حرب وهو اخو محمد و ابراهيم بن حرب وكان عالما بالشعر والمتوفى سنة (١٢٣هـ)^(٨١) وهشام بن عروه بن الزبير بن العوام^(٨٢) وغيرهم من الاعلام الذين تربى على ايديهم

ثانيا - تلاميذه : من خلال المصادر التاريخية وكتب التراجم وجدنا الكثير من الرجال نهلوا العلم من القاضي شريك ولكثرة تلاميذه رأينا ان نقتصر التعرف على بعضهم الذين ترددت اسمائهم ورواياتهم عنه ومنهم عفيف بن سالم ابو عمر الموصلي المتوفى سنة (١٨٠هـ)^(٨٣) و يونس بن محمد البغدادي المتوفى سنة ٢٠٧هـ^(٨٤) والقاسم بن سلام ابو عبيد البغدادي مولى الازد ذو التصانيف روى عن اسماعيل بن عياش وشريك كان من الثقات توفي ٢٢٤هـ^(٨٥).

ثالثا - منزلته العلمية : كان شريك حسن الحديث إماماً فقيهاً محدثاً مكثرًا، وقد استشهد به البخاري^(٨٦) وقال ابن المديني شريك اعلم من اسرائيل واقل خطأ منه، وقال يعقوب ابن شيبه : شريك صدوق ثقة سيئ الحفظ، وقال ابو جعفر الطبري : كان شريك فقيها عالما، وقال محمد بن يحيى الذهبي كان نبيلاً^(٨٧)، وقال محمد بن عيسى قد أثر السجود في جبهته ، وقال معاوية بن صالح سألت احمد بن حنبل فقال : كان عاقلاً صدوقاً محدثاً شديداً على اهل الريبة والبدع قديم السماع من ابي اسحاق^(٨٨) .

هذه هي منزلة القاضي شريك العلمية وقد ذكره الذاكرون بخير إلا ان بعض المحدثين ذكروه بالوهم والخطأ وان هذا، يمكن الاخذ به لان الانسان عند كبر سنه يحصل له ذلك، اما من ذكره بالتدليس فليس له نصيب في هذا الادعاء لان الشواهد على نزاهته وامانته حيث كان للقاضي شريك منزلة عظيمة لدى اصحاب العلم والفقه والحديث^(٨٩)

رابعا - مكانته الاجتماعية : ان القاضي شريك عاصر اواخر الخلافة الاموية وبداية الخلافة العباسية وبالنظر الى كلتي العهدين نجد بداية تغير الوضع الاجتماعي تغيرا شكليا فقد انتقل المسلمون من عهد البساطة الى الترف، وكان المجتمع الاسلامي يعج بالفرق الاجتماعية التي تعدد الى طوائف متناحرة فيما بينها وكان لها الاثر الكبير في احياء الفتنه وازمة الخلافة، والمجتمع الاسلامي الذي عاش فيه القاضي شريك مليء

بالتفتن السياسية والدينية وله تأثير كبير على الحياة الاجتماعية الا ان كل هذه الصعوبات لم تثن من قوة وعزيمة القاضي شريك فقد تصدى لها بشدة وعدم الاخذ بأفكارها وكان شديداً على اهل البدع والاهواء غيورا على دينه قوي الحجة في الدفاع عن الحق وكانت مكانته الاجتماعية رمزا وعنوانا لشيوخه وتلاميذه ومحبيه اعتزازا بمدينة الكوفة، لقب باسمها ابو عبدالله الكوفي، وتبين لنا ان للكوفة مكانة عظيمة حيث ذكر ابن سعد ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب الى اهل الكوفة الى رأس اهل الاسلام وقيل الى رأس العرب، وكذلك ذكر اهل الكوفة، رمح الله وكنز الايمان وجمجمة العرب، يجزون ثغورهم ويمدون الامصار وقال : العراب بها كنز الايمان^(٩٠)، وكان القاضي شريك رجلا مؤدبا كثير الحياء وذا مكانة عالية في المجتمع لا يخشى في الله لومة لائم، حيث يذكر وكيع : لقد اتهم القاضي شريك بانه رافضي فاخذ أخذاً عنيفاً وعلى فمه كمة وكساء ابيض فدخل على الخليفة المهدي فسلم فقال : لا سلام الله عليك، قال شريك يا امير المؤمنين ان الله يقول ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحِجَةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِمَّا أَوْ رَدُّوهُآ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾^(٩١)، فوالله ما حييتني باحسن من تحيتي ولا رددتها علي، قال الم اوطيء الرجال عقبيك وانت رافضي ملعون، قال شريك ان كان الرافضي من احب رسول الله وفاطمة وعليا والحسن والحسين فاني اشهد الله واشهدك ان رافضي اتبعهم^(٩٢) .

المبحث الثاني

احكامه القضائية

المطلب الاول : حياته القضائية

اولا - علم القضاء :

القضاء في اللغة : يعني الحكم^(٩٣) .

قال تعالى : ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾^(٩٤) .

وقال تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ

الْبَصِيرُ﴾^(٩٥) وقال تعالى : ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾^(٩٦) .

والقضاء : تسليم مثل الواجب بالسبب، والقضاء على الغير : الزام لم يكن لازماً قبله، والقضاء في الخصومة : هو اظهار ما هو ثابت^(٩٧) .

والقضاء اصطلاحاً وشرعاً : هو رفع الخصومة بين خصمين فأكثر بحكم الله تعالى^(٩٨) .

ولقد عدة الشريعة الاسلامية القضاء ضرورياً للمجتمع باعتبار الانسان غير معصوم من الخطأ والوقوع في المعصية لذلك امر الاسلام بالقضاء، وتولى الرسول (صلى الله عليه وسلم) القضاء بنفسه في بداية الرسالة الاسلامية، كما ارسل بعض اصحابه قضاءً الى بعض الامصار، وباشر الخلفاء من بعده بأنفسهم القضاء لأنه من فروض الكفاية .

وصفات القاضي في الاسلام : رجلاً، عاقلاً، بالغاً، حراً، مسلماً، عادلاً، سليم السمع والبصر والمنطق، وهي الشروط المتفق عليها عند الفقهاء^(٩٩)، وفضلاً عن ذلك يجب ان يكون عالماً بالأحكام الشرعية باصولها وفروعها، واصول الاحكام في الشريعة الاسلامية هي : كتاب الله تعالى والسنة النبوية، وان يكون عارفاً عالماً في كيفية استنباط الاحكام الشرعية والاجتهاد والقياس^(١٠٠) . ولا يجوز ان يقلد الكافر القضاء على المسلمين ولا على غيرهم^(١٠١)

ثانياً - تاريخ توليه القضاء :

تولى شريك بن عبد الله القضاء في عهد الخليفة العباسي ابي جعفر المنصور، اما تاريخ توليته القضاء، ذكر الطبري في تاريخه، في سنة ١٥٣هـ في خلافة المنصور بعد وفاة عبيد بن ابي ليلى قاضي الكوفة فاستقضا مكانه شريك بن عبد الله النخعي ويقال انه تولى قضاء الاحواز سنة ١٥٠هـ^(١٠٢)

وذكر الزركلي : استقضا المنصور على الكوفة سنة ١٥٣هـ ثم عزله واعاده المهدي، فعزله موسى الهادي^(١٠٣)، ويروي وكيع في اخباره بسنده عن يحيى بن سعيد الاموي قال : كنت عند الحسن بن عماره حين بلغه ان شريك هرب من قضاء الاحواز فقال : الخبيث استصغر قضاء الاحواز^(١٠٤)، قال : منصور بن ابي مزاحم ولي شريك قضاء واسط سنة ١٥٠هـ ثم ولي قضاء الكوفة^(١٠٥)، من خلال ما تقدم يتبين لنا ان

القاضي شريك تولى قضاء الكوفة وكذلك قضاء الاحواز، ولو نجد من خلال البحث في المصادر مدة معينة تحدد توليته القضاء.

ثالثاً - عزل القاضي شريك عن القضاء:

تم عزله عن القضاء نتيجة عدالته في الحكم مما اغاض الوالي عيسى بن المهدي فخلعه وعين مكانه القاسم بن معن^(١٠٦)، ويروي وكيع في اخباره بسنده عن الحسين بن محمد بن موسى قال : فانما ركب اليه شامتاً فلما دخل عليه قال يا ابا عبد الله لقد اهتممنا بعزلك، فقال : ان الخلفاء تخلع وتعزل، ان الخلفاء تُخلع وتُعزل^(١٠٧) .

رابعاً - ما تميز به قضاء شريك:

من خلال البحث في المصادر التاريخية وجدنا الكثير من العلماء والفقهاء المعاصرين لشريك بن عبد الله ممن اثنى عليه وعلى قضائه لما اثبتته من كفاءة وقدرة وصرامة في الحكم، وهناك قلة ممن ليس لهم سند او دليل ارادوا ان ينتقصوا من مكانته العلمية والقضائية، وروى ابن خلكان قال : كان شريك عادلاً في قضائه كثير الصواب حاضر الجواب^(١٠٨).

ومن خلال البحث نلاحظ ان القاضي شريك قد تأثر بأحكام القاضي شريح لما روى له شيوخه الذين عاصروا القاضي شريح فسار على ما سار عليه القاضي شريح في احكامه بما تميز به من عدل وانصاف وصرامة في الحكم والاعتماد على كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وما اجمع عليه الفقهاء واجتهاده فيما اختلفوا فيه.

خامساً - منهجه في القضاء :

من خلال البحث في المصادر التاريخية وجدنا ان للقاضي شريك بن عبد الله الكوفي النخعي منهجه في القضاء يتميز به عن غيره من القضاة.

ذكر الخطيب البغدادي^(١٠٩) : (كان شريك لا يجلس للقضاء حتى يتغذى ويشرب ثم يأتي المسجد فيصلي ركعتين ثم يخرج قمطرة فينظر فيها، ثم يدعي الخصوم وكان يقدمهم الأول فالأول، فقد قيل لابن شريك، يجب ان نعلم ما في هذه الرقعة، قال : فنظر فيها ثم اخرجها الينا فاذا فيها يا شريك بن عبد الله، اذكر الصراط وحدته، يا شريك بن عبد الله اذكر الموقف بين يدي الله تعالى ثم يدعو بالخصوم) وكان يعتمد في

اصدار الاحكام شأنه في ذلك شأن جميع قضاة المسلمين، بالاعتماد على كتاب الله تعالى والسنة النبوية والاجتهاد بالأدلة الثابتة ثبوتاً قطعياً لا لبس فيها، وقد تميز عن غيره في اصدار الاحكام (كان عادلاً شديداً على اهل البدع)^(١١٠)، ولم يتقيد القاضي شريك في اصدار حكمه بمذهب معين، بل اخذ من الفقهاء ثقات امثال الثوري وشريح القاضي وفضلاً عن ذلك فهو يسأل عن الحقيقة والثوابت التي اكد عليها كتاب الله تعالى وسنة النبي صلى الله عليه وسلم في اصدار الاحكام، وقد يلجأ إلى الاجتهاد بأنواعه لإظهار الحق، والاجتهاد : هو بذل الوسع في بلوغ الغرض^(١١١)

المطلب الثاني: احكام القاضي شريك في الزواج

❖ أولاً : النكاح :

لغةً : عبارة عن الوطء، أي الجماع^(١١٢) .

والنكاح في الشرع : هو عقد التزويج، فعند إطلاق لفظه ينصرف إليه مالم يصرفه عنه دليل، والاصل انه حقيقة في العقد والوطء جميعاً^(١١٣)، لدخوله في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾^(١١٤)، والاصل في مشروعية النكاح والسنة والاجماع .

أدلة النكاح في القرآن :

قال تعالى : ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنً وَثُلَاثَ وَرُبْعَ﴾^(١١٥) . وقال تعالى : ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾^(١١٦)

أدلة النكاح في السنة : قال (صلى الله عليه وسلم) : (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فليصم فان الصوم له وجاء)^(١١٧)^(١١٨) ، وقال ابن عباس لسعيد بن جبیر : تزوج فان خير هذه الأمة أكثرها نساءً^(١١٩) .

أدلة النكاح في الإجماع :

لقد اجمع المسلمون على أن النكاح مشروع، واختلف بعض الفقهاء في وجوبه فالمشهود في المذهب الحنبلي أن ليس بواجب، إلا أن يخاف أحد على نفسه الوقوع في المحذور بتركه فيلزمه إعفاف نفسه ، وهذا قول عامة الفقهاء^(١٢٠) .

ولنا مما تقدم بما أمر الله تعالى به ورسوله وحثهما عليه، قال صلى الله عليه وسلم : (ولكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني)^(١٢١) .

مسألة الصداق : (المهر) :

حق من حقوق الزوجة على زوجها وهو من أحكام عقد الزواج واثراً من آثاره وليس المهر شرطاً لصحة العقد^(١٢٢)، ولهذا ينعقد الزواج من غير ذكره في العقد إلا أنه يلزم الزوج ولو اتفق الزوجان على غير ذلك لقوله تعالى : ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ مِثْلَهُ﴾^(١٢٣) .

مسألة : إذا تزوجت المرأة ومات عنها زوجها ولم يدخل بها ولم يفرض صداقاً لها ؟ :

في هذا الأمر تفصيل واسع عند الفقهاء حول أحكام المهر ومقداره والحالات التي تستحق فيها الزوجة المهر . ويروى عن القاضي شريك بن عبدالله عن عاصم بن عبدالله : أتى رجل من بني فزارة^(١٢٤) بأمرأة فقال أني تزوجتها بنعلين فقال لها رضيت ؟ فقالت : نعم ولم لم يعطني شيء لرضيت قال : شأنك وشأنها وقال شريك الكثير في النكاح لا تحل بنت الأخ من الرضاع أن تتكح، وقال كان لابن عمر مملوكتان اختان فوطيء أحدهن ثم أراد أن يوطأ الأخرى، فأخرج التي ووطئ من ملكه، وقال لا يجوز على مضطهد نكاح ولا بيع، وقال في قوله تعالى : ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾^(١٢٥)، قال شريك من السبايا اللاتي لهن أزواج فلا بأس بهن هن لكم حلال^(١٢٦) .

❖ ثانياً : الطلاق :

لغة : حل قيد النكاح، وهو مشروع والأصل في مشروعيته الكتاب والسنة والإجماع^(١٢٧) .

شرعا : ازالة ملك النكاح^(١٢٨)، في الحال او في المآل بلفظ مخصوص او ما يقوم مقامه^(١٢٩)

❖ **العدة :** هي ايام المرأة أي اقرائها وقد اعتدت وانقضت عدتها^(١٣٠)، وعدة المطلقة فهي بالقرء أي الحيضة والطهر وكذلك المختلعة هي عدة المطلقة ثلاث حيضات، وهو قول سفيان الثوري واهل الكوفة (والامة تطليقتان وعدتها حيضتان)^(١٣١) والدليل قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْجِعْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾^(١٣٢).

وقال القاضي شريك عن عدي بن ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (المستحاضة تدع الصلاة ايام اقرائها ثم تغتسل وتصلي والوضوء عند كل صلاة)^(١٣٣)

❖ **حكم الطلاق بالثلاث :**

قال شريك بن عبدالله عن مخول بن راشد ان نوى طلاقا في تطليقة واحدة وهو املك بالرجعة، وان لم ينو طلاقا فيمينها يكفرها^(١٣٤)، يتضح لنا ان القاضي شريك ملتزم باحكامه بما كان عليه في عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

❖ **حكم الخلع :**

الخلع بالضم، ازالة الزوجية المعنوية حقيقتا^(١٣٥)، وظاهرا ان كلا من الزوجين لباس للآخر في المعنى، فالخلع يزيل هذا اللباس المعنوي، كما قال تعالى : ﴿هَنْ لِبَاسُ لَكُمْ﴾^(١٣٦) ، وقال عليه الصلاة والسلام : (المرتعات والمتخلعات هن المنافقات)^(١٣٧) . وقال عبدالله بن عمر : عدة المختلعة عدة المطلقة وهي ثلاثة قروء ولا ترجع الى زوجها الا بنكاح جديد^(١٣٨) .

قال القاضي شريك في قوله تعالى : ﴿فَإِنْ طَبَنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنَيْئًا مَرِيئًا﴾^(١٣٩) قال : هي للأزواج^(١٤٠) أي البذل الذي تبذله الزوجة لزوجها لكي يطلقها، وقال شريك في قوله تعالى : ﴿وَلَا تُنْسِكُوا بِعَصَمِ الْكَافِرِ﴾^(١٤١)، قال اذا لحقت امرئتك بدار الحرب فلا تعتدن بها من نسائكم^(١٤٢) .

❖ ثالثاً : الفرائض المواريث :

وكلمة ميراث في اللغة مأخوذة من مادة ورث التي تدور معانيها حول حصول المتأخر على نصيب مادي او نحو ذلك^(١٤٣)، اما الميراث شرعا فالمقصود به تركة المتوفي وما يخلفه من اموال يمكن انتقالها للغير^(١٤٤) .

يقول الشوكاني : هي الانصاب المقدرة في كتاب الله تعالى (النصف ونصفه، وهو الربع ونصف نصفه وهو الثمن والثلاثان ونصفهما وهو الثلث ونصف نصفهما وهو السدس)^(١٤٥)، والاصل فيها الكتاب والسنة النبوية .

❖ ادلة المواريث في القرآن الكريم :

قال تعالى : ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ أُمَّتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ آبَاؤُهُ فَلِلَّذَّكَرِ ثُلُثُ الثَّلَاثِ إِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِلَّذَّكَرِ الشُّدُسُ مِمَّا بَعْدَ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَلَّهِ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١١ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُوْرَثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ إِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَاكَرٍ وَصِيَّةَ مَنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ۝١٢﴾^(١٤٦) ان هذه الايات واضح المعنى فيما يخص الميراث .

❖ ادلة المواريث في السنة النبوية : قال صلى الله عليه وسلم : (تعلموا القرآن والفرائض وعلّموا الناس فإنني مقبوض)^(١٤٧) .

❖ اسباب الميراث في الاسلام : القرابة والزوجية واولاء او رحم ونكاح وولاء على حد قول بعض الفقهاء^(١٤٨)، وحدث القاضي شريك بحديث ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (اذا استهل الصبي صلى عليه وورث)^(١٤٩) .

❖ موانع الارث المتفق عليها عند الفقهاء :

هي الرق والقتل واختلاف الدين بين المسلم وغير المسلم^(١٥٠) وهكذا نجد أن الميراث في الاسلام له احكامه الخاصة والمفضلة في كتب الفقه مما يجعله نظاما فريدا بين الشرائع السماوية ضمن الاحكام الثابتة في القرآن والسنة .

ذكر الشوكاني : لا يرث (ولد الملاعنة)^(١٥١) والزانية إلا من أمه وقرابتها والعكس ولا يرث المولود الا اذا استهل : أي يصرخ او يعطس، وميراث العتيق لمعتقه ويسقط بالعصبات وله الباقي بعد ذوي السهام، ويحرم بيع الولاء وهبته، ولا توارث بين اهل ملتين، ولا يرث القاتل من المقتول^(١٥٢) وجاء في مجمع الزوائد : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يرث الصبي حتى يستهل صارخا واستهلاله ان يصيح او يعطس او يبكي)^(١٥٣) قال شريك عن اسماعيل بن ابي خالد الرجل يزني بالمرأة ثم يتزوجها، قال : هما زانيان^(١٥٤) الذي نفهمه من هذا الكلام ان الزانية ليس لها حقوق الزوجية ولا الميراث .

المطلب الثالث: احكام القاضي شريك في البيوع والمعاملات

اولا : البيع :

لغة : المبادلة، وشرعا مبادلة مال بمال على سبيل التراضي^(١٥٥)، وقال بعض اصحاب احمد هو الايجاب والقبول اذا تضمن عينين للتمليك، والبيع على ضربين هما الايجاب والقبول، والبيع جائز بالكتاب والسنة والاجماع :

ادلة البيع في القرآن الكريم : قال تعالى : ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾^(١٥٦) وقال تعالى : ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾^(١٥٧) .

ادلة البيع في السنة النبوية : قال صلى الله عليه وسلم : (يأتي على الناس زمان يأكلون الربا فمن لم يأكل اصابه من غباره)^(١٥٨)، وقال صلى الله عليه وسلم : (يأتي على الناس زمان ما يبالي الرجل من أين اصاب من حلال او حرام)^(١٥٩) .

وقال : شريك عن ابي حصين عن عبدالله بن عتبة قال : اختم اليه رجلان في لؤلؤه وهي في يد احدهما فأقام كل منهما البينة فجعلها للأول^(١٦٠) ، نفهم من هذا الحديث ان

القاضي شريك يحكم في الاشياء المنقولة على اساس حيازة المنقول سند الملكية، لأنه قد حكم للاول بمعنى الذي وجدت معه اللؤلؤه، وذكر البخاري قال حدث الامام مالك عن شريك قال : ان ابي ليلى القاضي كره اخذ الدنانير عن الدراهم في القرض ولم ير في البيع بأساً^(١٦١) .

حكم البيع بالعيوب : عن حكيم بن حزام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فان صدقا وبينا بورك في بيعهما وان كذبا وكتما محق بركة بيعهما)^(١٦٢)، وذكر وكيع عن شريك بن عبدالله انه روى رواية مستنده عن القاضي شريك فقال : كان شريك يرد من الشام الشائنة ومن الشيب اذا واره^(١٦٣) .

من خلال ما رواه القاضي شريك عن القاضي شريح فان يعطي الحق بالرجوع حتى في الشيء التافه ما دام لم يبينه البائع .

حكم ضمان الشيء اذا اتلف او غصب : ذكر وكيع في اخباره : دخل شريك على الخليفة المهدي فاراد ان يعجزه فقال يا غلام اعطني عودا، قال : فجاء بالعود الذي يغني به فلما رآه المهدي استحي من شريك، ثم قال : هذا اخذه صاحب العس البارحة فاحببت ان يكون كسر به حضرتك، ثم قال : يا ابا عبدالله، ما تقول فيما امر بأمر فخالف الى غيره، فتلف الشيء ؟ قال : يضمن، قال : يا غلام اضمن ثمن العود^(١٦٤) .

حكم الوديعة : اجمع علماء كل عصر على جواز الايداع والاستيداع، والعبرة من ذلك لان الناس بحاجة اليها، وقالوا ليس على المودع ضمان اذا لم يتعد^(١٦٥)، والوديعة امانه فاذا تلفت بغير تفريط من المودع فليس عليه ضمان سواء ذهب معها شيء من مال المودع ام لم يذهب وهذا قول اكثر اهل العلم، قال : شريك بن عبدالله عن اشعث عن ابن سيرين عن شريح قال : ليس على المستودع غير المغل ضمان^(١٦٦)، أي الخائن، والظاهر من هذا الكلام ان الوديعة اذا ذهبت من المستودع بتعد او اهمال ضمن قيمتها وان لم يكن كذلك فليس عليه شيء .

حكم الهدية : ذكر وكيع في اخباره عن شريك ابن عبدالله قال : كان شريح اذا اهديه اليه شيء لم يرد الطبق الا وعليه شيء^(١٦٧)، يتضح لنا من خلال هذا الكلام ان القاضي شريك يقبل الهدية .

احكام اللقطة والضالة : قال شريك بن عبدالله عن مجاهد في اللقطة يجدها الرجل قال : يعرفها فان لم يجدها من يعرفها، ان كان محتاجا فليأكل^(١٦٨)، قال شريك عن علي (رضي الله عنه) لا يأوي الضالة إلا ظال^(١٦٩) .

حكم القسمة : عن ابراهيم بن اسماعيل بن داود، قال : ولي الخليفة المهدي شريك بن عبدالله القسمة في الكوفة وهو يومئذ قاض عليها، يقسم فأعطى العربي اثني عشر، واعطى الموالي ثمانية، واعطى من حسن اسلامه اربعة دراهم، فضج الموالي والعجم من ذلك، فجعل يسأم العجم ويسأموه ويغيضهم ويتقونه، ثم كلمه الموالي فقال لهم : رأيتم انتم ما حجتكم عليه ؟ قالوا : فضلت العرب علينا باربعة، قال : هذه اربعة اخذتها من النبط فأعطيتها العرب ولم انقصكم انتم شيئا، وكان شريك دعا عبيدة القارئ لقسم معه فقال له : هذا ظلم ولست ادخل فيه، قال لتفعلن او لأؤدبنك، وقد ذكر شريك عن الامام علي (رضي الله عنه) انه قال : يلي توزيع القسم من اهل هذا المصر رجل فغضب بين الموالي والعجب والعرب لغيرة وشدة قال : اذهب فلا حاجة لنا في مؤنتك^(١٧٠) .

الرهن : من المسائل الواردة عن القاضي شريك، ذكر وكيع في اخباره عن شريك قال : سمعت شريحا يقول ذهبت الرهان بما فيها^(١٧١)، وقال شريك : لا يكون رهنا الا مقبوضا، ثم قرأه ﴿رِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾^(١٧٢)، يقبضه الذي بيده الحق^(١٧٣) .

الاجارة : ذكر وكيع في اخباره عن شريك بن عبدالله عن شريح : في رجل استأجر دابة فجاوز بها الوقت فعيبت الدابة فضمنه الآجر الى الوقت، وضمنه الدابة فيما جاوز^(١٧٤)، وقال شريك عن عبدالكريم سألت سعيد بن جبير عن المزارعة فقال : سألت ابن عباس قال : ان افضل ما انتم صانعون استئجار الارض سنة بسنة بذهب او فضة^(١٧٥)، قال : شريك عن الاشعث قال : شهدت شريحا ضمن قصارا او صباغا^(١٧٦) .

المطلب الثالث: احكام القاضي شريك في الحدود والقصاص والتعزير :
توطئة :

لقد وضعت الشريعة الاسلامية مبادئ واسساً لصالح الفرد والمجتمع لحمايته من الفوضى، فقد شرعت في بادئ الامر العبادات التي تُطهر النفوس وتنقي الارواح

لحفظها من الوقوع في المعاصي والاثام، فقد ربت الضمير الانساني ليصبح رقيباً ومحاسباً له، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ^(١٧٧) وقال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ ^(١٧٨) فاذا لم تفلح وسائل الاصلاح والتهديب وارتكب الفرد المعصية، فهنا يأتي دور العقوبة لردعه وليس للانتقام منه وهناك حدود حددها الشارع تعالى في محكم كتابه العزيز وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهي : حد الزنى وحد القذف وحد السرقة وحد الحرابة (قطع الطريق) وحد شرب الخمر وحد البغي وحد الردة . فضلاً عن القصاص والتعزير ^(١٧٩)

اولاً - الحدود :

الحد لغة وشرعاً: وهو المنع وما يحجز بين شيئين من اختلاطهما ^(١٨٠) وفي الشرع عقوبة مقدرة من الشارع وقد تطلق على الحدود على نفس المعاصي ^(١٨١)، والحد في اصطلاح الفقهاء : عقوبة مقدرة واجبة حقا لله تعالى عليه ^(١٨٢).

(١) احكام الزنى : هو كل وطء وقع على غير نكاح ولا شبه نكاح ولا ملك يمين متفق عليه، والحدود الاسلامية في الزنى ثلاثة رجم وجلد وتغريب ^(١٨٣) قال تعالى : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(١٨٤)، اما عقوبة الزنى في السنة النبوية، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (خذوا عني خذوا عني :قد جعل الله لهن سبيلا الشيب بالثيب جلد مئة ثم رجم بالحجارة والبرك جلد مائة ثم نفي سنة) ^(١٨٥)

(٢) احكام القذف : تعريف القذف : هو اتهام المحصن بالزنا او نفي نسبة من ابيه، اما من ينفي شخصا عن امه فانه لم يرتكب جريمة القذف لأنه لم يتهم احد بالزنا ^(١٨٦)، وقد ثبت تجريم القذف وتحديد عقوبة القاذف بقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَا يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ

أَلْفَسِقُونَ ﴿١٨٧﴾، وشروط القاذف : البلوغ والعقل سواء اكان ذكرا ام انثى حرا
ام عبدا مسلما ام غير مسلما .

٣) احكام السرقة :

تعريف السرقة : هي اخذ الشيء من الغير على سبيل الخفية^(١٨٨)، ومنه
استرق السمع اذا سمع مستخفيا، والاصل في السرقة الكتاب والسنة والاجماع قال
تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ﴾^(١٨٩)، وقال صلى الله عليه وسلم (لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطع
محمد يدها)^(١٩٠)، ويشترط في السارق ان يكون مكلفا عاقلا مختارا فلا يقطع
الصبي او المجنون^(١٩١) .

٤) حكام الخمر :

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ
فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١٩٢)، وقال صلى الله عليه وسلم (كل مسكر خمر وكل خمر
حرام)^(١٩٣).

وعقوبة شارب الخمر : ما روي عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم
كان يضرب بالجريد والنعال، وجلد ابو بكر اربعين^(١٩٤)، ووقع الاجماع ايام الخليفة
عمر بن الخطاب رضي الله عنه على ان عقوبة شرب الخمر ثمانون جلدة^(١٩٥)

ثانيا - القصاص :

تعريف القصاص لغة : مأخوذ من قص الاثر وهو اتباعه، وقيل القص القصد،
يقال قصصت بينهما لأنه يجرحه بمثل جرحه ويقتله به^(١٩٦).

اما في الاصطلاح الفقهي : فهو معاقبة الجاني بمثل جنايته على أرواح الناس أو
عضو من الناس او اعضائهم^(١٩٧).

والاصل في القصاص كتاب الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَىٰ الْأَلْبَبِ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١٩٨)، وشرع (القصاص) معاقبة الجاني المتعمد بمثل جنايته المساواة
والمائلة في الجروح والديات اذا تكافأ الدمان الاحرار المسلمين او العبيد من المسلمين

او الاحرار من المعاهدين او العبيد منهم قال تعالى: ﴿وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (١٩٩)، وقال صلى الله عليه وسلم (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله، الا بإحدى ثلاث، الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة) (٢٠٠). ولا خلاف بين فقهاء الامة في تحريمه فان فعله انسان متعمد وهو فسق وامره إلى الله تعالى ان شاء عذبه وان شاء غفر له وتوبته مقبولة في قول اكثر اهل العلم .

ثالثاً - التعزير:

تعريف التعزير لغة : من مصدر عزّر وهو الرّدع والمنع ومنه قوله تعالى (وتعزروه) أي تدفعوا عنه وتمنعوه (٢٠١)، وفي الشرع تأديب على ذنب لا حد فيه ولا كفاره وهو مخالف للحدود وللقصاص (٢٠٢)، وقد عزّر القاضي شريك بالقول والتأنيب والضرب والحبس والغرامة حسب ما تقتضيه حال ومصلحة الجاني (٢٠٣) ومن خلال ما سبق تبين ان منهج القاضي شريك في القضاء هو منهج قضاة المسلمين الذين اعتمدوا في حكمهم على كتاب الله تعالى والسنة والاجماع فضلاً عن تميزه بجانب التقى والورع والذكاء والفراصة وصرامته في الحكم فيما يعرض عليه .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على افضل المسلمين وعلى اله وصحبه اجمعين،

وبعد: نختم بحثنا هذا بذكر اهم النتائج التي توصلنا اليها:

١- ان الحياة السياسية في عصر القاضي شريك بن عبد الله، كانت مليئة بالفتن وانقسام المسلمين وتقاتلهم على السلطة، وأدخل الامويين فكرة الوراثة في الحكم ايام السفينيين، وقد تمكن المروانيون اشاعة الاستقرار واعادة تنظيم الدولة ايام عبد الملك كما دفعوا بالموجة الثانية للفتوحات ايام الوليد وسليمان فبلغت حدود اراضي الخلافة إلى اواسط اسيا شرقا والاندلس غربا، لكن مشكلة الخلافة على العرش بقيت قائمة تمثلت بالصراع بين فكرة الوراثة والمفاهيم الاسلامية، وشهدت فترة الخلافة الاموية ظهور قوة المفاهيم العصبية و القبلية، وبعد انتقال السلطة إلى الاسرة العباسية، اثر دعوة قامت باسم المبادئ الاسلامية وشعار اندحار العصبية القبلية والحرص على المبادئ الاسلامية في الحياة العامة والمساواة ورفض التمييز واكدوا على مبدأ الوراثة والعودة إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم واتبعهما في الحكم واحداثوا مجلس للنظر في المظالم ولذلك حاولوا ان يوجدوا مؤسسة اسلامية بأحداث منصب قاضي القضاة

٢- ان بداية نشأة القاضي شريك بنهر صرصر عند ابن عم له، وقد اختار الكوفة فكتب فيها العلم والحديث ثم طلب الفقه وتربى على ايدي مشايخ من اهل العلم حتى برع في العلم وكثر تلاميذه الذين نهلوا العلم منه وشهد له معاصروه بمكانته ومنزلته العلمية

٣- وكما اسلفنا ان منهجه في القضاء هو منهج قضاة المسلمين الذي اعتمدوا في حكمهم على كتاب الله تعالى والسنة النبوية والاجماع فضلا عن اجتهاده وفراسته وصرامته في الحكم فيما يعرض عليه

٤- يبدو لنا ان شخصية القاضي شريك بن عبد الله هي شخصية متميزة وتحتاج إلى كثير من المعلومات لكي تتضح الصورة عنها وتتكشف الجوانب الخفية منها ولعله في المستقبل ومن خلال تراثنا الاسلامي المنتشر في ارجاء العالم والمبعثر هنا وهناك ان نجد من المخطوطات بما فيها من المعلومات القيمة التي توضح لنا جوانب اخرى من هذه الشخصية ونعطيها حقها الكامل والمنصف وخاصة جهوده القضائية التي احتلت موقعا متميزا في ساحة القضاء والذي لا يمكن ان نتجاوزها دون الامعان بها والاستفادة منها

الباحث



هوامش البحث:

- (١) النساء، الآية ٦٥
- (٢) الحاكم النيسابوري، ابو عبدالله محمد بن عبدالله (٤٠٥هـ) المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، مع تعليقات الذهب في التلخيص، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١١هـ، ج٤، ص١٠٠
- (٣) شريك : بفتح اوله وكسر ثانيه لكل من يحمل هذا الاسم، انفرد ابن الحباب الحميري فذكره بالتصغير بضم اوله وفتح ثانيه وقال : شريك بن مالك بن عمرو بن مالك بن فهم بن غانم بن دوس، ابن مأكولا، علي بن هبة الله بن ابي نصر (ت٤٨٦هـ) الاكمال في رفع الارتياح عن المؤلف والمختلف في الاسماء والكنى والألقاب، دار الكتب العلمية ط١، بيروت ١١٤١هـ، ج٥، ص٣٠٤ .
- (٤) ابن الاثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم بن محمد الشيباني الجزري الملقب عز الدين (ت٦٣٠هـ) اللباب في تهذيب الانساب، مكتبة المثنى، بغداد، ج٣، ص٣٠٤، وسوف نتحدث عن القبيلة ونسبها لاحقا .
- (٥) ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت٢٠٤هـ) نسب معد واليمن الكبير، تحقيق ناجي حسن، ط١، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٨م، ج١، ص٢٦١.
- (٦) ابو عمرو، خليفه بن خياط بن شباب الليثي العصفري، (ت٢٤٠هـ) كتاب الطبقات تحقيق اكرم ضياء العمري، ط١، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٧، ص١٦٩.
- (٧) علي بن احمد بن سعيد (ت٤٥٦هـ) جمهرة انساب العرب، تحقيق عبدالسلام هارون، ط١، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م، ص٢٨١ .
- (٨) ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر (ت٦٨١هـ) وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تنقيح محمد المرعشلي، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٩٩٧م، ج١، ص٤١٠ .
- (٩) ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ج١، ص٩٠ ؛ ابن حزم ، جمهرة ، ص٤١٤ .
- (١٠) ابن الكلبي، نسب معد ، ج١، ص٧٣ ؛ ابن حزم ، جمهرة ، ص٤١٤ .
- (١١) ابن الكلبي ، نسب معد، ج١، ص٩٦ ؛ ابن حزم ، جمهرة ، ص٤١٥ .
- (١٢) ابن الكلبي ، نسب معد، ج١، ص٢٨٧ ؛ بامطرف، محمد عبدالقادر، جامع شمل المهاجرين المنتسبين الى اليمن وقبائله، دار الهمداني، ط٢، اليمن، ١٩٨٤م، ج٣، ص١٨٤ .
- (١٣) ابن حبان، محمد بن احمد التميمي (ت٣٥٤هـ)، مشاهير علماء الامصار، تحقيق فلاشهيمر، دار الكتب العلمية بيروت، بلا ت، ص١٧٠، الشيرازي ، ابو اسحاق ابراهيم بن علي بن يوسف

الفيروز ابادي (ت ٤٦٧هـ)، طبقات الفقهاء تحقيق خليل الميس، دار القلم، بيروت، بلا ت، ج ١، ص ٨٧.

(١٤) ابن خلكان، وفيات الاعيان ج ٢، ص ٢٩٦.

(١٥) النخع : بفتح النون والخاء المعجمة وبعدها عين مهملة، هذه النسبة الى النخع : وهي قبيلة كبيرة من مذحج، البلنسي، ابن عبد البر ابو جعفر احمد الاندلسي (ت ٤٨٨هـ) تذكره الاباب لأصول الانساب، تحقيق محمد مهدي الخرسان، ط ١، بيروت، ٢٠٠١ م، ص ١٣٥ ؛ ابن الاثير، اللباب في تهذيب الانساب (مادة النخعي) ج ١، ص ٣٢٩، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٢ ص ٤٦٨.

(١٦) ابن سعد، ابو عبدالله محمد بن سعد بن منيع البصري (ت ٢٣٠هـ) الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبدالله عمر الحلواني ومحمد كبير احمد شويري، دار صادر، للطباعة والنشر، ط ٣، بيروت، ج ٦، ص ٣٧٨ ؛ وكيع، محمد خلف بن حيان بن صدقة الضبي (ت ٣٠٦هـ) اخبار القضاة، عالم الكتب، بيروت، بلا ت، ج ٣، ص ١٥٠-١٥١.

(١٧) ابن حبان مشاهير ص ١٧٠ ؛ الشيرازي ، ج ١، ص ٨٧ ؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان ج ١، ص ٤١٢.

(١٨) ابن الكلبي، نسب معد، ج ١، ص ٢٩٤-٢٩٥ ؛ ابن حبان، مشاهير علماء الامصار، ص ١٧٠ ؛ الشيرازي طبقات الفقهاء، ج ١، ص ٨٧.

(١٩) ابن خياط، ابو عمرو خليفه بن خياط بن شباب الليثي العصفري، (ت ٢٤٠هـ)، الطبقات، تحقيق اكرم ضياء العمري، مطبعة العاني، ط ١، بغداد، ١٩٦٧، ص ١٦٩.

(٢٠) اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر العباس (ت ٢٩٢هـ) تاريخ اليعقوبي ،دار صادر، بيروت (د.ت) ج ٢، ص ٣٠٨ ؛ الطبري : محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) تاريخ الرسل والملوك تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار سويدان، بيروت ،ج ٧، ص ٤٢٩ وما بعدها .

(٢١) الطبري، تاريخ الطبري ، ج ٧، ص ٤٢٩ وما بعدها .

(٢٢) المصدر نفسه ، ج ٦، ص ٤١٦ و ص ٤٧٨ وما بعدها ؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، دار احياء التراث العربي، ط ٤، بيروت، ١٩٩٤ م، ج ٤، ص ٥٣٦ و ص ٥٥٦، ظهرت حادثة للخوارج سنة ٩٠هـ في البصرة فاحمدها مروان بن المهلب والي البصرة وقتل قائد الخوارج داود بن عقبة ؛ ابن القيسراني ،ابو الفضل محمد بن طاهر بن علي (ت ٥٠٧هـ)، الانساب المتفقة ،طبع بالافوسيت ليدن، ١٨٣٥ م، ص ٣٦.

(٢٣) الطبري، تاريخ، ج ٦، ص ٥٠٦ وما بعدها، مقتل قتبية .

- (٢٤) السيوطي : ابو الفضل جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر (ت ٩١١هـ) تاريخ الخلفاء تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ط١، مصر ص ١٨٩ و ١٩٠ .
- (٢٥) معروف نايف، الخوارج في العصر الاموي، ط١، مصر، ١٩٨٣ ص ١٧٢-١٧٤ .
- (٢٦) فان فلوتن، السيادة العربية والشيعية والاسرائيليات في عهد بني امية، ترجمة عن الفرنسية وعلق عليه حسن ابراهيم حسن ومحمد زكي ابراهيم، ط٢، مصر، ١٩٦٥م، ص ٧٢ .
- (٢٧) المصدر السابق، ص ١٧٤-١٧٥
- (٢٨) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص ٥٠٦ ؛ المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٧هـ، ج٣، ص ٦٢-٧٢ ؛ معروف، الخوارج، ص ١٧٦ .
- (٢٩) الطبري، تاريخ الطبري، ج٧، ص ١٣٠-١٣١ ؛ معروف، الخوارج، ص ١٧٦ .
- (٣٠) الطبري، تاريخ الطبري، ج٧، ص ١٣٠-١٣٣ ؛ ابن الاثير، الكامل، ج ٥، ص ٢١١-٢١٢ .
- (٣١) الدينوري : ابو حنيفة احمد بن داود ، (ت ٢٨٢هـ) ، الاخبار الطوال، دار الجبل، بيروت، ١٣٩٣هـ، ص ٣٤٨ ؛ الطبري، تاريخ، ج٧، ص ٢٦٢ ؛ النص، احسان، العصبية القبلية واثرها في الشعر الاموي، دار الفكر، ط٢، بيروت، ١٩٧٣، ص ٣٢٥ .
- (٣٢) الطبري، تاريخ الطبري، ج٧، ص ٢٩٨-٢٩٩ .
- (٣٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٣٣٧ / الطبري، التاريخ، ج٧، ص ٢٩٩ وما بعدها .
- (٣٤) النص احسان، العصبية القبلية واثرها في الشعر الاموي، ص ٣٢٥ .
- (٣٥) الطبري، تاريخ، ج٧، ص ٣٠٤ / النص العصبية القبلية، ص ٣٤٩ .
- (٣٦) كفر توتا : قرية كبيرة من اعمال الجزيرة الفراتية، ينسب اليها قوم من اهل العلم، الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٥٧ م مادة (كفر توتا) ج ٤، ص ٤٦٨ .
- (٣٧) الطبري، تاريخ، ج٧، ص ٣١٦ وما بعدها .
- (٣٨) المسعودي، التنبيه والاشراف، دار الفكر، بيروت، ص ٢٨٢ .
- (٣٩) المصدر نفسه، ص ٢٨٢
- (٤٠) الطبري، تاريخ، ج٧، ص ٣٤٥ وما بعدها ؛ المسعودي، التنبيه والاشراف، ص ٢٨٣، فيقول ان هذه الحادثة كانت سنة ١٢٩هـ / ابن الاثير ا، الكامل، ج ٥، ص ٣٤٩ .
- (٤١) الطبري، تاريخ الطبري، ج٧، ص ٣٤٦ و ٣٤٧ وما بعدها ؛ ابن الاثير، الكامل، ج ٥، ص ٣٥٣، يقول كان مع شيبان نحو من اربعين الف وهذا الرقم مبالغ فيه ، على ما اعتقد .
- (٤٢) الطبري، تاريخ الطبري، ج٧، ص ٣٥٠ و ٣٥١ .
- (٤٣) المصدر نفسه، ج٧، ص ٤١٧ وما بعدها ؛ النص، العصبية القبلية، ص ٣٢٩ .

- (٤٤) الطبري، تاريخ الطبري، ج٧، ص٤٢٣ وما بعدها ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٢٦ .
- (٤٥) المصدر نفسه، ج٧ ص٤٦٤ ؛ ابن العماد، ابو الفلاح عبد الحي بن احمد بن محمد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ) شذرات الذهب في اخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١ ص١٩١ .
- (٤٦) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٣٥١ ؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج٧، ص٤٧١ .
- (٤٧) الطبري، تاريخ الطبري، ج٧ ص٤٧٤ .
- (٤٨) المصدر نفسه، ج٧، ص٤٧٤ وما بعدها .
- (٤٩) المصدر نفسه، ج٧، ص٥٠٥ وما بعدها .
- (٥٠) المصدر نفسه ، ج٧ ص٥١٥ ؛ ابن العماد، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ج١، ص٢١١ .
- (٥١) المصدر نفسه، ج٧، ص٥١٧ .
- (٥٢) المصدر نفسه، ج٧، ص٥٥٢ وما بعدها .
- (٥٣) المصدر نفسه ، ج٧، ص٦٢٢ وما بعدها .
- (٥٤) مدينة ابن هبيرة : ويقال لها الهبيرية كان يزيد بن عمر بن هبيرة بنى مدينة خارج الكوفة على الفرات ونزلها وبقي منها شيئا يسيرا لم يتم بناؤه فأتاه كتاب الخليفة مروان يأمره عدم مجاورة اهل الكوفة فتركها وبنى القصر الذي يعرف بقصر ابن هبيرة بالقرب من نهر الحلة جسر سورا ولما ظهر ابو العباس واصبح خليفة نزل تلك المدينة واستبدل بناؤها واحداث بناء جديدا فسمها الهاشمية ؛ البلاذري، ابو العباس احمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ) فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ ص٤٠٣، وذكر الطبري، ان الهاشمية بناها ابو جعفر المنصور قريبا من الكوفة مقابل مدينة ابن هبيرة، ويقال بينهما عرض طريق من الكوفة، ، الطبري، تاريخ، ج٧ ص٦١٤ .
- (٥٥) الطبري، تاريخ الطبري ، ج٧ ص٦٥٠ .
- (٥٦) المصدر نفسه ، ج٨ ص٢٨ .
- (٥٧) المصدر نفسه، ج٨ ص٢٨ .
- (٥٨) البردان : موضع بالعراق عند مدينة السلام تنسب اليه الخمر وقنطرة البردان هناك معروفه، ينظر، البكري، عبدالله بن عبد العزيز الاندلسي (٤٨٧هـ)، معجم ما استعجم من الاسماء — تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، ط٣، بيروت، ١٤٠٣هـ، ج١، ص٢٢١ .
- (٥٩) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٩ وما بعدها .
- (٦٠) المصدر نفسه، ج٨، ص٣٧ .
- (٦١) المصدر نفسه، ج٨، ص٣٧ .

- (٦٢) المصدر نفسه، ج٨، ص ٤١ .
- (٦٣) المصدر نفسه، ج٨، ص٤٢-٤٣ .
- (٦٤) ابن العماد، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ج٢ ص ٢٤٠ ؛ ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ) البداية والنهاية في التاريخ، مكتبة المعارف ط٥، بيروت، ج١٠، ص ١١٥ .
- (٦٥) الطبري، تاريخ الطبري ، ج٨، ص ٥٤ وما بعدها .
- (٦٦) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٣٩٥ ؛ الطبري، تاريخ، ج٨، ص ١١٨ وما بعدها .
- (٦٧) الطبري، تاريخ الطبري ، ج٨، ص ١٢٤ .
- (٦٨) المصدر نفسه ج٨، ص ١٢٥-١٢٦ .
- (٦٩) المصدر نفسه، ج٨، ص ١٤٢، الازمة : هي ان يكون كل ديوان له زمام وله رجل يربطه والازمة : الشدة والقحط والازم يعني الحمية، ينظر، الرازي محمد بن ابي بكر بن عبد القادر (ت٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان، طبعة جديدة، بيروت، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ص ١٥ .
- (٧٠) الطبري، تاريخ الطبري ، ج٨، ص ١٦٤-١٦٥ .
- (٧١) المصدر نفسه، ج٨، ص ١٦٤-١٦٥ .
- (٧٢) المصدر نفسه، ج٨، ص ١٦٨ وما بعدها .
- (٧٣) ماسبذان : مدينة مشهورة قرب السيروان، والسيروان من قرى همدان، كثيرة الشجر والحمامات و الكباريت والاملاح وبها عين عجيبة من شرب منها قذف اخلاطا كثيرة وان احقن بمائها اصابه اسهال عظيم، الحموي، معجم البلدان ، ج٥، ص ٤١ / القزويني : ابو عبد الله زكريا بن محمد بن محمود الانصاري (ت٦٨٢هـ)، اثار البلاد واخبار العباد، دار صادر، بيروت، ص ٢٦٠ .
- (٧٤) الطبري، تاريخ الطبري، ج٨، ص ١٨٧ / ابن العماد، شذرات الذهب، ج١، ص ٢٦٦ .
- (٧٥) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٤٠٧ .
- (٧٦) الطبري، تاريخ الطبري ، ج٨، ص ٢٤٠-٢٤١ ؛ ابن العماد، شذرات الذهب ، ج١، ص ٢٨٥-٢٨٦ .
- (٧٧) الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الشافعي (ت٤٥٠هـ) الاحكام السلطانية، مطبعة البابي الحلبي، ط٢، مصر، ١٩٦٦م، ص ٩٨ ؛ الدوري: عبد العزيز الدوري، النظم الاسلامية والخلافة والضرائب والدواوين والوزارات، ص ٥٦ ؛ الدوري، التكوين التاريخي للامة العربية، دراسة في الهوية والوعي، مركز دراسات الوحدة العربية ط٣، لبنان، ١٩٧٦م،

- ص ٤٤ ؛ حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي، مكتبة النهضة العربية، ط٧، القاهرة، ١٩٦٥م، ج١، ص ٥٢٩-٥٣٠ .
- (٧٨) الذهبي، تذكرة الحفاظ عن النسخة القديمة المحفوظة في مكتب الحرم المكي تحت رعاية وزارة معارف الحكومة العالية الهندية، (د.ت) ج١، ص ٢٤٤ .
- (٧٩) ابن حبان، الثقات، دار الكتب العلمية بيروت، ١٣٧٩هـ ج ٨ ص ١٧٠ .
- (٨٠) المصدر نفسه، ج ٦، ص ٣١٦ ؛ ابن حبان مشاهير علماء الامصار ج١، ص ١٠٢ .
- (٨١) الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي (ت ٤٦٣هـ) تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٧هـ ج ٩، ص ٢١٤؛ المزي ، ابو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن (ت ٧٤٢هـ) تهذيب الكمال، تحقيق د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط١ بيروت، ١٤٠٠هـ، ج ١٢، ص ١٤٠-١٤١ .
- (٨٢) المزي، تهذيب الكمال ج ٣، ص ٢٢٥ - ٢٤٠ .
- (٨٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ٣١٢ .
- (٨٤) المزي، تهذيب الكمال ج ٣٢، ص ٥٤٠-٥٤٣ .
- (٨٥) الذهبي، الكاشف، ج ٢، ص ١٢٨ .
- (٨٦) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ٢٣٢ .
- (٨٧) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٩ ص ٢٨٤ - ٢٨٥ ؛ ابن حجر العسقلاني ، ابو الفضل احمد بن علي (ت ٨٥٢هـ)، تهذيب التهذيب ،دار صادر، عن مطبعة المعارف بالهند، حيدر اباد، ط١، بيروت ١٣٢٦هـ ج ٤، ص ٢٩٥
- (٨٨) الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، وبداخله ذيل ميزان الاعتدال للحافظ العراقي ابي الفضل زوين الدين عبد الرحيم بن الحسين (٨٠٤هـ)، تحقيق ، صدقي جمال العطار، دار الفكر، بيروت، ج ٢، ص ٢١٠ .
- (٨٩) ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب ، ج ٤، ص ٢٩٦ .
- (٩٠) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ٥ .
- (٩١) سورة النساء: ٨٦ .
- (٩٢) وكيع ،محمد بن خلف بن حيان بن صدقة الضبي(ت ٣٠٦هـ)، اخبار القضاة ،عالم الكتب، بيروت، بلا ت، ج ٣، ص ١٥٦ .
- (٩٣) الجرجاني، التعريفات، ص ٢٢٥ .
- (٩٤) سورة الشورى، من الآية ١٤ .
- (٩٥) سورة غافر، الآية ٢٠ .

- (٩٦) سورة طه، من الآية ٧٢.
- (٩٧) الجرجاني، التعريفات، ص ٢٢٦.
- (٩٨) الشربيني، شمس الدين محمد بن احمد القاهري الشافعي الخطيب، (ت ٩٩٧هـ) مغني المحتاج في معرفة الفاظ المنهاج، مطبعة الحلبي، مصر، ١٣٥٢هـ، ج ٤، ص ٣٧٢.
- (٩٩) الشربيني، مغني المحتاج، ج ٤، ص ٣٧٩.
- (١٠٠) الماوردي، الاحكام السلطانية، ص ٨٢- ٨٣.
- (١٠١) وكيع، اخبار القضاة، ج ٤، ص ٨.
- (١٠٢) الطبري، تاريخ، ج ٨، ص ٤٣.
- (١٠٣) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٢، ص ٤٦٥؛ الزركلي، خير الدين، الاعلام، قاموس الرجال والنساء من العرب والمسلمين، بيروت، بلا ت، ج ٣، ص ١٦٣.
- (١٠٤) وكيع، اخبار القضاة، ج ٣، ص ١٥٣؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٢، ص ٤٦٨.
- (١٠٥) ابن حبان، الثقات، ج ٦، ص ٤٤٤.
- (١٠٦) وكيع، اخبار القضاة، ج ٣، ص ١٧٥ و ١٧٧.
- (١٠٧) المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٧٢.
- (١٠٨) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٢، ص ٤٦٧.
- (١٠٩) تاريخ بغداد، ج ٩، ص ٢٩٣.
- (١١٠) ابن حجر، تقريب التهذيب، دار الرشيد، ط ١، سوريا، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م، ج ١، ص ٢٦٦.
- (١١١) الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف (ت ٤٣٨هـ)، الورقات، تحقيق عبد اللطيف محمد العبد، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا ت، ج ١، ص ٣١.
- (١١٢) السرخسي، ابو بكر محمد بن احمد بنم ابي سهل (ت ٤٨٣هـ)، المبسوط، دار المعرفة، ط ١، بيروت، ١٤٨٦هـ، ج ٤، ص ٤١.
- (١١٣) ابن قدامه، المغني، ج ٧، ص ٣٣٣.
- (١١٤) سورة النساء، من الآية، ٢٢.
- (١١٥) سورة النساء، من الآية، ٣.
- (١١٦) سورة النور، من الآية، ٣٢.
- (١١٧) وجاء : رض عروق البيضتين حتى تنتفخ فيكون شبيهاً بالخضاء، الرازي، مختار الصحاح، ص ٧٠٩.

- (١١٨) الدارمي، سنن الدارمي، ج٢، ص١٧٨ ؛ مسلم، صحيح مسلم ج٢، ص١٠٨ ؛ البيهقي، ابو بكر احمد ابن الحسين بن علي بن موسى، السنن الكبرى، تحقيق، محمد عبدالقادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤ هـ، ج٧، ص٧٧ ؛ ابن قدامه، المغني، ج٧، ص٣٤٤ .
- (١١٩) ابن قدامه، المغني، ج٧، ص٣٣٤ .
- (١٢٠) ابن قدامه، المغني، ج٧، ص٣٣٤ .
- (١٢١) البخاري، ابو عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم الجعفي (ت٢٥٦هـ) صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، ط٣، بيروت، ١٩٨١، ج٥، ص١٩٤٩ ؛ مسلم، صحيح مسلم، ج٢، ص١٠٢٠ .
- (١٢٢) شيخي زاده، مجمع الانهر، ج١، ص٢٨٠ .
- (١٢٣) سورة النساء، من الآية ٤ . .
- (١٢٤) فزارة هو بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان، ابن خياط، طبقات، ج١، ص٤٨ .
- (١٢٥) سورة النساء، من الآية ٢٤ .
- (١٢٦) ابن حزم ، المحلى، ج٩، ص٤٨٩ ؛ ابن قدامه ، ج٨، ص٥٦ .
- (١٢٧) ابن قدامه، المغني، ج٨، ص٢٣٤ .
- (١٢٨) الجرجاني، التعريفات، ج١، ص١٨٣ .
- (١٢٩) الزلمي، مصطفى ابراهيم، مدى سلطان الارادة في الطلاق في شريعة السماء والارض، مطبعة العاني، ط١، بغداد، ١٤٠٤هـ، ج١، ص١٧١ .
- (١٣٠) الرازي، مختار الصحاح، ٤١٦ .
- (١٣١) الترمذي، سنن الترمذي، ج٣، ص٤٩١ .
- (١٣٢) سورة البقرة، من الآية ٢٢٨ .
- (١٣٣) ابو دواد، سنن ابي داود، ، ص٢٣١ .
- (١٣٤) الهاشمي مسند ابي الجعد، ج١، ص٣٤٧ .
- (١٣٥) الجزيري، المذاهب الاربعة، مصر، بلا ت ج٤، ص١٨٥ .
- (١٣٦) سورة البقرة، من الآية ١٨٧ .
- (١٣٧) النسائي، سنن النسائي، ج٦، ص١٦٨ .
- (١٣٨) مالك، موطأ مالك، ج٢، ص٥٦٥ .
- (١٣٩) سورة النساء، من الآية ٤ .
- (١٤٠) الهاشمي، مسند ابي الجعد، ج١، ص٣٢٥ .
- (١٤١) سورة الممتحنة، من الآية ١٠ .

- (١٤٢) الهاشمي، مسند ابي الجعد، مصدر سابق ج ١، ص ٣٢٢ .
- (١٤٣) ابن منظور، لسان العرب، ج ١، ص ٤٢٤ .
- (١٤٤) الكشكي، محمد عبدالكريم، التركة وما يتعلق بها من حقوق، دار النذير للطباعة والنشر، ص ٥٧ .
- (١٤٥) ابن دقيق العبد، احكام الاحكام، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٤٠٥ هـ، ج ١، ص ١٦٤
- (١٤٦) سورة النساء، الايتان ١١ - ١٢ .
- (١٤٧) الدارمي، سنن الدارمي، ج ٤، ص ٤١٣ .
- (١٤٨) الشرازي، المهذب، ج ٢، ص ٢٥ ؛ السرخسي، المبسوط، ج ٢٩، ص ١٣٨
- (١٤٩) الزيلعي، ابو محمد عبدالله بن يوسف (ت ٨٥٢ هـ) نصب الراية، تحقيق، محمد يوسف، دار الحديث، مصر، ١٣٥٧ هـ، ص ١٧٤ .
- (١٥٠) القرطبي، اقضية الرسول الله، ج ٢، ص ٢٥ ؛ السرخسي، المبسوط، ج ٢٩، ص ١٣٨ .
- (١٥١) ولد الملاعة : الذي يلحق بأمه ويتبرأ منه الرجل، البخاري، صحيح البخاري، ج ٥، ص ٢٠٣٦ .
- (١٥٢) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، (ت ١٢٥٥ هـ)، الدرر المضيئة، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٧ هـ، ج ١، ص ٤٦٩ .
- (١٥٣) الهيثمي، مجمع الزوائد، ج ٤، ص ٤٠٨ .
- (١٥٤) الهاشمي، مسند ابي الجعد، ج ١، ص ٣٤٨ .
- (١٥٥) البخاري، الجامع الصحيح، ج ٢، ص ١٨٩ ؛ الجرجاني، التعريفات، ج ١، ص ٦٨ .
- (١٥٦) سورة البقرة، من الآية ٢٧٥ .
- (١٥٧) سورة البقرة، من الآية ٢٨٢ .
- (١٥٨) النسائي، سنن النسائي، ج ٧، ص ٢٤٣ .
- (١٥٩) المصدر نفسه، ج ٧، ص ٢٤٣ .
- (١٦٠) الهاشمي، مسند ابي الجعد، ج ١، ص ٣٣٦ .
- (١٦١) البخاري، التاريخ الكبير، تحقيق، السيد هاشم الندوي، دار الفكر، بيروت، (بلا ت)، ج ١، ص ٤٦ .
- (١٦٢) النسائي، سنن النسائي، ج ٧، ص ٢٤٤ ؛ ابن حبان، صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الارنؤط، مؤسسة الرسالة، ط ٢، بيروت، ١٤١٤ هـ، ج ١١، ص ٢٦٨ .
- (١٦٣) وكيع، اخبار القضاة، ج ٢، ص ٢٦١ .
- (١٦٤) المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٥٧ - ١٥٨ .

- (١٦٥) ابن قدامه، المغني، ج٧، ص ٢٨٠ .
- (١٦٦) وكيع، اخبار القضاة، ج٢، ص ٣٣١ .
- (١٦٧) المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٢٢ .
- (١٦٨) الهاشمي، مسند ابي الجعد، ج١، ص ٣٢٨ .
- (١٦٩) المصدر نفسه، ج١، ص ٣١٧ .
- (١٧٠) وكيع، اخبار القضاة، ج٣، ص ١٥٨ .
- (١٧١) المصدر نفسه، ج٣، ص ٣٨٣ .
- (١٧٢) سورة البقرة، من الآية ٢٨٣ .
- (١٧٣) الهاشمي، مسند ابي الجعد، ج١، ص ٣٢١ .
- (١٧٤) وكيع، اخبار القضاة، ج٢، ص ٣١٤ .
- (١٧٥) الهاشمي، مسند ابي الجعد، ج١، ص ٣٢٩ .
- (١٧٦) المصدر نفسه، ج١، ص ٣٢٨ .
- (١٧٧) سورة الانبياء، الآية : ١٠٧ .
- (١٧٨) سورة النحل، الآية : ١٢٥ .
- (١٧٩) القرطبي، بداية المجتهد، ج١، ص ١١٩٤ .
- (١٨٠) ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص ١١٦ .
- (١٨١) البخاري، الجامع الصحيح، ج٦، ص ٢٤٨٦ ؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص ٣٣١ .
- (١٨٢) ابن قدامة، المغني ، ج٥، ص ٣١٨ ؛ القرطبي، شمس الدين ابو عبد الله بن محمد بن احمد بن ابي بكر الخرزجي الاندلسي (ت ٦٧١هـ) ، بداية المجتهد دار الكتاب العربية ، بيروت ، بلا ت ج٢، ص ٤٢٩ .
- (١٨٣) القرطبي، بداية المجتهد، ج١، ص ١٢٣١ .
- (١٨٤) سورة النور : الآية ٢ .
- (١٨٥) الدارمي، سنن الدارمي، ج٢، ص ٢٣٦ ؛ مسلم، صحيح مسلم، ج٣، ص ١٣١٦ .
- (١٨٦) ابن الهمام، فتح القدير، ج٤، ص ١٩٤ .
- (١٨٧) سورة النور، الآية : ٤ .
- (١٨٨) ابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص ١٥٦ ؛ ابن الهمام، فتح القدير، ج٤، ص ٢١٨ .
- (١٨٩) سورة المائدة، الآية : ٣٨ .
- (١٩٠) البخاري، الجامع الصحيح، ج٦، ص ٢٤٩١ .
- (١٩١) الشيرازي، المهذب، ج٢، ص ٢٧٧ .

- (١٩٢) سورة المائدة، الآية : ٩٠ .
 (١٩٣) مسلم، صحيح مسلم، ج٣، ١٥٨٥ .
 (١٩٤) البخاري، الجامع الصحيح، ج٦، ص ٢٤٩١ .
 (١٩٥) ابن الهمام، فتح القدير، ج٤، ص ١٨٥ .
 (١٩٦) ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص ٧٥ .
 (١٩٧) الشيرازي، المذهب، ج٢، ص ١٧٢ ؛ القرطبي، الجامع لاحكام القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت، ج٢، ص ٣٤٥ .
 (١٩٨) سورة البقرة، الآية ١٧٩ .
 (١٩٩) سورة المائدة، الآية ٤٥ .
 (٢٠٠) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج١، ص ١٧١ .
 (٢٠١) الجزري، الفقه على المذاهب الاربعة، ج٥، ص ١٨١ .
 (٢٠٢) المصدر نفسه، ج٥، ص ١٨١ ،
 (٢٠٣) المصدر نفسه، ج٥، ص ١٨١ .

قائمة المصادر

❖ القرآن الكريم

- ابن الاثير، ابو الحسن على بن ابي الكرم بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ) .
 ١. اللباب في تهذيب الانساب، مكتبة المثنى، بغداد .
 ٢. الكامل في التاريخ، دار احياء التراث العربي، ط٤، بيروت، ١٩٩٤م .
- البخاري، ابو عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم الجعفي (ت ٢٥٦هـ) .
 ٣. الجامع الصحيح المختصر، تحقيق د، مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ط٣، بيروت، ١٤٠٧هـ .
 ٤. التاريخ الكبير، تحقيق، السيد هاشم الندوي، دار الفكر، بيروت، (بلا ت) .
- البغوي، ابو محمد الحسين بن مسعود بن محمد (ت ٥١٠هـ) .
 ٥. تفسير البغوي، دار الكتب العلمية، بيروت، (بلا ت) .
- البكري، عبدالله بن عبدالعزيز الاندلسي (٤٨٧هـ) .
 ٦. معجم ما استعجم من الاسماء، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، ط٣، بيروت، ١٤٠٣هـ .
- البلاذري، ابو العباس احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ) .
 ٧. فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ .
- البيهقي، ابو بكر احمد بن الحسين بن علي بن موسى،
 ٨. السنن الكبرى، تحقيق، محمد عبدالقادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ .

- الترمذي، ابو عيسى محمد بن عيسى السلمي، (ت ٢٧٩هـ) .
- ٩. سنن الترمذي، تحقيق، احمد محمد شاكر واخرون، دار احياء التراث العربي، بيروت (بلا ت) .
- الجرجاني، الشريف علي بن محمد السيد الجرجاني (ت ٨١٦هـ) .
- ١٠. التعريفات، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٥٧هـ .
- الجزيري، عبدالرحمن، (ت ٤١٨هـ) ، مصر ، (بلا ت)
- ١١. الفقه على المذاهب الاربعة، المكتبة التجارية الكبرى القاهرة .
- الجويني، عبدالملك بن عبدالله بن يوسف (ت ٤٣٨هـ)
- ١٢. الورقات، تحقيق عبداللطيف محمد العبد، دار الكتب العلمية، بيروت (بلا ت)
- الحاكم النيسابوري، ابو عبدالله محمد بن عبدالله (ت ٤٠٥هـ)
- ١٣. المستدرک على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت ١٤١١هـ
- ابن حبان، محمد بن احمد التميمي (ت ٣٥٤هـ)
- ١٤. مشاهير علماء الامصار، تحقيق فلاشيمير، دار الكتب العلمية، بيروت
- ١٥. النقات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٧٩هـ
- ابن حجر العسقلاني، ابو الفضل احمد بن علي (ت ٨٥٢هـ)
- ١٦. تهذيب التهذيب، دار صادر، عن مطبعة المعارف بالعند حيدر آباد ، ط ١، بيروت، ١٣٢٦هـ .
- ١٧. تقريب التهذيب، دار الرشيد ط ١، سوريا، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦ م .
- ابن حزم الظاهري، علي بن احمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ)
- ١٨. جمهرة انساب العرب، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٨٧م
- الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الرومي (ت ٦٢٦هـ)
- ١٩. معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٥٧م
- الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي (ت ٤٦٣هـ)
- ٢٠. تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ
- ابن خلکان، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر (ت ٦٨١هـ)
- ٢١. وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق محمد المرعشلي، دار صادر، بيروت (بلا ت)
- ابن خياط، ابو عمرو خليفة بن خياط بن شباب الليثي العصفري (ت ٢٤٠هـ)
- ٢٢. الطبقات، تحقيق، اكرم ضياء العمري، مطبعة العاني، ط ١، بغداد، ١٩٦٧م
- ابن دقيق العبد، تقي الدين ابي الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع (ت ٧٠٢هـ)
- ٢٣. احكام الاحكام، دار الكتب العلمية، بيروت (بلا ت) .

- الدارمي، ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن (ت ٢٥٥هـ)
- ٢٤. سنن الدارمي، طبع بعناية محمد احمد رحمن، مطبعة الاعتدال، دمشق، ١٣٤٩هـ .
- الدينوري، ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)
- ٢٥. الاخبار الطوال، دار الجبل، بيروت، ١٣٩٣هـ
- الذهبي، ابو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان بن قايمار (ت ٧٤٨هـ)
- ٢٦. الكاشف في معرفة من له رواية في كتب السنة، تحقيق محمد عوامة، دار القبلة للثقافة الاسلامية، مؤسسة علو ط ١، جدة، ١٤١٣هـ
- ٢٧. تذكرة الحفاظ، عن نسخة القديمة المحفوظة في مكتبة الحرم المكي تحت رعاية وزارة معارف الحكومة العالية الهندية (بلا ت)
- ٢٨. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، وبداخله ميزان الاعتدال للحافظ العراقي ابي الفضل زين الدين عبدالرحيم بن الحسين (ت ٨٠٤هـ) تحقيق صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت (بلا ت)
- الرازي، محمد بن ابي بكر بن عبدالقادر (ت ٧٢١هـ)
- ٢٩. مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، طبعة جديدة، بيروت، ١٤١٥هـ
- الزيلعي، ابو محمد عبدالله بن يوسف (ت ٨٥٢هـ).
- ٣٠. نصب الراية، تحقيق، محمد يوسف، دار الحديث، مصر، ١٣٥٧هـ
- السرخسي، ابو بكر محمد بن احمد بن ابي سهل، (ت ٤٨٣هـ) .
- ٣١. المبسوط، دار المعرفة، ط ١، بيروت، ١٤٨٦هـ
- ابن سعد، ابو عبدالله محمد بن سعد بن منيع البصري (ت ٢٣٠هـ)
- ٣٢. طبقات الكبرى ، تحقيق محمد عبدالله عمر الحلواني ومحمد كبير احمد شودري، دار صادر للطباعة والنشر، ط ٢، بيروت، (بلا ت)
- السيوطي، ابو الفضل جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر (ت ٩١١هـ)
- ٣٣. تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة، ط ١، مصر، (بلا ت)
- الشربيني، شمس الدين محمد بن احمد القاهري الشافعي الخطيب (ت ٩٧٧هـ)
- ٣٤. مغني المحتاج الى معرفة معاني الفاظ المنهاج، مطبعة الحلبي، مصر، ١٣٥٢هـ
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٥هـ) .
- ٣٥. الدرر المضيئة دار الجبل، بيروت، ١٤٠٧هـ
- شيخي زاده، عبدالرحمن بن محمد بن سليمان، المدعو شيخي زاده (ت ١٠٨٧هـ)
- ٣٦. مجمع الانهر شرح ملتقى الابحر، المطبعة العامرة، تركيا، ١٣١٠هـ
- الشيرازي، ابو اسحاق ابراهيم بن علي بن يوسف الفيروز ابادي (ت ٤٧٦هـ)

٣٧. طبقات الفقهاء، تحقيق خليل الميس، دار القلم، بيروت، (بلا ت)
٣٨. المذهب، مطبعة الحلبي، ط٢، مصر، ١٩٥٩م
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد (ت٣١٠هـ)
٣٩. تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سيودان، بيروت ١٩٩٥م
- ابن عبد البر، أبو جعفر أحمد بن عبد البر الاندلسي (ت٤٨٨هـ)
٤٠. تذكرة الالباب لاصول الانساب، تحقيق محمد مهدي الخراسان، ط١، بيروت، ٢٠٠١م، ص١٣٥.
- ابن العماد، أبو الفلاح عبدالحی بن أحمد بن محمد الحنبلي (١٠٨٩هـ)
٤١. شذرات الذهب في اخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، (بلا ت)
- ابن قدامه، أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد (ت٦٢٠هـ)
٤٢. المغني، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ
- القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله بن محمد بن أحمد بن أبي بكر الخرجي الاندلسي (ت٦٧١هـ) .
٤٣. بداية المجتهد، دار الكتاب العربي، بيروت، (بلا ت).
٤٤. الجامع لاحكام القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت، (بلا ت).
- القزويني، أبو عبد الله زكريا بن محمد بن محمود الانصاري (ت٦٨٢هـ)
٤٥. اثار البلاد واخبار العباد، دار صادر، بيروت، بلا
- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله (ت٨٢١هـ)
٤٦. نهاية الارب في معرفة انساب العرب، تحقيق ابراهيم الابياري، القاهرة، ١٩٥٩م
- ابن القيسراني، أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي (ت٥٠٧هـ)
٤٧. الانساب المتفقة، طبع بالالوفسيت، ليدن، ١٨٣٥م
- ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ)
٤٨. البداية والنهاية في التاريخ، مكتبة المعارف، ط٥، بيروت، (بلا ت).
- ابن الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد السائب (ت٢٠٤هـ)
٤٩. نسب معد واليمن الكبير، تحقيق، ناجي حسن، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٨م
- ابن ماكولا، علي بن هبة الله بن أبي نصر (ت٤٨٦هـ)
٥٠. الاكمال في رفع الارتياب عن المؤلف والمختلف في الاسماء والكنى والالقب، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١١٤١هـ .
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الشافعي، (ت٤٥٠هـ)
٥١. ادب القاضي، الارشاد، نشر وزارة الاوقاف العراقية، بغداد، (بلا ت)
٥٢. الاحكام السلطانية، مطبعة البابي الحلبي، ط٢، مصر، ١٩٦٦م

- المزي، ابو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن (ت ٧٤٢هـ) ٥٣. تهذيب الكمال، تحقيق، بشار عواد، مؤسسة الرسالة، ط ١، بيروت، ١٤٠٠هـ.
- المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين، (ت ٣٤٦هـ) ٥٤. مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٧هـ .
- ٥٥. التنبيه والاشراف، درا الفكر، بيروت، (بلا ت).
- مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ) ٥٦. صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي، بيروت، (بلا ت).
- ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري، (ت ٧١١هـ) ٥٧. لسان العرب، دار صادر، ط ١، بيروت، (بلا ت).
- النسائي، ابو عبدالرحمن احمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ) . ٥٨. سنن النسائي، المجتبى، تحقيق عبدالفتاح ابو غدة، مكتبة المطبوعات الاسلامية، ط ٢، حلب، ١٤٠٦هـ
- الهاشمي، ابو الحسن علي بن الجعد بن عبيد (ت ٢٠٣هـ) ٥٩. مسند ابي الجعد، تحقيق عامر احمد حيدر، مؤسسة نادر، ط ١، بيروت، ١٩٩٠م
- ابن الهمام، كمال الدين محمد عبد الواحد (ت ٨٦١هـ) ٦٠. شرح فتح القدير، دار الفكر، ط ٢، بيروت، (بلا ت)
- الهيثمي، نور الدين ابو الحسن علي بن ابي بكر بن سليمان (ت ٨٠٧هـ) ٦١. مجمع الزوائد، دار ابن الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٧هـ
- وكيع، محمد بن خلف بن حيان بن صدقة الضبي، (ت ٣٠٦هـ) ٦٢. اخبار القضاة، عالم الكتب، بيروت، (بلا ت)
- اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر العباس، (ت ٢٩٢هـ) ٦٣. تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، (بلا ت)

قائمة المراجع

- بامطرف، محمد عبد القادر
- ١. جامع شمل المهاجرين المنتسبين الى اليمن وقبائله، دار الهمداني، ط ٢، اليمن، ١٩٨٤ .
- حسن ابراهيم حسن
- ٢. تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي، مكتبة النهضة العربية، ط ٧، القاهرة، ١٩٦٥م
- الدوري، عبد العزيز

٣. النظم الاسلامية والخلافة والضرائب والدواوين والوزارات
٤. التكوين التاريخي للامة العربية، دراسة في الهوية والوعي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٣، لبنان، ١٩٧٦م .
- الزركلي، خير الدين .
٥. الاعلام، قاموس الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، بيروت، بلا ت
- الزلمي، مصطفى ابراهيم .
٦. مدى سلطان الارادة في الطلاق في شريعة السماء والارض، مطبعة العاني، ط١، بغداد، ١٤٠٤هـ
- فان فولتن
٧. السيادة العربية والشيعية والاسرائيليات في عهد بني امية، ترجمه عن الفرنسية وعلق عليه حسن ابراهيم حسن ومحمد زكي ابراهيم، ط٢، مصر، ١٩٦٥م
- الكشكي، محمد عبد الكريم
٨. التركة وما يتعلق بها من الحقوق، دار النذير للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٨ .
- معروف نايف .
٩. الخوارج في العصر الاموي، ط١، مصر، ١٩٨٣ .
- النص، احسان
١٠. العصبية القبلية واثرها في الشعر الاموي، دار الفكر، ط٢، بيروت، ١٩٣٧م

المعارضة في المملكة العربية السعودية

١٩٥٣ - ١٩٧٥

د. سهيل صبحي سلمان & الباحثة أسيل هشام محمد

الجامعة المستنصرية / كلية التربية الأساسية

ملخص البحث

يعد إختيار موضوع البحث المعنون " المعارضة في المملكة العربية السعودية ١٩٥٣-١٩٧٥ " وهي المدة التي أعقبت وفاة الملك عبد العزيز آل سعود وتولى العرش من بعده أبنة سعود ثم جاء من بعده أخيه الملك فيصل عام ١٩٦٤ حتى عام ١٩٧٥ وهي المدة التي كانت مليئة بالأحداث وخلالها تصاعد نشاط المعارضة للنظام السعودي الذي تصدى لها بقسوة، واحاط أحداثها بالسرية والتعتيم، وذلك للحيلولة دون ذيوها وانتشارها .

لذا فإن للبحث مبرراته الموضوعية التي تهدف إلى معرفة الدلالات الحقيقية لأهداف المعارضة ودور النظام في التصدي لها ولأهدافها الوطنية والقومية .

يتبين من خلال البحث إن المطالب بالمشاركة سواء أكانت من الجماهير أو من النخب الاجتماعية أم من بعض المعارضين من أفراد الأسرة الحاكمة نفسها، لم تجد استجابة تذكر وإلى أن بدأت الطفرة النفطية في السبعينات تراجعت تلك المطالب تدريجياً، وفي ظل تلك تبلورت أفكار وتطلعات ثورية عبرت عنها الجمعيات والمنظمات والاحزاب، وأفصحت عن سخطها وعدم رضا عن سياسة النظام بأشكال شتى من الاحتجاج الاجتماعي والسياسي وصلت إلى حد استخدام العنف .

لذا فإن فهم طبيعة النظام السعودي تبرز الدلالات الحقيقية للأحداث السياسية أو التمردات وحركات المعارضة التي لم تتل حظاً من الذبوع وجميعها تعكس بوضوح معضلة حقيقية واجهت النظام السعودي، ففي حين يتطور المجتمع سلوكياً وفكرياً وقف النظام السياسي عاجزاً عن مسايرة هذه التطورات بما حملته من نتائج ومضامين .

Abstract

The choice of research topic entitled "The opposition in Saudi Arabia, 1953-1975," a term that followed the death of King Abdul Aziz Al Saud, and took the throne of his son Saud then came after him, his brother King Faisal in 1964 until 1975, a period which was full of events during which mounting opposition to the Saudi regime, which addressed her harshly Activity, and the events surrounding the secrecy and obfuscation, and in order to prevent Veuahha and spread.

So the search for objective justification, which aims to find out the real implications of the goals of the opposition and the role of the system in addressing its national and pan and objectives.

Seen through research that demands participation, whether from the public or from social elites or from some opponents of the ruling family itself members, been to no avail remember that the oil boom began in the seventies dropped those demands gradually, and in light of that crystallized the ideas and aspirations of the revolutionary expressed associations, organizations and parties, and disclosed its indignation and dissatisfaction with the regime's policy for various forms of social and political protest, to the extent of the use of violence. Therefore, understanding the nature of the Saudi regime highlights the real implications of political events or rebellions and opposition movements which have not been fortunate publicity, all of which clearly reflect the real dilemma faced the Saudi regime, while behaviorally and intellectually society develops stop the political system unable to keep pace with these developments including the campaign of the results and implications.

مُقَدِّمَةٌ

يعد إختيار موضوع البحث المعنون " المعارضة في المملكة العربية السعودية ١٩٥٣-١٩٧٥ " وهي المدة التي أعقبت وفاة الملك عبد العزيز آل سعود وتولى العرش من بعده أبنه سعود ثم جاء من بعده أخيه الملك فيصل عام ١٩٦٤ حتى عام ١٩٧٥ وهي المدة التي كانت مليئة بالأحداث وخلالها تصاعد نشاط المعارضة للنظام السعودي الذي تصدى لها بقسوة، واحاط أحداثها بالسرية والتعتيم، وذلك للحيلولة دون ذيوها وانتشارها .

لذا فإن للبحث مبرراته الموضوعية التي تهدف إلى معرفة الدلالات الحقيقية لأهداف المعارضة ودور النظام في التصدي لها ولأهدافها الوطنية والقومية . وقد تضمن البحث تمهيد موجز بين الأسس التي أستند عليها النظام السعودي، وأهم العوامل التي أدت إلى تبلور الوعي السياسي للمعارضة . وحفل البحث أيضاً لمعرفة المعارضة السرية والعننية والسبل التي أتبعها للتعبير عن آرائها ومطالبها كالدوريات والكتب، والروابط الطلابية ولجان الدفاع عن المعتقلين، والنضال العمالي وتنظيمات المعارضة السرية كالأحزاب واللجان وواجهاتها الاجتماعية فضلاً على ذلك المعارضة في القوات المسلحة، وتضمن البحث حادث اغتيال الملك فيصل بن عبد العزيز عام ١٩٧٥ .

وقد وثق البحث بمصادر أصلية وفقاً للمنهجية العلمية في البحث التاريخي، إذ أعتمد على الوثائق المنشورة وغير المنشورة في دار الكتب والوثائق في بغداد، ولاسيما ملفات وزارة الخارجية . وأغنت البحث مجموعة من الكتب العربية والمعرية والدوريات العراقية والسعودية والعربية . وأخيراً لابد من القول بأن التصدي لموضوع المعارضة السعودية يتطلب جهوداً كبيرة من معرفة جانب مهم من الحقائق التي كانت في طي الكتمان، نسأل الله التوفيق والسداد .

تمهيد

لا شك ان وجود معارضة وطنية في أي دولة يعد حالة صحية، لأنه يعبر عن حرية الرأي وإرادة المجتمع في تحقيق ما يصبوا إليه، وحتى يكون رقيباً على السلطات الحكومية، ولكن في حالة وجود نظام ملكي وراثي يعتمد نظرية الحق الإلهي، في القرن العشرين الذي شهد تطورات كبيرة في طبيعة الانظمة الدستورية والديمقراطية، فإن نظرية الحق الإلهي ستؤدي إلى تقييد الحريات على الرغم من الاجراءات والهيئات التي شكلت للحد من قيود تلك النظرية، ويؤكد ذلك الملك عبد العزيز آل سعود (١٩٣٢-١٩٥٣) إذ يقول "إننا حققنا بحد السيف وبايماننا بحقنا في بلادنا وبلاد أجدادنا" ^(١)، ومن أجل الحفاظ على ما تحقق لنجد والحجاز من قبل العائلة السعودية، فإن العائلة كانت ترى بأن لها الحق في القصاص من أي شخص يتجاوز على المملكة، لذا فقد اتخذ النظام من شعار تطبيق أحكام القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة سنداً لمنع من يعارض ذلك لذا فإن "كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم دستوراً" ^(٢)، ومن أجل ذلك تم تشريع قانون عدّ فيه أي شخص يتعرض للنظام سيتعرض للعقاب ^(٣)، وللحيلولة دون تسرب الأفكار التي تتعارض مع هذا التوجه ثم فرض رقابة مشددة لمنع تسرب الأفكار المعارضة للدين ولسياسة النظام أثناء مواسم الحج، حيث تنشط أجهزة الأمن والمخابرات بإشراف مباشر من قبل أمراء العائلة السعودية ^(٤).

ولكن تلك الاجراءات لم تمنع تكون وعي سياسي نتيجة تفاعل المجتمع السعودي مع التطورات السياسية والفكرية على الصعيد العربي والاقليمي والدولي سواء من قبل الحجاج والتجار أو الشركات والعمالة الوافدة التي ازداد تأثيرها بعد اكتشاف النفط وازداد انتاجه وتصديره وأثره على تطور التعليم والصحة والمواصلات وعلى تحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ^(٥).

إن ازدياد الانتاج النفطي في السعودية، و دخول شركات النفط الامريكية و من أهمها شركة أرامكو (Saudi Aramco – Saudi Arabian American Oil Co) وخبرائها فضلاً عن دخول الخبراء في الاقتصاد انتقلت معهم أفكارهم وحاولوا تغيير

الأوضاع في السعودية منطلقين من فكرة نقل المدنية والتحضّر إليها، وهذا سيؤدي بالتالي إلى تعزيز مصالح شركاتهم ودولتهم الأم بعد أن هيا النفط امكانيات ضخمة من الموارد، مما ساعد على تنفيذ الكثير من المشاريع .

وأتاح كذلك استغلال النفط، استخدام عمال سعوديين وعرب وأجانب إذ تمّ تعليمهم فنون الصناعة الحديثة والتكيف لمتطلباتها بل تعدى ذلك إلى اقتباس كل أساليب المعيشة ونمط التمدن^(٦) .

وقد أدى استغلال النفط إلى إرسال الطلاب السعوديين^(٧)، إلى حقول المعرفة المختلفة من العلوم وهندسة وطب وإنسانيات، وتزودوا بها من البلدان التي درسوا فيها سواء في الجامعات العربية أو الجامعات الغربية مثل جامعة هارفرد واكسفورد والسوربون^(٨) والاستفادة من هذه العلوم بعد عودتهم إلى السعودية .

وقد اقترنت عودتهم إلى البلاد، برغبة حكامهم وبعض أفراد الأسرة السعودية بمواكبة الزمن والقيام بعملية التحديث في البلاد^(٩)، وقد عرف الكثير الأمراء أهمية هذه العلوم في تطور الاقتصاد، ومن هؤلاء الأمراء نواف بن عبد العزيز^(١٠) الذي عدّ أحد المنشقين عن الأسرة السعودية والذي كان يرى أنه يجب على أسرته أن ترفع مثل تلك المشاريع التي قد تجعل موقفها أكثر ائناً في المستقبل، وأنها ستحسن صورة السعودية في أذهان المراقبين الأجانب لدى الاقطار العربية وتحول البنية الاقتصادية بصورة تدريجية إلى التطور، يكون إشارة للتقدم والرقى .

وكان غالبية أفراد الأسرة السعودية يحبذون عملية التحديث بسبب حاجات الاقتصاد المتنامي الذي كان يحتاج إلى تجديد وإعادة تنظيم الجهاز الإداري، ولكن وجهة نظرهم اختلفت عن الأمير نواف بن عبد العزيز، إذ كانوا يريدون السير بعملية التحديث بشيء من الحذر، وبما يتوافق مع السلوك الديني للمجتمع^(١١) . ان هذا التغير جعل الأسرة السعودية تفتتح على الأشخاص الذين أنخوا دراساتهم في الجامعات المتقدمة للإفادة منهم في عملية التغيير والتحديث عن طريق توظيفهم في مؤسسات الدولة، مما فصح المجال لظهور موظفين راغبين في نقل افكار جديدة إلى مناهج الدراسة، ولاسيما الأفكار القومية والدعوة إلى الوحدة العربية، التي أخذت طريقها

داخل السعودية والخليج العربي، والتي تصاعدت بعد ثورة مصر في ٢٣ تموز ١٩٥٢ ثم تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦، ولاسيما في اوساط الشباب المتعلمين الذين درسوا في القاهرة وببيروت وبغداد ودمشق^(١٢) .

وقد ازداد تعمق وعيهم السياسي و محاولاتهم تطبيقها إلا أنهم لم يجدوا مراكز وظيفية جديدة تتناسب مع مؤهلاتهم، إذ لم يكن أمامهم سوى اختيارهم وقبولهم وظائف ثانوية في مجال الخدمة المدنية، ثم أنهم وجدوا الأفكار والأهداف التي يؤمنون بها تتعارض مع الحكم السعودي المحافظ وإسراف الأسرة الحاكمة على اللذات والحاجات الكمالية والهامشية، وسوء تنظيمات بلادهم وسياستها العامة التي تتنافى مع مفهوم الدولة العصرية وتكافؤ الفرص والعدالة الاجتماعية وتحسين الأوضاع العامة^(١٣) . وبحكم ذلك قدموا مقترحاتهم لتحسين تلك الإدارة التي اصطدمت بمعارضة قوى السلطة، فأصبحوا يفكرون في كيفية مواجهة هذه الأوضاع^(١٤)، التي تسيطر عليها فئة من الموظفين الكبار من الذين حصلوا على تعليمهم في الكتاتيب ولا يريدون تغيير الوضع القائم^(١٥) . ومن العوامل المساعدة لفئة التغيير طروحات إذاعة القاهرة وبعض الاذاعات العربية التي نشرت المد الثوري والأفكار الحديثة والمعاصرة وانتقاد الأوضاع في السعودية ، حيث حولت سكان المناطق البعيدة إلى قوى مؤثرة باتجاه التطلعات القومية والاصلاحية، التي تجاوزت الحدود السياسية والعوائق وحالة العزلة التي كان يعيشها المجتمع السعودي^(١٦) . وبحكم ذلك شعر الملك سعود، أمام هذه التغييرات والتطورات والتي بإمكانها تهديد الوضع الداخلي، وفضلاً على ذلك فأن الأوضاع في المملكة تنازعت ثلاثة تيارات في عهد الملك سعود وأولها تيار الشباب الراغب بإدخال الحياة الحديثة للسعودية بسرعة، ومهما كلف الأمر، والثاني هو التيار الراعي للتطور المعتدل وهو مؤلف من بعض الشخصيات السياسية الاجتماعية ذات المكانة المرموقة وتيار ثالث محافظ يريد أن تظل البلاد في وضعها القديم من دون تبديل . وهو ما وضع الملك سعود في موقف صعب بين التيارات الثلاث^(١٧) . فالتيار الأول المطالب بالإصلاح يمكن أن يعرض الحكم السعودي إلى التصدع فنشاط السعوديين الثوار سوف لا يقتصر على المنشورات والكراسات المنددة بالحكم القائم

لصددها الواسع بين المثقفين وعمال شركة آرامكو، وإنما سيتسع نشاطها للمطالبة بإلغاء البيروقراطية والحكم الفردي ومحاربة الجهل والعوز والجوع الذي يجتاح معظم أنحاء السعودية وقيام حكم ديمقراطي يستند إلى الشعب^(١٨). وقد يزداد سقف المطالب إلى تحرير نظام الحكم من نفوذ الأمراء الذين يعدون واردات النفط ملكاً خاصاً لهم ينفقونها على شؤونهم ورغباتهم الخاصة^(١٩). فضلاً عن ذلك مطالبتها بمراقبة وتقييد استخدام الذهب والموارد المالية التي يستخدمها الملك والأمراء السعوديون في كسب عدد من الساسة في بعض الدول العربية التي تقف بالصد من تحقيق الأماني العربية في الوحدة والتقدم^(٢٠). كما أن المعارضة دعت إلى تحقيق إنجازات على غرار المشاريع الكبرى في العراق و مصر^(٢١).

ثم أن التحديث قد يؤدي إلى الحد من ملكيات أمراء آل سعود فضلاً على ذلك يتطلب اجراء اصلاحات في قوانين الملكية^(٢٢)، فقد حاول هذا التيار تسريب الثقافة الغربية بصورة تدريجية وإظهار نفسه أمام الشعب بأنها الجهة التي ستطور البلاد اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً، إضافة إلى ذلك فإن العمال الذين ذهبوا للخارج للتدريب رجع الكثير منهم بالثقافة الغربية عامة والثقافة الامريكية بصورة خاصة^(٢٣).

أما التيار المناقض للأول وله ثقله الأكبر في واقع النظام السياسي السعودي والمجتمع فهو، التيار المحافظ الذي يقوده العلماء وزعماء الوهابية وعلى رأسهم مفتي الديار السعودية الشيخ محمد بن ابراهيم، وهو الذي أفتى بتحريم التصوير ومنع دخول الصحف التي تحمل الصور إلى البلاد، وحرم تعليم المرأة السعودية وسفرها إلى الخارج ولو للعلاج، وأفتى كذلك بتحريم تلقي الطلبة السعوديين العلم في البلاد الغربية^(٢٤). وعلى ذلك كان أنحياز هذا الاتجاه ضد كل تطور حديث للحفاظ على مكانتهم التي هيأها لهم النظام المحافظ، تساندتهم في ذلك طائفة من السياسيين المحافظين المحيطين بالملك سعود، وأكثر مؤيديه من المستفيدين الذين حققوا أرباحاً خيالية باستغلال ما تتيحه لهم مناصبهم^(٢٥). واهم زعماء منهذه المجموعة الأمير عبد الله بن عبد الرحمن عم الملك سعود، والشيخ يوسف ياسين والشيخ خالد ابو الوليد

القرقني والشيخ رشدي ملحق ومجموعة من المستشارين، وهؤلاء هم الذين يعارضون الإصلاح وإرادة التعبير ويصفون المعارضين لهم بالكفار^(٢٦).

وفي خضم هذا الصراع اختار الملك سعود الطريق الوسط، ولكن رد فعل المتطرفين أرغمه في النهاية على مساندة التيار المحافظ، وذلك لعدم قدرته على الاستغناء عن قدرتهم لدعم حكمه، ولم تكن للملك قوة منظمة تستطيع مجابتهم وهذا مما جعله يرضخ لرأيهم^(٢٧). علماً أن بعض الأمراء وقفوا ضد المحافظين لرغبتهم في الإصلاحات ولكنهم لا يستطيعون أن يأتروا في سير الأمور، وهذا ما جعل الأمير طلال^(٢٨) يستقيل ويفضل مغادرة البلاد، كما جعل الأمير نايف بن عبد العزيز يستقيل من إمارة الرياض، وجعل الأمير سلطان يرغب بالاستقالة من وزارة الزراعة^(٢٩).

ولا شك أن الملك سعود كان مدعوا إلى تعديل نظام الحكم، حتى تكون الوزارة موجودة فعلاً ومؤلفة من أشخاص مسؤولين لا أمراء، وأن مصلحة الملك أن يعمل على وفق هذه التدابير منعاً لظهور حركات المعارضة التي بدأت في التزايد، وادرك الأمراء السعوديين بحتمية الصراع بين القديم والحديث، وضرورة الأخذ بالتطورات الحضارية^(٣٠).

وبدلاً من هذه الآراء أتبع الملك سعود أسلوب العنف والارهاب في محاربة منائيه، وذلك لخشيته من حدوث انقلاب ضد العائلة المالكة. وشيء طبيعي أن يلجأ معارضوا النظام إلى ابتكار أساليب مختلفة لمقاومة عنف السلطة وكانت المنشورات إحدى تلك الأساليب، وكذلك تأسيس الأحزاب السرية^(٣١).

أولاً :- المنشورات وردود فعل السلطات إزاءها .

أدى الانفتاح والاحتكاك مع العالم الخارجي، بسبب ظهور الثروة النفطية والصراعات الفكرية والسياسية في المنطقة العربية إلى خلق وعي سياسي في السعودية عبر عن نفسه بمعارضة الأوضاع القائمة . فقد أشارت التقارير إلى حدوث اضطرابات داخلية خطيرة ،بتأثير الرئيس المصري جمال عبد الناصر(١٩٥٤-١٩٧٠) الذي شجع بعض العناصر داخل السعودية على القيام بحركة باسم (السعوديين الأحرار) . وقد قام قادة الحركة بإصدار بيان اشاروا فيه إلى عزمهم على تنظيم

اصلاحات في السعودية^(٣٢) . وقد صيغت المنشورات بلهجة انتقادية للحكم القائم، وهنا يجب القول أن هذه الحركة لا تمثل حزباً منظماً متماسكاً، بل أنها مؤلفة من مجموعة من الشباب من مختلف الاتجاهات والميول^(٣٣) .

بالغ الملك سعود في تقويم أهمية الحركة بسبب الطابع الجديد لها وأوهم مستشارو الملك، أن هناك مؤامرة كبرى مما جعل السلطات الحكومية تقوم بسلسلة من الاعتقالات في جدة والظهران على نطاق واسع، واتخذت إجراءات قسرية، ومن جهة أخرى أصبحت الظهران مركزاً لنشاط الشباب المناوئ للنظام، لأنها بعيدة بعض الشيء على الرياض و جدة، والمواطنون فيها أكثر وعياً بسبب الاختلاط بالأجانب وانتشار النشاط السري فيها وكثرة العناصر المتتورة .

ولقد ربط البعض بين الحركة والرغبة في تنصيب الأمير فيصل قيادة الحياة السياسية بدلاً من سعود، لأن الفئات الأكثر وعياً من الشباب كانت تتطلع إليه بوصفه حلاً وسطاً للأزمة القائمة بسبب سلبيات النظام السعودي^(٣٤) .

اتجهت أنظار السلطات في البداية بعد ان عدت المسألة مؤامرة على النظام^(٣٥)، من بعض أنصار وزير المالية السابق الشيخ عبد الله سلمان، فأعتقل عدد منهم وهم خلف الحسيني المستشار القضائي للحكومة، والشيخ فيصل الينكوك أحد اركان جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعبد العزيز بن معمر وكيل وزير المواصلات السابق، ومدير مكتب العمل والعمال في الاحساء، وسليمان قاضي وهو بائع صحف، وسبق أن سجن لمدة ثلاثة أشهر وتبين من التحقيق أن أكثر المعتقلين أبرياء من تنظيم حركة أو مؤامرة، وإن كانوا من المناوئين للملك سعود ويطالبونه بالإصلاح، وأنهم كانوا ينتقدون بعض مسؤولي الدولة^(٣٦) .

ثانياً :- تصاعد النضال العمالي في السعودية :-

اجتذبت عملية انتاج النفط جماعات من البدو والرعاة والفلاحين والصيادين وغيرهم وحولتهم من مهنهم الأصلية إلى عمال، مما أثر في الاحوال الاجتماعية والثقافية للمجتمع السعودي، وهذه الأوضاع التقليدية التي كان يسير عليها هذا المجتمع سواء التفاعل مع المستجدات التي أحاطت بالصناعة النفطية من علوم وتكنولوجيا

وعادات ادخلها رجال الغرب، أو الأجرة العالية والرواتب الثابتة، بعد أن تنازلوا عن جزء من حريتهم وانصياعهم للأوامر والنظام، والمحافظة على الوقت^(٣٧) .

كان هذا كله من جهة، أما من جهة ثانية وكنهج سياسي ثابت للسعودية في منع الصراع الطبقي وإقامه النقابات العمالية التي تفتح الازدهان وعيون العمال على مساوئ النظام القائم، حاولت السعودية وضمن نظامها الأبوي تمثيل العمال رسمياً، فأنشئت مكتب المعادن والاشغال العامة في جدة عام ١٩٣٣م للنظر في شؤون العمل والعمال، وكان لهذا المكتب ممثل في مدينة الدمام^(٣٨) .

لم يلب هذا المكتب طموح العمال، الذين أحسوا بوجود سيطرة امريكية على بلادهم، الأمر الذي استفز شعورهم الوطني^(٣٩)، متأثرين بالحركة الوطنية العمالية في الخارج، ولاسيما في الأقطار العربية المجاورة كالعراق وسوريا ومصر، وفضلاً عن تأثرهم بالعمالة العربية الوافدة من فلسطين ولبنان وسوريا ومصر^(٤٠)، التي قدمت بسبب ندرة السعوديين من المتعلمين، الذين يتحدثون باللغة الانكليزية، إذ قام العمال الوافدون بملء الفراغ بين الأمريكان والسعوديين، وقد حمل هؤلاء العمال أفكاراً سياسية وعقائدية عصرية، مما ساهم في التأثير في السعوديين، الذي وجدوا أمامهم أمكانية العمل السياسي .

وبتأثير ذلك ناضل العمال السعوديون من أجل تحسين أوضاعهم المعيشية ومساواتهم بالعمال الاجانب، وتأسيس النقابات التي تدافع عن حقوقهم والتي لم تجد اي صدى لدى الحكومة السعودية التي أكتفت في عام ١٩٤٤ بجعل مكتب وزارة المالية في الدمام مشرفاً على شؤون العمل، مما جعل العمال يأخذون المبادرة لتحسين أوضاعهم السيئة منذ عام ١٩٤٥ إذ قام عمال آرامكو بإضراب في عام ١٩٤٥ وبزعامة العامل حسن اسماعيل^(٤١) لتحسين وضعهم واسكانهم في بيوت صالحة بدلاً من الخيام^(٤٢)، وقد قابل أمير الظهران خالد السديري هذه الاحزاب بكل قسوة عن طريق اطلاق الرصاص على العمال، واعتقال قادة الاحزاب وزجهم في سجن الرياض والاحساء، وقد التف العمال حول قادتهم واضربوا عن العمل استككاراً لعدم الاستجابة لمطالبهم العمالية، ولاسيما لتأسيس نقابة عمالية واحتجاجاً على سجن ممثليهم^(٤٣)، مما

دفع الحكومة إلى الافراج عن لجنة العمال مع ابعادهم إلى مناطق بعيدة عن حقول النفط^(٤٤). وقد أثر الاضراب على شركة آرامكو التي قامت بسلسلة من الاصلاحات تحت الحاح الحكومة كالإسراع في تنفيذ برامج الاسكان وزيادة الاجور اليومية من ٥ إلى ٦ ريالاً سعودية، وزيادة رواتب جميع المواطنين السعوديين وبناء المدارس لأبناء العمال وتقليل ساعات العمل الاسبوعية، وإنشاء لجان الاتصال لتقديم اقتراحاتهم إلى الادارة^(٤٥)، ولكن سرعان ما حنثت شركة آرامكو بوعودها، مما جعل العمال يستمرون بنضالهم، إذ قاموا بإضرابات عامي ١٩٤٦ - ١٩٤٧ إلا ان الحكومة وقفت إلى جانب شركة آرامكو^(٤٦).

وفي عام ١٩٥٣ ألف أول تنظيم نقابي باسم العمال في الظهران، وأدعت اللجنة أنها تمثل ٦٥٠٠ عامل وقدمت مطالب باسمهم^(٤٧)، ومنها تخفيض ساعات العمل وزيادة الأجور وتحسين أحوال المعيشة بتوفير شروط السكن الصحي بدلاً من الخيم والاكوخ، وقد رفضت الشركة والحكومة هذه المطالب، مما دفع العمال إلى اعلان اضرابهم في ١٧ تشرين الاول ١٩٥٣ احتجاجاً على تصرفات شركة آرامكو وموقف السلطة من مطالبهم^(٤٨).

وفي عام ١٩٥٥ أدرك العمال ان الحكم السعودي وشركة آرامكو وجهان لعملة واحدة وأنه لا يمكن أن ينالوا حقوقهم إلا بمواصلة النضال.

وقد تجمعت عوامل كثيرة حفزت الشعور الوطني وزادت من هياج العمال ونقمتهم عززتها الظروف المحيطة بالوطن العربي، وما يتعرض له من عدوان ومهددات سياسية منها ما يرتبط بقرارات خطيرة، كتقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ وإقامة الكيان الصهيوني ومساندته من الدول الاستعمارية الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية^(٤٩)، وتوقيع حلف بغداد عام ١٩٥٥ وصفقة الأسلحة المصرية السوفيتية^(٥٠).

ومن تلك العوامل ما يرفع تلك الكرامة ويولد الحماس لأمة العرب ونمو الشعور القومي، ومنها عوامل متعلقة بالوضع الداخلي في السعودية كاحتلال بريطانيا لواءة البريمي، ومراقبة الشعب لانتهااء عقد قاعدة الظهران ومحاولة الملك سعود في تجديد تلك الاتفاقية^(٥١).

وفي عام ١٩٥٦ قام العمال بتظاهرة واسعة رفعت منشورات وطنية، أكدت عدائها للاستعمار، ولم يظهر فيها أي نقد للحكومة، ومن امثال تلك الشعارات "يسقط الاستعمار الامريكي"، " نريد نقابة منتخبة " (٥٢).

وقد قمعت هذه المظاهرة بكل قوة من قبل الحكومة، اذ اعتقل عدد من العمال كما قامت بمطاردة وتشريد عدد آخر منهم العمال (٥٣).

استرعى نضال العمال السعوديين واضطهادهم من السلطة اهتماماً من حركة اتحاد العمال العرب الذي تأسس في ٢٤ آذار ١٩٥٦، كنوع من التضامن العربي (٥٤). ولكن تجدد اضرابات العمال السعوديين في عام ١٩٥٨ (٥٥)، دفع اتحاد العمال العرب إلى قسمين علاقاته المتذبذبة وحسم موقفه بمساندة عمال السعودية، أما المملكة فقد حاولت من جانبها كسب العمال واقناعهم ان لا جهة يمكن أن تدافع عن حقوقهم سوى الدولة، وقد جاء هذا التطور نتيجة تضرر العمال المستمر وتزايد النشاط الصناعي والتجاري وضرورة تدعيم الجهاز المشرف على العلاقات العمالية، فقد أنشأت وزارة العمل والشؤون الاجتماعية عام ١٩٦٠ (٥٦).

وقد بدأت هذه الوزارة تولي اهتماماً لوضع أسس العمل مرتسمة خطة التنسيق بين سياسات القوى العاملة والتخطيط والتدريب المهني، وقد ظهر هذا الاهتمام من خلال زيادة ميزانيتها، وزيادة عدد موظفيها كل عام فبعد أن كانت ميزانية العمل عام (١٩٦١ - ١٩٦٢) سبعة ملايين ريال، زادت في العام الذي تلاه اي عام ١٩٦٢ - ١٩٦٣ أربعة ملايين ريال، بعد أن كان عدد موظفيها عام ١٩٦٠، ١٦٤ موظفاً أصبح عام ١٩٦٢، ٤٥٨ موظفاً (٥٧).

تنظيمات المعارضة السرية في السعودية :-

شهدت السعودية في أوائل الخمسينات حركات واحزاباً عديدة، إلا انها قد جمدت اعمالها ونشاطاتها بسبب قسوة وتعسف السلطات السعودية وأهمها .

١- لجنة العمال

اول منظمة تقدمية على الاطلاق في السعودية التي تشكلت سرياً خلال اضراب عمال شركة آرامكو عام ١٩٥٣ (٥٨)، وأصبحت محوراً لنضال العمال في الحصول

على بعض حقوقهم من شركة آرامكو، إذ قدمت شركة آرامكو مطالباً بتوقيع سبعة الاف شخص كان من ضمنها اعتراف شركة آرامكو بها، كهيئة نقابية للعمال . وقد اتهمت شركة آرامكو اللجنة واعضاؤها بالشيوعية، وتمكنت الحكومة من القضاء عليها واعتقال قادتها، حيث كانت اللجنة العمالية هي النواة الاولى التي اختمرت فيها الأفكار الوطنية للنضال، وكانت تضم عناصر وطنية ولم تكن ذات انتماء حزبي واضح المعالم، وإنما كانت عبارة عن تجمع يضم اتجاهات متعددة، وقد ارتكز نشاطها على أسس نقابية بحتة في بداية الأمر، كما كانت تمارس عملها بشكل علني ثم تعرض العمل النقابي والوطني لموجة من الاعتقالات ولاسيما في عام (١٩٥٣ - ١٩٥٦) واصطدمت بقوات الشرطة باشتباكات دامية، فتمكنت من قمع الاضراب واعتقال عدد كبير من الشخصيات العمالية البارزة وزجهم في السجون، وفي ٢٢ ايلول ١٩٥٦ انتهز العمال زيارة الرئيس جمال عبد الناصر لمدينة الدمام فقادوا مظاهرة شعبية فيها كل الطبقات من عمال وطلبة ومتقنين وحرفيين^(٥٩) .

وقد اندفعت هذه المظاهرة الجماهيرية التي ضمت اكثر من خمسين الف مواطن تحيي النضال التحرري وتهتف بسقوط الحكم الفردي والموت للخونة والاستعمار حتى خشي الأمير فيصل أن يفلت الزمام وأن تتطور الأمور إلى ما يهدد النظام السعودي، فطلب من الجماهير أن تهتف بحياة الجامعة العربية، فلم تلق الجماهير له بلا واستمرت في هتافاتها بالتحرر من الاستبداد والاستعمار^(٦٠) .

وفي السياق نفسه شهدت البلاد اضطرابات عمالية في مدة (١٩٦٢ - ١٩٦٦) ففي عام ١٩٦٢ توقف عمال المطابع المصريون في جدة عن العمل احتجاجاً على التهمات ضد مصر . وفي عام ١٩٦٣ أضرب السعوديون والبحرانيون العاملون لدى أحد المقاولين في المنطقة الشرقية بسبب الأوضاع الداخلية للمملكة، وفي العام نفسه جرى اضراب في معمل للإسمنت . واضرب عمال النفط في المنطقة المحايدة مطالبين بتقليص اسبوع العمل من ٤٨ إلى ٤٠ ساعة وفي عام ١٩٦٤ قاطع عمال آرامكو مطاعم الشركة وحوانيتها، ونظموا مظاهرة وبالرغم من صدور مرسوم عام ١٩٦٥ الذي يحضر كل أنواع الاتحادات والروابط العمالية وحتى العقود الجماعية فأن (٩٠٠)

من عمال آرامكو برهنوا عام ١٩٦٦ على وجود نوع من التنظيم لديهم، حيث رفعوا إلى مكتب الشكاوى التابع لمجلس الوزراء عريضة تتضمن مطالب اقتصادية واجتماعية تخص العمال^(٦١).

وفي مطلع عام ١٩٦٧ قامت الحكومة السعودية باعتقال مجموعة من الاشخاص بتهمة القيام (بنشاط هدام) أو الانتماء إلى منظمات سرية معادية للنظام وقامت باعتقال ٦٥ آخرين بتهمة النشاط الهدام ووجهت ل ٣٤ شخصاً تهمة (الانتماء إلى منظمة سرية انحرفت عن (الصراط المستقيم) وترمي إلى الاخلال بأمن البلاد)^(٦٢).

٢- جبهة التحرير الوطني العربي :-

أنشئت جبهة التحرير الوطني العربية عندما شعر مجموعة من أمراء آل سعود أن الحكم في السعودية هو حكم فردي، وأن المملكة ليس لها دستور ولا قانون، ولما كان أكثرهم لا يتمتع بالثقافة العالمية، لذا فإنهم تطلعوا إلى أن تكون الدولة السعودية دولة عصرية تستند إلى الحرية والمساواة وتعيش حياة ديمقراطية متقدمة على الدول العربية سيما وأن المال متوفر في السعودية .

لذلك بذل هؤلاء الأمراء جهودهم لدى الملك سعود الذي كان يحمل أفكار محافظة، مما أدى إلى الاستجابة لهم وتعيين شقيقه الأمير طلال ذو النزعة الإصلاحية المنتورة أن يت رأس وزارة جديدة سميت وزارة الشباب وكان من أشهر وزرائها الشيخ عبد الله العارفي وزيراً للطاقة والدكتور حسن ناصيف وزيراً للصحة ...، واجتمعت الوزارة، وأصدرت بيانها الوزاري للشعب وبينت وفيه أن الوزارة للشعب ونيتها سن قانون ودستور والعمل على تأمين العدالة والمساواة لكافة المواطنين، إلا أن ذلك لم يعجب الأمير فيصل الذي كان يطمح بالملك ولم يرضى رجال الذين الذين يسيطرون على الناس باسم الدين، وبالوقت نفسه لم يرق للشركات الأمريكية التي ترى سن القوانين والدستور يستوجب عليه احترامه ودفع ما كانت تسرق من حصة المملكة، إلى دولة الشعب وستنتهي الرشاوي والفساد في الحكم لذلك أتفقت مع الأمير فيصل ضد الحكومة الجديدة التي لم تستمر سوى ثلاثة أشهر وبعدها انقلبت وألفت حكومة جديدة برئاسة الأمير فيصل، وألغت القرارات التي أصدرتها الحكومة السابقة^(٦٣).

أزاء ذلك كله تم تشكيل جبهة سياسية عام ١٩٦١ ضمت مجموعة من الأمراء، وفي مقدمتهم الأمير طلال بن عبد العزيز والأمير بدر الدين بن عبد العزيز والأمير سعد بن فهد ومجموعة من الفئات الوطنية وبمختلف الاتجاهات، إلا أن هذه الجبهة لم تقم بأعمال إيجابية طيلة بقائها ولم تدم طويلاً ولم يطل عمرها أكثر من سنة لأنها أجهضت من الداخل وساعدت على أنائها عوامل خارجية أيضاً^(٦٤).

٣- الجبهة الموحدة للطلبة :-

كان من اسباب ظهور هذه الجبهة السياسية التي اتبعتها النظام السعودي واعتماده على العناصر المحافظة، فقد نتج عنها تشكيل جبهة موحدة عام ١٩٥٦ لطلبة مدن عنيزة وبريدة وشقراء والرياض، وكانت أهم مطالبها، حل هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتوحيد مناهج وطرق التدريس في السعودية مع مناهج وطرق التدريس في سوريا ومصر، وافتتاح المعاهد الدراسية في البلاد^(٦٥).

قمعت هذه الجبهة بكل عنف وقسوة ، إذ اقترح رجال هيئة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، أحد المقاهي في بريدة الذي يرتاده الطلاب وضربوهم بكل قوة مما أدى إلى قيام الطلبة بمظاهرة احتجاج . صاحبها رمي قصر أمير بريدة بالحجارة الامر الذي جعله يلتجأ إلى قوات الجيش لقمع المظاهرة، حيث رفض افراده استخدام السلاح ضد الطلبة، مما أدى إلى الاستعانة بالشرطة والتي استطاعت ان تفرق المتظاهرين، ولكن اهتمامات الملك فيصل (١٩٦٤-١٩٧٥) بدت واضحة من خلال رفع شعار العلم مجاناً وللجميع وبهذا زاد عدد المدارس وعدد التلاميذ فيها^(٦٦)، كما زاد عدد المعاهد الفنية والصناعية والتجارية والزراعية، وتأسيس عدد من الجامعات منها جامعة الرياض، وجامعة الملك عبد العزيز، واهتمام الملك فيصل في بإرسال بعثات للطلبة المتفوقين إلى الولايات المتحدة، والمانيا، وإيطاليا، وهولندا ودول أخرى، ومن جهة اخرى أنشأ الطلاب البعثيون وبعض العناصر الوطنية عام ١٩٦٢ منظمة طلابية ثورية باسم (الطلبة الطلابية الثورية) فعملت على بث الوعي التحرري بين طلبة الثانويات والمعاهد والكليات الجامعية^(٦٧). واصدرت منشورها الأول في تشرين الأول ١٩٦٢ ووزعته في الرياض والدمام والقصيم . وكان المنشور يتضمن عدداً من

المطالب الطلابية وينتقد السياسة العامة للدولة ويطالب بحرية الرأي وانتهاج سياسة عربية و يدعو جماهير الطلبة إلى النضال والمساهمة في اسقاط النظام. وتوالى بعد ذلك مناشير الطلبة حتى عام ١٩٦٤ حيث اعتقل معظم قيادتها . فاضطرت هذه المنظمة إلى الأخذ بأسلوب جديد في العمل حيث ساهم عناصر منها في قيادة مظاهرات عام ١٩٦٧ في الرياض احتجاجاً على موقف الحكم السعودي المتواطئ مع الاستعمار الأمريكي في تأييده للعدوان الصهيوني على مصر وسوريا والأردن في ٥ حزيران ١٩٦٧، وقد أدت هذه المنظمة دوراً مؤثراً في صفوف الطلبة^(٦٨) .

٤- جبهة التحرير الوطني في السعودية :-

وهي امتداد لجبهة الاصلاح الشيوعية والتي عقدت مؤتمراً عام ١٩٥٨ في السعودية، أقر فيه المجتمعون إبدال اسم جبهة الاصلاح باسم جبهة التحرير الوطني باعتبار أن التحرر هو الهدف الذي تعمل عليه الجبهة^(٦٩) .

واتسم عمل الجبهة بالسرية خشية من قساوة النظام السعودي، وغالباً ما توجه رسائل مفتوحة إلى الملك سعود، تحذره فيها من التماهي في سياسته الرجعية وتطالب في تحقيق بعض المطالب الوطنية، ثم تقوم تلك الجبهة بتوزيع الرسائل على شكل كراس على الشعب السعودي وهذا ما حدث في أعوام ١٩٥٣، ١٩٥٤، ١٩٥٦، اما في عام ١٩٥٨ قامت الجبهة بتوزيع مناشير بصورة واسعة اثناء موسم الحج حيث فضحت فيها الوضع السيء في السعودية، ولقد حاربت الحكومة السعودية هذه الجبهة الوطنية بكل قسوة لكي تتخلص منها فقد رصدت الحكومة مبلغ مائتي الف ريال لمن يستطيع التعرف على هذه الجبهة ويدلي بمعلومات عنها^(٧٠) .

الروابط الطلابية في الخارج :-

بعد انحسار المد الثوري وصمت الاذاعات العربية المتراجعة وشراسة الهجمة السعودية على مراكز القوى الوطنية أخذت الروابط الطلابية السعودية في الخارج تنتشط لفضح الحكومة السعودية، كما قامت هذه الرابطة بمهامها النضالية عن طريق المؤتمرات والنشرات والخطب وجمع ما يتاح لها من وسائل الاعلام، وهذه الروابط

الطلابية غير معترف بها من قبل الحكم السعودي لا في الداخل ولا في الخارج ويعتبر نشاطها ووجودها عملاً تأمرياً على سلامته .

١- لجنة الدفاع عن المعتقلين السياسيين :-

تأسست عام ١٩٦٩ من معارضي النظام السعودي الذين يعيشون في المنفى وحملت منذ ذلك التاريخ راية النضال الاعلامي في الخارج ضد الحكم السعودي، لإيقاف سياسة الارهاب والقمع ضد جماهير الشعب واطلاق سراح المعتقلين السياسيين وقد نشر بيانها الأول في مجلة الحرية اللبنانية بتاريخ ١ شباط ١٩٦٩ وشاركت في عدد من المؤتمرات العربية، ووزعت الكثير من البيانات والنشرات الاعلامية التي تفصح الحكم السعودي وتدعو لأطلاق سراح المعتقلين السياسيين^(٧١).

٢- رابطة ابناء الجزيرة العربية في الخارج :-

تشكلت هذه الرابطة في شباط عام ١٩٧٢ وأصدرت في تشرين الاول العدد الاول من نشراتها الدورية باسم (صوت الجزيرة العربية) الذي جاء في افتتاحيته ما نصه " إن صوت الجزيرة العربية ستكون منبراً حراً لكل المناضلين في جميع اقطار الجزيرة العربية وإمارات الخليج العربي، وتتكون هذه الرابطة من قسم من السعوديين المتواجدين في الخارج" ^(٧٢) .

٣- لجنة التضامن مع الشعب السعودي :-

لقد تشكلت هذه اللجنة في عام ١٩٧٢ في بريطانيا، وهي تمارس نشاطها اعلامياً في نطاق تضامنها مع المعتقلين والشعب معاً، وقد قامت بتوزيع البيانات والملصقات العديدة، والاتصال بالشخصيات والهيئات السياسية لنصرة شعبه^(٧٣) .

اغتيال الملك فيصل بن عبد العزيز :-

في صباح يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من شهر آذار عام ١٩٧٥ كان الملك فيصل في مجلسه يستقبل المهنيين بمناسبة عيد المولد النبوي وبعدها انتقل إلى ديوانه، حيث استقبل ياسر عرفات (١٩٨٨-٢٠٠٤) رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ثم استقبل وزير البترول والثروة المعدنية السعودي أحمد زكي يمانى ووزير البترول الكويتي عبد المطلب الكاظمي، وفي تلك الاثناء دخل فيصل بن مساعد ابن أخ الملك -

ديوان العاهل السعودي متظاهراً انه يريد تقديم التهاني إلى عمه، ولم يمنعه حرس الملك من الدخول، لأنه من ابناء الاسرة المالكة، ولأنه كان يتردد باستمرار على مكتب عمه بعد عودته من الولايات المتحدة، لكن مدير التشريفات أحمد عبد الوهاب حاول منعه، لأن المقابلات العائلية تجري في بيت الملك وليس اثناء ساعات الدوام الرسمي، لكن فيصل بن مساعد ألح وقال : " انه يريد الاعتذار إلى عمه "، ثم تقدم نحو الملك فيصل وعانقه، ثم اطلق عليه ثلاث رصاصات اصابته في رأسه وذقنه ورقبته^(٧٤)، فألقى الملك برأسه إلى الوراء، وقال (أمرك) ولكنه لم يستطع أكمال كلمة (الله) لان الدم نزف من فمه، ثم سقط على يد مدير التشريفات، وبعدها نقل إلى المستشفى لكنه فارق الحياة^(٧٥).

ذكرت صحيفة الجمهورية العراقية نقلاً عن صحيفة البيرق البيروتية أن الملك فيصل طلب قبل وفاته الرحمة لقاتله وأن آخر كلمة نطق بها قبل وفاته " اشعر بأنني سأموت" ^(٧٦).

وقد أصدر الديوان الملكي السعودي عدة بيانات حول مقتل الملك فيصل والاجراءات التي اتخذتها الحكومة السعودية بخصوص ذلك، منها:

البيان الاول :-

بينما كان جلالة الملك فيصل يقوم بأعماله الرسمية هذا الصباح نهض من مجلسه الأمير فيصل بن مساعد بن عبد العزيز ابن اخ جلالته متظاهراً بالسلام عليه، وعندما اقترب منه اطلق الرصاص عدة مرات على جلالته فأصابه بجراح ومما تجدر الاشارة إليه، أن القاتل المذكور مختل الشعور، وقام بما قام منفرداً وليس لأحد علاقة بما أقدم عليه، وقد نقل جلالة الملك حفظه الله إلى مستشفى الرياض المركزي، والعلاج مستمر لجلالته، من الله على جلالته بلباس الصحة والعافية وضمان شعبه الوفي ليراه قريباً، في صحة وسلام ان شاء الله^(٧٧).

لقد كان البيان الاول بعيداً عن الدقة، إذ ذكر أن القاتل مختل الشعور، إذ لم يتم اجراء الفحص الطبي الدقيق فأثبت ذلك، فكيف جاز لكاتب البيان أن يحكم بذلك خلال ساعات قليلة، في حين أن اثبات ذلك يتطلب تحقيقاً دقيقاً وصحياً ويستغرق وقتاً

طويلاً، حتى يتم التأكد بصورة نهائية من وجود علاقة أو عدمها، ويبدو ان كاتب البيان أراد أن يهدأ مشاعر الشعب السعودي، منها حدوث بلبلة بين اوساط الشعب السعودي، فلم يذكر ان الملك فيصل قد مات، علماً انه قد فارق الحياة بعد أصابته بمدة قصيرة، كذلك ذكر البيان ان الحادث فردي وليس لأحد علاقة بذلك .

ومن جهة أخرى كيف يدخل انسان مختل عقلياً على الملك، وهو في حالة اجتماع رسمي، ذكرت بعض الصحف أن القاتل مصاب بلوثة عقلية قبل ستة أشهر .

ولكن هناك رأي آخر يقول إن القاتل له مشكلة تتعلق بمقتل أخيه، فالجريمة هي نوع من الثأر لأخيه، ولقد شكلت لجان للبحث في الأمر حول احتمال تدخل خارجي في مقتل الملك، ولكن تحقيق اللجان هذه التي تشكلت أثبتت إن الدافع في عملية قتل الملك فيصل كانت شخصية^(٧٨) .

يذكر أن والد القاتل الأمير مساعد بن عبد العزيز كان مصاباً بالجنون، ووضع تحت الإقامة الجبرية ويعالج من اضطرابات نفسية ومعروف عنه أنه غريب الاطوار ولم يتوقف الأمر عن القاتل ووالده، بل أيضاً شقيقه الأصغر اتهم بالجنون، وكذلك الامر مع شقيقه الأكبر خالد بن مساعد والذي قتل بأمر من الملك فيصل عام ١٩٦٦، فقد كان ينتمي إلى جماعة دينية متعصبة حاولت تدمير تلفزيون الرياض^(٧٩) .

و بعبارة أكثر دقة ووضوح يمكن القول إن إقدام القاتل فيصل بن مساعد هو ثأر لمقتل شقيقه الأكبر أو أن مؤامرة اجنبية قد دبّرت من قبل دولة أجنبية، إذ ان الملك فيصل قد كانت له مواقف عروبية واسلامية، ودعوته يجعل القدس عاصمة فلسطين وموقفه الداعم لمصر في حرب تشرين ١٩٧٣، وذكرت بعض الصحف والمجلات أن القاتل كانت لديه ميول يسارية^(٨٠) .

البيان الثاني :-

اذاع راديو الرياض الساعة الواحدة وعشرة دقائق من ظهر يوم ٢٥ آذار ١٩٧٥ بياناً من الديوان الملكي جاء فيه " ببالغ الأسى والحزن ينعى الديوان الملكي أن صاحب الجلالة الملك فيصل المعظم، وافاه الاجل المحتوم متأثراً بجراحه، اثر الاعتداء الاثيم الذي قام به الأمير فيصل بن مساعد بن عبد العزيز " ^(٨١) .

ويظهر ان الحكومة السعودية، بعد أن عرفت مشاعر الشعب السعودي تجاه الحدث واطمأنت إلى الأمور في البلاد، وسيطرتها على الوضع بعد أن اتخذت الاجراءات المناسبة، أصدرت هذا البيان، الذي أكدت فيه وفاة الملك فيصل، ولعدم ترك منصب ملك الدولة شاغراً، ولإعادة الأمور في البلاد إلى طبيعتها اصدر الديوان الملكي السعودي بياناً حول مبايعة الأمير خالد بن عبد العزيز ملكاً على البلاد جاء فيه : لقد قام افراد الأسرة وفي مقدمتهم :

١- صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد الرحمن آل سعود .

٢- الأمير محمد بن عبد العزيز .

٣- الأمير ناصر بن عبد العزيز

٤- الأمير سعد بن عبد العزيز

٥- الأمير فهد بن عبد العزيز

بمبايعة الأمير ولي العهد الأمير خالد بن عبد العزيز ملكاً على البلاد، وبعد اتمام البيعة أعلن الملك خالد ترشيح الأمير فهد ولياً للعهد، وقد أجمع أفراد الأسرة على ذلك وبايعوه^(٨٢) . وأعلن الأمير فهد أن سياسة المملكة باقية وسوف تستمر على نهج الملك فيصل^(٨٣) .

وبفقد الملك فيصل بن عبد العزيز، فقدت السعودية زعيماً من أخلص زعمائها الذين نذر نفسه لخدمة قضايا العرب والمسلمين، وقائداً من انبغ القادة وظف كل مجهوداته لأكثر من نصف قرن لإعلاء كلمة الحق والدين .

وبمقتل فيصل فقدت القضية الفلسطينية زعيماً بارزاً بذل الجهود الكبيرة من أجل جعل مدينة القدس عاصمة لدولة فلسطين، على الرغم من تشبث الصهاينة بتلك المدينة المقدسة^(٨٤) .

توجهات القاتل وافكاره السياسية :-

ولد فيصل بن مساعد عام ١٩٥٠، وعندما أصبح عمره ست سنوات أي في عام ١٩٥٥ طلق أبوه أمه، فانتقلت إلى بيت اخواله، حيث نشأ نشأة تختلف عن أقرانه من أبناء الأسرة السعودية، أكمل دراسته الاولية في الرياض والتحق عام ١٩٦٦ بجامعة

كولورادو الأمريكية، حيث درس علوم السياسة وكانت دراسته غير منتظمة وأنهى دراسته تلك في سنة ١٩٦٩ أدين بتهمة بيع المخدرات وأعتقل في ٣٠ ايلول ١٩٦٩ بتهمة توزيع المخدرات، وبعدها وضع تحت المراقبة لمدة سنتين بين ١٩٧٠ - ١٩٧٢^(٨٥). وقد رفض الملك التدخل شخصياً إلى جانب ابن أخيه عندما وصلت قضية التوقيف إلى واشنطن^(٨٦)، وعندما عاد الأمير فيصل بن مساعد إلى المملكة العربية السعودية سنة ١٩٧١ قرر الملك عدم السماح له بمغادرة البلاد بسبب السمعة السيئة التي حقها بالمملكة^(٨٧). وقد كان الأمير فيصل مدمناً على المخدرات وقد عولج عدة مرات في المملكة العربية السعودية، كما عولج في لبنان وباريس^(٨٨).

ويرى أن الدين الاسلامي حجر عثرة في تقدم البلاد، وكانت لديه صديقة يهودية في الولايات المتحدة وكانت من تجار المخدرات^(٨٩).

وبعد عودته إلى البلاد حاملاً شهادة الماجستير، عين معيداً بجامعة الرياض، لكن القسم الذي عين فيه شك في شهادته، ففصل من الجامعة^(٩٠). ويظهر من ذلك أن هناك احتمالات لفصل الأمير فيصل بن مساعد من التدريس في الجامعة، الأول أنه يحمل شهادة عليا مزورة، وبعد اكتشاف المسؤولين في الجامعة ذلك تم طرده منها، والثاني خشية من نقل الأفكار المعارضة للنظام، فضلاً عن خلافاته مع بعض أفراد العائلة المالكة كانت سبباً في فصله من وظيفته، وقبل اقدمه على اغتيال الملك فيصل بن عبد العزيز طلب الأمير فيصل من أحد المسؤولين السعوديين أن يعطيه جواز سفر عادي غير جوازه الدبلوماسي^(٩١).

أما نهاية القاتل فقد أعدم بالسيف في ساحة العدل أمام قصر الحكم في الرياض^(٩٢). ويذكر أنه اقتيد إلى الجامع الكبير في الرياض وأعدم بالسيف بعد صلاة الجمعة في ١٨ حزيران ١٩٧٥ باعترافه بالقتل، اما إقدام فيصل بن مساعد على قتل عمه الملك فيصل فيمكن أن يعود إلى الأسباب الآتية :-

١- طلاق أم الأمير فيصل المبكر، والذي جعل الأمير يشعر بأن والدته كانت ضحية لرغبات الأسرة السعودية وشهواتها .

٢- قضاء آل سعود على إمارة أخوال الأمير فيصل، آل الرشيد في حائل مما دفعه للتفكير بالانتقام لأخواله الذين تربى في احضانهم وتحت رعايتهم .

٣- مقتل أخيه الأمير خالد بن مساعد على يد رجال المباحث السعودية سنة ١٩٦٦ عندما احتل الأمير خالد وجماعته مبنى التلفزيون السعودي واعتصموا به مدعين أنه عمل من عمل الشيطان، وأنه مغل بالدين^(٩٣) .

٤- ربما كانت له أفكار سياسية معارضة لسياسة الأسرة السعودية أو سياسة الملك فيصل .

٥- عدم قيام الحكومة السعودية بزيادة مرتب الأمير فيصل الشهري البالغ اثني عشر ألف ريال شهرياً أثناء دراسته في الخارج، بأمر من الملك فيصل الذي طلب منه الأمير فيصل بن مساعد ذلك^(٩٤)، وكان الأمير فيصل يدعي أنه يعاني من ضائقة مالية أثناء دراسته في الولايات المتحدة، ولكنه ليس كذلك اذا ما علمنا انه كان يتناول المخدرات باستمرار .

٦- ويذكر انه ربما قام ابناء الملك السابق سعود بتحريض الأمير فيصل بن مساعد على قتل عمه الملك فيصل، إذ كانت علاقة الأمير فيصل مع اسرة الملك سعود وثيقة، وقد عقد على ابنة عمه الملك سعود (صيتا) قبل سنتين، وكان من المفروض أن يتزوجها خلال الأسبوع الذي تمت فيه عملية الاغتيال^(٩٥)، ولكن يبدو أن هذا الكلام حمل بين جناباته احد الاحتمالين الأول : أن الرواية غير صحيحة ويحاول قائلها ألقاء تبعة مقتل الملك فيصل على عاتق أسرة الملك سعود، وإلا فكيف يحرص أبناء الملك سعود زوج شقيقتهم على عمل تكون نتيجته الموت في أغلب الاحيان . وهناك احتمال أن ابناء الملك سعود ارادوا الانتقام من عمهم الملك فيصل - الذي أزاح ابيهم من الحكم بواسطة الأمير فيصل بن مساعد لذلك قربوه اليهم، وتم عقد قرانه على شقيقتهم، وبهذه الطريقة يتمكن ابناء الملك سعود من الانتقام من عمهم الملك فيصل، ويتخلصوا كذلك من الأمير فيصل أيضاً لأنه شخص غير سوي، ولا يصلح ان يكون زوجاً لشقيقتهم .

الخاتمة

يتبين من خلال البحث إن المطالب بالمشاركة سواء أكانت من الجماهير أو من النخب الاجتماعية أم من بعض المعارضين من أفراد الأسرة الحاكمة نفسها، لم تجد استجابة تذكر وإلى أن بدأت الطفرة النفطية في السبعينات تراجعت تلك المطالب تدريجياً، وفي ظل تلك تبلورت أفكار وتطلعات ثورية عبرت عنها الجمعيات والمنظمات والاحزاب، وأفصحت عن سخطها وعدم رضا عن سياسة النظام بأشكال شتى من الاحتجاج الاجتماعي والسياسي وصلت إلى حد استخدام العنف . لذا فإن فهم طبيعة النظام السعودي تبرز الدلالات الحقيقية للأحداث السياسية أو التمردات وحركات المعارضة التي لم تتل حظاً من الذبوع وجميعها تعكس بوضوح معضلة حقيقية واجهت النظام السعودي، ففي حين يتطور المجتمع سلوكياً وفكرياً وقف النظام السياسي عاجزاً عن مسايرة هذه التطورات بما حملته من نتائج ومضامين .



- (١) د . ك . و . الملف ٣١١/٢٦٤٠، تقرير المفوضية العراقية في جدة الرقم ٥ / ٨ / ١٠٢ في ١٤ ايلول ١٩٥٤، الى وزارة الخارجية العراقية، و ٤٢، ص ٨٢ .
- (٢) احمد عبد الحميد، الحقيقة والتاريخ في ذكرى جلوس الملك سعود، مجلة الاذاعة السعودية، العدد ٦٣، (د - ت)، ص ٤٠ .
- (٣) المعارضة السياسية في السعودية، صوت الطليعة العدد الثاني السنة الاولى، آذار ١٩٧٣، ص ٢٥
- (٤) مملكة الصمت حرية التعبير في العربية السعودية، مجلة الجزيرة العربية، العدد ١٠١، آذار ١٩٧٣، ص ٤٢ .
- (٥) د . ك . و . الملف ٣١١/٢٦٤٠، تقرير المفوضية العراقية في جدة الرقم ٢ / ٨ / ١٠١ في ١٤ كانون الثاني ١٩٥٤ الى وزارة الخارجية العراقية، ص ٥٦
- (٦) فؤاد عجمي، (الوطنيون والمنقبون ... النفط العربي والانظمة المنافسة للشركة)، مركز البحوث والمعلومات، جامعة برنستون، العدد ١٣، ١٩٧٦، ص ٨.
- (٧) جريدة لواء الاستقلال، بغداد، العدد ١٧٨٩، ٢٧ كانون الثاني ١٩٥٤، ص ٦ .
- (٨) سيف الوادي الرميحي، التطور الاقتصادي والسياسي لأقطار الخليج العربي، ترجمة عبد السلام ياسين الادريسي، جامعة البصرة، مركز الدراسات الاقتصادية، السلسلة الخاصة، (د-ت) .، ص ٢٣٨ - ٢٤٣ .
- (٩) جون ال سبوتيو، الاسلام في سياسة الشرق الاوسط، مركز البحوث والمعلومات، سلسلة الدراسات الاجتماعية، عن مجلة كونت همستوري، العدد ٥٠٨، ١٩٨٦، ص ٨ .
- (١٠) الأمير نواف بن عبد العزيز آل سعود (١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ -)، المستشار الخاص للملك عبدالله بن عبد العزيز. وهو الابن الثاني والعشرون من أبناء الملك عبدالعزيز الذكور، ينظر <http://ar.wikipedia.org/wiki:>
- (11) intelligence Report prepared by Division of Research and Analysis for Near East, south Asia and Africa, No , 6 , 92 of April 1 , 1958 , Back ground and Implications of the conflict within the Saudi Ruling family , p . 526 .
- (١٢) ريمون فارو هيز، العربية السعودية تواجه المستقبل، مركز البحوث والمعلومات سلسلة الدراسات السياسية، (د . م . ط)، (د . ت)، ص ٩ .
- (13) Fim22 , the middle East special studies , 1970 – 1980 . Thesis by stephenc . Jayiock Lie utenent united states Navy September 1979 . moslem fundament alist movement and their impact east politics , p . 385 .

- (١٤) - اكرم نشأت ابراهيم، مأسى ومهازل للحقيقة والتاريخ من احداث الماضي القريب، الشركة الشرقية للطباعة، بغداد، ١٩٦٢، ص ٧٨ .
- (١٥) جريدة النداء، العدد ١٣٧٧، ص ٣ .
- (١٦) د . ك . و . الملف ٤١١/٣٥١، سفارة الجمهورية العراقية في لندن، الرقم ١٢٤/١/١٠، ١١مايس ١٩٦٣، وزارة الخارجية، مقال السيد ادور عطية بتاريخ ١١ مايس ١٩٦٣ في الصنديا تايمز، و٢١، ص ١٩٠ .
- (١٧) جريدة الحياة، العدد ٢٧٨٠، ٢٨ آيار ١٩٥٥، ص ٨ .
- (١٨) جون . ال . اسبوستيو، المصدر السابق، ص ٥ .
- (١٩) جريدة الاهرام، العدد ٢٦٣٣٢، المصدر السابق، ص ١ .
- (٢٠) د . ك . و . الملف ٣١١/٢٦٤٠، تقرير المفوضية العراقية في جدة الرقم ٨٤/١/٩، ١٦ آيار ١٩٥٥ الى وزارة الخارجية، و٦، ص ٧ ؛ جريدة الزمان، العدد ٥٥٤٢، ١٦ كانون الثاني ١٩٥٦، ص ٦ .
- (٢١) جريدة الزمان، العدد ٥٦٢٨، ٢٧ نيسان ١٩٥٦، ص ٢ .
- (٢٢) خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة العربية، دار العلم للملايين، ج ١، بيروت، ١٩٧٠، ص ٧٣
- (٢٣) المصدر نفسه، ص ٧٣ .
- (٢٤) جريدة الحياة، العدد ٢٨٣٩، ٦ آب ١٩٥٥، ص ٧ .
- (٢٥) د . ك . و . الملف ٣١١/ ٢٦٤٠، تقرير المفوضية في جدة الرقم ١٠١/٨/٢، ١٤ كانون الثاني ١٩٥٤ الى وزارة الخارجية، و٤٢، ص ٩٢؛ ايرسكينتشايلدرز، الحقيقة عن العالم العربي، تعريب: خيرى حماد، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٦٠، ص ٢١٧
- (26) Intelligence Report prepared by Division of Research for Near East , south Asiaa and Afyica , No . 7144 of Jaunary 18 , 1956 , Saudi Arabia adisruptire force in western – Arab relation . p.509
- (٢٧) جريدة الزمان، العدد ٥٣٤٩، ٩مايس ١٩٥٥ .
- (٢٨) الأمير طلال بن عبد العزيز آل سعود (١٣٥٠ هـ / ١٩٣١ -)، الابن الثامن عشر من أبناء الملك عبد العزيز الذكور. شغل العديد من المناصب الحكومية في السعودية. تزعم حركة الأمراء الأحرار التي طالبت بإنشاء حكم دستوري برلماني في البلاد، وفصل الأسرة الحاكمة عن الحكم، والمساواة بين الرجال والنساء.
- (٢٩) - جريدة الزمان، العدد ٥٣٤٩، ٩مايس ١٩٥٥ .
- (٣٠) جريدة الحياة، العدد ٢٧٧٤، ٢٠ آيار ١٩٥٥، ص ٩ .

- (٣١) د. ك. و، الملف ٤١١/٣٥١ سفارة الجمهورية العراقية، الرقم ١٠٩٩/٢٥/٢، ٢٥ آب ١٩٦٢، الى وزارة الخارجية، بغداد، و ١٥، ص ١٦٥ .
- (٣٢) جريدة الزمان، العدد ٥٦١٥، ١٢ نيسان ١٩٥٦، ص ٧ .
- (٣٣) المصدر نفسه .
- (٣٤) جريدة الحياة، العدد ٢٧٨٠، المصدر السابق، ص ٧ .
- (٣٥) جريدة الحياة، العدد ٢٧٧٩، ٢٧ آيار ١٩٥٥، ص ١ .
- (٣٦) جريدة الحياة، العدد ٢٧٨٠١، المصدر السابق، ص ٧ .
- (٣٧) راشد البراوي، "القومية الديناميكية الجديدة في الشرق الاوسط العربي"، مجلة الاهرام الاقتصادية، القاهرة، العدد ١٨٠، ١٥ شباط ١٩٦٣، ص ٢٩ .
- (٣٨) مطبعة مؤسسة الثقافة العمالية، قسم ادارة العمل في المعهد العربي للثقافة العمالية وبحوث العمل، مكتب العمل العربي، المعهد العربي للثقافة العمالية وبحوث العمل، دليل ادارات العمل العربي، ج ١، بغداد ١٩٧٨، ص ٣٠ .
- (٣٩) سام. ه. ثور، بول ت، هومان واخرون، نفط الشرق الاوسط والعالم العربي الآمال والمشكلات، ترجمة راشد البراوي، واحمد نجد الدين هلال، دار النهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٧٤، ص ١٦ .
- (٤٠) جمال زكريا قاسم، "عوامل مؤثرة في تطور الوعي البترولي في منطقة الخليج العربي"، مجلة الثقافة، العدد ١١ السنة ٥، ١٩٧٥، دار الحرية للطباعة، بغداد، ص ١٦١ .
- (٤١) سامي احمد الكاشف، الهجرة وانسان الخليج العربي عربية واجنبية وآثارها السلبية والايجابية، الانسان والمجتمع في الخليج العربي، الندوة العلمية الثالثة، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ٢٩-٣١ آذار ١٩٧٩، ص ٢٣-٢٥ .
- (٤٢) ادارة العمل في المعهد العربي للثقافة العمالية وبحوث العمل، المصدر السابق، ص ٢٠ .
- (٤٣) مجلة صوت الطليعة، العدد الاول، السنة الاولى، آذار ١٩٧٣، ص ٢٥ .
- (٤٤) اكاديمية العلوم في الاتحاد السوفيتي، معهد الاستشراق، تاريخ الاقطار العربية المعاصر ١٩١٧-١٩٧٠، دار التقدم، ج ١، موسكو، ١٩٧٥، ص ٤٥ .
- (٤٥) فهد العامري، اغلال العبودية في المملكة السعودية، بغداد، ١٩٦٢، ص ٧ .
- (٤٦) اكاديمية العلوم في الاتحاد السوفيتي، المصدر السابق، ص ٣٨ .
- (٤٧) جورج لونزوسكي، البترول والدولة في الشرق الاوسط، تعريب نجدة هاجر و ابراهيم عبد الستار، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، ط ١، بيروت، ١٩٦١، ص ٢٨٧ .

- (٤٨)-فهد العامري، المصدر السابق، ص ٣٢ .
- (٤٩)- جمعة خليفة كنج، الادارة الامريكية والقضية الفلسطينية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٩، ص ١٧٦ - ٢٤٣ ؛ ايرسكينتشايلدرز، الحقيقة عن العالم العربي، تعريب خيرى حماد، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٦٠، ص ٨٩ .
- (٥٠)- ولترلاكور، الاتحاد السوفيتي والشرق الاوسط، ترجمة لجنة من الاساتذة الجامعيين، المكتب التجاري للطباعة والنشر، ط١، بيروت، ١٩٥٩، ص ١٩٣ - ٢٢١ .
- (٥١)- يحيى ابو بكر، التوجيه والاعلام، كتب سياسية، مجموعة عربية ١٠٠%، عشرة سنوات مجيدة، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، (د-ت)، ص ١٢٧ .
- (٥٢)- جمال زكريا قاسم، المصدر السابق، ص ١٦٥٢ .
- (٥٣)- الشهيد عبد الرؤوف العنيزي، مجلة صوت الطليعة، العدد الخامس، السنة الثانية، آذار ١٩٧٤، ص ٦٩ .
- (٥٤) جورج لونزوسكي، المصدر السابق، ص ٢٩٥ - ٢٩٨ .
- (٥٥) المصدر نفسه، ص ٢٩٩ .
- (٥٦) جان جاك بيربي، جزيرة : العرب ،ترجمة نجدة هاجر، سعيد الغز، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٦٠ ص ١٢٢ - ١٢٣ .
- (٥٧)- المملكة العربية السعودية، لمحات عن وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، الرياض،(د-ت)، ص ١٠١ .
- (58)Film12 ,The middle East specicl studies ,1970 -1980 , Theesis by Stephen C.Jayock , Lieutenant United states NaVy September , 1979 , moslem fundament alistmovmnt and their impact the middle east politics , p.362 .
- (٥٩)-جريدة الزمان، العدد ٥٣٥٩، ٩نيسان ١٩٥٦، ص ٤ .
- (٦٠)- المعارضة السياسية في السعودية، صوت الطليعة، العدد الاول، المصدر السابق، ص ٢٥ .
- (٦١)- الكسي فاسليف، تاريخ العربية السعودية، ترجمة خيرى الضامن، جلال ماشطة، موسكو، ١٩٨٦، ص ٤٥٩ .
- (٦٢)عدنان العطار، الحركات التحررية في الحجاز ونجد، ١٩٠١ - ١٩٧٣، مؤسسة مطابع معتوق أخوان، بيروت، (د - ت)، ص ٤٦٠ .
- (٦٣)عدنان العطار ،المصدر السابق، ص ١٣٦ - ١٣٧ .
- (٦٤)المصدر نفسه، ص ١٣٧ .

(٦٥) هيلين لاكنر، بيت مبني على الرمال الاقتصاد السياسي للمملكة العربية السعودية ترجمة مركز البحوث والمعلومات ، مجلس قيادة الثورة، (د - ت)، ص ٨٧ .

(66)Intelligence Report by Division of Research and Analysis for Near East , south Asia and Afriva , No . 7692 , of April 1 , 1958 , Background and Implications of the conficewitin the saudia Ruling family ,p.532 .

(٦٧) المعارضة السياسية في السعودية، صوت لطليعة، العدد الاول، المصدر السابق، ص ٢٤ .

(٦٨) هيلين لاكنر، المصدر السابق، ص ٨٨ .

(٦٩) فكري عبد المطلب ، فيصل القاتل والقتيل، الرياض، ١٩٨٦، ص ٣٥ .

(٧٠) ولبر كرين ايفلاند، حبال من رمال، دار طلاس للدراسات والترجمة، دمشق، ١٩٨٤، ص ٥٨٨ .

(٧١) . الكسي فاسليف، المصدر السابق، ص ٤٤٧ .

(٧٢) المصدر نفسه .

(٧٣) المعارضة السياسية في السعودية، مجلة صوت الطليعة، العدد الثاني، المصدر السابق، ص ٢٩

(٧٤) للتفاصيل عن عملية اغتيال الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود، انظر : عبد الرحمن ناصر

الشمrani، فيصل القاتل والقتيل، بيروت، دار الانسان، ط١، ١٩٨٨، ص ٦٤ - ٧٠ .

(٧٥) -تذكر مجلة الصياد : ان عملية اغتيال الملك فيصل حدثت خلال ثوان، جعلت الاحداث تختلط

حتى تصور بعض الموجودين ان الملك فيصل قال (امرك يا سيد) بعد ان اصيب، لكن طبيعة

الاصابة وشهادة احمد بن عبد الوهاب رئيس التشريفات، تنفي ان يكون الملك قد نطق شيئاً، وان

يكون القدر وعمله الصالح جعلاه يختم حياته بأكثر العبارات ايماناً وتسليماً (امرك يا سيد) انظر

:محمد جلال كشك، محضر تحقيق حول اغتيال الملك فيصل، مجلة الصياد البيروتية، العدد

١٥٩٤، في نيسان ١٩٧٥، ص ٥ .

(٧٦) جريدة الجمهورية العراقية، العدد ٤١١٢، في ٢٧ آذار ١٩٧٥، ص ٢ .

(٧٧) منشورات مجلة دراسات الخليج و الجزيرة العربية، وثائق الخليج والجزيرة العربية عام

١٩٧٥، الكويت، ١٩٧٩، ص ٥٧ .

(٧٨) احمد منصور، شاهد على العصر ، مقابلة مع الامير طلال بن عبد العزيز، بيروت، الدار

العربية للعلوم ودار ابن حزم، ط١، ٢٠٠٥، ص ٢٦٠ - ٢٦١ .

(٧٩) عبد الرحمن ناصر الشمrani، المصدر السابق، ص ١٦ .

(٨٠) حمد محمد الجاسر، اعلام في دائرة الاغتيال، بيروت، ط٢، ١٩٩٣، ص ١٤٤ .

(٨١) وثائق الخليج والجزيرة العربية عام ١٩٧٥، المصدر السابق، ص ١٥٧ .

(٨٢) وثائق الخليج والجزيرة العربية عام ١٩٧٥، المصدر السابق، ص ١٥٨ .

(٨٣) شكيب الاموي، جريمتان ضد الاسلام والتاريخ، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٠، ص ٢١ .

- (٨٤) مجلة المصور، القاهرة، العدد ٢٦٣٣، في ٢٨ آذار ١٩٧٥ .
- (٨٥)-نبيل خليل، اغتيال الملك فيصل والخلافة السعودية، (د، م، ط)، (د، ت) ، ص١٠٢ - ١٠٣ .
- (٨٦) كيف وقع الاغتيال، مجلة صوت الطليعة، العدد العاشر، السنة الثالثة، تموز ١٩٧٥، ص٨٥ .
- (٨٧) بندر، الخط الرفيع، في مقتل الملك فيصل، مجلة صوت الطليعة، العدد العاشر، السنة الثالثة، تموز ١٩٧٥، ص١٤-١٥ .
- (٨٨) ابو تائر، الشهيد فيصل بن مساعد، مجلة صوت الطليعة، العدد الحادي عشر، تشرين الثاني ١٩٧٥، ص٥١ - ٥٢ .
- (٨٩) يذكر ان الامير فيصل بن مساعد اخذ جانباً من الافكار الثورية عن طريق صديقه الامريكية كرسيتين سورما اثناء دراسته في جامعة كولورادو الامريكية، انظر : محمد جلال كشك، محضر تحقيق، المصدر السابق، ص ٧ .
- (٩٠)الكسي فاسليف، الملك فيصل، شخصية عصره وايمانه، بيروت، دار الساقى، الطبعة الاولى، ٢٠١٢، ص٣٣٦ .
- (٩١)ان الامير فيصل شخصية متناقضة في افكاره وسلوكه، انظر : محمد جلال كشك، تحقيق، المصدر السابق، ص٥ .
- (٩٢) خالد الفيصل، مسرد تاريخ الفيصل، الرياض، مركز الملك فيصل ٣٥ للبحوث والدراسات الاسلامية، ط٢، ٢٠٠٨، ص٤٣ .
- (٩٣)ملف العالم العربي، ١٩٧٥، المجلد الاول، تموز - كانون الثاني، ص١٣٣ .
- (94)w . Blling , king faisal and the modern Isation of Saudi Arabia westivew , London , 1980 p.188 .
- (٩٥) اغتيال الملك فيصل ام بداية اغتيال النظام، مجلة الطليعة العربية، عدد خاص بمناسبة مقتل الملك فيصل، نيسان ١٩٧٥، ص٣ .

أثر التقنيات الحديثة في الأدلة الجنائية

دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون

أ.م.د. سلام محمد علي
الجامعة العراقية / كلية القانون

ملخص البحث

إن لتجدد الحوادث الاجتماعية الناتجة عن التطورات العلمية والتكنولوجية تأثير عظيم في كثير من المسائل الفقهية، مما يستوجب النظر فيها، والاجتهاد في حكمها من جديد، وفق التقنيات والتطورات العلمية المعاصرة في شتى المجالات.

وليس من الصواب بحث دراسة المسائل الفقهية الاجتهادية بمعزل عن الواقع والمستجدات المعاصرة ؛ وذلك لأن التقنيات الحديثة قد أثرت تأثيراً بالغاً في الكثير من المسائل الفقهية التي ذكرها الفقهاء - رحمهم الله - ، الامر الذي ادى الى دراسة المسائل دراسة موضوعية معاصرة تتناسب مع التطور الحاصل في التقنيات، مما لا يخل بالنتيجة النهائية بالضوابط التي اعتمدها العلماء رحمهم الله تعالى .

ومع التقدم الحاصل في التقنيات الحديثة والمخترعات العصرية الجديدة، ظهرت حلول أخرى مناسبة لكثير من المسائل الفقهية الخلافية متوافقة مع معطيات العصر، فكان لا بد من إعادة دراسة بعض تلك المسائل مرة أخرى.

ثم إن تغير الأحكام بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال ليس تغيراً في أحكام الشريعة ونصوصها، إنما هو رجوع العوائد إلى مستنداتها الشرعي، وكان السبب في اختياري للموضوع هو محاولة للاستفادة من التقنيات المعاصرة والحديثة في تبيان الاحكام الشرعية وفي كل الابواب الفقهية واخترت جزئية من باب الجنائيات هي الأدلة

الجنائية وذلك لاحتياجه للتقنيات الحديثة والمعاصرة في اثبات الجرائم ثم مقارنتها بالدراسات القانونية الوضعية .

هذا وكان بحثي من مقدمة وخمسة مباحث، والخاتمة توضح أهم النتائج.

Abstract

The renewed social incidents resulting from scientific and technological developments great effect in many doctrinal issues, which requires consideration, and diligence in its judgment of new, according to contemporary technologies and scientific developments in various fields.

And not right to discuss the study of doctrinal issues discretionary isolation from reality and contemporary developments; and because new technologies have had a significant impact in many doctrinal issues mentioned by scholars - mercy of God -, which led to the study of issues of contemporary objective study commensurate with the evolution in technology , which does not prejudice the final outcome of the regulations adopted by the scientists that the Almighty God have mercy on them.

With the advances in modern technology and modern new inventions, another occasion for many of the doctrinal issues of contention emerged solutions compatible with the requirements of the times, it had to be re-examined some of these issues again.

The provisions then change according to the changing times and places and circumstances is not a change in the provisions of the law and its provisions, but it is a return to the basis thereof legitimate returns The reason for optional theme is to try to take advantage of contemporary and modern techniques in demonstrating legal provisions in all doors jurisprudence partial and choose from the door of the criminal is criminal evidence because it needed modern and contemporary techniques to prove the crimes and then compare them legal studies position.

This was a research of an introduction and five sections, and conclusion describes the most important results.

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

إن لتجدد الحوادث الاجتماعية الناتجة عن التطورات العلمية والتكنولوجية تأثير عظيم في كثير من المسائل الفقهية، مما يستوجب النظر فيها، والاجتهاد في حكمها من جديد، وفق التقنيات والتطورات العلمية المعاصرة في شتى المجالات.

وليس من الصواب بحث دراسة المسائل الفقهية الاجتهادية بمعزل عن الواقع والمستجدات المعاصرة؛ وذلك لأن التقنيات الحديثة قد أثرت تأثيراً بالغاً في الكثير من المسائل الفقهية التي ذكرها الفقهاء - رحمهم الله -، الأمر الذي أدى إلى دراسة المسائل دراسة موضوعية معاصرة تتناسب مع التطور الحاصل في التقنيات، مما لا يخل بالنتيجة النهائية بالضوابط التي اعتمدها العلماء رحمهم الله تعالى.

ومع التقدم الحاصل في التقنيات الحديثة والمخترعات العصرية الجديدة، ظهرت حلول أخرى مناسبة لكثير من المسائل الفقهية الخلافية متوافقة مع معطيات العصر، فكان لا بد من إعادة دراسة بعض تلك المسائل مرة أخرى.

ثم إن تغيير الأحكام بحسب تغيير الأزمنة والأمكنة والأحوال ليس تغييراً في أحكام الشريعة ونصوصها، إنما هو رجوع العوائد إلى مستنداتها الشرعي، كما أشار إلى ذلك الإمام الشاطبي - رحمه الله - بقوله: (أن ما جرى ذكره هنا من اختلاف الأحكام عند اختلاف العوائد فليس في الحقيقة باختلاف في أصل الخطاب لأن الشرع موضوع على أنه دائم أبدي لو فرض بقاء الدنيا من غير نهاية والتكليف كذلك لم يحتج في الشرع إلى مزيد وإنما معنى الاختلاف أن العوائد إذا اختلفت رجعت كل عادة إلى أصل شرعي يحكم به عليها).^(١)

وليست كل الأحكام تتأثر بتغير الزمان والمكان والعرف والعادة، فالأحكام نوعان كما يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله : (الأحكام نوعان نوع لا يتغير عن حالة واحدة هو عليها لا بحسب الأزمنة و الأمكنة، ولا اجتهاد الأئمة كوجوب الواجبات وتحريم

المحرمات والحدود المقدرة بالشرع على الجرائم ونحو ذلك، فهذا لا يتطرق إليه تغيير ولا اجتهدا يخالف ما وضع عليه .

والنوع الثاني ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زمانا ومكانا وحالا كمقادير التعزيرات وأجناسها وصفاتها فإن الشارع ينوع فيها بحسب المصلحة^(٢).
ثم إن تغيير الأحكام لم يكن مقصوراً على تغيير الأزمان واختلاف العصور فقط، وإنما قد يكون ناشئاً عن اكتشاف تقنيات حديثة، اقتضتها أساليب الحياة في هذا العصر. فحدوث التكنولوجيا في جميع المجالات يقتضي أن تتغير بعض الأحكام الاجتهادية؛ لتتفق مع متطلبات العصر، وتساير مصالح الناس؛ وذلك أن المتغير من الأحكام هو الذي نشأ عن اجتهدا، فهو نتاج العقول وبالتالي فهو يتبع الأحوال المتجددة.

ثم إن تبدل الفتوى لا يعني تغيير القديم، وإحلال غيره من المستجدات محله، ولا يعني التجديد ومسايرة العصر تحكيم الهوى، وإنما يعني العودة إلى أصول الشريعة، وقواعدها الثابتة التي ترمي إلى إحقاق الحق، وإرساء العدل والإنصاف في كل الأزمنة والأمكنة والأحوال والعصور.

وكان السبب في اختياري للموضوع هو محاولة للاستفادة من التقنيات المعاصرة والحديثة في تبيان الاحكام الشرعية وفي كل الابواب الفقهية واخترت جزئية من باب الجنائيات هي الأدلة الجنائية وذلك لاحتياجه للتقنيات الحديثة والمعاصرة في اثبات الجرائم ثم مقارنتها بالدراسات القانونية الوضعية .

هذا وكان بحثي من مقدمة وخمسة مباحث

اما المقدمة فذكرت فيها اهمية الموضوع وسبب اختياري له

اما المبحث الأول فكان بحثا تمهيديا وتعريفيا بالمصطلحات الواردة في عنوان البحث

اما المبحث الثاني فكان تحت عنوان إثبات الجرائم بواسطة التسجيل الصوتي

أما المبحث الثالث فكان تحت عنوان إثبات الجرائم بواسطة التصوير

أما المبحث الرابع فكان تحت عنوان البصمات وأثرها في إثبات الجرائم

أما المبحث الخامس فكان تحت عنوان إثبات القتل بالتحليلات المختبرية

ثم الخاتمة والمصادر والمراجع

المبحث الأول تمهيد

أولاً تعريف الأثر :-

تعريف الأثر في اللغة

الأثر مصدر الفعل الثلاثي أثر والآثار جمع الأثر .

الأثر بالفتح في لغة العرب يطلق على عدة معان منها :-

بقية الشيء: كقولهم سمنت الناقة على أثره أي بقيت شحمها .

العلامة: ومنه قوله تعالى: ﴿أَوَأَنْتُمْ مِّنْ عَلِيمَانِ كُنْتُمْ مَّصِدِّقِينَ﴾^(٣)

الخبر: ومنه قوله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ

مُبين﴾^(٤).

الأجل: ومنه قول الرسول ﷺ "من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره

فليصل رحمه".^(٥)

وأثر الشيء حصول ما يدل على وجوده، والجمع آثار قال تعالى ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ

ءَاثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُخْرِجُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾^(٦).

والتأثير: إبقاء الأثر في الشيء، يقال: أثر في الشيء تأثيراً إذا ترك فيه أثراً^(٧)

وهكذا يتضح إن كلمة الأثر في اللغة لها معان كثيرة : منها الخبر والعلامة

وبقية الشيء، والمعنى المناسب فيها بقية الشيء وأثره.

تعريف الأثر في الفقه الإسلامي:

الأثر عند الفقهاء هو ما يترتب على الشيء وهو المسمى بالحكم^(٨).

الأثر له ثلاثة معان : الأول بمعنى النتيجة وهو الحاصل من شيء، والثاني

بمعنى العلامة، والثالث بمعنى الجزء^(٩).

قال ابن نجيم : وحكم الشيء ما يثبت بالشيء ويصير أثراً مرتباً عليه^(١٠)

فمثلاً يقولون في تعريف العقد: ارتباط إيجاب بقبول على وجه مشروع يظهر

أثره في المحل^(١١).

وهذا الأثر هو انتقال المعقود عليه إلى المشتري في عقد البيع مثلاً - وانتقال الثمن إلى البائع وهذا في الواقع الحكم الذي نتج وترتب على ذلك العقد^(١٢).

وبعد تعريف الأثر في اللغة وعند الفقهاء، يمكن إن يقال في تعريف الأثر: هو حاصل الشئ ونتيجته المترتبة عليه، وبهذا يظهر الارتباط الواضح بين التعريف اللغوي والفقهى للأثر.

تعريف الأثر في القانون

أما تعريف الأثر في القانون فإن المشرع لم يتعرض لبيان حقيقة الأثر وإن كان يفهم من نصوص القانون وخلال كتابات شراحه أنهم يقصدون بالأثر ما يترتب على الشئ من أحكام تتعلق بتنفيذه .

أما قانون الإثبات والقانون الجنائي فلم يعرفا الأثر، وعلى هذا فالمقصود بالأثر: إثبات الجرائم ، والأحكام والنتائج التي تترتب على قبول البينة كدليل إثبات يرقى إلى ترتيب قرار الإدانة في الجرائم^(١٣).

ثانياً : تعريف التقنية :

التقنية لغة : التقنية مأخوذة من اتقان الشيء: أي إحكامه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾^(١٤) ومعناه أحسن كل شيء، والإتقان: الإحكام ، يقال رجل أتقن : أي حاذق بالأشياء، ويقال لكل حاذق بالأشياء : تقن.^(١٥)

عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((ان الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه))^(١٦) أي يحكمه ويحسنه .^(١٧)

التقنية اصطلاحاً : استخدام التكنولوجيا الاستخدام الامثل في مختلف مجالات العلم والمعرفة من خلال معرفتها وتطبيقها وتطويرها لخدمة الانسان ورفاهيته^(١٨)

وتعرفها منظمة الاقطار العربية المصدرة للبرترول (التقنية : مصطلح شامل يعني: استخدام كل ما يتوصل إليه التقدم العلمي في مختلف المجالات، وعلى كافة الجوانب التي ترتبط بتنظيم وإدارة وتشغيل العملية الانتاجية، أو الخدمة ككل متكامل في أي من القطاعات الاقتصادية، أو الخدمة في مجتمع ما).^(١٩)

والمراد من أثر التقنية : ما يترتب من نتائج وأحكام على الأخذ بالتقنية في مجال الأحكام الشرعية التي اختلفت فيها أنظار الفقهاء، والتي يمكن معرفتها، أو علاجها، أو تغييرها بواسطة التقنية الحديثة. (٢٠)

ثالثاً : تعريف الإثبات :-

الإثبات في اللغة مأخوذ من ثبت الشيء ثبوتاً، أي: دام واستقر، وثبت الأمر بنفسه، أي: عرفه حق المعرفة وأكّده بالبيّنات. فمادة (ثبت) تفيد المعرفة والبيان والدوام والاستقرار، والمصدر: ثبات وثبوت وثبت، وأثبت حجته: أقامها، وعلى هذا فالإثبات في اللغة: إقامة الحجة على أمر ما. (٢١)

الإثبات في الاصطلاح : ويؤخذ من كلام الفقهاء أنّ الإثبات: إقامة الدليل الشرعي أمام القاضي في مجلس القضاء على حق أو واقعة من الوقائع. (٢٢)

واستعمل الفقهاء الإثبات بمعناه اللغوي، وهو إقامة الحجة، غير أنه يؤخذ من استعمالهم أنهم يطلقونه على معنيين خاص وعام:

فقد يطلقونه ويريدون به معناه العام، وهو إقامة الحجة مطلقاً سواء أكان ذلك على حق أم على واقعة، وسواء أكان أمام القاضي أم أمام غيره، وسواء أكان عند التنازع أم قبله، حتى أطلقوه على توثيق الحق وتأكيد عند إنشاء الحقوق والديون، وعلى كتابة المحاضر والسجلات والدعاوى عند الكاتب العدل.

وقد يطلقون الإثبات ويريدون به معناه الخاص، وهو: إقامة الدليل أو الحجة أمام القضاء، بالطرق التي حدّتها الشريعة، على حق أو واقعة تترتب عليها آثار شرعية. (٢٣)

والإثبات في القانون لا يخرج في تعريفه ومعناه عما ورد في الشريعة.

وقد عرّفه الدكتور السنهوري بقوله: (هو إقامة الدليل أمام القضاء بالطرق التي حدّدها القانون على وجود واقعة قانونية ترتبت عليها آثارها). (٢٤)

والدليل له عدّة استعمالات منها أنّ كل وسيلة مستعملة للدفاع ولإظهار وجود فعل مدّعى به ومُنكر من الخصم فهو دليل. والقانون لم يُبَحّ التمسك بأي دليل، وإنما حدّد

طرق الإثبات، وعيّن مجال كل طريق من الطرق وحدودها التي يجوز فيها الإثبات. (٢٥)

والمقصود من الإثبات وصول المدعي إلى حقه، أو منع التعرض له فإذا أثبت دعواه لدى القاضي الشرعي وتبين أن المدعى عليه مانع حقه أو متعرض له بغير حق يمنعه القاضي عن تمرده في منع الحق ويوصله إلى مدعيه (٢٦)

المبحث الثاني

إثبات الجرائم بواسطة التسجيل الصوتي

يقصد بالتسجيل الصوتي تسجيل الأصوات باستعمال أجهزة التسجيل المستخدمة في تسجيل الصوت وحفظها ويمكن سماعها فيما بعد في أي وقت.

فهل يعد التسجيل الصوتي دليل إثبات في حق المدعى عليه ؟

بمعنى أنه إذا تم تقديم تسجيل على شخص يعترف فيه بأنه قد سرق أو شرب الخمر أو فعل فاحشة هل يقام عليه الحد بناء على هذا التسجيل؟ هذا ماسنبيته في هذا المبحث .

وتعد حاسة السمع من الحواس القوية ومع اختلاف القدرات السمعية لدى البشر، إلا أن لبعض الأفراد قدرة فائقة في النقاط الأصوات بدقة متناهية وتمييزها، وحفظها في ذاكراتهم، كما وللأصوات فائدة مهمة في معرفة وتحقيق الشخصية ويمكن التعرف على شخص ما من خلال صوته نظراً للاختلاف في بناء الجهاز الصوتي من شخص لآخر ، فهناك اختلافات على صعيد البناء التشريحي للجهاز التنفسي والحنجرة والحنبال الصوتية والبلعوم وتجويف الفم والأنف، لذا فإن للصوت علاقة وثيقة بالجرائم والحوادث فقد تكون الأصوات وسيلة من الوسائل التي ترتكب بها الجرائم كالتهديد أو الابتزاز عبر وسائل الاتصال المختلفة، وفي الجرائم المنظمة وجرائم الاشتراك تكون الأصوات وسيلة ملازمة لجميع مراحل الإعداد والتحضير والتنفيذ وخاصة في الحالات التي لا يظهر فيها رؤساء العصابات . لذا تلجأ الجهات الأمنية إلى التعرف على هوية أولئك الجناة من خلال التعرف على نغمة الصوت التي قد تنطبع في ذهن وأذن بعض من سمعه إلا أن هذا الانطباع لنغمة الصوت قد لا يصلح دليلاً لإدانة الأشخاص إلا أنه يساعد في الاهتمام إلى الحقيقة الضائعة والمنشودة ؛لأن تشابه

الأصوات وطريقة الكلام بين الأشخاص أمر محتمل بصورة كبيرة جداً إن الأسس العلمية التي يستند إليها التحليل الجنائي للصوت قد تم توسيعها بعمق عبر الأبحاث التي قام بها اختصاصيون في علم اللغة والأصوات، وتوصلت الدراسات والتقنيات الحديثة باكتشاف المميزات التشريحية لكل فرد في السمات الصوتية والنطقية ومعرفة الخط البياني للصوت ويمكن من خلال هذه التقنية تحديد الشخصية والجنس واكتشاف التمويه والتقليد في الأصوات . (٢٧)

وتقوم فكرة الاستعانة بالتسجيل الصوتي في التعرف على الجناة هو أن لكل إنسان صوت يمتاز بخصائص تميزه عن غيره من الأصوات أي أن لكل شخص مهما كانت أوجه الشبه بينه وبين الآخرين إلا أن هناك الكثير من الصفات التي يتفرد بها عن غيره، سواء كان في النطق أو في الشكل أو في الفعل، وبناء عليه قد يتوافق شخصان في نطق بعض الحروف إلا أنه لا بد وأن يختلفا في نطق البعض الآخر (٢٨)

وقد بين المختصون في علم الأصوات الكيفية التي تصدر بها الأصوات، يصدر الرنين الصوتي، لإخراج الهواء من الرئتين عن طريق القصبة الهوائية، مما يؤدي إلى اهتزاز الحبال الصوتية، فتعطي هذه الحبال الصوتية وهي تهتز موجه صوتية معقدة، تحتوي على التردد الصوتي الجوهري الذي يضاف إليه نغمات متوافقة، وعند مرور هذه الموجه الصوتية المعقدة بالبلعوم، ثم بفجوات الفم، والأنف تتسرب بعض الترددات الصوتية، بينما يظل البعض الآخر دون أن يتأثر بأي شيء، فإذا تغير حجم ونطاق أحد هذه التجويفات الواقعة على طريق الصوت، فإن الموجه الصوتية تتسرب بطريقة مختلفة، وينتج عندها حينئذ رنين مختلف يمكن لهذه التجويفات التي تحدث الصوت أن تتغير بسهولة تبعاً للأوضاع الممكنة المختلفة لعناصر النطق : للسان - الأسنان - الشفتين - اللهاة (٢٩)

ولذلك فإن خبراء الأصوات يعملون إلى الاستماع إلى أكثر من تسجيل، وأن يكرروا الاستماع إلى التسجيلات الصوتية أكثر من مرة ؛ لأن التكرار لاستماع الصوت يقدم بياناً مختلفاً، بحيث لا يمكن لشخص واحد أن ينطق بجملته واحدة مرتين

بصورة متطابقة، ويمكن الافادة من هذه التكريرات في تحديد السمات المميزة للصوت، وهذا الاختلاف في النطق يكون أكثر تباينا عند تعدد الأشخاص (٣٠)

ولا يكتفي خبراء علم الأصوات بالاستماع إلى البيانات المسجلة معتمدين على قدراتهم السماعية فحسب، بل يستعينون بجهاز يعمل على تحليل الموجات الصوتية إلى ذبذبات خطية منظرية لتلك الموجات، ويطلق على هذا الجهاز اسم (جهاز الطيف السماعي) الذي كانت أول صناعة له من قبل شركة (Bell Telephon) بالتعاون مع وزاره الدفاع الامريكية عام ١٩٤١ م إلا أنه لم يستعمل بصفة قانونية قبل عام ١٩٦٠م، حين تفشت ظاهرة الإنذارات الموجهة إلى شركات الطيران بمدينة نيويورك عن وجود قنابل

على متن الطائرات . (٣١)

وتشير الدراسات العلمية إلى انه تم استخدام هذه الطريقة، وأثبتت نجاحاً باهراً في التعرف على هوية الأشخاص بواسطة البصمة الصوتية بنسب عالية جداً (٣٢)

المطلب الأول: الجانب التقني للتسجيل الصوتي

لمعرفة الجانب الفني للتسجيل يحتاج فيه الى الوقوف على قول الخبراء في هذا المجال فانهم يذكرون ان عمليات التسجيل على الشرائط الممغنطة لا تسلم غالبا من التعديل والتبديل للمحتوى، بقصد اخفاء الحقائق والوقائع، وان هذه التعديلات لا يمكن اكتشافها بسهولة، خاصة إذا أعيد تسجيل الشريط المعالج مرة أخرى، بحيث يكون سالماً من أي عبث. (٣٣)

وحتى لو تم الاستعانة بأجهزة تحليل الطيف السمعي، فإن الخبراء في علم الاصوات واللغات يذكرون أنه مازال يخيم على هذه الطريقة نوع من الشك، فالكثير من الخبراء يعتقدون أن طريقة التعرف على الشخصية عن طريق بصمة الصوت لم تثبت بالقدر الكافي، بحيث تكون مقبولة لدى الجهات القضائية، ويرجع السبب في ذلك الى أن الصوت المسجل لا يعطينا تصوراً دقيقاً للصوت الحقيقي، نظرا لما يحيط بعملية التسجيل من ظروف تؤثر على عمل أجهزة التحليل السمعي، كأن يكون الجهاز الذي تم التسجيل به فيه عطب، أو عطل فني ادى الى بطء التسجيل، أو سرعته، أو تضخيم

الصوت، أو تزيقه، أو ربما يكون المكان الذي جرى فيه التسجيل مليء بالضوضاء الناتجة عن أصوات الأشياء المحيطة بالشخص صاحب الصوت، وكل هذه الظروف تؤدي إلى عدم الدقة في تشخيص الصوت بصورة دقيقة . (٣٤)

وعلى فرض سلامة التسجيل من أية مؤثرات خارجية فإن الخبير في علم الأصوات يحتاج إلى تسجيل الصوت المشتبه به لمقارنته بالتسجيل المجهول إلا أننا نجد أن المشتبه به غالباً ما يحاول تغيير نبرة صوته، أو طريقة نطقه لبعض الحروف بقصد التضليل .

ويؤكد أهل الاختصاص أنه إذا توافقت الصوت المسجل مع صوت المشتبه به، فإن هذا التوافق لا يتجاوز في الإثبات حد التجريح، وإن كان يعزز أدلة أخرى، ويتكون منه مع هذه الأدلة يقين المحكمة. (٣٥)

وتأسيساً على ما سبق يمكن القول أن التسجيل الصوتي لا يصلح دليلاً لإثبات الأقوال، وإن كان دليلاً في النفي وذلك لما يأتي :

١- إن الاعتماد على البصمة الصوتية في مجال التعرف على هوية الأشخاص نتائجها ظنية ولا تصل إلى درجة القطع .

٢- إن الغالب في عمليات التسجيل لا تنسم بالدقة والتقنية العالية، وإنما تجري في ظروف يشوبها الكثير من الخلل، كأن يكون التسجيل تم باستخدام أجهزة غير دقيقة، أو أن يكون المكان الذي جرى فيه التسجيل غير سالم من أي مؤثر صوتي خارجي، مما يسبب إحداث ضوضاء تؤثر في دقة التحاليل الطيفية لأجهزة الحاسوب، وهذا بحد ذاته شبهة لا تقوى على إدانة المشتبه به.

٣- إن الظن الذي يعتري وسيلة التسجيل الصوتي لا تمنع من الأخذ بها كقرينة يمكن الاعتماد عليها كمؤيدات لتوجيه الاتهام للمشتبه فيهم مما قد يؤدي إلى إقرارهم تحت تأثير هذه التسجيلات السرية . (٣٦)

المطلب الثاني: الحكم الشرعي لإثبات الأقوال بالتسجيل الصوتي

لا توجد في كتب الفقه الإسلامي مسألة حكم حجية التسجيل الصوتي في الأدلة الجنائية، لأن التسجيلات الصوتية نتاج التطور العلمي الحديث، إلا أنه يمكن استنباط حكم في مثل هذه المسألة بناء على ما جاءت به مقاصد الشريعة الإسلامية .

إن إثبات جرائم الحدود والقصاص والتعازير بواسطة التسجيلات الصوتية، لا يعد دليلاً مستقلاً لإدانة من قُدمت ضده التهم، وذلك لأن هذه التسجيلات تنطرق إليها احتمالات التزوير عن طريق وسائل التعديل والحذف والإصلاح في شرائط التسجيل، وهو ما يسمى (بالمونتايج)، وهذه شبهة تدرأ إقامة الحد حسب قاعدة (الحدود تدرأ بالشبهات) (٣٧)

وتعد عملية تسجيل المحادثات الهاتفية من الأدلة الحديثة المستخدمة في الإثبات، أو النفي فإن كان استعماله من قبل سلطة التحقيق لجمع المعلومات عن المتهم، فذلك جائز ؛ لأنه في مصلحة التحقيق.

أما إن كان من غير جهة التحقيق، فإن كان مكان عام كالمحاضرات والندوات، فلا بأس باعتبار الإذن العام، أما إن كان في مكان خاص لا يسمح فيه التسجيل، فلا يجوز لأنه من باب التجسس المنهي عنه والدليل المستحدث من التسجيل الصوتي يعد قرينة ضعيفة لإدانة المتهم بموجبها، لوجود التشابه في الأصوات وإمكانية تقليدها وإحداث تغيير فيها بحذف أو تقديم وتأخير وهذا خلاف مقاصد الشرع فلا يعتمد عليه في مجال الإثبات والنفي، ويمكن الاستعانة به لتقوية التهمة .

وأحكام الشرع تبنى على أمور ثابتة لا تحتل الخطأ حفاظاً على دماء الناس وأموالهم وأعراضه . (٣٨)

ويمكن للقاضي الاستفادة من هذه القرينة عند الحاجة إليها متى وجد إلى ذلك سبيلاً، خاصة في القضايا التي يقوى فيها جانب التسجيل الصوتي ومنها :المجالات الجنائية المتعلقة بكشف الجريمة وتشخيص مرتكبيها. (٣٩)

فرع / حكم التجسس في الشريعة الإسلامية :

إن الشريعة الإسلامية قد حمت خصوصيات الفرد من الناحية الإجرائية، وذلك باعتبار هذه الإجراءات جزءاً مكملاً للعقوبات في الفقه الإسلامي، ويتمثل ذلك في حماية سرية المراسلات، وحماية الفرد من استعمال القسوة والعنف في الاستجواب، حماية الفرد من التعسف في التفتيش، حماية الفرد من الوسائل التي تؤثر على عقل الإنسان، أو تكشف عن دروب الشخصية (٤٠)

وورد النهي عن التجسس وتتبع عورات المسلمين بأي وسيلة من الوسائل، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ (٤١)، وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : ((إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخواناً)) (٤٢)

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تتبع عورات الناس، فقد روى أنه قال ((إنك إن تتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم)). (٤٣)

و يقصد بالتجسس في لسان اللغة : تتبع الاخبار والتفتيش عن بواطن الامور، و البحث عن العورات، والتتقيب عن امور معينة يراد الحصول عليها. (٤٤) ومنه سمي الجاسوس؛ لأنه يتتبع الاخبار ويفحص عن بواطن الأمور، ثم أستعير هذا المعنى لنظر العين. (٤٥)

أما التحسس : فهو طلب الخبر والبحث عن الاستماع الى حديث القوم (٤٦)، تقول احسست الخبر : أي عرفته وعلمته. (٤٧)

أما في الاصطلاح فهو الاستماع لحديث القوم وطلب خبرهم بالخير. (٤٨) قال الخطابي : معنى (لا تحسسوا) : لا تبحثوا عن عيوب الناس ولا تتبعوها، حاكيا عن يعقوب عليه السلام، قوله تعالى: ﴿يَبْقَىٰ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُّوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ (٤٩)(٥٠) ومن تأمل نصوص الشريعة يعلم أن التحسس والتجسس مما نهى عنه نهياً قطعياً، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ (٥١)

فنهى الله تعالى عن التجسس، وتتبع عورات المؤمنين والتجسس عن عيوبهم، بل أمر بالستر على أهل المعاصي مالم يظهر منهم ضرر، وقد اقتضى ذلك النهي عن تحقيق المظنون وعن اظهاره. (٥٢)

وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعنى، ففي الحديث عن ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((اياكم والظن فإن الظن اكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخواناً)) (٥٣)

قال الحافظ ابن حجر قوله (ولا تجسسوا)، أن الشخص يقع له خاطر التهمة التي لا سبب لها كمن يتهم رجلاً بالفاحشة من غير أن يظهر عليه ما يقتضيها، فنهى عن ذلك وهذا الحديث يوافق قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾، فدل سياق الآية على الأمر بصون عرض المسلم غاية الصيانة لتقدم النهي عن الخوض فيه بالظن، فإن قال الظان ابحت لأتحقق قيل له (ولا تجسسوا)، فان قال : تحققت من غير تجسس قيل له (ولا يغتب بعضكم بعضاً). (٥٤)

وعن المقدم بن معدي كرب وأبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((أن الامير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم)) . (٥٥)

وقال أبو قلابة : حدث عمر بن الخطاب رضي الله عنه إن أبا محجن الثقفي يشرب الخمر في بيته هو واصحاب له، فانطلق عمر حتى دخل عليه، فاذا ليس عنده إلا رجل فقال ابو محجن : يا أمير المؤمنين إن هذا لا يحل لك، قد نهى الله عن التجسس فقال عمر: ما يقول هذا ؟ فقال له زيد بن ثابت وعبد الرحمن بن الارقم صدق يا امير المؤمنين، هذا من التجسس قال : فخرج عمر وتركه. (٥٦)

وتأكيداً لحرمة التجسس ومنعاً من استراق السمع، أو البصر جعل النبي صلى الله عليه وسلم ما يلحق المطلع على بيت قوم خفية من أذى، أو جراحة فهي هدر، فعن سهل بن سعد قال : اطلع رجل من حجر في حجر النبي صلى الله عليه وسلم، ومع النبي صلى الله عليه وسلم مدرى يحك به راسه فقال : (لو اعلم أنك تنظر لطحنت به في عينك إنما الاستئذان من أجل البصر). (٥٧)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من اطلع في بيت قوم في غير اذنهم فقد حل لهم أن يفتنوا عينيه))^(٥٨)

والظاهر من النصوص والاثار السابقة، أن وجه الحرمة في التجسس، هو المحافظة على عورات المسلمين وأعراضهم من أن تنتهك، لأي سبب أو لمجرد الظن ؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد أمر بالستر، وعدم الاشهار بمرتكب المعصية والمنكر، كي يكون ذلك من الدوافع المعينة على سلوك طريق التوبة .

وبذلك يكفل التشريع الاسلامي لأفراد المجتمع الأمان والطمأنينة في ممارسة شؤون حياتهم الخاصة، مما يكون له الأثر البالغ في التفاعل المثمر والجاد بين أفراد، لتحقيق المصالح المرجوة والانتقال بهذا المجتمع إلى أعلى درجات الرقي الحضاري. إلا أن هذه الحرية قد تعثر بها شائبة وتستغل استغلالاً سيئاً من قبل بعض الأفراد، لقصد تحقيق اغراض غير مشروعته، فيقع الإفساد في المجتمع وتنتشر أسباب الرذيلة وتعدى على حدود الله وحرماته وحقوق الآخرين.

ومن هنا استثنى الفقهاء هذه الحالة من عموم الحكم الشرعي الوارد في النهي عن التجسس والتجسس وقالوا بجواز التجسس على من ظهر فساد ومكره واشتهر بذلك أو غلب على الظن استمراره على المعاصي والمنكرات بناء على قرائن وأمارات ظاهره أو بإخبار الثقات وكانت هذه المعاصي والمنكرات مما لو تركت لفات استدراكها بعد وقوعها فجاز والحالة هذه للحاكم أو من ينوب عنه دون غيره أن يتجسس وأن ينتهك حرمة الستر الذي يتخفى وراءه أولئك المفسدون .^(٥٩)

ومما يدل على ذلك ما كان من شأن المغيرة بن شعبه فقد روي انه كان تختلف إليه بالبصرة امرأة من بني هلال يقال لها ام جميل بنت عمرو وكان لهل زوج من ثقيف يقال له الحجاج بن عتيك فبلغ ذلك ابي بكر وشبل بن معبد ونافع بن الحارث وزباد بن عبيد فرصدوه حتى إذا دخلت عليه هجموا عليهما وكان من امرئهم في الشهادة عليه عند عمر رضي الله عنه ما هو مشهور فلم ينكر عليهم عمر رضي الله عنه هجومه وأن كان حدهم القذف عند قصور الشهادة.^(٦٠)

وذهب الفقهاء إلى القول بتحريم التجسس والتحسس أو التفتيش إلا في الأحوال المرخص بها شرعاً، وتحريم التجسس والتفتيش قد ترتب عليه أنه ليس لأي إنسان فرداً كان أو حاكماً أن يسترق السمع أو أن يتجسس على الغير ليعرف ما يخفيه، والأحاديث في النهي عن التجسس وتتبع العورات كثيرة جداً ولها تطبيقات ووقائع عديدة جرت مع الخلفاء الراشدين^(٦١)

ومن خلال هذا العرض السابق يتضح أن الشريعة الإسلامية قد اعترفت بحق الخصوصية منذ اكتمال الرسالة، بل إن هذا الحق يمثل عنصراً أساسياً في منهجيتها، ومن الآداب العامة التي تحرص الشريعة على ضمانها وحمايتها^(٦٢)

ويستثنى من هذا الأصل الثابت بحرمة التجسس تحقيقاً لأعظم المصلحتين ودرءاً لأعظم المفسدتين، جواز التجسس والتصنت في بعض الحالات التي تتحقق فيها المصلحة الأعظم، بحيث لا يمكن تداركها إلا بذلك الفعل، وإلا بقي العمل بالحكم الأصلي الذي دلت عليه النصوص الشرعية، فللحاكم أن يتجسس على رعيته إذا كان في ترك التجسس انتهاك حرمة يفوت استدراكها، مثل أن يخبره من يثق بصدقه أن رجلاً خلا برجل ليقته ظملاً، فيجوز له في هذه الحالة، ويقدم على الكشف والبحث حذراً من فوات استدراك انتهاك المحارم وارتكاب المحظورات^(٦٣)

المطلب الثالث: حكم القانون الوضعي في استعمال التقنية الحديثة في التسجيل الصوتي

يحظر القانون استخدام الوسائل الفنية للتصنت والمراقبة، أو التقاط صور الأشخاص في مساكنهم، وذلك من أجل حماية حقوق المواطنين الشخصية، وهو المنهج الذي اتبعته الجمعية الوطنية الفرنسية عام ١٩٧٠، وقانون العقوبات المصري (م ٣٠٩ مكرر/ ٣٧ لسنة ١٩٧٢)، وفي الولايات المتحدة صدر قانون الاتصالات الفيدرالي ليحظر التسجيل على الأشرطة للأحاديث التليفونية، ومما امتازت به الشريعة في نطاق جريمة استراق السمع والبصر أنها لم تحدد العقوبة لهذا النوع من الجرائم، كما أنها تركت تكيفها لولي الأمر حسب المصلحة، وما يفرزه العصر من مستجدات، فضلاً عن أن هناك ميزة أخرى تمتاز بها الشريعة الإسلامية على الفكر القانوني، أنها اعتبرت التصنت جريمة موجبة للتعزير بصرف النظر عن الوسيلة التي تتم بها

الجريمة، كالأذن أو الوسائل العلمية الحديثة ولجريمة إفشاء الأسرار، والتهديد بذلك صلة وثيقة بين الإفشاء والتهديد، فالإفشاء هو القيام بإذاعة ما هو سر لمن ليس لهم حق في الاطلاع عليه، أو أن تتاح الفرصة لهذا عن عمد، وعنصر العمد في الإفشاء ضروري جداً، مثلاً قد تتوافر أركان الخطأ القانوني إذا كان الإفشاء قد جاء نتيجة التسرب والشيوع، أو الغفلة أو الإهمال أو التقصير، ولكن الجريمتين تشتركان في كيفية إثبات القصد والنية من التصرف .

وغالبية الفقه تدرج جريمة الإفشاء أو التهديد في الباب الخاص بالجرائم الخاصة بحرية الإنسان وحرمة كما في قانون العقوبات العراقي رقم ١١١ لسنة ١٩٩٩ المادة ٣٢٦ — ٣٢٨ وقانون العقوبات المصري رقم (٣٧/ ١٩٧٢) المادتين ٣٢٧، ٣٠٩ مكرر/ أ، إضافة إلى أن القانون الإيطالي يدرج هذه الجريمة تحت الجرائم الماسة بالحرية الشخصية (م ٦١٢)، وكذلك (م ٢٦٠ من قانون العقوبات الدنماركي) (٦٤) مما ذكر يتضح جواز استعمال التسجيل الصوتي وأجهزة الإنصات، ومراقبة المكالمات الهاتفية، لما ذهب اليه الفقهاء أنه لا مانع من ممارسة هذا الإجراء، وذلك وفقاً للضوابط الشرعية، ويمكن أن يخرج على المصلحة العامة مع وضع الضمانات الكافية، وملاحظة عدم الأخذ بموجب هذه الشهادة كدليل مثبت على الأفراد، إلا إذا كانت مقترنة بالمعاينة، وإن كانت هذه الإجراءات منوطة بحالة الضرورة ومتوقفة على إذن القاضي . . (٦٥)

وفي ضوء ما سبق يمكن القول : أنه لا يمكن الاعتماد على التسجيل الصوتي في اثبات الجرائم الحدية مطلقاً لمكان الشبهة، لهذا الدليل والحدود مما تندرج بالشبهات، ولكن يجوز الاعتماد عليه في اثبات التعزيرات، بشرط أن تكون بدرجة القرينة القوية التي لا يعارضها دليل مساوٍ أو أقوى منها .

المبحث الثالث

إثبات الجرائم بواسطة التصوير

يرجع استخدام التصوير في مجالات الإثبات الجنائي إلى عام ١٨٥٨م، عندما استخدمت في فرنسا في مجال تحقيق الشخصية، وذهبت التشريعات قاطبة الشرعية

منها والوضعية إلى سن عقوبات تردع الجناة، والمجرمين والمفسدين في الارض كي يتم الحفاظ على أمن واستقرار المجتمعات البشرية، وضمان استمرارية الحياة، ولأجل ذلك اتبعت سلطات الدول وسائل مختلفة لمنع وقوع الجريمة، وإيقاع العقوبات بمرتكبيها (٦٦)

ومن تلك الوسائل المستخدمة مراقبة أنشطة المجرمين، والمشبوهين من خلال بث الأفراد المترصدين الذين يعملون على مراقبة جميع تحركات أولئك المشبوهين، للإيقاع بهم حال تلبسهم بأعمالهم الجرمية، بحيث يكون أولئك الأفراد المترصدين بمثابة الشاهد الذي يثبت التهمة والجرم في حق المتهمين .

المطلب الأول: الجانب التقني لعملية التصوير

أن الأعمال الإجرامية أخذت بالانتساع والانتشار، واستخدمت فيها وسائل وأساليب تقنية تعين المجرمين على التخفي والتهرب من مراقبيهم، ونتيجة لذلك استحدثت السلطات الأمنية وسائل متطورة أكثر فعالية لمراقبتهم، فلجأت إلى استخدام التصوير بنوعيه الثابت والمتحرك في هذه المهمة، بحيث أضحت عملية المراقبة تتسم باليسر والسهولة، وفيها يتم تخزين جميع وقائع الأعمال الاجرامية في أشرطة، وأفلام مسجلة يمكن استعراضها مرة أخرى أمام القضاء بقصد إثبات الجريمة بحقهم وإنزال العقوبة بهم .

وقد استخدم لذلك آلات تصوير ذات أشكال مختلفة تتميز بالدقة وسهولة اخفائها، أو تمويه شكلها ما لا يمكن أن يخطر على بال المجرمين، ووجود مثل تلك الآلات في المواقع التي يهدفونها . (٦٧)

كما استحدثت آلات تصوير متطورة يمكنها العمل بصورة تلقائية من ذات نفسها، من خلال ربطها بأجهزة الكترونية عند الحاجة إلى ذلك، وزودت أيضا هذه الآلات بأنظمة الكترونية تتيح لها العمل تحت اي ظروف ضوئية ليلاً ونهاراً، لتعطي النتيجة نفسها من حيث الدقة والوضوح، وفي حالة وقوع الأعمال الإجرامية، فإن آلات التصوير تلتقط تفاصيل تلك الاعمال وصور المجرمين بواقع ثماني إلى أربع وعشرين صورة، طوال الفترة الزمنية للواقعة الواحدة، بحسب نوع آلة التصوير المستخدمة . (٦٨)

وهكذا فإن هذه المميزات التي تقدمها آلات التصوير ولا سيما الحديثة منها، قد حدا ببعض التشريعات الوضعية إلى اعتمادها كوسيلة لإثبات الجرم والتهمة على المدعى عليه، والحاق العقوبات المقررة في حقهم ، في حين ذهب البعض الآخر إلى عدم اعتبارها وسيلة إثبات وإدانة، وقصرها على كونها قرينة قضائية ضد المدعى عليه تخضع للقبول، أو الرد بحسب المؤيدات التي تحيط بهذه القرينة اثباتاً أو نفياً، ذلك أن من يقبض عليه نتيجة التعرف عليه من خلال الصور ينكر غالباً صلاته بالحدث، مدعياً أن هذه الصور ليست لشخصه مما يتطلب من القضاء إيجاد دليل آخر للإدانة، لا سيما أن بعض الناس تتشابه صورهم وأشكالهم، بحيث يصعب تمييز تقاسيم وجوههم من خلال الصور ويتأكد ذلك في حالة وجود التوأم . (٦٩)

واليوم عن طريق الكاميرات يمكن مشاهدة نوع السيارات، وأرقامها بصورة واضحة جداً، يمكن من خلالها إثبات المخالفة القانونية أو الواقعة الجرمية، وعلى سبيل المثال الحوادث والمخالفات المرورية التي يرتكبها قائدوا المركبات إذ تقوم الآلات المصورة المثبتة غالباً على الإشارات الضوئية أو في الطرق السريعة بالتقاط صور المركبات المخالفة، كتلك التي تجاوزت حدود السرعة المقررة أو التي تجاوزت الإشارة الضوئية الحمراء، وعادة يتم تثبيت جهازين للتصوير أحدهما يصبوب إلى الجهة الأمامية للمركبة، والآخر يصبوب إلى الجهة الخلفية للمركبة، فإذا ما ارتكب قائد السيارة مخالفة معينة، قامت أجهزة التصوير بتسجيل الواقعة على الفلم الخاص بها .

وتتضمن الصورة الملتقطة للمركبة صورة المركبة، ورقمها والسرعة التي تسير بها فضلاً عن الوقت الذي جرى فيه النقطا الصورة، وتاريخها كي لا تدع مجالاً ؛لأن يتهرب المخالف من أي مسؤولية عندما يواجه بمثل تلك الصور . (٧٠)

كما استخدمت بعض الدول وسيلة أخرى للحد من الحوادث المرورية، وذلك من خلال مراقبة حركة سير المركبات على الطرق بواسطة الكاميرات التلفزيونية، والفيديو حيث يتم ربط هذه الكاميرات بأجهزة الكترونية في مركز للعمليات، والتحكم والمراقبة يشرف عليه رجال الشرطة، التي تظهر شاشات المراقبة أمامهم جميع التحركات التي تقوم بها المركبات، فإذا ما وقع حادث أو حدثت مخالفة من إحدى

المركبات على الطريق المراقب، قام مركز المراقبة بالاتصال بأقرب الدوريات العاملة على الطرق لأخذ الإجراءات اللازمة . (٧١)

المطلب الثاني: الحكم الشرعي لإثبات الجرائم بالتصوير

من المعلوم أن تصوير الحوادث بالآلات الحديثة من النوازل المعاصرة التي لم تكن معروفة عند الفقهاء المتقدمين، إلا أنه يمكن تخريج هذه المسألة على بعض القواعد الفقهية ومنها:

أولاً: قاعدة الضرورات تبيح المحظورات .

الضرورة قيد يرد على كل المنهيات، وهي تقدر بقدرها ولا يجوز مجاوزتها بأكثر منها، والضرورة هي القدر الذي بسببه إجراء الشيء الممنوع ، وبذلك فإن استخدام التصوير في مجال الكشف عن الجريمة، أو مراقبة المجرمين قبل تنفيذ الجريمة ضرورة تقتضيها المحافظة على أرواح الناس، وأعراضهم وأموالهم وذلك بإلقاء القبض على المجرمين فالضرورات حفظت النفوس من الهلاك أو شدة الضرر بهم. (٧٢)

ثانياً: قاعدة الوسائل لها أحكام المقاصد .

فإذا كان المقصد هو حفظ أمر ضروري، أو إزالة حرجاً مطلوباً في الشرع، فإن وسيلته مطلوبة، لذا فإن مجال حفظ الأمن ومحاربة المجرمين يعد من المقاصد السامية، فإن استخدام التصوير وهو من الوسائل يأخذ حكم المقاصد، فالوسائل لها أحكام المقاصد. (٧٣)

ثالثاً: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

فإذا كان أخذ الحق لصاحب الحق واجب وقطع دابر الجريمة وتثبيت الأمن واجب، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ولذلك أفتت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بأن تصوير الأحياء محرم إلا ما دعت إليه الضرورة، كتصوير المجرمين لضبطهم ومعرفتهم ليقبض عليهم إذا أحدثوا جريمة. (٧٤)

ولكن ما حكم إثبات الجرائم بالتصوير خاصة مع سهولة تلفيق الصورة وتجميعها، فقد تلتقط صورة لشخص ما وتركب مع صورة المكان الذي أرتكبت فيه الجريمة فتظهر الصورة والشخص، كما لو كان يرتكب الجريمة وهذا ما يعرف بالدبلجة، كما يلجأ إلى

ذلك بعض أصحاب النفوس الضعيفة للتمويه على الناس، لإسقاط ثقتهم بشخص يتقنون به ويرتبطون به برباط ما فيضعون صورته مع صورة ماحنة، ليوهموا الناس بأن هذا ديدنه، ومن ثم إسقاط ثقة الناس به ثم أيضا فإن صور الأشخاص قد تتشابه مع بعضها، إلا إذا وجدت بعض العلامات الفارقة التي يبعد معها التشابه. (٧٥)

أقول : يمكن الاستعانة بالتصوير في إثبات الواقعة الجرمية باعتباره قرينة يستعان بها في التحقيق مع المتهم والأخذ بالتصوير كقرينة، يختلف بحسب قوة هذه القرينة وضعفها، وقوة قرينة التصوير يعتمد على عرض الصورة الملتقطة على أهل الخبرة للتحقق من الشخصية، علما أن الجرائم الموجبة للتعزير تثبت بالقرائن، وبناء على ذلك يمكن القول أن الجرائم الموجبة للتعزير تثبت بالتصوير، إلا أنه يجب التأكد من سلامة الصورة من التزوير والتلفيق، أو ما يسمى الدبلجة التي ربما استغلت في غير محلها. (٧٦)

وبذلك يكفل التشريع الاسلامي لافراد المجتمع الأمان والطمأنينة في ممارسة شؤون حياتهم الخاصة، مما يكون له الأثر البالغ في التفاعل المثمر والجاد بين أفرادها للتحقيق المصالح المرجوة، والانتقال بهذا المجتمع إلى أعلى درجات الرقي الحضاري. إلا أن هذه الحرية قد تعثر بها شائبة وتستغل استغلالاً سيئاً من قبل بعض الأفراد، لقصد تحقيق اغراض غير مشروعة فيقع الإفساد في المجتمع، وتنتشر أسباب الرذيلة والتعدي على حدود الله وحرماته وحقوق الآخرين.

ومن هنا استنتى الفقهاء هذه الحالة من عموم الحكم الشرعي الوارد في النهي عن التجسس والتجسس، وقالوا : بجواز التجسس على من ظهر فساده ومنكره، واشتهر بذلك أو غلب عن الظن استمراره على المعاصي والمنكرات بناء على قرائن وأمارات ظاهرة، أو بإخبار النقات وكانت هذه المعاصي والمنكرات مما لو تركت لفات استدراكها بعد وقوعها، فجاز والحالة هذه للحاكم أو من ينوب عنه دون غيره، أن يتجسس وأن ينتهك حرمة الستر الذي يتخفى وراءه أولئك المفسدون. (٧٧)

ومما يدل على ذلك ما كان من شأن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، فقد روي أنه كانت تختلف إليه بالبصرة امرأة من بني هلال يقال لها أم جميل بنت عمرو، وكان لها

زوج من ثقيف يقال له الحجاج بن عتيك، فبلغ ذلك أبي بكر وشبل بن معبد ونافع بن الحارث وزيايد بن عبيد، فرصدوه حتى إذا دخلت عليه هجموا عليهما، وكان من أمرهم في الشهادة عليه عند عمر رضي الله عنه ما هو مشهور، فلم ينكر عليهم عمر رضي الله عنه هجومه، وأن كان حدهم القذف عند قصور الشهادة. (٧٨)

ومن تأمل كلام أهل العلم في هذه المسألة، يجد أنه لا يتضمن نقضاً للحكم الأصلي الذي هو المنع من التجسس والتجسس، وإنما مبناه الأخذ بالمصلحة الراجحة، ودفع المفسدة المتحققة وهو تطبيق لقواعد الشرع، وعموم القواعد التي نصت على (درء المفساد مقدم على جلب المصالح) (٧٩)، و(إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمها ضرراً بارتكاب أخفها) (٨٠).

فبهذا الاعتبار روعي حكمة الشارع من تشريع الأحكام، إذ الأحكام هي الوسائل التي تحقق إرادة الشارع لتحقيق المصالح، فإذا تعارضت هذه الوسائل مع غايتها في التشريع ألغيت بهذا الاعتبار.

ومن ذلك يتبين أن الشارع منع التجسس، بما له من أثر سيئ من شيوخ الفوضى وانعدام الأمن في المجتمع، ولكن تطبيق هذا الحكم قد يؤدي في بعض صورته وحالاته إلى انتشار مفسدة أعظم، وهي انتشار اللصوص ومنتهكي حرمان الله وحدوده، بذريعة عدم جواز التجسس عليهم مراقبتهم لردعهم، والأخذ على يدهم، فالتوقف عن القول بحرمة التجسس والقول بجوازه ضرورة، إلا أن هذه الضرورة ينبغي أن تقدر بقدرها، قال القرافي رحمه الله.. (قد تكون وسيلة المحرم غير محرمة إذا أفضت إلى مصلحة راجحة). (٨١).

المبحث الرابع بصمات الأصابع وأثرها في إثبات الجرائم

تعريف البصمة :-

البصمة لغة : مشتقة من الفعل بصم بالفتح بصماً ، بمعنى ختم بطرف أصبعه، والبصمة ذلك الأثر المتخلف عن الختم بالأصبع (٨٢).

أما في الاصطلاح الجنائي فتعرف البصمة بأنها : الخطوط البارزة التي توازيها خطوط أخرى أخفض منها، والتي تتخذ اشكالاً مختلفةً على جلد باطن أصابع اليدين والكفين، وأصابع وباطن القدمين . (٨٣)

المطلب الأول: أنواع بصمات الأصابع

صنف المختصون في علم البصمات بصمات الأصابع إلى مجموعات رئيسة ثلاث وكالاتي :-

المجموعة الاولى : المقوسات .

وتمتاز بأن خطوطها تتخذ شكل الأقواس، وتنقسم إلى مقوسات بسيطة خيمية .

المجموعة الثانية : المنحدرات .

وتمتاز بالتواء خطوطها حول نفسها ابتداءً من منطقة الوسط بشكل نصف دائري،

ثم تنحدر هذه الخطوط يميناً أو شمالاً، وتنقسم إلى منحدرات زندية وكعبرية .

المجموعة الثالثة : المستديرات .

وتمتاز خطوطها بأنها تتخذ شكل دائري أو لولبي أو حلزوني أو بيضوي، وتنقسم

إلى المستديرات العادية، وذوات الجيب المركزية المضاعفة والشاذة . (٨٤)

المطلب الثاني: قوة بصمة الأصبع في الدلالة على الشخصية

يرى المختصون في البصمات أن البصمة من أهم وسائل تحقيق شخصية الانسان

وأكثرها قوة، وتأتي هذه الأهمية من المميزات الفريدة التي تتمتع بها البصمة عموماً،

سواء كانت بصمة اليدين أو الرجلين وتتمثل الخصائص المميزة بما يأتي :-

١- عدم قابلية البصمة للتغيير .

يتألف الجلد من طبقتين : طبقة خارجية ترسم عليها الخطوط المميزة التي يطلق

عليها البصمة .

وطبقة داخلية تحتوي على المقومات التي تحدد خصائص، ونوعية هذه الخطوط أو

البصمات (٨٥)، وهذه المقومات هي كالاتي : -

أن هذه الخطوط أول ما تبدأ عندما يكون الجنين في شهره الرابع من الحمل،

وتستمر المحافظة على شكلها واتجاهها إلى حين الوفاة، أو تلف الجلد وحتى في

الحالات التي تطرأ على الجلد عند إصابته بحروق أو جروح، فإن هذه الخطوط تعود مرة أخرى إلى شكلها الأصلي ؛ لأن الانسجة تبني نفسها مرة أخرى، وتعود إلى حالتها الأولى، وفي الحالات الطبيعية إن ما يطرأ من تغيير على شكل هذه الخطوط أنها تنمو وتكبر، بحيث تتباعد عن بعضها البعض تبعاً لنمو الجسم الذي يستمر، حتى يتوقف نمو الجسم البشري، أما إتجاه هذه الخطوط وتفرعها وعددها، فإنه يبقى ثابتاً، ولا يتغير بسبب ذلك النمو .

لكن يجب على هذا أن الإصابة البالغة أو العميقة تؤثر في الانسجة الداخلية للجلد فإن هذه الإصابة تترك أثراً دائماً على البصمة وفي بعض الحالات تؤدي إلى محوها كما في حالات الإصابة بمرض الجذام إلا أن ذلك لا يعني انعدام فائدة البصمة وفقدانها لخصائصها المميزة بل العكس هو الصحيح حيث أنها بتلك الإصابة قد أضافت علامة أخرى تزيد في تميزها وخصوصيتها لشخص معين ^(٨٦)

ويذكر أحد خبراء البصمات أن هناك محاولات عديدة من جانب المجرمين لتدمير أو تشويه بصماتهم محاولة للهروب من الإدانة والوصول إلى نتيجة نهائية، وكل هذه المحاولات لا طائل وراءها، فما لم يستأصل اللحم حتى منطقة نمو وبزوغ الجلد، أو الطبقة الدرمية السفلى، فإن البصمات تنمو من جديد وتعود إلى شكلها الأول، وإذا عثرت السلطة التحقيقية على معلومات تفيد أن المتهم أجرى عملية تغيير معالم اليد، أو الرجل لإخفاء البصمات، فهذا دليل إدانة واضح . ^(٨٧)

٢- فردية البصمة .

تؤكد الدراسات والأبحاث العلمية استحالة تماثل البصمة بين شخصين من حيث الخطوط والمميزات، حتى لو كان هذان الشخصان توأمين انقسما من بويضة واحدة، بل لا يمكن أن تتطابق بصمة إصبعين ولو كانا لشخص واحد . ^(٨٨)

إن الحقائق العلمية تؤكد أنه يستحيل تشابه بصمتين في جميع المميزات والخصائص الموجودة في كل واحدة على حدة، أي أن العلامات والأشكال التي تبدو في خطوط البصمة تختلف عن تلك التي توجد في الأخرى، وقد تتجاوز هذه الاختلافات في

الاصبع الواحدة الى خمسين، وربما تصل بعض الحالات الى مائة، هذا فضلا عن ما قد يميز البصمة من آثار طارئة كأثر الحروق والجروح وغيرها .

وتختلف الدول في العدد المعتبر للصفات التي يلزم توفرها للحكم لتطابق بصمتين، ففي بريطانيا وأمريكا مثلا تعد البصمتان متطابقتان إذا توافرت ست عشرة علامة مشتركة بينهما كحد أدنى، وفي بعض الدول كألمانيا وتركيا واثيوبيا يكتفي بثمانية علامات مشتركة بين البصمتين للحكم بالتطابق، وذهب البعض إلى الإكتفاء باثنتي عشر علامة للقول بالتطابق بين بصمتين .

وبذلك يظهر مدى تمايز البشر في بصماته واستحالة تماثل شخصين في بصمة لها ذات الخصائص والمميزات، مما يسهل على الجهات الأمنية تحديد هوية الأفراد بصورة مؤكدة وقطعية . (٨٩)

٣- دلالتها على صفات صاحبها .

يذهب الباحثون في علم البصمات إلى أنه يمكن الاستفادة من البصمات في تحديد بعض الصفات الشخصية للأفراد، وهي تقارن في الوقت نفسه أن هذه النتائج ليست على وجه الدقة والتحديد من غير جزم ولا قطع بدلالاتها على هذه الصفات، وإنما يستفاد منها على وجه العموم، مما قد يعين في حصر مجال البحث عن صاحب البصمات ضمن فئة معينة ونطاق محدود، ومن أبرز هذه الدلالات :

١- معرفة السن : وهي معرفة تقريبية مبناها على أن حجم البصمة يتناسب طردياً

لنمو الجسم، إذ أثبتت التجارب أن عدد الخطوط التي توجد في واحد سم مربع من

بصمة أصابع اليد تختلف من سن إلى آخر على النحو التالي :

أ- الاطفال حديثي الولادة حتى سنة ٨ سنوات : من ٣٠ الى ٣٦ خطأ

ب- من سن ٩ الى ١٢ سنة : ٢٤ خطأ

ت- من سن ١٣ الى ١٦ سنة : ٢٢ خطأ

ث- من سنة ١٧ الى ٢١ سنة : ٢٠ خطأ

ج- من سن ٢١ الى ٤٠ سنة : من ٦ - ٩ خطأ

وكلما كبر الانسان بعد سن الاربعين تبدأ هذه الخطوط في الانكماش، وخصوصا لدى كبار السن . (٩٠)

٢- **معرفة الحرفة :** كما اكدت التجارب العملية أنه يمكن من شكل البصمة أحيانا التوصل الى طبيعة حرفة ومهنة صاحبها، ويعود ذلك إلى أن الكثير من المهن تترك المواد المستخدمة فيها أثراً، كمن يستعمل المواد الكيميائية التي غالباً ما تترك أثراً مميزة في جلد اصابع اليد، مما يدل على طبيعة مهنة صاحبها على وجه التقريب .

٣- **الحالة الصحية :** لاحظ الباحثون أن بعض الأمراض لها تأثير واضح على بصمات اليدين، بحيث يمكن للخبير أن يستنتج إصابة صاحب البصمة بنوع معين من المرض، فمثلاً نجد أن مرض التيفوئيد يؤثر في فتحات خروج العرق فيوسعها، ويمكن ملاحظة ذلك بواسطة العدسة المكبرة، كما أن مرض الجذام له تأثير واضح على الخطوط الحلمية في اليدين، حيث يؤدي إلى نعومة الجلد، ونتيجة لذلك لا تظهر للأصابع بصمة واضحة، ولكن ليس ذلك على سبيل التلازم، فإن هذه الآثار قد تتخلف في بعض الحالات فتزول، ومجرد زوال المرض تعود الخطوط الى حالتها الطبيعية. (٩١)

٤- **سهولة رفع البصمات ومضاهاتها :** في بدايات اكتشاف البصمات والعمل بها في التعرف على هوية الاشخاص، لم يكن من الميسور اظهار هذه الخطوط، وإنما كان البحث مقتصرأ على تلك الخطوط التي تظهر على الأسطح الملساء للزجاج، وعلى إعتبار أن هذه الأسطح تخلو من الارتفاعات و الانخفاضات الي تمنع من تكامل البصمة و لكن مع تقدم العلوم استطاع الخبراء ايضا اظهار البصمات ورفعها حتى عن الأسطح الخشنة .

ويرجع السبب في انطباع البصمة على الاجسام والأسطح المختلفة إلى ما تفرزه الغدد العرقية الموجودة تحت الجلد، والذي تزيد كميته في حالات الانفعال النفسي، وكنتيجة لهذا الافراز العرقي مع ما يلامسه الأصبع من أماكن دهنية في الجسم، كمنابت الشعر والجبهة تترك خطوط البصمة أثرها على أي جسم تلاقيه، وتلامسه فتتطبع عليه صورتها . (٩٢)

وقد قسم العلماء البصمات من حيث درجة انطباعها على الاجسام إلى ثلاث مجموعات رئيسة هي :

١. بصمات غائرة: وهي التي تنتج عن ملامسة الأصابع وضغطها على مادة مرنة، بحيث تترك نتيجة لهذا الضغط طبعة سالبة لخطوط البصمة
٢. بصمة ملوثة: وهي التي تنتج عن ملامسة الاصابع للأسطح النظيفة بعد ملامستها بطبقة ترابية رقيقة، تؤدي إلى التصاق ذرات التراب في الخطوط الحلمية، ومثلها تلك البصمات التي تلوث بالأصباغ أو الدقيق أو الزيوت وغيرها .
- وهذا النوع من البصمات يغلب على انطباعاتها الأولى الانطماش بسبب كون الخطوط الحلمية ممثلة بالمواد الملوثة التي تزيل رسم اتجاه الخطوط، ولكن إذا ترك الأصبع عدة بصمات متوالية، فإنه يمكن الاستفادة من الانطباعات الأخيرة بكل يسر وسهولة.
٣. بصمات خفية: وهي التي تحدث نتيجة وجود طبقة دهنية أو عرقية على الأصبع، فترسم صورة البصمة على الاسطح بسبب تلك المقادير الدهنية والعرقية، وربما نتيجة لوجود قذارة معينة عالقة بالشيء الملموس (٩٣)

المطلب الثالث: الحكم الشرعي لإثبات الجرائم بالبصمات

لم يتكلم الفقهاء في مصادرهم الفقهية عن حكم شرعي لإثبات الجرائم بوساطة بصمات الاصابع، وذلك لأن علم البصمات علم حديث النشأة من حيث مجال الاستفادة منه في باب أدلة الإثبات، ولأنها لم تكن معروفة في عهدهم، فعلم البصمات علم حديث ظهر في غير بلاد المسلمين، بالرغم من ورود الإشارة إليه في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿بَلَى قَدِيرِينَ عَلَىٰ أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَاهُ﴾ (٩٤)

والبنان وما فيه من سلاميات ومفاصل، ودقة في الوضع والتركيب، وما في أطرافه التي تختلف بصماتها في كل فرد عن الآخر دليل على كمال القدرة، بل يدل على أن القادر على ذلك هو بلا شك قادر على جمع العظام وإحياء الموتى . (٩٥)

وقد ثبت في هذا العصر بما لا يدع مجالاً للشك أن البصمات من أدق ما يمكن التعرف به على الأشخاص، ذلك لأن الخالق جل جلاله أعطى لكل شخص بصمة لا يمكن أن تنطبق على بصمة غيره من البشر، وهذه البصمة لا تتغير مع مراحل العمر،

بل ثبت علمياً أنها منذ الشهر الحلي الرابع ثابتة إلى نهاية العمر، فهي بذلك تكون من أدق طرق الإثبات، ومن أوضح الحجج والبراهين، فتكون بذلك وسيلة من وسائل إثبات الحق في الشريعة الإسلامية، لأن البيئة في الشريعة الإسلامية لم تقصر على نوع معين، بل هي كل ما يظهر الحق ويبيّنه.

وبناء عليه لابد من تكييف مسألة الإثبات بالبصمات شرعاً في ضوء ما يماثلها أو يقاربها من المسائل التي أوردها الفقهاء في كتبهم، آخذين بعين الاعتبار المعطيات العلمية والفنية للعمل بالبصمات وقوتها على الإثبات .

ويلاحظ المتأمل للمميزات العلمية للبصمة والتي دفعت الجهات العلمية للأخذ بها في التثبيت والتحقق من الشخصية الأمور الآتية :

أن الأبحاث والتجارب العلمية لبصمات اليدين والرجلين اثبتت استحالة تكرار بصمتين في جميع الخصائص، والمميزات التي تتمتع بها كل منهما على حده، الأمر الذي يشعر بالطمأنينة إلى أن كل أثر للبصمة إنما يدل على شخصية بعينها دونه منازعة أو شبهة .

وتأسيساً على ما سبق تكون دلالة البصمة على هوية صاحبها دلالة قطعية لا مجال للشك في إلحاقها به، ذلك أن هذه الدلالات إنما تقوم على المقارنة وبيان أوجه الشبه والتطابق بين الأصل وأثره، فهو في الحقيقة معاينة يمكن اعتبارها في درجة عين اليقين، أن عملية المقارنة بين الأصل والأثر إنما تتم بوساطة خبراء مختصين في هذا العلم، ويعمل على ذلك فريق متكامل من خلال الإجراءات الفنية في رفع البصمات لا تقطع بعلاقة الشخص بالحادث أو الواقعة الإجرامية من أنواع الجرائم، وإنما غاية ما تدل عليه هو إثبات وجود شخص في ذلك المكان في ضوء الملاحظات السابقة، يمكن القول أن الحكم الشرعي للإثبات بوساطة البصمات في مجال الإثبات الجنائي إنما يقتصر على جواز الاعتماد عليها في إثبات هوية صاحب البصمة، وإن هذه الدلالة تصل إلى درجة القطع^(٩٦).

المبحث الخامس

إثبات القتل بالتحليلات المختبرية

مع تطور العلوم الطبية والأدلة الجنائية استفاد المختصون من الآثار التي غالباً ما يتركها الفاعل وراءه من غير أن يشعر بذلك؛ لأن الغالب في حال أولئك المجرمين وقوعهم في الارتباك والخوف خشية اكتشاف أمرهم، الأمر الذي يدفعهم إلى القيام ببعض التصرفات والأفعال اللاشعورية ليخلف وراءه آثاراً يمكن الاستعانة بها من قبل المختصين ليتعرفوا بها على هويتهم .

ومن أبرز هذه العلامات والآثار التي يخلفها الجاني في مسرح الجريمة :

البقع الدموية، بصمات الأصابع، الشعر، آثار مادية أخرى كقطع ملابس أو أعقاب سجائر، سلاح، قطع خشبية آثار أقدام، نباتات، أتربة الخ .

ويمكن لقائل أن يقول إن كثيراً من هذه الآثار لا يتم فحصها من قبل الطبيب الشرعي، ولا هي من اختصاصه كما في فحص نوع ألياف الملابس، أو أنواع الخشب، أو البصمات، أو الأتربة، أو النباتات، إلا أنه ينبغي أن يلاحظ من المعاينة والفحص العضوي للجثة المقتولة والوقوف على نوعية الإصابة، وتحديد أسباب الوفاة هو من صميم اختصاص الطبيب الشرعي، وهذا يستلزم منه استخراج أية آثار يجدها على جثة المقتول كالدم والشعر وما شابه ذلك من آثار وعلامات .

المطلب الأول: فحص البقعة الدموية

عند الاشتباه بوجود بقعة دموية في موقع الحادث، فإن الكشف عن حقيقة وماهية هذه البقعة، يرجع إلى اختصاص الطبيب الشرعي، الذي يعمل على فحص العينة سواء كانت قديمة، أو حديثة من خلال قواعد علمية وتقنية تساعد في الكشف عن ذلك .

وينصب دور الطبيب الشرعي على تحديد ما يأتي :

أ- هل البقعة الموجودة في الموقع دموية أم لا ؟

ب- إذا كانت البقعة دموية فهل تعود إلى إنسان أو حيوان ؟

ج- مصدر هذه البقعة .

د- هل البقعة قديمة أو حديثة ؟

وتعد مكونات الدم الأساسية من أهم الخصائص التي تميزها عن غيرها من السوائل التي تشابهها في اللون، ولكن الكشف عن هذه المكونات يحتاج إلى إجراء اختبارات وفحوص ومعدات، ولا يتسنى ذلك إلا بنقل عينات هذه البقع إلى المختبرات المتخصصة في هذا الشأن .

لذلك يلجأ الطبيب الشرعي إلى إجراء اختبارات أولية ذات نتائج غير أكيدة في الدلالة على كون البقع دموية، ومن هذه الاختبارات .^(٩٧)

أ- اختبار البنزدين .

ب- اختبار الجويك .

فإذا ما ظهرت هذه الاختبارات المبدئية نتائج ايجابية، يتم تحويلها إلى المختبرات المتخصصة لإجراء اختبارات وفحوص تأكيدية، مبناها على إثبات وجود المادة الملونة للدم، وتقوم على أساس الحصول على بلورات الهيماتين وتعرف باختبار تايشيمان .^(٩٨)

ج- الفحص المجهرى : وفيه يتم الكشف عن وجود الخلايا الدموية حالة كونها سليمة من حيث شكلها وقياسها .

د- الفحوصات الكيميائية الصغرى : وهي تعتمد في أساسها على مكونات الدم ومركباته، ومن أنواع هذه الفحوصات : اختبار طيف الدم باستخدام جهاز قياس الضوء الطيفي، واختبار مولد اللون الدموي، فإذا كانت نتيجة الاختبار ايجابية تؤكد أن البقعة دموية، والعكس بالعكس، وتفيد مثل هذه الاختبارات في فحص الدم الحديث والقديم، وحتى في حالات تعفنه وجفافه .

أما مصدر البقعة الدموية من حيث كونه من إنسان، أو حيوان فيتم الكشف عنها بوساطة الفحص المجهرى وذلك من خلال التمايز بين التكوين الدموي للإنسان، والتكوين الدموي للحيوان غالبا .^(٩٩)

إلا أن التجارب أثبتت أن هذا الفحص يواجه مشكلة عدم القدرة على التفريق بين فصائل دم الحيوانات الثديية، وبين فصائل دم البشر، ولذا لجأ العلماء إلى إجراء اختبار الترسيب في الدم، ومع ذلك واجهت صعوبة أخرى في التمييز بين دم الحيوانات التي

تكون من فصيلة واحدة كالبقر والجاموس مثلاً ، ومع الاستمرار في البحث والتجريب أمكن التغلب على هذه القرابة الفصائلية باستعمال اختبارات كمية، والتي تقوم على أن المرسب الذي يعطي تفاعل أقوى وأسرع من غيره، ويرشد في مثل هذه الأحوال إلى أصل الدم . (١٠٠)

وبعد التأكد من كون البقعة الدموية تعود لإنسان، يقوم الطبيب الشرعي بالتأكد من مصدر هذه البقعة الدموية، هل هو الشخص المعتقدى عليه أو المتهم في ذلك الاعتداء .

وفي هذه الحالات يتم اختبار أنواع وفصائل الدم في البقعة الدموية، والأنواع الأخرى ومقارنتها مع فصيلة كل من المعتقدى عليه والمتهم، فإذا ما اختلفت نتيجة الفحص بين فصيلة البقعة الدموية وفصيلة المتهم، كان ذلك دليلاً كافياً لنفي التهم عن ذلك الشخص، أما في حالة التشابه بين فصيلة الدم في البقعة مع فصيلة الدم مع أي من المجني عليه، أو المتهم بالجناية، فإن ذلك لا يعني أن أحدهما هو مصدر هذه البقعة لأن أنواع وفصائل الدم تتشابه بين الأشخاص بنسب كبيرة جداً ، ولكن يمكن اعتبار هذا التشابه بينه وبين فصيلة الجاني قرينة لا ترقى إلى درجة الظن الغالب، إلا في حالة وجود قرائن أخرى في الدم تدل على علاقة البقعة بالشخص المشتبه فيه، كظهور بعض أنواع من المرض في البقعة الدموية مع نوع المرض في دم المشتبه به، فانه والحالة هذه تزداد لدى المختص درجة الاعتقاد بعلاقة ذلك الشخص بالحادثة . (١٠١)

ومع تطور العلوم الطبية في مجال التحاليل المخبرية أمكن الاستعانة بتحليل البلازما في الدم بطريقة الكترولفوريس، والتي تقوم على أساس تحليل البروتينات الموجودة في بلازما الدم، والتي تختلف من شخص لآخر، ووجد العلماء أن الاختلافات في الكميات تختلف بنسبة ١ إلى ١٠ في كل شخص، ووجد أن احتمال الاختلاف بين الأشخاص بنسبة البروتين تصل إلى ٥٠٠، والاختلاف في أنواع الجلوبيولين يصل إلى ٣٠ و ٤٠ و ١٠٠ وباستخدام حساب الاحتمالات .

$$٦٠,٠٠٠,٠٠٠ = ١٠٠ \times ٤٠ \times ٣٠ \times ٥٠٠$$

وإذا أضيف إلى ذلك اختبار كل من الدهون ثم الكاربوهيدرات، فكانت النتيجة هي وجود اختلاف يصل إلى (١٠)^{٣٠} في حين أن عدد سكان الأرض يصل إلى

(١٠)١١، وبذلك يظهر أهمية مثل هذا النوع من الاختبارات في تحديد علاقة البقعة الدموية بالأشخاص المتهمين من حيث الإثبات والنفي لدرجة تكاد تكون قطعية، وكما أصبح بالإمكان مؤخراً الاستعانة بالجينات الوراثية في إثبات مصدر الدم، أو البقعة من خلال استخدام ما يسمى بالبصمة الوراثية (DNA) حيث أصبحت النتائج المستتبهة عن طريقها تفيد القطع سواء في جانب النفي أو الإثبات . (١٠٢)

المطلب الثاني: فحص الشعر

للشعر من الناحية الطبية الشرعية دور كبير في مجال الكشف عن هوية الأشخاص، وقد تمكن الأطباء الشرعيون من الاستفادة من خصائص الشعر وصفاته في التمييز بين الأشخاص من حيث السن، والجنس، ومصدر الشعر في جسم الإنسان، ومما يمتاز فيه الشعر أنه يمكن التعرف عليه حتى بعد مرور فترة طويلة عليه .

ومن خلال اللون والشكل والنسيج وطريقة ترتيب الحراشيف على قشرة الشعر، وموقعه على الجسم من خلال ذلك كله، يستطيع الطبيب الشرعي تحديد كثير من الأشياء التي لها صلة بالواقعة، والتعرف من خلاله على هوية الأشخاص الذين يرتبطون بتلك الحادثة، وفي هذه الأيام يتم الاستعانة بجهاز التحليل التشخيصي في فحص الشعر وبيان المزيد من خصائصه . (١٠٣)

وأن الشعر كغيره من أجزاء الجسم يحتوي على خلايا يمكن من خلالها التعرف على البصمة الوراثية (DNA) ، وبمقارنة بسيطة بين خصائص الشعرة التي تم فحصها في مسرح الحادث وبين خصائص شعر المشتبه به، يمكن التعرف على الأشخاص الذين لهم علاقة بالحادثة المعنية، ومع تطور العلوم الطبية والتحليل المخبرية، أمكن الربط بقوة بين الأشخاص والآثار التي يخلفونها وراءهم طبياً بنسبة عالية جداً تصل إلى ظن غالب إن لم تكن إلى القطع أحياناً .

ومن هنا يمكننا القول أن دلالة هذه القرائن الطبية على حوادث القتل والسرقة، دلالة ظنية محتملة للصحة والخطأ من غير المرجح، ولذا لا يصلح كونها قرائن وأدلة إثبات في إقامة الحدود على أصحابها، وذلك لمكان الشبهة الحاصلة والاحتمال القوي، لأن

تكون هذه الآثار وجدت لأي عارض آخر، والقاعدة العامة أن الحدود تدرأ بالشبهات. (١٠٤)

مما يؤكد ذلك علمياً أن في كل شعره ١٤ عنصراً نادراً تظهر عند تحليلها، وواحد من بليون شخص يمكن أن يتشابه في ٩ عناصر من هذه العناصر، وهذه شبهة في حد ذاتها .

كما أن التحليل الطيفي للشعر قد يعطي نتائج مبهمة في الطب الشرعي، وهذه أخرى تكفي في عدم الاعتماد على تحليل عينات الشعر في أثبات العقوبات الحدية. (١٠٥)

أما في مجال النفي، فإنه يمكن الاعتماد عليها قطعاً، لأن الاختبارات العلمية الدقيقة أكدت عدم العلاقة بين المشتبه فيه، وبين تلك الآثار والعلامات، وأن أقل ما يقال أنها شبهة قوية لعدم صلة هذا الشخص بتلك الحادثة والآثار، فدرأ إقامة الحد بهذه الشبهة القوية .

أما بالنسبة للجرائم التعزيرية، فإنها تختلف عن الجرائم الحدية من حيث الحاجة إلى قوة الدليل في ثبوتها، فإن الجرائم الحدية وإن كان يطلب فيها شروط إقامة الحد وتندراً مع وجود الشبهة القوية، إلا أن الجرائم التعزيرية أخف في هذا الشأن، فيمكن إقامتها ولو مع وجود الشبهة، لأنها لا تتضمن إتلاف نفس أو عضو، وإن التعزير يختلف باختلاف الأعصار والأمصار، ويمكن القول إن جميع القرائن الطبية يمكن أن يعتمد عليها في إقامة العقوبات التعزيرية، فمن اشتبه في اعتدائه على شخص بالضرب، ودلت بعض الآثار المادية سواء على آلة الضرب، أو الجسم المضروب، أو حتى جسم الضارب أنها تعود إلى ذلك الشخص المعتدي، فإنه يمكن والحالة هذه إقامة العقوبة التعزيرية عليه ولو مع وجود بعض الشبهات التي تعارض دلالة هذه القرائن الطبية. (١٠٦)

المطلب الثالث: موقف الشريعة الإسلامية من استخدام البصمة الوراثية في المجال الجنائي

إن البصمة الوراثية تدل على هوية كل إنسان بعينه، وإنها وسيلة حديثة للتعرف على الشخصية، والاستدلال من خلالها على مرتكبي الجرائم نتيجة أخذ العينات في مسرح

الجريمة، ثم اجراء التحليلات اللازمة ومطابقتها على البصمات الوراثية للمتهمين بعد اجراء الفحوصات على بصماتهم الوراثية .

وبناءً على ما ذكر فإن استخدام البصمة الوراثية، والاستدلال بها كقرينة من القرائن الدالة على اكتشاف المجرمين واقاع العقوبة عليهم في غير الحدود والقصاص، أمر ظاهر الصحة والجواز لدلالة الأدلة الشرعية الخاصة بالأخذ بالقرائن والحكم بموجبها، ومشروعية استعمال الوسائل المتنوعة لإستخراج الحق ومعرفته .

والمستند الشرعي لجواز الأخذ بالبصمة الوراثية في المجال الجنائي، أنها وسيلة لغاية مشروعة، وللوسائل حكم الغايات، ولما في الأخذ بها من تحقيق لمصالح كثيرة ودرء لمفاسد ظاهرة . (١٠٧)

قال ابن القيم : (ولم يرَ حُذَّاقُ الْحُكَّامِ وَالْوَلَاةِ يَسْتَخْرِجُونَ الْحُقُوقَ بِالْفَرَّاسَةِ وَالْأَمَارَاتِ إِذَا ظَهَرَتْ لَمْ يُقَدِّمُوا عَلَيْهَا شَهَادَةً تُخَالِفُهَا وَلَا إِقْرَارًا وَقَدْ صَرَّحَ الْفُقَهَاءُ كُلُّهُمْ بِأَنَّ الْحَاكِمَ إِذَا ارْتَابَ بِالشُّهُودِ فَرَفَقَهُمْ وَسَأَلَهُمْ كَيْفَ تَحْمَلُوا الشَّهَادَةَ وَأَيَّنَ تَحْمَلُوهَا وَذَلِكَ وَاجِبٌ عَلَيْهِ مَتَى عَدَلَ عَنْهُ أَثِمَ وَجَارَ فِي الْحُكْمِ وَكَذَلِكَ إِذَا ارْتَابَ بِالِدَّعْوَى سَأَلَ الْمُدَّعِيَ عَنْ سَبَبِ الْحَقِّ وَأَيَّنَ كَانَ وَنَظَرَ فِي الْحَالِ هَلْ يَقْتَضِي صِحَّةَ ذَلِكَ إِذَا ارْتَابَ بِمَنْ الْقَوْلُ قَوْلُهُ كَالْأَمِينِ وَالْمُدَّعَى عَلَيْهِ وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَكْشِفَ الْحَالَ وَيَسْأَلَ عَنِ الْقَرَائِنِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى صُورَةِ الْحَالِ وَقَلَّ حَاكِمٌ أَوْ وَالٍ اعْتَنَى بِذَلِكَ وَصَارَ لَهُ فِيهِ مَلَكَهٌ إِلَّا وَعَرَفَ الْمُحِقَّ مِنَ الْمُبْطِلِ وَأَوْصَلَ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا) (١٠٨)

والقول بجواز الأخذ بالبصمة الوراثية في المجال الجنائي في غير الحدود والقصاص هو ما ذهب إليه الفقهاء في المجامع الفقهية، حيث أن مجلس المجمع الفقهي الاسلامي لرابطة العالم الاسلامي في دورته (١٥) المنعقد في مكة المكرمة في ١٤١٩/٧/٩ هـ الموافق ١٩٩٨ / ١٠ / ٣١ م، ودورته (١٦) المنعقدة بمكة المكرمة في المدة من ٢١ - ٢٦ / ١٠ / ١٤٢٢ هـ - الموافق من ٥ - ١٠ / ١ / ٢٠٠٢ م، نظر في موضوع البصمة الوراثية ومجالات الاستفادة منها وقرر الآتي :-

البصمة الوراثية بمثابة دليل يمكن الاعتماد عليها في اثبات الجرائم التي لا يترتب عليها حد شرعي . (١٠٩)

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين
أما بعد :-

فبفضل الله تعالى انتهيت من كتابة البحث وتوصلت إلى نتائج وكالاتي :

١- أن المراد من أثر التقنية : هو ما يترتب من نتائج وأحكام على الأخذ بالتقنية في مجال الأحكام الشرعية التي اختلفت فيه انظار الفقهاء، والتي يمكن معرفتها أو علاجها أو تغييرها بواسطة التقنية الحديثة .

٢- أن التقنيات الحديثة قد تؤثر في اختلاف الفقهاء، وإعادة النظر في المسائل الفقهية، وكذلك في المستجدات والنوازل .

٣- أن الحكم على المسائل الفقهية استنادا إلى التقنيات الحديثة منوط بقول المجتهدين من العلماء الفضلاء وما تحكم به المجامع الفقهية المعتمدة .

٤- أن المسائل الثابتة التي لا تغيير بتغير الزمان والمكان، لا أثر للتقنية في أحكامها وإنما أثرها يكون في الغالب على المسائل الاجتهادية والمختلف فيها.

٥- أن اجتهادات الفقهاء من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين، بينت أن القصد من وسائل الاثبات هو بيان الحق والعدل، وكان للقواعد الفقهية أثراً واضحاً في الحكم على الكثير من المسائل .

٦- أن الحدود تدرأ بالشبهات، لذا لا أثر للتقنية في أبواب الجنايات والحدود، لأن مبناها على الشبهة باستثناء التعزيرات، فإن للتقنية أثراً في أحكامها .

٧- أن التقنيات الحديثة والوسائل المستجدة في الاثبات لا تنتافي شرعاً في العمل بها في المسائل الفقهية، والمستجدات لأن وسائل الاثبات الغرض منها هو بيان الحق والعدل .

٨- أن التصوير بالآلات الحديثة من النوازل المعاصرة التي لم تكن معروفة عند الفقهاء المتقدمين، إلا أنه يمكن تخريج هذه المسألة على بعض القواعد الفقهية، كقاعدة

الوسائل لها أحكام المقاصد، وقاعدة الضرورات تبيح المحظورات ، وغيرها من القواعد .

٩- لا يمكن الاعتماد على التسجيل الصوتي في إثبات الجرائم الحدية مطلقاً، لمكان الشبهة لهذا الدليل والحدود مما تندرج بالشبهات، ولكن يجوز الاعتماد عليه في إثبات التعزيرات، بشرط أن تكون بدرجة القرينة القوية التي لا يعارضها دليل مساوٍ أو أقوى منها .

١٠- تعد البصمات باختلاف أنواعها قرينة في التعرف على الشخصية في اثبات الجرائم من عدمها، والاعتماد عليها في اثبات العقوبات التعزيرية دون الحدية لوجود الشبهة، والقول بجواز الأخذ بالصمة الوراثية في المجال الجنائي في غير الحدود والقصاص هو ما ذهب إليه الفقهاء في المجمع الفقهي، حيث أن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي في دورته (١٥) المنعقد في مكة المكرمة في ١٤١٩/٧/٩ هـ الموافق ١٠/٣١/ ١٩٩٨ م، ودورته (١٦) المنعقدة بمكة المكرمة في المدة من ٢١ - ٢٦ / ١٠ / ١٤٢٢ هـ - الموافق من ٥ - ١٠ / ١ / ٢٠٠٢ م، نظر في موضوع البصمة الوراثية ومجالات الاستفادة منها وقرر الآتي : - البصمة الوراثية بمثابة دليل يمكن الاعتماد عليها في اثبات الجرائم التي لا يترتب عليها حد شرعي .

١١- أن الأخذ بقول أهل الخبرة في أبواب الشهادات تعتمد كقرينة قضائية يستأنس بها القاضي بحسب ما تتوصل به قناعته فيحكم بها .

١٢- مع تطور العلوم الطبية والأدلة الجنائية استفاد المختصون من الآثار التي غالباً ما يتركها الفاعل وراءه من غير أن يشعر بذلك، ليخلف وراءه آثاراً يمكن الاستعانة بها من قبل المختصين ليتعرفوا بها على هويتهم، وهي قرينة قضائية يستعين بها القاضي في الحكم، وهذا ليس على إطلاقه، فإن الاعتماد على تحليل البقع الدموية وآثار الشعر وغيرها من الآثار التي تؤخذ من مسرح الجريمة، تعد شبهة دارة للحد لوجود احتمال وجودها في مسرح الجريمة من شخص لا علاقة له بالجريمة .

١٣ — أن الشريعة الإسلامية قد حمت خصوصيات الفرد من الناحية الإجرائية، وذلك باعتبار هذه الإجراءات جزءاً مكملاً للعقوبات في الفقه الإسلامي، ويتمثل ذلك في حماية سرية المراسلات، وحماية الفرد من استعمال القسوة والعنف في الاستجواب، حماية الفرد من التعسف في التفتيش، حماية الفرد من الوسائل التي تؤثر على عقل الإنسان أو تكشف عن دروب الشخصية .

١٤ — جواز استعمال التسجيل الصوتي وأجهزة الإنصات، ومراقبة المكالمات الهاتفية، لما ذهب إليه الفقهاء أنه لا مانع من ممارسة هذا الإجراء، وذلك وفقاً للضوابط الشرعية مع وضع الضمانات الكافية وملاحظة عدم الأخذ بموجب هذه الشهادة كدليل مثبت على الأفراد إلا إذا كانت مقترنة بالمعاينة، وإن كانت هذه الإجراءات منوطة بحالة الضرورة ومتوقفة على إذن القاضي، وتسجيل الصوت يعد قرينة تساعد القاضي على اصدار قرار الحكم سواء أكان بالبراءة أم الادانة .



- (١) الموافقات في اصول الفقه، ابراهيم بن موسى المالكي الشاطبي، دار المعرفة، بيروت، ٢٨٥/٢ — ٢٨٦
- (٢) اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، محمد بن ابي بكر الزرعي، ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م، ١/٣٣٠ — ٣٣١
- (٣) سورة الاحقاق الاية ٤
- (٤) سورة يس الاية ١٢
- (٥) صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري، دار ابن كثير، بيروت — لبنان، ط/٣، ١٤٠٧ هـ — ١٩٨٧ م، ٥/٢٢٣٢ رقم الحديث (٥٦٤٠)، كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق، صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٢/٤، رقم الحديث (٢٥٥٧)، كتاب البر، باب صلة الرحم
- (٦) سورة الروم الاية ٥
- (٧) لسان العرب، لابن منظور محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت، ط/١، مادة أثر ١٢٣/١
- (٨) ينظر : قواعد الفقه للمفتي، دار الكتب الحديثة، الطبعة الثانية ١٩٦٦ م، ١/١٨٤، الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية — الكويت (١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ) ١/٢٤٩
- (٩) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني ت ٨١٦ هـ، دار الكتاب العربي، بيروت — لبنان ١٤١٧ هـ : ٢٣/١
- (١٠) ينظر البحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم، دار المعرفة، بيروت — لبنان ٩٧/٨
- (١١) عقود المعاملات في الفقه الاسلامي، د. محمد سيد أحمد، الطبعة الثانية ١٩٩٩ م. ص: ١٨٤
- (١٢) ينظر الوسيط في شرح القانون المدني، د. عبدا لرزاق السنهوري، طبعة دار النشر للجامعات المصرية ١٩٥٢ م. ٢/٧١٧
- (١٣) ينظر : مواد قانون الاثبات العراقي، رقم (١٠٧) لسنة ١٩٧٩ م
- (١٤) سورة النمل الاية (٨٨)
- (١٥) ينظر : تفسير القرطبي لجامع لأحكام القرآن، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار النشر: دار الشعب - القاهرة ١٣/٢٤٤، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار النشر: دار الفكر - بيروت ٢٢٢/٤، لسان العرب ١٣/٧٣، المعجم الوسيط ١/٨٦، تاج العروس ٣٤/٣١٧

- (١٦) المعجم الاوسط، تأليف: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دار النشر: دار الحرمين - القاهرة - ١٤١٥، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ٢٧٥/١، رقم الحديث ٨٩٧، وفي سند الحديث مصعب بن ثابت، وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة، ينظر: مسند أبي يعلى تأليف: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، دار النشر: دار المأمون للتراث - دمشق - ١٤٠٤ - ١٩٨٤، الطبعة: الأولى، تحقيق: حسين سليم أسد ٣٤٩/٧، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تأليف: علي بن أبي بكر الهيثمي، دار النشر: دار الريان للتراث/دار الكتاب العربي - القاهرة، بيروت - ١٤٠٧ ١١٥/٤
- (١٧) فيض القدير شرح الجامع الصغير، تأليف: عبد الرؤوف المناوي، دار النشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر - ١٣٥٦هـ، الطبعة: الأولى ٢/٢٨٦، الاستنكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، تأليف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: سالم محمد عطا-محمد علي معوض ١٩/٣
- (١٨) ينظر: معجم مصطلحات المكتبات والمعلومات، عبد الغفور عبد العزيز عبد الفتاح، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٢٠ هـ، ص (٢٧٩)
- (١٩) ينظر مصطلحات الطاقة، منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول، ج/ ٢ مادة التقنية
- (٢٠) ينظر اثر التقنية الحديثة في الخلاف الفقهي، د. هشام عبد الملك ال الشيخ، مكتبة الرشيد، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط/٢، (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م)، ص ١٠
- (٢١) انظر: لسان العرب ١٩/٢، تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، دار النشر: دار الهداية، تحقيق: مجموعة من المحققين ٤/٤٧٢، الصحاح؛ تاج اللغة وصحاح العربي، تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ). دار العلم للملايين - بيروت. ط/٤ ١٩٩٠ (٢٤٥/١)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تأليف: أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، دار النشر: المكتبة العلمية - بيروت ٨٠/١
- (٢٢) الموسوعة الفقهية الكويتية (٢٣٢/١).
- (٢٣) ينظر: وسائل الإثبات د. محمد الزحيلي (٢٢/١)، حُجَّة الوثيقة الإلكترونية، د. عبدالرحمن بن عبد الله السند، مجلة العدل، العدد (٣٤)
- (٢٤) الوسيط في شرح القانون المدني المصري، د. عبد الرزاق احمد السنهوري، ١٣/٢
- (٢٥) ينظر: وسائل الإثبات، د. الزحيلي (٢٢/١)
- (٢٦) ينظر: مجلة الأحكام العدلية المادة (١٧٨٥)

(٢٧) ينظر الأدلة الجنائية والتحقيق الجنائي ، د. منصور عمر المعاينة، مكتبة دار الثقافة، عمان، ط/١، ٢٠٠٠م، ص ١٦٩ - ١٧٢

(٢٨) ينظر المستجدات في وسائل الإثبات ، د. أيمن محمد عمر ص ٣٦٠

(٢٩) التعرف على الشخصية عن طريق البصمة الصوتية، مجلة الجريمة والعلم العدد ١ (١٩٨١) ص ١٩٧

(٣٠) البوليس العلمي وفن التحقيق، بهنام رمسيس، منشأة المعارف، الاسكندرية ص ١٤٤

(٣١) ينظر : التعرف على الشخصية عن طريق البصمة الصوتية، مجلة الجريمة والعلم، الرباط ١٩٨١، ص ١٩٦، البوليس العلمي وفن التحقيق، بهنام رمسيس، منشأة المعارف، الاسكندرية، ص ١٤٣، مدى مشروعية الصوت والصورة في الإثبات الجنائي، أيمن محمد الدباس ،رسالة ماجستير، الجامعة الاردنية، عمان ص ٤٤

(٣٢) التعرف على الشخصية عن طريق البصمة الصوتية ص ١٩٧ ، مدى مشروعية الصوت والصورة في الإثبات الجنائي ص ٤٤

(١) شرعية الادلة المستمدة من الوسائل العلمية، محمد صالح السمني، اطروحة دكتوراه / جامعة القاهرة، ١٩٨٣، ص ٤١٧

(٢) التعرف على الشخصية عن طريق البصمة الصوتية ص ٢

(٣٥) البوليس العلمي وفن التحقيق ص ١٤٤

(٣٦) ينظر : المستجدات في وسائل الإثبات ص (٣٦٧)

(٣٧) الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق (مع الهوامش)، تأليف: أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، الطبعة: الأولى، تحقيق: خليل المنصور ٣٠٣/١

(٣٨) ينظر : القضاء بالقرائن المعاصرة، مقالة للدكتور إبراهيم بن ناصر محمود، موقع بحوث ودراسات إسلامية

(٣٩) المصدر السابق

(٤٠) ينظر : احترام الحياة الخاصة بين الشريعة والقانون، منتدى الطريق الى الله

(٤١) سورة الحجرات الآية (١٢)

(٤٢) صحيح البخاري ١٩٧٦/٥، رقم الحديث (٤٨٤٩)، صحيح مسلم ١٩٨٥/٤ رقم الحديث (٢٥٦٣)

(٤٣) سنن ابي داود تأليف: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، دار النشر: دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ٢٧٢/٤، سنن البيهقي الكبرى تأليف: أحمد بن الحسين بن

- علي بن موسى أبو بكر البيهقي، دار النشر: مكتبة دار الباز - مكة المكرمة - ١٤١٤ -
١٩٩٤، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ٣٣٣/٨، والحديث رجاله رجال الصحيح، ورواه البزار
بإسناد حسن . ينظر : مجمع الزوائد ١٣٧/٩
- (٤٤) ينظر : شرح النووي على مسلم ١١٩/١٦، الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٧٩/٣
- (٤٥) ينظر : لسان العرب ٣٨/٦، تاج العروس ٤٩٩/١٥
- (٤٦) ينظر : شرح النووي على صحيح مسلم، تأليف: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي،
دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٣٩٢، الطبعة: الطبعة الثانية ١١٩/١٦
- (٤٧) ينظر : لسان العرب ٥٠/٦، تاج العروس ٤٤/١٧، تهذيب اللغة، تأليف: أبو منصور محمد بن
أحمد الأزهرى، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى،
تحقيق: محمد عوض مرعب ٢٦٣/٣
- (٤٨) ينظر : شرح النووي على صحيح مسلم ١١٩/١٦، تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي،
تأليف: محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا، دار النشر: دار الكتب العلمية
- بيروت ٣١٤/٨
- (٤٩) سورة يوسف الآية ٨٧
- (٥٠) ينظر : شرح النووي على صحيح مسلم ١١٩/١٦، فتح الباري ٤٨٢/١٠، تحفة الاحوزي
٣١٤/٨
- (٥١) سورة الحجرات الآية ١٢
- (٥٢) ينظر : أحكام القرآن، تأليف: أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، دار النشر: دار إحياء
التراث العربي - بيروت - ١٤٠٥، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي ٢٨٩/٥، فتح القدير ٦٦/٥
- (٥٣) صحيح البخاري كتاب النكاح باب لا يخطب على خطبة أخيه ١٩٧٦/٥ رقم (٤٨٤٩)
- (٥٤) فتح الباري ٤٩٦/١٠
- (٥٥) سنن أبي داود ٢٧٢/٤ (٤٨٨٩)، المستدرک على الصحيحين، تأليف: محمد بن عبدالله أبو
عبدالله الحاكم النيسابوري، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١هـ - ١٩٩٠م،
الطبعة: الأولى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ٤١٩/٤، والحديث رجاله ثقات، ينظر مجمع
الزوائد ٢١٥/٥
- (٥٦) مصنف عبد الرزاق : أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، دار النشر: المكتب الإسلامي -
بيروت - ١٤٠٣، الطبعة: الثانية، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي ٢٣٢/١٠ وفي أسناده أبو
قلاية وهو لم يسمع من عمر، ينظر تهذيب التهذيب، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل

العسقلاني الشافعي، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠٤ - ١٩٨٤، الطبعة: الأولى
٢٢٥/٥

(٥٧) صحيح البخاري كتاب اللباس باب الامتشاط ٢٢١٥/٥ (٥٥٨٠)، صحيح مسلم كتاب الاداب باب
تحريم النظر في بيت غيره ١٦٩٨/٣ (٢١٥٦)

(٥٨) صحيح مسلم كتاب الاداب باب تحريم النظر في بيت غيره ١٦٩٩/٣ (٢١٥٨)

(٥٩) ينظر شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، تأليف: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني،
دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١، الطبعة: الأولى ٣٣١/٤، تبصرة الحكام لابن
فرحون ١٨٦/٢ - ١٨٧، الاحكام السلطانية للماوردي ص ٣١٤، إعانة الطالبين على حل ألفاظ
فتح المعين لشرح قرة العين بمهمات الدين، تأليف: أبي بكر ابن السيد محمد شطا الدمياطي، دار
النشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ١٨٣/٤

(٦٠) ينظر: الاحكام السلطانية للماوردي ص ٣١٤

(٦١) ينظر: حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة، تأليف: ابن
عابدين، دار النشر: دار الفكر للطباعة والنشر. - بيروت. - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٢٢٢/١٦، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، تأليف: محمد عرفه الدسوقي، دار النشر: دار
الفكر - بيروت، تحقيق: محمد عlish على الشرح الكبير ١٨٠/٧، مغني المحتاج إلى معرفة
معاني ألفاظ المنهاج، تأليف: محمد الخطيب الشربيني، دار النشر: دار الفكر - بيروت ٢١١/٤،
شرح منتهى الإرادات المسمى دقائق أولي النهى لشرح المنتهى، تأليف: منصور بن يونس بن
إدريس البهوتي، دار النشر: عالم الكتب - بيروت - ١٩٩٦، الطبعة: الثانية ٥٩٠/٣، الفقه
الاسلامي وأدلته ٥٥٠/٨

(٦٢) ينظر: احترام الحياة الخاصة بين الشريعة والقانون، منتدى الطريق الى الله

(٦٣) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني
الشافعي، دار النشر: دار المعرفة - بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب ٤٨٢/١٠

(٦٤) ينظر: قانون العقوبات العراقي رقم ١١١ لسنة ١٩٩٩ وتعديلاته، المادة ٣٢٦ - ٣٢٨، حجية
التسجيل الصوتي في الاثبات الجنائي، مقالة للدكتور علي بن مد الله الرويشد، احترام الحياة
الخاصة بين الشريعة والقانون، منتدى الطريق الى الله

(٦٥) ينظر الاحكام السلطانية للماوردي ص ٣١٤، شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ٣٣١/٤،
تبصرة الحكام لابن فرحون ١٨٦/٢ - ١٨٧، إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين لشرح
قرة العين بمهمات الدين ١٨٣/٤

(٦٦) ينظر: مسائل فقهية معاصرة ص (١٣٢ - ١٣٣)

- (٦٧) ينظر : التصوير والحياة محمد نبهان سويلم ص (١٧٥)
- (٦٨) ينظر : التصوير والحياة محمد نبهان سويلم ص (١٨٠)
- (٦٩) المصدر السابق
- (٧٠) احكام التصوير في الفقه الاسلامي ص (٥٣٥)
- (٧١) المصدر السابق ص (٥٣٦)
- (٧٢) ينظر : الاشباه والنظائر لابن نجيم، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، ١٤٠٠هـ — ١٩٨٠ م ١ / ٨٥، درر الحكام شرح مجلة الأحكام، علي حيدر، دار الكتب العلمية، ٣٣/١، حاشية الصاوي على الشرح الصغير ١٤٥ / ٤
- (٧٣) ينظر : شرح مطالب اولي النهي في شرح غاية المنتهى للرحباني، المكتب الاسلامي /دمشق ص : ٩٦١، فتاوى السبكي، تقي الدين علي السبكي، دار المعرفة، بيروت — لبنان، ٣٤٢/٢، كشف القناع عن متن الإقناع، تأليف: منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، دار النشر: دار الفكر — بيروت — ١٤٠٢، تحقيق: هلال مصيلحي مصطفى هلال ٢١٣/٦، شرح متون في العقيدة، صالح بن عبد العزيز ٢١/٥
- (٧٤) ينظر : الاشباه والنظائر : ١٢٥/١، شرح القواعد الفقهية ٤٨٦/١
- (٧٥) ينظر : مسائل فقهية معاصرة ص ١٣٢ — ١٣٣
- (٧٦) ينظر : مسائل فقهية معاصرة ص ١٣٢-١٣٣
- (٧٧) ينظر الاحكام السلطانية للماوردي ص ٣١٤، شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، تأليف: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، دار النشر: دار الكتب العلمية — بيروت — ١٤١١، الطبعة: الأولى ٣٣١/٤، تبصرة الحكام لابن فرحون ١٨٦/٢ — ١٨٧، إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين لشرح قرّة العين بمهمات الدين، تأليف: أبي بكر ابن السيد محمد شطا الدمياطي، دار النشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع — بيروت ١٨٣/٤
- (٧٨) ينظر: الاحكام السلطانية للماوردي ص ٣١٤
- (٧٩) ينظر: الاشباه والنظائر ٨٧/١، شرح القواعد الفقهية ١٦٥/١
- (٨٠) ينظر: درر الحكام شرح مجلة الاحكام ٣٧/١
- (٨١) الفروق مع هوامشه للقرافي ٦٢/٢
- (٨٢) المعجم الوسيط ص ٦٠/١
- (٨٣) الطب الشرعي والتحقيق الجنائي، معوض عبد التواب، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٨٧ م، ص ٢٣٠، اساليب البحث العلمي الجنائي والتقنية المتقدمة، قدرى عبد الفتاح الشهاوي، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٩٩م، ص ٥٥

(٨٤) ينظر : علم البصمات، نظير شمس، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٢ م، ص ٦٧، العلم والجريمة، عبد الله حسين المصري، بحث شامل وتطبيقي لبصمات الاصابع واثار الاقدام، ط/١، ١٩٦٥ م، ص ٣٤، التحقيق الجنائي العلمي والفني والتطبيقي، محمود عبد الرحيم، القاهرة، ط/٣، ص ٣٣٤ — ٣٤١

(٨٥) ينظر : علم البصمات ص ٦٧، العلم والجريمة ص ٣٤، التحقيق الجنائي ٣٣٤ — ٣٤١ (٨٦) الطب الشرعي والبحث الجنائي، مديحة فؤاد الخصري، ص ٢٢٩، اساليب البحث العلمي الجنائي ص ٦١، علم البصمات ص ١٠، العلم والجريمة ص ٢٠٨

(٨٧) الطب الشرعي والتحقيق الجنائي ص ٢٠٨

(٨٨) الطب الشرعي والبحث الجنائي ص ٢٢٩، البوليس العلمي ص ١١٦

(٨٩) البوليس العلمي ص ١٢١ — ١٢٢، قول أهل الخبرة واعتباره وحجيته في الشريعة الاسلامية،

عدنان حسن العزايرة، اطروحة دكتوراه، جامعة أم درمان، السودان، ص ٤٤١

(٩٠) الطب الشرعي والبحث الجنائي ص ٢٤٥، اساليب البحث العلمي الجنائي ص ٧٩

(٩١) الطب الشرعي والبحث الجنائي ص ٢٤٥، اساليب البحث العلمي الجنائي ص ٧٩

(٩٢) الطب الشرعي والبحث الجنائي ص ٢٤٥، اساليب البحث العلمي الجنائي ص ٧٩، كشف

الجرائم بالوسائل العلمية الحديثة ص ١٥٣، ١٥٤

(٩٣) اساليب البحث العلمي الجنائي ص ٦١ — ٦٢

(٩٤) سورة القيامة الآية ١٤

(٩٥) الموسوعة الجنائية الإسلامية المقارنة بالأنظمة المعمول بها في المملكة العربية السعودية، تأليف

سعود بن عبد العالي البارودي العتيبي عضو هيئة التحقيق والإدعاء العام فرع منطقة الرياض

الطبعة الثانية ١٤٢٧، ١ / ١٧٤

(٩٦) ينظر المستجدات في وسائل الاثبات ص ٣٧٩

(٩٧) الطب الشرعي وجرائم الاعتداء ص (٣٨٤)، الكشف عن الجريمة بالوسائل العلمية ص

(٢٥١ — ٢٦٠)

(٩٨) الطب الشرعي وجرائم الاعتداء ص (٣٨٥)

(٩٩) المصدر السابق ص (٣٨٦)

(١٠٠) الطب الشرعي وجرائم الاعتداء ص (٣٨٦)

(١٠١) المصدر السابق ص (٣٨٧ — ٣٨٨)

(١٠٢) قول اهل الخبرة للعزايزة ص (٤٦٥ — ٤٦٦)

(١٠٣) الطب الشرعي وآداب الطب لابي الراغب ص (٩٢)

- (١٠٤) ينظر : الفروق مع هوامشه ٣١٣/٤، المنشور ٤٠٠/١
- (١٠٥) بصمات غير الاصابع وحجيتها في الاثبات والقضاء ٧٥٩/٢
- (١٠٦) ينظر : تبصرة الحكام ٢١٩/٢، المستجدات في وسائل الاثبات ص ٥٢٣ — ٥٢٥
- (١٠٧) ينظر البصمة الوراثية حجيتها في الاثبات الجنائي ن المحامي حسام الاحمد، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت — لبنان، ٢٠١٠ م ص ١٥٩ وما بعدها
- (١٠٨) الطرق الحكمية، تأليف: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار النشر: مطبعة المدني — القاهرة، تحقيق: د. محمد جميل غازي ٣٤/١ — ٣٥
- (١٠٩) ينظر البصمة الوراثية حجيتها في الاثبات الجنائي ن المحامي حسام الاحمد، ص ١٥٩ وما بعدها

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ١- اثر التقنية الحديثة في الخلاف الفقهي، د. هشام عبد الملك ال الشيخ، مكتبة الرشيد، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط/٢، (١٤٢٨ هـ — ٢٠٠٧ م)
- ٢- احترام الحياة الخاصة بين الشريعة والقانون، منتدى الطريق الى الله
- ٣- احكام التصوير في الفقه الاسلامي، محمد بن احمد واصل، دار طيبة، الرياض، ط/٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م .
- ٤- الاحكام السلطانية والولايات الدينية، علي بن محمد الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان .
- ٥- أحكام القرآن، تأليف: أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، دار النشر: دار إحياء التراث العربي — بيروت — ١٤٠٥، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي
- ٦- الأدلة الجنائية والتحقيق الجنائي، د. منصور عمر المعايطة، مكتبة دار الثقافة، عمان، ط/١، ٢٠٠٠م
- ٧- اساليب البحث العلمي الجنائي والتقنية المتقدمة، قدري عبد الفتاح الشهاوي، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٩٩م،
- ٨- الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، تأليف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي، دار النشر: دار الكتب العلمية — بيروت — ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: سالم محمد عطا-محمد علي معوض ،
- ٩- الاشباه والنظائر لابن نجيم، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠ م

- ١٠- إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين لشرح قرة العين بمهمات الدين، تأليف: أبي بكر ابن السيد محمد شطا الدمياطي، دار النشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت
- ١١- اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، محمد بن ابي بكر الزرعي، ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م ،
- ١٢- بصمات غير الاصابع وحجيتها في الاثبات والقضاء، عباس الباز، بحوث مؤتمر الهندسة الوراثية بين الشريعة والقانون، ٥-٧ مايو ٢٠٠٢م، جامعة الامارات
- ١٣- البصمة الوراثية حجيتها في الاثبات الجنائي ن المحامي حسام الاحمد، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت - لبنان، ٢٠١٠ م
- ١٤- البوليس العلمي وفن التحقيق، بهنام رمسيس، منشأة المعارف، الاسكندرية
- ١٥- تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، دار النشر: دار الهداية، تحقيق: مجموعة من المحققين
- ١٦- تبصرة الحكام في اصول الاقضية ومناهج الحكام ،لابن فرحون، ط/١، دار الكتب العلمية، ١٤١٦ هـ .
- ١٧- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، تأليف: محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت
- ١٨- التحقيق الجنائي العلمي والفني والتطبيقي، محمود عبد الرحيم، القاهرة، ط/٣ ،
- ١٩- التصوير والحياة ، محمد نبهان سويلم، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٤ م .
- ٢٠- التعرف على الشخصية عن طريق البصمة الصوتية، مجلة الجريمة والعلم العدد ١ (١٩٨١)
- ٢١- تفسير القرطبي لجامع لأحكام القرآن، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار النشر: دار الشعب - القاهرة ،
- ٢٢- تهذيب التهذيب، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠٤ - ١٩٨٤، الطبعة: الأولى
- ٢٣- تهذيب اللغة، تأليف: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عوض مرعب
- ٢٤- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، تأليف: محمد عرفه الدسوقي، دار النشر: دار الفكر - بيروت، تحقيق: محمد عlish على الشرح الكبير
- ٢٥- حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة، تأليف: ابن عابدين.. دار النشر: دار الفكر للطباعة والنشر. - بيروت. - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

- ٢٦— حجية التسجيل الصوتي في الإثبات الجنائي، مقالة للدكتور علي بن مد الله الرويشد
- ٢٧— حُجَّة الوثيقة الإلكترونية، د. عبدالرحمن بن عبد الله السند
- ٢٨— درر الحكام شرح مجلة الأحكام، علي حيدر، دار الكتب العلمية
- ٢٩— سنن أبي داود تأليف: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، دار النشر: دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد
- ٣٠— سنن البيهقي الكبرى تأليف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، دار النشر: مكتبة دار الباز - مكة المكرمة - ١٤١٤ - ١٩٩٤، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ٣٣٣/٨ ،
- ٣١— الصحاح؛ تاج اللغة وصحاح العربي، تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ). دار العلم للملايين - بيروت. ط/٤ ١٩٩٠
- ٣٢— صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري، دار ابن كثير، بيروت - لبنان، ط/٣، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٣٣— صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار احياء التراث العربي، بيروت
- ٣٤— شرح القواعد الفقهية شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، تأليف: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١، الطبعة: الأولى
- ٣٥— شرح متون في العقيدة، صالح بن عبد العزيز
- ٣٦— شرح مطالب اولي النهي في شرح غاية المنتهى للرحباني، المكتب الاسلامي /دمشق
- ٣٧— شرح منتهى الإرادات المسمى دقائق أولي النهي لشرح المنتهى، تأليف: منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، دار النشر: عالم الكتب - بيروت - ١٩٩٦، الطبعة: الثانية
- ٣٨— شرح النووي على صحيح مسلم، تأليف: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٣٩٢، الطبعة: الثانية
- ٣٩— شرعية الأدلة المستمدة من الوسائل العلمية، محمد صالح السمني، اطروحة دكتوراه / جامعة القاهرة، ١٩٨٣
- ٤٠— الطب الشرعي والبحث الجنائي، مديحة فؤاد الخضري
- ٤١— الطب الشرعي والتحقيق الجنائي، معوض عبد التواب، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٨٧ م
- ٤٢— الطرق الحكمية، تأليف: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار النشر: مطبعة المدني - القاهرة، تحقيق: د. محمد جميل غازي
- ٤٣— عقود المعاملات في الفقه الاسلامي، د. محمد سيد أحمد، الطبعة الثانية ١٩٩٩ م.
- ٤٤— علم البصمات، نظير شمس، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٢ م،

- ٤٥- العلم والجريمة، عبد الله حسين المصري، بحث شامل وتطبيقي لبصمات الاصابع واثار الاقدام، ط/١، ١٩٦٥ م ،
- ٤٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار النشر: دار المعرفة - بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب فتاوى السبكي، تقي الدين علي السبكي، دار المعرفة، بيروت — لبنان
- ٤٧- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار النشر: دار الفكر - بيروت
- ٤٨- الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق (مع الهوامش)، تأليف: أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، الطبعة: الأولى، تحقيق: خليل المنصور
- ٤٩- الفقه الاسلامي وأدلته وهبة الزحيلي ، ط/٨ ، دار الفكر ، بيروت - لبنان (١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م) .
- ٥٠- قانون العقوبات العراقي رقم ١١١ لسنة ١٩٩٩ وتعديلاته ،
- ٥١- القضاء بالقرائن المعاصرة، مقالة للدكتور إبراهيم بن ناصر محمود، موقع بحوث ودراسات إسلامية
- ٥٢- قواعد الفقه للمفتي، دار الكتب الحديثة، الطبعة الثانية ١٩٦٦م
- ٥٣- قول أهل الخبرة واعتباره وحجته في الشريعة الاسلامية، عدنان حسن العزايرة، اطروحة دكتوراه ، جامعة أم درمان، السودان،
- ٥٤- كشف القناع عن متن الإقناع، تأليف: منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠٢، تحقيق: هلال مصيلحي مصطفى هلال
- ٥٥- لسان العرب، لابن منظور محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت، ط/١
- ٥٦- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تأليف: علي بن أبي بكر الهيثمي، دار النشر: دار الريان للتراث/دار الكتاب العربي - القاهرة ، بيروت - ١٤٠٧
- ٥٧- مجلة الأحكام العدلية (مطبوع مع شرح المجلة، رستم باز)، دار احياء التراث العربي، بيروت هـ - لبنان، ١٩٨٦ م .
- ٥٨- مدى مشروعية الصوت والصورة في الاثبات الجنائي، ايمان محمد الدباس ،رسالة ماجستير، الجامعة الاردنية، عمان
- ٥٩- المستجدات في وسائل الاثبات ، د. ايمن محمد العمر، الدار العثمانية للطباعة، بيروت - لبنان، ط/٢، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

- ٦٠- المستدرك على الصحيحين، تأليف: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عظام
- ٦١- مسند أبي يعلى تأليف: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، دار النشر: دار المأمون للتراث - دمشق - ١٤٠٤ - ١٩٨٤، الطبعة: الأولى، تحقيق: حسين سليم أسد،
- ٦٢- مشروعية الصوت والصورة في الإثبات الجنائي / دراسة مقارنة /، الدكتور محمد امين الخرشنة، دار الثقافة، الاردن - عمان، ط/١، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م
- ٦٣- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تأليف: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، دار النشر: المكتبة العلمية - بيروت
- ٦٤- مصطلحات الطاقة، منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول الأوبك ١٩٨٩ م
- ٦٥- مصنف عبد الرزاق : أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، دار النشر: المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٣، الطبعة: الثانية، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي
- ٦٦- معجم مصطلحات المكتبات والمعلومات، عبد الغفور عبد العزيز عبد الفتاح، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٢٠ هـ
- ٦٧- المعجم الوسيط، تأليف: إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، تأليف: محمد الخطيب الشربيني، دار النشر: دار الفكر - بيروت دار النشر: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية
- ٦٨- المنثور في القواعد، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، ت ٧٩٤ هـ، ط/١، الكويت، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، ١٤٠٢هـ .
- ٦٩- الموافقات في اصول الفقه، ابراهيم بن موسى المالكي الشاطبي، دار المعرفة، بيروت .
- ٧٠- الموسوعة الجنائية الإسلامية المقارنة بالأنظمة المعمول بها في المملكة العربية السعودية، تأليف سعود بن عبد العالي البارودي العتيبي عضو هيئة التحقيق والإدعاء العام فرع منطقة الرياض الطبعة الثانية ١٤٢٧
- ٧١- الموسوعة الفقهية الكويتية وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت (١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ) .
- ٧٢- الوسيط في شرح القانون المدني، د. عبدا لرزاق السنهوري،، طبعة دار النشر للجامعات المصرية ١٩٥٢م.

الدبلوماسية الوقائية وأثرها في معالجة الخلافات (دراسة مقارنة بين الشريعة الإسلامية والقانون الدولي))

د. عدنان خزل عباس الجبوري
الجامعة العراقية/ كلية الآداب

ملخص البحث

اعتمدت الشريعة الإسلامية في معالجتها للمعضلات من خلال الحوار وهو الوسيلة المعتمدة في مجال العلاقات ومبدأ عام من مبادئ العلاقات الإنسانية الدولية الإسلامية، وقد جاء تنظيم العلاقة مع الآخرين في منتهى الروعة والكمال والجلال، في كافة شؤون الحياة، وفي مختلف الظروف والأحوال سواء في حال الحرب، أو في حال السلم، وسواء كانوا أهل ذمة أو مستأمنين أو معاهدين أو حربيين أو مرتدين، نظمها تنظيمًا دقيقاً راعى فيه تحقيق المصالح والعدل، وحفظ حق الدين والإنسان وقد كان لأحكام الشريعة الإسلامية السيادة في التطبيق قروناً عديدة فما وجد الناس في هذه القرون حاجة إلى تشريع آخر سواء كان قانون داخلي ينظم امر الدولة والمواطن او قانون دولي ينظم شؤون الدول فيما بينها ولم يجد الناس ضيقاً في تطبيق الشريعة الإسلامية ، بل كان في ذلك التطبيق تحقيق العدل بين الناس ورعاية مصالحهم المشروعة.

Abstract

Islamic law adopted in dealing with the dilemmas through dialogue is the means adopted in the field of relations and the general principle of the International Islamic human relations, has been organizing the relationship with the other came in the most fascinating and perfect glory, in all affairs of life, and in different circumstances and conditions, whether in the event of war, or in the event of peace, and whether they are people of edema or Mstoemien or Maahidin or warheads or apostates, organized by the carefully structured took into account the achievement of interests and justice, and save the right of religion and human has been with the provisions of Islamic Sharia sovereignty in the application for many centuries, what people have found in these centuries we need to legislation The last Whether it is an internal law that regulates the state and the citizen or international law regulating the affairs of states, among them people did not find a narrowing of the application of Islamic law, but was in that application to achieve justice among people and care for their legitimate interests.

مُكَلِّمَةٌ

الحمد لله حمداً كثيراً يوافي نعمه، والصلاة والسلام على نبينا الهادي إلى سبيل الرشاد المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

سبب اختيار الموضوع :-

في فترة زمنية ليست بالقريبة وقع بين يدي الباحث كتاب عنوانه (الوجيز في تاريخ القانون الدولي) ، لمؤلفه الأستاذ آرثر نوسبوم (١٨٧٧م - ١٩٦٤م) وهو رجل ألماني عمل أستاذاً للقانون في جامعة برلين وجامعة نيويورك ما بين عام ١٩١٤م ولغاية ١٩٥٠م^(١).

أعطى مؤلف الكتاب عرضاً لمظاهر تطور القانون الدولي عبر العصور منذ العهد القديم^(٢)، ولغاية الحرب العالمية الثانية^(٣)، وهو بحق مؤلف يستحق الثناء للمجهود الذي بذل فيه .

وبعد الإطلاع على ثنايا المؤلف استوقفني بعض الذي جاء فيه وخاصةً إن المؤلف يعتبر إن المفهوم الواسع للقانون الدولي هو نتاج الحضارة المسيحية الأوروبية الكاثوليكية والبروتستانتية إذ يقول: ((بمرور القرون طورت الكنيسة نظاماً شاملاً هو القانون الكنسي عرف فيما بعد "المجموعة القانونية الكنسية Corpus iuris canonic" ، ولم يكن القانون الكنسي وطنياً أو دولياً وإنما كان أمياً وحتى عالمياً ، مما يستوجب طاعته في جميع أرجاء العالم المسيحي، وبهذا كانت الكنيسة قد توغلت بصورة مباشرة وغير مباشرة في مجالات لم تلبث أن اعتبرت من قبيل المجالات الملائمة للسلطة الدنيوية فعلى وجه الخصوص كانت الكنيسة قادرة على إن تقرر القواعد في مجالات العلاقات الدولية، وهي قواعد تتجاوز في طبيعتها القسرية إلى حد كبير قواعد القانون الدولي الحالي))^(٤). وتناول الأستاذ آرثر في باب آخر الحضارات الشرقية وبرز تلك الحضارات هي الحضارة الإسلامية وتكلم عن نشأة القانون الإسلامي إذ قال : ((إن القانون الإسلامي الحقيقي هو لدرجة كبيرة حصيلة تفسير

الفقهاء وانجازاتهم ، ويختلف هؤلاء بصورة واسعة ، خصوصا حسب اختلاف الأقطار والعصور... إلى قوله : فشل هؤلاء- يقصد فقهاء المسلمين - في تطوير وحدة نسبية مثل التي وصل إليها النظام المركزي للكنيسة الكاثوليكية))^(٥) .

أهمية الموضوع :-

تتجلى هذه الأهمية في قوله تعالى ﴿ وَلَا تُجَدِّلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾^(٦) حيث اعتمدت الشريعة الإسلامية في معالجاتها للمعضلات من خلال الحوار وهو الوسيلة المعتمدة في مجال العلاقات ومبدأ عام من مبادئ العلاقات الإنسانية الدولية الإسلامية ، إن القارئ لما تناولته الأستاذ آرثر في وصفه للحضارة الإسلامية لم يكن وصفا صحيحاً حيادياً وذلك واضح في عرضه لقواعد القانون الإسلامي، وكان لابد له من الإطلاع الواسع على تلك الحضارة والمنهجية العظيمة الكبرى للإسلام التي وضعها لنا الشارع الشريف والمتمثلة بالقران الكريم وتلك السيرة العظيمة لحضرة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) قبل وبعد بعثته الشريفة وما أرساه من قواعد إنسانيه حضاريه سليمة شهد لها القاصي والداني تلك الحضارة الإسلامية المتكاملة في كل جانب من جوانب الحياة ونحن لا نقول هذا كوننا أبناء هذه الحضارة الخالدة إنما شهد بذلك أبناء الحضارة الأوربية أنفسهم وهنا اذكر قول لاستاذنا العلامة الكبير حضرة الدكتور عبد الله مصطفى (طيب الله ثراه) اذا يقول في سفره الخالد معالم الطريق اذ ذكر لاحد المستشرقين قولاً يصف فيه الحضارة الإسلامية ((فهذا" رينولد نكلس " وهو من مرموقي المستشرقين في كتابه ألتر هيستوري أوف ذ أرابس : واكثر من رجل ممن مضوا ، استطاع محمد ان يرتب مستقبل امته فعلى الرغم من انهم ابتعدوا عن زمانه كلما مضوا في درب الحضارة فانهم ظلوا يتوجهون اليه وراءهم للهداية والحكم عند كل خطوة))^(٧) ومما يشار إليه كذلك قوله عن العلاقات الدولية للدولة الإسلامية : ((ان القانون الإسلامي المتعلق بالعلاقات الدولية قليل وغامض باستثناء ما تعلق منه ببعض مظاهر الحرب))^(٨) . وفي ذات المؤلف تطرق إلى مسألة الحرب في النظرية الإسلامية وعدها ركيزة

للعلاقات الدولية عند المسلمين إذ يقول ((ويحتل موضوع الحرب موقعا مركزيا في النظرية الإسلامية للعلاقات الدولية))^(٩). وهذا خلاف الواقع إذ أن الإسلام نظريته التي قام عليها هي علاقة دعوة إلى الله تعالى فالأمة الإسلامية أمة دعوة عالمية تتخطى في إيمان وسمو وعفوية وهي تفتح أبواب رحمة السماء لأهل الأرض أجمعين فالدعوة تقدم على القتال لأن القتال ما فرض لعينه وذاته بل للدعوة إلى الإسلام يقول الإمام محمد بن الحسن -رحمه الله تعالى- أنه إذا لقي المسلمون المشركون وكانوا لم يبلغهم الإسلام ، فليس لهم أن يقاتلوه حتى يدعوهم إلى الإسلام فإن امتنعوا فالجزية ، وآخر ما ينتهي به هو القتال^(١٠) ، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(١١).

ونحن ان ذكرنا في بحثنا هذا الأصل في علاقة المسلمين مع غيرهم سواء كانت دعوة أو سلم أو حرب ، فإن هذا لا يعني اننا نصدر حكماً تكليفياً على هذه العلاقة بأنه واجب أو حرام مثلاً ، وانما نبين فقط القاعدة العامة في الشريعة الإسلامية التي تحكم العلاقات والصلات بين المسلمين وغيرهم من الأمم والدول غير الإسلامية.

خطة البحث :-

أحاول أن تكون دراستي لهذا الموضوع مبنية على المقارنة بين منهج الشريعة الإسلامية الغراء وما عليه القانون الدولي وقد قسمت دراستي هذه على خمسة مباحث:-

المبحث الأول:- الدبلوماسية ونشأتها .

المبحث الثاني:- العلاقات الدبلوماسية .

المبحث الثالث:- القواعد والأسس في العلاقات الدولية .

المبحث الرابع:- الدبلوماسية الوقائية .

المبحث الخامس:- تطبيقات الدبلوماسية الوقائية .

المعوقات :-

ان مفهوم الدبلوماسية بدا يتغير وفق معايير ومتطلبات الدول العظمى ووفق مصالحها السياسية والاقتصادية لذا فانك عند تطلع على القوانين والأنظمة الدولية المنظمة للعلاقات الدولية تج الواقع خلاف تلك الأنظمة إذ أن الدول العظمى صيرت

تلك القوانين لمصالحها على حساب الدول الضعيفة وعندي بحثي لمفردات هذا الموضوع وجدته موضوع كبير وهناك أنواع من الدبلوماسية تتطوي تحت المفهوم العام للدبلوماسية ومن تلك الأنواع هي الدبلوماسية الوقائية والغريب بالأمر هو تبجح هذه الدول واتخاذها الأساليب البعيدة كل البعد عن الدبلوماسية إذ أن في السابق كان هناك الدبلوماسية الوقائية أما اليوم تحولت إلى الحروب الوقائية وهذا بحق أمر مخجل على دعاة الحضارة ومن طبل لهذه الحضارة الكاذبة .

ومن معانات الباحث هي قلة المصادر المتعلقة بهذا الموضوع إذ أن الباحثين الإسلاميين جزاهم الله خير الجزاء كانوا يشيرون لهذا النوع من الدبلوماسية دون الوقوف على مضامينها كون أن المفهوم العام للدبلوماسية يتضمن في طياته معنى الدبلوماسية الوقائية ولكن هو في حقيقة الأمر مفهوم اخذ مجالاته الكبيرة في العلاقات الدولية بين الدول .

وأخيراً وليس آخراً اعتذر إلى القارئ الحصيف على خطئي فهو ليس بعمد وإنما هو اجتهادي وأنا لست بمعصوم من الخطأ والجهل والكريم يعفو ويستتر ، وأدعو المنان أن يغفر لي ويسامحني عن غفلة وزلتي بما قصرت في عملي وحسبي ربي واصلني واسلم على سيدي وقرة عيني سيدي محمد وعلى اله وصحبه أجمعين .

المبحث الأول الدبلوماسية ونشأتها

المطلب الأول :- ماهية الدبلوماسية

الفرع الأول : الدبلوماسية لغةً واصطلاحاً :

أولاً- لغةً: الدبلوماسية يمكن توصيفها بالعربية على إنها كلمة لها مدلول شبيه بما تعارف عليه العرب في لفظ (كتاب) للتعبير عن الوثيقة التي يتبادلها أصحاب السلطة بينهم والتي تمنح حاملها مزايا الحماية والأمان، أو كلمة (سفارة) التي تستخدم عند العرب بمعنى الرسالة أي التوجه والانطلاق إلى القوم ، بغية التفاوض وتشق كلمة : (سفارة من سفر أو أسفر بين القوم إذا صلح) و (كلمة سفير هو من يمشي بين القوم في الصلح أو بين رجلين) ^(١٢).

ثانياً : اصطلاحاً :

١- ((الدبلوماسية كلمة اليونانية (Diploma) دبلوما، ومعناها الوثيقة المطوية التي تصدر عن الشخص ذي السلطان في البلاد، وتخول حاملها امتيازات خاصة. وقد دخلت هذه الكلمة المعجم الدولي منذ أواسط القرن السابع عشر الميلادي ويمكن تعريف الدبلوماسية بأنها فن وعلم إدارة العلاقات الدولية)) ^(١٣).

٢- ((هي توجيه العلاقات الدولية عن طريق المفاوضات، والأسلوب الذي به يدير السفراء والمبعوثون هذه العلاقات تسمى دبلوماسية)) ^(١٤).

٣- هي أفضل الوسائل التي اخترعها الإنسان لتجنب إدارة العلاقات الدولية عبر القوة وحدها، ومستندة في ذلك المعاني الحضارية، والتوازنات الإنسانية ^(١٥).

٤- علم العلاقات والمصالح المتبادلة بين مختلف الدول ، تحكمها مبادئ القانون الدولي العام ونصوص المعاهدات والاتفاقات ^(١٦).

ثالثاً : ويمكن تقسيم الدبلوماسية على عدة أنواع :

أولاً : الدبلوماسية الثنائية، التي تتم مباشرة بين دولتين.

ثانياً : الدبلوماسية الجماعية التي تتم بين مجموعة من الدول عبر المؤتمرات والمنظمات الدولية ^(١٧).

ثالثاً : الدبلوماسية الدولية .

رابعاً :الدبلوماسية الإقناع .

خامساً : دبلوماسية الضغط .

سادساً : الدبلوماسية الوقائية ، وهي موضوع بحثنا وسوف نتناولها بنوع من التفصيل ان شاء الله ، ومهما يكن فإن الدبلوماسية هي فن التعامل مع المتناقضات والتفاوض للخروج بنتيجة مرضية للطرفين أو الأطراف المشتركة فيه^(١٨).

الفرع الثاني : أهمية الدبلوماسية في حياة الشعوب

وتكمن أهمية الدبلوماسية باعتبارها الأداة الرئيسية لتحقيق أهداف السياسة الخارجية في التأثير على الدول والجماعات الخارجية بهدف استمالتها وكسب تأييدها بوسائل شتى، إضافة إلى توصيل المعلومات للحكومات والتفاوض معها. وتعنى الدبلوماسية بتعزيز العلاقات بين الدول وتطويرها في المجالات المختلفة والدفاع عن مصالح وأشخاص رعاياها في الخارج، وتمثيل الحكومات في المناسبات والأحداث^(١٩).

ولما كانت الصراعات الدبلوماسية حرباً باردة، بسلاح منطق المصالح، فلا يكسبها إلاّ الأقوى بالعقل، المحيط علماً بكل شاردة وواردة تتعلق بالأمر، بحكم أنّ العلاقات الدولية لا تخضع، في آخر الأمر، إلاّ لقانون المصالح، ولأنّ الدبلوماسية من مهارتها الفائقة أن تضفي على المصالح الحقيقية غطاء القيم والمبادئ^(٢٠)، لما كان الأمر كذلك، فإن السمات المميزة لدبلوماسية عن أخرى، هي هذه القيم الأخلاقية والمبادئ الإنسانية.

والدبلوماسية من حيث هي علم له قواعده، وفن له أصوله، ومهنة لها تقاليدها، لا تختلف من دولة لدولة، ومن مجموعة إقليمية إلى أخرى. قد تختلف الأهداف والمصالح، وقد يختلف الأسلوب في الأداء والممارسة أحياناً، ولكن تبقى الدبلوماسية كما يصطلح عليها الجميع، هي (مجموعة المفاهيم والقواعد والإجراءات والمراسم والمؤسسات والأعراف الدولية التي تنظم العلاقات بين الدول والمنظمات الدولية والممثلين الدبلوماسيين، بهدف خدمة المصالح العليا الأمنية والاقتصادية

والسياسات العامة، للدول، وللتوفيق بين مصالح الدول بواسطة الاتصال والتبادل وإجراء المفاوضات السياسية وعقد الاتفاقات والمعاهدات الدولية^(٢١).

المطلب الثاني : نشأة الدبلوماسية

تعود جذور الدبلوماسية إلى التاريخ البشري القديم حين نشأت استجابة لضرورة تنظيم العلاقات بين القبائل و الشعوب (كالمصريين والبابليين و الآشوريين) حيث مارس المبعوث دوراً سياسياً يعتبر في طليعة الأدوار السياسية الواضحة في المجتمعات الإنسانية. أما مهمة المبعوث فكانت إقامة التفاهم حول قضايا مختلف عليها كتقسيم المياه أو تحديد مناطق الصيد لكل من الأطراف أو إقامة التحالف ضد أطراف ثالثة أو إعلان الحرب أو إبرام الصلح وتبادل الأسرى أو الوصول إلى الاتفاقيات التجارية ، وقد حاول اليونان و الرومان تنظيم هذه المهام بواسطة مبعوثين كانوا يسمونهم *egatis* .

أما بالنسبة للعرب في الجاهلية فكانت القبائل ترسل الوفود للتهاني والتعازي والتشاور و التفاوض و التحالف ، وقد عرفوا وظيفة ((سفارة)) للدلالة على هذا النوع من العمل الدبلوماسي في علاقاتهم مع غيرهم من الدول .

وفي عصر الحضارة الإسلامية الفتيه قام حضرة النبي العربي الأعظم (صلى الله عليه وسلم) بإيفاد عدد من الرسل إلى كثير من الملوك ورؤساء القبائل العربية للدعوة إلى اعتناق الدين الإسلام الحنيف وسيأتي تفصيل ذلك في باب آخر من بحثنا هذا إن شاء الله تعالى ، وقد توخى العرب والمسلمين انتقاء الرسل وفق توافر مواصفات معينة فيهم منها الجسامة والوسامة والثقافة والفصاحة والحصافة والعراقة والحلم .

حيث أوفد حضرته (صلى الله عليه وسلم) الرسل إلى النجاشي ملك الحبشة والمقوقس ملك مصر وهرقل إمبراطور الروم وكسرى ملك فارس وكانوا يحملون معهم كتباً متوجة بعبارة ((سلام على من اتبع الهدى)) يدعوهم فيها حضرة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) إلى اعتناق الدين الإسلامي^(٢٢) .

وقد استقبل الرسل من قبل الملوك والأباطرة بالتكريم عدا كسرى الفرس الذي مزق الكتاب المرسل معلناً بذلك الحرب على المسلمين . وقد حذا الخلفاء الراشدون (رضي الله عنهم وأرضاهم) حذو الرسول الأعظم (صلى الله عليه وسلم) في إيفاد الرسل والكتب والبعثات الدبلوماسية التي تنوعت أغراضها وأهدافها وقد اولت الدولة الإسلامية اهتمام كبير بالرسل والوافدين إليها من خلال توفير الأمان والسلام طوال إقامتهم في ربوعها.

اكتسبت العلاقات الدبلوماسية قواعد ثابتة وأسساً واضحة وترسخت مع مرور الزمن من خلال احترام الدول لها وعملها بها . وترسخ البروتوكول الدبلوماسي كوسيلة من وسائل تمكين الدبلوماسي من شرح موقف حكومته بتعابير دقيقة ومهذبة ، وتركزت مهامهم في إطلاع دولتهم على جميع ما يجري في البلاد المعتمدين لديها والإسهام في إيجاد الحلول السلمية للمنازعات الدولية انطلاقاً من الحفاظ على موازين القوى. ويبقى أن هدف الدبلوماسية الأعلى هو إنجاز المصالح في مجال العلاقات الخارجية من خلال التفاوض و التفاهم ، إلا أنها مع ذلك لا تكون بديلة عن حيازة أسباب (القوة و المنعة الذاتية للدول) . فالدبلوماسية و القوة يحتفظان بعلاقة متوازنة بحيث تدعم كل منها الأخرى^(٢٣).

المبحث الثاني

العلاقات الدبلوماسية

المطلب الأول :- العلاقات الدبلوماسية في الشريعة الإسلامية

أن مصطلح الدبلوماسية حديث العهد في العلاقات الدولية، بيد أن جوهر الدبلوماسية من حيث هو التفاوض والتعامل السلمي بين الدول، قد عرفت منذ أقدم العصور، حيث كانت العلاقات المتبادلة معروفة بين الدول، إنما لم تكن هذه العلاقات منتظمة في بادئ أمرها، بل كانت ترتب في مناسبات معينة بواسطة رسل أو مندوبين خصوصيين^(٢٤).

وقد نشأت الدبلوماسية كوسيلة اتصال وتفاهم بين الجماعات السياسية المتجاورة منذ التاريخ القديم^(٢٥)، ولكن مع نمو التعامل الدولي، سار العرف تدريجياً، واستمر على إرسال السفراء والممثلين الدبلوماسيين.

وقد صنف هؤلاء السفراء والممثلون في فئات متعددة، وفق مكانتهم ووظائفهم واختصاصاتهم، ووقعت المعاهدات، ووضعت التركيبات لتفصيل مهامهم، ولضبط المراسيم المخصصة بمناسبة بداية عملهم ونهايته، ولتعيين حصاناتهم، وامتيازاتهم^(٢٦).

وكذلك أقر الشرع والعرف عند العرب كثيراً من هذه القواعد الدبلوماسية، فلم تكن العلاقات بين شبه الجزيرة العربية وجوارها قائمة على الحروب الدائمة، ولا على القطيعة والعزلة، بل هناك ثمة علاقات سلمية وهناك علاقات بعد انتهاء الحرب، أو تجنباً لوقوعها فضلاً عن العلاقات التجارية وتبادل الوفود و البعثات^(٢٧)، وهناك ما تعارف القوم على تسميته وهو السفير إي الرسول والمصلح بين القوم^(٢٨)، وقد استعملت الكلمتان، اصطلاحاً، بمعنى واحد، للموفد الدبلوماسي، وإن غلب أحياناً المدلول الديني في استعمال كلمة الرسول، وغلب معنى الوساطة والإصلاح في استعمال كلمة السفير . لم تغفل الشريعة الإسلامية من إبراز أهمية التمثيل الدبلوماسي كأحد الوسائل الأساسية للتواصل بين الشعوب. فالنظام الداخلي في خطوطه العريضة لدولة الإسلام قد وضع مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكتابته كتاب المواعدة بينه وبين اليهود والمشركين^(٢٩) من جهة، ومن جهة أخرى النظام الخارجي لهذه الدولة الفتية فقد وضع في السنة السادسة حضرة النبي (عليه أفضل الصلاة والسلام) حين انتزع المسلمون الاعتراف بحقوقهم في صلح الحديبية تمثيل دبلوماسي خارجي.

وقد بعث الرسول صلى الله عليه وسلم السفراء والمبعوثين إلى ملوك البلاد المجاورة، فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك قال: إن نبي الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى "أكيدر دومة" رجل من بني كنانة، كان ملكاً عليها، وكان نصرانياً ، وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى^(٣٠).

المطلب الثاني: العلاقات الدبلوماسية في القانون الدولي^(٣١):

قبل البدء بالموضوع لا بد لنا من تعريف القانون الدولي ، لقد اختلف الفقهاء أيضاً حول تعريف القانون الدولي ولكننا نستطيع أن نعرفه بأنه " مجموعة القواعد القانونية الاتفاقية الصادرة نتيجة التراضي الصريح أو الضمني للدول، والتي تنظم علاقات المجتمع الدولي وتكون ملزمة لجميع الدول في تصرفاتها على المستوى الخارجي، كما تحدد حقوق كل دولة وواجباتها في مواجهة غيرها من الدول " (٣٢).

من خلال ذلك يلاحظ وفي المدة الأخيرة، وخاصة منذ الإعلان عن فكرة (النظام العالمي الجديد) حصول خلط غريب ومؤسف بين مفهومين مستقلين وهما: (القانون الدولي) من جهة و(العلاقات الدولية) من جهة ثانية ويظهر أن المستفيدين من هذا (النظام العالمي الجديد) هم الذين يدفعون الأمور نحو هذا الخلط المتعمد. والحقيقة هي أن كلاً من (القانون الدولي) و(العلاقات الدولية) يبحثان في العلاقات بين الدول ولكن مع وجود فرق مهم بينهما وهو أن الأول علم معياري يضع المبادئ والقواعد (المبادئ هي أمهات القواعد) التي تحدد إطار (المشروعية الدولية) وأما (العلاقات الدولية) فهي علم موضوعي يبحث في العلاقات التي تقوم بين الدول، سواء أكانت هذه العلاقات إيجابية) توطيد العلاقات، التعاون بين الدول، بناء السلام) أم سلبية (التجسس، التدخل في الشؤون الداخلية للدولة الأخرى، الهيمنة، الصراع، الحرب)، وبصرف النظر عما إذا كان القانون الدولي والشرعية الدولية يقران هذا النوع من العلاقات أم لا. وبكلمة أخرى فإن (العلاقات الدولية) ترصد العلاقات بين الدول كما هي واقعة فعلاً، وأما (القانون الدولي) فيحدد الشكل المثالي لهذه العلاقات ضمن إطار (المشروعية الدولية).

ويزيد الأمر سوءاً أن الدول الكبيرة والمهيمنة على مجرى (العلاقات الدولية) تنتظر إلى هذه العلاقات بحسب مصالحها الخاصة، وتحاول إعطاء تصرفاتها في هذا المجال الطابع القانوني، وتضطر غالباً إلى الكيل بمكيالين أو أكثر لكي توهم الآخرين بأنها تعمل ضمن إطار (المشروعية الدولية).

ومن المفروض طبعاً أن تجري (العلاقات الدولية) على هدى مبادئ وقواعد (القانون الدولي) بل أن تكون تجسيدا لهذه المبادئ والقواعد ضمن إطار (المشروعية الدولية) ولكن مصالح الدول قد تتدخل في غالب الأحيان وتدفعها إلى (تصرفات) تخرج عن إطار هذه المشروعية وهنا تكون هذه الدول تعمل في نطاق (العلاقات الدولية) وليس (القانون الدولي).

وهناك بعض المبادئ الأخلاقية الدولية التي تقحم وتنتشر إلى درجة تصبح فيها (عرفاً دولياً) وقد يدون هذا العرف فتصبح من قبيل القانون الدولي المكتوب والمثال على ذلك إطعام الجندي المعادي الأسير حيث إن هذا الأمر كان واجباً أخلاقياً في العصور القديمة ثم أصبح الآن واجباً قانونياً تنص عليه قواعد (القانون الدولي الإنساني) التي هي جانب من جوانب (القانون الدولي العام).

وما قلناه عن مبادئ (الأخلاق الدولية) ينطبق حرفياً على أساليب (المجاملة الدولية) كأسلوب إرسال برقيات تهنئة للدول بمناسبة عيدها الوطني ولملوك هذه الدول بمناسبة عيد جلوسهم على العرش وتبادل التهنئة في أعياد الميلاد ورأس السنة والأعياد الإسلامية.

فالدولة التي ترسل برقية تهنئة إلى دولة أخرى في إحدى هذه المناسبات تستحق الشكر على عملها ولكنها إذا لم تتشأ إرسال مثل هذه المعايدة فلا شيء يجبرها على ذلك ويحق للدولة الأخرى معاملتها بالمثل وقد ترتقي بعض أساليب (المجاملة الدولية) فتصبح قواعد قانونية دولية كاملة الإلزام والمثال على ذلك القسم الأكبر من قواعد القانون الدبلوماسي الحالي (حصانة مقر السفارة، منع محاكمة السفراء عن الجرائم التي يرتكبونها في بلد الاعتماد، حصانة الحقيبة الدبلوماسية) فإن هذه القواعد أصبحت قواعد قانونية كاملة الإلزام، وعلى العكس فإن بعض قواعد القانون الدولي قد يقل استخدامها واللجوء إليها إلى درجة سقوطها من الاستعمال فتعود إلى وضعها الأساسي كأسلوب من أساليب المجاملة الدولية والمثال على ذلك القاعدة التي تنص على تبادل السفن التحية في البحار فهذه القاعدة التي نصت عليها إحدى اتفاقيات لاهاي

لعام ١٨٩٩ فقدت طبيعتها القانونية مع الزمن وأصبحت مجرد أسلوب من أساليب المجاملة الدولية لا يلجأ إليها إلا عند دخول السفن الحربية الأجنبية إلى الموانئ الوطنية. وخلاصة القول في هذا المجال أن (القانون الدولي) يحدد كيف يجب أن تجري (العلاقات الدولية) بشكل مثالي بصرف النظر عما إذا جرت هذه العلاقات بهذا الشكل فعلاً أم لا ويبقى على عاتق الدولة المخالفة تحمل نتيجة مخالفتها حسب أحكام قواعد (المسؤولية الدولية).

وقد تسمح علاقات القوى السائدة في المجتمع الدولي بإيقاع جزاء ما بحق أي دولة بحسب قوة هذه الدولة ومركزها في المنظومة الدولية والظروف الدولية السائدة في تلك الفترة، فما يطبق على دولة مثل جمهورية انغولا الواقعة جنوب غرب أفريقيا، قد يصعب تطبيقه على دولة أخرى مثل الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وغيرهما من الدول العظمى، والسبب في ذلك هو الهيمنة على مجريات الأحداث والتأثير المباشر وغير المباشر في قرارات الدول وعلاقاتها فيما بينها بحسب المصالح الخاصة لهذه الدول العظمى .

المبحث الثالث

القواعد والأسس في العلاقات الدولية

المطلب الأول : أسس النظرية الإسلامية في العلاقات الدولية^(٣٣)

تتبع الرؤية الإسلامية للعالم من أصل عقيدي إيماني هو التوحيد؛ الذي يعني الإقرار بوجود الله وبوحدانيته سبحانه وتعالى، وأنه هو خالق هذا الكون ومالكة الحقيقي الوحيد ولا شريك له، وهو الذي خلق الإنسان، وجعله خليفة في الأرض ليعمرها، وليتصرف فيها طبقاً لأوامره عز وجل، وامتنثالاً لإرادته سبحانه قال تعالى : ﴿وَهُوَ الْغَايُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾^(٣٤)، ويتضمن الإقرار بوحدانية الله كمال العقيدة من جهتي الربوبية (الخلق والتربية) والإلهوية (العبادة).

ولكن كيف تؤثر هذه العقيدة التوحيدية على رؤية العالم في المنظور الإسلامي؟ إن تأثيرها يبدو من خلال هيمنة مبدأ الوحدة Unity والوئام على الرؤية الإسلامية للعالم، ومن ثم نبذ التجزئة والصراع مع عدم التواني عن ردع أو منع

الاعتداء من المحيط الخارجي، ولا يعبر مبدأ الوحدة عن مجرد فكرة نظرية أو فلسفة مثالية Utopia، وإنما هو متجذر اجتماعيًا في وحدة الجنس البشري، وروحياً في وحدة الدين ورسالته، من حيث مصدرها وغايتها معاً، وبيان ذلك كالاتي:

١ - وحدة الجنس البشري:

قرر الإسلام وحدة الجنس والنسب للبشر جميعاً؛ فالناس لآدم، ولا فضل لعربي على أعجمي، ولا أسود على أحرر إلا بالتقوى، وحكمة التقسيم إلى شعوب وقبائل إنما هي التعارف لا التخالف، والتعاون لا التخاذل، والتفاضل بالتقوى والأعمال الصالحة التي تعود بالخير على المجموع والأفراد، والله تعالى رب الجميع يرقب هذه الأخوة ويرعاها، وهو يطالب عباده جميعاً بتقريرها ورعايتها، والشعور بحقوقها والسير في حدودها.

ويعلن القرآن الكريم هذه الحقيقة بمعانيها جميعاً في وضوح فيقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَنْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝﴾ (٣٥)

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝﴾ (١٣)، ويقول حضرة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في أشهر خطبة له في حجة الوداع: إن الله قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية وتعظمها بالآباء والأجداد، الناس لآدم، وآدم من تراب ويقول: ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية (٣٧).

وبهذا التقرير نفى الإسلام أية شرعية لكل دعاوى التعصب للأجناس، أو الألوان، أو الأعراق، وعقيدة الإسلام وحدها هي التي تقرر على هذا النحو -بوضوح وقطعية- وحدة الجنس البشري في إطار التنوع البناء .

٢ - وحدة الدين:

قرر الإسلام وحدة الدين في أصوله العامة، وأكد على أن شريعة الله تبارك وتعالى للناس تقوم على قواعد ثابتة من الإيمان والعمل الصالح والإخاء، وأن الأنبياء جميعاً مبلغون عن الله تبارك وتعالى، وأن الكتب السماوية جميعاً من وحيه، وأن المؤمنين جميعاً في أية أمة كانوا هم عباد الله الصادقين الفائزين في الدنيا والآخرة، وأن الفرقة في الدين والخصومة باسمه إثم يتنافى مع أصوله وقواعده، ويتناقض مع غايته ومقاصده.

وإن واجب البشرية أن تتدين، وأن تتوحد بالدين، وأن هذا الدين الموحد هو الدين القيم وفطرة الله التي فطر الناس عليها، وفي ذلك يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (٣٨)، ويقول الله تعالى مخاطباً النبي محمداً ﴿فَلَذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (٣٩).

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ هَذَا وَضِعَتْ هَذِهِ اللَّبْنَةُ قَالَ فَأَنَا اللَّبْنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ)) (٤٠).

وهكذا نرى الإسلام يقدم للإنسانية مبدأ وحدة الدين، ويدعو إليه في وقت كانت الدنيا تشتعل بنيران الأحقاد الدينية، وتضطرم بسعير الخصومات المذهبية، وفي هذا المعترك الروحي المتأزم بفعل الخصومات والجهالات يطلع القرآن على الناس بهذه الدعوة المحمدية العظيمة الجديدة؛ دعوة التأخي في الدين والاجتماع على أصوله الحقّة، والإيمان به كوحدة ربانية؛ إن اختلفت فيها الفروع بحسب الأزمان، فقد اتفقت فيها الأصول الخالدة الباقية؛ لأنها من الفطرة التي لا تقوم إنسانية الناس إلا عليها.

ومن ذلك يتبين لنا إن علاقة المسلمين وتعاملهم مع غيرهم على منحنيين :

١- أن التعامل بين المسلمين وغيرهم من أهل العقائد والأديان إنما يقوم على أساس المصلحة الاجتماعية والخير الإنساني، يقول الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ بَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٤١).

٢- أن الحوار، أو الجدل بالتّي هي أحسن - وليس الحرب - هو الوسيلة المثلى للتفاهم بشأن قضايا الإيمان والعقيدة، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَحْدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٤٢).

وإذا كان الحوار هو الوسيلة المعتمدة في مثل هذه القضايا على خطورتها وأهميتها؛ فإنه يكون أولى بالتطبيق فيما دونها من القضايا والمشكلات، وأولى أن يكون مبدأً عاماً من مبادئ معالجة معضلات العلاقات الإنسانية بما فيها العلاقات الدولية.

المطلب الثاني : قواعد وأسس العلاقات الدبلوماسية في القانون الدولي :

أن قواعد القانون الدولي المعاصر ليست كلها متساوية في الأهمية حيث إنها تتدرج بين زمر ثلاث:

1 - القواعد الآمرة في القانون الدولي: وهي القواعد التي تتمتع بأعلى درجة من الإلزام لأنها تتعلق بأمن المجتمع الدولي ككل أو الإنسانية بأكملها، ويشار إلى هذه القواعد عادة بالتعبير اللاتيني JUS COGENS ومثل هذه القواعد لا يجوز لأية دولة أن تخالفها وإذا خالفها دولتان أو أكثر ضمن اتفاقية بينهما وقعت هذه الاتفاقية باطلة وكأنها لم تكن استناداً للمادة ٥٦ من اتفاقية فيينا لعام ١٩٦٩ التي وضعت قانون المعاهدات وهكذا إذا اتفقت دولتان في معاهدة بينهما على شن حرب ضد دولة ثالثة لاحتلالها واقتسام أراضيها فإن هذه المعاهدة تعتبر باطلة لمخالفتها إحدى القواعد الآمرة في القانون الدولي.

٢ - القواعد الالزامية في القانون الدولي: وهي تشكل الأغلبية الغالبة للقواعد الدولية وتلزم الدول جميعاً بالتقيد بها ولكن هذه الدول إذا عقدت فيما بينها معاهدة تخالفها فإن هذه المعاهدة تقع صحيحة ونافاذة وتكلف كل دولة طرف بالتعويض عن الضرر الذي يمكن أن يحدث لطرف ثالث نتيجة لذلك. ويستحسن هنا أن نشير إلى وجوب التفريق بين أمرين :

-الأمر الأول هو مسألة وجود قاعدة قانونية ملزمة أم لا.

-والأمر الثاني هو امكانية إقसार الطرف الذي يخالفها على تنفيذها جبراً أم لا لأنه قد توجد قاعدة قانونية دولية ملزمة ولكنها ليست مؤيدة بأي جزاء قانوني أو تكون مستندة إلى جزاء قانوني ولكن علاقات القوى لا تسمح بتنفيذ هذا الجزاء قسراً.

3- القواعد التيسيرية في القانون الدولي: وهي زمرة قليلة العدد من القواعد التي غايتها التيسير وليس إلزام الدول بها لذا يمكن للدول مخالفتها في الاتفاقيات التي تعقدها فيما بينها (وهذا ما يميزها عن القواعد من النوع الأول) كما أنه إذا خالفتها إحدى الدول فلا يترتب على مخالفتها لها أي تعويض والمثال على هذه القواعد جلوس ممثلي الدول في مؤتمر ما إلى طاولة مستديرة الشكل أو أسلوب مناداة الدول بالتسلسل الأبجدي حسب كتابة اسمائها باللغة الانكليزية أو وجوب كتابة المعاهدات الثنائية بثلاث لغات :اللغة الوطنية لكل طرف من الطرفين واللغة الثالثة للرجوع إليها عند الخلاف في التفسير، ولا يكتمل هذا الموضوع دون التمييز بين قواعد (القانون الدولي) من جهة وقواعد الأخلاق الدولية والمجاملة الدولية من جهة ثانية، فالقانون الدولي يتشكل من جملة القواعد التي تحكم العلاقات بين الدول وتحدد واجبات وحقوق كل دولة تجاه الدول الأخرى حيث إن الحقوق التي يعترف بها القانون الدولي لدولة تشكل واجبات على عاتق الدول الأخرى أما الأخلاق الدولية فتشكل جملة مبادئ أخلاقية تراعيها كل دولة إذا شاعت في مضمار تعاملها مع الدول الأخرى، والمثال على ذلك تقديم المساعدات الغذائية والطبية والمعيشية للدولة التي تعرضت لكارثة طبيعية مثل الزلازل والظوفان والأوبئة فإذا شاعت دولة ما أن تقدم مثل هذه المساعدات للدولة المنكوبة كان ذلك أمراً حسناً وإذا لم تشأ ذلك فلا يمكن إجبارها على مثل هذا الأمر.

وهناك بعض المبادئ الاخلاقية الدولية التي تقحم وتنتشر إلى درجة تصبح فيها (عرفا دوليا) وقد يدون هذا العرف فتصبح من قبيل القانون الدولي المكتوب والمثال على ذلك إطعام الجندي المعادي الأسير حيث إن هذا الأمر كان واجبا اخلاقيا في العصور القديمة ثم أصبح الآن واجبا قانونيا تنص عليه قواعد (القانون الدولي الإنساني) التي هي جانب من جوانب القانون الدولي العام^(٤٣)

المبحث الرابع

الدبلوماسية الوقائية

المطلب الاول : ماهية الدبلوماسية الوقائية:

من منطلق السلم والسلام كانت معاهدات المسلمين مع غيرهم، والتي بها ومن خلالها يصير الفريقان -المسلمون مع غيرهم - في مرحلة سلم، أو مهادنة وموادعة . وإذا كان الأصل في العلاقة هو السلم، فالمعاهدات تكون هي العلاج السلمي لإنهاء حرب عارضة والعود إلى حال السلم الدائم، أو أنها تقريرٌ للسلم وتثبيت لدعائمه، لكيلا يكون من بعد ذلك العهد احتمال اعتداء، إلا أن يكونَ (نقضا للعهد)، وعبر عصور طويلة مارست الدول الإسلامية توقيع الاتفاقيات والمعاهدات مع الدول غير الإسلامية، وتضمنت تلك الاتفاقيات التزامات وقواعد وشروطاً ومبادئ عديدة، بشكل يُمثِّلُ تَطَوُّراً في القانون الدولي الإسلامي، وفيما يلي ايضاح عن طبيعة التعامل الدبلوماسي للمسلمين مع غيرهم من خلال انشاء مصالحات او معاهدات او اتفاقيات سواء في حالة السلم او الحرب والتي سميت في العصور الحديثة (بالدبلوماسية الوقائية) نسبياً لتطور المصطلحات السياسية واندراجها في قوانين دولية نظمت علاقات الدول فيما بينها .

الفرع الأول: تعريف الدبلوماسية الوقائية

أولاً : في الشريعة الإسلامية

إن مصطلح الدبلوماسية الوقائية مصطلح حديث في العلاقات الدولية إذ ان العلاقات بين الدول قديماً كانت تعتمد على نوع من التعامل كوسيلة اتصال وتفاهم بينها كالتفاوض وعقد المعاهدات والتعامل السلمي ولم تكن هذه العلاقات منتظمة وملزمة في

بادئ مرها ، لكن مع نمو التعامل الدولي سار العرف تدريجياً واستمر حتى نشأت مفاهيم جديدة تسمى (الدبلوماسية الوقائية) ، بيد إن جوهر هذا المصطلح يدل على التعامل السلمي بين الدول ومنع نشوب النزاعات والصراعات من خلال المعاهدات والاتفاقيات وهذا النوع من التعامل قد تعارف عليه القوم في العصور الإسلامية وساروا في نهجه ، ونحن في بحثنا هذا وان كنا نستخدم اللفظ الحديث لكن ليس بمنئاً عن جوهر المفاهيم والمصطلحات العربية الإسلامية الداله في ثنائها على مصطلح (الدبلوماسية الوقائية) الحديثة وبناءً على ذلك سنشرع في بيان مدلول هذا المصطلح عند العرب المسلمين ومن ثم بالمفهوم السياسي في القانون الدولي .

الدبلوماسية الوقائية في مدلولها تعرف على أساس أنها تعبير عن إرادة الأطراف إنشاء المعاهدات والاتفاقيات من اجل السلم لذا سنعرفها على اعتبارها اتفاقيات ومعاهدات :

أ - تعريف المعاهدات :ومفردھا عهد:

لغة: ورد في لسان العرب لابن منظور ، في مادة عهد ، قال : قال الله تعالى : ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَاتِبٌ مَسْئُولٌ﴾^(٤٤) ، وقال الزجاج : قال بعضهم : العهد كل ما عوهد عليه ، وكل ما بين العباد من الموائيق فهو عهد ، وكذلك كل ما امر الله به في هذه الآية ونهى عنه .^(٤٥)

اصطلاحاً : العهد أو الميثاق في فقھنا الإسلامي له معنى أعم أو أوسع من كلمة «معاهدة» في القانون الدولي الوضعي .

والعهد: هو كل ما يتفق فيه شخصان أو فريقان من الناس على التزامه بينهما لمصلحتهما المشتركة، فإن أكده ووثقه بما يقتضي زيادة العناية بحفظه والوفاء به سمي ميثاقاً، وإن أكده باليمين خاصة سمي «يميناً». وسمي عقد الزواج في القرآن الكريم ميثاقاً غليظاً، أي مؤكداً شديداً التأكيد.

والمعاهدة: هي أساساً اتفاق الإرادتين بصرف النظر عن الشكل أو الإجراء. والعرف السائد اليوم يدل على تمييز «العهد» عن «العقد» بإضفاء سمة الإجلال والسمو والتعظيم للعهد، وتخصيصه بالعقد الموثق بقصد الوفاء به بنحو مؤكداً،

سواء تم توثيقه بالكتابة أو باليمين، أو بغيرهما من وسائل التوثيق، فكل اتفاق هو عقد، وليس كل «عقد» هو «عهد».

والعرف الدولي يميز «العهد» عن «المعاهدة» فإن «العهد» أوسع معنى من «المعاهدة» كما في فقهننا فكل معاهدة هي عهد، وليس كل عهد معاهدة. والمعاهدة محصورة عرفاً بالاتفاق بين دولتين، بين الأفراد والجماعات، وموضوعها محصور في حكم علاقة دولية ذات طابع قانوني، أي إنها ذات معنى خاص ضيق من حيث الطرفان والموضع.

يقال للاتفاقيات الدولية في معاملة الأسرى وقواعد الحرب وأحوال مشروعية القتال أو استخدام القوة: إنها معاهدة.

والمسائل الجزئية الجانبية ذات الأهمية المحدودة لا تنظمها المعاهدة التي لها طابع العنصر الدولي المهم، وإنما توصف بأنها اتفاقية مثل أمر الحاكم بإنهاء الحرب مع مدينة معينة أو شعب مجاور، ومثل اتفاقية تبادل الأسرى ونحو ذلك.

ب - أهمية المعاهدات والمواثيق ومشروعيتها

تضفي المعاهدات والمواثيق على أعمال الأمم والشعوب والدول والأفراد عنصر الثقة والاطمئنان، وتعمل على تخفيف حدة التوتر في العالم، وتكفل إلى حد بعيد تنفيذ الشروط والبنود وتحقيق المصلحة في وقت محدد، يعود على الطرفين بالخير والهدوء والراحة النفسية والاجتماعية.

وبالمعاهدة يحل مبدأ السلم محل الحرب، والأمن محل القلق والخوف، والحب والصفاء بدل الكراهية والكيد، وينعم الناس بنعمة الحرية التي لا قيود عليها، فيتفرغون لشؤون المعيشة، وتقدم المدنية والعمران، وتنشط الصناعة وتطورها وتوجيهها وجهة لخير الإنسان وصالحة ونفعه، ولإنعاش الزراعة وحفظ المواسم، وتنمية التجارة، وفتح الأسواق أمام الصادرات والواردات، وتبادل المنتجات، فتكون المعاهدة أداة تفاهم وودّ، وتقدم وحضارة، ورفاه وسعادة.

والمعاهدة فضلاً عن كل ذلك أداة حاسمة وموثقة لتنمية العلاقات الدولية، وفض المنازعات والخصومات الخارجية. لذا عظم الإسلام العهود والمعاهدات ورغب

فيها، وشرعها وسيلة متعينة لتنظيم العلاقات الخارجية، وآثر فض المنازعات الجماعية بالوسائل السلمية، سواء في داخل الدولة المسلمة أو خارجها، ولتحقيق الأغراض الكريمة والغايات الإنسانية النبيلة، بل إن نشر الدعوة الإسلامية في أرجاء المعمورة لا يتم إلا في ظلها وفي ربوع الأمن والسلام وإشاعة الاستقرار والرخاء المتحقق بها.

والنصوص الشرعية في الإسلام كثيرة دالة على مبدأ مشروعية المعاهدات مع الأعداء حال السلم أو الحرب، في إطار من الشروط المتفق عليها بالتراضي والاختيار، مثل قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) ، وقوله سبحانه: (وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ).

أي إن حق الميثاق فوق حق الإخوة الإسلامية، حيث ينصر المعاهد غير المسلم، ولا ينصر المسلم الذي ليس بينه وبين المسلمين ميثاق^(٤٦).

وقوله (عز وجل): ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا لِمَتِهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾^(٤٧).

وهذا كله دليل في الشريعة الإسلامية على قدسية المعاهدات ووجوب احترامها وإلزام الوفاء بها، قال حضرة النبي (صلى الله عليه وسلم): «ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة»^(٤٨).

ج - الوفاء بالعهد

الوفاء بالعهود والمواثيق فرض واجب لازم في الشريعة الإسلامية كأداء الفرائض الأخرى من العبادات وغيرها، فعلى المسلمين تنفيذ التزاماتهم التي تعاهدوها في معاهداتهم دون تكلؤ ولا تباطؤ ولا تسويف، ولم يسمح الإسلام بالغدر والخيانة أو نقض العهد والتحلل من الالتزامات أو بنود المعاهدة، لأن ذلك شيء مهين يخل بالثقة والاحترام، ولأن المسلمين يمثلون سمو الرسالة الإلهية وشرف الكلمة النابعة من الدين. لذا لم تكن المعاهدات في الإسلام مجرد قصاصة ورق، كما هو الشأن المعروف عند الدول غير الإسلامية في الماضي أو الحاضر، ولا وسيلة لخداع العدو ولا ستاراً لتنفيذ أغراض معينة، ولا شعاراً لفرض القوي سلطانه على الضعيف أو المغلوب كما يفعل

غير المسلمين عادة، حتى إذا قوي الضعيف نبذها، وقاتل للتحلل من قيودها والتخلص من سلطة العدو الأقوى، وهي أيضاً كانت عند غير المسلمين صورة أو مظلة لقوة الأقوياء لإملاء شروطهم غالباً وليست إجراء لتنظيم السلم العادل، وإنما كانت المعاهدات في شريعة الإسلام وتاريخ المسلمين مصونة عن أي غدر أو خداع أو قهر، أو لتحقيق مصلحة مادية رخيصة، أو من أجل فتح منافذ أسواق لتصريف السلع والمنتجات الصناعية، وفائض الزراعة، أو المواد الاستهلاكية الزائدة عن الحاجة، وبشرط عدم التأثير على أسعار السلعة محلياً، وإلا أُلقي الفائض في البحار، ولم يصدّر لأحد، كما تفعل بعض الدول الغربية المعاصرة من إلقاء فائض البن مثلاً في البحر، ولم يستثن الفقهاء المسلمون من مبدأ الوفاء بالعهد إلا عقود الهدنة الحربية مع العدو عند توافر القرائن القاطعة على تحركات جيشة المريبة، والاستعداد لحرب جديدة، أو حال المعاملة بالمثل وحال نقض العدو المعاهدة من جانب واحد، وذلك لقول الله تعالى: (وَأِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ) ^(٤٩) أي إن قامت القرائن على خيانة العدو عهده، نقض العهد وأعلم العدو بالنقض حتى يكون المسلمون وغيرهم متساوين في العلم بذلك. وصرح فقهاء الحنفية بأن الهدنة لا تنتقض إلا باتفاق العدو على نقضها، أي لا عبرة بنقض الأفراد ^(٥٠)، والإلزام القرآني باحترام العهود والمواثيق هو من أجل إقامة حالة سلم ثابتة تقوم على أقوى الدعائم، سواء في الداخل أو الخارج. والبراهين على وجوب الوفاء بالعهود والمواثيق متوافرة متضافرة في القرآن الكريم والسنة النبوية. فمن آيات القرآن: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ

﴿١١﴾ ^(٥١)، ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ ^(٥٢)، ﴿فَاتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾ ^(٥٣)، ﴿فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ ^(٥٤)، أي إن الوفاء بالعهد من أصول الإيمان، وهو شأن المؤمنين خلافاً للمنافقين، لقوله تعالى في وصف المؤمنين: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ ^(٥٥).

ومن الأحاديث الصحيحة في احترام العهود: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»^(٥٦)، «لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدرته، ألا ولا غادر أعظم غدرًا من أمير عامة»^(٥٧).

بل إن الإسلام ألزم بالوفاء بأحلاف الجاهلية ذات الطابع الخير والإنساني الرفيع، فقال عليه الصلاة والسلام: «أوفوا بحلف الجاهلية، فإنه لا يزيده - أي الإسلام - إلا شدة، ولا تحدثوا حلفاً في الإسلام»^(٥٨) أي إن الإسلام يقر التعاقد على نصرة الحق والخير أيًا كان مصدره، ويمنع التحالف على الشر والفتنة، والقتال القبلي، والعدوان الهجمي.

ولا يسمح الإسلام بالإخلال بالعهود أو الغدر، حتى ولو غدر العدو بالمسلمين وقاعدة الفقهاء في ذلك: «وفاء بعهد من غير غدر خير من غدر بغدر»^(٥٩) وهذا مأخوذ من قول أبي عبيدة الجراح حين غدر الروم بالمسلمين، فأمر ألا يعاملوا بمثل أفعالهم.

الفرع الثاني: الدبلوماسية الوقائية في القانون الدولي أولاً - تعريف الدبلوماسية الوقائية

الدبلوماسية الوقائية: هي المعالجة السلمية التي تتم من خلال عملية التفاوض بين الدول لتسوية أي نزاع قائم بينها وإنشاء المعاهدات والاتفاقيات وكذا المساعي و الإجراءات التي تقوم بها أية دولة أو أية منظمة إقليمية أو دولية بهدف منع نشوب النزاعات بين الوحدات الدولية ومنع تصاعد المنازعات القائمة والحيولة دون تحويلها إلى صراعات المفاوضة والتحقيق والوساطة والتوفيق والتحكيم والتسوية القضائية ويمكن تقسيم الدبلوماسية الوقائية إلى نمطين رئيسيين^(٦٠):-

- ١- ذات طابع اختياري تكون غير ملزمة لأطراف النزاع.
 - ٢- ذات النتائج الملزمة أو الإلزامية التي تلتزم الأطراف باحترامها و التقيد بها .
- وتعرف كذلك: هي مجموعة القواعد والأعراف والمبادئ التي تهتم بتنظيم العلاقات القائمة بين الدول والمنظمات الدولية , والأصول الواجب إتباعها في تطبيق

أحكام القانون الدولي، والتوفيق بين مصالح الدول المتباينة، وفن إجراء المفاوضات والاجتماعات والمؤتمرات الدولية وعقد الاتفاقات والمعاهدات (٦١).

ثانياً: الدبلوماسية الوقائية في القانون الدولي :

من المؤكد أن هيئة الأمم المتحدة كمنظمة دولية عالمية قامت من أجل حفظ السلم والأمن الدوليين في المقام الأول، ثم منع الحروب بعد ذلك، ولقد تأكد هذا من خلال ديباجة ميثاقها والتي جاء فيها "نحن شعوب الأمم المتحدة وقد ألبنا على أنفسنا أن ننقذ الأجيال المقبلة من ويلات الحرب التي في خلال جيل واحد جلبت على الإنسانية مرتين أحزاناً يعجز عنها الوصف.

وجاء أيضاً في مادته الأولى أن من مقاصد الأمم المتحدة حفظ السلم والأمن الدوليين وإلزامها تقمّع أعمال العدوان وغيرها من وجوه الإخلال بالسلم وتندرع بالوسائل السلمية وفقاً للمبادئ العدل والقانون الدولي وجل المنازعات الدولية التي قد تؤدي إلى الإخلال بالسلم لتسويتها.

وبسبب التطور الدولي الذي ساد الحياة الدولية عجزت المنظمة وفشلت، فعليا في حفظ السلم والأمن الدوليين وسوف نلقي الضوء على الوسائل السلمية لحفظ السلم والأمن تم سوف نتطرق، للوسائل الغير السلمية لحفظ السلم والأمن الدوليين.

لقد نص على هذه الوسائل في الفصل السادس من الميثاق وعلى الأخص في المادة ٣٣ منه والتي حددت هذه الوسائل في الوسائل السياسية أو الدبلوماسية والوسائل القضائية، وكذا اللجوء إلى الوكالات والتنظيمات الإقليمية.

وتبدو وسائل الحل السلمي أو الودي سندها في المادة ٣١٢ من الميثاق والتي ألزمت الدول الأعضاء في الجماعة الدولية وليست الدول الأعضاء في المنظمة الدولية بأن يسووا ما بينهم من منازعات بالوسائل السلمية شريطة ألا يتعارض هذا مع الميثاق أو أن يضر بالسلم والأمن الدوليين أو أن يعرضه للخطر نفس الحكم نصت عليه المادة ٣٣/١ من الميثاق والتي أوجبت على جميع الدول في جميع المنازعات التي من شأنها أن تعرض السلم والأمن الدوليين للخطر أن يبادروا إلى حله بطريقة المفاوضات

والتحقيق والتوفيق والتحكيم والتسوية القضائية أو أن يختاروا اللجوء إلى التنظيمات والوكالات الإقليمية أو أن يختاروا الحل الذي يناسبهم.

المبحث الخامس

تطبيقات الدبلوماسية الوقائية

المطلب الأول: في الشريعة الإسلامية

أولاً : القرآن الكريم

لقد وردت آيات كثيرة في كتاب الله عز وجل ، تدل على شرعية المعاهدات منها قوله تعالى : ﴿ وَإِمَّا تَخَافُكَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَانْزِلْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ (٦٢).

قال الإمام القرطبي: فلما تخافن من قوم غشاً، ونقضاً للعهد،.. وهذه الآية نزلت في بني قريضة، وبني النضير، قال الأزهرى : معناه ، إذا عاهدت قوماً فعلت منهم النقض بالعهد فلا توقع بهم ، سابقاً إلى النقض ، حتى تلقى إليهم أنك قد نقضت العهد والوادة (٦٣).

وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ أَسْتَضْرُّوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النُّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٦٤).

قال الإمام القرطبي : يريد : إن دعوا هؤلاء المؤمنين الذين لم يهاجروا من ارض الحرب عونكم بنصر ، او مال ، لاستنقاذكم ، فأعينوهم ، فذلك فرض عليكم ، فلا تخذلوهم إلا ان استنصروكم على كفار بينكم وبينهم ميثاق ، فلا تنصروهم عليهم ، ولا تنتقضوا العهد معهم حتى تتم مدته (٦٥) . وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾ (٦٦). والمعنى : أي أخذت منهم عهدهم ثم هم ينقضون عهدهم الذي عاهدتهم في كل مرة من مرات المعاهدة والحال انهم لا يتقون ، أي لا يتورعون عن ذلك (٦٧).

ففي هذه الآيات الكريمة وغيرها من آيات في كتاب الله عز وجل قد ذكرت العهد والميثاق ، والمعاهدة والنذر ، وغيرها من كلمات لها دلالات ترتبط بالميثاق

والعهد . والآيات الكريمة كما قلنا هي أدلة شرعية فيها إمارة دالة على وجه المشروعية لعقد هذه المعاهدات .

ثانياً: من السنة النبوية الشريفة

ان السنة النبوية ، هي المصدر الثاني بعد القرآن الكريم في كونها مصدراً من مصادر التشريع ، والله تعالى يقول : ﴿ مَا آفَأَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَى لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٥٧ ﴾ (٦٨) .

والسنة كما يعرفها علماء الاصول : هي ما ورد عن الرسول الله صلى الله عليه وسلم من قول او فعل ، او تقرير او صفة (٦٩) .

ومن الأحداث التي توصف في حياته (صلى الله عليه وسلم) شهوده بنيان الكعبة المشرفة وذلك أن قريشاً أرادوا تجديد بناء الكعبة فبنوها ولكن قريشاً اختلفوا فيمن يضع الحجر الأسود في مكانه واختلفوا حتى كاد يقتل بعضهم بعضاً ورضوا وأنفقوا أخيراً على أن يحكم بينهم أول داخل من باب المسجد الحرام فكان أول داخل هو سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)

فلما دخل المسجد الحرام قالوا هذا الصادق الأمين رضينا به حكماً، فدخل سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فعرضوا الأمر وذكروا له نقاط الخلاف له نقاط الخلاف فقال عليه الصلاة والسلام : هلموا ثوباً يعني أئتوا بثوب أو رداء ثم وضع الحجر الأسود فيه ثم أمر كل قبيلة أن تأخذ بناحية من نواحيه ثم أمرهم أن يرفعه جميعاً ثم أخذ الحجر الأسود بيده الشريفه فوضعه في مكانه وبهذا التصرف العظيم استطاع حضرته (صلى الله عليه وسلم) أن يحقن أنهاراً من الدماء وأن يحل مشكلة من أعقد المشاكل التي كادت تفتك ببشر كثير ولاريب أن مشاركته صلى الله عليه وسلم في هذه الحادثة بينت راحة عقله (صلى الله عليه وسلم) في تلك السن المبكره وبيئت أيضاً ما يتمتع به صلى الله عليه وسلم من قبول ومن الأحداث التي شارك فيها (صلى الله عليه وسلم) في تلك الفترة مشاركته في حلف الفضول وحلف الفضول خلاصته أن قريشاً تعاقبوا على مناصرة المظلوم ورد الحقوق على أهلها وقد أثنى

عليه النبي (صلى الله عليه وسلم) لو دعيت لمثله في الإسلام لأجبت^(٧٠) لانه يقرر المبادئ والقيم الخلقية التي تقوم على نصرة المظلوم^(٧١).

وقد ورد في اقوال الرسول عليه السلام وافعاله ما يدل على مشروعية المعاهدات ، فمن اقواله : " ان الغادر يُنصب له لواء يوم القيامة "^(٧٢) .
وقال : " ... ومن نكث العهد : ومات ناكثاً للعهد جاء يوم القيامة لا حجة له ... "^(٧٣)

وقال : " من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلّ عهداً ، ولا يشدنهم حتى يمضي أمده ، او ينبذ اليهم على سواء "^(٧٤).

واما من افعاله عليه السلام فقد عقد عدة معاهدات بعد الهجرة الى المدينة المنورة واقامة الدولة فيها ، فقد عقد ميثاقاً بين المسلمين ، وبين المسلمين واليهود ، جاء فيه : " ... وان لليهود بني ساعده مثل ما لليهود بني عوف وان لليهود بني ثعلبه مثل ما لليهود بني عوف ، الا من ظلم وأثم ، فانه لا يوقع الا نفسه وأهل بيته ، وان جفّنه بطن من ثعلبه كأنفسهم ... وانه ما كان بين اهل هذه الصحيفة من حدث ، او شجار يُخاف فساد ، فإن مرده الى الله عز وجل ، والى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وابره ...".

وقد كان اشهر المعاهدات التي عقدها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، هي معاهدة الحديبية مع كفار مكة . فهذه المعاهدة من الأهمية بمكان ، بحيث إنها مدار حديث الفقهاء جميعاً عندما يتكلمون عن المعاهدات ، وعن شروطها ، وأركانها ، وطبيعتها .

وهذه المعاهدة كذلك لها أهمية حركية او (سياسية) ، حيث كانت عملاً سياسياً فريداً ، وراقياً ، يدل على بعد نظر في الرعاية والإدارة والقيادة ، كيف لا وقد كانت هي المفتاح لفتح مكة المكرمة ، وإخضاع جزيرة العرب بأكملها لسلطان الإسلام .

وفيهما كذلك من الدروس والعبر الكثير في الالتزام والانقياد لحكم الله مهما كان نوعه ، وعدم معارضته ، او مخالفته ، لان فيه الخير الخفي ، الذي قد لا يكون

ظاهراً أحياناً لبعض الناس ، او لجميع الناس كما حصل في اعتراض الصحابة ، باستثناء (ابي بكر الصديق) على معاهدة الحديبية .

وهذا مصداقاً لقوله تعالى : (وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم ، وعسى ان تحبوا شيئاً وهو شرٌّ لكم ، والله يعلم وانتم لا تعلمون).

اما ما نصّت عليه المعاهدة ، فقد (روى سهل بن حنيف) قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو نرى قتالاً لقاتلنا ، وذلك في الصلح الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبين المشركين ، فجاء عمر بن الخطاب فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ألسنا على الحق وهم على باطل ؟ ! ، قال : بلى ، قال : ففيم نعطي الدنيا في ديننا ، ونرجع ، ولما يحكم الله بيننا وبينهم ؟ : قال : يا ابن الخطاب : اني رسول الله ، والله لن يضيّعني أبداً . قال : فانطلق عمر فلم يصبر متغيّطاً حتى أتى ابا بكر .. اما بعض النصوص لهذه المعاهدة كما اوردها كتب السير مايلي : -

.... ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب ، فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، قال سهيل : لا اعرف هذا ، ولكن اكتب باسمك اللهم ، فكتبها ، ثم هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمر . فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم ابيك ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب : (هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمر ، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، يأمن فيها الناس ، ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير اذن وليه ردّه عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردّوه عليه ! وان بيننا عيبة مكفوفة - وصدوراً منطوية على ما فيها من خير - وانه لا إسّلال ولا إغلال - لا سرقة ولا خيانة - وانه من احب ان يدخل في عقد محمد (صلى الله عليه وسلم) وعقده دخل فيه ، ومن احب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه .

وانك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل مكة ، وانه اذا كان عام قابِلْ، خرجنا عنك فدخلتها باصحابك ، فأقمت فيها ، معك سلاح الراكب ، السيوف في اغمارها والقلاب - لا تدخلها بغيرها) .

وقد عاهد عليه السلام ايضاً ، بعض العرب خارج المدينة لأهداف تتعلق بمصلحة المسلمين ، ونشر الاسلام وتأمين الطرق . فقد عاهد الرسول عليه السلام (بني مدلج ، وبني ضمرة) ليؤمّن الطرق التي يسلكها جيشه لمحاربة عدوّه ، وعاهد (يوحنا بن رُوبه) في تبوك ، ليؤمّن حدود الدولة من جهة الروم على حدود الشام. وفي هذه الوقائع من احاديث المصطفى عليه السلام واعماله . دليل شرعي ، فيه إمارة تدلّ على جواز المعاهدات مع الكفار ضمن حدود ، وشروط .

وقد كانت افعاله عليه السلام ، وهي التطبيق العملي ، والبيان لاقواله المتعلقة بالمعاهدات ، وكذلك تفسيراً للآيات الكريمة التي ذكرت المعاهدات ، بالاضافة الى ما ورد من بيان في كتاب الله في الآيات نفسها.

من فعل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لا شك ان افعال الصحابة رضوان الله عليهم - اذا حصل اجماع منهم عليها - هي دليل شرعي ، تماماً كالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

فصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هم اقرب الناس عهداً به عليه السلام ، وهم اعرف الناس بالنصوص ، وبالحاديث ، وبقوال الرسول ، وفعاله ، وهم كذلك أتقى الناس بشهادة المولى عز وجل ، وقد مدحهم فقال تعالى في حقهم : ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (١٨) ﴿٧٥﴾.

(الذين أخرجوا من ديارهم واموالهم يبيتونَ فضلاً من الله ورضواناً ، وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون).

والرسول عليه السلام قد مدحهم وأثنى عليهم ، بثناء الله لهم فقال : (الله في اصحابي ، الله الله في اصحابي) وقد ساروا على منهج رسولهم عليه السلام في موضوع المعاهدات .

ففي عهد الخليفة سيدنا ابي بكر الصديق (رضي الله عنه وأرضاه). كتب الى سيدنا خالد بن الوليد (رضي الله عنه)، يأمره ان يسير الى العراق ، فمضى خالد يريد العراق ، حتى نزل بقریات من السواد، يقال لها بانقيا وباروسما ، وليس ، فصالحه اهلها ، وكان الذي صالحه عليها (ابن صلوبا) ، وذلك في سنة اثني عشر ، فقبل منهم خالد الجزية ، وكتب لهم كتاباً فيه : (بسم الله الرحمن الرحيم ، من خالد بن الوليد لابن صلوبا السوادتي - ومنزله بشاطيء الفرات - انك آمن بآمان الله، اذ حقن دمه باعطاء الجزية، ولك ذمة الله ، وذمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وذمة المسلمين على ذلك...) وعاهد ايضاً خالد بن الوليد مناطق اخرى في العراق ، وفارس ، اعطاهم فيها العهد ، والامان ، مقابل الجزية ، وصيانة العهد وفي عهد سيدنا عمر (رضي الله عنه وأرضاه)، بعد ان استولى المسلمون على نهاوند ، وساروا الى الاهواز وفتحوها ، سنة ٢٢هـ ، ثم فتحوا قم ، وقاشان ، ثم وجه سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، عبد الله ابن بديل الى اصبهان ، ففتحها صلحاً ... وقد اشترط شروط الصلح ، التي تعهد فيها اهالي هذه البلاد ان يؤدوا الجزية ، للمسلمين ، كفاء تأمينهم على انفسهم واموالهم ، واطلاق الحرية الدينية لهم ، وبأن يجازي من يقوم من اهلها بمساعدة المسلمين ، كما تضمن هذا الصلح ان يلتزم المسلمون المحافظة على هذه الشروط كلما ادى اهل جرجيان الجزية واقروا المسلمين ولم ينقضوا ذلك العهد .

وفي عهد الخليفة (عمر رضي الله عنه) ، كذلك تم ابرام المعاهدة المشهورة (بالعهدة العمرية) ، والتي جعلها كثير من الفقهاء محطة لاستنباط احكام فقهية في كيفية التعامل مع اهل الذمة . ومما جاء في بعض نصوصها : بسم الله الرحمن الرحيم (هذا ما اعطى عبد الله عمر امير المؤمنين اهل ايلياء من الرومان ؛ اعطاهم اماناً لانفسهم واموالهم ولكنائسهم ، وصلبانهم ، وسقيمتها ، وبريئها ، وسائر ملتها ، انه لا تسكن كنائسهم ، ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من خيرها ، ولا من صليبهم ولا من شيء من اموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ... ومن احب من اهل ايلياء ان يسير بنفسه وماله مع الروم ، ويخلي بيعهم وصلبهم فانهم آمنون على انفسهم ، وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم).

اما في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه ، وقد توسعت الفتوحات حتى شملت مناطق واسعة وصلت الى اطراف روسيا اليوم (ما يعرف جمهوريات الاتحاد السوفياتي الاسلامية سابقاً) على يد قائده (قتيبة بن مسلم الباهلي) ، حيث فتحت اندريجان ، ومناطق من اوزباكستان - او كانت تعرف بخراسان او اطراف خراسان من جهة الغرب. وقد أبرمت المعاهدات ، في اثناء هذه الفتوحات الواسعة . نذكر منها ما ذكره الطبري في تاريخه ، عن معاهدة المرزبان في مروروز في عهد كسرى الفرس . وجاء فيها : (ولك ذمتي وذمة ابي وذمم المسلمين وذمم آباهم) وقد وقع هذه المعاهدة عامر الاحنف بن قيس .

وهكذا نرى : ان المعاهدات كأحكام شرعية ، هي مما اجازها الشارع الحكيم ، خدمة لمصلحة المسلمين ، وخدمة للدعوة التي يحملونها مجاهدين ، وفاتحين الأمصار تلو الأمصار .

وقد رأينا ادلة اجازتها من خلال القرآن ، والسنة ، وافعال صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجماعهم على ذلك. وكل ذلك وغيره من التنظيم العظيم للدولة الاسلامية الفتية انما هو رد جلي على من اتهم هذه الحضارة العظيمة الرائدة وادعى ان (القانون الاسلامي المتعلق بالعلاقات الدولية قليل وغامض) ، فاين الغموض من هذا كله واي حضارة هذه التي تنتهم جزافاً وهي بحق شمس لا تحتجب انوارها الاسحب نار الحقد والفتن من هنا وهناك

(٧٦)
المطلب الثاني: تطبيقات الدبلوماسية الوقائية في القانون الدولي .
اولاً: الوسائل السياسية أو الدبلوماسية :

وتعتبر هذه الوسيلة من أحسن الوسائل السلمية لحل المنازعات الدولية وأيسرها وهي وسيلة تتميز بالاحترام الشديد للسيادة الوطنية للدول الأخرى، وهي من الوسائل الاختيارية ولا تفرض على الدول ولما لها من مزايا فهي وسيلة أو وسائل واجبة الإتباع لجميع الدول كبيرها وصغيرها لكونها مجرد اقتراحات تقدم للدول وغير ملزمة لهم معا يعني الاعتراف للأطراف بحق البحث عن وسيلة أو وسائل أخرى

خارج نطاق القانون لحل نزاعهم. وتتخلص الوسائل السياسية أو الدبلوماسية فهي ما يلي :

أ- المفاوضات :

وتعني التفاوض والنقاش بين أطراف النزاع وصولاً إلى اتفاق بشأن النزاع يجمع بين وجهات النظر المتفرقة أو كما عرفها البعض أنها "ما يتم بين الأطراف مباشرة من الحكم رد بشأن موضوع النزاع مما قد يسفر عن اتفاق بين أصحاب الشأن في حله".

ب- الوساطة:

تعتمد الوساطة على تدخل دولة من دول الغير فيما بين الأطراف المتنازعة وذلك من أجل التقريب بين وجهات المتنازعين بل له أن يقدم المقترحات لهم لحل هذا النزاع، ورغم دور الوساطة إلا أنها وسيلة غير ملزمة، فالأطراف لها القبول أو الرفض دونما أدنى مسؤولية عليها.

ج- التحقيق :

ويقصد بالتحقيق البحث والتحري واستجلاء الأمر لكشف الغموض الذي يحيط بنزاع، إما بواسطة لجنة مكونة من شخصين أو أكثر بمعرفة كلا الأطراف المتنازعة تسمى باسم لجنة تقصي الحقائق وتكون مهمتها كلها معرفة أسباب النزاع ودوافعه والطرف البادئ بالعدوان واقتراح الحل الأمثل للنزاع لمساعدة الأطراف على حله وتنتهي اللجنة إلى رأي قانوني يسنده الاقتراح المقدم من اللجنة وهو رأي قانوني غير ملزم رغم أنه يتسم بالحياد ويسهل على الأطراف الوصول إلى حل النزاع. وإلى جانب التحقيق هناك وسيلة تعتمد على التقريب بين وجهات النظر تمهيدا لحل النزاع وهو التوفيق.

د- التوفيق :

تعتمد هذه الوسيلة على بحث النزاع ومحاولة فهم ومعرفة دوافعه واقتراح الحل الأمثل له والتقريب بين وجهات نظر الأطراف تمهيدا لحل النزاع وهي وسيلة غالب ما تتم على يد خبراء متخصصين، ويتم تشكيلها بمعرفة الطرفين وتحظى بثقة

الأطراف والتي تقوم كما قلنا ببحث النزاع ومعرفة أسبابه واقتراح الحل الأمثل له والتقريب بين وجهات نظر الأطراف تمهيدا لحل النزاع، وهي الوسيلة غالبا ما تتم على يد خبراء متخصصين ويتم تشكيلها بمعرفة الطرفين وتحظى بثقة الأطراف والتي تقوم على بحث النزاع ومعرفة أسبابه واقتراح الحل الأمثل غير ملزم للأطراف بالمرة وهو ما يميز هذه الوسيلة عن غيرها من الوسائل كالتحكيم، ولقد اتبعت هذه الوسائل في ظل عصبة الأمم المتحدة حيث أبرم العديد من المعاهدات في ظلها وذلك بهدف تنظيم التوفيق بوصفه أحد الوسائل الناجحة لحل العديد من المنازعات، ومنذ الحرب العالمية الثانية اكتسب التوفيق أهمية كبرى في حل العديد من المنازعات.

هـ- التحكيم الدولي :

ويقصد به حل المنازعات الدولية من خلال أحكام قضائية تصدر عن محاكم أو هيئات تحكيم مختارة أي من خلال قضاة يختارهم الخصوم، وتطبق في أحكام هيئات التحكيم القواعد القانونية التي يختارها الخصوم المستمدة من القانون الدولي أو القواعد القانونية الأنسب للنزاع، وبذلك لا يكاد يختلف التحكيم الدولي عن القضاء الدولي لأن كلاهما يستهدف حل النزاع ببسر وسهولة ولكن رغم هذا التماثل والتشابه إلا أن هناك فروقا واضحة بين هاتين الوسيطتين، فالتحكيم يغلب عليه الطابع الرضائي أو الاتفاقية، فهو وسيلة لا يمكن اللجوء إليها إلا من خلال اتفاق أو رضاء الأطراف المتنازعين أيضا أن التحكيم الدولي ذا طابع اختياري فهو يتشكل من قضاة مختارون من قبل الأطراف وهو ليس موجودا في القضاء، فعن طريق اتفاق يبرم فيما بين المتنازعين سلفا يسعى باسم مشاركة التحكيم يقوم الأطراف المتنازعون باختيار المحكمين بين فقهاء القانون والخبراء المتخصصين أيضا، فإن الحكم القضائي الصادر من المحاكم الدولية يتمتع بقوة ملزمة إلا أن حكم التحكيم إن كان يتمتع بقوة الإلزام بالنسبة لأطرافه إلا أنه يتخذ بالقوة لأن تنفيذه يتوقف على إرادة الدول الصادر لمصلحتها، وذلك لعدم وجود السلطة الدولية القائمة على تنفيذ الأحكام القضائية الدولية بالقوة ومع ذلك فالمتتبع للممارسات الدولية يجد أن هناك اتجاها واضحا نحو احترام أحكام محاكم التحكيم وتنفيذها بالقوة، وذلك قياسا على وضع أحكام محكمة العدل

الدولية التي عهد الميثاق بتنفيذها بالقوة لمجلس الأمن عملاً بأحكام المادة ٩٤ من الميثاق ومن المستقر عليه أن حل المنازعات الدولية عن طريق التسوية القضائية المتجسدة فيما يصدر عن المحاكم الدولية من أحكام قضائية على سند من القانون، يكفل لها الوجود الدائم الذي من خلاله تتمتع الأحكام القضائية بالثقل أو القوة الذاتية. وبالتالي تعد هذه الأحكام أحكاماً نهائية فيما قضت به ولا يجوز الرجوع فيها أو تعديلها إلا من خلال تعديل الاتفاقيات الدولية نفسها وهذا ما يميز هذا القضاء عن هيئات التحكيم التي يغلب عليها طابع التأقيت.

و- اللجوء إلى الوكالات والتنظيمات الإقليمية :

من المقرر أن دساتير المنظمات الإقليمية تشتمل دوماً على نص أو أكثر يقضي بإلزام أعضائها باللجوء إلى التسوية السلمية لمنازعاتها الدولية، مثل النص الذي أورده منظمة الوحدة الإفريقية ومنظمة الدول الأمريكية ومنظمة حلف شمال الأطلسي وجامعة الدول العربية.

ثانياً: الوسائل غير السلمية لحفظ سلم الأمن الدوليين

من المقرر أن للأمم المتحدة العديد من الوسائل القسرية أو غير السلمية لحفظ السلم والأمن الدوليين وهذه الوسائل تضمنها الفصل السابع من الميثاق بدءاً من المادة ٣٩ إلى المادة ٥١ من الميثاق والتي حددت تلك الوسائل وهي أولاً حالة الأمن الجماعي المنصوص عليها في المواد ٣٩ و ٤٢ و ٤٣ من الميثاق، وكذلك حق الدفاع الشرعي المنصوص عليها في المادة ٥١ ثم حالة استخدام القوة ضد العضو الممتنع عن تطبيق حكم محكمة العدل الدولية عملاً بالمادة ٩٤ من الميثاق، ولقد تعددت هذه الحالات ومنها :

أ- حالة الأمن الجماعي : لقد استحدث الميثاق نظاماً للأمن الجماعي ضمنه الفصل السابع منه وخاصة المادة ٣٩ والمادة ٤٢ من الميثاق وهما اللتين أعطتا لمجلس الأمن مهمة تطبيق الوقائع والأحداث وتحديد ما إذا كان هناك نزاعاً ما من شأن استمراره أن يهدد حفظ السلم والأمن الدولي أو أن يعرضه للخطر أو أن يكون هناك عدواناً بوصفه الجهاز الوحيد صاحب القدرة والاختصاص بحفظ السلم والأمن الدولي، فإذا ما تأخذ

من وجود حالة من هذه الحالات كان له أن يعمل أحكام المادة ٤٢ من الميثاق والتي أعطت لمجلس الأمن إذا رأى أن ما نص عليه المادة ٤١ من الميثاق لا يكاد يفي بالغرض المطلوب أن يتخذ بطريق القوة الجوية والبحرية والبرية مما يلزم من الأعمال لحفظ السلم والأمن الدولي أو لإعادته إلى نصابه ويجوز أن تشمل هذه الأعمال المظاهرات والحصر والعمليات الأخرى بطريق قواته الجوية والبرية والبحرية التابعة لأعضاء الأمم المتحدة وإن كان الأمر أخف وطأة من إتباع نص المادة ٤١ من الميثاق والتي أعطت لمجلس الأمن دعوة الأطراف لحل النزاع عن طريقة اختيار إحدى الوسائل المنصوص عليها في المادة ٣٣ من الميثاق وهي وسائل الحل السلمي للمنازعات وهو ما يعني عدم التزام مجلس الأمن بإتباع الترتيب الوارد في الميثاق.

ثالثاً: فشل الأمم المتحدة في حفظ السلم والأمن الدوليين

الحقيقة أن فعالية الأمم المتحدة وقدرتها على تحقيق أهدافها ظلت ضعيفة من الناحية العملية منذ تأسيسها، حيث لم تستند هذه المنظمة على أي شكل من أشكال القوة الحقيقية التي تؤهلها للقدرة على التأثير من مجريات الأحداث في العالم بحيث ظلت إرادتها مرهونة بإرادة الدول الكبرى والمحصلة النهائية لإرادة الطرف الأقوى من هذه الدول، وبالرغم من استخدام المنظمة عدة وسائل لمواجهة الأحداث وحفظ السلم، إلى أنها قد فشلت في حفظ الأمن الدولي وبذلك برزت طلبات عديدة في أورقة الأمم المتحدة تدعو إلى إصلاح حال الأمم المتحدة لتكون تعبيراً حقيقياً عن حال العالم اليوم. ان النظام الدولي اليوم يمر بمرحلة لاستقرار والدي يتجلى بوضوح في الصراعات علي المستوي الدولي الاقليمي وهذا مما يستوجب تفعيل دور منظمة الأمم المتحدة واخراجها من مرحلة الاحتضار وإعادة ادوارها حتي يتمكن المجتمع الدولي من تحقيق السلم العالمي ذلك ان هذه الصراعات لاكمن ان يتم الحسم فيها إلا آدا كان هناك تعاون مشترك بين الدول عبر هذه المنظمة التي تعبر عن توجهات الدول ورغباتها في صناعة عالم يخلوا من الحروب والأزمات وهذا مما جعل المجتمع الدولي ينادي بضرورة إصلاح الأمم المتحدة حتي تكون في مستوي التحديات الدولية .

الخاتمة

الشريعة الإسلامية أساسها كتاب الله العزيز وسنة نبيه محمد (صلى الله تعالى عليه وسلم)، وكلاهما وحي من الله تعالى: الأول باللفظ والمعنى والثاني بالمعنى دون اللفظ، وهي شريعة عامة لجميع البشر، شاملة لجميع شؤونهم وأحوالهم، خالدة لا يلحقها نسخ ولا تبديل لأنها خاتمة الشرائع وصالحة لكل زمان ومكان لأن الله تعالى إذ جعلها خاتمة الشرائع، جعل أحكامها وقواعدها وأصولها كافية وافية لكل زمان ومكان فلا تضيق بحاجة الناس وما يستجد من أمورهم وأحوالهم غايتها إيصال الناس إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة.

وتتجلى عظمة الإسلام وشموليته وعالميته في جوانب كثيرة من التشريعات، منها جانب تنظيم العلاقات، سواء في علاقة المسلمين بربهم، أو علاقة بعضهم ببعض، أو علاقتهم بالآخرين ممن لم يعتنقوا دينهم على أي وجه كان، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (٧٧)، وقد جاء تنظيم العلاقة مع الآخرين في منتهى الروعة والكمال والجلال، في كافة شؤون الحياة، وفي مختلف الظروف والأحوال سواء في حال الحرب، أو في حال السلم، وسواء كانوا أهل ذمة أو مستأمنين أو معاهدين أو حربيين أو مرتدين، نظمها تنظيمًا دقيقاً راعى فيه تحقيق المصالح والعدل، وحفظ حق الدين والإنسان وقد كان لأحكام الشريعة الإسلامية السيادة في التطبيق قروناً عديدة فما وجد الناس في هذه القرون حاجة إلى تشريع آخر سواء كان قانون داخلي ينظم أمر الدولة والمواطن أو قانون دولي ينظم شؤون الدول فيما بينها ولم يجد الناس ضيقاً في تطبيق الشريعة الإسلامية، بل كان في ذلك التطبيق تحقيق العدل بين الناس ورعاية مصالحهم المشروعة.

ثم أصاب تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية انكماش شيئاً فشيئاً، وهجرها المسلمون هجراً غير جميل واخذوا يستعيضون عنها بالتشريعات الوضعية الغربية يقول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (٧٨) وساعد على هذا الهجر أسباب كثيرة ليس هنا محل تفصيلها، وفاتهم أنهم يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير، وإن فعلهم هذا لا يجوز شرعاً لن الله تبارك وتعالى: ﴿مَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ

الْكَافِرُونَ﴾^(٧٩). ولكن مع هذا كله فنحن لا نياس ولا نقنط من رجعة المسلمين الكرام الى أحكام شريعتهم الطاهرة النقية ونبذ ما يخالفها، لأن الحق لا بد ان يعلوا، وان المسلمين لا بد ان يستيقضوا ويدركوا مدى تفريطهم في جنب شريعة حبيبنا المصطفى الذي أرسله الله تعالى رحمة للعالمين .
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم أجمعين والحمد لله رب العالمين .



- (١) الوجيز في تاريخ القانون الدولي، ارثر نوسبوم ، ترجمة د- رياض القيسي ، بيت الحكمة بغداد ٢٠٠٢م ، ص٧.
- (٢) العهد القديم:- في اصطلاح المسلمين هو: الكتاب الذي أنزله الله تعالى على موسى عليه السلام نوراً وهدى لبني إسرائيل، أما الكتب الملحقة بالتوراة فهي: أربعة وثلاثون سफراً، حسب النسخة البروتستانتية، فيكون مجموعها مع التوراة تسعة وثلاثين سफراً، وهي التي تسمى العهد القديم لدى النصارى، ويمكن تقسيمها إلى خمسة أقسام:
أولاً: الأسفار الخمسة المنسوبة على موسى عليه السلام
ثانياً: الأسفار التاريخية، وهي ثلاثة عشر سफراً:
١- يشوع ٢- القضاة ٣- راعوث ٤- صموئيل الأول ٥- صموئيل الثاني ٦- الملوك الأول ٧- الملوك الثاني ٨- أخبار الأيام الأول ٩- أخبار الأيام الثاني ١٠- عزرا ١١- نحميا ١٢- إستير ١٣- يونا (يونس عليه السلام).الموضوع منقول من الموقع الإسلامي الدرر السنية وعلى العنوان التالي :-<http://dorar.net>
- (٣) الحرب العالمية الثانية هي نزاع دولي مدمر بدأ في (٧ يوليو ١٩٣٧) في آسيا و (١ سبتمبر ١٩٣٩) في أوروبا وانتهت في عام ١٩٤٥ باستسلام اليابان، شاركت فيها قوات مسلحة من حوالي سبعين دولة شاركت في معارك جوية وبحرية وبرية.
الموضوع منقول موقع الموسوعة الحرة على العنوان التالي : <http://www.war.wikiped>
- (٤) ينظر: الوجيز في تاريخ القانون الدولي ،المصدر السابق ص٣٩ .
- (٥) ينظر : المصدر السابق ، ص٨٤ .
- (٦) سورة العنكبوت (آية - ٤٦) .
- (٧) معالم الطريق في عمل الروح الإسلامي ، الدكتور عبد الله مصطفى ، ص١٣٠، بدون مطبعة ، ط ١، ١٩٩٣م .
- (٨) ينظر: المصدر السابق ، ص٨٣ .
- (٩) ينظر: المصدر السابق ، ص٨٥ .
- (١٠) ينظر: السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني طبعة مصر ١٣٣٥هـ ، ج ١ ص٥.
- (١١) سورة الاسراء : آية ١٥ .
- (١٢) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور، مادة - سفر - (٣٦٧/٤- ٣٧١) .
- (١٣) ينظر: الموسوعة العربية ، المجلد التاسع ، ص١٩٦ ، هيئة الموسوعة العربية _ دمشق .

- (١٤) ينظر : هارولد نيكولسون، الدبلوماسية ترجمة محمد مختار طبعة مصر ١٩٥٧، ص ٤٥ .
- (١٥) ينظر : الدبلوماسية والقانون الدبلوماسي خالد الشيخ، (ط١)، عمان من نشر المؤلف ١٩٩٩، ص ٢٤
- (١٦) ينظر: المصدر نفس ص، 24 ، ونيكولسون، الدبلوماسية ، ص . 44 وجمال بركات، (١٩٨٥)، (الدبلوماسية) . (ط١)، الرياض: من نشر المؤلف . وأبوهيف ، القانون الدبلوماسي ، ص ١١.
- (١٧) ينظر : الموسوعة العربية، المجلد التاسع، ص : ١٩٦ . هيئة الموسوعة العربية — دمشق.
- (١٨) ينظر : ملامح الدبلوماسية المعاصرة موضوع منشور على الموقع التالي : historical.yoo7.com
- (١٩) ينظر : المصدر السابق، الجزء الثاني، ص : ٦٦٠.
- (٢٠) ينظر : الشاذلي القليبي، في مقدمته لكتاب "العلاقات الدولية" للدكتور ريمون حداد، ص : 22، دار الحقيقة، بيروت، ٢٠٠٠ م.
- (٢١) ينظر : موسوعة السياسة، الجزء الثاني، ص : ٦٥٨، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1987م.
- (٢٢) ينظر : الرحيق المختوم ، صفي الرحمن المبارك فوري ، دار الخير ، دمشق - ٢٠٠١ م ، ص ٣٥٩ .
- (٢٣) ينظر : عبد الوهاب الكيالي، موسوعة الدبلوماسية - المؤسسة العربية للدراسات والنشر لبنان، ١٩٨٣ م (٢ / ٦٦٢ - ٦٥٨) .
- (٢٤) ينظر : نظرية العلاقات الدولية - د. عدنان السيد حسين : ، دار أمواج، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣، ص: ١٢٥.
- (٢٥) ينظر :- Encyclopédie des sciences sociales, Vol 4 - 5, 1947، p: 147.
- (٢٦) ينظر : القانون والعلاقات الدولية في الإسلام. صبحي المحمصاني: ، دار العلم للملايين، بيروت ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢ م، ص: ١٢٥ - ١٢٦.
- (٢٧) و هذه البعثات كانت معروفة بين قبائل العرب حتى قبل الإسلام، ففي الجاهلية، كانت القبائل تتبادل إرسال الوفود لأجل تقديم التهاني، أو إجراء المفاوضات والمشاورات، وقد كانت هذه الوظيفة لبني عدي، وكان صاحبها قبل الإسلام هو عمر بن الخطاب. رضي الله عنه.
- (٢٨) ينظر - لسان العرب لابن منظور: مادة - سفر - (٣٦٧/٤ - ٣٧١).

- (٢٩) ينظر : سيرة ابن هشام، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ٢/ ١١٩، و الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام، مكتبة الكليات الأزهرية، د.ت، ص: ٢٦٠.
- (٣٠) ينظر : صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لعلاء الدين بن بلبان الفارسي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ١٤/ ٤٩١ - ٤٩٢.
- (٣١) القانون الدولي والعلاقات السائدة الدكتور إحسان هندي، باحث في القانون الدولي والتاريخ بحث منشور على الموقع الالكتروني : <http://thawra.alwehda.gov.sy>
- (٣٢) ينظر : القانون الدولي والعلاقات السائدة إحسان هندي thawra.alwehda.gov.sy/_archive
- (٣٣) ينظر المبادئ العامة للنظرية الإسلامية في العلاقات الدولية ، د. إبراهيم البيومي غانم ، بحث منشور على الموقع الالكتروني : <http://www.iico.net>
- (٣٤) سورة الأنعام (آية ١٨) .
- (٣٥) سورة النساء (آية ١) .
- (٣٦) سورة الحجرات (آية ١٣) .
- (٣٧) ينظر : عون المعبود ، محمد شمس الحق العظيم آبادي ، دار الفكر ، سنة النشر : ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م ص ٢٢ .
- (٣٨) سورة الشورى (آية ١٣) .
- (٣٩) سورة الشورى (آية ١٥) .
- (٤٠) ينظر : صحيح مسلم ، كتاب الفضائل حديث رقم (٢٢٨٧) .
- (٤١) سورة الممتحنة (آية ٨) .
- (٤٢) سورة العنكبوت (آية ٤٦) .
- (٤٣) ينظر : مصدر سابق إحسان هندي القانون الدولي والعلاقات السائدة thawra.alwehda.gov.sy/_archive
- (٤٤) سورة الاسراء (آية ٣٤) .
- (٤٥) سورة الأنفال (آية ٧٢) .
- (٤٦) تفسير الرازي ٤/ ٣٩٠ ، تفسير النار ١٠/ ١٠٨ وما بعدها.
- (٤٧) سورة التوبة (آية ٤) .
- (٤٨) سنن أبي داود ، باب أهل الذمة إذا اختلف بالتجاريات ، رقم الحديث (٣٠٥٤) وهو (حديث حسن).

- (٤٩) سورة الأنفال (آية ٥٨)
- (٥٠) شرح السير الكبير ٤ / ٦ الفتاوى الهندية ٤ / ١٩٧، تبیین الحقائق ، الزيلعي (٣/٣٤٦). سورة النحل (آية ٩١) .
- (٥١) سورة النحل (آية ٩١).
- (٥٢) سورة الإسراء (آية ٣٤)
- (٥٣) سورة التوبة (آية ٤) .
- (٥٤) سورة التوبة (آية ٧).
- (٥٥) سورة البقرة (آية ١٧٧) .
- (٥٦) مسند الإمام احمد، (٣/ ١٣٥ ، ١٥٤ ، ٢١٠) .
- (٥٧) صحيح الإمام مسلم : (٣ / ١٣٦١) ، رقم الحديث (١٧٣٨) .
- (٥٨) سنن الإمام الترمذي ، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، باب ما جاء في الحلف ، رقم الحديث (١٥٨٥) ، (حسن صحيح) .
- (٥٩) فقه السنة - الشيخ سيد سابق ، (٢ / ٧٠٤)
- (٦٠) ينظر :تاريخ الدبلوماسية ،د.حنان اخميس موضوع منشور على الموقع الالكتروني <http://pulpit.alwatanvoice.com>
- (٦١) ينظر :خالد الشيخ الدبلوماسية والقانون الدبلوماسي ص ٢٥
- (٦٢) سورة الأنفال (آية ٥٢) .
- (٦٣) ينظر: تفسير القرطبي ((٣١/٨)) .
- (٦٤) سورة الأنفال (آية ٧٢) .
- (٦٥) ينظر :تفسير القرطبي ((٥٧/٨))
- (٦٦) سورة الأنفال (آية ٥٦) .
- (٦٧) ينظر :تفسير فتح القدير ((٣١٩/٢)) .
- (٦٨) سورة الحشر (آية ٧)
- (٦٩) علوم الحديث ومصطلحه د.صباحي الصالح ص ٣ .
- (٧٠) سبق تخريج الحديث
- (٧١) ينظر : السيرة والشمال ،إعداد طلاب وطالبات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية المملكة العربية السعودية، ص ٣٠ .

(٧٢) تحفة الاحوذى شرح سنن الترمذي باب لكل غادر لواء (٢٠٥/٥) ، (حسن صحيح) ، رقم الحديث ١٦٣٠ .

(٧٣) مسند الامام احمد (٤٤٥/٣) ، (حديث صحيح).

(٧٤) تحفة الاخوري باب (ما جاء في الغدر) (٢٠٤/٥) رقم الحديث ١٦٢٩ رواه الامام احمد (٤٤٥/٣) ، رواه الامام الترمذي في سننه باب ما جاء في الغدر رقم الحديث (١٦٢٩) ، (حسن صحيح) .

(٧٥)

(٧٦) بحث منشور على الشبكة الالكترونية ، دور الأمم المتحدة بالإحداث الدولية ، هشام شنكاو :

باحث مغربي <http://www.diwanalarad.com>

(٧٧) سورة النحل، (آية ٨٩).

(٧٨) سورة الكهف ، (آية ١٠٤).

(٧٩) سورة المائدة ، (آية ٤٤) .

المصادر والمراجع

القران الكريم

١. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لعلاء الدين بن بلبان الفارسي، تحقيق شعيب الأرناؤوط

٢. اطلس العالم الاسلامي د. شوقي ابو خليل

٣. العلاقات الدولية للدكتور ريمون حداد، دار الحقيقة، بيروت، ٢٠٠٠ م.

٤. الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام، مكتبة الكليات الأزهرية، د.ت، ص: ٢٦٠.

٥. بحث منشور على الشبكة الالكترونية ، دور الامم المتحدة بالاحداث الدولية ، هشام شنكاو :

باحث مغربي <http://www.diwanalarad.com>

٦. تاريخ الاسلام د. حسن ابراهيم مكتبة النهضة المصرية دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع

٢٠١٠

٧. التاريخ الاسلامي . محمود شاكر المكتب الإسلامي ٢٠٠٠

٨. تاريخ الدبلوماسية ، د. حنان اخميس موضوع منشور على الموقع الالكتروني

<http://pulpit.alwatanvoice.com>

٩. تاريخ الدبلوماسية: د. حنان اخميس موضوع منشور على الموقع الالكتروني :

١٠. تاريخ الطبري ابي جعفر محمد بن جرير الطبري المطبعة الحسينية بالقاهرة ط ١

١١. تبين الحقائق شرح كنز الدقائق فخر الدين عثمان بن الزيلعي الحنفي طبعه مصر سنة ١٣١٣هـ
١٢. تحفة الاحوذى شرح سنن الترمذي باب لكل غادر لواء .
١٣. تفسير القرطبي الجامع لاحكام القرآن لابي عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي المتوفى سنة ٧٦١ هـ مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة .
١٤. التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي المطبعة البهية المصرية بالقاهرة سنة ١٣٥٧ هـ ، ١٩٣٨ .
١٥. تفسير المنار للمرحوم محمد رشيد رضا مطبعة المنار بالقاهرة ط ١ ١٣٣٠ هـ
١٦. الجهاد والقتال في السياسة الشرعية محمد خير هيكل دار البيارق ١٩٩٦ .
١٧. الدبلوماسية ، جمال بركات ، طبعة الرياض .
١٨. الدبلوماسية هارولد نيكولسون ترجمة محمد مختار طبعة مصر ١٩٥٧
١٩. الدبلوماسية والقانون الدبلوماسي خالد الشيخ ، ط ١ ، عمان من نشر المؤلف ١٩٩٩-
٢٠. الدبلوماسية والقانون الدبلوماسي، خالد الشيخ ، دار زهران للنشر والتوزيع ٢٠٠٣
٢١. السير الكبير الامام محمد بن الحسن الشيباني طبعة مصر ١٣٣٥ هـ ، ج ١
٢٢. سيرة ابن هشام أبو محمد عبد الملك بن محمد بن هشام ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، طبعة بيروت ١٩٥٨ م.
٢٣. السيرة والشمال ، إعداد طلاب وطالبات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية المملكة العربية السعودية
٢٤. الشخصية الإسلامية محمد النبھاني طبعة مصر بدون سنة طبع .
٢٥. شرح السير الكبير للإمام شمس الائمة السرخسي الحنفي . مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر اباد بالهند ط ١ سنة ١٣٣٥ هـ .
٢٦. صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لعلاء الدين بن بلبان الفارسي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ١٤ / ٤٩١ - ٤٩٢ .
٢٧. صحيح مسلم لأبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. تحقيق محمد فؤاد
٢٨. عبد الباقي - طبعة دار إحياء التراث - بيروت - لبنان
٢٩. علوم الحديث ومصطلحه د. صبحي الصالح ، ط ٨ ، بيروت، دار العلم للملايين، ١٤١١ هـ،
٣٠. عون المعبود ، محمد شمس الحق العظيم آبادي ، دار الفكر ، سنة النشر: ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م

٣١. الفتاوى العالمية المكيبرية المعروفة بالفتاوى الهندية تأليف جماعة من علماء الهند الاعلام في القرن الحادي عشر للهجرة وكان رئيسهم الشيخ نظام .
٣٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري ابن حجر العسقلاني تحقيق محمد عبد السلام شاهين دار الكتب العلمية ط ١
٣٣. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي الشوكاني دار زمزم - الرياض - الطبعة: الأولى - سنة الطبع: ١٤١٣هـ
٣٤. فقه السيرة محمد الغزالي دار الشروق طه
٣٥. القانون الدبلوماسي ، علي صادق أبو هيف، منشأة المعارف بالإسكندرية ٢٠٠٠م
٣٦. القانون الدولي والعلاقات السائدة الدكتور إحسان هندي ، باحث في القانون الدولي والتاريخ بحث منشور على الموقع الالكتروني :- <http://thawra.alwehda.gov.sy>
٣٧. القانون والعلاقات الدولية في الإسلام ، د. المحامي صبحي المحمصاني ، دار العلم للملايين، بيروت ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢ م
٣٨. لسان العرب للعلامة جمال الدين ابي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الانصاري الافريقي المصري المتوفى سنة ٧١١ هـ . طبعة بيروت ١٩٥٦ م .
٣٩. المبادئ العامة للنظرية الإسلامية في العلاقات الدولية ، د. إبراهيم البيومي غانم ، بحث منشور على الموقع الالكتروني : <http://www.iico.net>
٤٠. مسند الامام احمد ، المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣١٣ هـ والامام احمد هو احمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن اسد الشيباني المروزي البغدادي المتوفى سنة ٢٤١ هـ .
٤١. ملامح الدبلوماسية المعاصرة موضوع منشور على الموقع التالي : [comyhistorical.yoo](http://www.comyhistorical.yoo)
٤٢. موسوعة الدبلوماسية عبد الوهاب الكيالي - المؤسسة العربية للدراسات والنشر لبنان ، ١٩٨٣ م ج ٢
٤٣. موسوعة السياسة، الجزء الثاني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٧م
٤٤. الموسوعة العربية، المجلد التاسع. هيئة الموسوعة العربية — دمشق.
٤٥. نظرية العلاقات الدولية، د. عدنان السيد حسين ، دار أمواج، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣.
٤٦. الوجيز في تاريخ القانون الدولي، ارثر نوسبوم ، ترجمة د- رياض القيسي ، بيت الحكمة بغداد ٢٠٠٢م

الرسائل الجامعية المجازة في كلية التربية للعلوم الصرفة في جامعة ديالى للفترة (١٩٩٥ - ٢٠٠٥ م) : دراسة ببليومترية

م.م سلام جاسم عبدالله العزي
جامعة ديالى / المكتبة المركزية

ملخص البحث

هدف البحث الى التعرف على الخصائص البنائية للننتاج الفكري في مجال علم الحيوان والنبات والاحياء المجهرية من خلال تحليل الاشارات الببليوغرافية الواردة في الرسائل الجامعية والتي تضمنت التوزيع اللغوي والتوزيع الوعائي والتوزيع الشكلي ، فضلا عن التعرف على اهم الدوريات في هذه المجالات ، وقد استخدم الباحث المنهج الببليومتري التحليلي القائم على تحليل الاشارات الببليوغرافية الواردة في الرسائل الجامعية لكلية التربية للعلوم الصرفة للمدة الزمنية المبحوثة (٢٠٠٥-٢٠١٠) والبالغ عددها (٣٣) رسالة جامعية وبلغ مجموع اشاراتها (٤٦٠٠) اشارة ببليوغرافية ، واهم ما توصل اليه هو ان الكتب قد استحوذت على اهتمام الباحثين في استخدامهم لها ، فضلا عن قلة اهتمام الباحثين في استخدامهم لمصادر المعلومات الالكترونية مقابل التقليدية ، كما واحتلت اللغة الانكليزية اكثر من ٨٠% من اشارات الباحثين في اعداد رسائلهم .

الكلمات المفتاحية (مصادر المعلومات / الرسائل الجامعية/ الدراسات الببليومترية / الاشارات الببليوغرافية) .

**theses approved in College of Education for Pure Science at the
University of Diyala for the period (2005 – 2010) : Study
bibliometric**

Abstract

the aim of research to learn structural characteristics of intellectual production in the field of zoology and botany and microbiology through analysis of bibliographic references contained in the thesis which included language and vascular distribution distribution and morphological distribution, as well as to identify the most important periodicals in these areas, the researcher used al bibliometrics analytical method based on analysis of bibliographic references contained in the thesis to the Faculty of science of the time considered (2005-2010) the (33) thesis represented by bibliographic reference (4600), the most important The search mechanism is that the books have captured the attention of researchers in their use, as well as the lack of interest of researchers in the use of electronic information resources for traditional English occupied more than 80% of researchers in preparing their messages .

مُقَدِّمَةٌ

مشكلة البحث:

ان تحليل الاشارات الببليوغرافية للنتاج الفكري الواردة في الرسائل الجامعية في كلية التربية للعلوم الصرفه بكافة تخصصاتها على جانب كبير من الأهمية في مجال التخصصات العلمية المتمثلة بتخصص (علم الحيوان ، علم النبات ، والاحياء المجهرية) ،وان تحليل الاشارات ضمن هذه التخصصات يساعد الباحثين والمتخصصين في التعرف على أهم مصادر المعلومات ، فضلا عن ذلك فانه لم يسبق دراسة وبحث الموضوع من هذا الجانب.

اهمية البحث :

تعد الدراسات الببليومترية من الدراسات المهمة لما لها من أهمية في قياس الكتابات العلمية والتعرف على الخصائص البنائية للنتاج الفكري، حيث أن هذا البحث سوف يخرج بمؤشرات نوعية وكمية عن النتاج الفكري الذي استخدم من قبل الباحثين في إعداد بحوثهم ، فضلا عن ذلك فإنه يساعد المكتبات الجامعية على تنمية افكار الباحثين بما يؤدي الى تطوير البحوث وبالتالي ينعكس ذلك على العملية البحثية .

اهداف البحث :

يهدف البحث الى التعرف على :

١. الخصائص البنائية للنتاج الفكري ومدى تشتته لغويا وزمنيا وشكليا ؟
٢. مدى استخدام الباحثين لمصادر المعلومات الالكترونية ؟
٣. ما المصادر العربية والاجنبية الاكثر استخداما في الرسائل الجامعية؟
٤. ما الدوريات الاكثر استخداما من قبل الباحثين ؟

حدود البحث :

يتحدد مجال البحث في الجوانب الاتية:

١. الحدود الزمانية : شمل البحث المدة الزمنية المحصورة بين (٢٠٠٥-٢٠١٠) .
٢. الحدود المكانية : جامعة ديالى — كلية التربية للعلوم الصرفه .

٣. الحدود الموضوعية : الرسائل الجامعية * المجازة في أقسام : علم النبات : علم الحيوان : الاحياء المجهرية .

٤. الحدود اللغوية : الرسائل الجامعية المنجزة باللغتين (العربية والانكليزية) .

منهج البحث :

اعتمد الباحث على استخدام المنهج الببليومتري التحليلي وذلك لكونه من افضل المناهج الملائمة لدراسة مثل هذا الموضوع .

اداة واجراءات البحث:

اعتمد الباحث في بحثه هذا على استخدام الاشارة الببليوغرافية الواردة في الرسائل الجامعية المجازة في اقسام (علم النبات وعلم الحيوان والاحياء المجهرية) بكلية التربية للعلوم الصرفة في جامعة ديالى للمدة الزمنية النبوثة (٢٠٠٥-٢٠١٠) . ولغرض اعداد البحث تم القيام بعدد من الاجراءات وهي :

١. المسح الاولى لاقسام كلية التربية للعلوم الصرفة لمعرفة الاقسام التي تمنح درجات الماجستير .

٢. بعد التعرف على الاقسام العلمية التي تمنح الماجستير تم احصاء عدد الرسائل الجامعية المجازة من اقسام الكلية للمدة الزمنية ٢٠٠٥-٢٠١٠ م .

٣. ثم استنساخ صفحة العنوان وصفحات الاشارات الببليوغرافية من كل الرسائل الجامعية موضوع البحث .

٤. إعداد استمارة صممت لهذا الغرض تضمنت كل المعلومات المتعلقة بالاشارة الببليوغرافية للكتب والدوريات والرسائل الجامعية ، لغرض تغريغ البيانات منها والوصول الى ارقام وحقائق .

٥. التأكد من اكتمال الاشارات الببليوغرافية في الرسائل الجامعية واستبعاد الاشارات التي لاتتضمن اشارات ببليوغرافية متكاملة .

٦. تدوين المعلومات اللازمة عن كل اشارة ببليوغرافية وردت في الرسائل الجامعية موضوع البحث وحسب الاستمارة التي تم اعدادها مسبقا .

٧. تحليل الاشارات الببليوغرافية التي جمعت للوصول الى نتائج وحقائق تخص البحث.

الأساليب الإحصائية المستخدمة :

استخدم الباحث النسبة المئوية في تحليل البيانات في ايجاد القيم النسبية العددية ، فضلا عن عدد من الاساليب الاحصائية التي استعان بها الباحث في كبرنامج الاكسل لنظام (widows) في اعداد الجداول وتفرغ استثمار جمع المعلومات وإعداد المخططات والرسوم التوضيحية .

الدراسات السابقة :

حسب اطلاع الباحث فقد اخذ موضوع الدراسات الببليومترية الاهتمام الواسع خلال العقدين الماضيين لما له من اهمية من قبل المتخصصين في مجال المعلومات والمكتبات في كتاباتهم وبحوثهم ، وقد وجد الباحث عدد من الدراسات المشابه لهذا البحث منها :

١. مؤيد بن سليمان بن عبدالله^(١). تحليل الاستشهادات المرجعية في رسائل الماجستير المجازة من الجامعات السعودية في مجال المكتبات والمعلومات من عام ١٤١٠ هـ - ١٤٢٥ هـ .

تناول الباحث في كتابة تحليل الاشارات الببليوغرافية الواردة في رسائل الماجستير في مجال المكتبات والمعلومات المجازة من الاقسام العلمية في الجامعات السعودية للفترة من ١٤١٠ هـ الى ١٤٢٥ هـ ، للتعرف على الخصائص البنائية للنتائج الفكرية المستخدم من قبل الباحثين السعوديين في مجال المكتبات والمعلومات ، وقد توصل الباحث في كتابه الى نتائج هامة اهمها:

أ) توجد علاقة وترابط بين علم المعلومات والمكتبات والعلوم الاخرى .
ب) بيان اهم ما اشتملت عليه دراسات علوم المكتبات والمعلومات في اللغات الاجنبية والعربية.

ج) حصول الموضوعات الثلاثة الاولى (الخدمات المكتبية ، وتقنية المعلومات ، المكتبات المتخصصة) لاعلى نسبة مجتمعة زادت على ٥٤%.

٢. صالح بن سليمان بن الزهيمي^(٢). خصائص النتاج الفكري في العلوم الطبية في سلطنة عمان (١٩٩٦-٢٠٠٦) رسالة ماجستير ٢٠٠٦.

وقد هدفت الدراسة الى التعرف على الخصائص البنائية للنتاج الفكري في مجال العلوم الطبية في سلطنة عمان من حيث سماته الموضوعية والزمنية والعديدية وقوة المزاجية بين الدوريات الطبية العمانية ونسبة التأليف المشترك الى التأليف الفردي ومعدل انتاجية المؤلفين ونسبة انتاج الاطباء العمانيين مقارنة بغير العمانيين ، فضلا عن دراسة خصائص الاشارات الببليوغرافية الواردة في مقالات هذا النتاج ومدى اسهام الاطباء العمانيين في الدوريات الاجنبية ومعدل اشارة المؤلفين بنفسمهم واشارة الدوريات العمانية بنفسها واكثر الدوريات المشار بها ومدى التشتت النوعي لاولعية المعلومات المستشهد بها .

٣. سلام جاسم عبدالله^(٣). قياس منتصف العمر لمصادر المعلومات في مجال علم الحاسوب : دراسة ببليومترية .

وقد هدف الباحث في اعداد بحثه على استخدام اسلوب الدراسات الببليومترية في تحليل الاشارات الببليوغرافية الواردة في الرسائل الجامعية وأطاريح الدكتوراه ألمجازة في الجامعات العراقية للفترة ١٩٩٥ - ٢٠٠٥ ، وقد توصل الباحث الى جملة من النتائج كان ابرزها :

١. بلغ منتصف العمر لمصادر المعلومات في مجال علم الحاسوب للكتب (٤,٣٨) سنة بينما كان في الدوريات (٤,٧١) سنة ، وذلك لان الدوريات اسرع في النشر وتحمل معلومات اكثر حداثة .

٢. بلغ عدد الرسائل الجامعية واطاريح الدكتوراه المجازة في الجامعات العراقية موضوع البحث ٦٣٢ رسالة جامعية واطروحة.

٣. نسبة التأليف المشترك فاقت التأليف الفردي بفارق قدره (٩,٢%) .

٤. تعد اللغة الانكليزية في النتاج الفكري لعلم الحاسوب نسبة عالية مقارنة في اللغة العربية وهذه نتيجة طبيعه لكون اغلب البحوث والدراسات في علم الحاسوب تكتب باللغة الانكليزية .

الجانب النظري

المقدمة :

تعد الدراسات الببليومترية اسلوبا من أساليب البحث العلمي الذي له جذور تاريخية عميقة ، وتنعكس اهمية استخدامه في التعرف والقاء الضوء على الخصائص البنائية للنتاج الفكري المتخصص في مجال موضوعي ما وبالتالي استخدام هذه المخرجات في قياس مصادر المعلومات ومن ثم تقويمها ، وكذلك يراد بها دراسة الجوانب الكمية والنوعية للنتاج الفكري المنشور ، ومن الملاحظ بان الدراسات الببليومترية تتعامل مع كل اشكال مصادر المعلومات التي تحصى كميا وتساعد في اتخاذ القرارات في الاختيار والتزويد لبناء مجموعات المكتبات (٤).

ولقد ظهر مصطلح الببليومتر كرس عام ١٩٢٢ لأول مرة عندما استخدمه (هولم) بهدف عد سمات وخصائص الوثائق ، ثم عرفه بريشتارد في عام ١٩٧٠ بانه التحليل الاحصائي لوسائل الاتصالات ليوضح عمليات الاتصال والعوامل المؤثرة فيها (٥).

وقد عرف برتشارد (Pritchard) (٦) الببليومتر كرس على انه التحليل الاحصائي لوسائل الاتصالات وذلك لبيان وتوضيح عمليات الاتصال والعوامل المؤثرة فيه وظهار تداخل العلاقات .

وهذا وقد عرفها احمد الشامي وسيد حسب الله بانها مجموعة من الاساليب الاحصائية والقياسات الكمية المستخدمة في دراسة الخصائص البنائية للنتاج الفكري لمعرفة عمليات تداول المعلومات (٧).

وعرفها قنديلجي وايمان السامرائي بانها عبارة عن تجميع وتفسير الاحصاءات المتعلقة بالكتب والدوريات بغرض التأكد من استخدامها وتحديد مدى ومستوى ذلك الاستخدام على المستويات الوطنية والعالمية (٨).

وقد عرفها الباحث في دراسة سابقة (٩) له بأنها استخدام مجموعة من الاساليب الاحصائية العلمية التي تطبق على الكتب والدوريات وعلى وسائل الاتصال الاخرى والتي تساعد في دراسة الخصائص البنائية للنتاج الفكري المنشور وغير المنشور في مجال موضوعي محدد .

أهداف الدراسات الببليومترية :

لقد حدد بروكس عدداً من الأهداف الأساسية للدراسات الببليومترية نلخصها بالاتي:

١. التعرف على جوانب القصور في الخدمات الببليوغرافية .
٢. الكشف عن اهم القوانين القياسية اللازمة لتطوير نظرية خاصة بالمعلومات .
٣. زيادة فعالية انشطة تداول المعلومات .
٤. التنبؤ باتجاهات النشر (١٠) .

مجال استخدام الدراسات الببليومترية:

تعد الدراسات الببليومترية من الدراسات التي تستخدم الطرق الرياضية والاحصائية لقياس النشاط العلمي لتخصص معين او لمؤلفات مؤلف ما ، وقد ساعد هذا النوع من الدراسات المكتبيين واخصائي المعلومات من الوصول الى غاياتهم . مجالات استخدام الدراسات الببليومترية (١١) :

١. دراسة معدلات نمو النتاج الفكري في تخصص معين وبيان مدى اندماج او انشطار الموضوعات العلمية .
٢. تحديد اكثر الدوريات البؤرة في المكتبات ومراكز المعلومات وفي مختلف التخصصات العلمية.
٣. تحديد اكثر المؤلفين انتاجا في موضوع معين ممكن لهم انتاج علمي منشور، فضلا عن بيان مدى التعاون بين المؤلفين ضمن المجال الواحد .
٤. امكانية استخدامها في مجال تحليل النتاج الفكري في مواقع الانترنت ، وقد عرف هذا المفهوم حديثا من الدراسات بالدراسات الويبومترية (Webometrics) (١٢).

خصائص الدراسات الببليومترية :

تتسم اغلب الدراسات الببليومترية كما حددها الراوي بالاتي:

١. ايجاد قوة العلاقة والترابط الموضوعي بين الحقول المختلفة أو الحقل الواحد .
٢. بيان نوع اللغة المستخدمة في النتاج الفكري .
٣. بيان شكل الوعاء الذي استخدمت فيه الإشارة الببليوغرافية .
٤. بيان نسبة الإنشطار والاندماج الموضوعي في مجال محدد (١٣).

الجانب العملي

تحليل النتاج الفكري لرسائل الماجستير لاقسام (علم النبات وعلم الحيوان والاحياء المجهرية) في جامعة ديالى للمدة ٢٠٠٥-٢٠١٠ .

ان تحليل الاشارات الببليوغرافية الواردة في الرسائل الجامعية موضوع في غاية الاهمية لما يضيف من معرفة الخصائص البنائية للنتاج الفكري، اذ تم تحليل الاشارات الببليوغرافية التي وردت في قائمة الاشارات الببليوغرافية بنهاية كل رسالة جامعية ، وبغض النظر عن التسمية التي سميت بها كان تكون (Reference , Bibliographic , Resource) . وبلغ عدد الرسائل الجامعية المجازة في كلية التربية للعلوم الصرفة بلغ (٣٣) رسالة جامعية توزعت على ثلاث اقسام هي (قسم علم الحيوان وعلم النبات والأحياء المجهرية) وكما مبين في الاتي :

١. توزيع الرسائل الجامعية على الاقسام وحسب سنوات الدراسة :

جدول رقم (١) توزيع الرسائل الجامعية حسب الاقسام والسنوات (١٤)

النسبة %	المجموع	الرسائل الجامعية			الإقسام السنوات
		الاحياء المجهرية	علم الحيوان	علم النبات	
١٨,٢ %	٦	٢	٢	٢	٢٠٠٥
٢١,٢ %	٧	٤	٠	٣	٢٠٠٦
٩,١ %	٣	١	٢	٠	٢٠٠٧
٣٠,٣ %	١٠	٢	١	٧	٢٠٠٨
١٥,٢ %	٥	٢	٢	١	٢٠٠٩

٢٠١٠	٠	١	١	٢	%٦
المجموع	١٣	٨	١٢	٣٣	%١٠٠
النسبة %	%٣٩,٤	%٢٤,٢	%٣٦,٤	%١٠٠	

يلاحظ من الجدول رقم (١) ان هنالك تباين في اعداد الرسائل الجامعية حسب سنوات الدراسة بشكل إرتفاع وإنخفاض وسجل عام ٢٠٠٨ اعلى عدد للرسائل الجامعية المجازة وحيث بلغ عددها (١٠) رسائل ومثلت نسبة (٣٠,٣%) من المجموع الكلي ، ثم عام ٢٠٠٦ وبلغ اعداد الرسائل المجازة بواقع (٧) رسائل ومثلت نسبة (٢١,٢%) ، في حين كان عام ٢٠٠٥ في المرتبة الثالثة حيث بلغت اعداد الرسائل (٦) فقط ومثلت نسبة (١٨,٢%) من مجموع الرسائل . ويمكن عزو نسب الارتفاع في ٢٠٠٨ الى ان الجامعة بدأت تستقر بعدما حدث اعمال ارهابيه في المحافظة ادت الى تقليص اعداد القبولات في الدراسات العليا.

من جانب اخر وحاز علم النبات على اعلى نسبة بانجاز الرسائل الجامعية حيث بلغت اعداد الرسائل المجازة فيه (١٣) رسالة ومثلت مانسبته (٣٩,٤%) من مجموع الرسائل ، اما المرتبة الثانية فقد كانت لقسم الاحياء المجهرية حيث بلغت اعداد الرسائل فيه (١٢) رسالة ومثل مانسبته (٣٦,٤%) من المجموع ، اما المرتبة الثالثة فقد كانت من نصيب قسم علم الحيوان حيث بلغت اعداد الرسائل فيه (٨) فقط ومثل نسبة (٢٤,٢%) من المجموع الكلي .

٢. توزيع الاشارات الببليوغرافية في الرسائل الجامعية :

بعد تحليل الرسائل الجامعية لاقسام كلية التربية للعلوم الصرفة والتي بلغ عددها (٣٣) رسالة وقد بلغ عدد اشاراتها (٥٢٠٠) اشارة ببليوغرافية ، وقد استبعدت (٦٠٠) اشارة ببليوغرافية ومثلت (١٣%) من مجموع الاشارات الكلية واستبعدت لنقص المعلومات الببليوغرافية الواردة فيها ، لتصبح عدد الاشارات الفعلية (٤٦٠٠) اشارة ببليوغرافية .

جدول (٢) توزيع الرسائل الجامعية واشاراتها على الاقسام

ت	الاقسام	عدد الرسائل الجامعية	%	عدد الاشارات الببليوغرافية	%	معدل الاشارة بالرسالة الواحد
١	علم النبات	١٣	%٤٠	١٥٩٢	%٣٤,٦	١٢٢
٢	علم الحيوان	٨	%٢٤,٥	١٢٤٧	%٢٧,١	١٥٥
٣	الاحياء المجهرية	١٢	%٣٥,٥	١٧٦١	%٣٨,٣	١٤٦
	المجموع	٣٣	%١٠٠	٤٦٠٠	%١٠٠	١٤١

يشير الجدول رقم (٢) الى عدد الاشارات الببليوغرافية التي نالتها الرسائل الجامعية وحسب كل قسم منها ، حيث تبين لنا بأن الباحثين في علم النبات يستخدمون بمعدل (١٢٢) اشارة ببليوغرافية في الرسالة الواحد ، اما الباحثين في قسم الاحياء المجهرية فقد بلغ معدل استخدامهم (١٤٦) اشارة ببليوغرافية للرسالة الواحدة ، بينما تبين بان الباحثين في قسم علم الحيوان يستخدمون اعلى عدد للإشارات وبمعدل (١٥٥) اشارة ببليوغرافية ، وبشكل عام فان معدل الاشارة الببليوغرافية لكل رسالة جامعية مجازة في كلية التربية للعلوم الصرفة بلغ (١٤١) اشارة ببليوغرافية .

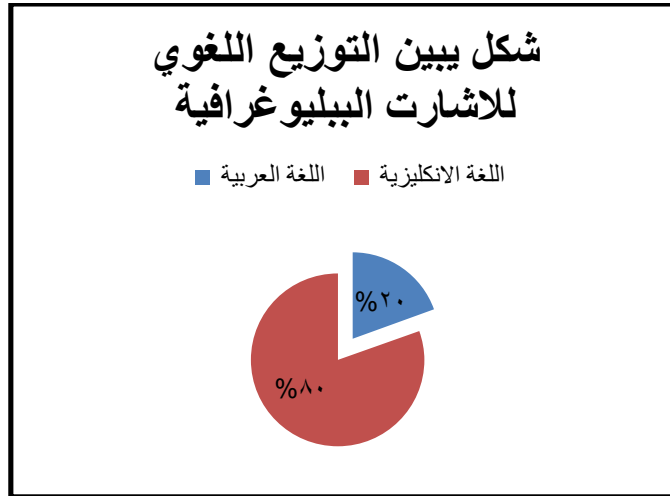
٣. التوزيع اللغوي للاشارة الببليوغرافية :

لقد استخدم هذا التوزيع للتعرف على اي اللغات الاكثر استخداما من مصادر المعلومات (الكتب والدوريات والرسائل الجامعية) والواردة في الرسائل الجامعية ، ومن خلال تحليل الاشارة الببليوغرافية للرسائل تبين بان هنالك فارق كبير بين اللغة العربية واللغة الاجنبية و حصلت اللغة الانكليزية على (٣٧٠١) اشارة ببليوغرافية وبنسبة (٨٠,٥%) من مجموع الاشارات ، في حين كانت اللغة العربية بعدد (٨٩٩) اشارة ببليوغرافية وقد مثلت نسبة (١٩,٥%) من مجموع الاشارات . ويمكن القول بان هذه النتائج تعد طبيعية وذلك لقلة مصادر المعلومات المنشورة باللغة العربية في هذا المجال ، مما يجعل صعوبة وصول الباحثين اليها . وكما هو موضح في الجدول رقم (٣) والشكل رقم (١) :

جدول (٣) يبين التوزيع اللغوي للإشارة اللبليوغرافية

القسم	عدد الاشارات الكلية	اللغة العربية	النسبة %	اللغة الانكليزية	النسبة %
علم النبات	١٥٩٢	٤٤٢	%٢٧,٨	١١٥٠	%٧٢,٢
علم الحيوان	١٢٤٧	١٣٠	%١٠,٤	١١١٧	%٨٩,٦
احياء مجهرية	١٧٦١	٣٢٧	%١٨,٥	١٤٣٤	%٨١,٥
المجموع	٤٦٠٠	٨٩٩	%٢٠	٣٧٠١	%٨٠

شكل رقم (١) يوضح نسبة استخدام اللغة العربية مقابل اللغة الانكليزية



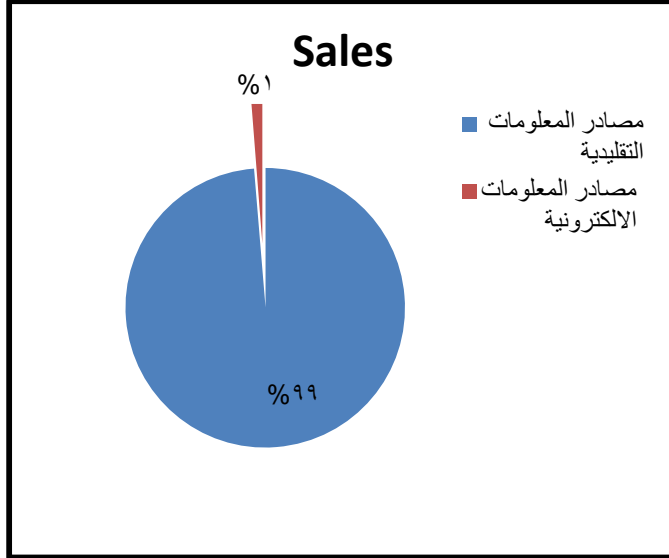
٤. التوزيع الشكلي لاستخدام مصادر المعلومات :

لقد استخدم الباحث هذا النوع من التوزيع وذلك لبيان مدى اهتمام الباحثين بمصادر المعلومات الالكترونية وخاصة بعد التطورات الكبيرة التي حصلت في هذا المجال من الانتشار الكثير لمصادر المعلومات سواء كانت من خلال قواعد بيانات محلية او من خلال اتاحة مواقع الكترونية كالمكتبة الافتراضية العراقية .

جدول (٤) يبين مدى استخدام مصادر المعلومات الالكترونية .

ت	القسم	عدد الاشارات الكلية	الإشارة التقليدية	النسبة %	الإشارة الالكترونية	النسبة %
١	علم النبات	١٥٩٢	١٥٧١	%٩٨,٧	٢١	%١,٣
٢	علم الحيوان	١٢٤٧	١٢٢٨	%٩٨,٥	١٩	%١,٥
٣	احياء مجهرية	١٧٦١	١٧٤٢	%٩٨,٩	١٩	%١,١
	المجموع	٤٦٠٠	٤٥٤١	%٩٨,٧	٥٩	%١,٣

شكل رقم (٢) يوضح استخدام مصادر المعلومات



يوضح الجدول رقم (٤) والشكل رقم (٢) مدى استخدام الباحثين لمصادر المعلومات الالكترونية حيث بعد تحليل الاشارات في الرسائل المجازة تبين للباحث بان هنالك نسبة قليلة جدا لاستخدام مصادر المعلومات الالكترونية ، اذ ان (٩٨,٧%) من الاشارات الواردة في الرسائل المجازة تم الاعتماد عليها من المصادر التقليدية ، في حين ان مصادر المعلومات الالكترونية مثلت نسبة لا تكاد تذكر وهي (١,٣%) من مجموع الاشارات .

٥. التوزيع الوعائي لمصادر المعلومات :

استخدم هذا التوزيع لبيان مدى اعتماد الباحثين على استخدام مصادر المعلومات (كتب ، دوريات ، رسائل ، او اي مصادر معلومات اخرى) .

جدول (٥) يبين التوزيع الوعائي للاشارة الببليوغرافية

ت	القسم	اشارة الكتب	%	الدوريات	%	الرسائل	%	اشارات اخرى ^(١٥)	%	المجموع
١	علم النبات	٥٧٣	٣٦	٤٢٤	٢٧	٢٤٢	١٥	٣٥٣	٢٢	١٥٩٢
٢	علم الحيوان	٤٠٠	٣٢	٢٩٠	٢٣,٣	١٦١	١٣	٣٩٦	٣١,٧	١٢٤٧
٣	احياء مجهرية	٥٥٩	٣٢	٥٠٧	٢٩	١٩٢	١١	٥٠٣	٢٨	١٧٦١
٤	المجموع	١٥٣٢	٣٣	١٢٢١	٢٧	٥٩٥	١٣	١٢٥٢	٢٧	٤٦٠٠

لقد بين الجدول رقم (٥) مدى استخدام الباحثين لمصادر المعلومات الآتي:

١. احتلت الكتب المرتبة الاولى في اشارات الباحثين في قسم علم النبات و بلغ عدد الاشارات اليها (٥٧٣) ومثلت نسبة (٣٦%) من المجموع الكلي ، في حين كانت المرتبة الثانية من نصيب الدوريات التي بلغ عدد الاشارات اليها (٤٢٤) ومثلت نسبة (٢٧%) من المجموع الكلي ، اما المرتبة الثالثة فقد كانت لمصادر المعلومات الاخرى حيث بلغت (٣٥٣) ومثلت (٢٢%) .

٢. كذلك الحال فقد كانت الكتب في الصدارة لاهتمام الباحثين في قسم علم الحيوان حيث بلغ عدد الاشارات اليها (٤٠٠) ومثلت نسبة (٣٢%) ، تليها في ذلك مصادر المعلومات الاخرى التي بلغت (٣٩٦) ومثلت (٣١,٧%) ، اما الدوريات فقد كانت ثالثا حيث بلغت اشاراتها (٢٩٠) ومثلت (٢٣,٣%) .

٣. اما قسم الاحياء المجهرية فقد حازت الكتب فيه الاهتمام الواسع ايضا وقد بلغت (٥٥٩) ومثلت نسبة (٣٢%)، تليها في الدوريات اذا نالت على (٥٠٨) اشارة ومثلت نسبة (٢٩%) من المجموع الكلي، في حين نالت المصادر الاخرى ثالثا وقد بلغت (٥٠٣) ومثلت (٢٨%) .

ومن خلال ما تبين من ارقام ونسب مئوية ومن خلال اطلاع الباحث بشكل مباشر ومكان عمله في جامعة ديالى الى افتقار المكتبات الى الدوريات العلمية المتخصصة، تبين لنا بان الباحثين في مجال علم النبات والحيوان والأحياء المجهرية قد اعتمدوا في اعداد رسائلهم الجامعية على مصادر المعلومات من الكتب اكثر من باقي مصادر المعلومات الاخرى، ويمكن عزو ذلك الى قلة مصادر المعلومات من الدوريات ومصادر المعلومات الاخرى المتخصصة في هذه المجالات.

٦. توزيع الاشارة الببليوغرافية على الدوريات الواردة في الرسائل الجامعية :

نظرا للاهمية البالغة التي تتمتع بها الدوريات كمصدر مهم من مصادر المعلومات كونها تحمل معلومات تكون في اغلب احوالها معلومات حديثة، وهذا ويمكن اجمال اهم الدوافع الاساسية وراء توزيع الاشارات الببليوغرافية على الدوريات للأسباب الاتية :

١. التعرف على اهم الدوريات البؤرة في مجال (علم النبات وعلم الحيوان وعلم الاحياء المجهرية) .

٢. نظرا لقلّة التخصيصات المالية المتاحة للمكتبات وارتفاع اسعار الدوريات ادى الى ترشيد الاشتراك في الدوريات ، لذا فان من خلال التعرف على الدوريات البؤرة يمكن لمكتبة الكلية ان تقتنيها وتشارك بها لاهميتها للباحثين .
وأعد الباحث هنا قائمة باعداد الدوريات التي تم الاشارة اليها في الرسائل الجامعية ونسبة الاشارة اليها والتي استخدمها الباحثون في اعداد رسائلهم الجامعية ، وتم ترتيبها بشكل تنازلي حسب الاشارة ، وقد تم اعداد ثلاث جداول تمثل ثلاثة اقسام وهي كالآتي:

اولاً: علم النبات : لقد بلغ عدد الاشارات الببليوغرافية للدوريات في الرسائل الجامعية لقسم علم النبات الى (٤٢٤) اشارة ببليوغرافية فقد توزعت على (٨٤) دورية وكما هو موضح بالآتي :

جدول (٦) يبين الترتيب التنازلي للدوريات في مجال علم النبات

ت	الدورية	الرسائل التي اشارت للدورية	عدد مرات الاشارة	النسبة %
١	مجلة العلوم الزراعية	13	50	١٢%
٢	مجلة الزراعة العراقية	13	46	١٠,٨%
٣	Journal of plant nutrilion	12	34	٨%
٤	Journal ethnopharmacology	11	28	٦,٦%
٥	Journal natural paroaducts	13	18	٤,٢%
٦	Journal american api therapy	13	18	٤,٢%
٧	Turk journal boil	13	16	٣,٧%
٨	Journal of agriculture	11	14	٣,٣%
٩	Journal of argon	10	14	٣,٣%
١٠	Journa of plant physicology	7	14	٣,٣%
١١	Journal of biochem	6	14	٣,٣%
١٢	Boil sci	9	13	٣%
١٣	مجلة لباء للابحاث الزراعية	8	11	٢,٦%
١٤	Journal of biological science	5	11	٢,٦%

Journal of environ science	8	11	٢,٦%	١٥
Journal of botect	10	11	٢,٦%	١٦
African journal of biotechnology	5	9	٢,١%	١٧
Journal of food sci	4	9	٢,١%	١٨
Journal of cultured dairy prod	5	9	٢,١%	١٩
Journal of essential oil research	2	4	٠,٩%	٢٠
Journal of annual of agric	3	4	٠,٩%	٢١
مجلة العلوم التطبيقية البحثية	1	2	٠,٥%	٢٢
Journal of amercian science	2	2	٠,٥%	٢٣
Journal of drug sunder	1	2	٠,٥%	٢٤
المجلات التي حصلت على اشارة واحدة	60	60	١٥%	٢٥
المجموع	13	424	١٠٠%	

يشير الجدول رقم (٦) الى الاتي :

لقد حصلت دورية (مجلة العلوم الزراعية) على المرتبة الاولى بعدد الاشارة الببليوغرافية الواردة في الرسائل الجامعية ، وحصلت على (٥٠) اشارة ببليوغرافية وشكلت نسبة (١٢%) من المجموع الكلي ، تليها في المرتبة الثانية (مجلة الزراعة العراقية) التي حصلت على (٤٦) اشارة ببليوغرافية وقد شكلت نسبة (١٠,٨%) من المجموع الكلي ، في حين كانت دورية (Journal of plant nutrilion) في المرتبة الثالثة حيث حصلت على (٣٤) اشارة ببليوغرافية وقد شكلت نسبة (٨%) من المجموع الكلي ، وبذلك فان الدوريات الثلاثة الاولى مجتمعة قد حصلت على نسبه (٣٨%) وبذلك فانها من الدوريات المهمة جدا في هذا المجال .

ثانيا : علم الحيوان : لقد بلغ عدد الاشارات الببليوغرافية للدوريات في الرسائل الجامعية لقسم علم النبات الى (٢٩٠) اشارة ببليوغرافية فقد توزعت على (٩٥) دورية وكما هو موضح بالاتي :

جدول (٧) يبين الترتيب التنازلي للدوريات في مجال علم الحيوان

ت	الدورية	الرسائل التي اشارت للدورية	عدد مرات الاشارة	النسبة %
١	Journal of parasitol	٨	٣٤	%١٢
٢	Journal of ethnopharmacoll	٨	٢٧	%٩,٣
٣	Journal of tropical medicine	٨	٢٥	%٨,٦
٤	Journal of repord imunol	٨	١٩	%٦,٦
٥	Journal of annentomal soc am	٨	١٧	%٥,٩
٦	Journal of clin pathol	٨	١٣	%٤,٥
٧	Journal of immune pharmias	٧	١١	%٣,٨
٨	Journal of medical sciences	٨	١١	%٣,٨
٩	Journal of clicical microbiology	٨	١١	%٣,٨
١٠	Journal of egypt	٣	٨	%٢,٨
١١	Journal of infect	٨	٨	%٢,٨
١٢	Journal of kufa	٦	٧	%٢,٤
١٣	Journal of protozoal	١	٤	%١,٤
١٤	Journal of applied science	١	٤	%١,٤
١٥	Journal of Iraq of microbiology	١	٣	%١
١٦	Journal of control europen	١	٣	%١
١٧	Journal of the indian potato	١	٣	%١
١٨	مجلة زراعة الرافدين	١	٣	%١
١٩	Journal of food science	١	٢	%٠,٧
٢٠	Journal of clinical microbiology	١	٢	%٠,٧
٢١	المجلات التي حصلت على اشارة واحدة	٧٥	٧٥	%٢٥,٩
	المجموع	٨	٢٩٠	%١٠٠

يشير الجدول رقم الى الاتي :

احتلت الدورية (Journal of parasitol) المرتبة الاولى بعدد الاشارات حيث حصلت على (٣٢) اشارة ببليوغرافية وقد مثلت نسبة (١٢%) من مجموع الاشارات الببليوغرافية ، وجاءت الدورية (Journal of ethnopharmacoll) في المرتبة الثانية بعدد الاشارات حيث حصلت على (٢٧) اشارة ببليوغرافية ومثلت نسبة (٩,٣%) من المجموع الكلي ، في حين حازت الدورية (Journal of trop med) على المرتبة

الثالثة حيث بلغت عدد اشاراتها (٢٥) اشارة ببليوغرافية ومثلت نسبة (٨,٦%) من مجموع الاشارات ، اذ مثلت الدوريات الثلاثة الاولى مجتمعة على نسبة (٣٠%) من مجموع الدوريات .

ثالثا : علم الاحياء المجهرية : لقد بلغ عدد الاشارات الببليوغرافية للدوريات في الرسائل الجامعية لقسم علم النبات الى (٥٠٧) اشارة ببليوغرافية ، قد توزعت على (١٣٠) دورية وكما هو موضح بالاتي :

جدول (٨) يبين الترتيب التنازلي للدوريات في مجال علم الاحياء المجهرية

ت	الدورية	الرسائل التي اشارت للدورية	عدد مرات الاشارة	النسبة %
١	Journal of antimicrobial chemotherapy	١٢	٧١	%١٤
٢	Journal of med microbiol	١٢	٥٥	%١١
٣	Journal of infect	١١	٤٦	%٩,١
٤	Journal of clinical microbiology	١٢	٣٩	%٧,٧
٥	Journal of bacterial	١٢	٢٥	%٥
٦	Journal of otolary nol	١٢	١٩	%٤
٧	Journal of biology	٩	١٧	%٣,٤
٨	Journal of clin investing	١٣	١٤	%٢,٣
٩	Journal of comm med	١٤	١٤	%٢,٣
١٠	Journal of biochem	١١	١١	%٢,١
١١	Journal of ethnol pharmacology	٨	٨	%١,٦
١٢	Journal of clin pathol	٨	٨	%١,٦
١٣	Journal of food science	٨	٨	%١,٦
١٤	Journal of the indina potato	٧	٧	%١,٤
١٥	Journal of appl .physical	٧	٧	%١,٤
١٦	Journal of pediater	٦	٧	%١,٤
١٧	Journal of invert pathol	٤	٧	%١,٤
١٨	Journal of saudia med	٦	٧	%١,٤
١٩	Journal of tropical medicine	٤	٧	%١,٤
٢٠	Journal of alleragy immanol	٥	٥	%١
٢١	Journal of American apitherapy	٥	٥	%١
٢٢	Journal of food microbial	٤	٤	%٠,٨

Journal of Health	٢٣	٣	٣	٠,٦%
Journal of clin pathol	٢٤	٣	٣	٠,٦%
Journal of crude drug research	٢٥	١	٢	٠,٤%
Journal of bone and joints	٢٦	٢	٢	٠,٤%
Journal of environment	٢٧	٢	٢	٠,٤%
Journal of wat boll	٢٨	٢	٢	٠,٤%
المجلات التي حصلت على اشارة واحدة لكل منها	٢٩	١٠٢	١٠٢	٢٠%
المجموع		١٢	٥٠٧	١٠٠%

يبين الجدول رقم (٨) ترتيب الدوريات في مجال علم الاحياء المجهرية وقد تم ترتيبها تنازليا بحسب عدد الاشارات وقد بين الجدول الاتي :

حازت دورية (Journal of antimicrobial chemother) على المرتبة الاولى بعدد الاشارات الببليوغرافية حيث بلغت (٧٥) اشارة وقد مثلت نسبة (١٤%) من مجموع الاشارات ، وقد حازت دورية (Journal of med microbial) على المرتبة الثانية حيث بلغ عدد اشاراتها (٥٥) اشارة ومثلت (١١%) من مجموع الاشارات ، اما المرتبة الثالثة فقد كانت لدورية (Journal of infect) وقد بلغ عدد اشاراتها (٤٦) اشارة ببليوغرافية ومثلت نسبة (٩,١%) من مجموع الاشارات .

النتائج :

توصل الباحث الى جملة من النتائج وهي :

١. يوجد اختلاف كبير ونقص في توثيق المعلومات الببليوغرافية قبل الباحثين ، ككتابة اسماء الدوريات والكتب بحروف مختصرة او عدم ذكر سنة النشر او ارقام الصفحات في الهوامش وهذا مما يسبب الارباك عند الرجوع الى المصدر الاصلي.
٢. رغم وجود اكثر من مجلة في جامعة ديالى كمجلة كلية التربية للعلوم الصرفة ومجلة كلية الزراعة ، الا انه لم يلاحظ اشارة تذكر لهما في الرسائل الجامعية ، وهذا يدل على ان دورية كلية التربية للعلوم الصرفة ودورية كلية الزراعة لا يمتلكان اي معامل تأثير في الوسط البحثي .
٣. بلغ عدد الرسائل الجامعية المجازة في كلية التربية للعلوم الصرفة للفترة الزمنية من (٢٠٠٥-٢٠١٠) بلغ (٣٣) رسالة وقد احتوت على (٤٦٠٠) اشارة ببليوغرافية .

٤. حصيلة الاشارات الببليوغرافية للرسائل الجامعية (٤٦٠٠) منها (١٥٣٢) اشارة ببليوغرافية للكتب ، و(١٢٢١) اشارة ببليوغرافية للدوريات ، و(٥٩٥) اشارة للرسائل الجامعية ، وهذا يعني ان الكتب حصلت على اهتمام الباحثين في المرتبة الاولى تليها الدوريات ثم الرسائل الجامعية .

٥. رغم اتاحة المكتبة الافتراضية العراقية بشكل مجاني وضمنها على كثير من مصادر المعلومات الا اننا نلاحظ قلة اهتمام الباحثين في استخدام مصادر المعلومات الالكترونية خلال مدة الدراسة اذ بلغت نسبة استخدام مصادر المعلومات التقليدية على (٤٥٤١) اشارة ومثلت (٩٨,٧%) ، اما المصادر الالكترونية فقد كانت بنسبة ضئيلة جدا وكانت (٥٩) اشارة فقط ومثلت (١,٣%) من مجموع الاشارات .

٦. احتلت اللغة الانكليزية في النتاج الفكري لمجال علم الحيوان والنبات والاحياء المجهرية النسبة الاكبر اذ بلغت (٣٧٠١) اشارة ومثلت (٨٠%) من مجموع الاشارات في حين كانت اللغة العربية بواقع (٨٩٩) ومثلت (٢٠%) .

٧. حازت الدوريات الخمسة الاولى والمذكورة في الجدول (٦,٧,٨) من اهتمام الباحثين في استخدامها لاعداد بحوثهم ، حيث بلغت في قسم علم النبات على ما نسبته (٤١,٦%) وفي قسم علم الحيوان على (٤٢,٤%) وفي قسم الاحياء المجهرية على (٤٦,٨%) .

التوصيات :

في ضوء النتائج التي تم التوصل اليها فان الباحث يوصي بالاتي :

١. ضرورة توحيد الاشارات الببليوغرافية في الرسائل الجامعية وفق المعايير والتقنيات المتعارف عليها ، ذلك لامكانية الرجوع اليها واحاله الباحثين عند الحاجة اليها.

٢. نظرا لعدم استخدام الباحثين لمجلات الجامعة، يوصي الباحث اصحاب القرار في الكلية وادارة المجلة بضرورة اعداد قوائم ببليوغرافية وكشافات للمجلات التي تصدر في الجامعة بين الحين والآخر للتعريف بالمجلات والبحوث التي تنشرها

ليتسنى للباحثين الاستفادة منها مما ينعكس ايجابا على المجلة والباحثين على حد سواء.

٣. اقامة ورش عمل ودورات تدريبية مكثفة لتدريب الباحثين وحثهم على الاستفادة من مصادر المعلومات الالكترونية وخاصة المتاحة ضمن المكتبة الافتراضية العلمية العراقية التي تتيح مصادر معلومات متنوعة وحديثة وبمختلف التخصصات .

٤. ضرورة اهتمام المكتبة المركزية ومكتبات الكليات في الجامعة بتوفير وإتاحة الدوريات العلمية الخمسة الاولى والتي نالت على نسب عالية للاشارات الببليوغرافية .



- * علما ان كليه العلوم صرفه تمنح درجة الماجستير فقط ، لذلك فان البحث تخصص برسائل الجامعية فقط .
- (١) مؤيد بن سليمان بن عبدالله .تحليل الاستشهادات المرجعية في رسائل الماجستير المجازة من الجامعات السعودية في مجال المكتبات والمعلومات من عام ١٤١٠ - ١٤٢٥هـ — الرياض : مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية ، ٢٠٠٨ .
- (٢) صالح بن سليمان الزهيمي . خصائص النتاج الفكري في العلوم الطبية سلطنة عمان (١٩٩٦—٢٠٠٦) (رسالة ماجستير) سلطنة عمان : جامعة السلطان قابوس ، المعلومات والمكتبات ، ٢٠٠٧ .
- (٣) سلام جاسم عبدالله . قياس منتصف العمر لمصادر المعلومات في مجال علم الحاسوب : دراسة ببليومترية . (رسالة ماجستير) . بغداد : الجامعة المستنصرية ، المعلومات والمكتبات ، ٢٠١٢ .
- (٤) اوديت مارون بدران . الببليومتري كس او قياس المصادر . — بغداد مطبعة العاني ، ١٩٨٧ ، ص ١٢ .
- (٥) الحزيمي، سعود بن عبدالله . مراجع العرب : دراسة ببليومترية تحليلية — الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية ، ٢٠٠١، ص ١٨ .
- (٦) اوديت مارون بدران . الببليومتري كس او قياس المصادر .مصدر سابق، ص ١٢ .
- (٧) احمد الشامي ، سيد حسب الله . المعجم الموسوعي لمصطلحات المعلومات والمكتبات : انكليزي عربي . — الرياض : دار المريخ ، ١٩٨٨ .
- (٨) عامر ابراهيم قنديلجي ، ايمان السامرائي . البحث العلمي الكمي والنوعي . — عمان " دار اليازوردي العلمية للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٩ ، ص ٣٧٦ .
- (٩) سلام جاسم عبدالله . قياس منتصف العمر لمصادر المعلومات في مجال علم الحاسوب : دراسة ببليومترية . (رسالة ماجستير) .بغداد: الجامعة المستنصرية، المعلومات والمكتبات ، ٢٠١٢ .
- (10)Brookes .B.C Growth , Utility and Obsolescence of Perriodical Literature . Journal of Documentation .26,4, 1970 .283-295 .
- (١١) احمد بن علي تمران . الببليومتري قيا : دراسة في القياس الكمي للبيانات الببليوغرافية . عالم الكتب ، مج ٧ ، ع ١ ، ١٩٨٦ ، ص ٤٥ .
- (١٢) عامر ابراهيم قنديلجي ، ايمان السامرائي . البحث العلمي والكمي . مصدر سابق . ص ٣٧٨ .
- (١٣) باسل محمد عبدالله الراوي . الاقتران الببليوغرافي في اداة لقياس قوة العلاقة بين الفروع الطبية . المجلة العراقية للمكتبات والمعلومات .مج ٤ ، ع ١ ، ١٩٩٨ ، ص ١٩ .

- (١٤) العراق . جامعة ديالى . دليل الدراسات العليا . قسم البحث والتطوير ، ٢٠١٢، ص ١٢ .
(١٥) الاشارات الاخرى كـ (ووقائع المؤتمرات والندوات وورش العمل والتقارير واللقاءات ومواقع انترنت الخ) .

قائمة المصادر

١. بدران، اوديت مارون . البليومتري كس او قياس المصادر . — بغداد : مطبعة العاني ، ١٩٨٧
٢. تمارز ، احمد بن علي . البليومتري قيا : دراسة في القياس الكمي للبيانات البليوغرافية . عالم الكتب ، ص ٧ ، ع ١٤ ، ١٩٨٦ .
٣. الحزيمي ، سعود بن عبدالله مراجع العرب : دراسة بليومتري تحليلية . — الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية ، ٢٠٠١ .
٤. الراوي ، باسل محمد عبدالله . الاقتران البليوغرافي في اداة لقياس قوة العلاقة بين الفروع الطبية . المجلة العراقية للمكتبات والمعلومات . ص ٤٤ ، ع ١٩٩٨ ، ١ .
٥. الزهيمي ، صالح بن سليمان . خصائص النتاج الفكري في العلوم الطبية سلطنة عمان (١٩٩٦ — ٢٠٠٦) (رسالة ماجستير) سلطنة عمان : جامعة السلطان قابوس ، المعلومات والمكتبات ، ٢٠٠٧ .
٦. الشامي، احمد، سيد حسب الله. المعجم الموسوعي لمصطلحات المعلومات والمكتبات: انكليزي عربي - الرياض: دار المريخ، ١٩٨٨ .
٧. عبدالله ، مؤيد بن سليمان . تحليل الاستشهادات المرجعية في رسائل الماجستير المجازة من الجامعات السعودية في مجال المكتبات والمعلومات من عام ١٤١٠ - ١٤٢٥هـ — الرياض : مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية ، ٢٠٠٨ .
٨. العزي ، سلام جاسم. قياس منتصف العمر لمصادر المعلومات في مجال علم الحاسوب : دراسة بليومتري . (رسالة ماجستير) . بغداد : الجامعة
٩. قنديلجي ، عامر ابراهيم ، ايمان السامرائي . البحث العلمي الكمي والنوعي — عمان " دار اليازوردي العلمية للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٩ .
10. Brookes .B.C Growth , Utility and Obsolescence of Perriodical Literature . Journal of Documentation .26,4, 1970

فاعلية برنامج قائم على التفكير التأملي في تنمية مهارات
التفكير فوق المعرفية والاتجاه العلمي لدى طالبات الصف
الرابع عام في مادة الاحياء

أ.م.د. بتول محمد جاسم

الجامعة المستنصرية-كلية التربية

Abstract

Current research aims to measure the impact of a program based on reflective thinking in the development of cognitive thinking skills above and scientific direction to the fourth grade students in biology, to verify the objective of this research was formulated following null hypotheses:

1 - There is no statistically significant difference at the level (0.05) between the average scores of students following studied using a program based on reflective thinking and the average scores ÇáÇí the studied using the usual method in the scale of cognitive thinking skills over.

2 - There is no statistically significant difference at the level (0.05) between the average scores of students following studied using a program based on reflective thinking and the average scores ÇáÇí the studied using the usual method in the test of scientific direction

Was chosen experimental design is setting the partial two experimental and control groups that control one other , such as the research community students fourth grade in day school governmental preparatory and secondary of the Directorate of Education Diyala \ spend Baquba and choose random selected secondary or handed to represent the sample as it included two divisions fourth grade year selected Division (a) of (34) students to

represent the control group , who studied using the method routine and Division (b) of (36) to represent the experimental group which studied using the program based on reflective thinking , Kovot Group Search in variables (intelligence - the previous information - above cognitive thinking skills , scientific direction) , but check out the goal Search promising: the first measure of cognitive thinking skills above included (30) Vqrho the Sedkiha been verified and virtual construction, has also been extraction coefficient difficulty and stability , as was (0.86) Have been prepared (27) plan instructional day of the experimental group on according to Steps program based on reflective thinking and the same for the control group on according to the way normal , applied experience in the classroom for the year 2012-2013 as it took (11) a week after the completion of the experiment dealt with the data statistically using the test Altaúa for the two samples is Mtsawita number results showed more than members of the group that studied by using a program based on reflective thinking on their peers follows studied using the method of normal in the scale of thinking skills over cognitive posttest and test the direction of scientific posttest in the light of the results researcher recommends using a program based on reflective thinking in teaching Biology and proposes to conduct studies of materials and different stages of study

مُقَدِّمَةٌ

ملخص البحث

هدف البحث الحالي الى قياس اثر برنامج قائم على التفكير التأملي في تنمية مهارات التفكير فوق المعرفية والاتجاه العلمي لدى طالبات الصف الرابع عام في مادة الاحياء، للتحقق من هدف البحث تم صياغة الفرضيتين الصفريتين الاتية:

١- لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسط الفرق درجات الطالبات اللاتي درسن باستخدام برنامج قائم على التفكير التأملي ومتوسط الفرق درجات الطالبات اللاتي درسن باستخدام طريقة الاعتيادية فيمقياس مهارات التفكير فوق المعرفية القبلي والبعدي .

٢- لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسط الفرق درجات الطالبات اللاتي درسن باستخدام برنامج قائم على التفكير التأملي ومتوسط الفرق درجات الطالبات اللاتي درسن باستخدام طريقة الاعتيادية في مقياس الاتجاه العلمي القبلي والبعدي.

تم اختيار التصميم التجريبي ذو الضبط الجزئي للمجموعتين التجريبية والضابطة التي تضبط احدهما الاخرى ذات الاختبار القبلي والبعدي لمتغيري مهارات التفكير فوق المعرفية والاتجاه العلمي، مثل مجتمع البحث طالبات الصف الرابع عام في المدارس النهارية الحكومية الاعدادية والثانوية التابعة لمديرية تربية ديالى اقضاء بعقوبة وبالاختيار العشوائي اختيرت ثانوية ام سلمه للبنات لتمثل عينة البحث اذ تضمنت شعبتين لصف الرابع عام شعبة (أ) بلغ عددها (٣٣) طالبة، وشعبة (ب) بلغ عددها (٣١) طالبة، وبعد استبعاد الطالبات الراسبات اصبحت كل شعبة (٣٠) طالبة وبالتعيين العشوائي اختيرت شعبة (ا) لتمثل المجموعة الضابطة التي درست باستخدام الطريقة الاعتيادية، وشعبة (ب) لتمثل المجموعة التجريبية التي درست باستخدام البرنامج القائم على التفكير التأملي، كوفاة مجموعتي البحث في متغير (الذكاء- المعلومات السابقة)، ولتحقق من هدف البحث اعد اداتي متمثلتان بمقياس مهارات

التفكير فوق المعرفية تضمنت (٤٠) فقرة بأربع بدائل (عالية، متوسطة، قليلة، قليلة جداً) موزعة على المجالات (التخطيط، المراقبة والتحكم، التقييم)، ومقياس الاتجاه العلمي تضمن (٣٧) فقرة ايجابية وسلبية تتخللها اربع فقرات كاشفة موزعة على ستة مجالات (العقلانية، حب الاستطلاع، التفتح الذهني، نبذ الخرافات، الموضوعية والامانة الفكرية، التريث في اصدار الحكم) على وفق مقياس لكرت الثلاثي (موافق، موافق لحد ما، غير موافق)، تم التحقق من صدقيهما الظاهري والبناء، كما تم استخراج معامل الصعوبة والقوة التمييزية لفقراته وثباتهما باستخدام معادلة الفا كرو نباخاذ بلغ (٠،٩٢) لمقياس مهارات التفكير فوق المعرفية، (٠،٨٩) لمقياس الاتجاه العلمي

تم اعداد (٣٠) خطه تدريسية يومية للمجموعة التجريبية على وفق خطوات البرنامج القائم على التفكير التأملي ومثلها للمجموعة الضابطة على وفق الطريقة الاعتيادية، طبقت التجربة في الفصل الدراسي للعام ٢٠١١-٢٠١٢ اذ استغرقت (١٢) اسبوع. بعد الانتهاء من التجربة عولجت البيانات احصائيا باستخدام الاختبار التائي لعينتين مستقلتين متساويتي العدد اظهرت النتائج تفوق طالبات المجموعة اللاتي درسناستخدام برنامج قائم على التفكير التأملي على اقرانهن اللاتي درسناستخدام طريقة الاعتيادية في تنمية مهارات التفكير فوق المعرفية والاتجاه العلمي في ضوء النتائج توصي الباحثة باستخدام برنامج القائم على التفكير التأملي في تدريس مادة الاحياء وتقتراح اجراء دراسات لمواد ومراحل دراسية مختلفة.

مشكلة البحث

لقد دعا القرآن الكريم الى النظر العقلي، بمعنى التأمل والفحص وتقليب الامور لفهمها وادراكها دعوة مباشرة، وان تعليم مهارات التفكير فوق المعرفية يعني مساعدة المتعلمين على الامساك بزمام تفكيرهم بالروية والتأمل، ورفع مستوى الوعي لديهم الى الحد الذي يستطيعون التحكم فيه وتوجيهه بمبادرتهم الذاتية وتعديل مساره في الاتجاه الذي يؤدي الى بلوغ الهدف، وان نجاح أي نظام تعليمي لا يأتي من فراغ، بل محكوم على نوعية التعليم الذي يمارسه المدرس داخل غرفة الصف، ومن الملاحظ ان

واقع العملية التعليمية لايزال الطابع العام السائد متأثراً بالافتراض الواسع الانتشار الذي مفاده ان رسالة المدرس تركز على عملية نقل وتوصيل المعلومات بدل التركيز على توليدها او استعمالها، ففي معظم الصفوف يستأثر المدرسين بالكلام معظم الوقت دون اهتمام بالأسئلة والانشطة التي تتطلب امعان النظر والتفكير، او الاهتمام بإعطاء دور ايجابي للمتعلمين باستخدام طرائق التعليم الصفي التي تركز على حشو عقول المتعلمين بالمعلومات والقوانين والنظريات واهمال الجوانب الانفعالية الوجدانية عن طريق التلقين او المحاضرة مما يقود الى عدم بناء اتجاهات علمية صحيحة بسبب ضعف في اعداد الكوادر التدريسية وضعف الخبرة لدى بعض المدرسين.

لما كان دور المؤسسات التربوية توسيع مدارك المتعلمين وتوسيع التجربة المعرفية لديهم وتعميم عملية التعلم لديهم في الموقف الصفي الى مواقف الحياتية المتشابهة، من خلال تنمية الاتجاه العلمي لديهم، كان لابد من استخدام برامج قائمة على التفكير التأملي لزيادة قدرتهم على التعلم الذاتي مما سبق تتحدد مشكلة البحث الحالي بالسؤال الاتي :

ما فاعلية البرنامج القائم على التفكير التأملي في تنمية مهارات التفكير فوق المعرفية والاتجاه العلميلدى طالبات الصف الرابع عام في مادة الاحياء؟

اهمية البحث،

جعل الله تعالى الانسان خليفته في الارض وميزه بالعقل على بقية المخلوقات، وجعل عقله مدار التكليف وتحمل اعباء المسؤولية، وحثه على النظر في ملكوته بالتفكير واعمال العقل والتدبر، قال الله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الرعد: ٣)، وفي عالم سريع التغيير تتحكم فيه تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، وتتعدد المشكلات في مختلف جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والحضارية، يواجه المربون وقادة المجتمع واولياء الامور مشكلات غير مسبوقة تتعلق بكيفية اعداد المتعلمين لمواجهة تحديات الغد، ليكونوا قادرين على النجاح في مهنة المستقبل والمساهمة في خطط تنمية المجتمع المستقبلية (بركات، ٢٠٠٤، ١٠٢-

(١٠٦)، وطالما ان الاهتمام بالعقل الانساني والانشطة المعرفية مدار بحث اهتمام الانسان عبر العصور، وقد ازداد الاهتمام العلمي بموضوع التفكير ازديادا ملحوظا في النصف الثاني من القرن العشرين، لاسيما في عقد الثمانينات (جروان، ١٩٩٩، ٥٣). التفكير يعني امعان النظر في الشيء (ابادي، ١٩٨٥، ٣٣) ويعد التفكير التأملي من انماط التفكير التي تعتمد على الموضوعية ومبدأ العلية والسببية في مواجهة المشكلات وتفسير الظواهر والاحداث، فهو عملية استقصاء ذهني نشط وواع ومتأن للفرد حول معتقداته وخبراته في ضوء الواقع الذي يعمل فيه (Shoon,1987,49). ان التأمل ذروة سنام العمليات العقلية، عليه فأن التربية لا تستطيع تجاهله ويصبح لزاما على المربين بذل الجهود التربوية من اجل زيادة الاهتمام بمهارات التفكير لأنها حتى وان كانت تعلم من خلال محتوى دراسي معين، الا انها عند اتقانها تبقى لدى المتعلم بمثابة الزاد الذي ينفعه رغم تغير الزمان والمكان والمحتوى (جروان، ١٩٩٩، ر).

وتعتبر المهارات فوق المعرفية هدفا مهما من اهداف التربية العلمية، حيث اقترح (Favela,1987) ان تكون المدارس مكانا لتنمية المهارات فوق المعرفية لما لها من دور في التعلم الذاتي الواعي، كما شجعت رابطة معلمي العلوم الوطنية الاميركية (NSTA,1998) على استخدام المهارات فوق المعرفية في تعليم العلوم لمساعدة الطلبة ليكونوا مسؤولين عن تعلمهم من خلال تحديدهم لأهداف التعلم ومراقبة مدى تقدمهم لتحقيق تلك الاهداف، وقد اكد ستيرنبرغ (Sternberg) على بعد العمليات فوق المعرفية واعتبرها احد المكونات الرئيسية للذكاء، فهو ينظر اليها على انها عمليات تنفيذية تسيطر على المكونات الاخرى للذكاء، لاسيما المكونات المعرفية منه، ويرى ان العمليات فوق المعرفية هي المسؤولة بالدرجة الاولى عن التخطيط لتنفيذ مهمة ما ، والتأكد من سير تنفيذها على نحو صحيح، والمراقبة لسير العمليات والانشطة المعرفية، والتقييم لنتائجها، وانه كلما كان المتعلم على وعي بعمليات تفكيره واساليب تعلمه، كان اكثر ضبطا وتحكما وقدرة على اشتقاق الاستراتيجيات المحققة لأهدافه وعلى كفاءة وفاعلية تعلمه. (ابو رياش، ٢٠٠٧ : ٣٧)، ويذكر كل من

(Costa and Kellick, 2003) مجموعة من النقاط توضح اهمية المهارات فوق المعرفية فهما يران بانها تساعد الافراد على:

١. تطوير خطة عمل والمحافظة عليها في اذهانهم، ثم التأمل فيها وتقييمها عند اكتمالها.
٢. تسهيل عملية اصدار احكام مؤقتة ومقارنة وتقييم استعداد الفرد للقيام بأنشطة اخرى .
٣. تساعد الافراد على مراقبة وتفسير القرارات التي يتخذوها .
٤. جعلهم اكثر ادراكا لأفعالهم ومن ثم ادراك تأثيرها على الآخرين وعلى البيئة التي يحيون بها .
٥. مراقبة الخطط اثناء تنفيذها مع الوعي بإمكانية اجراء التصحيح اللازم .
٦. تنمية عملية التقويم الذاتي (Self-Evaluation) والتي تعتبر من العمليات العقلية الراقية.
٧. جمع المعلومات وحل المشكلات التي تواجههم بسهولة.

(Costa and Kellick, 2003: 77)

وفي هذا الصدد يؤكد (حيدر، ١٩٩٨) على ضرورة الاستفادة من التجربة الامريكية في اصلاح تعليم العلوم في الوطن العربي، باعتبار ان حركة الاصلاح الحالية في امريكا تختلف عن المحاولات السابقة لانها تنظر للقضية بشمولية اكبر، فلا تقتصر على تعديل او تطوير المناهج فقط، وانما تشمل جميع مكونات العلوم (حيدر، ١٩٩٨، ٦١٤-٦١٥) .

لذلك ظهرت دعوة الى اعادة تشكيل المناهج الدراسية لتصبح اكثر ملائمة للمستقبل، فظهرت عدد من المؤتمرات والمشاريع في ميدان العلوم فعلى مستوى القطر تم عقد المؤتمر التربوي التاسع في بغداد ١٩٨٣، (جمهورية العراق، ١٩٨٣، ١١)، والمؤتمر القطري الاول للعلوم التربوية ٢٠٠١ للجامعة المستنصرية / كلية التربية، ونظمت كلية التربية / بنات، جامعة تكريت الندوة العلمية عن تطوير التعليم الثانوي وقد اكدت هذه المؤتمرات والندوات على ضرورة تطوير العملية التعليمية في القطر

والنهوض بها تنمية مهارات التفكير وتطوير الاتجاهات الايجابية، والتأكيد على ادخال البرامج والطرائق والاساليب التربوية الحديثة في التعليم (حسين، ٢٠٠٤، ١٦) .

وعليه فان للعلوم وتدريسها اهمية في التربية العلمية، وانها بحاجة الى اقرار توجهات جديدة وتبني نظريات وفسفات عصرية، وانتهاج برامج وطرائق حديثة لتفعيل تدريسها، اذ تؤكد فلسفة تدريس العلوم على الاهتمام بالأسلوب العلمي في التفكير والاهتمام بالإمكانات العقلية للمتعلمين، فضلا عن ان تعليم العلوم وتعلمها يقتضي التأكيد على تكوين الاتجاهات العلمية الايجابية (الباز، ٢٠٠١، ٤١٣)، لما لها دور كموجهات للسلوك يمكن من خلالها التنبؤ بالسلوك العلمي الذي يقوم به المتعلم (محمد، ٢٠٠٣، ٧٠) .

تمثل الاتجاهات المكون الرئيس للمجال الانفعالي للعلم، وانها تنظيمات وجدانية تجعل المتعلم يعطي انتباها واهمية لموضوع معين، ويشترك في نشاطات ترتبط بالعلوم ويشعر بقدر من الارتياح في ممارسته لهذه الانشطة (الخليلي، ١٩٩٥، ٢٨-٢٩) .

تشير الدراسات والبحوث التربوية في تدريس العلوم الى قدرة مدرسي العلوم والمدرسة على تكوين الاتجاهات وتنميتها لدى الطلبة (زيتون، ١٩٩٢، ١١٤) .

مما سبق يمكن ان تتركز اهمية البحث الحالي في النقاط الاتية :

١- تألية للاتجاهات العالمية للاهتمام بالتفكير التأملي، من خلال لفت انتباه العاملين التربويين للابتعاد عن التعلم الصم وتعليم المتعلمين كيف يفكرون، فهو محاولة للتغلب على اوجه القصور في طرائق التدريس الشائعة.

٢- اسهام في مجال البحث في تنمية مهارات فوق المعرفية، والاتجاه العلمي، من خلال تقديم اداتين لقياس مستوى امتلاك المتعلمين لمهارات فوق المعرفية، والاتجاه العلمي.

٣- يعد هذا البحث في حدود علم الباحثة من اول البحوث التي تناولت فاعلية برنامج قائم على التفكير التأملي .

هدف البحث: يهدف البحث الى قياس

فاعلية برنامج قائم على التفكير التأملي في تنمية مهارات التفكير فوق المعرفية والاتجاه العلمي لدى طالبات الصف الرابع عام في مادة الاحياء لتحقيق من هدف البحث تم صياغة الفرضيتين الصفريتين الاتيتين:

١- لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسط الفرق درجات للطالبات اللاتي درسن باستخدام برنامج قائم على التفكير التأملي ومتوسط الفرق درجات الطالبات اللاتي درسن باستخدام طريقة الاعتيادية في مقياس مهارات التفكير فوق المعرفية القبلي والبعدي.

٢- لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسط الفرق درجات الطالبات اللاتي درسن باستخدام برنامج قائم على التفكير التأملي ومتوسط الفرق لدرجات للطالبات اللاتي درسن باستخدام طريقة الاعتيادية في مقياس الاتجاه العلمي القبلي والبعدي.

حدود البحث

١- طالبات الصف الرابع اعدادي في احدى مدارس النهارية الحكومية الاعدادية والثانوية من مجتمع البحث

٢- الفصول الستة الاولى من كتاب الاحياء للصف الرابع الاعدادي، ط١، ٢٠١٠، وزارة التربية. الاول (علم الاحياء)، الثاني (تصنيف الكائنات الحية)، الثالث (علم البيئة والنظام البيئي)، الرابع (السلسلة الغذائية ودورة العناصر في الطبيعة)، الخامس المواطن البيئية والمناطق الاحيائية

٣- الفصل الدراسي الاول، للعام الدراسي ٢٠١١-٢٠١٢ .

تحديد المصطلحات

١- فاعلية Efficiency

يعبر عن الفاعلية في الدراسات التجريبية بحجم الاثر () وهو مصطلح احصائي يدل على مجموعة من المقاييس الاحصائية التي يمكن ان يستخدمها الباحث في العلوم التربوية والنفسية للتعرف على النتائج التي اسفر عنها بحثه، ويهتم بقياس حجم الاثر الذي يحدثه المتغير المستقل في المتغير التابع (عصر، ٢٠٠٣، ٦٤٦) .

التعريف الاجرائي للفاعلية (Operational Definition of Efficiency)

قدرة البرنامج القائم على التفكير التأملي على تمكين طالبات المجموعة التجريبية من اداء مقياس مهارات التفكير فوق المعرفية وزيادة الاتجاه العلمي بفروق دالة احصائيا لصالح المجموعة التجريبية في الاختبار البعدي والتحقق من ذلك بتحديد حجم الاثر (d) احصائيا.

٢- البرنامج

هو عملية مخططة لمواجهة الامكانيات المتعددة للمتعلمين من خلال تقديم مجموعة المعارف والانشطة والخبرات المتنوعة بقصد احتكاكهم بها وتفاعلهم معها بشكل يؤدي الى تعلمهم (ابو عميرة، ١٩٩٥، ٩٣).

التعريف الاجرائي: مجموعة من الانشطة والمهارات الفكرية التأملية المنظمة والمعدة على وفق اسلوب علمي دقيق بهدف تنمية مهارات التفكير فوق المعرفية والاتجاه العلمي.

٣- التفكير التأملي:

وعملية استقصاء ذهني للفرد حول مفاهيمه ومعتقداته وسلوكياته تستهدف الوعي بالمعاني الجديدة للخبرات واشتقاق استدلالات تعينه على تحقيق اهداف معينة (مصطفى، ١٩٩٤، ٣٤).

وهو تأمل الفرد للموقف الذي امامه وتحليله الى عناصره ورسم الخطط اللازمة لفهمه حتى يصل الى نتائج، ثم تقويم النتائج في ضوء الخطط المرسومة (حبيب، ١٩٩٦، ٤٦).

التعريف الاجرائي: هو نشاط عقلي تمارسه طالبات المجموعة التجريبية في المواقف التعليمية من خلال تحديد نقاط القوة والضعف والكشف عن المغالطات المنطقية، واتخاذ القرارات والاجراءات المناسبة بناء على دراسة واقعية للموقف التعليمي ويشتمل على المهارات التالية:

- الرؤية البصرية: وهي القدرة على عرض جوانب الموضوع والتعرف على المكونات سواء كان ذلك من خلال طبيعة الموضوع او اعطاء رسم او شكل يبين مكوناته بحيث يمكن اكتشاف العلاقات الموجودة بصريا
- الكشف عن المغالطات: هي القدرة على تحديد الفجوات في الموضوع، وذلك من خلال تحديد العلاقات غير الصحيحة او غير منطقية او تحديد بعض التصورات الخاطئة او البديلة في انجاز المهام التربوية.
- الوصول الى استنتاجات: وهي القدرة على التوصل الى علاقة منطقية معينة من خلال رؤية مضمون الموضوع والتوصل الى نتائج مناسبة.
- اعطاء تفسيرات مقنعة: وهي القدرة على اعطاء معنى منطقي للنتائج او العلاقات الرابطة، وقد يكون هذا المعنى معتمدا على معلومات سابقة او على طبيعة الموضوع وخصائصه.
- وضع حلول مقترحة وهي القدرة على وضع خطوات منطقية لحل الموضوع المطروح وتقوم تلك الخطوات على تصورات ذهنية متوقعة للموضوع المطروح (حبيب، ١٩٩٦، ٤٨)

٤- مهارات التفكير فوق المعرفية:

"انه التفكير حول التفكير، وهو ما يحدث في قشرة الدماغ ويعبر عن مقدرتنا على معرفة ما نعرف وما لا نعرف، ويشمل أيضا مقدرتنا على التخطيط لاستراتيجية من أجل انتاج المعلومات اللازمة لمواجهة الموقف الذي نحن بصدده." Costa (2003 , and Kallick)

هي عمليات تحكم عليا وظيفتها التخطيط والمراقبة والتقييم لأداء الفرد في حل المشكلة (جروان، ١٩٩٩، ٣٤)

التعريف الاجرائي: هي تلك القدرات التي تمكن الطالبة من متابعة تعلمها وذلك من خلال المعرفة والوعي بأنواع المعرفة (التقريرية والاجرائية والشرطية) من خلال التخطيط والتنظيم وتقويم اثناء تنفيذ المهام ويعبر عنها بالدرجة الكلية التي تحصل عليها الطالبة من مقياس الوعي مهارات التفكير فوق المعرفية

٥- الاتجاه العلمي:

هو محصلة استجابات الفرد نحو موضوع ما من موضوعات العلم وذلك من حيث تأييده لهذا الموضوع (مع) او معارضة له (ضد) (زيتون، ٢٠٠٤، ١١٠)

التعريف الاجرائي: استعداد الطالب ومعتقداتها وآرائها حول العلم من جهة تأييدها او رفضها ويتم الكشف عنها من خلال الدرجة الكلية التي تحصل عليها الطالبة في اختبار الاتجاه العلمي الذي يقيس ستة ابعاد (العقلانية، حب الاستطلاع، التفتح الذهني، نبذ الخرافات والموضوعية، الأمانة الفكرية، والتريث في اصدار الحكم)

دراسات السابقة

لم تتمكن الباحثة من العثور على دراسات تناولت فاعلية برنامج قائم على التفكير التأملي في تنمية مهارات التفكير فوق المعرفية والاتجاه العلمي، لذا اقتصر البحث الحالي على عرض دراسات متعلقة بالمتغيرات التابعة

١- دراسة مصطفى (١٩٩٢) اجريت في الاردن

هدفت الى بناء برنامج مقترح لتنمية التفكير التأملي لدى معلمي العلوم ومعرفة اثره في تدريس العلوم، حيث تم تحديد فاعلية التدريس بثمانية مؤشرات (التخطيط- سير الدرس- ادارة الصف-تنظيم الانشطة-التغذية الراجعة-العملية التفاعلية-الدافعية- استثمار البيئة التعليمية)، بلغ عدد عينة الدراسة (٣٤) معلما ومعلمة تم تقسيمهم الى مجموعتين تجريبية وضابطة، اظهرت النتائج فاعلية البرنامج في تنمية التفكير التأملي وفاعليتهم في التدريس لصالح المجموعة التجريبية (مصطفى، ١٩٩٢، ب-خ) .

٢- دراسة (ابو عطيا، ٢٠٠٦) :

هدفت الدراسة الى التعرف على اثر أنموذج بنائي مقترح لتنمية المهارات فوق المعرفية في الرياضيات لدى طلاب الصف التاسع الأساسي، اجريت الدراسة في محافظة غزة، وتكونت العينة من (٩٠) طالباً توزعوا على مجموعتين احدهما تجريبية درست وفق الأنموذج البنائي المقترح، وأخرى ضابطة درست بالطريقة الاعتيادية، وتم إعداد دليل المعلم وكذلك مقياس المهارات فوق المعرفية مؤلف من (٦٠) فقرة موزعة على ست مجالات هي : (المعرفة التقريرية، المعرفة الإجرائية،

المعرفة الشرطية، التخطيط، التنظيم، التقييم) وتم تطبيقه قبل وبعد تنفيذ التجربة، وقد أظهرت النتائج تفوق المجموعة التجريبية في متغير تنمية المهارات فوق المعرفية على المجموعة الضابطة . (ابو عطيا، ٢٠٠٦ : ١٥٥)

٣-دراسة (عبد الواسع، ٢٠٠٨) :

هدفت الدراسة الى التعرف على فاعلية برنامج قائم على حل المشكلات في تنمية المهارات فوق المعرفية لدى طالبات الصف السابع الأساسي، اجريت الدراسة في اليمن، وكانت عينة الدراسة مؤلفة من مجموعتين تجريبية وضابطة من طالبات الصف السابع الأساسي في مدينة تعز، وقد قامت الباحثة ببناء مقياس المهارات فوق المعرفية وطبق على المجموعتين قبل، أظهرت النتائج تفوق المجموعة التجريبية على الضابطة في المهارات فوق المعرفية كمجال كلي ومجالات فرعية، وتفوق المجموعتين في الاختبار البعدي على المقياس ومجالاته أيضاً . (عبد الواسع، ٢٠٠٨ : ج)

دلائل ومؤشرات حول الدراسات السابقة

- ١- اختلفت الدراسات السابقة في هدفها، فبعض منها هدف في التعرف على اثر المتغير مستقل في المهارات فوق المعرفية كدراسة (ابو عطيا، ٢٠٠٦) ودراسة (عبد الواسع، ٢٠٠٨) بعضها هدف في التعرف في الاتجاه العلمي، وبعضها في تدريس العلوم كدراسة (مصطفى، ١٩٩٢)
- ٢- تطرقت بعض الدراسات الى متغير الجنس فبعضها اقتصر على الذكور كدراسة (ابو عطيا، ٢٠٠٦)، وبعضها على الاناث كدراسة (عبد الواسع، ٢٠٠٨)، والبعض الاخر ذكور واناث كدراسة (مصطفى، ١٩٩٢)
- ٣- تباين حجم العينة بين (٣٤-٩٠) فردا، وهذا يعود الى نوع الدراسة والمرحلة الدراسية والفترة الزمنية وعدد المتغيرات التابعة والمستقلة.
- ٤- اعتمدت اغلب الدراسات السابقة الوسائل الاحصائية المتمثلة بالمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والاختبار التائي والفا كورنباخوكودر-ريتشارد سون-٢٠.

اجراءات البحث

التصميم التجريبي يقصد به طبيعة الاجراء الذي يتم به التحقق من صحة الفروض والتوصل الى نتائج (الاغا، ٢٠٠٢، ٩٤) ونظرا لما يتضمنه البحث الحالي من متغير مستقل هو (برنامج قائم على التفكير التأملي) ومتغيرين تابعين هما (المهارات فوق المعرفية) و (الاتجاه العلمي)، لذا تم اختيار التصميم التجريبي ذو الضبط الجزئي للمجموعتين التجريبية والضابطة تضبط احدهما الاخرى، كما في مخطط (١)

المجموعة	العدد	تكافؤ	الاختبار القبلي	المتغير المستقل	الاختبار البعدي
التجريبية	٣٠	الذكاء المعلومات	مهارات التفكير فوق المعرفية	برنامج قائم على التفكير التأملي	مهارات التفكير فوق المعرفية
الضابطة	٣٠	السابقة	الاتجاه العلمي	الطريقة الاعتيادية	-الاتجاه العلمي

مخطط (١)

التصميم التجريبي لمجموعتي البحث

مجتمع البحث وعينة

مثل مجتمع البحث طالبات الصف الرابع عام في المدارس النهارية الحكومية الاعدادية والثانوية التابعة لمديرية تربية ديالى اقضاء بعقوبة وبالاختيار العشوائي اختيرت ثانوية ام سلمه للبنات لتمثل عينة البحث اذ تضمنت شعبتين للصف الرابع عام شعبة (١) بلغ عددها (٣٣) طالبة، وشعبة (ب) بلغ عددها (٣١) طالبة، وبعد استبعاد الطالبات الراسبات اصبحت كل شعبة (٣٠) طالبة وبالتعيين العشوائي اختيرت شعبة (١) لتمثل المجموعة الضابطة التي درست باستخدام الطريقة الاعتيادية، وشعبة (ب) لتمثل المجموعة التجريبية التي درست باستخدام البرنامج القائم على التفكير التأملي، كوفاة مجموعتي البحث فيمتغيري: الذكاء على وفق مقياس رافن المتضمن (٦٠) فقرة موزعة على خمسة مجموعات كل مجموعة تألفت من (١٢) فقرة، اما اختبارالمعلومات السابقة ضمن (٢٠) فقرة موضوعية اختيار من متعدد في محتوى قيد البحث الحالي، بعد تطبيق الاختبارات على عينة البحث بتاريخ ٢٢-٢٣ ١٩١ ٢٠١١،

وباستخدام الاختبار التائي لعينتين مستقلتين متساويتي العدد اظهرت النتائج عدم وجود دلالة احصائية للمجموعتين في متغيري الذكاء والمعلومات كما في جدول (١)

جدول (١) تكافؤ مجموعتي البحث

المجموعة المتغير	التجريبية		الضابطة		القيمة التائية المحسوبة	الدلالة الاحصائية
	المتوسط الحسابي	التباين	المتوسط الحسابي	التباين		
الذكاء	٣٤,٥	٨٥,٩٤	٣١,٩٦	٧١,٧٢	١,٠٨٠	غير دالة
المعلومات السابقة	١٢,٠٣	٩,٨٩	١١,٠٣	٩,٠٩	١,٢٣	غير دالة

يتبين من الجدول اعلاه: ان القيمة التائية المحسوبة لمتغيرات التكافؤ اكبر من القيمة التائية الجدولية (٢,٠٠١) عند مستوى دلالة دلالة (٠,٠٥) ودرجة حرية (٥٨) مما يدل على ان المجموعتين مكافأتين

ضبط المتغيرات الدخيلة

تم ضبط بعض المتغيرات، التي قد تؤثر في اجراءات التجربة ودقة نتائجها ومنها:
١- تدريس المادة، اذ نظم الجدول الاسبوعي بالتعاون مع معاونات المدرسة، بحيث تدرس المجموعتين التجريبية والضابطة من قبل الباحثة نفسها الفصول الستة الاولى من كتاب الاحياء المقرر تدريسة على وفق الخطط التدريسية لكل مجموعة وبثلاث حصص اسبوعيا في الايام نفسها وفي اوقات متقاربة .

٢- الاختبار القبلي، قد يؤثر الاختبار القبلي الذي يطبق على مجموعتي البحث على الاختبار البعدي وخاصة اذا كانت المدة قصيرة بين التطبيقين، وتمت معالجة هذا العامل من خلال عدم اخبار الطلبة باعادة تطبيق مقياس المهارات فوق المعرفية، وكذلك طول المدة بين التطبيقين

٣- الفناء التجريبي، هو الاثر الناتج عن ترك عدد من الطالبات عينة البحث او انقطاعهن في اثناء التجربة، ولم تحصل أي حالة انقطاع او ترك او نقل أي طالبة في غضون تلك المدة.

٤- الظروف الفيزيائية، تم تدريس المجموعتين التجريبية والضابطة في قاعتين متجاورتين لهما نفس المواصفات تقريبا من حيث الاضاءة، نوع وعدد المقاعد، والسيورة، لتثبيت اثر هذا المتغير في دقة النتائج.

٥- المدة الزمنية، استغرقت التجربة (١٢) اسبوع، وكان عدد الحصص (٣٢) حصة دراسية لكل مجموعة، وما تبقى من الحصص كان لأغراض حل الاسئلة والاختبارات الشهرية .

مستلزمات التجربة

بناء البرنامج القائم على التفكير التأملي: بعد الاطلاع على العديد من الدراسات السابقة والادبيات والمراجع تم اتباع الخطوات الاتية في اعداد البرنامج متضمنا ثلاث مراحل:

اولا: مرحلة تخطيط البرنامج التي تشمل على:

١- **تحديد المنطلقات الفكرية:** ينطلق البرنامج من اسس فلسفية مرتكزا على التفكير التأملي الذي تعود اصوله الى افلاطون وارسطو ويقصد به ادراك الحالة عليها عقولنا، فالتفكير التأملي يتطلب تأمل الفرد للموقف الذي يواجهه ويحلله لعناصره ويرسم الخطط اللازمة لفهمه بهدف الوصول الى النتائج يتطلبها الموقف، وتقويم النتائج في ضوء الخطط الموضوعة .

ان اول من استخدم هذا النوع من التفكير في العصر الحديث جون لوك و اشار به الى ادراك الحالة التي عليها عقولنا او هو الاهتمام الذي يبديه العقل للعمليات التي يجريها (المولى، ٢٠٠٩، ٢٠٨) ، وبفضل الجهود العلمية التي بذلها مجموعة من العلماء والباحثين منهم (Kagan) (Moss) (sigul) منذ عام ١٩٦٤ حيث استنتجوا بأنه يثير انتباه المتعلمين (chiu,1985,232)

ان اهتمام نظرية معالجة المعلومات بالعمليات المعرفية المختلفة كالتفكير، اذ تفسر التفكير التأملي على اساس مبدأ التشابه بين النشاط العقلي الذي يحدث بين الافراد وعملية معالجة المعلومات التي تجري في الحاسوب، يرى اصحاب هذه النظرية ان قدرة الفرد على حل المشكلة تعتمد على مدى قدرته في التعرف على المعلومات

وترميزها وتفسيرها وإدراك العرقات القائمة بين العناصر في الموقف والقدرة على استرجاع الخبرات السابقة من ذاكرته وربطها بالموقف للوصول الى الحل المناسب (الطائي، ٢٠٠٣، ١٣٢)، وقد حدد (Shoon,1987) خطوات التفكير التأملي كما يأتي:

- وصف الاحداث الصفية

- تحليل الاحداث الصفية

- اشتقاق استدلالات للاحداث الصفية

- توليد قواعد خاصة

تقييم النظريات الشخصية

- الوعي بما يجري في المواقف الصفية

- توجيه الاجراءات والقرارات المنوي اتخاذها (Shoon,1987,49)

وبناء على ما سبق توجد عدة طرق يستخدم فيها التفكير التأملي في حل المشكلات في مواقف التعلم لاثارة المتعلمين، لذلك على المعلم القيام بما يلي:

١- جعل التلاميذ يحددون مشكلات موضوع البحث، واستيعابها بوضوح في عقولهم.

٢- حث المتعلمين على استدعاء الافكار المتعلقة بالمشكلة، وذلك من خلال تشجيعهم

على تحليل الموقف وتكوين فروض محددة واستدعاء القواعد العامة

٣- حث المتعلمين على تقويم كل اقتراح بعناية بتشجيعهم على تكوين اتجاه غير

متحيز، تعليق الحكم او النتيجة، نقد كل اقتراح، اختيار او رفض الاقتراحات بنظام،

مراجعة النتائج.

٤- حث المتعلمين على تنظيم المادة حتى تساعد في عملية التفكير بتشجيعهم على:

- احصاء النتائج من حين لآخر

- استخدام طرق الجدولة والتعبير الباني

- التعبير عن النتائج المؤقتة بأختصار من حين لآخر خلال البحث. (عفانة، ٢٠٠٣،

٥٢)

٢- **تحديد محتوى البرنامج:** شمل محتوى موضوعات الفصول الستة الاولى من كتاب الاحياء للصف الرابع الاعدادي، ط١، ٢٠١٠، وزارة التربية. الاول (علم الاحياء)، الثاني (تصنيف الكائنات الحية)، الثالث (علم البيئة والنظام البيئي)، الرابع (السلسلة الغذائية ودورة العناصر في الطبيعة)، الخامس المواطن البيئية والمناطق الاحيائية

٣- **تحديد اهداف البرنامج:** بعد الاطلاع على محتوى قيد البحث الحالي والاهداف العامة ملحق (١) تم تحليل المحتوى على المستويات الستة من تصنيف بلوم للمجال المعرفي، اذ بلغت (٢٧٧) هدفا سلوكيا، (٦٧) للذكر، (٥٢) للاستيعاب (٤٦) للتطبيق، (٤٢) للتحليل، (٣٩) للتركيب، (٣١) للتقويم ملحق(١).

٤- **تحديد الطرائق والوسائل في تدريس البرنامج**

أ- المناقشة والحوار: تم اختيار هذه الطريقة لما لها من دور كبير في العملية التعليمية وتعطي كبيرا وفعال للمتعلم وتعمل على تنمية جميع انواع التفكير لدى المتعلم .

ب- طريقة المحاضرة: على الرغم من انها قديمة وواسعة الانتشار لذا تم تحسينها من خلال قصر المدة وان تنتهي بمناقشات وحوار وتكون متنوعة الاسلوب ومصحوبة بالوسائل التعليمية.

ت- طريقة العرض العملي: يتم من خلالها عرض بعض الصور والنماذج المجسمة، تم اختيار هذه الطريقة لما لها من دور كبير في خفض نفقات التعليم، والتغلب على حدود الزمان والمكان وتساعد على فاعلية التعليم والتعلم.

٥- **ضبط البرنامج:** تم ضبط البرنامج وذلك من خلال التحقق من صدقيه الظاهري والمحتوى بعرض الاهداف السلوكية و الخطط التدريسية اليومية، وادواتي التقويم على مجموعة من الخبراء والمختصين في المناهج وطرائق التدريس، وتم الاخذ بأرائهم وملاحظاتهم وتم الاتفاق بنسبة اكثر من ٨٥% ، وبهذا اصبح البرنامج معدا في صورته النهائية ويتمتع بالصدق الظاهري والمحتوى تمهيدا لتطبيقه على عينة البحث الحالي.

ثانيا: مرحلة تنفيذ البرنامج: في هذه المرحلة طبقت التجربة في الفصل الدراسي الاول للعام ٢٠١١ - ٢٠١٢، باشرت الباحثة بتدريس المجموعتين في ٢٠١١/١٠/١٢ وانتهت في يوم ٢٠١١/١٢/٢٨، اذ استغرقت تجربة تنفيذ البرنامج (١٢) اسبوع اذ تم اعداد (٣٠) خطه تدريسية يومية للمجموعتين التجريبية والضابطة، ملحق (٢) درست المجموعة التجريبية وفق خطوات البرنامج القائم على التفكير التأملي :

- ملاحظة وتأمل المشكلة من جميع جوانبها (ملاحظة وتأمل)
- دراسة المشكلة بطريقة منطقية ووصفها بشكل مناسب (تحديد التصورات غير المنطقية)
- البحث عن علاقات تبين الاسباب التي ادت الى حدوث المشكلة والنتائج التي ترتبت على ذلك (الاستنتاج) .
- تفسير الجوانب المختلفة من خلال الاستفادة من الجوانب المهمة التي تحيط بالمشكلة (تفسير)
- اقتراح حلول بناء على توقعات منطقية للمشكلة موضوع الدراسة (اقتراح حلول جديدة) الاحداث الصفية.
- درست المجموعة الضابطة على وفق الطريقة الاعتيادية المتبعة في تدريس مادة الاحياء على النحو الاتي:
- تم الالتقاء بطالبات المجموعة الضابطة وطلب منهن تحضير الموضوع الدراسي كواجب بيتي لغرض شرحه وتوضيحه في الحصة القادمة.
- اتبعت الباحثة اسلوب التعليم الجماعي الذي تميز ببقاء الصف فريقا واحدا يتلقى معلوماته من المدرسه.
- تمثل دور الباحثة بتقديم المادة التعليمية، واستخدام الوسائل التعليمية امام الصف بأكمله، اما دور الطالبات فتمثل بالمشاركة لاستجابة اسئلة المدرسة واستفساراتها فافراد مشجعة تناقش الطالبة الواحدة مقابل مجموعة الصف بأكمله.

ثالثاً: تقويم البرنامج: نظراً لأهمية التقويم، تم اعداد اداتي البحث، في ضوء هدف البرنامج القائم على التفكير التأملي، وبما يتناسب مع طبيعة المرحلة الاعدادية متبعة في ذلك المسار الاتي:

اولاً: مقياس مهارات فوق المعرفية

بعد الاطلاع على الادبيات المتعلقة بتصنيف المهارات فوق المعرفية، وبعض الدراسات السابقة في نفس المجال، تم اعتماد تصنيف (Sternberg)، الذي صنف المهارات فوق المعرفية الى ثلاث فئات رئيسية هي : التخطيط والمراقبة والتقييم وتضم كل فئة من هذه الفئات عدداً من المهارات الفرعية والذي تمت الاشارة اليه في الفصل الثاني - المحور الرابع

٣. صياغة فقرات المقياس : بعد الاطلاع على مجموعة من المقاييس التي تقيس المهارات فوق المعرفية *، تمت صياغة (٤٠) فقرة بواقع (١٣) فقرة للتخطيط وهي: (١، ٢، ٧، ١٢، ١٣، ١٨، ٢٧، ٣٠، ٣١، ٣٣، ٣٤، ٣٦، ٣٩) و (١٧) فقرة للمراقبة والتحكم وهي: (٣، ٤، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٤، ١٥، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٤، ٢٥، ٢٨، ٢٩، ٣٥، ٣٨) و (١٠) فقرة للتقييم وهي: (٥، ٦، ١٦، ١٧، ٢٢، ٢٣، ٢٦، ٣٢، ٣٧، ٤٠)، وبأربع بدائل بالاعتماد على درجة الممارسة وهي : (عالية، متوسطة، قليلة، قليلة جداً)، بحيث تتدرج الدرجات من (٤) درجات للبديل (عالية) الى درجة واحدة للبديل (قليلة جداً)، وبذلك تصبح اعلى درجة يمكن ان تحصل عليها الطالبة في المقياس (١٦٠) واقل درجة (٤٠) .

ثانياً: مقياس الاتجاه العلمي: بعد الاطلاع على عدد من الادبيات والمقاييس، تبنت الباحثة مقياس جاهز لقياس الاتجاهات العلمية، وهو مقياس بناء وطوره كل من وهو مترجم بما يلائم البيئة العراقية (صخي، ١٩٨٨، ٦٣) ، تالف من (٣٧) فقرة موزعة على ستة مجالات (العقلانية، حب الاستطلاع، التفتح الذهني، نبذ الخرافات،

* قائمة شرو ودينسون Chraw and Dennison، مقياس بانواراوفلبو A.Panaoura, and G. Philippou، مقياس (ايمن، ٢٠٠٢)، مقياس (ابو عطيا، ٢٠٠٦)، مقياس (عليوه، ٢٠٠٦)، مقياس (عبد الواسع، ٢٠٠٨)، مقياس (المزروع، ٢٠٠٨)، مقياس (الصمادي ويحيى، ٢٠٠٩) .

الموضوعية والامانة الفكرية، التريث في اصدار الحكم) على وفق مقياس لكرت الثلاثي (موافق، موافق لحد ما، غير موافق)، جدول (٢) يوضح توزيع فقرات المقياس على مجالاته .

جدول (٢)

مجالات الاتجاهات العلمية وارقام الفقرات المنتمية لكل مجال

مجالات الاتجاهات العلمية	ارقام الفقرات المنتمية لكل مجال
العقلانية	١، ٨، ١٢، ١٨، ٢٥، ٢٩، ٣٣
حب الاستطلاع	٥، ١٦، ١٩، ٢٠، ٣٢
التفتح الذهني	٣، ٤، ١٣، ٢٣، ٢٦، ٢٨
نبذ الخرافات	٩، ١١، ٢٤، ٣٠، ٣٥
الموضوعية والامانة الفكرية	٦، ٧، ١٤، ١٧، ٢٢، ٢٧
التريث في اصدار الحكم	٢، ١٠، ١٥، ٢١، ٣١، ٣٤، ٣٦

الفقرات الايجابية (٢، ٣، ٥، ١١، ١٣، ١٤، ١٦، ١٧، ٢٢، ٢٤، ٢٧، ٢٨، ٣١،

٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٦)، موافق: ٣، موافق لحد ما: ٢، غير موافق: ١

الفقرات السلبية (١، ٤، ٦، ٨، ٩، ١٠، ١٢، ١٥، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٣، ٢٥،

٢٦، ٢٩، ٣٠، ٣٤، ٣٦)، موافق: ١، موافق لحد ما: ٢، غير موافق: ٣

ولاجل ضمان صدق الاجابة وجديتها تخللت فقرات المقياس فقرات كاشفة، اذ تضمن (٤) فقرات هي (٤، ١٣، ١٠، ٣١)، وبذلك تكون اعلى درجة تحصل عليها الطالبة

(٩٩) وادنى درجة (٣٣)

صدق المقياسين : تم التحقق من صدقي المقياسين الاول : **الصدق الظاهري Face**

Validity، لغرض التأكد من الصدق الظاهري، تم عرض المقياسين بصورتها

الاولية مع وصف لأهم المفاهيم التي وردت فيه على مجموعة من الخبراء

والمختصين، لبيان مدى صلاحية الفقرات ومدى دقة توزيعها على المجالات التي

تتنمي اليها، وأجريت التعديلات اللازمة في ضوء ملاحظاتهم، اما الثاني: **صدق البناء**

او **المفهوم Construction Validity** : تم احتساب معاملات الارتباط بين درجات

الفقرات والدرجة الكلية للمقياسين، وبعد اختبار دلالة معاملات الارتباط عن طريق

مقارنتها بالقيمة الجدولية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ودرجة حرية (٩٨) وبالقيمة (٠,١٩٦) كانت جميعها دالة .

التطبيق الاستطلاعي للمقياسين: طبق المقياسين على عينة استطلاعية اولية مؤلفة من (٣٠) طالبة في ثانوية العدنانية للبنات بتاريخ (١٨-١٩ / ٩ / ٢٠١١) وذلك للتأكد من وضوح الفقرات وتعليمات الاجابة، اذ روعي في اثناء التطبيق ما تثيره الطالبات من اسئلة، بلغ متوسط الوقت للاجابة (٤٥) دقيقة لمقياس مهارات فوق المعرفية، (٤٢) دقيقة لمقياس الاتجاه العلمي.

اما التطبيق على العينة الاستطلاعية الثانية مؤلفة من (١٠٠) طالبة في ثانوية العدنانية للبنات بتاريخ (٢١-٢٢ / ٩ / ٢٠١١) كان لغرض التحليل الاحصائي لفقرات المقياسين، لاستخراج قوة تمييز الفقرة، اذ تم تصحيح الاجابة عن فقرات المقياسين، ثم رتبت اجابات الطالبات من اعلى درجة كلية الى أقل درجة، وأخذت نسبة (٢٧%) من قمة وقاعدة الدرجات لتحديد عدد افراد المجموعتين العليا والدنيا، وتم استخدام الاختبار التائي لعينتين مستقلتين (Independent t-test) للتأكد من دلالة الفروق بين متوسطات درجات طالبات المجموعتين العليا والدنيا، وقد أظهرت النتائج ان الفروق كانت لجميع الفقرات دالة عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ودرجة حرية (٤٩)

- **الثبات :** تم استخراج ثبات المقياس باستخدام معادلة الفا - كرونباخ Coefficient Alpha، حيث بلغ معامل الثبات (٠,٩٢) لمقياس المهارات فوق المعرفية، (٠,٨٩) لمقياس الاتجاه العلمي وهو معامل ثبات عال .

الصورة النهائية للمقياسين :

وبعد ان اصبح المقياسين جاهزين لتطبيق على عينة البحث ملحق (٣) (٤)، تماثلت اساليب التقويم التالية:

١- **التقويم القبلي:** تم تقويم القبلي قبل بداية تطبيق التجربة في ٢٧-٢٨/٩/٢٠١١ تقويم مدى تقدم طالبات المجموعتين في الدراسة من خلال اجابتهن عن فقرات اداتي البحث الحالي (مهارات فوق المعرفية -الاتجاه العلمي)، تم استخراج المتوسط الحسابي والتباين، وبأستخدام الاختبار التائي لعينتين مستقلتين متساويتي

العدد تبين ان القيمة التائية المحسوبة اصغر (١،٨٧) (١،٢٢) من القيمة الجدولية (٢،٠٠١) عند مستوى دلالة (٠،٠٥) ودرجة حرية (٥٨)، مما يعني عدم وجود فرق ذي دلالة احصائية بين المجموعتين التجريبية والضابطة كما في جدول (٣).

جدول (٣)

المتوسط الحسابي وتباين والقيمة التائية المحسوبة لدرجات المجموعتين التجريبية والضابطة لمقياسين مهارات التفكير فوق المعرفية والاتجاه العلمي في الاختبار القبلي

المجموعة	التجريبية		الضابطة		القيمة التائية المحسوبة	الدلالة الاحصائية
	المتوسط الحسابي	التباين	المتوسط الحسابي	التباين		
المهارات فوق المعرفية	١١٨،٦	١٤٥،٨٥	١١٢،٦	١٥١،٢٩	١،٨٧	غير دالة
الاتجاه العلمي	٨١،٢٦	١٢٣،٨٧٦	٧٧،٩٣	١٢٧،٩١	١،٢٢	غير دالة

٢- **التقويم التكويني:** تم اجراء تقويم المرحلي اثناء تطبيق التجربة، لتقويم مدى تقدم الطالبات في الدراسة من خلال اجابتهن عن الاسئلة الموضوعة لكل هدف سلوكي، وذلك من خلال الاختبارات الشهرية التحريرية واليومية الشفهية.

٣- **التقويم البعدي:** انتهت التجربة بتاريخ (١١٢١٢٥ ٢٠١١) ، تم تطبيق المقياسين (مهارات فوق المعرفية -الاتجاه العلمي) بتاريخ ٢٦-٢٨ ٢٠١١١٢١، وبالتعاون مع ادارة المدرسة انهى الجميع من الاجابة في الوقت المحدد للمقياسين (مهارات فوق المعرفية -الاتجاه العلمي)، وبعد تصحيح اجابات طالبات المجموعتين واستخراج المتوسط الحسابي والتباين وبأستخدام الاختبار التائي لعينتين مستقلتين متساويتي العدد تبين ان القيمة التائية المحسوبة (٢،٩٣) (٣،٨٦) للمقياسين (مهارات فوق المعرفية -الاتجاه العلمي) اكبر من القيمة الجدولية (٢،٠٠١) عند مستوى دلالة (٠،٠٥) ودرجة حرية (٥٨)، مما يعني وجود فرق ذي دلالة احصائية بين المجموعتين التجريبية والضابطة ولصالح المجموعة التجريبية، جدول (٤) يوضح ذلك .

جدول (٤)

المتوسط الحسابي وتباين والقيمة التائية المحسوبة لدرجات المجموعتين التجريبية والضابطة لمقياسين مهارات التفكير فوق المعرفية والاتجاه العلمي في الاختبار البعدي

الدلالة الاحصائية	القيمة التائية المحسوبة	الضابطة		التجريبية		المجموعة مقياس
		التباين	المتوسط الحسابي	التباين	المتوسط الحسابي	
دالة	٢,٩٣	١٨٠,٠٦	١١٧,٨	١٥٠,٦٢	١٢٧,٧	المهارات فوق المعرفية
دالة	٣,٨٦	١٢٧,٩١٦	٨٠,٦٠	٩١,٠١١	٩١,٢٢	الاتجاه العلمي

الوسائل الاحصائية

بالاستعانة البرنامج الاحصائي (SpSS) تم استخدام

١-الاختبار التائي لعينتين مستقلتين غير متساويتي العدد

٢-معادلة الفا كورنباخ لاستخراج ثبات اداتي

٣-حجم الاثر لقياس الفاعلية البرنامج

٤-معامل ارتباط بيرسون

عرض النتائج وتفسيرها

اولا: عرض النتائج

لغرض التحقق من هدفالبحث وفرضيتيه الصفرية، تم ايجاد المتوسط الحسابي والتباين الفروق لدرجات كل من المجموعتين التجريبية والضابطة في الاختبارين القبلي والبعدي لمقياسين مهارات التفكير فوق المعرفية والاتجاه العلمي، وتم ذلك بطرح (درجة الاختبار البعدي-درجة الاختبار القبلي) لكل طالبة في المجموعتين، و باستخدام الاختبار التائي لعينتين مستقلتين متساويتي العدد، تم ايجاد القيمة التائية المحسوبة كما في جدول (٥) :

جدول (٥)

المتوسط الحسابي وتباين الفروق والقيمة التائية المحسوبة لدرجات المجموعتين التجريبية والضابطة لمقياسين مهارات التفكير فوق المعرفية والاتجاه العلمي الاختبارين القبلي والبعدي

المجموعة	التجريبية		الضابطة		القيمة التائية المحسوبة	الدلالة الاحصائية
	متوسط الفروق	تباين الفروق	متوسط الفروق	تباين الفروق		
المهارات فوق المعرفية	٩،١	٤،٧٧	٥،٢	٢٨،٧٧	٣،٠٩٧	دالة
الاتجاه العلمي	٩،٩٦	٣٢،٣٦	٢،٦٧	١،١٣	٦،٧٨٧	دالة

يتبين من الجدول (٥) ان القيمة التائية المحسوبة (٣،٠٩٧) (٦،٧٨٧) لمقياسين مهارات التفكير فوق المعرفية والاتجاه العلمي التوالي اكبر من القيمة الجدولية البالغة (٢،٠٠١) عند مستوى دلالة (٠ ،٠٥) ودرجة حرية (٥٨)، مما يعني وجود فرق ذي دلالة احصائية بين المجموعتين التجريبية والضابطة ولصالح المجموعة التجريبية، مما يشير رفض الفرضيتين الصفريتين التي تنصان على انه (لايوجد فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى (٠ ،٠٥) بين متوسط الفرق درجات الطالبات اللاتي درسن باستخدام برنامج قائم على التفكير التأملي ومتوسط الفرق درجات الطالبات اللاتي درسن باستخدام طريقة الاعتيادية فيمقياس مهارات التفكير فوق المعرفية القبلي والبعدي) .

(لايوجد فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى (٠ ،٠٥) بين متوسط الفرق درجات الطالبات اللاتي درسن باستخدام برنامج قائم على التفكير التأملي ومتوسط الفرق درجات الطالبات اللاتي درسن باستخدام طريقة الاعتيادية فيمقياس الاتجاه العلمي القبلي والبعدي) أي تفوق طالبات المجموعة التجريبية اللاتي درسن على وفق برنامج قائم على التفكير التأملي على اقرانهن في المجموعة الضابطة اللاتي درسن على وفق الطريقة الاعتيادية في تنمية المهارات فوق المعرفية والاتجاه العلمي. ولحساب فاعلية البرنامج تم الاعتماد جدول (٦)

يمكن تأويل تفوق طالبات المجموعة التجريبية اللاتي درسن على وفق برنامج قائم على التفكير التأملي على اقرانهن في المجموعة الضابطة اللاتي درسن على وفق الطريقة الاعتيادية في المهارات فوق المعرفية والاتجاه العلمي الى ما يأتي:

ان تدريس طالبات المجموعة التجريبية على وفق برنامج قائم على التفكير التأملي هيئة بيئة ثرية ومثيرة للتفكير، مما ساعدهن على تأمل الموقف التعليمي الذي امامهن وتحليله الى عناصره، ورسم الخطط اللازمة لفهمه حتى تصل الطالبة الى النتائج ثم تقويمها في ضوء الخطط المرسومة، اذ يعني هذا النوع من التفكير اسس الافكار والبحث في مقوماتها الى البراهين والادلة، اذ يصبح عقل الطالبة نشطا اذا ما واجهت الموقف التعليمي وتكون لديها الرغبة في تحقيق المهام التعليمية التي كلفت بها وهذا لايمكن تحقيقه بأنماط السلوك المعتادة التي تتضمن الارتباط البسيط السهل للأفكار فالطالبات المجموعة التجريبية من خلال برنامج القائم على التفكير التأملي يبدأن بتنظيم افكارهن في اقسام تتعدى عمليات تفكيرهن ويبدأن بتوجيه حل كلي او جزئي للمشكلة، فضلا على ان الميل الطالبات الى التأني في اداء المهمة، كما انهن يتفحصن الموقف التعليمي بكافة جوانبه، مما يقلل احتمال وقوعهن في خطأ ما او اتخاذهن لقرار غير مناسب، اذ ان التأمل والتصور يميل الى العمل الصامت واستخدام الصور الذهنية والعمل للمخيلة والتفكير بصوت عالي فالبرنامج القائم على التفكير التأملي معد لتحسين قدرة الطالبات على التفكير، اذ يشتمل في خطواته على جميع المهارات المعرفية والفوق معرفية، حيث ان وعي الطالبة بوجود المشكلة واختيارها للاستراتيجيات المعرفية المناسبة وعملية التخطيط التي تقوم بها وتوجيه انتباهها ومن ثم مراقبة الحل وتقويمها له، كل ذلك ساعد على تنمية مهارات الطالبات فوق المعرفية، وقد يفسر ذلك ايضا ان المهارات فوق المعرفية تساعد الطالبات على السيطرة على عملية تفكيرهن من خلال التخطيط والمراقبة والتحكم والتقويم الامر الذي يساعد على تنمية الاتجاه العلمي، حيث انشغال طالبات المجموعة التجريبية في الدراسة والتأمل في موضوع الدرس والوقوف، اما فيما يخص المجموعة الضابطة فقد

كانت الطريقة المتبعة تركز على عرض المعلومات للطلّابات بصورة جاهزة ولذلك فهي لم تركز على ممارسة الطّالّبات لعملية التأمّل ولم تحفز الطّالّبات لاستخدام قدراتهم التحليلية وانما قدمت لهم الحلول جاهزة من قبل المدرسة ولم تعطّ لهن الفرصة حتّى لتأمّل المواقف التعليمية، لذلك كانت اجابات طالّبات تلك المجموعة ضعيفة على مقياس مهارات فوق المعرفية والاتجاه العلمي

ثالثاً: الاستنتاجات: في ضوء نتائج البحث تمّ التوصل الى الاستنتاجات الآتية:

١- فاعلية برنامج قائم على التفكير التأملي في تنمية مهارات فوق المعرفية، بحجم اثر عالي.

٢- فاعلية برنامج قائم على التفكير التأملي في تنمية الاتجاه العلمي، بحجم اثر عالي.

رابعاً : التوصيات : في ضوء نتائج البحث توصي الباحثة بما يأتي:

١- استخدام برنامج قائم على التفكير التأملي في تدريس مادة الاحياء للصف الرابع

عام لما له من فاعلية في تنمية مهارات فوق المعرفية وتنمية الاتجاه العلمي.

٢- ادخال برنامج قائم على التفكير التأملي ضمن مفردات طرائق التدريس لكليات

التربية لكي يلم به مدرسي المستقبل

٣- تنظيم دورات تدريبية لمدرسي الاحياء لتدريبهم على برنامج قائم على التفكير التأملي

خامساً: المقترحات: استكمالاً لهذا البحث تقترح الباحثة إجراء الدراسات الآتية:

١- فاعلية برنامج قائم على التفكير التأملي في تدريس مادة الاحياء، ولمراحل مختلفة

في تنمية مهارات فوق المعرفية والاتجاه العلمي.

٢- فاعلية برنامج قائم على التفكير التأملي لمتغيرات تابعة اخرى مثل اكتساب

المفاهيم، التفكير العلمي.

٣- مقارنة بين برنامج قائم على التفكير التأملي وبرامج أخرى التي تهتم بتنمية التفكير

كا التفكير الابتكاري، والتفكير الناقد

المصادر

- القرآن الكريم

- ١- ابادي، الفيروز (١٩٨٥)، القاموس المحيط، مؤسسة الحلبي، القاهرة.
- ٢- ابو عميرة، حبان (١٩٩٥)، فاعلية برنامج اعداد معلمي الرياضيات، مجلة المستقبل، التربية العربية، ١ (٤) .
- ٣- ابو رياش، حسين محمد (٢٠٠٧)، التعلم المعرفي، دار المسيرة للنشر، ط١، عمان، الاردن.
- ٤- ابو عطيا، اشرف (٢٠٠٦)، نموذج بنائي مقترح لتنمية مهارات ما وراء المعرفة في الرياضيات لدى طلاب الصف التاسع الاساسي في محافظة غزة، المؤتمر العلمي الاول (واقع وتطلعات التجربة الفلسطينية في اعداد المناهج)، جامعة الاقصى، غزة، ١٩-٢٠ كانون الاول .
- ٥- الاغا، احسان (٢٠٠١)، التربية العملية وطرق التدريس، ط٥، مطبعة المنصور، غزة.
- ٦- الباز، خالد صلاح (٢٠٠١)، فاعلية استخدام نموذج مارزانو لأبعاد التعلم في تدريس مادة الكيمياء على تحصيل والتفكير المركب والاتجاه نحو المادة لدى طلاب الصف الاول الثانوي العام بالبحرين، المؤتمر العلمي الخامس : التربية العلمية للمواطنة من ٧١٢٩-٨١١ ٢٠٠١، المجلد الثاني، الجمعية المصرية للتربية، القاهرة، جامعة عين شمس.
- ٧- بركات، زياد امين (٢٠٠٤)، العلاقة بين التفكير التأملي والتحصيل لدى عينة من الطلاب الجامعيين والطلاب الثانوية العامة في ضوء بعض المتغيرات، رسالة ماجستير، جامعة القدس، فلسطين.
- ٨- جروان، فتحي عبد الرحمن (١٩٩٩) تعليم التفكير، مفاهيم وتطبيقات، ط١، دار الكتاب الجامعي، عمان.
- ٩- جمهورية العراق، وزارة التربية (١٩٨٣)، وقائع المؤتمر التربوي التاسع المنعقد في بغداد، مطابع وزارة التربية.

- ١٠- حبيب، مجدي (١٩٩٦)، التفكير الاسس النظرية والاستراتيجيات، ط١، مكتبة النهضة، القاهرة.
- ١١- حسين، فائق سالم (٢٠٠٤)، اثر استخدام الحاسوب في القدرة على التفكير الابداعي واكتساب المفاهيم العلمية لدى طلبة الصف الاول -كلية المعلمين في مادة العلوم، رسالة ماجستير، جامعة الموصل .
- ١٢- حيدر، عبد اللطيف (١٩٩٨)، اصلاح علم العلوم التجربة الامريكية والاستفادة منها، المؤتمر العلمي الثاني : اعداد معلم العلوم للقرن الحادي والعشرين من ٢-٥ اغسطس، المجلد الثاني، الجمعية المصرية للتربية، عين شمس، القاهرة.
- ١٣- الخليلي، خليل يوسف وآخرون (١٩٩٦)، تدريس العلوم في مراحل التعليم العام، ط١، دار القلم لنشر والتوزيع، دبي.
- ١٤- زيتون، عايش محمود (٢٠٠٤). اساليب تدريس العلوم، ط١، دار الشروق، عمان.
- ١٥- زيتون، حسن حسين، وكمال عبد الحميد زيتون (١٩٩٢)، البنائية منظور ابستمولوجي وتربوي، ط١، الاسكندرية.
- ١٦- صخي، مهدي خطاب (١٩٨٨)، اثر استخدام طريقة الاستكشاف في تدريس العلوم في تنمية الاتجاهات العلمية لطلبة الصف الاول متوسط، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية ابن الهيثم، جامعة بغداد.
- ١٧- عصر، رضا (٢٠٠٣) اساليب احصائية لقياس الاهمية العلمية لنتائج البحوث التربوية، المؤتمر العلمي الخامس عشر للجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس (٢١-٢٢ يوليو) : مناهج التعليم والاعداد للحياة المعاصرة، المجلد الثاني، القاهرة.
- ١٨- عبد الواسع، ذكرى يوسف (٢٠٠٨)، فاعلية برنامج قائم على حل المشكلات في تنمية مهارات ما وراء المعرفة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة تعز، اليمن .

١٩- عفانه، عزو اسماعيل، وفتحية اللولو (٢٠٠٣) مستوى مهارات التفكير التأملية في مشكلات التدريب الميداني لدى طلبة كلية التربية بالجامعة الإسلامية بغزة، مجلة التربية العلمية، المجلد الخامس، العدد الاول، كلية التربية، جامعة عين شمس.

٢٠- مصطفى، شريف (١٩٩٢)، اثر تنمية قدرة التفكير التأملية عند معلمي العلوم في المرحلة الاساسية على فاعليتهم التعليمية، رسالة دكتوراه، كلية الدراسات العليا بالجامعة الاردنية.

٢١- محمد، جنان فوزي طه (٢٠٠٣) ، فاعلية برنامج باستخدام مدخل العلم والتكنولوجيا والمجتمع لتنمية بعض مفاهيم التكنولوجيا البيولوجية والاتجاهات نحو القضايا البيواخلاقية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية قنا، جامعة جنوب الوادي .

٢٢- المولى، حميد مجيد (٢٠٠٩) التفكير والحدس، ط١، دار الينابيع للنشر، دمشق، سوريا.

- 23- Chiu, I. H. (1985) : **The relation of cognitive style and anxiety to academic performance among Chinese children.** Social psychology .Vol .6 , No. 30.
- 24- Costa L.& Kellick, B (2007) , **What are Habits of Mind** <http://WWW.habits-of-mind.net/whatare.htm> , 2003.
- 25- Flavel , J. H. , Metacognitive and cognitive monitoring : A new area of cognitive developmental inquiry , **American Structural Psychologist** ,34,906-9011, 1979.
- 26- Shoon,D,A (1987) **Educathng the Reflective Practitioner towards Anew design for Teaching ,Teaching and TeacherEducathion** ,vol: 4 .

مقياس المهارات فوق المعرفية

عزيزتي الطالبة

يهدف هذا المقياس إلى التعرف على مدى أدائك لجمله من المهارات، التي ممكن ان تستخدمها عند المذاكرة ،
المطلوب منك قراءة كل عبارة بتأن ثم الإجابة عنها بوضع علامة (✓) في المكان الذي يمثل درجة ممارستك لتلك المهارة .
علماً بأن هذه الدراسة ليس لها علاقة في تحصيلك الدراسي وإنما لأغراض البحث العلمي فقط.

شاكرة لتعاونك

الباحثة

ت	الفقرات	درجة الممارسة			
		عالية جدا	عالية	متوسطة	قليلة
١	أضع اهداف محددة قبل البدء بالتعلم				
٢	أوفر أكثر من طريقة لتعلم المادة الدراسية				
٣	أقوم بتلخيص ما تعلمته بعد نهاية كل موضوع				
٤	أحفز نفسي لتعلم الموضوع عندما احتاج لذلك				
٥	أقوم بحل أسئلة مختلفة حول موضوع الدرس				
٦	اسأل نفسي فيما إذا كانت طريقتي في المذاكرة هي الأفضل				
٧	اسأل نفسي مجموعة أسئلة عن المادة قبل ان ابدا بالدراسة				
٨	عندما ادرس فاني اعرف ما مطلوب مني القيام به بالضبط				
٩	ارسم المخططات والجداول لتساعدني على فهم المادة				
١٠	اتمهل في القراءة عندما تواجهني معلومات مهمة				
١١	أحاول ان اجد تفسير للموضوع الذي اجد فيه غموض				
١٢	أتوقع الاسئلة التي ستطرح في الدرس				
١٣	أحدد تسلسل المواضيع التي سأدرسها				
١٤	ألتزم بالوقت المحدد لكل جزء من اجزاء المادة العلمية				
١٥	أعدل الخطة الموضوعية للتعلم اذا دعت الحاجة لذلك				
١٦	أسأل نفسي اذا كنت قد استخدمت جميع الخيارات المتاحة لتعلم المادة				
١٧	أقدر درجة اتقاني للمادة العلمية بعد دراستها				
١٨	أسترجع معلوماتي السابقة عن المادة العلمية التي اريد دراستها				
١٩	أضع اسئلة مختلفة عن المادة الدراسية أثناء دراستها				
٢٠	أحدد مواطن ضعف تعليمي للمادة لغرض مراجعتها				
٢١	أتحكم في درجة اتقان المادة العلمية حسب اهميتها				
٢٢	بعد ان أنتهي من الدراسة اسأل نفسي ان كنت قد تعلمت اشياء جديدة وهامة				
٢٣	أقوم بالكشف عن مواطن القوة والضعف في قدراتي العقلية				
٢٤	أحافظ على التسلسل في تعليمي للمادة حسب الخطة الموضوعية				
٢٥	أسأل نفسي اذا كان الوقت المحدد لتعلم المادة الدراسية كافيا				

٢٦	اسأل نفسي إذا كانت الطريقة التي استخدمتها فيالتعلم هي الانسب			
٢٧	أقرأ الارشادات والتعليمات جيدا قبل البدء بالمهمة			
٢٨	اقوم بالكتابة مع القراءة لأزيد من استيعابي للمادة			
٢٩	اراجع المادة بين الحين والآخر لأدرك العلاقات بين اجزائها			
٣٠	افكر مليا بما اريد ان اتعلمه من المادة الدراسية			
٣١	اوفر اكثر من مصدر للمعلومات عن المادة العلمية			
٣٢	اتوقف بصورة دورية لأتأكد من مدى فهمي للمادة			
٣٣	انتبها بالعقبات التي ساواجهها اثناء دراستي			
٣٤	احدد المعلومات الأكثر اهمية في الموضوع الذي اتوي دراسته			
٣٥	أأخذ فترات راحة اثناء التعلم			
٣٦	اطلع على الاسئلة السابقة التي تخص الموضوع			
٣٧	اسأل نفسي ان كنت قد حققت اهدافي بعد دراستي المادة			
٣٨	اضع خطوط او تأشيريات حول المعلومات المهمة			
٣٩	انضم وقتي لضمان تحقيق اهدافي			
٤٠	اقارن اجاباتي بالإجابات النموذجية			
٤١	احاول ربط المعلومات بالواقع لضمان تعلم أفضل			
٤٢	اكتب ملخص للمادة التي درستها لأحدد مدى استيعابي لها			
٤٣	اسال نفسي عن الطريقة الانسب لتعلم المادة الدراسية			
٤٤	اقوم بترتيب تسلسل الخطوات التي سأقوم بها			
٤٥	اسال نفسي بعد انجاز المهمة ان كنت تعلمت كل ما مطلوب مني تعلمه			
٤٦	اركز على الاجزاء المهمة للمادة الدراسية			
٤٧	اراجع المادة مع نفسي لأتأكد من اتقانها			
٤٨	اطلب من الاخرين اختباري في المادة الدراسية حينما انتهي من دراستها			
٤٩	انتبأ بالنتائج التي يجب الوصول اليها			
٥٠	انتقل من طريقة تعلم الى اخرى حسب ما تقتضيه المادة			

ملحق (١٤) درجات طلبة المجموعات الثلاث على مقياس المهارات فوق المعرفية

في التطبيقين القبلي والبعدي والفرق بينهما

ت	المجموعة التجريبية الأولى			المجموعة التجريبية الثانية			المجموعة الضابطة		
	قبلي	بعدي	الفرق	قبلي	بعدي	الفرق	قبلي	بعدي	الفرق
١	٢١١	٢١٧	٦	١٦٦	١٦٥	-١	٢١٠	٢١١	١
٢	١٧٧	١٨٦	٩	٢٠٧	٢٠٩	٢	١٨٠	١٧٩	-١
٣	١٧٥	١٧٣	-٢	١٥٥	١٥٨	٣	١٨٨	١٩٠	٢
٤	١٩٠	١٩٩	٩	٢١٩	٢٢٠	١	١٩١	١٩١	٠
٥	١٦٧	١٧٠	٣	١٩٠	١٩٠	٠	١٨٠	١٨٢	٢
٦	١٦٦	١٧٢	٦	١٦٢	١٦٤	٢	١٧٧	١٨٣	٦
٧	١٨٣	١٩٠	٧	٢٠٩	٢١٠	١	١٨٨	١٨٨	٠
٨	١٩٣	١٩٩	٧	١٨٨	١٩٠	٢	١٧٤	١٧٦	٢
٩	١٨٠	١٨٦	٦	٢٢٥	٢٢٣	-٢	١٨٨	١٨٩	١
١٠	١٩٥	٢٠١	٦	١٨٤	١٨٦	٢	٢٢٠	٢١٧	-٣
١١	٢٠٠	٢١٢	١٢	١٨٩	١٩٠	١	١٨٣	١٨٩	٦
١٢	١٦٣	١٦٣	٠	١٩٠	١٨٩	-١	١٩٨	٢٠٣	٥
١٣	٢٠١	٢٠٥	٤	١٩١	١٨٩	-٢	١٩٥	١٩٦	١
١٤	٢٠٧	٢١٥	٨	١٦١	١٦٣	٢	١٥٤	١٥٧	٣
١٥	١٨٣	١٨٠	-٣	١٧٣	١٧٥	٢	١٧٠	١٦٣	-٧
١٦	١٩٠	١٩٥	٥	١٧٧	١٧٩	٢	١٨٣	١٨٧	٤
١٧	١٨٢	١٨٨	٦	١٩٩	٢٠٠	١	٢٠١	٢٠٢	١
١٨				١٨٩	١٨٧	-١	١٧٠	١٦٦	-٤
١٩							١٧٧	١٨١	٤
المتوسط	١٨٦,٠٥	١٩١,٢٣	٥,٢٣	١٨٧,٤٤	١٨٨,١٦	٠,٨٨	١٨٥,٦٣	١٨٧,٤٤	١,٢١

ملحق (١٥) درجات طلبة المجموعات الثلاث على الاختبار التحصيلي

ومقياس اتخاذ القرارات البايوأخلاقية

ت	المجموعة التجريبية الأولى		المجموعة التجريبية الثانية		المجموعة الضابطة	
	التحصيل	اتخاذ القرار	التحصيل	اتخاذ القرار	التحصيل	اتخاذ القرار
١	٣٥	٧٧	٣٢	٧٧	٢٦	٧٣
٢	٤٧	٨١	٣٢	٦٩	٣٣	٧٠
٣	٤٠	٧٧	٣٠	٧٧	٣٣	٨١
٤	٣٩	٦٨	٣٧	٦٨	٣٩	٧٣
٥	٢٨	٧٧	٢٣	٧٩	٢٥	٦٦
٦	٣٩	٧٩	٢٧	٧٥	٢٧	٧٤
٧	٤٢	٧٦	٢٤	٧٩	٢٦	٨٠
٨	٣٨	٨٢	٢٨	٧٦	٣١	٧٠
٩	٣٨	٧٤	٤١	٧٧	٢١	٧١
١٠	٢٧	٧٣	١٧	٨٠	٢٦	٧٤
١١	٣٤	٨٢	٢٢	٧٥	٢٨	٦٥
١٢	٤٣	٨١	١٩	٧٩	٣٠	٦٨
١٣	٣٧	٧٩	٢٠	٧٤	١٨	٧٣
١٤	٤٣	٧٥	٣٣	٨٢	٣٢	٦١
١٥	٤٤	٧٧	٢٩	٧٧	٤٢	٧٣
١٦	٢٥	٦٩	٣٦	٧٦	٤١	٧٥
١٧	٢٩	٧١	٢٠	٦٩	٢٦	٧٢
١٨			٤٦	٧٨	٣١	٧٧
١٩					٣٣	٧٠
المتوسط	٣٦,٩٤	٧٦,٣٥	٢٨,٦٦	٧٥,٩٤	٢٩,٨٩	٧١,٨٩

سمات التقرير الصحفي في الصحافة العراقية
دراسة تحليلية لصحيفة المشرق
للمدة من (٢٠١٢/١/١) ولغاية (٢٠١٥/٢/١)

د. باسم وحيد جوني
جامعة بغداد / كلية الإعلام

ملخص البحث

فن التقرير واحد من اهم الفنون الصحفية التي تعتمد عليها الصحف بشكل عام والصحافة العراقية بشكل خاص لما له من دور كبير ومؤثر على الجمهور بما يحويه مميزات عديدة، لا يمكن لاي صحفية ان تخلو من التقارير وبهذا يشكل ركيزة اساسية لاية صحفية.

وبذلك فان التقرير الصحفي هو فن يتميز بالحركة والحيوية في مجموعة المعارف والمعلومات التي يتضمنها فكما هو معروف إن التقرير الصحفي هو فن صحفي يقع بين الخبر والتحقيق الصحفي والذي يقوم على تقديم مجموعه من المعلومات بشكل مفصل.

Abstract

The art of the report and one of the most important journalistic arts in general depend on Iraqi newspapers and the press in particular because of its large and influential role to the public, including its content features many, no journalist should be free of the reports and this is a fundamental pillar of the state press.

Thus, the press report is characterized by the art of movement and vitality in the knowledge and information contained in group As is well known that the press report is an art journalist is located between the news and which is based on providing a range of information in the press and detailed investigation.

مُكَلِّمَةٌ

فن التقرير واحد من اهم الفنون الصحفية التي تعتمد عليها الصحف بشكل عام والصحافة العراقية بشكل خاص لما له من دور كبير ومؤثر على الجمهور بما يحويه مميزات عديدة، لا يمكن لاي صحفية ان تخلو من التقارير وبهذا يشكل ركيزة اساسية لاية صحفية.

وبذلك فان التقرير الصحفي هو فن يتميز بالحركة والحيوية في مجموعة المعارف والمعلومات التي يتضمنها فكما هو معروف إن التقرير الصحفي هو فن صحفي يقع بين الخبر والتحقيق الصحفي والذي يقوم على تقديم مجموعه من المعلومات بشكل مفصل. ان البحث عبارة عن مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة ، فالمقدمة فيها توضيح مبسط عن محتويات البحث ، في حين تناول المبحث الأول الإطار المنهجي ، اما المبحث الثاني فقد تطرق الى دراسة (سمات التقرير الصحفي في الصحافة العراقية) .

فيما تناول المبحث الثالث دراسة تحليلية لصحيفة المشرق ، وما تحويه هاتين الصحيفتين من تقارير صحفية وأهمية تلك التقارير ودورها المؤثر على القارئ إذ أنها تشمل مجالات عديدة تهتم المجتمع بشكل عام.

أما الخاتمة فتناولت أهم النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال معطيات البحث .

المبحث الأول الإطار المنهجي للبحث

أولاً : مشكلة البحث

يعتبر فن التقرير الصحفي من الفنون الصحفية المهمة وذلك لأنه يقوم على الشرح والتفسير عن حدث معين إي انه يعطي تفاصيل أكثر مما يعطيه الخبر وعلى الرغم من انه يختلف عن الخبر والفنون الصحفية الأخرى^(١) لذلك كان علينا إن نعرف الإجابة عن الأسئلة التالية:

١. هل يتم كتابة التقرير الصحفي بشكل مهني ومتخصص؟؟؟

٢. هل عالجت التقارير الإخبارية مختلف الموضوعات؟؟؟

ثانياً :- أهداف البحث:-

يهدف هذا البحث إلى دراسة " سمات فن التقرير الصحفي في الصحافة العراقية "إي معرفة مفهوم فن التقرير الصحفي والتعرف على سماته وفوائده وأيضا معرفة الأسباب التي أدت إلى كتابة التقرير مشابها للفنون الصحفية الأخرى واثبات انه فن مستقل بذاته وانه يختلف كل الاختلاف عن الفنون الأخرى وبالتالي التوصل إلى النتائج الحقيقة التي أدت إلى ذلك.

ثالثاً :- منهج البحث:-

استخدمت في كتابة البحث على المنهج " الوصفي "الذي يعرف بأنه هو التصوير الدقيق للعلاقات المتبادلة بين المجتمع والاتجاهات والميول والرغبات والتطور والأنشطة الأخرى بحيث يعطي الباحث صورته للواقع الحيائي ووضع مؤشرات وبناء تنبؤات مستقبلية^(٢) حيث تتناول البحوث الوصفية تصوير ووصف الوضع الراهن وتحديد العلاقات التي توجد بين الظواهر والاتجاهات))^(٣) وذلك لان هذا البحث تناول مفردات الموضوعات وصولاً إلى النتائج المطلوبة منه.

كذلك استخدمنا طريقة تحليل المضمون لانها تتناسب مع بحثنا كونه يعتمد تحليل التقارير المنشورة في صحيفة المشرق.

رابعاً :- مجالات البحث

1. المجال المكاني: صحيفة المشرق

2. المجال الزمني : للمدة من 1-1-2013 ولغاية 1-2-2013

خامساً :- عينة البحث

اعتمدت في كتابة بحثي هذا على عينة المسح الشامل لصحيفة المشرق وذلك لان مدة الدراسة شهر واحد فقط وهي من 1-1-2013 ولغاية 1-2-2013

المبحث الثاني

الإطار النظري للبحث

أولاً : مفهوم التقرير الصحفي

التقرير الصحفي بأنواعه المختلفة هو فن يقع ما بين الخبر والتحقيق الصحفي ، وانه يتميز بالحركة والحيوية في مجموعة المعارف والمعلومات التي يتضمنها .

كما انه لا يقتصر على استيعاب الجوانب الجوهرية أو الرئيسية في الحدث فقط مثل الخبر ، إنما يستوعب أيضاً وصف الزمان والمكان والأشخاص والظروف الذي ترتبط بالحدث^(٤)

كذلك يسمح بإبراز الآراء الشخصية والتجارب الذاتية للمحرر الذي يكتبه ولا يقتصر فقط على الوصف المنطقي والموضوعي للإحداث، وعلى ذلك فكلما كان المحرر شاهد عيان على الحدث كلما زادت فرصه في النجاح إمام التقرير الصحفي.

بالإضافة إلى ذلك فيفضل إن تظهر شخصية المحرر حيث يكون من حقه إن يعرض انطباعاته الشخصية وأرائه وإحكامه وان يقدم الأشخاص ويعرض وجهات نظرهم، وبالتالي فان التقرير الصحفي غالبا ما يكتفي بزاوية واحدة أو اثنتين من زوايا الخبر أو أفكاره أو القضية التي يتناولها ،وقد تكون الزاوية إنسانيه أو سياسيه أو اجتماعيه أو اقتصادية أو فكرية دون إن يتطرق للجوانب الأخرى التي هي مهمة التحقيق الصحفي.

ولكن مع ذلك فان التقرير يتفق مع التحقيق في انه قد يشتمل على بقية الفنون الصحفية الأخرى كالخبر والتعليق والحديث والصور والرسوم ويكتفي بالإجابة عن السؤال لماذا؟

ولا يكون مطالباً بأن يكون مطابقاً لسياسة الجريدة فهو يرسم صورته وأفعيه للخيال مع العلم بأنه لا يقوم على الخيال^(٥).

ثانياً: تعريف التقرير الصحفي

- كلمة "تقرير": هي في الأصل مشتقة من الفعل قَرَّرَ بمعنى قرَّرَ المسألة أو الرأي، حَقَّقَهُ ووضَّحَهُ. وهذا التوضيح أو التحقيق الوارد في التقرير هو عرض رسمي و مختصر لمعلومات أو حقائق أو بيانات محددة لغرض معين، و يهدف إلى توضيح المزاي و العيوب.
- إما اصطلاحاً: لقد اختلف الكتاب في تحديد تعريفه فالكاتب الدكتور لطفي ناصف عرفه بأنه:-
- وصف تفصيلي حول الأحداث الواقعية الراهنة ، إذ يصف هذه الأحداث بالتفصيل في سيرها وديناميكيتها كقضايا اجتماعية، فالتقرير لا يقتصر على الجوانب الجوهرية فقط كما هو الحال بالنسبة للخبر ، ولكنه يقوم من خلال الوصف الزمني والمكاني للأحداث الواقعية بشرح القضية الاجتماعية بشكل شامل وواضح وحيوي وفي لغة سهلة وجذابة^(٦).
- إما الدكتور فاروق أبو زيد فعرفه بأنه:-
- هو فن صحفي يقع بين الخبر والتحقيق الصحفي ويقدم مجموعة من المعلومات حول الوقائع في حركتها الديناميكية فهو إذا يتميز بالحيوية ولا يقتصر على الوصف المنطقي للأحداث وإنما يسمح بإبراز الآراء الشخصية للمحرر الذي يكتب التقرير^(٧).
- إما الدكتور لؤي خليل فيقول إذا أردنا أن نعرف التقرير الصحفي يجب علينا أولاً أن نعرف الفرق بينه وبين الفنون الأخرى^(٨).

(أ) الفرق بين التقرير الصحفي والخبر:-

- 1 - الخبر يحاول الإجابة على التساؤلات الخمسة: (من ، ماذا ، أين ، متى ، كيف) بينما التقرير لا يلتزم بالإجابة عليها ، إذ يركز عادة في الإجابة على التساؤل " لماذا " والذي يهتم بتفسير الحدث.

- 2 - من أهم مقومات الخبر الجدة وسرعة النشر بينما التقرير فهناك بعض الأنواع منه لا تستلزم السرعة مثل التقرير التحليلي (التحليل الإخباري) والذي يتمهل كاتبه للحصول علي كافة التفاصيل اللازمة لشرح أسباب الواقعة وتطوراتها.
- 3- من صفات الخبر الموضوعية أي التزام المحرر بالحياد وعدم طرح وجهة نظره حول الحدث أما التقرير تظهر فيه شخصية كاتبه ووجهة نظره.
- 4- بعض أنواع التقارير تهتم بزوايا معينة في الحدث قد لا يتناولها الخبر نظرا للكم الهائل من الأخبار في الصحف^(٩).

(ب) الفرق بين التقرير والتحقيق الصحفي:

- التحقيق نوع صحفي قائم بذاته له قوانينه الخاصة بينما التقرير أصبح أحد الأنواع الصحفية والتي تعتمد عليه صحافة الرأي إلي حد كبير.
- التحقيق يتميز بالتعمق في بحث الأبعاد المختلفة بينما التقرير يقدم صورة سريعة للحدث دون أن يغرق في التفاصيل فالتقرير يقدم تفاصيل أكثر من الخبر وأقل من التحقيق.
- يهدف التحقيق لإقناع القارئ بخطورة القضية بهدف كسب الرأي العام لصالح القضية أو حل لها بينما التقرير هدفه إثارة اهتمام القارئ بالموضوع وذلك بتقديم معلومات جديدة .
- يحتاج التقرير أسلوب بسيط وواضح وجمل قصيرة بينما التحقيق أسلوبه بسيط لكن عميق ويعتمد في بعض الأحيان للاستعانة بالدراسات والأبحاث.
- التقرير يركز علي زاوية معينة من القضية بينما التحقيق يركز علي كافة الجوانب.
- التحقيق يستعين بمختلف المصادر ومنها البشرية للحصول علي آرائها بينما التقرير لا يشترط الاستعانة بهذه الآراء^(١٠) وبالتالي يتشابه التقرير الصحفي مع التحقيق في ألفقره الإخبارية وظيفيا بينما التحقيق يقترب إلى الريبورتاج من ناحية المضمون والمنهج^(١١).

(ج)الفرق بين التقرير والحوار الصحفي:-

يقوم الحديث الصحفي علي لقاء بين المحرر الصحفي وشخصية وغالبا ما يكون اللقاء له إعداد سابق بينما التقرير الصحفي لا يحتاج لإجراء حوار مع شخصية إذ يمكنه الاعتماد علي مركز المعلومات في صحيفته وأيضا خبراته حول القضية لجمع المادة الصحفية لعمل التقرير.

ثالثا: أنواع التقارير الصحفية

هناك ثلاثة أنواع للتقارير الصحفية منها:-

1. التقرير الإخباري.

2. التقرير الحي.

3. التقرير الشخصي.

أولا :- التقرير الإخباري:

• وهو التقرير الذي يقوم على شرح وتفسير القيم الإخبارية بالقصة الخبرية المرتبطة بالحدث أو أواقعه وهو يعني بتقديم معلومات وبيانات عن خبر أو حدث لم يستطيع الخبر الصحفي تناولها حيث قد تكون هذه المعلومات لها دلالة تاريخية أو تناولها من خلال آراء خبراء ومتخصصون في الموضوع المطروح وقد يكون هذا التقرير يوميا حيث يلبي احتياجات القراء في التعرف على الخلفيات والتفاصيل غير المسموح بنشرها في الإخبار فهو يقدم معلومات إضافية عن الحدث أو أواقعه^(١٢) والتقرير الإخباري لابد أن يتصف بصفتين بارزتين:-

• الأولى :- الالتزام بالأسلوب الموضوعي في عرض المعلومات والبيانات والآراء ويقصد بالأسلوب الموضوعي هو عدم تحيز الكاتب إثناء سرده للمعلومات أو إثناء تقييمه لها أو تعميمه لنتائجها.

• ثانيا :- أنه بنفس القدر الذي يجب أن يهتم فيه كاتب التقرير بتقديم المعلومات والبيانات الجديدة ولابد أن يهتم أيضا بتقديم الخلفية التاريخية لموضوع التقرير خاصة تلك الخلفية ذات الطابع الوثائقي^(١٣).

ثانيا :- التقرير الحي.

• وهو التقرير الذي يكون فيه الصحفي شاهد عيان في تغطية الحدث^(١٤) ورغم التشابه مع التقرير الإخباري في تناول الوقائع والاحداث ونشر تفاصيلها إلا أنه يتسم بقدرته على وصف الحدث والظروف المحيطة به والمناخ الذي تم فيه والناس الذين ارتبطوا به ، وكذلك عرض التجارب الذاتية سواء جاءت مصاحبة للمحرر الصحفي

أو الأفراد الذين لهم علاقة بالحدث أو أواقعه، مثل تغطية جلسات البرلمان والانتخابات والمؤتمرات السياسية وغيرها .

- ويركز هذا النوع من التقارير على التصوير الحي للوقائع والإحداث فهو يهتم برسم صورة الوقائع أو الإحداث أكثر مما يهتم بشرحها أو تحليلها أو تفسيرها.
- والتقرير الحي قد يستعين في كثير من الأحوال بالعديد من الأدوات والإشكال التي يستعين بها التحقيق الصحفي دائماً ، وان الفرق الجوهرية بين التحقيق الصحفي والتقرير الحي هو إن التقرير يكتفي بالتركيز على زاوية واحدة فقط من زوايا الموضوع أو القضية أو الحدث ، في حين يهتم التحقيق الصحفي بموضوع القضية ككل أو بالعناصر الجوهرية في القضية لا بعنصر واحد منها فقط ، كما يفعل التقرير الصحفي^(١٥).

ثالثاً :- التقرير الشخصي

- يقوم هذا التقرير على عرض شخصية ما من الشخصيات المرتبطة بالإحداث وتلعب دوراً مميزاً على المستوى الإقليمي أو الدولي.^(١٦)
- وعلى هذا فقد يحدث هناك خلطاً بين تقرير الأشخاص والحديث الصحفي القائم مع شخصيه من الشخصيات الموجودة في المجتمع . والتقرير الخاص بعرض الأشخاص يقوم على رسم ملامح شخصيه من الشخصيات، وبالتالي ليس شرطاً إجراء حوار صحفي معها أو تناول وجهة نظرها في قضيه أو موضوع ما من الموضوعات.
- ان الحصول على بيانات ومعلومات عن موضوع أو قضية ما محل اهتمام الغالبية العظمى من الجمهور ، وبالتالي فهو يبحث عن السؤال (ماذا)؟.
- إما التقرير الصحفي فهو يبحث عن السؤال (ماذا) ؟ حيث لا يخرج عن إطاره الخبري إلا في نواحي نشر المزيد من التفاصيل عن الحدث أو أواقعه^(١٧)

وهناك أنواع أخرى منها :-

- التقارير الأكاديمية:

و هي تقارير عن البحوث العلمية، و تصدر حسب الحاجة.

- التقارير الوصفية:

و هي التقارير التي تصف ظاهرة كما هي واضحة، و هذه التقارير دائماً تجيب على الأسئلة: كيف؟ ومتى؟ و من؟ و ماذا؟

• **التقارير الإخبارية:**

و هي التقارير التي تبثها أجهزة الإعلام من إذاعة و تلفزيون و صحافة، و مثال على ذلك التقارير السياسية.

• **التقارير التحليلية:**

و هي تقارير لا تقتصر على الوصف فقط بل تعقد المقارنة، و تعلق الأسباب، و تقترح الحلول، و مثال على ذلك: ما يقدمه الأخصائي الاجتماعي حول تأخر الطلاب الدراسي، و التقارير الرياضية التي تقارن بين أداء فريقين، أو أداء فريق مقارنةً بالمواسم السابقة .

• **التقارير الإحصائية:**

و تتميز هذه التقارير عن غيرها بالأرقام، و قد ترمز هذه الأرقام لبشر أو أموال أو أشياء أخرى، و مثال على ذلك: ما تقدمه البنوك و المؤسسات المالية سنوياً عن أوضاعها*.

• **التقارير الإدارية:**

و غالباً ما تكون مطبوعة و بنودها واضحة و تحتاج إلى ملء فراغات بعبارات مناسبة، و مثال على ذلك: تقارير المديرين عن الموظفين.

*من الملاحظ: أن التقارير تُقدّم حسب الحاجة، فقد تُقدّم سنوياً أو يومياً، و من

التقارير اليومية: تقارير أداء البورصة^(١٨)

رابعا: أشكال ومجالات التقارير الصحفية:-

أشكال التقارير الصحفية:-

-التقرير الكتابي.

-التقرير الشفهي.

-التقرير المصور.

-التقرير المسجل (أ) -المسموع ب -المرئي ت -المرئي المسموع)

مجالات التقارير الصحفية:-

- التقرير عن اجتماع.
- التقرير عن رحله.
- التقرير عن مشكله.
- التقرير عن عمل خيرى.
- التقرير عن زيارة^(١٩)

خامسا :-طريقة كتابة التقارير الصحفية

تختلف طرق كتابة التقرير الصحفي عن كتابة الخبر الصحفي ،فإذا كان الخبر الصحفي يكتب بطريقة الهرم المقلوب إي إن توضع في ألمقدمه أهم الحقائق والإحداث والمعلومات ثم يوضع في جسم الخبر المعلومات أو الإحداث أو الحقائق الأقل أهميه، إلا إن التقرير الصحفي يكتب بطريقه معاكسه للخبر الصحفي وذلك بان يكتب بطريقة الهرم المعتدل وهي ان تضم مقدمة التقرير الصحفي مدخل يمهد لموضوع التقرير، وذلك بان يتناول زاوية معينه من زوايا الموضوع يختارها الكاتب بعناية، وهذا المدخل لا يضم خلاصة الموضوع أو أهم الحقائق وإنما يضم فقط مدخل يتوصل به الكاتب إلى شرح الموضوع بحيث يضم جسم التقرير التفاصيل والشواهد والصور الحية لكي يصل بنا الكاتب إلى نهاية التقرير إي أخاتمه التي يضع بها النتائج التي توصل إليها^(٢٠) ورغم اختلاف أنواع التقارير الصحفية إلا أنها يجب إن تحتوي الأجزاء الثلاثة الآتية:-

أولا -مقدمة التقرير الصحفي:

هذه ألمقدمه تشمل عدة وظائف وأیضا تشمل عناصر مهمة وتحدد قيم ألمقدمه في ضوء عدة اعتبارات.

- وظائف ألمقدمه هي 1 :-إن تمهد للموضوع 2. إن تهیئ القارئ له.
- عناصر ألمقدمه هي 1 :-واقعه ملموسة 2. موقف معين 3. صورته منطقيه .
- 4.زاوية جديدة لموضوع غير جديد.

— الاعتبارات التي تحدد قيم ألمقدمه هي^(٢١)

١. مقدرة ألمقدمه على جذب انتباه القارئ إلى الموضوع الذي يعالجه التقرير الصحفي.

٢. قدرة المقدمة على دفع القارئ إلى متابعة قراءة بقية التقرير الصحفي حتى النهاية .

ثانيا -:جسم التقرير الصحفي^(٢٢)

جسم التقرير الصحفي هو الجزء الذي يضم المعلومات والبيانات الجوهرية في موضوع التقرير ، كذلك يضم الأدلة والشواهد أو الحجج المنطقية الذي تدعم الموضوع الذي يتناوله التقرير.ومن الضروري إن يحرص كاتب التقرير على إن يضم جسم التقرير جانبين هامين هما:-

١. مسار الحدث أو أواقعه التي يتناولها التقرير وتطور هذا المسار من البداية حتى النهاية.

٢. الربط بين الوقائع التي يضمها التقرير وان يكشف عن العلاقات بينها حتى يكشف ما وراءها.

ثالثا -:خاتمة التقرير الصحفي^(٢٣)

وهي آخر جزء في التقرير الصحفي واهم ما فيه هو ما يلي:-

١. تقييم المحرر لموضوع التقرير الصحفي.

٢. عرض النتائج التي وصل إليها المحرر خلال بحثه في موضوع التقرير.

٣. التعميم لحقائق معينه أو آراء خاصة أو لبعض النتائج التي حصل عليها المحرر.

الشكل الآتي يوضح طريقة كتابة التقرير الصحفي المبني على قالب الهرم المعتدل

"المقدمة"

١. زاوية جديدة.

٢. صورته منطقيه.

٣. واقعة ملموسة.

٤. موقف معين.

"جسم التقرير"

1.المعلومات والبيانات الجوهرية.

2.الأدلة والشواهد والحجج المنطقية.

3. مسار الحدث أو الواقعة وتطورها.

4. الربط بين الوقائع والمعلومات.

"خاتمة التقرير"

1. التقييم للموضوع من قبل المحرر.

2. عرض النتائج التي وصل إليها المحرر.

3. التعميم لحقائق معينه أو آراء خاصة.

4. الإحكام الموضوعية.

سادسا - أهمية التقارير الصحفية:-

إن التقارير هي وسيلة أساسيه لتبادل المعلومات داخل الخدمة الواحدة وبين الخدمات المختلفة. لذلك فإن هناك الكثير من المميزات في التقارير المكتوبة التي تجعلها وسيلة الاتصال المناسبة:

- التقارير المكتوبة يمكن توزيعها على أكثر من شخص ليقرووه وبالتالي نتمكن من نقل المعلومة لمجموعه من الأشخاص.
- التقرير المكتوب يمكن الرجوع إليه في إي وقت بمعنى إن كل من يريد معرفة معلومة ما يرجع إلى التقرير.
- التقرير المكتوب يحفظ المعلومة للمستقبل بعكس التقارير الشفهية وبالتالي فهو يساعدنا على معرفة ما قد وصلنا إليه وما نحتاج إليه.
- التقرير المكتوب يمكننا من متابعة ودراسة أمور لا يمكن متابعتها شفها ، فليس من الممكن إن نستمع لتقرير شفهي يحتوي على أرقام عديدة ومعادلات وحسابات.
- التقرير المكتوب يكون منظما ويحتوي على المعلومات الأساسية وتحليل الموضوع بشكل أفضل بكثير من التقارير أو المحادثات الشفهية.
- التقارير المكتوبة تمكننا من رؤية الحقائق والأسباب والنتائج وأيضا تساعدنا على دراسة الأمور بفكر أكثر تنظيما^(٢٤)

سابعا - مميزات التقارير الصحفية

هناك عدة مميزات للتقرير الصحفي منها:-

- تحتوي على المعلومات اللازمة لفهم الموضوع
- منظمه ومقسمه إلى أقسام بحيث يسهل الوصول إلى أي معلومة
- طويلة وقصيرة بالقدر الكافي والمعتاد في الخدمة
- لا تحتوي على تفاصيل لا علاقة لها بالموضوع أو معلومات لاتهم القارئ
- موضح بها تاريخ إعداد التقرير والجهة التي أعدته
- تستخدم الوسائل التوضيحية المناسبة والمقبولة في الخدمة
- مكتوبة بأسلوب واضح وبلغه سليمة ومفهومة
- تكون مكتوبة بأمانه^(٢٥)

ثامنا :- فوائد التقارير الصحفية:

- بيان الجهود التي بذلت في إعداد التقرير .
- التعرف على مدى تحقق الهدف المراد الوصول إليه.
- تقييم الوسائل والأساليب المستخدمة والنتائج.
- التعرف على السلبيات والايجابيات ونقاط الضعف والقوه والاستفادة منها في المستقبل^(٢٦)

المبحث الثالث

الاطار العملي (التحليل المضمون)

تحليل المضمون :-

إن تحليل المضمون كغيره من المفاهيم الاجتماعية لم يحسم بتعريف واحد جامع مانع "محدد بدقه" إلى حد الاتفاق التام في ظل مشكلات حدود تطبيقاته وإجراءاته على المنجز الأدبي واللغوي بالرغم من التطور والتوسع الذي شهده في استخدام الأساليب والتقنيات على المستوى الدولي .ويمكن إيراد بعض أهم التعريفات لتحليل المضمون منها:-

1.تعريف بيرلسون 1971 – 1952 Berelson والذي يرى فيه إن تحليل المضمون هو "وهو احد الأساليب البحثية التي تستخدم في وصف المحتوى الظاهر أو المضمون الصريح للمادة الإعلامية وصفا موضوعيا منتظما ، كميا."

2.تعريف كابلان " 1943 تحليل المحتوى هو المعنى الإحصائي للأحداث والخطب السياسية."

3.تعريف بيزلي " 1969 Paisley تحليل المحتوى هو احد أطوار تجهيز المعلومات حيث يتحول فيه المحتوى الاتصالي إلى بيانات يمكن تلخيصها ومقارنتها وذلك بالتطبيق الموضوعي والتنسيقي لقواعد التصنيف الفئوي^(٢٧)

وحدة البحث:-

اخترت وحدة الموضوع لأنها من أكثر الوحدات ملائمة للبحث ، وان وحدة الموضوع هي :-

عبارة عن فكرة تدور حول مسألة معينة وهي من أهم وحدات التحليل لأنها تكشف عن الآراء والاتجاهات الرئيسية في مادة الاتصال .وتختلف طبيعة الموضوعات بحسب نوع المادة ولكنها من ناحية أخرى من أصعب وحدات التحليل إذا نظرنا لمسألة الثبات وكذلك المجهود الذي يقوم به الباحث لقراءة المقالات كافة مثلاً لمعرفة الأفكار الرئيسية التي تدور حولها كل مقاله^(٢٨)

صحيفة المشرق

دراسة تحليلية للفترة من 1-1-2013 م ولغاية 1-2-2013

تحليل المضمون

النموذج رقم (١) :

"الفئات الرئيسية لفن التقرير الصحفي"

العدد	الفئات الرئيسية	التكرار	النسبة المئوية	المراتب
1	الفئة السياسي	70	30,7 %	المرتبة الأولى
2	الفئة الرياضية	60	26,3 %	المرتبة الثانية
3	الفئة الاقتصادية	30	13,1 %	المرتبة الثالثة
4	الفئة العسكرية	21	9,2 %	المرتبة الرابعة

5	الفئة الثقافية	20	7 % 8	المرتبة الخامسة
6	الفئة الفنية	18	8 % 7	المرتبة السادسة
7	الفئة الاجتماعية	9	9 % 3	المرتبة السابعة
	المجموع	228	7 100،99	

تفسير الفئات الرئيسية:-

تتكون الفئات الرئيسية من عدة فئات منها:-

فئة " التقارير السياسية " التي حصلت على المرتبة الأولى بتكرار 70 ونسبة مئوية قدرها 30،7 %

لقد اهتمت الصحف العراقية والبالذات صحيفة المشرق بنشر التقارير السياسية كون السياسية كون السياسة اضحت اليوم هي اللاعب الاساسي بالساحة العراقية بعد تقلبات الاحداث وتغييرها والتحول الذي حصل في العراق بعد عام ٢٠١٣ ، لذلك فان هذا الفئة حصلت على المرتبة الاولى.

فئة " التقارير الرياضية " وقد حصلت على المرتبة الثانية بتكرار 60 ونسبه مئوية 26،3 %

اهتمت صحيفة المشرق بنشر التقارير الرياضية وذلك لأنها تهتم فئة الشباب وهي فئة غير قليلة سواء كانت شباب أو فتيات كل ذلك ساعد على الاهتمام بالجانب الرياضي.

فئة " التقارير الاقتصادية " حصلت على المرتبة الثالثة بتكرار 30 وبنسبة مئوية قدرها ١٣،١ %.

تعتبر الموضوعات الاقتصادية من المواضيع المهمة لأنها تعبر عن اقتصاد البلد ومدى تطوره وأهميته لذلك كانت في مرتبة متقدمه نظرا لما تمثله لكافة الشرائح والفئات في المجتمع.

فئة " التقارير العسكرية " والتي حصلت على المرتبة الرابعة بتكرار 21 ونسبة مئوية قدرها 9،2 %

إن موضوع الأمن والأمان موضوع مهم لذلك يعتبر من أهم المواضيع التي يتجه إليها القراء بسبب الأوضاع التي مر بها العراق من ظروف امنيّة ومكافحة الارهاب .
فئة" التقارير الثقافية "والتي كانت في المرتبة الخامسة بتكرار 20 ونسبة مئوية قدرها ٨,٧ %.

لقد حصلت نشاطات ادبية وثقافية وفكرية محليه وعربية عالمية ، انعكست من خلال تقارير التي نشرت حول تلك النشاطات من ما يدل على ان هناك اهتمام بالانشطة الادبية والثقافية .

فئة" التقارير الفنية "والتي حصلت على المرتبة السادسة بتكرار 18 ونسبة مئوية 7 ، 8 %

تعتبر التقارير الفنية من المواضيع التي تهم فئة محدودة لذلك لم تحظى باهتمام كافي ، وعدم نشر مثل هذا النوع من التقارير أدى إلى إن تحصل على هذه المرتبة القليلة.
فئة" التقارير الاجتماعية "والتي كانت في المرتبة الأخيرة وهي المرتبة السابعة بتكرار 9 ونسبة مئوية قدرها 3 ، 9 %

على الرغم إن المواضيع الاجتماعية تهم فئة ليست بالقليلة إلا أننا نلاحظ أنها لم تحظى بالاهتمام الكافي فنادرًا ما نقرا مواضيع خاصة بحقوق الإنسان ، كل ذلك أدى إلى حصولها على هذه المرتبة.

النموذج رقم (٢)

"الفئات الفرعية للفئة الرئيسية الأولى (السياسية)

العدد	الفئات الفرعية	التكرار	النسبة المئوية	المراتب
1	دول الجوار	6	33، 3 %	المرتبة الأولى
2	البرلمان العراقي	5	27، 7 %	المرتبة الثانية
3	الصراعات الداخلية	4	22، 2 %	المرتبة الثالثة
4	المعارضه	3	16، 6 %	المرتبة الرابعة
	المجموع	18	100، 99 8	

تفسير الفئات الفرعية للفئة الرئيسية الأولى السياسية

تتكون الفئات الفرعية للفئة الرئيسية الأولى من الجدول الرئيسي من مجموعة فئات

فرعية منها:-

فئة " دول الجوار "الفئة الفرعية الأولى من الفئة الرئيسية الأولى والتي حصلت على المرتبة الأولى بتكرار 6 ونسبة مئوية قدرها 33 ، % 3.

كان لدول الجوار مع العراق دور كبير ومؤثر على الساحة السياسية وكذلك بالأزمات التي حصلت في البلد ، وقد اشتركت كل الدول المجاورة مع العراق كتركيا والسعودية والأردن وإيران وسوريا والكويت بذلك ، ولهذا فقد حصلت هذه الفئة على المرتبة الأولى.

فئة " البرلمان العراقي "الفئة الفرعية الثانية من الفئة الرئيسية الأولى حيث حصلت على تكرار 5 ونسبة مئوية قدرها 27 ، % 7.

تعد أعلى سلطة في البلد هي السلطة التشريعية المتمثلة بالبرلمان ، وان لهذا السلطة الدور الكبير والمؤثر على المجتمع والشارع العراقي لذلك حصلت هذا الفئة مرتبة مقدمة .

فئة " الصراعات الداخلية "الفئة الفرعية الثالثة من الفئة الرئيسية الأولى والتي حصلت على المرتبة الثالثة بتكرار 4 ونسبة مئوية 22 ، % 2.

بعد سقوط الصنم وتحول البلد الى دولة مؤسسات وبدأت السير بخطوات نحو الديمقراطية ، نشبت صراعات بين السلطات الثلاث وكذلك بين الكتل السياسية ، وصراعات شخصية ، وصراعات بين المركز والاقليم وهكذا .

فئة " المعارضة "الفئة الفرعية الرابعة من الفئة الرئيسية الأولى والتي حصلت على المرتبة الأخيرة بتكرار 3 ونسبة مئوية 16 ، % 6.

حصلت فئة المعارضة على المرتبة الرابعة والاخيرة بسبب عدم وجود معارضة حقيقية لان الكل ممثل في الحكومة والكل معارض لها!!! .

وبالتالي كان مجموع التكرارات هو 18 ومجموع النسب هو 99 ، % 8 وبتقريب العدد يصبح. 100 %

النموذج رقم (٣)

"الفئات الفرعية للفئة الرئيسية الثانية (الرياضية)

العدد	الفئات الفرعية	التكرار	النسبة المئوية	المراتب
1	كرة القدم	8	47، 0 %	المرتبة الأولى
2	ألعاب القوى	4	23، 5 %	المرتبة الثانية
3	كرة السلة	3	17، 6 %	المرتبة الثالثة
4	الملاكمة	2	11، 7 %	المرتبة الرابعة
	المجموع	17	99، 100 % 8	

تفسير الفئات الفرعية للفئة الرئيسية الثانية (الرياضية) :

تتكون الفئات الفرعية للفئة الرئيسية الثانية من الجدول الرئيسي من مجموعة فئات فرعية منها:-

فئة " كرة القدم " الفئة الفرعية الأولى من الفئة الرئيسية الثانية والتي حصلت على المرتبة الأولى بتكرار 8 ونسبة مئوية 47، 0%

ان الجمهور العراقي بكافة شرائحه يهتم كثيرا بكرة القدم ،لذلك تم التركيز على هذا الموضوع وإعطائه مساحة اكبر من غيرها من الألعاب الأخرى.

فئة " ألعاب القوى " الفئة الفرعية الثانية من الفئة الرئيسية الثانية والتي حصلت على المرتبة الثانية بتكرار 4 ونسبة مئوية قدرها 23 ، 5 %

تعتبر فئة ألعاب القوى من المواضيع المهمة وذلك بسبب تعددها وتنوعها، الأمر الذي أدى إلى إعطاها هذه المرتبة المتقدمة وذلك حسب صحيفة المشرق.

فئة " كرة السلة " الفئة الفرعية الثالثة من الفئة الرئيسية الثانية فقد حصلت على المرتبة الثالثة بتكرار 3 ونسبة مئوية قدرها 17 ، 6%

نستطيع ان نقول ان مواضيع كرة السلة تعتبر مهمة ولكنها تهم فئة قليلة بالنسبة للفئات الأخرى وخاصة بالعراق فكان ذلك سبب رئيسي لحصولها على هذه المرتبة.

فئة" الملاكمة "الفئة الفرعية الأخيرة من الفئة الرئيسية الثانية والتي حصلت على المرتبة الرابعة بتكرار 2 ونسبة مئوية حصلت الملاكمة على المرتبة الأخيرة بسبب محدودية الجمهور المتابع لتلك الرياضة . وبالتالي كان مجموع التكرارات هو 17 ومجموع النسب المئوية هو 99،8 % وبتقريب العدد يصبح. 100 %

النموذج رقم (٤)

الفئات الفرعية للفئة الرئيسية الثالثة الاقتصادية

العدد	الفئات الفرعية	التكرار	النسبة المئوية	المراتب
1	البنك المركزي	6	60 %	المرتبة الأولى
2	الاستثمار	2	20 %	المرتبة الثانية
3	تخصيص الموازنة	2	20 %	المرتبة الثانية
	المجموع	10	100 %	

تفسير الفئات الفرعية للفئة الرئيسية الثالثة الاقتصادية :-

تتكون الفئات الفرعية للفئة الرئيسية الاقتصادية من مجموعة فئات منها:-

فئة" البنك المركزي "الفئة الفرعية الأولى من الفئة الرئيسية الثالثة والتي حصلت على المرتبة الأولى بتكرار 6 ونسبة مئوية قدرها (60%).

لقد كان تقلبات التي حصلت في البنك المركزي العراقي والقائمين عليه وظروف العملة وهبوط سعر الدينار العراقي امام الدولار الامريكي والعملات الاجنبية الاخرى ، دور كبير في ان تحصل على المرتبة الاولى .

-إما فئة" الاستثمار " وفئة" تخصيص الموازنة "الفئتين الفرعية الثانية من الفئة الرئيسية الثالثة حيث حصلتا على المرتبة الثانية بتكرار متساوي وهو 2 ونسبة مئوية قدرها 20 %

هذه الفئتين متقاربتين بالاهمية حيث إن الاستثمار هو الذي ينهض باقتصاد إي بلد والموازنة هي التي تحدد المبالغ التي سوف يتم صرفها من قبل الدولة من أجل أعمال

البناء والتطور ووالنهوض بالبلد، إلا ان المماثلة باقرارها في البرلمان ادى الى عدم الاهتمام بها. ولذلك حصلت على المرتبة الأخيرة.

النموذج رقم (٥)

"الفئات الفرعية للفئة الرئيسية الرابعة العسكرية"

العدد	الفئات الفرعية	التكرار	النسبة المئوية	المراتب
1	العمليات الإرهابية	5	50 %	المرتبة الأولى
2	الاستعراضات العسكرية	3	30 %	المرتبة الثانية
3	الأجهزة الأمنية	2	20 %	المرتبة الثالثة
	المجموع	10	100 %	

تفسير الفئات الفرعية للفئة الرئيسية الرابعة العسكرية

تتكون الفئة العسكرية من مجموعة فئات فرعية منها:-

-فئة" العمليات الإرهابية "الفئة الفرعية الأولى من الفئة الرئيسية الرابعة والتي حصلت على المرتبة الأولى بتكرار 5 ونسبة مئوية 50 % .

حصلت على هذه المرتبة نتيجة الهجمة الارهابية المنظمة على البلد التي تحاول تعطيل العملية السياسية والعمرانية والثقافية .

-فئة" الاستعراضات العسكرية "الفئة الفرعية الثانية من الفئة الرئيسية الرابعة والتي حصلت على المرتبة الثانية بتكرار 3 ونسبة مئوية قدرها 30 % .

برزت أهميتها خاصة في عيد الجيش حيث استعرض الجيش كافة وحداته في مختلف الصنوف الجوية والبرية والبحرية ، والصنوف المساندة .

-فئة" الأجهزة الأمنية "الفئة الفرعية الثالثة من الفئة الرئيسية الرابعة والتي حصلت على المرتبة الثالثة بتكرار 2 ونسبة مئوية ٢٠ %.

قد يكون للجيش والشرطة الدور الاكبر ولكن مانتشر عنها من تقارير قليل لذلك جاءت بهذه المرتبة .

النموذج رقم (٦)

"الفئات الفرعية للفئة الرئيسية الخامسة الثقافية"

العدد	الفئات الفرعية	التكرار	النسبة المئوية	المراتب
1	السينما الثقافية	6	50 %	المرتبة الأولى
2	القصة القصيرة	4	33 %، 3	المرتبة الثانية
3	الرسم على الزجاج	2	16 %، 6	المرتبة الثالثة
	المجموع	12	99 %، 100 9	

تفسير الفئات الفرعية للفئة الرئيسية الخامسة الثقافية

تتكون الفئات الفرعية للفئة الرئيسية الثقافية من مجموعة فئات منها:-

فئة "السينما" الفئة الفرعية الأولى من الفئة الرئيسية الخامسة والتي حصلت على المرتبة الأولى بتكرار 6 ونسبة مئوية قدرها 50 % . وذلك لما لعبته السينما من دور كبير في التأثير على الجمهور الكبير المتابع .

- اما فئة " القصة القصيرة "الفئة الفرعية الثانية من الفئة الرئيسية الخامسة والتي حصلت على المرتبة الثانية بتكرار 4 ونسبة مئوية قدرها 33 %، 3. حيث اهتم الادباء والكتاب كثيرا بكتابة القصة القصيرة واصبح لها جمهور كبير ..

وحازت فئة " الرسم على الزجاج "الفئة الفرعية الثالثة من الفئة الرئيسية الخامسة على المرتبة الثالثة بتكرار 2 ونسبة مئوية قدرها 16 % ، 6، حيث إن موضوع الرسم على الزجاج يعتبر فنا ثقافيا له تاريخ جميل تم الاعتراف به قبل عدة سنين .

ونتيجة ذلك كان مجموع التكرارات هو 12 ومجموع النسب المئوية هو 99 % ، 9 وبتقريب العدد يصبح 100 %

النموذج رقم (٧)

"الفئات الفرعية للفئة الرئيسية السادسة الفنية"

المراتب	النسبة المئوية	التكرار	الفئات الفرعية	العدد
المرتبة الأولى	44 %، 4	4	Arab Idol "عرب أيدل"	1
المرتبة الثانية	33 %، 3	3	تطور الدراما العراقية	2
المرتبة الثالثة	22 %، 2	2	أجور فنانين الدراما في سوريا	3
	99 %، 100، 9	9	المجموع	

تفسير الفئات الفرعية للفئة الرئيسية السادسة الفنية:-

تتكون الفئات الفرعية للفئة الرئيسية الفنية من مجموعة فئات منها:-

فئة "Arab Idol" عرب أيدل "الفئة الفرعية الأولى من الفئة الرئيسية السادسة والتي حصلت على المرتبة الأولى بتكرار قدره 4 ونسبة مئوية قدرها 44 %، 4 .

حاز هذا البرنامج على متابعة كبيرة من قبل الجمهور لذلك كان لزاماً على الصحف أن تهتم بهذا البرنامج وتنتشر التقارير عنه استجابة لرغبة الجمهور في الحصول على معلومات أكثر عن خفايا البرنامج والنجوم الذين يقدمونه ، لذلك حصلت هذه الفئة على المرتبة الأولى

فئة "تطور الدراما العراقية" الفئة الفرعية الثانية من الفئة الرئيسية السادسة والذي حصل على المرتبة الثانية بتكرار 3 ونسبة مئوية قدرها 33 %، 3

بعد سنوات طويلة بدأت الدراما العراقية بتقديم أعمالاً برؤية مغايرة وبطرق جديدة تعتمد على السرد القصصي وإظهار المعاناة ، والبعض الآخر اعتمد على النقد اللاذع وأحياناً المبالغ به ، لذلك حصلت تلك الفئة على هذه المرتبة .

فئة "الدراما السورية" الفئة الفرعية الأخيرة من الفئة الرئيسية السادسة والتي حصلت على المرتبة الثالثة بتكرار 2 ونسبة مئوية قدرها 22 %، 2

استطاعت الدراما السورية ان تفرض سيطرتها على الساحة الفنية العراقية والعربية ، وبرزت بشكل لافت تفوقت حتى على الدراما المصرية لذلك كان لها مكان في التقارير الصحفية .

وبالنهاية كان مجموع التكرارات هو 9 ومجموع النسب المئوية و 99%، 9 وبتقريب العدد يصبح مجموع النسب المئوية هي 100 % .

النموذج رقم (٨)

"الفئات الفرعية للفئة الرئيسية السابعة الاجتماعية"

العدد	الفئات الفرعية	التكرار	النسبة المئوية	المراتب
1	العنف الأسري	5	50 %	المرتبة الأولى
2	حقوق الإنسان	3	30 %	المرتبة الثانية
3	تعويض العوائل	2	20 %	المرتبة الثالثة
	المجموع	10	100 %	

تفسير الفئات الفرعية للفئة الرئيسية السابعة الاجتماعية

تتكون الفئات الفرعية للفئة الرئيسية الاجتماعية من مجموعة فئات منها:-

فئة " العنف الأسري " الفئة الفرعية الأولى من الفئة الرئيسية السابعة والتي حصلت على تكرار قدره 5 ونسبة مئوية قدرها 50 % .

ان الظروف التي يعيشها البلد من بطالة وظروف اقتصادية صعبة خلقت جواً اسرياً مشحوناً ، وبالتالي انعكست على سلوك البعض وادى الى حصول عنف اسري ، لذلك حصلت هذه الفئة على المرتبة الاولى .

فئة " حقوق الإنسان " الفئة الفرعية الثانية من الفئة الرئيسية السابعة والتي حصلت على المرتبة الثانية بتكرار 3 ونسبة مئوية قدرها 30 %

اصبحت المنظمات العالمية لحقوق الانسان منظمات المجتمع المدني التي تهتم بتلك الحقوق وتدافع عنها ، بحيث لعبت دوراً اساسياً في الكشف عن الحقائق ووقائع

نشرت في وسائل الاعلام عبر تقارير تضم خفاية وانتهاكات ، واحياناً الانجازات فيما يخص حقوق الانسان

فئة "تعويض العوائل" الفئة الفرعية الأخيرة من الفئة الرئيسية السابعة واتي حصلت على المرتبة الثالثة بتكرار 2 ونسبة مئوية 20 % ..

كان هناك اهتماماً كبيراً في العراق بعد عام ٢٠٠٣ بتعويض بعض الفئات التي عانت من ظروف السجون السياسية والهجرة والمهجرين حيث وضعت رواتب لهم وعوضتهم مادياً ومعنوياً .

وبالنتيجة كان مجموع التكرارات هو 10 ومجموع النسب المئوية تكون 100 %

النتائج

توصلنا بحمد الله من خلال دراسة سمات التقرير الصحفي في صحيفة المشرق الى عدد من الحقائق اهمها:

١ — الاهتمام الكبير بالتقارير السياسية والتي كان لها النسبة الأكبر من بين جميع التقارير والتي حصلت على المرتبة الأولى.

٢ — قلة الاهتمام بالتقارير الاجتماعية فقد كان لها نصيب قليل جدا حيث أنها حصلت على المرتبة الأخيرة على الرغم من أهميتها بالنسبة للقراء كونها تتناول القضايا الاجتماعية مثل العنف الاسري ومساعدة الفقراء وجمعيات حقوق الإنسان وأيضا التعويض الذي يعطى للعوائل وغيرها من الأمور الاجتماعية التي تهم القراء.

٣ — اهتمام صحيفة المشرق بالتقرير الصحفي في مختلف الموضوعات كونه يقوم على شرح وتفسير الكثير من الإخبار بشكل مفصل ودقيق.

٤ — لاحظنا من خلال معطيات البحث ان كتابة التقرير الصحفي في الغالب تكتب بطريقة (التحقيق الصحفي) ! وهذا في الحقيقة دليل على عدم مهنية البعض الذين يكتبون التقرير الصحفي ، اذ ان للتقرير طريقة في الكتابة وسمات خاصة به نتطرقنا لها بشكل تفصيلي من خلال البحث.



- (١) أفنان محمد: فن التقرير الصحفي في الصحف العراقية، مقدمة إلى مجلس كلية الآداب- جامعة بغداد، 2001، ص. 3.
- (٢) د.وجيه محبوب: طرائق البحث العلمي ومناهجه، بغداد، دار الحكم للطباعة والنشر 1993، ص 297.
- (٣) المصدر السابق نفسه.
- (٤) د.فاروق أبو زيد: فن أكتابه الصحفية، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة. عام 2007م، ص. 134.
- (٥) د.محمد فريد محمود عزت: المقالات والتقارير الصحفية (أصول إعدادها وكتابتها)، حقوق النشر والتوزيع محفوظة للكاتب، عام 1998، ص 117 و ص. 118.
- (٦) موقع الكتروني "منتدى الإعلام التربوي" ص3
http://ad.doubleclick.net/jump/Jeeran_Memberpages/memberpages;gender=;lang=;category=
 : يوم الثلاثاء 2012-3-24 م.
- (٧) د.لطفي ناصف الإخبار الصحفية صناعة سياسة فن) القاهرة، مطبعة التبشير، (1988، ص. 234.
- (٨) د.فاروق أبو زيد: مصدر سابق تم ذكره، ص. 137.
- (٩) د.لؤي خليل: الإعلام الصحفي، دار اسأمة للنشر والتوزيع، عمان-الأردن 2009 م، ص. 65.
- (١٠) موقع الكتروني: مصدر سابق تم ذكره،
http://ad.doubleclick.net/jump/Jeeran_Memberpages/memberpages;gender=;lang=;category=
 : يوم الثلاثاء 2012-3-24 م
- (١١) د. لؤي خليل: مصدر سابق تم ذكره، ص. 66.
- (١٢) د.عبد العزيز شرف: الأساليب الفنية في التحرير الصحفي، دار إنباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000. ص. 312.
- (١٣) د.لؤي خليل: مصدر سابق تم ذكره، ص. 66.
- (١٤) د.فاروق أبو زيد: مصدر سابق تم ذكره، ص. 151.
- (١٥) د.عبد الخالق محمد علي: فن التحرير الصحفي، دار المحجبة البيضاء، ص. 134.
- (١٦) د.محمود ادهم: الأسس الفنية للتحرير الصحفي، ص. 126، ص. 127.
- (١٧) د. فاروق أبو زيد، مصدر سابق تم ذكره، ص. 166.
- (١٨) د.فاروق أبو زيد: الصحافة المتخصصة، (عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة) 2008 م، ص 148. موقع الكتروني منتدى الدراسات والبحوث، ص. 6. يوم الثلاثاء 2012-3-24 م

a her f="http://www.histats.com" target="_blank"> <imp
sac="http://s4.histats.com/stats/0.gif?851958&1" alt="free statistics"
border="0">

- (١٩) منتدى الدراسات والبحوث، مصدر سابق تم ذكره ، ص.8
- (٢٠) د.فاروق المصدر نفسه.أبو زيد :فن أكتابه الصحفية،مصدر سابق تم ذكره ،ص140 ،ص.141
- (٢١) د.محمد فريد محمود عزت:المقالات والتقارير الصحفية(أصول إعدادها وكتابتها)،حقوق النشر والتوزيع محفوظة للكاتب،عام1998،ص118،ص.119
- (٢٢) المصدر نفسه.
- (٢٣) د. فاروق ابو زيد : مصدر سابق تم ذكره ،ص.142
- (٢٤) موقع الكتروني :- منتدى الإعلام التربوي ،مصدر سابق تم ذكره ،ص.7
- (٢٥) د. عبد الرحمن دركزلي :سلسلة التعليم الذاتي لفن التقرير الصحفي، مقدم لجامعة الامارات العربية،2007،ص.4
- (٢٦) موقع الكتروني :مصدر سابق تم ذكره، ص.3
- (٢٧) د. ليث بدر يوسف محمد الراوي:المقال الصحفي في الصحافة العراقية ،أطروحة مقدمه لكلية الإعلام، 2005م ،ص.15-16
- (٢٨) المصدر نفسه.

المصادر والمراجع

- (١) إسماعيل إبراهيم : فن التحرير الصحفي بين النظرية والتطبيق ، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط 1، 1998.
- (٢) أفتان محمد : فن التقرير الصحفي في الصحافة العراقية، رسالة ماجستير ، 2001.
- (٣) د. عبد الرحمن دركزلي :سلسلة التعليم الذاتي لفن التقرير الصحفي، مقدم لجامعة الإمارات العربية، 2007.
- (٤) عبد العزيز شرف: الأساليب الفنية في التحرير الصحفي ،دار الإنباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة 2000م.
- (٥) فاروق أبو زيد : الصحافة المتخصصة ، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة ، 2008م.
- (٦) فاروق أبو زيد : فن الكتابة الصحفية ، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة عام 2007م.
- (٧) لؤي خليل : الإعلام الصحفي ، دار إسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2009م.
- (٨) لطفي ناصف : الإخبار الصحفية صناعة سياسة فن ، القاهرة ، مطبعة التبشير، 1988م.
- (٩) ليث بدر يوسف محمد الراوي:المقال الصحفي في الصحافة العراقية ،أطروحة مقدمه لكلية الإعلام ، 2005م.

- ١٠) محمد فريد محمود عزت : المقالات والتقارير الصحفية ، حقوق النشر والتوزيع محفوظة للكاتب ، 1998 م.
- ١١) محمد فريد محمود عزت : الدراسات في فن التحرير الصحفي ، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة ، 1984 م.
- ١٢) محمود ادهم : الأسس الفنية التحرير الصحفي ، حقوق النشر محفوظة للكاتب ، 1988 م.
- ١٣) وجيه محبوب : طرائق البحث العلمي ومناهجه ، بغداد ، دار الحكم للطباعة والنشر ، 1993 م .
- ١٤) موقع الكتروني : منتدى الإعلام التربوي . يوم الثلاثاء 24-3-2012 م
- ١٥) http://ad.doubleclick.net/jump/Jeeran_Memberpages/memberpages;gen;der=;lang=;category=
- ١٦) موقع الكتروني : منتدى الدراسات والبحوث ، يوم الثلاثاء 24-3-2012 م
- 17) `a her f="http://www.histats.com" target="_blank"> <imp sac= "http://s4.histats.com/stats/0.gif?851958&l" alt="free statistics" border="0">`

***Death of a Salesman:* Arthur Miller's Viewpoint on Materialism**

**Ahmed W. Hachim, M.A
Department of English, College
of Arts, Al-Iraqia University**

Abstract

Arthur Miller (1915-2005) is one of the most illustrious American playwrights during the post-1945 period. Miller realises the impact of materialism on the American society as derived from the money-oriented individual, the distorted concept of the American Dream, and corrosive Capitalism. Subsequently, he tackles it through his Tony Award and Pulitzer Prize-winning play, *Death of a Salesman* (1949) with great emphasis. The study examines the impact of materialism on both the individual and society alike. In addition, it raises some questions: Is pursuing a materialistic way of living incarnated as an attempt with dire consequences? Or is the protagonist's undependable and incompetent character the problem behind his tragic end? Does materialism in a capitalistic society have a positive side? If so, does money outweigh morals?

مسرحية موت بائع متجول : وجهة نظر آرثر ميلر تجاه المادية

م.م. أحمد ويس حاجم

قسم اللغة الانكليزية ، كلية الآداب ، الجامعة العراقية

المُلخَص

يُعد آرثر ميلر (١٩١٥ - ٢٠٠٥) من بين أكثر الكُتّاب المسرحيين الأمريكيين شهرةً ما بعد فترة منتصف الاربعينات من القرن العشرين. أدرك ميلر تأثير المادية على المجتمع الأمريكي كونها نتاج الفرد المادي والمفهوم المشوّه للحلم الأمريكي والرأسمالية البغيضة ، لذا فإن ميلر تعامل مع المادية خلال مسرحيته موت البائع (١٩٤٩) الفائزة بجائزتي تونيوبولتزر للمسرحية بشكل مُركز. تتناول الدراسة تأثير المادية على الفرد والمجتمع سواء ، فضلاً عن طرحها لبعض الأسئلة: هل يُعد إتباع الطريقة المادية في العيشمُسعى ذو عواقب وخيمة؟ أم إنّ شخصية بطل المسرحية الغير كفوءة والتي لا يعول عليها هي السبب وراء نهايته المأساوية؟ وهل للمادية في ظل المجتمع الرأسمالي جانب ايجابي؟ وإذا كان الامر كذلك ، فهل من الممكن ترجيح دفعة المال على الاخلاق؟

To begin with materialism one needs to be acquainted with a clear definition of that concept whether socially or even philosophically. Materialism, technically, is “the belief that money, possessions and physical comforts are more important than spiritual values.” In philosophy, it “means the belief that only material things exist.”⁽¹⁾ The essence of both approaches exists within the play to reflect the image of the individual accomplishing material desires.

As a recurring theme in *Death of a Salesman*, materialism is connected with and rooted in the American Dream—an idea and principle which is profoundly criticised through this play. The play is set in late forties capitalist America, where the idea of the American Dream had just renewed or distorted. Most of Miller’s criticism of the Dream is centred around Willy Loman’s overvaluations of material and shallow things—appearances, attractions, and illusions—in comparison with other things required to survival—values, morals, and facts.⁽²⁾

Written within a complex setting; time, and place, *Death of a Salesman* deals with a failure salesman, Willy Loman, the protagonist, and his three-member family. Willy, who depends on a false dream and wrong principles to achieve it, realises that his sons are failure too. Willy believes that he and his sons are well-liked, so they should be successful. He also thinks that their neighbours, Charley and his son, Bernard are not liked, so they should be failure. He proves that he is wrong. As a result, he escapes from the real life to dream of his father’s, brother’s, and a salesman’s successful career through flashbacks. Lastly, because of the merciless capitalism—embodied by Willy’s employer, Howard—his materialism and pomposity, and his failed relationship with his family, particularly, his eldest son, Biff, Willy drives his car to death in order to supply his family with a good insurance as a way of achieving success via his death in the eyes of his family.

Death of a Salesman is a blend of multiple genres: tragedy, social or domestic, realistic, and expressionistic play. Despite the various interpretations made by Miller and some critics about the play, the former regards it dealing with “the suppression of the individual by placing him below the imperious needs of . . .

society.”⁽³⁾ Such needs are represented by getting attraction, wealth, and fame. In other words, achieving what is known as the American Dream, whether in good or bad means. For that reason, many scholars, readers, and theatregoers consider *Death of a Salesman* as Miller’s “American Masterpiece,” for it “explores the perils of unchecked capitalism.” It is also “an aggressive critique of Western materialism and the frequent, painful side-effects for those in its wake.”⁽⁴⁾

At the very beginning of the play, a description of a typical American house in the 1940s is drawn carefully. Apparently, such a description might be usual, but it is so essential that it reflects the increasingly urbanised and materialistic society at that time. Miller opens his play by saying:

Before us is the Salesman's house. We are aware of towering, angular shapes behind it, surrounding it on all sides. Only the blue light of the sky falls upon the house and forestage; the surrounding area shows an angry glow of orange. As more light appears, we see a solid vault of apartment houses around the small, fragile-seeming home. . . . To the right of the kitchen, on a level raised two feet, is a bedroom furnished only with a brass bedstead and a straight chair. On a shelf over the bed a silver athletic trophy stands[Italics are in the original text].⁽⁵⁾

Indeed, the description of a typical American household with a kitchen, living room, and a couple of bedrooms with few pieces of furniture compromises the symbolic setting of the play. Surrounded by “*angular shapes*” of the tall apartment buildings, the “*small, fragile-seeming home*” reflects how difficult for the individual to achieve the American Dream amid society.

The setting also refers to the negative impact of materialism, progress, and urbanism on the Loman’s house, so it symbolises “Willy’s lack of success.” In the same way, “the apartments dwarf Willy’s house, making Willy Loman the “low man” in the neighbourhood, someone who has seen others rise while he has not.”⁽⁶⁾ As if the house was the only one in which a poor

family lived in a period known for easy making money. "The claustrophobic effect of the large apartments," the readers and spectators feel, "suggests Willy's insignificance and the idea that progress and business seem to have passed him by."⁽⁷⁾

Additionally, these large apartments allow only the least amount of blue light from the sky to fall upon the Lomans house. The "*solid vault of apartment houses*" is an ironical reference either to "a site of banking, investing, and finance, or to a site of entombment, entrapment, a place of no exit." Such a view "clearly draws attention to the fragility of the Loman home [and] creates a trope for the decline of the natural world."⁽⁸⁾ The "*silver athletic trophy*" symbolises, in general, the American Dream of "life, liberty, and pursuit of happiness" and the ownership of property as it was emphasised in the Declaration of Independence (1776). While, in particular, "the trophy is symbolic of the competition within American capitalism."⁽⁹⁾

The first image of Willy Loman coming home raises sympathy and pity because the readers or spectators see him enter carrying two large heavy valises. They are literally filled with samples to be sold, though they are never shown, but symbolically they are filled with sixty-odd years of Willy's lifespan. Obviously, Willy is exhausted physically and spiritually and this exhaustion is apparent in the image of a distressed salesman with bending shoulders, and bent head with a hat on. Thus, he represents a defeated man burdened with life's needs.⁽¹⁰⁾

Right after his return home, Willy Loman anticipates his own failure and death. He humbly tells Linda, his wife: "I'm tired to the death" (*DS*, I.1). Such a phrase figuratively means "exhausted," yet, and it can be interpreted literally for Willy has attempted suicide several times and is planning to try it. Therefore, he proceeds: "I couldn't make it. I just couldn't make it, Linda" (*DS*, I. 1).

While Biff and Happy, Willy's sons, are discussing their father's situation, they express their dissatisfaction with their own jobs. They talk about their future which is ambiguous for them. They are dissatisfied with their present too. Biff shows his tediousness and contempt for experiencing different kinds of jobs

but in vain. Future for him is unrecognizable and unattainable because like every irresponsible and reckless person he is not interested in planning it properly.

Indeed, such a view is so common at that time and still prevailing nowadays. Biff expresses his intention to work on a farm with horses. He longs for being in the middle of nature far away from the city and its choking atmosphere. He refers to the negative side of the money-oriented city in comparison with non-materialistic country. But, the difference is so clear in earning money. "Like his father," in this sense, "Biff is torn between rural nostalgia and his need for solid achievement, and is tormented by the knowledge of personal failure."⁽¹¹⁾ Biff confesses to Happy: "I've always made a point of not wasting my life" (*DS*, I. 11). On his part, Happy shows a selfish attitude toward his employer, and he shows other vices like envy and greed too. Clearly, the impact of the society's grasping inclinations is expressed.

What Happy thinks about is to become the future boss and to be the only judge on faulty people. In fact, this is a reckless dream because he has no qualifications to achieve it. That is why he longs to get what he dreams of at the expense of deserting morals, ideals, and principles. Happy believes that he is an admired and attracted man who only cares for appearances, money, dreams, and getting possessions and women. Indeed, these are among the repercussions of materialism. As a "philandering bum" (*DS*, I. 41), Happy like his father and may be his generation, represents "the shallowness of his filial emotions."⁽¹²⁾

Miller wishes to express his vision about materialism through the conversation between Biff and Happy. That vision is not a criticism to attainable dreams, rather, it is so to overambitious dreams, irresponsible people, and materialistic society. The images of the two sons dreaming vainly reflect their father's too in various ways. In this connection, both father and his eldest son "feel a deep attraction to the beauty of nature, but while Willy chooses to lead a life bound by materialism, Biff chooses a life of simplicity in the open reaches of the West."⁽¹³⁾ And both Willy and Happy share the same attitudes of being envious, competitive, and acquisitive.

One of the false principles inherited from their father is to be a well-liked person. Definitely it is not a crime to be so, but the matter is how to be one or how to employ that properly in a society though cares for appearances, it is most of the times cares for money. Thus, the “contemporary equivalent of Willy’s desire to be well liked is the wish to be famous. . . . Fame is not so much the spur as the point of living, the substitution of seeming for being.”⁽¹⁴⁾

In addition, there is no consideration for dishonesty or even unfaithfulness. In this respect, Miller expresses his opinion about stealing and he also wants to criticise both Willy and Biff. With the presence of Happy, Biff proudly shows his father a ball he has stolen. Even though Happy assures that his father will get angry at that, it seems that Willy does not care about his son’s theft, particularly, when he asks Biff to return the ball back while “*laughing with him at the theft.*” (DS, I. 18)

Besides, Willy associates getting a good job with being a well-liked person as he thinks himself is. He tells the boys: “Someday I’ll have my own business, and I’ll never have to leave home anymore.” Happy sarcastically says: “Like Uncle Charley, eh?” But he gets the answer: “Bigger than Uncle Charley! Because Charley is not—liked. He’s liked, but he’s not—well liked” (DS, I. 18). It is the first time that the name of Charley is mentioned. Charley is their neighbour and he is mentioned purposely to be the first competitive and rival to Willy. Seemingly, Charley is taken as an example of a successful businessman by Happy. The proof on Charley’s success is Willy’s underestimation to him before his own sons.

For Willy, attraction, reputation, and charm are the only characteristic features required in any business, but skill, experience, and satisfaction are necessary too for Charley and for any practical person to be a successful (business) man. Hence,

Willy Loman in particular has absorbed the values of his society until they seem part of what he wishes to see as his own definition. His is a salesman, the epitome of a society built on social performance and wedded to the idea of a transforming future.⁽¹⁵⁾

Loman disregards and underestimates Charley for he is just liked, but not well-liked. As if Loman did that intentionally, to make Charley—who is described by Miller as “a capitalist”—a failure and losing competitor.⁽¹⁶⁾ Likewise, Commenting on the attitude and advice of Bernard—Charley’s son—to Biff, the Lomans laugh out and mock at him. Willy has faith in that a well-liked person is better than a clever or hard-working one. Bernard wants to encourage Biff at studying math in order not to be “flunk,” therefore, he “won’t graduate” (*DS*, I. 20). Angrily, Loman overestimates his son at the expense of Bernard whom is called by “a pest,” and “anemic” to be an object of laughter (*DS*, I. 20).

Loman is convinced that Bernard—similar to his father—is liked but not well-liked and that may prove to be impractical in the business world and results in failure too. Loman expresses his opinion about Bernard in comparison with his sons, stating:

Bernard can get the best marks in school, y’understand, but when he gets out in the business world, y’understand, you are going to be five times ahead of him. That’s why I thank Almighty God you’re both built like Adonises. Because the man who makes an appearance in the business world, the man who creates personal interest, is the man who gets ahead. Be liked and you will never want. You take me, for instance. I never have to wait in line to see a buyer. »Willy Loman is here!« That’s all they have to know, and I go right through. (*DS*, I. 20-21)

Ironically, future events prove the contrary. Miller criticises the Lomans by showing their self-contradictory dreams. Paying no attention to learning, Willy Loman proudly says that his own sons are like Adonis, a very handsome young man in Greek mythology. Repeating the necessity to be an attractive person,

Willy desires to be more than friends with people; he wants them to have a strong feeling of his importance. . . . [It is] possibly show[n] that he is desperate to assess how he is received by his counterparts. This correlates with the constant

idea that Willy wishes to be superior to people, whether that is through material goods or, in this case, through social status.⁽¹⁷⁾

Pathetically, for Loman, Bernard's diligence and assistance worth nothing in America in comparison with what he believes in himself and his sons. Out of pride, Willy takes himself as an example for success. In fact, he gives his sons a best example of failure because he is fully aware, as they are, that he is no longer a successful salesman.

As much as *Death of a Salesman* is an indictment of materialism and capitalism, it is also a criticism of Loman who tries to hide his failure and incompetence by praising himself and mocking of the others in front of his sons. Not only does Miller blames Loman's incompetence, mistrust, and care for appearances, but also he shows the negative and destructive impact of materialism through presenting the failure of an old salesman. Therefore, Loman's American dream or his way of living is "a faith in the supremacy of the material over the spiritual."⁽¹⁸⁾

From another perspective, Willy's sense of materialism is deepened by Charley's situation and condition within a capitalistic society, however, such a situation is exemplified as nonthreatening one. For Miller, capitalists, like Charley, do not necessarily be inhuman, insensitive, selfish, mean, and pompous. Poignantly, some of these vices are seen in the protagonist's personality. Unlike Willy, "Charley's most distinctive feature is that he operates within the hegemonic economic system, while, paradoxically, not being obsessed either with capitalism or with the myth of the American Dream."⁽¹⁹⁾

Charley is a successful businessman and father who has a good fortune and a son who does well in school too. His character is intended to be the opposite of Willy's and he stands to be his own undeclared rival in business, fatherhood, responsibility, and success. In many respects, Charley functions as Willy's double. Each one of them embodies contrasting attitudes to moneymaking in particular and to life in general.

Regarding Charley his own competitor and opponent, Willy depreciates Charley again, but this time face to face in a card game. The relationship between them is then introduced as unreal one, rather, it is based on contention, opposition, and envy particularly on Willy's part. Likewise,

Miller creates an underlying feeling of rivalry and even competition between the two neighbors, which is symbolically enacted in the card games they play. . . so that from the very beginning their relationship is based on competition.⁽²⁰⁾

Furthermore, Willy's behaviour—cheating on Charley during the game—reflects his own behaviour during life. He therefore tries to distort reality to make it suit his own greedy needs. Willy calls Charley "ignorant" (*DS*, I.28), "[i]gnoramus!" (*DS*, I. 32) with no justification, nonetheless, he proves late in the play that he has such descriptions. As if he knew that he had them but he directed them at his opponent to be the winner. In contradiction,

Willy brags about his talent as a builder yet fails to realize that one will fail in the capitalist system if one chooses the wrong profession, such as choosing sales over carpentry. Willy chooses manual work as the weapon to humiliate Charley because he knows that it is one of the few areas in which he clearly outdoes his neighbor and because he feels upset after failing, unlike Charley, at the capitalist system.⁽²¹⁾

Moreover, Loman feels himself as a "kind of temporary" (*DS*, I. 36) because he has placed his full faith in the transformed future with uncertain past: his dead father, brother, and salesman. The three were successful in achieving their American dreams in Willy's opinion. That past represents an exit from his entrapping present, on one hand, and it also constitutes a valuable advice particularly from his brother, on the other. However, Loman depends on Ben's appearances and wealth without figuring out how he achieves them.

It is essential in this point to refer to the time technique employed by Miller to make Loman fluctuate among the past, the present, and the future. So, Loman desires to give himself and his sons an imitation and model to follow. Such a model, whether it is realistic or not, is the perfect image in achieving quick money. Willy tells Ben about his sons' failure which is ascribed to his upbringing, and then he asks for Ben's advice. Ben gives an example of himself as a self-reliant and may be a lucky person too:

BEN: William, when I walked into the jungle, I was seventeen. When I walked out I was twenty-one. And, by God, I was rich!

WILLY: . . . was rich! That's just the spirit I want to imbue them with! To walk into a jungle! I was right! I was right! I was right! (*DS*, I. 36-37)

For Willy, "Ben represents an ideal which is closer to reality, that of worldly success . . . the personification of the great American virtues of self-reliance, and initiative by which an enterprising man may attain untold wealth. . . ." ⁽²²⁾ Indeed, Willy shows that he only cares for the American Dream which is associated with the "jungle" as a source of danger, obscurity, and adventure. Unfortunately, he is not armed against these issues.

Willy proves that he is so materialistic man for he is shown to be acutely conscious of his public image. This is in itself could be regarded as a criticism by Miller against anyone who follows the distorted and materialistic American Dream. Such a dream can make the individual shallow and narrow-minded solely interested in other's opinions and perceptions about the value of material things. ⁽²³⁾

Yet, Willy has other traits revealed by Linda. Through a passionate and affective conversation with Biff, Linda shows part of her personality as well as Willy's. As a faithful wife and dedicated mother, Linda feels that there is something wrong with the relationship between the father and his son. Wishing to settle that problem down, Linda expresses her love towards Willy: "He's the dearest man in the world to me, and I won't have anyone making

him feel unwanted and low and blue" (DS, I. 39). She then warns Biff: "You've got to make up your mind now, darling, there's no leeway any more. Either he's your father and you pay him that respect, or else you're not to come here" (DS, I. 39).

Biff then declares that there is a gap in his relationship with his father. He addresses his mother: "Stop making excuses for him! He always, always wiped the floor with you. Never had an ounce of respect for you" (DS, I. 40). In return, Linda continues defending Willy and she is ready to forgive him for all his deeds and ascribes this action to exhaustion. For Linda, Willy is in pursuit of benefit and welfare of his family. Old age, corrupted materialism, and the negative capitalism are among the reasons that make Willy lose himself, customers, and finally family.

Willy's suffering is reflected in his relationship with his family, especially Linda who asks some questions to provoke her sons' and the readers' sympathy and pity towards such. Linda suggests that his sons bring him trouble too. She wonders: Are they [the above-mentioned] any worse than his sons? Then she proceeds summing up Loman's career:

He used to be able to make six, seven calls a day in Boston. Now he takes his valises out of the car and puts them back and takes them out again and he's exhausted. Instead of walking he talks now. He drives seven hundred miles, and when he gets there no one knows him anymore, no one welcomes him. And what goes through a man's mind, driving seven hundred miles home without having earned a cent? Why shouldn't he talk to himself? Why? When he has to go to Charley and borrow fifty dollars a week and pretend to me that it's his pay? How long can that go on? How long. . . ? The man who never worked a day but for your benefit? When does he get the medal for that? (DS, I. 41)

Willy Loman's exhaustion has strong effects on himself and on both Biff and Happy who are bewildered by their self-loss and their father's. At the same time, Linda realises her husband's

deterioration, but her thinking is restricted within the domestic needs, no more no less.

Act Two discusses materialism from another perspective. Materialism is dealt with as a ramification of capitalism. After discussing Willy's situation in business, Linda raises some issues connected with fixing car engine and the refrigerator and paying some money for them. Then, Willy ascribes his repeated need for money to capitalism and consumerism. He complains:

Whoever heard of a Hastings refrigerator? Once in my life I would like to own something outright before it's broken! I'm always in a race with the junkyard! I just finished paying for the car and it's on its last legs. The refrigerator consumes belts like a goddam maniac. They time those things. They time them so when you finally paid for them, they're used up. (DS, II. 54)

It is a complaint against the "mass production of poor quality items" which have a very short life that disturbs Willy's life by making it short too.⁽²⁴⁾ In addition to hard luck in business, Willy faces an economic crisis that distresses him psychologically and makes him lose his temper with his wife frequently. The whole complaint prepares both the readers and spectators for the next scene which is the meeting between Willy and his employer, Howard. Through that meeting one could see the side of corrosive capitalism, materialism, business, and technology.

Trying to convince Howard to give a good salary and a job home, Willy makes a comparison between himself as a current salesman and Dave Singleman, a dead salesman with "green velvet slippers." (DS, II. 61). Willy wishes to live, die, and have the funeral of Singleman, who is in his eighties and does business well in different states. Willy realises that a salesmanship is the greatest career. He then wonders: "Cause what could be more satisfying than to be able to go, at the age of eighty four, into twenty or thirty

different cities, and pick up a phone, and be remembered and loved and helped by so many different people?"(DS, II. 61)

Willy continues giving examples about different events. He says that when Singleman died, "hundreds of salesmen and buyers were at his funeral(DS, II. 61). Such a reference has multiple meanings: for Willy, it is the maximum end in achieving the American Dream, for Howard, it is a useless example, and for the readers and spectators alike, it is an ambiguity because they are kept suspended whether Willy will achieve what he longs for or not. It is a distorted dreambecause it is emptied from its spiritual meaning and replaced by a materialistic one. Also,"when Willy contemplates his funeral, he expects his sons to discern that he has achieved the American Dream."⁽²⁵⁾ He definitely confuses happiness with material possession and regards owning them a success.

Loman is certain that business is transformed to be another greedy façade of mad modern age. So he laments that change:

In those days there was personality in it, Howard. There was respect, and comradeship, and gratitude in it. Today, it's all cut and dried, and there's no chance for bringing friendship to bear—or personality. You see what I mean? They don't know me anymore."(DS,II. 61)

Willy makes such a comparison to elucidate the immoral influence of capitalism and the change that happened in society within few decades. Pathetically, Willy cannot avoid his indulgence in such a situation.Howard contrastingly replies "I can't take blood from a stone"(DS, II. 61). He refers here to Willy's old age;and it is an anticipation of Willy's death.Howard's remark also proposes that profit and benefit are significant while moral decency and ethics are not. In return, Willy says: "You can't eat the orange and throw the peel away—a man is not a piece of fruit!"(DS,II. 61) Therefore, Willy insists thatmaterialism, capitalism,and consumerism make him exploited throughout his life, without a reward or at least fulfilling his wish.

Besides, Willy's long service and loyalty or even his future welfare worth nothing in Howard's capitalistic and materialistic opinion. Howard hopes that Willy take rest and depend on his sons instead of asking for a constant job. Insistently, Willy says: But I gotta earn money, Howard. I'm in no position to... (*DS*, II.63). Unable to complete his sentence, Willy realises that he is in a very weak position and cannot depend on his sons. Apparently, Willy's pride and dignity prevent him to do that, but in reality he knows very well that they are failure like him, without mentioning the gap between them. The conversation continues:

HOWARD: Where are your sons? Why don't your sons give you a hand?

WILLY: They're working on a very big deal.

HOWARD: This is no time for false pride, Willy. You go to your sons and you tell them that you're tired. You've got two greatboys, haven't you?

WILLY: Oh, no question, no question, but in the meantime...

HOWARD: Then that's that, heh?

WILLY: All right, I'll go to Boston tomorrow.

HOWARD: No, no.

WILLY: I can't throw myself on my sons. I'm not a cripple! (*DS*, II. 63)

Willy then is fired for his inability to make profits for Howard's firm. Willy is in a dire financial crisis, yet he keeps struggling for getting money for his family's sake and that is a noble way. Unfortunately his struggling is not in the right place or time. In this connection, "Howard's disregard for Willy's financial plight and long-time service to the company illustrates the business world's indifference toward the individual and suggests that this attitude is commonplace in a capitalistic system."⁽²⁶⁾

Unquestionably, Willy's dignity is destroyed as he puts a price to himself particularly when he asks Howard for money with decreasing insinuation: "If I could take home—well, sixty-five dollars a week . . . fifty dollars . . . forty dollars." (*DS*, II. 59, 60, 61). So,

money measures man and it is not what man's principles and values are, but what he has got of money.

Sofrustrated, Willy is in an intense conflict concerning his current position in business. He really realises his self-deception, but he does not realise that

A salesman is a middle man. He is a means serving something beyond himself, an agent whose function is a factor of his own lost freedom. He is involved in transactions and the risk is that such transactions will begin to define his life, that the market which shapes his dreams and that of others, and in which he is implicated, will deprive him of the dignity he seeks and the significance for which he yearns.⁽²⁷⁾

Dismissed from Howard's office and losing his job, Willy feels his life comes to an end, so he cannot do anything at all. His friend, Charley offers him a job and feels Willy's conflict, desperation and suffering. Charley tells him: "The only thing you got in this world is what you can sell. And the funny thing is that you're a salesman, and you don't know that" (*DS*, II. 75). Through this statement Charley reveals Willy's triple failure: as a salesman, a father, and a man who has sacrificed his own reality, independence, and dignity to fantasy, dependence, and ignominy.

Willy's contradictorily replies: "I've always tried to think otherwise, I guess. I always felt that if a man was impressive, and well liked, that nothing..." (*DS*, II. 75). Again, Willy's incomplete answer "is not a plea for genuine human values but a statement of his belief." Nonetheless, Bigsby proclaims:

[T]his is a significant exchange for if it exposes Willy's faith in appearance, it also reveals the extent to which Charley, deeply humane in his response to Willy, nonetheless subscribes to a reductive view of society and the individual.⁽²⁸⁾

Willy for the first time acknowledges his own failure and his wrong vision to struggle in a capitalistic and materialistic environment. Willy feels that he is entrapped, frustrated, deluded, and misled

because of both his false dreams and expectations, and because of the society which is greedy for money at the expense of happy life based on respect, satisfaction, and responsibility.

Charley gives Willy money to pay his insurance after offering him a job. But the latter refuses. Ironically, Willy who thinks himself dead after being fired, comments on his situation: "After all the highways, and the trains, and the appointments, and the years, you end up worth more dead than alive" (DS, II. 76). In response, Charley illustrates to Willy that "nobody's worth nothin' dead" (DS, II. 76). In fact, "A man is interchangeable with a thing; he no longer determines his own worth; a price can be put on him. Man has lost his humanity."⁽²⁹⁾

In a climactic scene, Biff finds out that his father has a love affair with a woman. Willy tries to justify that relationship:

WILLY: She's nothing to me, Biff. I was lonely, I was terribly lonely.

BIFF: You—you gave her Mama's stockings! (*His tears breakthrough and he rises to go.*)....

BIFF: Don't touch me, you—liar!

WILLY: Apologize for that!

BIFF: You fake! You phony little fake! You fake! (*Overcome, he turns quickly and weeping fully goes out with his suitcase. Willy is left on the floor on his knees.*)(DS, II. 95)

If Loneliness and failure were employed as excuses to adultery by Willy, he had nothing to do or to say why he gives his wife's stockings to his mistress. Skillfully, the stockings are used as a significant symbol by Miller. Such a symbol reflects Willy's infidelity, self-centredness, and greed. And the darning of the stockings also "symbolizes Willy's failure in business because Linda cannot afford to buy new pairs."⁽³⁰⁾ By giving the stockings to his mistress, Willy closes his eyes to the fact that his wife darns her own stockings to save money. Furthermore,

The stockings also demonstrate the salesman's guilt because he becomes irritated whenever he sees Linda darning her stockings; when Willy orders Linda to throw out her

stockings, his demand symbolizes his desire to shed his sin and his guilt, although Willy perhaps feels terrible not because he has committed adultery but rather because Biff caught him.⁽³¹⁾

Thus, to use Bigsby's words, the play in general is not a denunciation or attack on American standards and principles. It is, however, an investigation of devastating them through infidelity and unfaithfulness. Willy Loman's American dream is not that based on pursuit of happiness and attaining worldly desires within standard values. In this case,

What Miller attacks, then, is not the American Dream of Thomas Jefferson and Benjamin Franklin, but the dream as interpreted and pursued by those for whom ambition replaces human need and the trinkets of what Miller called the 'new American Empire in the making' are taken as tokens of true values.⁽³²⁾

Near his death, Willy Loman thinks deeply about a material alternative that support his family. Ironically, Willy thinks of killing himself in order to provide his family with the money of insurance—twenty thousand dollars—an amount he could not collect throughout his life. He talks with Ben about that proposition:

WILLY: Remember, it's a guaranteed twenty-thousand-dollar proposition. . . I've got nobody to talk to, Ben. . . .

BEN: What's the proposition?

WILLY: It's twenty thousand dollars on the barrelhead. Guaranteed, gilt-edged, you understand?

BEN: You don't want to make a fool of yourself. They might not honor the policy.

WILLY: How can they dare refuse? Didn't I work like a coolie to meet every premium on the nose? And now they don't pay off? Impossible!

BEN: It's called a cowardly thing, William.

WILLY: Why? Does it take more guts to stand here the rest of my life ringing up a zero? (DS, II. 99-101)

For Willy, who is so desperate to achieve anything and who has no hope at all, believes in the future money for his family strongly. He talks with the dead Ben and asks for his opinion about getting that after his death. Willy justifies his intention by the burden of capitalistic society and unconsciously by his own materialistic vision. The conversation proceeds:

BEN: That's a point, William. And twenty thousand—that is something one can feel with the hand, it is there.

WILLY: Oh, Ben, that's the whole beauty of it! I see it like a diamond, shining in the dark, hard and rough, that I can pick up and touch in my hand. Not like—like an appointment! This would not be another damned-fool appointment, Ben, and it changes all the aspects. (DS, II. 99-101)

Willy also likens that money with a diamond which is regarded as light in the darkness, and solid and tangible thing in fragility like his fragile and broken spirit. On the other hand, he underestimates the appointment with Howard which results in nothing good for him. What Willy aspires to is to have a funeral that would be impressive for Biff. A funeral that would be attended by so many notable people and salesmen from various states and cities. Willy continues his conversation with Ben about Biff's reaction to such a funeral:

WILLY: Because he [Biff] thinks I'm nothing, see, and so he spites me. But the funeral... (*Straightening up.*) Ben, that funeral will be massive! They'll come from Maine, Massachusetts, Vermont, New Hampshire. . . ! that boy will be thunderstruck, Ben, because he never realized—I am known. . . !

BEN: He'll call you a coward.

WILLY (*suddenly fearful*): No, that would be terrible.

BEN: Yes. And a damned fool.

WILLY: No, no, he mustn't, I won't have that! (*He is broken and desperate.*)

BEN: He'll hate you, William.(*DS*, II. 99-101)

Profoundly, Willy suffers from internal and external conflicts. He then discerns that driving seventy miles with his bad-engine car results in a failed sale, longing to meet his sons for dinner results in their abandonment to him, doing all the payments for his house results in a broken refrigerator and broken tube heater, and playing on the nostalgic and emotional nerves with Howard, leads to his dismissal. Thus, "Willy knows that he will reap more profits in one masterstroke—his suicide—than in all the sales he closed in a lifetime. . . . Willy, exhausted after dealing with feelings of innocence and guilt, protection and betrayal, and celebration and loss," reasons that his death is worthier than his life.⁽³³⁾

What adds insult to injury is that last shocking conversation between Willy and Biff who admits that he is nothing and unimportant person just like his father:

BIFF: Pop! I'm a dime a dozen, and so are you!

WILLY: I am not a dime a dozen! I am Willy Loman, and you are Biff Loman!

BIFF: I am not a leader of men, Willy, and neither are you. You were never anything but a hard-working drummer who landed in the ash can like all the rest of them. . . ! I'm not bringing home any prizes anymore, and you're going to stop waiting for me to bring them home!(*DS*, II. 105-106)

It is suitable to entitle this conversation, "Like Father, Like Son" because Biff is a mirror for his father who fails in his business, but before that he has just failed in his relationship with his son. There is an existential touch stresses on each one's existence. In this sense, both Willy and Biff "lived like artists, like actors whose product is first of all themselves, forever imagining triumphs in a world that either ignores them or denies their presence altogether."⁽³⁴⁾

Ben has hastened Willy's suicide by his motivating sentences: "The jungle is dark but full of diamonds, Willy. . . . One

must go in to fetch a diamond out. . . . Not like an appointment at all. A diamond is rough and hard to the touch” (*DS*, II. 107). A diamond as an influential symbol refers to materialism, tangibility, and wealth. But it often means “light, brilliance,” or something “unconquerable.”⁽³⁵⁾ Willy believes in the first three words and ironically ignores the others.

Willy needs love and respect so much, but he does not care for those who offer them. He totally dedicates himself to the everlasting American quest of a misshapen and materialised tomorrow. For him, the only option left is to commit suicide via the same means of his way of living—the car. That car which also stands for materialism, fame, transportation, is a means of death and killing the innocent as well. At last, Willy thinks that he will bring “the reward he has chased so determinedly, a reward which will expiate his sense of guilt, justify his life, and hand on to another generation the burden of belief which has corroded his soul but to which he has clung until the end.”⁽³⁶⁾

In the last part of the play, entitled “Requiem,” Miller wants to be sure that the readers and spectators see or continue tracing Willy’s dream. So, in the funeral the present people are: Linda, Biff, Happy, Charley, and Bernard only. The very few number of mourners in Willy’s funeral—which contradicts the abundant number expected by Willy himself previously—makes evident how bad the salesman has failed in his pursuit to achieve the American Dream. Linda wonders in front of everyone else: “I can’t understand it. At this time especially. First time in thirty-five years we were just about free and clear. He only needed a little salary.” But Charley disagrees, saying: “No man only needs a little salary” (*DS*, R. 110).

Despite the fact that Willy sacrifices his life for Biff’s sake, the latter is the only one among the mourners who knows the sheer reality of his father’s dreams. Meanwhile, Happy and Charley are the defenders and sympathisers. Biff comments that Willy “had the wrong dreams. All, all, wrong,” and he “never knew who he was” (*DS*, R. 110-111). Paradoxically, such comments are applicable to Biff himself. Instead of giving a hand to his father, he continues criticising him. It is not a matter of whose fault it is; rather, it is the

spirit of cooperation, help, love, solidarity, and responsibility among the family members in a materialistic and capitalistic society. That society which is represented by many people in the play—Charley is one of them—proves that there are other positive things within. Accordingly, in his reply to Biff's opinion, Charley states:

Nobodydast blame this man. You don't understand: Willy was asalesman. And for a salesman, there is no rock bottom to the life. . . . He's man way out there in the blue, ridingon a smile and a Shoeshine. And when they start not smiling back—that's an earthquake. . . . Nobody dastblame this man. A salesman is got to dream, boy. It comes withthe territory.(DS, R.110-111)

On his part, Happy replies too by addressing Biff that his father's death is not useless and he will continue his father's dream. He also states that their father "had a good dream. It's the only dream you can have—to come out number-one man.He fought it out here, and this is where I'm gonna win it forhim."(DS, R. 111)

Linda in an impressive and dedicated talk addresses the dead Willy and asks for his forgiveness. She thinks that he will return from his daily trip,therefore,she waits for him. Symbolically, his daily trip for selling is likened to the everlasting one for he was selling nothing but himself. Materialism, capitalism, and the American Dream altogether brutalise Willy Loman who "completes the brutalization process by reducing himself to a commodity, an object, a thing, which enables him to make the greatest and last sale of his entire professional life: the sale of his very existence for the insurance payment."⁽³⁷⁾ Linda is in a shock, then she goes on:

Forgive me, dear. I can't cry. I don't know what it is, I can't cry. I don't understand it. . . . It seems to me that you're just on anothertrip. I keep expecting you. . . . I made the last payment on the house today. Today,dear. And there'll be nobody home. (*A sob rises in her throat.*) We're free and clear. (*Sobbing more fully, released.*) We're free.(*Biff comes slowly toward her.*) We're free... We're free...(DS, R. 112)

As the play opens with the music of flute and the dark light over house, it ends in the same way. Besides, “*the hard towers of the apartment buildings[still] rise into sharp focus*”(DS, R. 112). These conclusive lines refer to the continuity of the negative impact of both materialism and capitalism over the modern man—like Willy Loman—as he faces his destiny. Incongruously,

The play edges towards silence with only the flute music now audible, as the surrounding apartment buildings come into sharp focus. America’s past and present are thus brought together, as they had been in Willy’s mind, a reminder of utopian dreams lost somewhere in their materialisation.⁽³⁸⁾

Death of a Salesman, as many critics suggest, is a critique of a capitalistic society that dehumanises, brutalises, and maltreats the unsuccessful. Yet, it is also a condemnation to the unsuccessful, reliant, irresponsible, and failure (sales)man.

In conclusion, despite the fact that Willy Loman dies at almost the end of the play to declare himself a tragic hero, he dies the death of a father rather than a salesman. This condition clarifies that it is not only materialism has the deleterious effect on him, but also the cold-blooded relationship with his eldest son, Biff, is the reason behind his death. Contradiction, as one of the crucial elements employed skilfully, demonstrates Willy’s internal and external conflicts between inner world and external reality. Willy is just like a feather in a high wind, he is flown from place to place according the strength of that wind. He feels himself being loved but hated, he considers himself as a winner but a loser too.

Willy’s plight is that his life worth nothing but few dollars to secure his family as insurance money. He commits suicide as a result of his being unemployed, exploited, and deceived. He also reaches a state of despair and self-delusion. In fact, Willy Loman is dead at the very beginning of the play, and his presence in the play is described as spiritually dead but physically alive. He escapes his real failure life and replaces it with a nostalgia by remembering his dead father, brother, and salesman.

Contradictorily, Willy longs for the bright future, yet he is shunt by modern capitalistic society and sophisticated technology, business, and consumerism. Willy represents the image of Everyman of the commercialised culture and society, and his death, by which he desires to be a redemption to his guilt and a financial support to his family, gives no hope for the readers or theatregoers alike. Thus, his virtues include redemptive inclinations; but his vices include his preferences to materialism, dishonesty, irresponsibility, appearances, and attraction. He also stands for the hollowness of materialism, capitalism, and the American Dream; rather, Nightmare.

Although the condemnation against materialism, capitalism, and the American Dream is raised by so many people like Willy, he is one of the most influenced characters by them. The façades of materialism, capitalism, and business are multiple. Nonetheless, they are not necessarily negative. Charley for example represents capitalism but he is the only source of money, help, and support for Willy. Willy proves at the end that he is wrong because a well-liked person is not necessarily a successful salesman. Particularly, in the case of Bernard, who becomes a popular lawyer in comparison with his own sons, who are nothing but a womaniser, in Happy's case, and a failed dreamer, in Biff's case.

Capitalism, in Miller's perspective has two opposite façades: the benign one incarnated in Charley's supporting initiatives to Willy, and the malignant one represented by Howard's rejection and dismissal to Willy. Additionally, there is another implicit view which refers to the adverse influence of material things on people to possess them. Living in a society prefers material things on the values and principles is a very challenging way of living, especially for someone who struggles for the sake of his family's welfare and goodness. Nevertheless, such struggle should be noble, responsible, unselfish, realistic, and decisive.

Notes

- (1) A. S. Hornby, *Oxford Advanced Learner's Dictionary*, 8th ed. (Oxford: Oxford University Press, 2010), 948.
- (2) "Death of a Salesman—Materialism & Alienation." StudyMode.com. <http://www.studymode.com/essays/Death-Of-a-Salesman-Materialism-1098344.html>. (accessed Oct. 9, 2014).
- (3) Quoted in Christopher Bigsby, *Arthur Miller: A Critical Study* (Cambridge: Cambridge University Press, 2005), 101.
- (4) L. Bailey McDaniel, "Domestic Tragedies: The Feminist Dilemma in Arthur Miller's *Death of a Salesman*," in *Arthur Miller's Death of a Salesman*, ed. Eric J. Sterling (Amsterdam: Rodopi B.V., 2008), 21.
- (5) Arthur Miller, *Death of a Salesman: Certain Private Conversations in Two Acts and a Requiem*, (New York: Penguin Books Ltd., 1998), Act I., 1. All subsequent quotations cited in the text are from this edition, with the abbreviation *DS* and act and page number(s).
- (6) Eric J. Sterling, "Introduction," in *Arthur Miller's Death of a Salesman*, ed. Eric J. Sterling (Amsterdam: Rodopi B.V., 2008), 9-10.
- (7) *Ibid.*
- (8) Matthew C. Roudané, "Death of a Salesman and the Poetics of Arthur Miller," in *The Cambridge Companion to Arthur Miller*, ed., Christopher Bigsby (Cambridge: Cambridge University Press, 1997), 66.
- (9) "Death of a Salesman and Antigone Comparison and Contrast Essay," 1. <http://www.new.nsd.org/site/handlers/filedownload.ashx?moduleinstanceid=6324&dataid=19873&FileName=Death%20of%20a%20Salesman%20and%20Antigone%20Example%20Essay.pdf> (accessed Oct. 10, 2014).
- (10) Roudané, 66.
- (11) Leah Hadomi, "Rhythm Between Fathers and Sons: *Death of a Salesman*," in *Bloom's Modern Critical Interpretations: Death of*

- a Salesman*, ed., Harold Bloom (New York: Chelsea House An imprint of Infobase Publishing, 2007), 18.
- (12) Ibid, 19.
- (13) Deborah Cosier Solomon, "The Emergence of Hope in Arthur Miller's *Death of a Salesman*," in *Arthur Miller's Death of a Salesman*, ed. Eric J. Sterling (Amsterdam: Rodopi B.V., 2008), 138.
- (14) Bigsby, *Arthur Miller: A Critical Study*, 108.
- (15) Ibid., 100-101.
- (16) Juan Ignacio Guijarro-González and Ramón Espejo, "Capitalist America in Arthur Miller's *Death of a Salesman*: A Re-consideration," in *Arthur Miller's Death of a Salesman*, ed. Eric J. Sterling (Amsterdam: Rodopi B.V., 2008), 63.
- (17) "Death of a Salesman—Materialism & Alienation," 3.
- (18) Bigsby, "Introduction," xxiii.
- (19) Guijarro-González and Espejo, 63.
- (20) Ibid.
- (21) Ibid., 64.
- (22) Hadomi, 17.
- (23) "Death of a Salesman—Materialism & Alienation," 3.
- (24) Guijarro-González and Espejo, 62.
- (25) Sterling, 4.
- (26) Ibid.
- (27) Bigsby, *Arthur Miller: A Critical Study*, 107.
- (28) Ibid.
- (29) Quoted in *ibid.*, 107.
- (30) Sterling, 9-10.
- (31) Ibid.
- (32) Bigsby, *Arthur Miller: A Critical Study*, 105-106.
- (33) Roudané, 80.
- (34) Arthur Miller, *Timebends* (New York: Grove Press, 1987), 127.

- (35) J. E. Cirlot and Jack Sage Trans., *A Dictionary of Symbols*, 2nd ed., Mineola: Dover Publications, Inc., 81.
 (36) Bigsby, "Introduction," xxvi.
 (37) Roudané, 77-78.
 (38) Bigsby, *Arthur Miller: A Critical Study*, 122.

Bibliography

- Abbotson, Susan C. W. *Critical Companion to Arthur Miller: A Literary Reference to His Life and Work*. Facts On File, Inc. Infobase Publishing: New York, 2007.
 ———. *Masterpieces of 20th-century American Drama*. Westport: Greenwood Publishing Group, Inc. 2005.
 Bigsby, Christopher. *Arthur Miller: A Critical Study*. Cambridge: Cambridge University Press, 2005.
 ———. "Introduction." In *Death of a Salesman: Certain Private Conversations in Two Acts and a Requiem*, Arthur Miller. New York: Penguin Books Ltd., 1998.
 ———. *Modern American Drama, 1945-2000*. Cambridge, Cambridge University Press, 2004.
 Bloom, Harold. *Dramatists and Dramas*. New York. Chelsea House Publishers, a subsidiary of Hights Cross Communications. 2005.
 Centola, Steven R. "Arthur Miller and the Art of the Possible." In *Bloom's Modern Critical Views: Arthur Miller*, edited by Harold Bloom, 197-214. New York: Chelsea House, Infobase Publishing, 2007.
 Cirlot, J. E. and Jack Sage Trans. *A Dictionary of Symbols*, 2nd ed., Mineola: Dover Publications, Inc. 2002.
 "Death of a Salesman and Antigone Comparison and Contrast Essay," 1. <http://wwwnew.nsd.org/site/handlers/filedownload.ashx?moduleinstanceid=6324&dataid=19873&FileName=Death%20of%20a%20Salesman%20and%20Antigone%20Example%20Essay.pdf> (accessed Oct. 10, 2014).
 "Death of a Salesman—Materialism & Alienation." StudyMode.

com.<http://www.studymode.com/essays/Death-Of-a-Salesman-Materialism-1098344.html>. (accessed Oct. 9, 2014).

Guijarro-González, Juan Ignacio and Ramón Espejo, "Capitalist America

in Arthur Miller's *Death of a Salesman: A Re-consideration*." In *Arthur Miller's Death of a Salesman*, edited by Eric J. Sterling, 61-80. Amsterdam: Rodopi B.V., 2008.

Hadomi, Leah. "Rhythm Between Fathers and Sons: *Death of a Salesman*." In *Bloom's Modern Critical Interpretations: Death of a Salesman*, edited by Harold Bloom, 13-24. New York: Chelsea House, Infobase Publishing, 2007.

Hornby, A. S. *Oxford Advanced Learner's Dictionary*, 8th ed. Oxford: Oxford University Press, 2010.

Martin, Robert A. "Arthur Miller: Public Issues, Private Tensions." In

Modern American Drama, edited by Harold Bloom, 115-124. Philadelphia: Chelsea House Publishers, a subsidiary of Haights Cross Communications. 2005.

McDaniel, L. Bailey. "Domestic Tragedies: The Feminist Dilemma in

Arthur Miller's *Death of a Salesman*." In Arthur Miller's *Death of a Salesman*, edited by Eric J. Sterling, 21-32. Amsterdam: Rodopi B.V., 2008.

Miller, Arthur. *Death of a Salesman: Certain Private Conversations in*

Two Acts and a Requiem. New York: Penguin Books Ltd., 1998.

———. *Timebends*. New York: Grove Press, 1987.

Roudané, Matthew C. "Death of a Salesman and the Poetics of Arthur

Miller." In *The Cambridge Companion to Arthur Miller*, edited by Christopher Bigsby, 60-85. Cambridge: Cambridge University Press, 1997.

Solomon, Deborah Cosier. "The Emergence of Hope in Arthur Miller's

Death of a Salesman.” In *Arthur Miller’s Death of a Salesman*, edited by Eric J. Sterling, 137-148. Amsterdam: Rodopi B.V., 2008.

Sterling, Eric J. “Introduction.” In *Arthur Miller’s Death of a Salesman*, edited by Eric J. Sterling, 1-10. Amsterdam: Rodopi B.V., 2008.

Marriage, Money, and The Meaning of Life in Thornton Wilder's *The Matchmaker*

Asst. Instructor. Suaad Hussein Ali
Al-Iraqia University/ College of Arts

Abstract

The Matchmaker is a romantic comedy which aims to seek human warmth in all human relationships. The play discusses the themes of marriage and money which are universal subjects that "repeat in the lives of millions." The characters in this play recognize the meaning of life through love, compassion and participation in life. The play also shows how one's wrong beliefs in the affairs of marriage and getting money, or one's pride and self-righteousness, sometimes, stand as an obstacle against one's happiness.

This paper aims to shed the light on Wilder's view about marriage and money and how these two important subjects draw the individual's life. The paper contains three points: point one gives a brief summary about the author. Point two deals with some facts about the play. The third point discusses the subjects of marriage and money in the play.

The conclusion sums up the findings of the study.

ملخص البحث

يعتبر ثورنتون وايلدر واحداً من أهم كتاب المسرح في أمريكا . كان وايلدر مهتماً بالعمل على ترسيخ القيم الإنسانية. وأن طريقته الإنسانية في الكتابة قد تخللت جميع أعماله والتي عرفت بأسلوبها المفعم بالحياة وصدق العاطفة وقوة المشاعر.

مسرحية "الخاطبة" هي كوميديا رومانسية والتي تبحث عن الدفء الإنساني في كل العلاقات الإنسانية. تناقش المسرحية مواضيع الزواج والمال والتي تعتبر مواضيع عالمية تتكرر في حياة الملايين.

أدركت شخصيات هذه المسرحية معنى الحياة من خلال الحب والعاطفة والمشاركة بالحياة. تبين المسرحية أيضاً كيف أن بعض وجهات النظر الخاطئة لبعض الأفراد فيما يتعلق بالزواج والمال، أو كيف أن الغرور والاعتداد بالنفس للفرد يقف كعقبة في طريق سعادته. يعمل هذا البحث على تسليط الضوء على أفكار ورؤى الكاتب حول هذين الموضوعين في المسرحية. يحتوي البحث على ثلاث نقاط: تعطي النقطة الأولى مختصراً عن شخصية الكاتب فيما تهتم النقطة الثانية بإعطاء بعض الحقائق عن المسرحية بينما تناقش الأخيرة مواضيع الزواج والمال في المسرحية. تلخص الخاتمة أهم نتائج الدراسة.

1-1-Thornton Wilder (1897-1975)

Thornton Wilder is one of the most well-known American writers of the twentieth century, three times winner of the Pulitzer Prize and an outstanding figure in American literature as both novelist and playwright. Wilder was born in Madison, on April 17, 1897.¹

Wilder's place in American literature is secure because he is the only writer to have won the Pulitzer Prizes for both, his fiction of *The Bridge of San Luis Rey*, and drama for both, *Our Town* and *The Skin of Our Teeth*. Overall, his reputation as a dramatist has held up better than that as a novelist. As a dramatist, Wilder's reputation rests on three full-length plays: *Our Town*, *The Skin of Our Teeth* and *The Matchmaker*.²

Wilder is associated with the brilliant American playwrights Eugene O'Neill, Tennessee Williams, and Arthur Miller, as one of the "big four".³ Wilder believes that the ability of the theatre to present the universal and eternal subjects made it "the greatest of all art forms."⁴ Wilder's innovative theatrical forms, humanistic thoughts, his hold on the unending family subjects and his artistic achievements influenced many American writers. Lyndon B. Johnson praised Wilder's contributions saying:

You have made the commonplace of living yield the gaiety, the wonder, and the vault of the human adventure

....you have written with an understanding affectionate rapport with your subject which to me is the hallmark of genuine literature.....⁵

Wilder was concerned with the affirmation of human values, his works endeavor to emphasize the true value of life. The focus is on life, and the action is limited to the unadorned, unsung, trivial pleasures of the everyday life.⁶ And concerning his familiar themes and subjects, Wilder says:

I am not interested in the ephemeral...such subjects as

The adulteries of dentists. I am interested in those things that repeat and repeat and repeat in the lives of millions.

1-2-The Matchmaker: Facts

The Matchmaker is a slightly modified version of an earlier play *The Merchant of Yonkers* written by Wilder in 1939. Set in Yonkers and New York, it is altogether different in style from his earlier play *Our Town*. Employing "the sparkle of comedy of Manners"⁸ along with the rough house of farce,⁹ "10 it offers a brilliant assessment of life and manners in a capitalist society."¹¹ It is acknowledged to be an adaptation of an Austrian play by Johan Nestory, which was based upon an English stock types and situations.¹³ In a farce, the audience's attention is concentrated more on the fun and laughter. But in this play, the characters are endowed with a two-dimensional appeal. On one hand they represent the old-fashioned farce as characters are hidden under tables, men disguised as women, a complex conspiracy to bring young lovers together, and a happy ending. On the other hand they enliven the situations with their witty comments, they share certain common views. They frequently step out of their world of the theatre to share their opinion with people.¹⁴

The story of the play is about Horace Vandergelder who refuses to let his niece marry the poor artist she loves although Horace himself plans to remarry. Dolly Levi, the matchmaker of the title, pretends that she is helping Horace find a suitable bride, but she actually schemes to marry him herself, and she works to help the young lovers gain his approval.¹⁵ It is staged in New York in 1955, it was enthusiastically received by most reviewers, and the play became Wilder's longest running success. Robert Coleman of the New York Daily Mirror wrote:

If you expect to share the slaphappy shenanigans in west 45th street, you'd better run, not walk to the box office. Otherwise, you're going to have to wait too long to enjoy this side-splitting made-house of merriment.¹⁶

1-3-Marriage, Money, and the Meaning of life in *The Matchmaker*.

The Matchmaker is Wilder's appeal for a fuller and freer participation in life; it is manifest in each character's yearning for un-lived lives. Urging people to break out of their self-built glass-domes of alienation and complacency. The play shows how the self-righteous attitude of some people becomes the chief impediment to their happiness.¹⁷

The play opens at the home of Horace Vandergelder, the name (gelder) comes from the German (das Geld) which means "money", a sixty-year-old self-righteous, miserly merchant. The first scene begins with a conversation between Horace Vandergelder and Ambrose Kemper, a thirty-year-old poor artist who wants to marry Horace's niece, Ermengarde.

Horace (loudly): I tell you for the hundredth time you will never marry my niece.

Ambrose: And I tell you for the thousandth time that I will marry your niece; right soon, too. (1-185)

At the first conversation of the play, Wilder gives us the central conflict of the play which is between love and money. Ambrose tries to get Horace's approval to marry Ermengarde, but Horace refuses him because Ambrose is a poor man and does not make a steady income, and the old man is too practical to consider either love or the promise of future earnings as significant reasons to change his mind. Horace regards love, marriage and emotion to be nothing but foolishness. He does not appreciate arts either, and considers art as nonsense. As a miser, Horace believes that the only sense in this world is money. He contrasts man with his profession, he tells Ambrose that:

A living is made, Mr. Kemper, by selling something that everybody needs at least once a year. Yes. Sir! And a million

is made by producing something that everybody needs every day. You artists produce something that nobody needs at any time. (1-186)

Horace spends his life earning and hording money. He claims to believe that love and marriage are for fools, "most of the people of the world are fools." (1-187). Nevertheless, he decides to live amongst the so-called fools; he thinks of marrying. And as a practical businessman, Horace gives some sensible reasons and justifications for his marriage, he cannot admit that he might be lonely, but he claims he needs a woman just to work. He decides to turn the "nonsense" of love and marriage into practical deal that may help him to save money and bring order to his home. Horace states two reasons for his marriage, he says:

I'm planning to get married again. Well, I've two reasons for it.

In the first place, I like my house run with order, comfort, and economy. (1-194)

Horace contemplates of wives and describes them as working ants:

Did you ever watch an ant carry a burden twice its size?

What excitement! What patience! What will! Well that's what I think of when I see a woman running a house.

What giant passions in those little bodies. (1-194)

The miserly merchant, does not content to exploit his employees, but he schemes to have a wife-employee to exploit her. The exploitation and manipulation of Horace Vandergelder and his type reduce humanity into being a mere "collection of nervous and tired ants."¹⁸

Horace regards marriage as a risk or as an adventure. As for him to take risk or evolve in adventures is foolishness, but he tries to comfort himself that he has good and sensible justifications to take such a risk, he says:

There's nothing like mixing with women to bring out

all the foolishness in a man of sense. And that's a risk I'm willing to take. I've just turned sixty, and I've just laid side by side the last dollar of my first half million. So if I should lose my head a little, I still have enough money to buy it back. After many years' caution and hard work, I have a right to a little risk and adventure. (1-195)

Horace discusses the subject of marriage in the sense of money with himself and searches whether this decision of marriage will fulfill his dream of exploitation or not, therefore, he decides to use marriage as a "bribe", the bait that will draw the victim into its own end. In his soliloquy, he thinks:

I like my house run with order, comfort, and economy. That's a woman's work; but even a woman can't do it well if she's merely being paid for it. In order to run a house well, a woman must have the feeling that she owns it. Marriage is a bribe to make a housekeeper think she's a householder. (1-194)

Horace speaks to the audience and gives all his thoughts and beliefs about marriage, and now, he is going to quest a help to get a suitable wife. He needs a matchmaker to fulfill this goal; he calls for the help of one of his dead wife's friends, Dolly Levi. Mrs. Levi is a widow, she is a manipulator and schemer, "a woman who arranges things" (1-198), who does not mind making up stories to get the results she wants. Dolly, instead of finding a wife to Horace, she plans to marry him herself, and works to help Ermengarde and Ambrose to marry.

Dolly is the matchmaker who is supposed to be finding a suitable wife for Horace, but when she arrives, Horace tells her about his plan to marry Irene Molloy, a young, attractive, businesswoman. Dolly, and because of she has already planned to marry Horace herself, she fabricates a "Miss Simple" for Horace to meet first.

Dolly: Well-I had found another girl for you.

Horace: Another?

Dolly: The most wonderful girl, the ideal wife.....but now of course all

that's too late. After all you're engaged-you're practically engaged

to marry Irene Molloy.

Horace: Oh, I ain't engaged to Mrs. Molloy! (1-201)

Dolly describes to Horace Miss Simple's wonderful qualifications to be his wife, in which she flatters him and extracts money from him.

Dolly:....if only you were free! I've found this treasure of girl....

I told this girl all about you.....the fact is, she has fallen in love

With you already. (1-202)

Horace now is fascinated by this girl, nevertheless, he wants to see Mrs. Molloy first. Mrs. Molloy was an attractive widow, she is like other characters in the play, she declares her own reasons for marriage. In fact, she wants to marry Horace not because she loves him but because she is tired of working and being lonely.

Minnie (Mrs. Molloy's assistant): ..But do you...do you...?

Mrs. Molloy: Minnie, you're a fool. Say it: Do I love him? Of course, I don't love him. But I have two good reasons for marrying him....(2-213)

Mrs. Molloy is a successful businesswoman, and therefore, she is not considered a proper lady. She spends all her time at work, among her employees."In the first place I shall marry Mr. Vandergelder to get away from the millinery business" (2-213) and if she wants to have some fun, to go to "balls", or "theatre", or "operas", it would damage her business.

Wilder lets his characters express their opinions about money and give their reasons and justifications for marriage. As inexperienced young man, Ambrose gives no attention of money at

all. He feels the same to be with money or without money, and money should not keep one from having his lover. Ermengarde also seems not interested in money, she wants Ambrose, but she also wants to be a "proper" young lady. She does not want to lose her uncle's favor, which is the only security she knows.¹⁹ Dolly aims to help the two lovers to marry, she is a character that gives voice to a more mature perspective on this conflict. She gives her opinion of money when she speaks with Ambrose saying:

I'm very interested in this household here-in Mr.Vandergelder

and all this idle, frozen money of his. I don't like the thought of lying in great piles, useless, motionless, in the bank, Mr. Kemper. Money should circulate like rain water. It should be flowing down among the people, through dressmakers and restaurants and cabmen, setting

up a little business here, and furnishing a good time there. (1-199)

Dolly is not anti-money, but she is anti-greed. Unlike Ambrose and Ermengarde, Dolly is old enough to provide a realistic perspective about the need for money. Dolly expresses her belief that money is a means for people to live a decent life rather than an aim for gaining power. She likens money to "manure" which is worthless if it is not used for its purpose;

Dolly:money, I've always felt, money—pardon my expression—

is like manure; it's not work a thing unless it's spread about encouraging young things to grow. (4-278)

Dolly Levi is determined to marry Horace Vandergelder in order to put his money into "circulation" and thus make the world a pleasanter place for her and lots of other people.²⁰

Dolly is Horace's opposite in every way.

He is stingy; she is extravagant. He is closed in emotionally; she is outgoing, exuberant. He is preternaturally solemn; she sees laughter in everything. He shouts; she wheedles. He worries about the future; she cares only for the present. He regards himself as a cunning, ruthless man of the world; he is putting in her hands.²¹

These two, are thus propelled towards one another by their yearning for a "fuller, freer participation in life."

Horace prides himself on his good sense, in comparison with him, nearly everyone is foolish:

**Horace: ninety-nine per cent of people in the world are fools
And the rest of us are in great danger of contagion.
But I wasn't always free of foolishness as I am now.
I was once young, which was foolish; I fell in love,
which was foolish; and I got married, which was
foolish; and for a while I was poor, which was more
foolish than all the other things put together. (1-194)**

While Horace is proud of being completely free from foolishness, Dolly states her belief in life, she recognizes that the meaning and the value of life is through love and compassion and through sharing all these emotions with other people, when she says:

**Vanderglder's never tired of saying most of the people
in the world are fools, and in a way he's right, isn't he?...
but there comes a moment in everybody's life when he
must decide whether he'll live among human beings or
not—a fool among fools or a fool alone. (4-277)**

In spite of all his talk about what is sensible and what is fool, Horace gives some insensible reasons for his marriage, such as his

yearning for "a little risk" and "adventure" after many years of caution and hard work. And of course, this is a very foolish reason. This expresses Wilder's philosophy on love and marriage. According to Wilder, marriage is traditional, he represents the feelings of a large population that do not want to live the single life. This philosophy on love and marriage is universal, pertaining to many people. "people were made to live two by two."²²

Horace is a miser not only because he hoards all his money but also because he keeps under lock and key all human feelings. Wilder shows that this type of people can never enjoy the wonder and the glory of life, they can never appreciate the value and the meaning of life because they spend all their time in collecting money and in planning how they could exploit the other. They are misers not only in money but also in their relationships with people and their household affairs. So Wilder's message here is that man's self-complacent attitude is the chief cause of his sorrow.²³

Dolly can know the future of such persons. She can tell that an isolated person, a man who is friendless, living with a housekeeper who can prepare his meals for a dollar a day, shall spend his "last days listening at keyholes." (3-259) frightened and worried constantly that someone is cheating him.²⁴ In spite of this play which is regarded as a farce, it is not empty from psychological analysis, Dolly speaks psychologically, and she succeeds to analyze Horace's psychological state when she predicts his future. Horace is hated by his employees because of his miserliness in both money and morals.

Dolly pretends to arrange a marriage between Horace and a mysterious friend, Miss Simple, because she wants to lay her own trap for him to marry him for his money.²⁵ Dolly aims to marry Horace to save him from his money, to free him from his greed, to give him some spirit, she decides to teach him what happiness is, to teach him the meaning of life by helping him to send all his money in a good use. And just like Horace, she states her own reasons for marriage; in the first place, she wants to get rid of her isolation and rejoin the society " I decided to rejoin the human race." (4-277) After the death of her husband, Dolly led a life of isolation which

lasted two years, then and as a woman who is the artist of life, she realizes her mistake and recognizes the fact that life means to be lived and not merely to be existed. In the second place, she wants to marry Horace for his money, but her goals are not malicious, she wants to spend his money to make him happy because as she says;" the difference between a little money and no money at all is enormous...and the difference between a little money and an enormous amount of money is very slight." (4-278) that means; one needs enough money to be happy, but too much money does not make one happier. In her soliloquy, Dolly is shown addressing her dead husband, she asks his permission to marry Horace , she says:

Ephraim Levi, I'm going to get married again.

Ephraim, I'm marrying Horace Vandergelder for his money. I'm going to send his money out doing

all the things you taught me. Oh, it won't be a marriage in the sense that we had one-but I shall certainly make him happy, and Ephraim—I'm tired. I'm tired of living from hand to mouth, and I'm asking your permission, Ephraim—will you give me a way? (4-277)

A familiar proverb says " a fool and his money are soon parted." However, Dolly learns, and she teaches Horace that there is no escape from the common human needs for affection, fun and money. Man can either be "fool among fools or a fool alone." (4-277) being a fool among fools involves letting go of one's grip on money.²⁶

By her own wittiness, Dolly does not only succeed to marry Horace, but she also succeeds to help the other characters in the play to gain happiness and to help them to participate in life "she is concerned, of course, only with what is usually regarded as ordinary in life: living itself. What she arranges is banal, really-marriage. But it is marriage that brings two people together, brings them to life."²⁷

At the end of the play, Horace is shown humble and he makes so much "foolishness", for example, he permits Ambrose and Ermengarde to marry and gives them his blessing, he allows Dolly and Miss Huysen (an old friend of Ermengarde's dead mother) to tell him what is to do, and what is not to do, and finally he wants Dolly to marry him.

Dolly marries Horace, but she does not deceive him. He knows she is going to spend his precious money, but he wants to marry her anyhow. Thus, Horace only seems to be a symbol for the sensible, humdrum side of life, against which everyone else is rebelling. Underneath his outside shell he longs as much as anybody to break down the shackles of security and good sense. Once the outside shell is cracked, it rapidly dissolves.²⁸

Ambrose, Dolly, Mrs. Molloy and other characters in the play do not represent repressed wishes in revolt against the established values of life. Their revolt is not aggressive. They are not really rebelling against anything outside themselves. They are in conflict between the tendency of security and peace and between the tendency of change, adventure and excitement. Aggression in *The Matchmaker* is not directed against family. Indeed, the opposite is true. Aggression, if it can be called that in this play, is directed against ideas and attitudes which discourage marriage. The immediate result of the rebellions is happy marriages which is strengthening the idea of the happiness and the meaning of life.²⁹

Conclusion

Although *The Matchmaker* is labeled as a "farce" which provides lively humor, it does not diminish the power of serious comment. The play opens with the question of which is the more worthy, love or money. Each character in the play talks to the audience and gives its opinion concerning marriage and money, then the play ends in a way suggests that, if one's life includes love, and fun, not just work and money, one will be happier and more acceptable by others, in terms of both money and appreciation.

Notes

¹ Paul M. Cubeta, *Modern Drama for Analysis* (New York: Henry Holt and company, Inc., 1955), p.695

² *"The Matchmaker"*, [database on-line]; accessed on 16th July, 2014; available from <http://www.bookrags.com/studyguide-matchmaker>

³ Robert W. Corrigan, *"Thornton Wilder and Tragic sense of life", Critical Essays on Thornton Wilder*, ed., Martin Blank (New York : G.K Hall&CO., 1996), p.77.

⁴ Thornton Wilder, *Our Town, The Skin of Our Teeth, The Matchmaker* (London: Penguin Books, 1966), p.7.

⁵ Harold Bloom and Portia Williams Weiskel, ed., *Thornton Wilder* (New York : Chelsea House publisher, 2003), p.24.

⁶ Vrinda Mathur, *The plays and Novels of Thornton Wilder: A Critical study* (New Delhi: prestige Books, 1996), P.7.

⁷ *"The Matchmaker-Center Stage"* [database on-line]; accessed on 16th July, 2014; available from www.centerstage.org/protals/....pdf/thematchmaker

⁸ *"Comedy of Manners"*, [database on-line]; accessed on 21st July, 2014; available from www.britannica.com/.../comedyofmanner.

Comedy of manners, witty, cerebral form of dramatic comedy that depicts and often satirizes the manners and affectations of a contemporary society. A comedy of manners is concerned with social usage and the question of whether or not characters meet certain social standard is morally trivial but exacting. The plot of such comedy, usually concerned with an illicit love affair or similarly scandalous matter, is subordinate to the play's brittle atmosphere, witty dialogue, and pungent commentary on human foibles.

⁹ M.H. Abrams, *A Glossary of Literary Terms. 9th ed.* (Fort worth: Harcourt Brace College publishers, 2009), P.50.

Farce is a type of comedy designed to provoke the audience to laughter. It commonly employs highly exaggerated types of characters, puts them into improbable situations.

¹⁰ David Castronovo, *Thornton Wilder* (New York: Ungar, 1986), p.94.

¹¹ Vrinda Mathur, P.7.

¹² Barnard Hewitt, *" Thornton Wilder Says "yes" ", Critical Essays on Thornton Wilder*, ed. Martin Blank (New York : G.K.Hall&CO., 1996), p.72.

¹³ Bruce Bawer, *"An Impersonal Passion": Thornton Wilder, The Hudson Review, Inc., Lxi, no.3(2008)*, [database on-line]; accessed on 20th July, 2014,

available from <http://www.hudsonreview.com/auo8/auo8bawer> WEB.pdf; internet

¹⁴ Vrinda Mathur, p.70.

¹⁵ **"The Matchmaker"**

¹⁶ Martin Blank, ed., **Critical Essays on Thornton Wilder** (New York:G.K.Hall&Co.,1996), P.9.

¹⁷ VrindaMathur, p.8.

¹⁸ Ibid.63.

¹⁹ **"The Matchmaker"**

²⁰ Barnard Hewitt, P.73.

²¹ M.C.Kuner, **Thornton Wilder: The Bright and Dark** (New York: Crowell, 1972), pp.140-41.

²² **"Our Town by Thornton Wilder"**, [database on-line]; accessed on 21st July, 2014; available from freeways123helpme.com

²³ Vrinda Mathur,p.66.

²⁴ Ibid.67

²⁵ Malcolm Goldstein, **The Art of Thornton Wilder** (Lincoln: University of Nebraska press, 1965), p.133

²⁶ **"The Matchmaker"**

²⁷ Donald Haberman, **The Plays of Thornton Wilder: A Critical Study** (Connecticut: Wesleyan University press, 1967),p.20

²⁸ Barnard Hewitt, p.74.

²⁹ Ibid.

Bibliography

Abrams, M. H. **A Glossary of Literary Terms.9th ed.**Fortworth: Harcourt Brace College publishers,2009.

Bawer, Bruce. **"An Impersonal passion":ThorntonWilder.The Hudson Review, Inc.,Lxi,No.3(2008).**[database on-line];accessed on 20th July, 2014 , available from <http://www.hudsonreview.com.pdf>.

Blank, Martine, ed. **Critical Essays on Thornton Wilder.**New York:G.K. Hall& Co.,1996.

Bloom, Harold and Portia Williams Weiskel, ed.**Thornton Wilder.** New York:Chelsea House publishers., 2003.

Castronova, David. **"Srrange Discipline: Wilder's One-Act Experiments."** In Martin Blank,ed. **Critical Essays on Thornton Wilder.** New York:G.K.Hall& Co., 1996.

"Comedy of Manners", [database on line];accessed on 21st July, 2014; available from www.britannica.com/.../comedy-of-mann...

Corrigan, Robert W. **"Thornton Wilder and the Tragic Sense of Life."** In Martin Blank,ed. **Critical Essays on Thornton Wilder.** New York:G.K.Hall&Co.,1996.

Cubeta, M. Paul. **Modern Drama for Analysis.**New York: Henry Holt and company, Inc.,1955.

Goldstein, Malcolm.**The Art of Thornton Wilder.**Lincoln:University of Nebraska press, 1965.

Haberman, Donald,**The Plays of Thornton Wilder: A Critical Study.**Connecticut: Wesleyan University press, 1967.

Hewitt, Barnard. **" Thornton Wilder Says "Yes""**, In Martin Blank,ed. **Critical Essays on Thornton Wilder.**NewYork;G.K.Hall& Co., 1996.

Kuner, M.C. **Thornton Wilder: Bright and Dark.**New York: Crowell, 1972.

Mathur, Vrinda. **The Plays and Novels of Thornton Wilder: A Critical Study.** New Delhi: Prestige Books, 1996.

"Our Townby Thornton Wilder", [database on-line}; accessed on 21st July, 2014; available from freeessayshelpme.com

"The Matchmaker", [database on-line]; accessed on 6th July, 2014; available from <http://www.bookrags.com/studyguide-matchmaker>

"The Matchmaker-Center Stage", [database on-line];accessed on 16th July, 2014; available from www.centerstage.org/protals/.../pdf/thematchmaker--

Wilder Thornton. **Our Town, The Skin of Our Teeth, The Matchmaker.** London: Penguin Books, 1966.

A Socio-pragmatic Study of Request Modification in Iraqi Non-standard Arabic.

Ass. Lecturer
Maysoon Khaldoon Khattab
Al-Araqia University
College of Arts

Abstract

This study aims at finding out whether there are any gender-based differences in the use of external modification devices in request by native speakers of Iraqi non-standard Arabic. The data is collected by means of DCTs (discourse completion tasks). The subjects are Iraqi students and all of them are native speakers of Iraqi non-standard Arabic representing both males and females. The result shows that there are differences between Iraqi males and females in the rate of frequencies of the external modification devices. The results are discussed , analyzed and pedagogical implications are highlighted.

ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة الى الكشف عن اذا ما كانت هناك اي فروقات بين الجنسين في التخفيف من حدة الطلب بأستخدام وسائل التخفيف الخارجية من قبل الطلبة العراقيين المتحدثين باللهجة العراقية العامية. جمعت البيانات عن طريق أستخدام الأستبيانات والتي أعطيت للطلبة العراقيين المتحدثين باللهجة العراقية العامية. عينة البحث من الذكور والأناث . على العموم بينت النتائج أن هناك فروقات بين الذكور والأناث في أستخدام وسائل تخفيف الطلب الخارجية. تم مناقشة وتحليل النتائج والقاء الضوء على مضموناتها التربوية.

1. Introduction

The present study aims at investigating the way request is modified by Iraqi male and female university students speaking Iraqi non- standard Arabic.

Although much research was conducted in the field of the speech act of request, it is noticed that there is no research that was done to investigate gender based differences in modifying request by Iraqi university students speaking Iraqi non- standard Arabic. This research is an attempt to bridge the gap in this area.

Individuals within the same society might differ in their speech act realization pattern, depending on personal variables such as sex, age or level of education (Blum- Kulka, 1989: 197). Speech act theory has dealt with the question of politeness and the two philosophers, Austin and Searle regard linguistic communication to be not just a means of conveying information, but a tool people use to fulfill many goals. When people speak, they do things or make others do things for them such as apologizing, promising, requesting, thanking and so on. Searle (1979) proposed a system of five different categories of speech act. These are assertive, directive, commissive, expressive and declaration.

The main function of directive is to direct the addressee to perform or not to perform an act, such as ordering or requesting.

2. Requests

Requests are face threatening acts which imply intrusion on the addressee's freedom of action. So they threaten the addressee's negative face (Brown and Levinson, 1978:70). They are categorized as impolite behavior or face threatening acts (FTAs) that are important to be mitigated by negative politeness strategies (Leech, 1983:106). In addition there are social variables that affect the kind and degree of politeness. These variables are the social status of participants, distance and weight of the imposition. The variables will determine the type of politeness strategies that are employed in performing speech acts. The speaker, according to Brown and Levinson (1978), will use one of these four strategies in doing the act (1) Bold on record (2) positive politeness (3) negative politeness (4) off record.

The choice of direct and indirect ways of making requests apparently available to speakers in all languages is socially motivated by the need to soften the imposition embedded in the act itself. The process of softening or mitigating is defined by Fraser (1978:22) as the intentional softening or easing of the force of the message- a modulation of the basic message intended by the speaker. One way in which the speaker can mitigate the imposition is by manipulating an indirect strategy. But even after the speaker has used the strategy of indirectness in performing the act, s/he still has many verbal choices available to mitigate the degree of imposition involved (Blum-Kulka,1989). S/he uses 'internal' and 'external' modification devices. So requests are made up of two parts: the core request or the head act as suggested by Blum- Kulka (1989:200) and the various peripheral elements. The 'head act' is 'the part of the sequence which might serve to realize the act independently of other elements. So it can be used alone without any peripheral elements. However it is noticed that in many cases request is preceded and/or followed by expressions which mitigate or emphasize its force (Faerch & Kasper,1989), (Sifianou, 1999). As proposed by Faerch and Kasper(1984), and Edmindson (1981) such manipulation may be categorized as 'internal modification' which neither alters the level of directness, nor changes the propositional content.

Internal modification is fulfilled by means of linguistic expression within the same speech act to mitigate or aggravate its force, whereas external modification is fulfilled by softening or intensifying devices which occur in the immediate linguistic context rather than in the speech act itself (Faerch and Kasper, 1984). Internal modification can be achieved by syntactic means such as the interrogative, past tense, or through other down graders such as intensifiers, and hedges. Examples of internal modification categories are listed below (Blum Kulka,1989:205):

1- Syntactic Down graders. The use of syntactic mitigation can indicate several different attitudes. For example, the speaker might wish to indicate that s/he is pessimistic with regard to the outcome of the request (certain negative usage) or that s/he feels hesitant

about making the request (marked modals, such as 'might' instead of 'can'). Syntactic manipulations also serve as distancing elements (past tense) and as hedging devices (embedded 'if' clause) (Blum Kulka & Elite Olshtain, 1984 : 204).

a. *Negation*

Look, excuse me. I wonder if you *wouldn't mind* dropping me home?

b. *Embedded 'if clause'*

e.g. I would appreciate it *if you left me alone*.

c. *Conditional clause*.

e.g. *...if it's possible to have an extension...*

d. *Past Tense*.

e.g. I *wanted* to ask for a postponement.

e. *Aspect*.

e.g. *'I was wondering* if it's possible to have an extension for the assignment.'

f. *Negation of preparatory condition*

e.g. *'I don't suppose there is any chance* of an extension?'

2- Lexical Modifiers:

2.1 Downgraders:

a. *Consultative devices*. Elements by means of which the speaker seeks to involve the hearer and bids for his/her cooperation.

e.g. *Do you think* I could borrow your lecture notes from yesterday?

b. *Understaters*. Elements by means of which the speaker minimizes parts of the proposition, such as the required action or object as in:

e.g. Could you tidy up *a bit* before I start?

c. *Hedges*. Elements by means of which the speaker avoids specification in making a commitment to the illocutionary point of the utterance, in naming the required

action, in describing the manner in which it is to be performed, or in referring

to any other contextual aspect involved in its performance:

e.g. It would really help if *you did something* about the kitchen.

External modification can be achieved through the use of sweeteners, grounders, disarmers, and other means (Edmendon,1981), (Edmendon & House, 1981), (House & Kasper 1981).Types of external modification are listed below:

a. *Checking on availability*. The speaker begins his/her main speech act with

an utterance intended to check if the precondition necessary for agreement holds true.

e.g. *Are you going in the direction of the town?* And if so, is it possible to join you?

b. *Preparatory* . The speaker prefaces the act by an utterance that can count as an attempt to get a precommittal.

e.g. *Could you do me a favor?* Could you perhaps lend me your notes for a few days?

c. *Grounder*. The speaker justifies the request. (Grounders may precede or follow the Head act)

e.g. Judith, *I missed class yesterday*. Could I borrow your notes?

d. *Sweetener*. By expressing overstated appreciation of the hearer's ability to

comply with the request, the speaker lowers the imposition involved.

e.g. *You have beautiful handwriting*, would it be possible to borrow your

notes for a few days?

e. *Disarmer*. The speaker indicates his/her awareness of his own violation, thereby attempting to expect possible refusal.

e.g. *I am sorry to bother you*, but I want to delay the exam.

f. *Imposition and Cost minimizer*. The speaker reduces the force of the request.

e.g. Could you lend me that book, *if you're not using it at present?*

g- *Apology* . The speaker apologizes for doing the face threatening act of request.

e.g. *I'm sorry*, can I borrow your handbook?

h- *Gratitude*. The speaker expresses his indebtedness.

e.g. Could I borrow your book? *I'll be grateful*.

i- *Pre-pre commitment*. Such as greetings .

e.g. *Hello sir, how are you today?* I want to ask you if it is possible to have an extension for the assignment.

g- *Politeness marker 'please'*:

e.g. Would you mind opening the window, *please?*

k-Appreciation: e.g. Will you be able to help me in my research? *I appreciate your experience and effort.*

3.Previous studies

Many studies on language and gender have been dedicated to recognizing, and trying to explain differences in the speech styles of male and female. One of the main differences has been found in the area of linguistic politeness. Holmes (1995) characterizes women's speech as more polite than men's. Such a characterization comes from her own and others' work (e.g. Zimmerman and West, 1975; Fishman, 1980; Tannen,1990) on language and gender over the past three decades, according to which females were more likely than males to express positive politeness and to use mitigating strategies to avoid or minimize threatening their interlocutors' face. For example, females tended to interrupt less in conversation and "to be more attentive listeners, concerned to ensure others get a chance to contribute" than males (Holmes, 1995: 67, Sifianou, 1999:99). They also interpreted and used certain speech acts differently to males. For instance, not only females used more apologies than men but their apologies served more often than males' as remedies for space and talk offences – areas of interaction where women were particularly vulnerable and where they might have developed a greater sensitivity (Holmes 1995: 185).

Also previous studies put emphasis on the degree of directness for the successful performance of speech act in cross-cultural

communication. For example requests and complaints in German and English (House & Kasper, 1981), and requests in Russian and English (Thomas, 1983). In German and Russian languages the speakers employed more direct construction and appearing to be less polite. House and Kasper (1998:177) study showed that intensifying devices were rarely used with requests in English.

Among the studies that dealt with request modification is that conducted by Abudal Sattar and Farnia (2014). The study concentrated on the similarities and differences in requests' modification by Malaysian and Iraqi postgraduate students studying at University Sain Malaysia, Malaysia. It was an attempt to investigate the performance of non- native speakers of English. The study revealed that there were more similarities than differences between the subjects under study concerning the use of mitigation devices.

Also Adhulaee's (2011) study examined Iraqi speaker's requesting act. It concentrated on exploring the differences and similarities between Australian English native speakers and Iraqi Arabic native speakers in the way they use modifications in requests. The result showed that external modifiers were prevalent in both groups' requests. The most frequent external device was grounder and openers.

Among the studies that analyzed the linguistic form of requests in different Arabic dialects as compared to form of requests in English is that is conducted by Al- Marrani and Sazalies (2010). The study examined polite request strategies as used by male speakers of Yamani Arabic in the same gender and cross gender. The analysis examined the request pattern of Yamani Arabic speakers related to six situations. The study revealed that there was a general trend in Yamani Arabic for higher level of directness in male-male interactions. The use of direct strategies by speakers of Yamani Arabic were justified by the closeness and the solidarity between the participants. Also it showed that there was a general trend in Yamani Arabic for higher level of indirectness in male-female interactions. This result was attributed to cultural and religious values.

4. Aim of the study

The current study will try to answer the following question:

Are there any gender- based differences with regard to the use of external modification in request by Iraqi males and females?

5. Subjects

The data were collected from a sample of Iraqi undergraduate students from the department of English, Al-Araqia University. They were Third-year students and their ages ranged between (20-24) years old. The sample included 21 males and 21 females. All were native speakers of Iraqi non-standard Arabic.

6. Instrument and Methodology

In order to achieve the above aim, the data were collected via the discourse completion task (DCT) which is developed by Blum-Kulka (1982). The questionnaire consisted of seven written situations to which participants were supposed to react and respond making request (Appendix I). The questionnaire was written in Arabic and the respondents had to write their answers in Iraqi non-standard Arabic. The respondents were asked to imagine as though they were in real situations where they could verbally participate in real dialogue.

The situations varied according to a number of social variables: the social distance between the speakers, the relative social power and the ranking of imposition.

Situations Description

S1 (Book) [+P, -D] Student – Professor. Student asks professor to lend him/her a book.

S2 (Test) [+P, -D] Student – Professor. Student asks professor to postpone the test to another day.

S3 (Door) [+P, +D] Student – Professor. Student asks professor whom s/he does not know to open a door which the student cannot open because his/her hands are full.

S4 (Music) [=P, +D] Student – Student. Student asks another student in nearby room whom s/he does not know to turn his/ her music down.

S5 (Notes) [=P, -D] Student – Student. Student asks to borrow a friend's notes from a class that s/he has missed.

S6 (Photo) [+P,+D] Student – Man. Student asks a man or a woman whom s/he does not know a photo of the student and his /her friend.
 S7 (Food) [+P,-D] Student - friend's mother. Student asks a friend's mother for more food during dinner at the friend's house.

6.1 The Administration of the Questionnaire:

The questionnaire i.e. (DCT) was administered in the department of English, College of Arts at the end of the academic year 2015.

The subjects consisted of 21 males and 21 females all of them were third and second- year students at the department of English, College of arts, Al-Iraqia University. The subjects were given the questionnaire which was written in Arabic with instruction and 7 situations. They were given enough time to read the instruction of questionnaires and the they were asked to fill out and answer the (DCT) by writing a suitable request in Iraqi non-standard Arabic.

7. Data Analysis:

The collected data were analyzed. Data analysis was based on CCSARP (Cross cultural speech act realization project). It is a coding scheme used to study the realization of speech act in a number of languages, first it is used by Blum-Kulka et al. (1989). Blum-Kulka analyzed the request into three parts: (a) address terms; (b) head act ; (c) Adjuncts to the speech act. Consider the following example:

A	B	C
(1) Danny / could you lend me £100 for a week / I've run into problems with the rent for my apartment.		

The sequence in (1) would be broken down into three parts:

- a. 'Danny' Address term
- b. 'Could you . . . etc' Head act
- c. 'I've run into problems...' Adjunct to Head act.

The head act is the core of the speech act. Adjuncts to the Head act are the external modifications that don't affect the degree of the directness of request, but they modify its illocutionary force. Example of external modifications are grounders, disarmers, sweeteners, checking the availability, and gratitude.

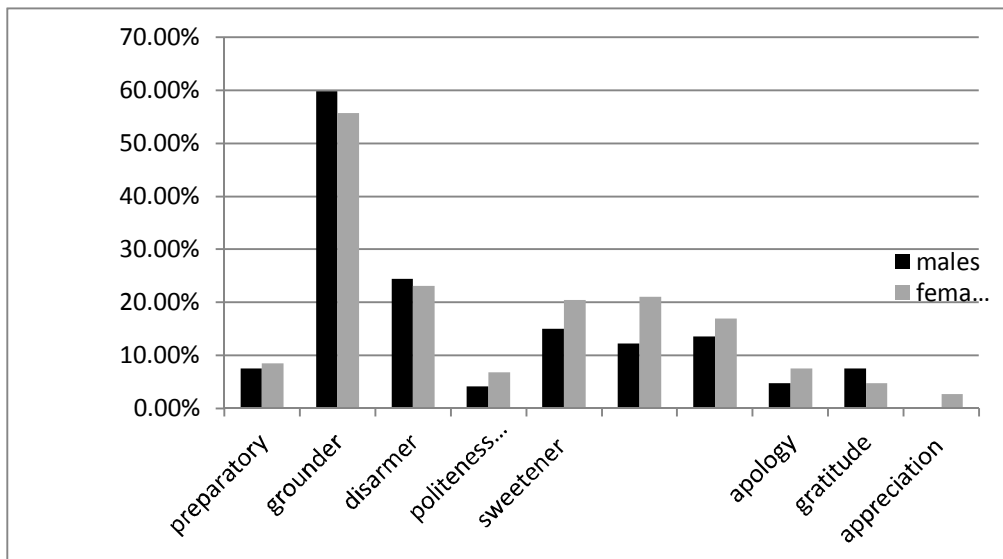
8. Results:

To identify the type and the frequency of external modifications used by Iraqi EFL learners and native speakers, the data were analyzed, and the frequency of occurrence and percentage of each type of strategy were calculated as shown in Table 1a. and 1b.

As to the research question whether there are any gender-based differences with regard to the use of external modification in request by Iraqi males and females, the analysis shows that there are gender-based differences concerning the employment of external modification devices in request. The female subjects of the study tend to use a higher rate of external modification devices than males do in utilizing disarmers, sweeteners, apologies, greetings, and politeness markers.

Also males tend to use grounder and gratitude more than the females do. On the other hand the analysis shows that both Iraqi males and females have close rate of frequencies in utilizing preparatory and disarmer modification devices in their requests. The following figure summarizes the results:

Figure 1. The distribution of the participants' requests across external modification devices:



	Preparatory		Grounder		Dinner		Politeness marker		sweetener		Imposition minimizer		Pre-pre-commitment		Apology	
	Male F (%)	Female F (%)	Male F(%)	Female F(%)	Male F(%)	Female F(%)	Male F(%)	Female F(%)	Male F(%)	Female F(%)	Male F(%)	Female F (%)	Male F(%)	Female F(%)	Male F(%)	Female F(%)
S1	6 (4.08)	5 (3.40)	22 (14.96)	16 (10.88)	3 (2.04)	4 (2.72)	0	1 (0.68)	0	0	4 (2.72)	10 (6.80)	9 (6.12)	8 (5.44)	1 (0.68)	3 (2.04)
S2	3 (2.04)	4 (2.72)	21 (14.28)	24 (16.32)	1 (0.68)	1 (0.68)	3 (2.04)	3 (2.04)	0	0	0	2 (1.36)	5 (3.40)	5 (3.40)	1 (0.68)	0
S3	1 (0.68)	2 (1.36)	11 (7.48)	10 (6.80)	8 (5.44)	12 (8.16)	0	0	0	0	5 (3.40)	5 (3.40)	1 (2.40)	3 (2.04)	2 (1.36)	6 (4.08)
S4	0	0	18 (12.24)	17 (11.56)	7 (4.76)	5 (3.40)	3 (2.04)	3 (2.04)	0	0	0	2 (1.36)	0	2 (1.36)	1 (0.68)	0
S5	0	1 (0.68)	14 (9.52)	13 (8.84)	3 (2.04)	1 (0.68)	0	2 (1.36)	0	0	5 (3.40)	6 (4.08)	2 (1.36)	2 (1.36)	0	0
S6	1 (0.68)	1 (0.68)	1 (0.68)	0	10 (6.80)	10 (6.80)	0	1 (0.68)	0	0	3 (2.04)	4 (2.72)	3 (2.04)	5 (3.40)	1 (0.68)	2 (1.36)
S7	0	0	4 (2.72)	2 (1.36)	4 (2.72)	1 (0.68)	0	0	22 (14.96)	30 (20.40)	1 (0.68)	2 (1.36)	0	0	1 (0.68)	0
to- tal	11 (7.48)	13 (8.48)	88 (59.86)	82 (55.78)	36 (24.48)	34 (23.12)	6 (4.08)	10 (6.80)	22 (14.96)	30 (20.40)	18 (12.24)	31 (21.6)	20 (13.60)	25 (17)	7 (4.76)	11 (7.48)

Table 1. a. Frequency and percentage of external modifications devices in Iraqi males and females' requests

	Gratitude		Appreciation	
	Males F (%)	Females F (%)	Males F _a (%)	Females F _a (%)
S1	3 (2.04)	3 (2.04)	0	3 (2.04)
S2	1 (0.68)	1 (0.68)	0	0
S3	3 (2.04)	1 (0.68)	0	1 (0.68)
S4	1 (0.68)	0	0	0
S5	1 (0.68)	1 (0.68)	0	0
S6	2 (1.36)	1 (0.68)	0	0
S7	0	0	0	0
Total	11 (7.48)	7 (7.76)	0	4 (2.72)

Table 1.b. Frequency and percentage of external modifications devices in Iraqi males and females' requests

9. Discussion:

Grounders are the most frequent type of external modification devices that are utilized by both groups of males and females (see figure 1). Grounders mean that the speaker gives reasons as to why he wants what he wants, it is one of the positive politeness strategies suggested by Brown and Levinson (1978). Grounders are used about 88 times (59.86%) by males and 82 times (55.78) by females in all situations except situation 6. In situation 6 (photo) the request doesn't require to be justified, two friends want to take a photo so they need another one to help them. This type of modification is used more frequently by males than females. The higher rate of occurrence is in situations 1 and 2 (professor-student) because the variables of power and imposition are high. In situation 1(book) grounder modification device is used 22 times (14.96%) by males and 16 times (10.88) by females. In S 2 (test) grounder modification device is used 21 times (14.28) by males and 24 times (16.32) by females (see table 1a.). In situations 1(book) and 2(test) both groups utilize various external modifications such as grounders, preparatory, and terms of address accompanied by Islamic rituals such as

“الله يخليك أستاذ” Allah yakhalik austath “God may save you”. Also address terms "accompanied by sweeteners are used by males rather than by females such as “أستاذي العزيز” “Austathi alazeez” “My dear professor ” and “أستاذي الفاضل” “Austathi alfathel” “My respectable professor”. Examples of grounders used by the subjects are shown below:

S1 M : السلام عليكم أستاذ. أستاذ عندي بحث وأريد أكمله. ممكن تنطيني الكتاب المناسب؟ إذا أمكن؟

Al salam aleikum austath. *Austath andi baheth wa areed akmla.*

Mumkin tinteeni al-Kitaab almunasib? Athaa amkan?

(Peace upon you Professor. *Professor I have a research and I want to complete it. Can you give me the suitable book?*)

S1 F : مرحبا دكتور. ممكن طلب ؟ عندي بحث ومحتاجه كتاب وبس أنت عندك. ممكن أستعير الكتاب

وأرجعه بعد يومين وأكون ممنونة؟

Marhaba Doctor. Mumkin talab? *Andi baheth wa mhtaja kitaab wa bas anta andak.* Mumkin astaeer Al kitaab wa arajaa baad yoomen, wa akoon mamnona.

(Hello Doctor. Can I request? *I have a research and I need a book. Only you have this book. Can I borrow the book and I'll return it in after two days and I'll be grateful.*)

S2 M: أستاذي العزيز عندي طلب. بيها مجال يتأجل الأمتحان أي يوم أنت تحب؟ صار عندي ظرف

وما كدرت أدرس .

Austathi alaziz andi talab. Beha majal ytajal al-amtihan ai yoom

anta tiheb,? *Saar andi tharuf wa ma gadarat adrus.*

(My Dear professor I have a request. Is there any chance for postponing the test any time you want? *It was an emergent case and I couldn't study.*)

S2 F: أستاذ لو سمحت ممكن تأجل الأمتحان ؟ كنت مريضة وما كدرت أدرس .

Austath law samaht mumkin tajal al- Amtihan? *Kinat Mareetha wa ma Gadarat Adrus .*

(Excuse me professor, can you postpone the test? *I was sick and I couldn't study.*)

Before uttering the request, the speaker expresses his/her desire to check whether or not to say his/her request. Thus, s/he wants to prepare the addressee and to gain some kind of commitment that the addressee is willing to be co-operative. Such pre-exchanges usually take the form of questions such as "Will you do me a favour?" This preparatory device is used 13 times (8.48%) by females, and 11 times (7.48%) by males. It is mainly used by females and males when there is greater social distance and the imposition is assumed to be higher as in S1 (book). Examples of preparatory device used by the subjects are shown below:

S1 M: صباح الخير أستاذ. ممكن طلب؟ محتاج كتاب عندي بحث ، ممكن أستعيرة منك وأكون شاكر؟

Sabah al khir austath. *Mumkin talab?* Mihtaj kitab , andi baheth, mumkin astaeera minak wa akoon shaker?

(Good Morning Professor. *Can I ask you something?* I need a book, I have a research. Can I borrow it from you and I'll be grateful?)

S1 F: من فضلك أستاذ ممكن تساعدني؟ دا أدور على كتاب ومرجع لبحثي وأكون ممنونة.

Min fathlak austath *Mumkin tisaedni?* Da Adwar ala kittab wa marjaa li bahthi wa akoon mamnona.

(Excuse me Professor. *Can you help me?* I'm looking for a reference for my research, and I will be grateful.)

Another preparatory device is formulaic greeting such as "مرحبا" "Marahaba" "Hello", and "شلونك" "Shloonak" "How are you?". They are used before expressing the actual request. This Pre-pre commitment device of request modification is used more frequently by females 25 times (17%) than by males who use this device about 20 times (13.60%). Greetings appear in the same frequency of occurrence in S1 (book) and S2 (exam) before both groups' requests. But it is used more frequently before females' requests than before males' requests in S5 (notebook) where the interlocutors are equals, and in S6 (photo) with stranger, where the relationship is more distant. This shows that Iraqi females are more interested in a harmonious, social conversation than male do; and they try to avoid being rude by trying to be friendly. Also they try to be nice and smart from the beginning and minimize the distance between interlocutors.

Both groups use disarmers, which are phrases that express the speaker's realization that the request might be an imposition on the addressee. They are optional and can occur in initial or final position. A speaker uses disarmer and criticizes himself/herself to put pressure on the addressee to be cooperative and to inform the addressee that s/he doesn't want to bother him.

The frequency of use of disarmers seems to be the same by both groups. It appears about 36 times (24.48%) in males' request compared to 34 times (23.12%) in females' requests. This type of modification is used mainly by both groups in S3 (door) and S6 (photo). It is used in S3 (door), because the variables of power and degree of impositions are high. Also it is used in S6 (photo) because

the variables of distance and imposition are also high. Examples of disarmers which are extensively used by Iraqi males and females “بلا زحمة” “Wa law tseer zahma” “It is disturbance”, “Billa zahma” “Without disturbance”, and “ولو أخذ من وقتك” “Wa law aakhith min waqtak” “I am taking your time”. They are used by both groups either before or after the request.

Expressions of gratitude are used more frequently by males than females, the latter sometimes tend to use appreciation instead of gratitude in the same situation. For example some Iraqi females express their appreciation for their professor's experience and knowledge in S1 (book) instead of using gratitude. Expressions of gratitude are used about 11 times (7.48%) by males and 7 (4.76%) by females. Examples of expressions of gratitude used by both groups are “أكون ممنون” “Akoon mamnoon” “I'll be grateful” by Iraqi males and “أكون ممنونة” “Akoon mamnoona” “I'll be gratefull” by Iraqi females, “أكون شاكر” “Akoon shakir” “I'll be Grateful” by Iraqi males and “أكون شاكيرة” “Akoon shakira” “I'll be grateful” by Iraq females , and “أشكركم هواية” “Ashkurkum Huaia” “Thanks a lot” by both groups.

Sweetener modification device is used by females more frequently than males. Females use it 30 times (20.40%) compared to 22 times (14.96%) by males. All the sweeteners appear in S7(food) which express familiarity and intimacy. This finding comes in line with the previous studies (Holmes 1988, Wofson 1983, Herbert,1998) which suggest that females both give and receive more compliments than males. According to Brown and Levinson(1987), compliments and sweeteners function as positive politeness strategy and they attend to the positive face need of the addressee. Examples of the sweeteners that are used by both groups: “عاشت أيديج” “Aashit aeedich” “God save your hand”, “طببخج كلش طيب” “Tabkhich kulish teiab” “Your cooking is very delicious”. More examples are shown below:

S7 M: كلش طيب عاشت أيديج. ممكن طبق آخر؟

Kulish teiab aashit aeedich. Mumkin tabik aakhir?

(*Very delicious, God save your hand. Is it possible to have more?*)

S7 F: خالة ممكن ماعون ثاني؟ حيل طيب طبخج.

Khala mumkin maoon thani? *Heel teiab tabkhik.*

(Aunt can you give me another dish? *Your cooking is very delicious.*)

Most of the subjects request more food because hospitality is one of the

dominant characteristic of Iraqi society, so they expect that their requests will be fulfilled. Only one female and one male refuse to ask for more food. The subjects' requests are accompanied by terms of address that show intimacy such as

“خالتي العزيزة” “Khalty al-azeeza” “My dear aunt”. Sweeteners and compliments which are used more frequently by females than by males reveal that females felt more comfortable in such situations.

Imposition and cost minimizer modification device is one of the politeness strategy in which the speaker avoids coercing the addressee, and this may be done by explicitly giving him the option not to do the act (Brown & Levinson 1978:177). Iraqi males and females' groups extensively used such expressions to minimize the imposition, for example : “أذا ماكو زحمة” “Atha makoo zahma” “If there is no disturbance”, “أذا بيهها مجال” “Attha beeha majaal” “If there is any chance”, “أذا أمكن” “Atha amkan” “If it is possible”. Sometimes subjects tend to minimize the cost when they claim that the cost was small and used such expressions: “باجر أرجعه” “Baacher arajaa” “I'll turn it back tomorrow”,

“ممكن دقيقة” “Mumkin dakika” “One minute please”. Iraqi females use imposition and cost minimizer device more than Iraqi males do. There are 31 instances (21%) by females compared to 18 instances (12.24 %) by males. This show that Iraqi females are more sensitive in such situations and they don't want to be rude. More Examples of imposition and cost minimizer are shown below:

S1 M: صباح الخير أستاذ. ممكن أستعير هذا الكتاب منك؟ كم يوم وأرجعه.

Sabah alkhir austath. Mumkin astaeer hatha alkitab minak. *Kam yoom wa arajaa.*

(Good Morning professor. Can I borrow this book from you?
I'll turned it back in few days.)

S1 F: أستاذ بلا زحمة محتاجة منك شغلة بسيطة

Austath billa zahma, mihtaja minak shagla baseeta.

(Professor, without disturbance, I need a small thing from you.)

By apologizing for doing the FTA, the speaker can indicate his reluctance to interrupt or do the FTA of request. Although there are a few instances of expressions of apology in both groups' requests, females use this device more frequently than males do. Females use it 11 times (7.48%), and males use it 7 times (4.76). This comes in line with Holmes' (1995:185) findings. Females used it mainly in S3 (door) where the variables of power and imposition are high. The expression of apology which is used by Iraqi males and females is "العفو" "Al-Afu" "Excuse me", below are more examples:

S3 M: العفو استاذ، اذا ممكن تفتحلي الباب؟

Al-Afu austath, atha mumkin tiftahli al- bab?

(Excuse me, if it is possible open the door?)

S6 F: العفو، ممكن تاخذلنا صورة؟

Al-Afu, mumkin takhthilna soora?

(Excuse me. Is it possible you take us a photo?)

In Iraqi non-standard Arabic words "عفية" "Afia" and "رجاء" "Rajaan" are the rough equivalent for the politeness marker "please". In fact the word "عفية" "Afia" sometimes has greater force and effect than the English word "please"; it is used in the sense of "I beg you" in S2 (test). "عفية" "Afia" and "رجاء" "Rajaan" are found on the whole slightly more in females' data than in males' data. In females' data they are employed 10 times (6.80%), while males use it 6 times (4.08). Data analysis reveals that these two expressions were used by both groups in S2 (test) and S4 (music), i.e. when there is social distance and when both interlocutors are equals. Examples of the politeness markers used by Iraqi males and females are listed below:

S1 M: أستاذ ممكن الأمتحان يتأجل؟ صار عندي ظرف وما كدرت أقرأ.

رجاء أستاذ

Austath mumkin al-amtihan ytajal? Sar andi tharuf ma kdarat akraa. *Rajaan austath.*

(Professor is it possible to postpone the exam? I had some trouble. I couldn't study. *Please Professor.*)

S4 F: عفية اذا ماكو زحمة، اذا تكدر تنصي الموسيقى؟

Afia, atha makoo zahmaa, atha tekdar tnasi almoseeka.

(*Please, if there is no disturbance, if you can turn down the music.*)

10. Conclusion

Taking all the seven situations together, both Iraqi males and females have close rate of frequencies in utilizing preparatory and disarmers modification devices in their requests. This indicates that cultural behavior may be a stronger factor than gender in this special aspect of request modification.

With regard to the other types of modification devices, the analysis shows that there are differences between Iraqi females and males in the rate of frequencies of the external modification devices. Females tend to use a higher rate of external modification devices than males do in utilizing disarmers, sweeteners, apologies, greetings, and politeness markers. This is in line with the previous studies (Holmes, 1995; Cameron 2000, Mills, 2003) that suggest that females are more likely mitigating devices than males. This can be interpreted in line with the previous psychological research which shows that males are generally more direct than females. Females had been seen to be more concerned with making connections and seeking involvement and they are more likely to minimize threatening their interlocutor's face (Holmes, 1995:7). Also females try to be more tentative and less abrupt.

Iraqi males prefer to use expressions of gratitude more frequently than Iraqi females. In the same situation females tend to use appreciation and sweetener as mitigating devices instead of gratitude. This also supports the claim that females like to use compliments more than males do. Also males tend to give reasons for their requests more than the females do. Thus males tend to use modification devices which support their request to achieve the required result, so they are more direct than females.

I hope that these findings from the empirical study will contribute significantly to current knowledge and understanding of request modification as an important aspect of pragmatic competence in future research and pedagogy about the pragmatic development in the interlanguage that focuses on request modification. Any overuse or underuse of requests' modification devices by Iraqi students learners of English can be either attributed to first language interferences L1, or to linguistic or pragmatic proficiency. So these results will be helpful if they are compared to Iraqi students' production of requests modification devices in English to decide whether there are any possible L1 interferences. Also the result of this study will help to understand the linguistic behavior of Iraqi males and females in this particular area of request modification.

Appendix I

Questionnaire

Instructions:

You will be asked to read brief situations; you will have to act as you would in an actual situation. Do not think too much and try to be as spontaneous as possible. Thank you for your cooperation.

Note: The answer would be in Iraqi non-standard Arabic.

Age: Gender : Male Female

الموقف الأول: أنت طالب في الجامعة و بحاجة إلى كتاب (مرجع) لإتمام بحث مطلوب منك تسليمه في وقت محدد، هناك شخص واحد تعرف أن لديه المرجع و هو احد مدرسيك، شاهدت هذا المدرس في طريقه إلى مكتبه، ماذا تقول له؟

Situation 1: You are a university student. You need to get the book from the library to finish your assignment on time. There is only one person you know who has the book you need, one of your lecturers. On the way to his/her office you meet him/her in the hallway. What do you say?

الموقف الثاني: أنت طالب في الجامعة وتريد ان تطلب من مدرس المادة تأجيل الأمتحان ليوم آخر.....ماذا تقول له؟

Situation 2: You are a university student and you want to ask your professor to postpone the test to another day. What do you say?

الموقف الثالث: أنت طالب جامعة وتريد ان تفتح الباب ولكن لاتستطيع لأنك تحمل اغراضا، تريد أن تطلب

من الأستاذ الذي لاتعرفه ان يفتح لك الباب... ماذا تقول له؟

Situation 3: You are a university student your hands are full for you are carrying stuff. You can't open the door, so you want to ask a professor you don't know to open the door. What do you say?

الموقف الرابع: أنت تجلس في غرفة وفجأة تسمع صوت موسيقى عال يأتي من الغرفة المجاورة، تريد أن تطلب من طالب جامعة يجلس في الغرفة المجاورة ان يوطئ صوت الموسيقى ، ماذا تقول له؟

Situation 4: Ask another student in nearby room whom you do not know to turn his/ her music down. What do you say?

الموقف الخامس: أنت طالب جامعة ولم تحضر المحاضرة السابقة تريد أن تطلب من صديقك أن يعيرك مادة المحاضرة التي لم يحضرها، ماذا تقول له:

Situation5: You are a university student, and you want to borrow a friend's notes from a class that you have missed. What do you say?

الموقف السادس: تقوم أنت وصديقك بنزهة في هذه الأثناء تريد أن تطلب من امرأة أو رجل لاتعرفه أن يأخذ لك ولصديقك صورة ، ماذا تقول له؟

Situation 6: You and your friend are having a picnic, you want to ask a man or a woman whom you don't know to take a photo of you your friend. What do you say?

الموقف السابع: يدعوك صديقك على الغداء في منزله ، تريد أن تطلب من أم صديقك المزيد من طبق أعدته الأم، مالذي تقول له؟

Situation7: Your friend invites you for dinner at his/her house . You want to ask your friend's mother for more food. What do you say?

BIBLIOGRAPHY

- Aldhulaee , M (2011). *Request mitigating devices in Australian English and Iraqi Arabic: A comparative study*. Unpublished Master's thesis, Deakin University, Victoria, Australia.
- Al-Marrani, Y., & Sazalie, A. (2010). "Polite Request Strategies by Male Speakers of Yemeni Arabic in Male-Male Interaction and Male-Female Interaction". *The International Journal of Language Society and Culture*, 30, 63-80.
- Blum-Kulka, S. (1982). "Learning to say what you mean in a second language: a study of the speech act performance of Hebrew second language learners". *Applied Linguistics* HI/1:29-59.
- Blum-Kulka, S., & Olshtain, E. (1984). "Requests and apologies: A cross-cultural study of speech act realization pattern (CCSARP)". *Applied Linguistics* 5 (3), 196-212.
- Blum-Kulka, S., J. House & G. Kasper (Eds.) (1989). *Cross-cultural pragmatics: Requests and apologies*. Norwood, NJ: Ablex.
- Brown, P. and S. Levinson (1978). "Universals of language usage: politeness phenomena" in E. Goody (ed.). *Questions and Politeness*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Cameron, D. (2000). *Good to talk? Living and Working in a Communication Culture*. London: Sag Publications.
- Edmondson, W. (1981). *Spoken Discourse. A Model for Analysis*. London: Longman.
- Edmondson, W. & J. House (1981). *Let's Talk and Talk About It*. Munich: Urban and Schwarzenberg.
- Færch, C. and G. Kasper (1984). *CCSARP—A Project Description*. Copenhagen :University of Copenhagen .
- Færch, C. and G. Kasper (1989). "Internal and external modification in interlanguage request realization". In Blum-Kulka, S., House, J. and Kasper, G. (Eds.). *Cross-*

- cultural pragmatics: Requests and apologies* (pp.221-247). Norwood, NJ: Ablex.
- Fishman, P. M. (1980). Conversational insecurity. In: Giles, H., Robinson, W. P., Smith, P.M. (Eds). *Language: Social psychological perspectives* (pp. 127-132). Pergamon Press, Oxford, England.
- Herbert, R.K. (1998). "Sex- Based Differences in Compliments Behavior". In Cheshire, Jenny and Trudgill, Peter (Eds.). *The Sociolinguistics Reader* (pp:53-75). London: Arnold.
- Holmes, J. (1988). "Paying compliments: a sex-preferential politeness strategy". *Journal of Pragmatics*, 12(4), 445-465.
- Holmes, J. (1995). *Women, Men and Politeness*. New York: Longman.
- House, J. and G. Kasper (1981). "Politeness markers in English and German" in F. Coulmas (ed.). *Conversational Routine*. The Hague: Mouton.
- Leech, G. N. (1983). *Principles of Pragmatics*, London: Longman.
- Mills, S. (2003). *Gender and Politeness*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Searle, J. (1979). *Expression and Meaning*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Sifianou, M. (1999). *Politeness Phenomena in England and Greece. A cross- cultural perspective*. Oxford: Oxford University Press.
- Tannen,D. (1990). *You Just Don't Understand: Women and Men in Conversation*. New York:W. Morrow and Company, Inc.
- Thomas, J. (1983). "Cross-cultural pragmatic failure". *Applied Linguistics*, 4: 91-112.
- Wolfson, N. (1983). An empirically based analysis of complimenting in American English. In N. Wolfson & E. Judd (Eds.) *Sociolinguistics and Language Acquisition* (pp.82-95). New York, NY: Newbury House Publishers.

Zimmerman, D. H. and West, C. (1975). "Sex, roles, interruptions and silences in conversation". In Thorne, B. & Henley, N. (eds.) *Language and Sex: Difference and Dominance* (pp.105-129). Stanford, CA: Stanford University Press.